فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد الاان لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3].

أما بعد: فإن الدعوة إلى الله هي رسالة الرسل، حيث يدعون الناس إلى دين الله كما قال الله تعالى واصفًا مهمة خاتم الأنبياء والمرسلين:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[4].

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١ .

(٣) الأحزاب: ٧٠، ٧١.

(٤) الأحزاب: ٤٥-٤٦.

قال ابن كثير رحمه الله: «اي داعياً للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك «وسراجاً منيرا» أي: وامرك ظاهر فيما جئت به من الحق، كالشمس في اشراقها واضاءتها، لا يجحدها إلا معاند»[1]

وبين عليه الصلاة والسلام حرصه على إنقاذ أمته من أسباب الانحراف عن دين الله القويم. فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقدَ ناراً، فَجعْلَت الدوابُّ والفَرَاشُ يقعن فيه فا أنا آخذٌ بحُجَزِكم وأنتم تقحمون فيه»[2].

ولأهمية الاقتداء بإمام المتقين والدعاة المخلصين كما بين الله في كتابه حيث قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3].

اهتم المتخصصون من العلماء في مجال الدعوة والاحتساب بطرح البحوث الدعوية النافعة التي مصدرها السنة الصحيحة، والتي هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

ومن هذا المنطلق شرع قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام في إخراج موسوعة دعوية لدراسة الأحاديث النبوية، اعتمدت أصح كتاب بعد كتاب الله وهو صحيح الإمام البخاري، منطلقاً لهذا المشروع العلمي المبارك، بعنوان «فقه الدعوة في

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ص ١٣٧٩ .

(2) صحيح مسلم : كتاب الفضائل باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، ص٩٣٨، ط بيت الأفكار الدولي، الرياض.

(3) الأحزاب : ٢١.

صحيح الإمام البخاري دراسة دعوية»، وقد وفقني الله سبحانه وتعالى للمشاركة في هذه الموسوعة، وكان نصيبي منها من أول كتاب الطب حتى نهاية باب ما يكره من قيل وقال من كتاب الرقاق، سائلاً الله ان يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، موافقًا لهدي سنة سيد المرسلين، وأن ينفع بما قدمت ويجعله صدقةً جاريةً لي إلى يوم الدين.

أما عن أهمية الموضوع وتقسيم الدراسة فهي كما يلي:

أولاً - أهمية الموضوع:

لقد بعث الله جل وعلا لعباده خاتم النبيين محمداً رسولَ الله ﷺ مبشراً ونذيراً كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[2]: وأمر عليه الصلاة والسلام بعبادة الله وحده كما قال تعالى: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[3].

فدعا عليه الصلاة والسلام إلى الله على بصيرة ممتثلاً أمر ربه جلّ وعلا حيث قال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4].

---

(1) البقرة: ١١٩.
(2) سبأ: ٢٨.
(3) هود: ٢.
(4) يوسف: ١٠٨.

أي: «هذه طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصل إلى الله وإلى دار كرامته المتضمنة للعلم بالحق والعمل به، وإيثاره وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، (أدعو إلى الله «أحث الخلق والعباد على الوصول إلى ربهم وأرغبهم في ذلك)[1].

من هذا التوجيه الرباني يتبين لنا أهمية هذا الموضوع،حيث إن الدعوة إلى الله على بصيرة هي أن يسير الداعية على هدي كتاب الله وسنة رسولهﷺ.

وتتبين أهمية دراسة القسم المخصص للدراسة من حاجة المسلمين الماسة لمعرفة هدي الرسولﷺ . في الطب، واستعمال الأدوية التي بينهاﷺ . لأمته، والأدواء التي حذر منها عليه الصلاة والسلام كالطاعون والحمى وغيرها وبَين أسبابَ السلامة منها.

وكذلك معرفة هديه عليه الصلاة والسلام في اللباس وبيان ما يباح منه وما يحرم. ومعرفة هدية عليه الصلاة والسلام في الآداب والأخلاق ففي كتاب الاداب والذي هو اطول كتاب في هذه الرسالة يظهر لنا حرص الرسولﷺعلى تربية أمته على اكمل هدى وأحسن خلق، من بر للوالدين واكرام للضيف وحفظ الحقوق للجار وبيان لحرمة المسلم وما يستلزم ذلك من انبساط وتعاون بينهم، وبذل الاسباب المؤدية إلى جمع الكلمة والالفة بينهم.... إلى آخر ذلك من الآداب التي بينها رسول الله ﷺ لامته.

ومعرفة هدية ﷺ رسالة في الإستئذان وكذا حاجتهم الملحة إلى معرفة هديةﷺفي الدعاء وبيان آدابه وشروطه، وفي ختام الرسالة كتاب مهم للدعاة والمدعويين الا وهو كتاب: الرقاق. حيث بين عليه الصلاة والسلام أن الحياة الدنيا لا

---

[1] انظر تيسير العزيز الرحمن في تفسير كلام المنان. للشيخ عبدالرحمن السعدي. ص ٣٦١ ط مؤسسة الرسالة.

تساوي عند الآخرة شيئاً، وأن العيش الذي ينبغي للمؤمن الكيس أن يعيشه هو عيش الغرباء، فيوصي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن عمر فيقول: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[1].

وأحاديث الرقاق هي البلسم الشافي لقلب الداعية والمدعو الذي قد يغتر بحياته الدنيا. فمتى ذكر نهايته المحتومة يفيق من غفلته، فيستغل وقته بالطاعة ونشر الدعوة إلى الله.

<u>ومما يبين أهمية هذا البحث الامور التالية:</u>

١- إختصاص معظم احاديث الدراسة في موضوع هام من موضوعات الدعوة إلى الله.

٢- الاقتداء برسول الله ﷺ امتثالاً لامر الله القائل: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ الأحزاب: ٢١.

٣- أن صحيح الإمام البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله، «ولأهمية هذا الجامع الصحيح لقي عناية تامة من علماء هذه الأمة قديماً وحديثاً فألفوا في شرحه مؤلفات عديدة اهمها واجلها كتاب فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله[2].

---

(١) سيأتي شرح هذا الحديث في كتاب الرقاق باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» ص١٠٤٥.

(٢) دليل القاري إلى مواضع الحديث في صحيح البخاري، الشيخ عبدالله بن محمد الغنيمان، ص:١ ، ط ، الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة.

ثانياً: أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف الدراسة فيما يلي:

١- تقديم دراسة في علم الدعوة مبنيةٍ أساساً ومنهجا على هدي وسنة رسوله ﷺ. مستنبطةٍ من الأحاديث الصحيحة.

٢- إظهار الفوائد الدعوية من الكتب الستة المحددة للباحث.

٣- المشاركة في نشر البحوث العلمية التي تنير الطريق بمشيئته تعالى للدعاة والمدعوين في المجتمع.

٤- بيان أهم الوسائل والأساليب التي استخدمها رسول الله ﷺ في دعوته..

ثالثا: أسباب اختيار الموضوع:

١- الارتباط بالسنة النبوية ومع أصح كتب السنة، وهو الجامع الصحيح للإمام البخاري رحمه الله.

وفي هذا امتثالٌ لأمر الله القائل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1] والحذر من مخالفة سنته كما قال عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» رواه مسلم[2].

---

[1] سورة الحشر: ٧.

[2] صحيح مسلم كتاب الاقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ص٧١٤. ط بيت الافكار الدولية.

٢ - حاجة الدعاة والمدعوين إلى معرفة الفوائد التي استخرجها العلماء من الصحيح.

٣ - أن السنة النبوية هي خير زاد للداعية فبحفظها ودراستها يتعلم الداعية، الصفات اللازمة له في مسير دعوته، كالإخلاص والعلم والحلم والصبر وحسن الخلق مع المدعوين. كما سيظهر لنا من خلال دراسة هذه الأحاديث.

كما أنها خير موجه للمدعوين في عقيدتهم وفقههم الشرعي، ومعاملاتهم مع الناس، وترغيبهم بالخير، وترهيبهم من الشر،

٤ - أن السنة النبوية صالحةٌ لكل زمان ومكان، وأن المواقف قد تتكرر عبر التاريخ، وقد أمر عليه الصلاة والسلام بالأخذ بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده فقال: «... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ....»[1].

رابعاً: تحديد مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

أ - مشكلة الدراسة:

إن الباحث في مجال الدعوة إلى الله في بعض الأبواب والمسائل الشرعية لا يكاد يجد -حسب علمي- من اعتنى باستخراج الفوائد الدعوية في بحث مستقل، مع أن سلفنا الصالح -رحمهم الله- لم يهملوا هذا الجانب بحمد الله، بل أعطوه حقه في

---

[1] سنن الترمذي كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ في السنة واجتناب البدع، ٣١٩/٧. وسنن ابي داوود، كتاب السنة باب في لزوم السنة ص ٦٩٩، ط دار ابن حزم.

أني اغتبت أحداً».

وما أعظم أن ينهل الدعاة من هذه الصفة العطرة في حياة هذا الإمام الذي خدم سنة رسول الله ﷺ حتى قيل بحق: إن صحيحه أصح الكتب بعد كتاب الله.

ومتى تحلى الداعية بالورع كان إلى المدعوين أقرب، وقبوله عندهم أسرع، وكان قدوة يقتدي به عامة الناس في هذه الحياة فضلاً عن طلبة العلم والدعاة إلى الله.

ثالثاً: الخشية في العبادة:

قال بكر بن منير: كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات ليلة فلسعه الزُّنْبور. سبع عشرة مرة. فلما قضى الصلاة قال: انظروا ايش آذاني. فنظروا فإذا الزُّنبور قد ورمه في سبعة عشر موضعاً ولم يقطع صلاته[1].. وروى عنه وراقه نحوه بزيادة فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟ فقال: كنت في سورة (أو آية) فأحببت أن أختمها».

لقد وصف الله عباده بالفلاح في خشوعهم في صلاتهم، فقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[2]. قال عبدالله بن مسعود: منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان، أما صاحب العلم فيزداد رضى

---

(1) تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي ٢٤ / ٤٤٦ط. مؤسسة الرسالة، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف. وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٤١.

(2) المؤمنون: ١، ٢.

الله ،أما صاحب الدنيا فيزداد في الطغيان.[1]

ولا شك أن الخشوع في العبادة من أهم الصفات لعلماء الإسلام، ومن يقرأ أخبارهم في خشوعهم في عبادتهم لربهم يظن أن ذلك نسجٌ من الخيال، ولكنهم رجال وصفهم الله في كتابه العزيز فقال ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾.[2]

من هذا الجانب المشرق من حياة هذا الإمام الهمام يستفيد الدعاة دفعة إلى الامام في التأثر بحياته وحسن عبادته مع ربه، وتأسيه بهدي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله بذلك فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾.[3]

رابعًا: الرحلة في طلب العلم ونشره:

لقد أعطى الإمام أبو عبدالله حبَّه طلب العلم والرحلة في طلبه منذ صغر سنه. قال رحمه الله تعالى عن نفسه: «حججت ورجع أخي بأمي، وتخلفت في طلب الحديث، فلما طعنت في ثمان عشرة، جعلت أصنف فضائل الصحابة والتابعين وأقاويلهم وذلك

---

(1) أخلاق العلماء، للإمام الآجري، ص ٨٧، ط، دار النفائس، بيروت.

(2) الأحزاب : ٢٣.

(3) الأنبياء : ٩٠.

أيام عبدالله بن موسى».[1]

وقال حاشد بن إسماعيل: «كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام فلمناه بعد ستة عشر يوماً فقال: قد أكثرتم عليَّ فاعرضوا عليَّ ما كتبتم. فأخرجناه فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نُحْكِمُ كتبَنا من حفظه».[2]

وقد نشر سنة المصطفى ﷺ وحرص الناس على السماع منه وهو شاب لم ينبت في وجهه شعرة.

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: «سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أهل المعرفة من البصريين يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه، ويجلسوه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه، وكان شاباً لم يخرج وجهه».[3]

وقال يوسف بن موسى المروزي: «كنت في البصرة في جامعها إذ سمعت منادياً ينادي: يا أهل العلم لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري، فقاموا إليه وكنت معهم، فرأينا رجلاً شاباً ليس في لحيته بياض، فصلى خلف الأسطوانة فلما فرغ أحدقوا به، وسألوه أن يعقد لهم مجلساً للإملاء فأجابهم إلى ذلك. فقام المنادي ثانياً في جامع

---

(١) تهذيب الكمال للمزي، ٢٤/ ٤٤٠.

(٢) هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص٤٧٨، وانظر سير أعلام النبلاء، ١٢/ ٤٠٨.

(٣) سير أعلام النبلاء، ١٢/ ٤٠٨.

البصرة فقال: يا أهل العلم، لقد قدم محمد بن إسماعيل البخاري فسألناه أن يعقد مجلس الإملاء فأجاب بأن يجلس غداً في موضع كذا. فلما كان الغد حضر المحدثون والحفاظ والفقهاء والنظارة حتى اجتمع قريب من كذا كذا ألف نفس فجلس أبو عبدالله للإملاء».[1]

ومع حرصه على طلب العلم ونشره ورحلته في طلب الحديث كان رحمه الله يحمل صفة العالم الفذ الذي لا يستصغر أحدا يستفيد منه حتى ولو كان أصغر منه سناً.

قال البخاري رحمه الله تعالى: «لا يكون المحدث كاملاً حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه.

وكان رحمه تعالى يتحلى بصفة عظيمة وهي حسن خلقه مع طلابه وإكرامه ومحبته لهم، وهي ميزة لا يتحلى بها إلا من أعطاه الله حسن الخلق والحلم والأناة مع طلبة العلم.

قال محمد بن أبي حاتم وراق البخاري: كان قليل الأكل جداً كثير الإحسان إلى الطلبة مفرط الكرم».[2]

من هذا الجانب العطر من سيرة هذا الإمام يتبين لنا أن على الداعية إلى الله أن يحرص على طلب العلم والرحلة في طلبه منذ الصغر كما كان هذا الإمام، وأن يحرص على نشر العلم وخصوصاً إذا حباه الله موهبة في حفظ سنة الرسول ﷺ،، فيعقد

---

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص٤٨٦، ٤٨٧.

(٢) المصدر السابق، ص٤٨١.

المجالس المتعددة في مختلف المناطق وبلاد المسلمين لنشر العلم الشرعي وتعليم المسلمين سنة سيد المرسلين.

كما على الداعية أن يستفيد من هذا الجانب الدعوي في سيرة هذا الإمام مع طلابه وخاصة في حسن خلقه وكرمه معهم، فإن في ذلك الخير الكثير والتأثير العظيم على نفسيات طلاب العلم والمدعوين، ولا يتصف عالم ولا داعية بهذا الخلق إلا ذاع صيته في الآفاق يذكر ويشكر؛ لأنه نهل هذا المنهج من هدي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والخلفاء الراشدين ومن تبعهم واقتفى أثرهم من التابعين والعلماء الربانيين.

خامسًا: حفظ الوقت:

إن حفظ الوقت من أعظم الصفات التي يتميز بها العالم الرباني والداعية الصادق مع ربه؛ لأن الوقت أنفاس لا تعود، وقد أمر الله بحفظه، وبين الرسول ﷺ نعمة الوقت التي منَّ الله بها على عباده، فقال عليه الصلاة والسلام: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ».[1]

وقد شهد للإمام البخاري من عاش معه على حرصه على وقته وعدم التفريط فيه بأي حال من الأحوال، قال وراقه محمد بن أبي حاتم: سمعت هاني بن النظر يقول: كنا عند محمد بن يوسف يعني: الفريابي - بالشام وكنا نتنزه مثل الشباب في أكل الفرصاد ونحوه، وكان محمد بن إسماعيل معنا، وكان لا يزاحمنا في شيء مما نحن فيه ويكب

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، وسيأتي شرحه كاملاً في كتاب الرقاق، انظر ص١٠٣٩..

على العلم.[1]

من هذا تبين لنا أن هذا الإمام لم يصل إلى هذه المرتبة التي بوأها الله في حفظ سنة المصطفىﷺوطلب العلم والتعلم وهو في سن مبكر إلا لحفظه لوقته وإعراضه عن الصوارف التي قد تكون سبباً في ذهاب وقته هباءً منثوراً.

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله الاستفادة من هذا الجانب من سيرة هذا الإمام، خصوصاً في هذا الوقت الذي كثرت فيه الشواغل والصوارف، وحرص الأعداء على قتل أوقات المسلمين دون فائدة.

ولا شك أن من اهتم بوقته وصدق مع ربه وفقه الله إلى كل خير، وبارك الله له في كل لحظة حتى آخر لحظة من عمره، وما سيرة إمام العصر سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله - عنا ببعيدة، حيث ضرب أروع المثل لحياة العلماء الربانيين الذين استفادوا من أوقاتهم في خدمة الدين، ونشر العلم، والدعوة إلى الله، ومساعدة المسلمين المحتاجين في أنحاء المعمورة، ومن يقرأ سيرته»[2]يعلم أن الرجل صدق مع ربه - أحسبه كذلك والله حسبه- فبارك الله له في وقته كما بارك الله في أوقات العلماء السابقين.

---

(1) سير أعلام النبلاء، ١٢/٤٠٥.

(2) للفائدة لمعرفة حياة هذا الامام رحمه تعالى، انظر: امام العصر، للدكتور/ ناصر الزهراني، توزيع مؤسسة الجريسي، الرياض.

سادسًا: الصبر:

قال محمد بن أبي حاتم: أتى رجل أبا عبدالله البخاري فقال: يا أبا عبدالله، إن فلاناً يكفرك!

فقال: قال النبي ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما»[1].

وكان كثير من أصحابه يقولون له: إن بعض الناس يقع فيك فيقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[2]. ويتلو أيضا ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.[3]

فقال له عبدالمجيد بن إبراهيم: كيف لا تدعو الله على هؤلاء الذين يظلمونك ويتناولونك ويبهتونك؟ فقال: قال النبي ﷺ: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض».[4]

من هذا الجانب الدعوي من حياة هذا الإمام يظهر لنا أنه تحلى بالصبر على الأذى، وهي صفة عظيمة أمر الله عباده بالتقيد بها فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ......﴾.[5]

وبين عليه الصلاة والسلام فضل الصبر فقال: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له

---

(1) الحديث سيأتي شرحه في كتاب الأدب باب من أكفر أخاه فهو كما قال. انظر ص٦٦٩.

(2) النساء: ٧٦.

(3) فاطر: ٤٣.

(4) انظر سير أعلام النبلاء، ٣٦/١-٣٦١، والحديث أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ للأنصار: اصبروا حتى تلقوني على الحوض، ص٧٢١، ومسلم كتاب الإمارة، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم، ص٧٧١.

(5) الاحقاق: ٣٥.

خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» رواه مسلم.[1]

وأي صبر أعظم من أن يرمى الإنسان بالكفر فلا يزيد على أن يجيب صاحبه كجواب رسول الله ﷺ.

وأي صبر أعظم أيضا من أن يطلب أن يدعو على من يظلمونه وينالون منه ويبغضونه فلا يزيد على ذكر حديث الحبيب محمد ﷺ: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض.»

لذا ينبغي على الدعاة أن يستفيدوا من هذا الخلق العظيم من حياة هذا الإمام رحمه الله تعالى الذي خدم السنة منذ صغر سنه، ونيل منه ويقف صابراً محتسباً.

لأن الصبر يحقق الغرض المراد، وهو نصرة دين الله، ونصرة عباد الله، والإعراض عن الجاهلين الذين لا هم لهم إلا النيل من العلماء والدعاة، نسأل الله السلامة والعافية.

سابعًا: علوّ الهمة:

قال أبو عبدالله: كنت عند إسحاق بن راهويه فقال بعض أصحابنا: لو جمعت

(1) صحيح مسلم بكتاب الزهد والرقائق باب المؤمن أمره كله خير، ص ١٢٢٠.ط. بيت الأفكار الدولية.

لنا كتابا مختصرا لسنن النبيﷺفوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب.[1]

قال أبو جعفر بن أبي حاتم: كان أبو عبدالله، إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحياناً، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القدّاحة فيوري ناراً ويسرج، ثم يخرج أحاديث ويعلم عليها ثم ينام».[2]

قال أبو عبدالله: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني وربما كنت أغرب عليه.[3]

بهذا يتبين لنا علوّ همة هذا العالم الذي بادر رحمه الله تعالى إلى تصنيف الجامع الصحيح، فهي فكرة من أحد العلماء انبرى لها وطبقها رحمه الله تعالى؛ لعلو همته وحرصه على خدمة سنة المصطفىﷺ.

ومن علو همته حرصه على التقييد، حيث يقوم في الليلة الواحدة عشرين مرة، لا يكلّ ولا يملّ، لذا ينبغي على الدعاة إلى الله أن يكونوا ذوي همة عالية في التأليف ونشر العلم الشرعي بشتى الوسائل والأساليب.

فإن علو الهمة صفة من صفات الدعاة المخلصين الذين نذروا أنفسهم لخدمة الدين ونشر سنة سيد المرسلين.[4]

---

(1) سير أعلام النبلاء، ١٢/٤٠١، وانظر تهذيب الكمال للمزي ٢٤/٤٤٢.

(2) المصدر السابق، ص٤٠٤، وانظر تحفة الأخباري بترجمة البخاري للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، ص٢٠٥ط، دار البشاير الإسلامية بيروت.

(3) هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص٤٨٣.

(4) للفائدة انظر: علو الهمة تأليف محمد بن اسماعيل المقدّم، ط مكتبة الكوثر.

ثامنًا: الرياضة:

قال محمد بن أبي حاتم: كان أبو عبدالله يركب إلى الرمي كثيراً، فما أعلم أني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين، فكان يصيب الهدف في كل ذلك، وكان لا يسبق..».[1].

من هذا الجانب يتبين لنا اهتمام الإمام البخاري بالرمي، وهو من الأمور المهمة في حياة المسلمين، حيث يعين على قوة البدن والاستعداد للعدو. ومع شدة حفظه رحمه الله تعالى لوقته إلا أنه أعطى جانب رياضة الرمي وقتاً مناسباً من أوقاته، قال الإمام ابن القيم رحمه الله «واما ركوب الخيل، ورمي النشاب، والمسابقة على الإقدام، فرياضة للبدن كله»[2]. لذا ينبغي على الدعاة إلى الله الاهتمام بجانب الرياضة البدنية التي تعين الداعية على حفظ صحته البدنية.

تاسعًا: الابتلاء والامتحان:

روى أحمد بن منصور الشيرازي قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: لما قدم أبو عبدالله بخاري نصب له القباب على فرسخ من البلد، واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق مذكور إلا استقبله.. قال: فكتب بعد ذلك محمد بن يحيى الذهلي إلى خالد بن

---

(١) سير أعلام النبلاء، ١٢/٤٤٤، وانظر هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص٤٨٠.

(٢) زاد المعاد/ ٤/٢٤٧ ط مؤسسة الرسالة.

أحمد أمير بخارى: إن هذا الرجل قد أظهر خلاف السنة. فقرأ كتابه على أهل بخارى، فقالوا: لا نفارقه، فأمره الأمير بالخروج من البلد فخرج.[1]

وقال محمد بن العباس العيني: سمعت أبا بكر بن أبي عمرو الحافظ يقول: كان سبب مفارقة أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري البلد -ويعني بخارى- أن خالد بن أحمد الذهلي الأمير خليفة الظاهرية ببخارى سأل أن يحضر منزله. فيقرأ «الجامع» و «التاريخ» على أولاده فامتنع أبو عبدالله عن الحضور عنده، فراسله أن يعقد مجلساً لأولاده لا يحضره غيرهم فامتنع عن ذلك أيضاً. وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوماً دون قوم، فاستعان خالد بن أحمد بحريث بن أبي الورقأ وغيره من أهل العلم ببخارى عليه حتى تكلموا في مذهبه ونفاه عن البلد.[2]

بهذا تبين أن العلماء والدعاة إلى الله يتعرضون للابتلاء في حياتهم لأي سبب من الأسباب. فهذا أبو عبدالله يتعرض لإخراجه من بلده بخارى بسبب هذه الوحشة بينه وبين أميرها.

ومن يطلع على سير العلماء والدعاة إلى الله بل على سير رسل الله عليهم الصلاة والسلام يجد صفحات منها تتحدث عن هذا الأمر، وصبروا فكانت العاقبة لهم لأنه لا يبقى إلا الحق، وأما الزبد فيذهب جفاء.

وقد ابتلي من علماء الإسلام من خدموا دين الله ونصروا السنة كالإمام أحمد

---

(1) سير أعلام النبلاء، ١٢/٤٦٣.

(2) تحفة الأخباري بترجمة البخاري للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، ص٢١٢ ط، دار البشاير الإسلامية، وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/٤٦٤، ٣٦٥، وانظر هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص٤٩٣.

وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم كثير. قال الامام الشوكاني: «هذه قاعدة مطردة في كل عالم فانه لابد أن يستنكره المقصرون، ويقع له معهم محنة بعد محنة ثم يكونوا بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين، ويكون لعلمه حظ لايكون لغيره».[1]

لذا ينبغي على دعاة الإسلام وعلماء الأمة الصبر عند البلاء، ومن تعرض للمحنة يعلم أن هذا هو طريق الدعوة إلى الله، و أنَّ الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون».[2]

عاشراً: إجابة الدعوة:

قال أبو بكر بن عمر بعد أن ساق قصة خروج أبي عبدالله من بخارى: فدعا عليهم - يعني من كان سببًا في خروجه ومناصرته لأميرها على ظلمه- فقال: «اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم، قال: فأما خالد فلم يأت عليه إلا أقل من شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادى عليه، فنودي عليه وهو على أتان، ثم صار عاقبة أمره إلى الذل والحبس.

وأما حريث بن أبي الورقاء فإنه ابتلي في أهله فرأى فيهم ما يجل عن الوصف.

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للإمام الشوكاني ٦٥/٢ ط دار المعرفة بيروت.

(٢) للفائدة انظر صفحات من صبر العلماء للشيخ عبد الفتاح أبو غدة ط، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

وأما فلان فإنه ابتلي في أولاده فأراه الله فيهم البلايا.[1]

إن هذا الأمر الذي ذكره أهل السير عن هذا الإمام ليقشعر من هوله البدن؛ لأن إيذاء الصالحين والدعاة المخلصين أمر نهى الله عنه في كتابه فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.[2]

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله والعلماء تجنب كل ما يؤدي إلى الضرر بالعلماء والدعاة إلى الله، والحذر من ذلك أشد الحذر؛ لأنه من الظلم الذي حذر منه رسول الله، وبين أن دعوة المظلوم مستجابة.

فقال لمعاذ الصحابي الجليل وهو يرسله في مهمة دعوية لنشر دين الله في اليمن في آخر وصية له: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». هذا أي مظلوم فكيف إذا كان الظلم موجهًا إلى إمام من أئمة المسلمين أو داعية من الدعاة المصلحين، وليعلم من يريد الإساءة للعلماء والدعاة أن دعوة أهل الصلاح والتقى مستجابة بتوفيق الله، نسأل الله أن يجنبنا الظلم للآخرين، وأن يجعلنا إخوانًا على الحق متعاونين، وأن يجعلنا مجابي الدعوة انه سميع مجيب.

أحد عشر: الاستشارة :

قال أبو جعفر العقيلي: لما صنف البخاري كتاب الصحيح عرضه على ابن

---

(1) هدي الساري في مقدمة فتح الباري، ص٤٩٣، وانظر تهذيب الكمال للمزي ٢٤/٤٦٥.

(2) الأحزاب: ٥٨.

المديني وأحمد بن حنبل ويحيى ابن معين وغيرهم فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث. قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة.[١]

بهذا يتبين لنا حرص الإمام أبي عبدالله على استشارة العلماء، حيث عرض صحيحه على جهابذة العلم في عصره، مع ما أوتي من قوة الحفظ والعلم، وشهد له في ذلك العدول من العلماء،فهذه صفة عظيمة يتصف بها العلماء والدعاة الأخيار إلى الله؛ لذا ينبغي على العلماء والدعاة السير على هذا المبدأ، ففيه الخير الكثير، كما يدل على التواضع وعدم الغرور والكبرياء.

اثنا عشر: عبر من وفاته:

لما تعرض الإمام البخاري لبعض المحن من إخراجه من بلده بخارى سأل الله أن يقبضه إليه.

قال عبدالقدوس بن عبدالجبار: خرج البخاري إلى خرتنك قرية من قرى سمرقند، وكان له بها أقرباء فنزل عندهم فسمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يقول في دعائه: اللهم قد ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك. فما تم الشهر حتى قبضه الله.[٢]

وبعد موته رحمه الله تعالى ظهرت بعض الكرامات التي ذكرها العلماء الذين

---

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص٤٨٩.

(٢) هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص٤٩٣، وانظر تحفة الأخياري بترجمة البخاري للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، ص٢١٣، وسير أعلام النبلاء ٤٦٦/١٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ٤٦٦/٢٤ ط. مؤسسة الرسالة.

ترجموا لهذا الإمام الهمام. قال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه البخاري بخرتنك: سال من البخاري رحمه الله عند موته عرق كثير، ولما وضعناه في حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ودامت أياما، وجعل الناس يختلفون إلى القبر أياماً يأخذون من ترابه إلى أن جعلنا عليه خشباً مشبكاً». [1]

قلت: ولعل هذا من عاجل بشرى المؤمن، وقد تواترت مثل هذه الأخبار عن بعض علماء الإسلام الذين خدموا دين الله.

فعلى الدعاة إلى الله أن يسألوا الله حسن الخاتمة. وأن يثبتهم على الدين إلى أن يلقوه وهو راض عنهم.

ولا شك أن هذه المواقف تكون أحياناً سببًا لرجوع كثير من الناس إلى الحق، والبعد عن الشر إذا شاهدوا مثل هذه المبشرات لبعض عباده المؤمنين عند موتهم.

قال الشيخ ناصر بن المقدسي:

«بلغنا أنه لما دفن علت سوار بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره، وجعل الناس يختلفون إليه ويتعجبون من أمره، ولم تزل الرائحة الطيبة تظهر من قبره أياما كثيرة، حتى تحدث الناس بذلك، وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته، وأظهروا التوبة مما كانوا فيه من مذموم المذهب». [2]

---

(1) هدي الساري، ص٤٩٣، سير أعلام النبلاء ٤٦٧/٢، وتحفة الأخباري بترجمة البخاري، ص٢١٤.

(2) تحفة الأخباري بترجمة البخاري، ص٢١٥، [بتصرف].

المبحث الرابع

التعريف بكتب موضوع الدراسة في الصحيح

وأبوابها، وأحاديثها، وجهود الإمام البخاري رحمه الله تعالى فيها

إن القسم الأول من صحيح الإمام البخاري - المحدد للباحث من القسم المختص بالكلية - يبدأ من أول كتاب الطب وحتى باب ما يكره من قيل وقال من كتاب الرقاق.

وقد رتب الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - هذه الكتب، وجميع كتب الصحيح وأبوابها وأحاديثها بعناية فائقه وفقه عظيم، حيث سلك في ترتيبه للأبواب مسلكاً يدل على فقهه، وحسن ترتيبه وعظيم عنايته بكتبه وأبوابها، إذ وضع لها التراجم التي ضمنها كثيراً من فقهه، والتي حيرت الأفكار وأدهشت العقول والأبصار.

«لهذا اشتهر من قول جمع من الفضلاء: فقه البخاري في تراجمه».[1]

قال الحافظ رحمه الله تعالى: ومما نقلناه عنه من رواية الأئمة عنه صريحاً: ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية، والنكت الحكمية، فاستخرج بفهمه، من المتون معاني كثيرة خرجها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة، وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة».[2]

---

(1) هدي الساري، مقدمة فتح الباري ص ١٣.

(2) المصدر السابق، ص ٤٧٢-٤٧٣.

وقد بين الإمام البلقيني أهمية كتب موضوع الدراسة فقال: «وكانت المأكولات والمشروبات يحصل معها في البداية ما يحتاج إلى طبيب، فقال كتاب الطب، وذكر تعلقات المرض وثواب المرضى، وما يجوز أن يتداوى به، وما يجوز من الرقى وما يكره منها وما يحرم، ولما انقضى الكلام على المأكولات والمشروبات وما يزيل الداء المتولد منها أردف بكتاب اللباس والزينة وأحكام الطيب وأنواعه، وكان كثير منها يتعلق بآداب النفس فأردفها بكتاب الأدب والبر والصلة والاستئذان. ولما كان السلام والاستئذان سبباً لفتح الأبواب السفلية أردفها بالدعوات التي هي فتح الأبواب العلوية، ولما كان الدعاء سبب المغفرة ذكر الاستغفار، ولما كان الاستغفار سبباً لهدم الذنوب قال: باب التوبة، ثم ذكر الإذكار المؤقتة وغيرها والاستعاذة، ولما كان الذكر والدعاء سبباً للاتعاظ ذكر المواعظ والزهد وكثيراً من أهوال يوم القيامة».[1]

ومما ذكره الإمام البلقيني يتبين لنا جهود الإمام البخاري في ترتيب الصحيح التي بينت لنا عظم فقهه وسعة علمه رحمه الله تعالى. وقبل الشروع في القسم الأول من هذه الدراسة أورد جدولاً يوضح أحاديث كل كتاب المكرر منها وغير المكرر.

---

(1) هدي الساري، ص ٤٧٢.

كتب الدراســـــة

رقم الكتاب	اسم الكتاب	عدد الأحاديث غير المكررة	عدد الأحاديث المكررة	مجموع الأحاديث وغير المكررة
٧٦	الطب	٢٣	٧٩	١٠٢
٧٧	اللباس	٣٨	١٨٦	٢٢٤
٧٨	الأدب	٦١	١٩٥	٢٥٦
٨٩	الاستئذان	١٧	٧٥	٩٢
٨٠	الدعوات	٢٣	١١٧	١٤٠
٨١	الرقاق	١٩	٤٢	٦١
الإجمالـــــي		١٨١	٦٩٤	٨٧٥

يتبين لنا من الجدول السابق مجموع أحاديث هذه الدراسة وهي (١٨١) وعددها بالمكرر ٨٧٥.

أما أرقام أحاديث الدراسة في النسخة المعتمدة من صحيح الإمام البخاري فهي على النحو التالي:

أرقام أحاديث موضوع الدراسة :

تسلسل	رقم الحديث غير المكرر في صحيح البخاري	اسم الكتاب ورقمه
		٧٦ كتاب الطب
١	٥٦٧٨	
٢	٥٦٨٠	
٣	٥٦٨٣	
٤	٥٦٨٤	
٥	٥٦٨٧	
٦	٥٦٨٨	
٧	٥٦٩٢	
٨	٥٧٠٧	
٩	٥٧١٩	
١٠	٥٧٢٠	
١١	٥٧٢٤	
١٢	٥٧٢٩	
١٣	٥٧٣٧	
١٤	٥٧٣٨	
١٥	٥٧٣٩	
١٦	٥٧٤٠	
١٧	٥٧٤١	
١٨	٥٧٤٢	

أرقام أحاديث موضوع الدراسة :

تسلسل	رقم الحديث غير المكرر في صحيح البخاري	اسم الكتاب ورقمه
١٩	٥٧٤٥	كتاب الطب
٢٠	٥٧٥٤	
٢١	٥٧٥٦	
٢٢	٥٧٥٨	
٢٣	٥٧٧٠	
		٧٧ - كتاب اللباس
٢٤	٥٧٨٧	
٢٥	٥٧٨٨	
٢٦	٥٧٨٩	
٢٧	٥٨٠٢	
٢٨	٥٨١١	
٢٩	٥٨١٢	
٣٠	٥٨١٤	
٣١	٥٨٢٨	
٣٢	٥٨٣٢	
٣٣	٥٨٣٣	
٣٤	٥٨٤٢	
٣٥	٥٨٤٦	
٣٦	٥٨٥٦	

أرقام أحاديث موضوع الدراسة :

تسلسل	رقم الحديث غير المكرر في صحيح البخاري	اسم الكتاب ورقمه
٣٧	٥٨٥٥	كتاب اللباس
٣٨	٤٨٦٤	
٣٩	٥٨٦٥	
٤٠	٥٨٦٨	
٤١	٥٨٧٩	
٤٢	٥٨٨٥	
٤٣	٥٨٨٨	
٤٤	٥٨٨٩	
٤٥	٥٨٩٢	
٤٦	٥٨٩٦	
٤٧	٥٩٠٣	
٤٨	٥٩٠٥	
٤٩	٥٩٠٧	
٥٠	٥٩٠٩	
٥١	٥٩١٥	
٥٢	٥٩٢٠	
٥٣	٥٩٢٤	
٥٤	٥٩٣٣	
٥٥	٥٩٣٥	

أرقام أحاديث موضوع الدراسة :

تسلسل	رقم الحديث غير المكرر في صحيح البخاري	اسم الكتاب ورقمه
٥٦	٥٩٣٧	كتاب اللباس
٥٧	٥٩٤٦	
٥٨	٥٩٥٠	
٥٩	٥٩٥١	
٦٠	٥٩٥٢	
٦١	٥٩٥٣	
		٧٨ كتاب الأدب
٦٢	٥٩٧١	
٦٣	٥٩٧٣	
٦٤	٥٩٨٤	
٦٥	٥٩٨٥	
٦٦	٥٩٨٩	
٦٧	٥٩٩٠	
٦٨	٥٩٩١	
٦٩	٥٩٩٧	
٧٠	٥٩٩٨	
٧١	٥٩٩٩	
٧٢	٦٠٠٠	
٧٣	٦٠١٠	

أرقام أحاديث موضوع الدراسة :

تسلسل	رقم الحديث غير المكرر في صحيح البخاري	اسم الكتاب ورقمه
٧٤	٦٠١١	كتاب الأدب
٧٥	٦٠١٣	
٧٦	٦٠١٤	
٧٧	٦٠١٥	
٧٨	٦٠١٦	
٧٩	٦٠١٩	
٨٠	٦٠٢١	
٨١	٦٠٣١	
٨٢	٦٠٣٢	
٨٣	٦٠٣٤	
٨٤	٦٠٥٦	
٨٥	٦٠٦٥	
٨٦	٦٠٦٧	
٨٧	٦٠٦٩	
٨٨	٦٠٧٢	
٨٩	٦٠٧٤	
٩٠	٦٠٧٥	
٩١	٦٠٧٧	
٩٢	٦٠٩٤	

أرقام أحاديث موضوع الدراسة :

تسلسل	رقم الحديث غير المكرر في صحيح البخاري	اسم الكتاب ورقمه
٩٣	٦٠٩٨	كتاب الأدب
٩٤	٦٠٩٩	
٩٥	٦١٠١	
٩٦	٦١٠٣	
٩٧	٦١٠٤	
٩٨	٦١١٦	
٩٩	٦١١٧	
١٠٠	٦١٢٩	
١٠١	٦١٣٠	
١٠٢	٦١٣٣	
١٠٣	٦١٤٢	
١٠٤	٦١٤٣	
١٠٥	٦١٤٥	
١٠٦	٦١٤٩	
١٠٧	٦١٥٤	
١٠٨	٦١٥٥	
١٠٩	٦١٦٨	
١١٠	٦١٧٠	
١١١	٦١٧٢	

أرقام أحاديث موضوع الدراسة :

تسلسل	رقم الحديث غير المكرر في صحيح البخاري	اسم الكتاب ورقمه
١١٢	٦١٧٩	كتاب الأدب
١١٣	٦١٨٠	
١١٤	٦١٨٢	
١١٥	٦١٩٠	
١١٦	٦١٩١	
١١٧	٦١٩٢	
١١٨	٦١٩٤	
١١٩	٦٢٠٥	
١٢٠	٦٢٢١	
١٢١	٦٢٢٤	
١٢٢	٦٢٣١	٧٩ - كتاب الاستئذان
١٢٣	٦٢٤٢	
١٢٤	٦٢٤٣	
١٢٥	٦٢٤٧	
١٢٦	٦٢٥٧	
١٢٧	٦٢٥٨	
١٢٨	٦٢٦٣	
١٢٩	٦٢٧٢	
١٣٠	٦٢٨١	كتاب الاستئذان

أرقام أحاديث موضوع الدراسة :

تسلسل	رقم الحديث غير المكرر في صحيح البخاري	اسم الكتاب ورقمه
١٣١	٦٢٨٨	
١٣٢	٦٢٨٩	
١٣٣	٦٢٩٠	
١٣٤	٦٢٩٣	
١٣٥	٦٢٩٤	
١٣٦	٦٢٩٩	
١٣٧	٦٣٠٢	
١٣٨	٦٣٠٣	
		٨٠ - كتاب الدعوات
١٣٩	٦٣٠٤	
١٤٠	٦٣٠٥	
١٤١	٦٣٠٦	
١٤٢	٦٣٠٧	
١٤٣	٦٣٠٨	
١٤٤	٦٣٠٩	
١٤٥	٦٣١٢	
١٤٦	٦٣٢٠	
١٤٧	٦٣٢٥	
١٤٨	٦٣٣٧	كتاب الدعوات

أرقام أحاديث موضوع الدراسة :

تسلسل	رقم الحديث غير المكرر في صحيح البخاري	اسم الكتاب ورقمه
١٤٩	٦٨٣٨	
١٥٠	٦٨٣٩	
١٥١	٦٣٤٠	
١٥٢	٦٣٤٥	
١٥٣	٦٣٤٧	
١٥٤	٦٣٦١	
١٥٥	٦٣٧٨	
١٥٦	٦٣٧٩	
١٥٧	٦٣٩٨	
١٥٨	٦٤٠٤	
١٥٩	٦٤٠٥	
١٦٠	٦٤٠٦	
١٦١	٦٤٠٧	
١٦٢	٦٤٠٨	
		٨١ - كتاب الرقاق
١٦٣	٦٤١٢	
١٦٤	٦٤١٦	
١٦٥	٦٤١٧	
١٦٦	٦٤١٨	كتاب الرقاق

أرقام أحاديث موضوع الدراسة :

تسلسل	رقم الحديث غير المكرر في صحيح البخاري	اسم الكتاب ورقمه
١٦٧	٦٤١٩	
١٦٨	٦٤٢٠	
١٦٩	٦٤٢١	
١٧٠	٦٤٢٤	
١٧١	٦٤٣٦	
١٧٢	٦٤٣٨	
١٧٣	٦٤٣٩	
١٧٤	٦٤٤٠	
١٧٥	٦٤٤٢	
١٧٦	٦٤٤٦	
١٧٧	٦٤٥٥	
١٧٨	٦٤٥٦	
١٧٩	٦٤٦٠	
١٨٠	٦٤٦٤	
١٨١	٦٤٧٣	

نسخة الصحيح المعتمدة في الدراسة

النسخة المعتمدة في هذه الدراسة هي التي طبعت عام ١٤١٤هـ، بدار الفكر، ببيروت، والتي كتب عليها أنها طبعة محققة على عدة نسخ، وعلى نسخة فتح الباري التي حقق أصولها وأجازها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله تعالى - وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.[١]

وقبل الدخول في القسم الأول من الدراسة نذكر التعريفات بالمفردات عنوان الدراسة.

(١) تنبيه : وصل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله - إلى نهاية كتاب الحج، وقد اعتذر عن إكمال البقية كما هو مدون في آخر صفحة من الطبعة السلفية تحت عنوان «تنبيه واعتذار» انظر فتح الباري جـ٣ الصفحة الأخيرة.

التعريفات لمفردات عنوان الدراسة

فقـــه الدعـــوة:

أ - الفقـــه لغـــة: العلم بالشيء والفـهم له، والفطنة، وغلب على علم الدين سيادته، وشرفه، وفضله على سائر أنواع العلم.[1]

والفقه في الأصل: الفهم، يقال: أوتي فلانٌ فقهاً في الدين: أي فهماً فيه.[2]

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.[3]

ويقال: فقه الرجل يفقه فقهاً: إذا علم وفهم.

وفقه: إذا صار فقيهاً عالماً.[4]

ب - الفقه اصطلاحاً: عرفه العلماء عدة تعريفات يفسر بعضها بعضا، منها:

ما قاله الآمدي رحمه الله تعالى في الأحكام: هو العلم الحاصل بجملة من

---

(1) لسان العرب لابن منظور ١٣/٥٢٢، مادة فقه، وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ١١٢٦ ط دار الفكر بيروت.

(2) لسان العرب ١٣/٥٢٢، من كوفة ط١ دار صادر.

(3) التوبة: ١٢٢.

(4) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/٤٦٥.

الأحكام الشرعية الفرعية بالنظر والاستدلال.[1]

وعرفه ابن قدامة رحمه الله تعالى بقوله: هو العلم بأحكام الأفعال الشرعية: كالحل، والحرمة، والصحة والفساد ونحوها.[2]

وقال الراغب الأصفهاني: هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم.[3]

جـ- الدعـوة لغـة: الطلب يقال: دعا بالشيء طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء: حث على قصده، ودعوت زيداً: ناديته وطلبت إقباله.

ويقال: دعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه، وتداعى القوم دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا.[4]

وتداعى له سائر الجسد، أي: استجاب له كأنه يدعو بعضه بعضا.[5]

د - الدعوة في الاصطلاح: ورد لها عدة تعريفات من أكملها -في نظري- ما ذكره

---

(1) الأحكام في أصول الأحكام، لسيف الدين علي بن محمد الأمدي، ص٧- ط مكة المكرمة، توزيع دار الباز- مكة المكرمة.

(2) ابن قدامة وآثاره الأصولية - تحقيق الدكتور/ عبد العزيز السعيد، ٧/٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

(3) مفردات ألفاظ القرآن، لحسن بن محمد الراغب الأصفهاني، ص٦٤٢

(4) لسان العرب ٤٥٨/١٣، مادة «دعا» والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١٩٤/١ مادة «دعوت» ومفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني، ص٣١٤، النهاية في غريب الحديث ١٢١/٢.

(5) مشارق الأنوار في صحاح الآثار، للقاضي عياض، ٣٢٤/١، حرف الدال مع العين، ط المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز.

شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال رحمه الله تعالى: «الدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسوله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه».[1]

هـ- فقه الدعوة: المراد بفقه الدعوة هو «استنباط، وفهم تاريخ الدعوة وأسبابها وأركانها وأساليبها ووسائلها، وأهدافها، ونتائجها: استنباطاً وفهماً على ضوء الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح يمكن الدعاة إلى الله من عرضها بأحسن طريقة وأكثر ملاءمة لمن توجه إليهم الدعوة في مختلف بيئاتهم وتباين ألسنتهم ولغاتهم وتعدد أجناسهم»[2]. عملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[3]

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٥/١٥٧، ١٦١

(٢) فقه الدعوة إلى الله، الدكتور/ عبد الحليم محمود ١/١٨.

(٣) يوسف ١٠٨

القسم الأول

الدراسة الدعوية للأحاديث الواردة في موضوع الدراسة

الفصل الأول: كتاب الطب.

الفصل الثاني: كتاب اللباس.

الفصل الثالث: كتاب الأدب.

الفصل الرابع: كتاب الاستئذان.

الفصل الخامس: كتاب الدعوات.

الفصل السادس: كتاب الرقاق.

الفصل الأول

كتاب الطب

تمهيد :

لماذكر الإمام البخاري -رحمه الله- كتاب المرضى وبوب فيه الأبواب المتعلقة بذلك، كباب ما جاء في كفارة المرض، وباب أشد الناس بلاء الأنبياء، وباب عيادة المريض.. الخ، أعقب ذلك بكتاب الطب[1]، وذكر فيه الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ، ووضع لها تراجم مناسبة اتضح من خلالها اهتمام الإمام البخاري وغيره من علماء الحديث بهذا العلم، وذلك بجمع وتدوين ماورد عنه ﷺ في الطب.

وقد أفرد بعض العلماء كتبًا خاصة بالأحاديث النبوية المشتملة على الطب منها :

١- كتاب في الطب النبوي لأبي بكر بن السني (ت٣٦٤هـ)، وقد استشهد ببعض كلامه ابن القيم الجوزية.

٢- الأحكام النبوية في الصناعة الطبية لعلي بن عبد الكريم بن تقي الحموي الكحال (ت٧٢٠هـ).

---

(١) والطبُّ علاج الجسم والنفس.
رجلٌ طبٌّ وطبيبٌ : أي عالم بالطب، تقول : ماكنت طبيبًا، ولقد طببتَ بالكي.
والطّبُّ والطبيب : الحاذق من الرجال، الماهر بعلمه.
انظر : لسان العرب ١/٥٥٣ مادة (طبب)، ط دار صادر - بيروت.
وجاء في النهاية : الطبيب في الأصل : الحاذق بالأمور العارف بها، وبه سمي الطبيب الذي يعالج المرضى.
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/١١٠، ط المكتبة العلمية - بيروت.
قال الإمام الكرماني -رحمه الله- في شرحه لصحيح البخاري : «هو علم يعرف به أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصحُّ ويزول لتحفظ الصحة حاصلة وتسترد زائلة».
شرح صحيح الإمام البخاري للكرماني ٢٠/٢٠٤، ط دار إحياء التراث العربي -بيروت،
وانظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٤/٦٦٨، المكتبة التجارية، مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط دار الفكر.

٣- الطب النبوي للحافظ شمس الدين أبي عبد الله الذهبي، (ت٧٤٨هـ).

٤- المنهل السوي والمنهل الروي في الطب النبوي لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)[١].

وكان من هديه -عليه الصلاة والسلام- فعل التداوي في نفسه والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- : «وكان من هديه ﷺ فعل فعل التداوي في نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، ولكن لم يكن من هديه ولا هدي أصحابه استعمال الأدوية المركبة التي تسمى (أقراباذين)، بل كان غالب أدويتهم بالمفردات، وربما أضافوا إلى المفرد ما يعاونه أو يكسر سورته، وهذا غالب طب الأمم على اختلاف أجناسها من العرب والترك وأهل البوادي قاطبة.

وإنما عني بالمركبات الروم واليونانيون، وأكثر طب الهند بالمفردات، وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء فلا يعدل عنه إلى الدواء، ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل عنه إلى المركب»[٢]. ولاشك أن في هذا الهدي النبوي من الطب مابين

---

(١) انظر الشفاء في الطب النبوي المسند عن السيد المصطفى للتيفاشي، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، ص١٩-٢١ ط، دار المعرفة، بيروت، وقد ذكر المحقق في مقدمة الكتاب عشرين كتابًا منها المطبوع والمخطوط.
أما كتاب الطب النبوي لابن قيم الجوزية الذي أفرد أخيرًا فهو ضمن كتابه : زاد المعاد في هدي خير العباد، وهو أجمع ما كتب في هذا الباب.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٤/٥، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنارة، الكويت، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط.

كمال الشريعة حتى في العلوم الطبية. كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[1]. «وكيف لا يكون ذلك وهي شريعة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وبعثه إلى الناس عامة الإنس والجن بمصالح الدنيا والآخرة، فاشتملت شريعته الطاهرة على مصالح الأبدان كما اشتملت على مصالح القلوب»[2]. والطب صناعة ضرورية لمافيه من حفظ الصحة ودفع المرض قال ابن خلدون في المقدمة: «هذه الصناعة ضرورية في المدن والأمصار لما عرف من فائدتها فإن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء من امراضهم»[3].

ومع تقدم الطب في هذا العصر الذي اخترعت فيه الأجهزة الحديثة التي ساعدت بعد توفيق الله على تشخيص المرض وعلاجه، فإنه لم يعلم إلا جزء يسير مما بينه رسول الله ﷺ، يقول ﷺ: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء» وهذا مما يبين ويثبت معجزة نبينا الكريم -عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم- والأولى بالمسلمين أن يكون لهم النصيب الأوفر من هذا التطور الطبي خدمةً للمسلمين في كل مكان.

وما أجمل أن يأخذ الأطباء بهدي رسول الله ﷺ في علاج المرضى، وما أعظم أن يربط الطبيب عمله بالدعوة إلى الله ويبين للناس قدرة الله جل شأنه، وأن في جسم الإنسان أسراراً عظيمة وعجيبة حث الله سبحانه على التفكر فيها وعدم إهمالها حيث

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) الآداب الشرعية لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، ٣/١٢٧، ط مؤسسة الرسالة.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢٦٤ منشورات دار مكتبة الهلال- بيروت.

قال : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾[1].

وقد ألف الأطباء في هذا الزمن ما يبين عظمة هذا الدين في الحقائق الطبية[2].

---

(1) الطور : ٢١ .

(2) لمزيد فائدة يراجع : كتاب الحقائق الطبية في الإسلام، للدكتور/ عبد الرزاق الكيلاني، وكتاب مع الطب في القرآن الكريم، للدكتور/ عبد الحميد دياب وأجمد قرقوز، ط مؤسسة علوم القرآن، دمشق.

كتاب الطب

١- باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء[1]

١- عن أبي هريرة[2] -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال : «ما أنزل الله داءً إلاّ أنزل له شفاء» . **رقم الحديث [٥٦٧٨].**

---

(١) قال الإمام العيني -رحمه الله تعالى : «أي هذا باب في بيان ما أنزل الله داء، أي ما أصاب الله أحدًا بداءٍ إلا قدر له دواء : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٦٦٨/١٤.

(٢) أبوهريرة : الإمام الفقيه المجتهد الحافظ الدوسي اليماني صاحب رسول الله ص وسيد الحفاظ الأثبات، حمل عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا، قدم المدينة سنة سبع عام خيبر وأسلم في تلك السنة، وقد ضرب أبو هريرة -رضي الله عنه- أروع المثل في الزهد بالدنيا، وحبه لطلب العلم وحرصه على تعلمه وتعليمه، كان إمامًا في الدعوة إلى الله وحب الرسول ص والتأثر بما يسيء إلى رسول الله ﷺ حتى من أقرب الناس إليه (أمه).
يقول أبوهريرة عن نفسه : «كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقلت : يارسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة.
فقال رسول الله ﷺ : «اللهم اهد أم أبي هريرة».
فخرجت أستبشر بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي فقالت : مكانك يا أبا هريرة.
وسمعت خضخضة الماء. قال : فاغتسلت ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت : يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.
قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قلت : يارسول الله أبشر فإن الله قد استجاب دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وقال خيرًا....» : صحيح مسلم ١٩٣٨/٤، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة ط دار الفكر.
وكان ملازمًا لرسول الله ﷺ رغبة في العلم راضيا بشبع بطنه، فكانت يده مع رسول الله ﷺ، وكان يدور معه حيثما دار، حصلت له بركة دعوة الرسول ﷺ ،روى عن رسول الله ﷺ خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعةً وسبعين حديثا، كان عريف أهل الصُفة، وأحد أعلام الفقراء والمساكين، مات -رضي الله عنه- سنة سبع وخمسين للهجرة.
انظر : سير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢، ط مؤسسة الرسالة، أسد الغابة ٣١٣/٦، ط دار الكتب العلمية، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ أحمد عبد الموجود، حلية الأولياء ٣٧٦/١، ط مطبعة السعادة.

غريب الحديث :

أنزل : النزول : الحلول، وقد نزلهم ونزل عليهم ونزل بهم ينزل نزولاً منزَلاً، ومنزِلاً بالكسر شاذ، ونزله وأنزله ونزله بمعنى.

والنزول: المنزِل عن الزجاج.

والمنزل بفتح الميم والزاي: النزول وهو الحلول.

والمُنزَل : الإنزال، تقول: أنزلني منزلا مباركًا[1]

و(أنزل) الشيء: جعله ينزل، ويقال : أنزل الله كلامه على أنبيائه : أوحى به.

وأنزل حاجته على الكريم: جعله موضع أمله ورجائه[2]

وقد ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- في زاد المعاد المعنى المراد من كلمة "أنزل" فقال :

«وأُختلِفَ في معنى "أنزل الداء والدواء" فقالت طائفة : إنزاله إعلام العباد به، وليس بشيء، فإن النبيﷺأخبر بعموم الإنزال لكل داء ودوائه وأكثر الخلق لا يعلمون ذلك، ولهذا قال : «علمه من علمه وجهله من جهله».

وقالت طائفة : إنزالهما : خلقهما ووضعهما في الأرض كما في الحديث الآخر :

---

(١) لسان العرب ٦٥٦/١١-٦٥٧، مادة [نزل]، ط دار صادر - بيروت.

(٢) المعجم الوسيط إصدار مجمع اللغة العربية ٩١٥/٢ مادة [نزل] ط دار الدعوة استنبول - تركيا.

«إن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء» وهذا وإن كان أقرب من الذي قبله، فلفظ الإنزال أخص من لفظ الخلق والوضع، فلا ينبغي إسقاط خصوصية اللفظ بلا موجب.

وقالت طائفة: إنزالهما بواسطة الملائكة الموكلين بمباشرة الخلق من داء ودواء وغير ذلك، فإن الملائكة موكلة بأمر هذا العالم. وأمر النوع الإنساني من حين سقوطه في رحم أمه إلى حين موته، فأنزل الداء والدواء مع الملائكة وهذا أقرب من الوجهين قبله.

وقالت طائفة: إن عامة الأدواء والأدوية هي بواسطة إنزال الغيث من السماء الذي تتولد به الأغذية والأقوات، والأدوية والأدواء وآلات ذلك كله، وأسبابه ومكملاته، وما كان منها من المعادن العلوية فهي تنزل من الجبال، وما كان منها من الأدوية والأنهار والثمار فداخل في اللفظ على طريق التغليب والاكتفاء عن الفعلين بفعل واحد يتضمنهما، وهو معروف من لغة العرب كقول الشاعر:

علفتها تبنًا وماءً باردا حتى غدت همالة عيناها

وهذا أحسن مما قبله، والله أعلم»[1].

وقال الحافظ في الفتح: «هو إنزال علم ذلك على لسان الملك للنبي ﷺ»[2].

وذكر الإمام العيني أن المراد به «إنزال الملائكة الموكلين بمباشرة مخلوقات الأرض من الداء والدواء»[3].

---

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد ٤/١٣٣-١٣٤، ط مؤسسة الرسالة.

(2) فتح الباري ١/١٣٥.

(3) عمدة القاري ١٤/٦٦٨.

والذي يظهر لي -والله أعلم- أن الإنزال يشمل إنزال علمه على الملك، وماخلق الله من أدوية يكون سببًا في الشفاء بإذن الله، ولعل ما يؤيد ذلك ما يكتشفه علم الطب الحديث من أدوية قاضية على كثير من الأمراض.

داء : الداء : اسم جامع لكل مرض وعيب في الرجال ظاهر أو باطن حتى يقال : داء الشح أشد الأدواء.

والداء : المرض والجمع أدواء.

وقد داء يداءُ داءً على مثال شاء يشاء إذا صار في جوفه الداء.

وأداء يديءُ وأدوأ : مُرِّض وصار ذا داءٍ[1].

شفاء : الشفاء : دواء معروف، وهو ما يبريء من السقم، والجمع أشفية، وأشافِ جمع الجمع، والفعل شفاه الله من مرضه شفاء.

واستشفى فلان : طلب الشفاء، واستشفيت فلانًا إذا وهبت له شفاء من الدواء[2].

وقال ابن الاثير : «الشفاء : البرء من المرض، يقال : شفاه الله يشفيه»[3].

---

(1) لسان العرب ٧٩/١، مادة [دوا]، القاموس المحيط، ص٣٩، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(2) لسان العرب ٤٣٦/١٤، مادة [شفي].

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٨٨/٢، ط المكتبة العلمية - بيروت.
وانظر : تهذيب اللغة ٤٢٣/١١، ط الدار المصرية للطباعة والترجمة.

الموضوع الدعوي

يغرس الإسلام في نفس المسلم الأمل المؤدي إلى السعادة في هذه الحياة، خصوصاً من يعترضه مرض من الأمراض المختلفة، وحديث الباب يبين ﷺ أنه ما نزل داء إلا نزل له شفاء. وقد جاءت الأعراب تسأل رسول الله ﷺ عن التداوي، فبين لهم -عليه الصلاة والسلام- أن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، كما في حديث أسامة بن شريك -رضي الله عنه- قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير- فسلمت ثم قعدت، فجاء الأعراب من ها هنا وها هنا فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال ﷺ «تداووا فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غيرَ داء واحد: الهرم»[1].

وفيه بيان لقدرة الله جلَّ وعلا، وأنه لا يعجزه شيء، حيث لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾[2]، وما يفعله المسلم من أسباب في البحث عن العلاج لا تتم إلا بعد توفيق الله، كما قال تعالى حكاية عن أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[3]. قال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «أي إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحدٌ غيرهُ بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه»[4].

وفي الحديث بيان لشمولية الإسلام، وأنه تكفل بحفظ النفس وبين الأسباب

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، ص٥٨٩.

(2) فاطر: ٤٤.

(3) الشعراء: ٨٠.

(4) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ٣/٣٥٠، ط دار المعرفة، بيروت.

المعينة على سلامتها من الأمراض بعد توفيق الله سبحانه، وفي ذلك إثبات لنبوته -عليه الصلاة والسلام-، حيث بيّن هذه الأمور لأمته وهو لم يتتلمذ على علماء الطب أو غيرهم، بل تلقى ذلك من ربه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1].

والداعية إلى الله عندما يبين هدي المصطفى -عليه الصلاة والسلام- في الوقاية من المرض وعلاجه يظهر للمدعوين جمال الإسلام، الذي اهتم بصحة المدعوين وقاية وعلاجًا.

ومع ذلك فإن المرءَ قد يبذل كلَّ الأسباب في علاج المرض ويتأخر الشفاء، وهذا قد يكون راجعاً إما إلى عدم القدرة على تحديد الداء وتشخيصه، وإما لعدم القدرة على اكتشاف الدواء.

ولا يبعد إمكان حصول القدرة على اكتشاف الداء والدواء ثم لا يحصل الشفاء لأمر غيبي يعلمه الله، وفي هذا قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «ومن هنا تخضع رقابَ الأطباء»[2].

ومع بذل الأسباب لمعرفة الداء والدواء فإن على المسلم ألايغفل عن سبب مهم في هذا الأمر وهو الدعاء، فهو من الأسباب المعينة على الشفاء، وهذا هو هدي رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهذا نبي الله أيوب -عليه السلام- ينادي ربه بعد

---

(١) النجم: ٣-٤.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ١٠/ ١٣٦ ط المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة.

أن مسه الضر، فيقول الله جل وعلا حكاية عنه: ﴿ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾[1].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالى-: «أي واذكر عبدنا ورسولنا أيوب مثنيًا ومعظمًا له، رافعًا لقدره حين ابتلاه ببلاء شديد فوجده صابرًا راضيا عنه .... فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة استجاب الله له....»[2].

وكان عليه الصلاة والسلام يدعو للمريض إذا أتاه أو أتي له به ويقول: «اذهب البأس اشف وأنت الشافي شفاءً لا يغادر سقمًا»[3]. لذا فإنه حري بكل مسلم أن يدعو الله ويتضرع إليه عند حلول المرض مع بذل الأسباب في البحث عن الدواء المناسب.

---

(1) الأنبياء: ٨٣-٨٤.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي ٥/٢٥٣، ط مؤسسة الرسالة.

(3) صحيح البخاري كتاب المرضى باب دعاء العائد للمريض، ص١١١٥، ومسلم بنحوه كتاب السلام باب استحباب رقية المريض، ص٩٠٢.

الفوائد الدعوية :

أولاً : إثبات الطب وإباحة التداوي من الأمراض.

ثانياً : أن بذل الأسباب المعينة على العلاج لا ينافي التوكل على الله.

ثالثاً : رحمة الله تعالى بعباده حيث لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء.

رابعاً : رحمة الرسول ﷺ وشفقته بأمته.

خامساً : إغلاق باب اليأس لدى مرضى المسلمين.

سادساً : دعوة الإسلام إلى تعلم الطب.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً - إثبات الطب وإباحة التداوي من الأمراض.

إن الإسلام دين الرحمة، لم يكن ليحمل أثقالاً على أتباعه، بل سعى إلى كل مافيه يسرٌ لهم، ومن ذلك الحث على العلاج من الأمرواض التي تعيق المسلم، داعية كان أو مدعواً عن طاعة الله وعبادته، والدعوة إلى سبيله في هذه الحياة الدنيا.

قال الخطابي -رحمه الله تعالى- في حديث الباب : «فيه إثبات الطب وإباحة التداوي في عوارض الأسقام، وفيه الإعلام بأن تلك الأدوية تشفي وتنجع بإذن الله عز وجل»[1].

---

[1] أعلام الحديث في شرح صحيح الإمام البخاري للإمام الخطابي ٢١٠٤/٣، تحقيق د/ محمد آل سعود، ط جامعة أم القرى.

والتداوي يكون بما أباحه الله وبينه رسولهﷺ، وقد بين -عليه الصلاة والسلام- بعض الأدوية التي تشفي بإذن الله تعالى، كما في وصفهﷺالعلاج بالعسل والحجامة والكي وغير ذلك مما سنتناوله في الأبواب القادمة بمشيئة الله تعالى.

وإذا كان الإسلام قد أباح التداوي فإنه قد نهى عن التداوي بالمحرم، كما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «نهى رسول اللهﷺعن الدواء الخبيث»[1].

«والدواء الخبيث قد يكون خبثه من وجهين:

أحدهما: خبث النجاسة، وهو أن يدخله المحرم، كالخمر ونحوها من لحوم الحيوانات غير مأكولة اللحم.

ثانيهما: قد يكون خبث الدواء من جهة الطعم والمذاق، ولا ينكر أن يكون كره ذلك لما فيه من المشقة على الطباع ولتكرُّه النفس إياه، والغالب أن طعام الأدوية كريهة، ولكن بعضها أيسر احتمالاً وأقل كراهة»[2].

ثانيًا: أن بذل الأسباب المعينة على العلاج لا ينافي التوكل على الله.

لقد غرس الرسولﷺفي نفوس أصحابه -رضوان الله تعالى عليهم- العقيدة الصحيحة التي تحفظ لهم حياتهم بما يوافق شرع الله، وفي قوله -عليه الصلاة والسلام:

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة، ص٥٩١، ط دار ابن حزم ودار المسير، الرياض.

(2) منهج السنة النبوية في رعاية الصحة وقاية وعلاجًا للدكتور بدير محمد بدير، ص٢٩٠، بدون ذكر مكان الطبع.

«ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء» حث منهﷺ لأمته بفعل الأسباب في البحث عن العلاج من الأمراض، وأن ذلك من التوكل على الله.

قال الحافظ ابن حجر: «وفيه إثبات الأسباب، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله وبتقديره، وأنها لا تنجع بذواتها بل بما قدره الله تعالى فيها...»[1].

وللإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- كلام نفيس حول هذا الموضوع نسوق بعضًا منه حيث قال: «وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش، والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزًا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلايجعل العبدُ عجزَه توكلاً، ولا توكلَه عجزًا...»[2].

فعلى المدعوين أن يأخذوا بالأسباب متوكلين على الله، مؤمنين بقضاء الله وقدره، وعلى الدعاة أيضًا بيان هذا الأمر لعامة الأمة؛ لما في ذلك من راحة المسلمين نفسيا.

---

(1) فتح الباري ١٠/١٣٥، وانظر: عون الباري لحل البخاري، للشيخ/ حسن البخاري، ٥/٢٣٦ ط دار الرشيد، حلب، سوريا.

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد ٤/١٥.

ثالثًا: رحمة الله تعالى بعباده حيث لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء.

في حديث الباب تتجلى رحمة الله سبحانه ورأفته بالعباد، حيث جعل لكل داء دواء، ولكل مرض علاجًا، فلم ينزل داء إلا أنزل له شفاء، رحمة منه سبحانه بعباده وفضلاً، فلولا رحمته وتوفيقه جل وعلا لم يرفع المرض عن المريض مهما بذل من الأسباب وتعاطى من الأدوية والعلاج، فهذا كله من رحمة الله التي وسعت كل شيء، أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: قدم على النبيﷺ سبي فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبيﷺ: «أترون هذه طارحةً ولدها في النار؟» قلنا: لا، وهي تقدر على ألا تطرحه، فقالﷺ: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[1].

فعلى الدعاة إلى الله بيان سعة رحمة الله تعالى للمدعوين، وأنه سبحانه ذو رحمة واسعة، وأنه أرحم بعباده من الأم بولدها، فعليهم أن يقابلوا هذه الرحمة المغدقة عليهم بعبادته قولاً وعملاً.

رابعًا - رحمة الرسولﷺ وشفقته بأمته.

يظهر لنا في هذا الحديث الجليل عظم شفقة رسول اللهﷺ بأمته وهو يبين لهم أمراً هاماً من أمور حياتهم، وهو أن الله سبحانه لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء.

---

(1) صحيح الإمام البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله، ص١١٦٢. ومسلم بنحوه كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ص١١٠٠، ط بيت الأفكار الدولية.
وسيأتي شرح هذا الحديث بمشئة الله تعالى في كتاب الأدب، ص ٤٧١.

وكان -عليه الصلاة والسلام- يتفقد أصحابه، ويسارع إلى زيارة المريض منهم، ويصف له العلاج المناسب، وقد يباشر -عليه الصلاة والسلام- بيده الكريمة معالجة المريض بنفسه، فيتم الشفاء بإذن الله تعالى.

وقد وصف الله سبحانه رسولهﷺ بهذه الصفة فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: «الرؤوف: المبالغ في الرأفة والشفقة.

وقال الحسن بن الفضل: لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد ﷺ، فإنه قال: «بالمؤمنين رؤوف رحيم»، وقال: «إن الله بالناس لرؤوف رحيم»[2].

فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يضرب أروع المثل في شفقته بالمسلمين مقتديا بهدي نبيه محمدﷺ، وهي -بلاشك- وسيلة عظيمة لنشر دين الله، وما انتشرت الأديان المنحرفة في كل زمان ومكان إلا بعد أن لبست لباس العطف والرحمة وفي باطنها الضلال المبين كالنصرانية وغيرها، خصوصًا في مجال الطب، حيث أنفقوا في ذلك أموالاً طائلةً، واستقطبوا لذلك أفواجًا، مدعين أنهم مشفقون على البشرية، وهم في الحقيقة يسعون إلى إضلال البشرية، وانحراف عقيدتها، والسيطرة على خيراتها، والله المستعان.

---

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ٣٠٢/٨، ط دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

خامسًا - إغلاق باب اليأس لدى مرضى المسلمين .

اهتم رسول الله ﷺ بتربية أصحابه رضوان الله تعالى عليهم حيث غرس الفأل الحسن في نفوسهم، ففي حديث الباب تقوية لنفس المريض، ومساعدة له في معالجة المرض؛ لأنه متى علم أن لدائه دواء تعلق قلبه بالرجاء، وتفتحت له أبواب الأمل.

ويخطيء الطريق من يترك فعل الأسباب المؤدية إلى الشفاء لأي سبب من الأسباب.

قال الإمام العيني -رحمه الله- في هذا الحديث : «وفيه إباحة التداوي وجواز الطب، وهو رد على الصوفية إن الولاية لا تتم إلا إذا رضي بجميع ما نزل به من البلاء، ولا يجوز له مداواته، وهو خلاف ما أباحه الشارع».[1]

فعلى المسلمين -دعاة ومدعوين- أن يحذروا من هذا الفهم الخاطيء المنحرف، كما أن على الدعاة أن يبينوا للمدعوين هديه ﷺ في الحث على العلاج من الأمراض، فيمتثلوا فيعافوا من الأمراض بعد فعل الأسباب بمشيئة الله، كما أن على الدعاة أيضاً تحذير المدعوين من العقائد الضالة المنحرفة التي لا تزيدهم إلا مرضا وسقما، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

سادسًا - دعوة الإسلام إلى تعلم الطب .

لقد دلت السنة النبوية على وجود القدرة العلاجية في الدواء، فعلى الناس أن

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٤/٦٦٩، ولمزيد فائدة ينظر : زاد المعاد ٤/١٥-١٦.

يتنافسوا في معرفتها، والبحث عن العلاج الذي أوجده الله تعالى لها. وفي حديث الباب يقول عليه الصلاة والسلام: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»، وفي هذا إشارة منه -عليه الصلاة والسلام- إلى أن المرض إذا نزل نزل معه الشفاء بإذن الله تعالى، علمه من علمه وجهله من جهله.

باب الشفاء في ثلاث[1]

٢- عن ابن عبَّاس[2] -رضي الله عنهما- قال : الشِّفَاءُ في ثَلاثٍ : شربَة عَسَلٍ، وَشرْطَة محجَم، وكيَّة نَارٍ، وأنهى أمتي عن الكيِّ».[3]

رقم الحديث [٥٦٨٠]

وفي رواية : «الشفاء في ثلاثة : في شَرْطة محجم أو شربة عسلٍ أو كيةٍ بنارٍ وأنهى أمتي عن الكيِّ».

طرف : رقم [٥٦٨١].

---

(١) أي : هذا باب يذكر فيه الشفاء في ثلاث، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٦٦٩/١٤.

(٢) عبد الله بن عباس : حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، أبو العباس، عبد الله بن عم رسول الله ﷺ، ولد -رضي الله عنه- بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، صحب النبي ﷺ نحوا من ثلاثين شهرًا، دعا له رسول الله ﷺ فقال : «اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين».
ولما يحلمه من علم كان عمر -رضي الله عنه- يدنيه، فقال المهاجرون لعمر : ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟.
فقال عمر : ذاكم فتى الكهول، إن له لسانًا سؤولاً وقلبًا عقولاً.
وكان مرجعًا لأهل العلم في وقته،قال عنه سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- : ما رأيت أحدًا أحضر فهمًا، ولا ألبّ لبًا، ولا أكثر علمًا، ولا أوسع حلمًا من ابن عباس، لقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات فيقول : قد جاءت معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر.
أما خشوعه -رضي الله عنه- فقد كان رجلا بكاء من خشية الله، في أسفل عينه مثل الشراك البالي من البكاء. وإن في دراسة سيرة هذا الصحابي الجليل نفعًا كبيرًا للداعية والمدعو معًا، توفي -رضي الله عنه- سنة سبع وستين وقيل ثمان وستين من الهجرة.
انظر : سير أعلام النبلاء ٣٣١/٣، البداية والنهاية ٢٩٥/٢، حلية الأولياء ٣١٤/١.

(٣) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة عمدة القاري ٦٦٩/١٤وطرف الحديث بنفس الباب حديث رقم ٥٦٨١.

باب الدواء بالعسل(1)

وقوله الله تعالى :﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ (النحل : ٦٩)

٣- عن جابر بن عبد الله(2) -رضي الله عنهما- قال : سمعت النبيﷺيقول: «إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم، أو شربة عسل، أو لذعة بنار توافق الداء، وما أحب أن أكتوي».(3)

رقم الحديث : [٥٦٨٣].

---

(1) قال العيني : أي : هذا باب في بيان الدواء بالعسل، عمدة القاري ٦٧١/١٤، وهو يذكر ويؤنث وأسماؤه تزيد على المائة.

(2) جابر بن عبد الله الإمام الكبير المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ يكنى بأبي عبد الله، من أهل بيعة الرضوان، كان آخر من شهد ليلة العقبة موتًا، وكان من المكثرين في الحديث الحافظين للسنن، وقد بلغ ما رواه عن الرسول ﷺ ألفًا وخمسمائة وأربعين حديثًا، أتفق له الشيخان على ثمانية وخمسين حديثًا، قال -رضي الله عنه- : قال رسول الله ص يوم الحديبية : «أنتم اليوم خير أهل الأرض» وكنا ألفًا وأربعمائة.
أخرجه البخاري كتاب المغازي ٣٤١/٧.
استغفر له رسول الله ﷺ خمسا وعشرين مرة [جامع الأصول ٥٠٩/١]، وغزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة، قال عن نفسه -رضي الله عنه- : غزوت مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة لم أقدر أن أغزو حتى قتل أبي بأحد، كان يخلفني على إخوتي وكنا تسعًا.
توفي -رضي الله عنه- سنة أربع وسبعين وكان عمره أربعًا وتسعين سنة.
انظر : أسد الغابة ٤٩٣/١، سير أعلام النبلاء ١٨٩/٣، تهذيب التهذيب، ص٢٨١، العبر في خبر من غبر ٦٥/١، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(3) أطراف الحديث في : صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الحجامة من الداء، برقم [٥٦٩٧]، وباب الحجم من الشقيقة والصداع، برقم [٥٧٠٢]، وباب من أكتوى أو اكتوى لغيره وفضل من لم يكتو برقم [٥٧٠٢] وأخرجه مسلم : بنحوه كتاب السلام باب لكل داء دواء، ١٧٣٠/٤، ط دار الفكر، ومطابقة الحديث للترجمة في قوله : «أو شربة عسل، عمدة القاري، ٦٧٣/١٤.

وفي رواية : «أن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- عاد المُقَنَّعْ ثم قال : لا أبرح حتى يحتجم فإني سمعت رسول اللهﷺيقول « إن فيه شفاء»

طرف رقم : [٥٦٩٧].

وفي رواية : «إن كان في شيءٍ من أدويتكم شفاء ففي شرطة محجم أو لذعة بنار، وما أُحَبُ أن أكتوى»

طرف رقم : [٥٧٠٤].

غريب الحديث :

شرطة محجم: الشرط : بزغ الحجام بالمشرط، يقال : شرط يشرط شرطًا إذا بزغ، والمشراط والمشرطة : الآلة التي يشرط بها.[1]

والمحجم والمحجمة : ما يحجم به.

قال الأزهري: المحجمة قارورته ، وتطرح لها فيقال : محجم، وجمعه محاجم»[2].

---

(١) لسان العرب ٣٣٢/٧، مادة [شرط]، وانظر : تهذيب اللغة ٣٠٩/١١.

(٢) لسان العرب ١١٧/١٢، وانظر : عمدة القاري ٢٣١/٢١، ط دار الفكر.
وقال الإمام الكرماني -رحمه الله تعالى- : محجم بكسر الميم : الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة عند المص، ويراد بها هنا الحديدة التي يشرط بها موضع الحجامة، يقال : شرط الحاجم إذا ضرب على موضع الحجامة لإخراج الدم.
انظر : صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢٠٥/٢٠-٢٠٦.

كية نار: الكوي معروف وهو إحراق الجلد بحديدة ونحوها، يقال: كواه كيًا، والكية موضع الكي.

واكتوى الرجل يكتوي اكتواء: استعمل الكي. واستكوى الرجل: طلب أن يكوى[1].

قال في النهاية: الكي بالنار من العلاج المعروف في كثير من الأمراض[2].

لذعة بنار: اللذع حرقة كحرقة النار. وقيل: هو مس النار وحدتها، يقال: لذعة يلذعه لذعًا، ولذعته النار لذعًا: لفحته وأحرقته.

ويقال: لذع فلان بعيره في فخذه لذعة أو لذعتين بطرف الميسم، وجمعها لذعات[3].

وفي النهاية في غريب الحديث: اللذع: الخفيف من إحراق النار، يريد الكي[4].

---

(1) لسان العرب ٥/٢٣٥ مادة [كوى].

(2) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/٢١٢.

(3) لسان العرب ٨/٢١٧-٣١٨ مادة [لذع] ط دار صادر، بيروت.

(4) النهاية في غريب الحديث ٤/٢٤٧، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

الموضوع الدعوي

لقد اهتم عليه الصلاة والسلام بصحة الصحابة رضوان الله عليهم شفقةً منه ورحمةً بهم، وحرصًا على قوتهم، وفي حديث الباب يبين لنا رسول الله ﷺ بعض الأدوية التي تكون سببًا في الشفاء من الأمراض التي تعترض بني آدم في هذه الحياة وهي : شربة عسل أو شرطة محجم أو كية نار...، والحديث لم يرد فيه حصر الشفاء في هذه الأمور الثلاثة؛ لأن سياقه قد جاء بتعريف الشفاء بالألف واللام والدال على أن الشفاء الكامل في هذه الأشياء الثلاثة، ولم يتعرض الحديث لنفي الشفاء عن غيرها.

قال الإمام العيني : ولم يرد النبي ﷺ الحصر في الثلاثة، فإن الشفاء قد يكون في غيرها، وإنما نبه بهذه الثلاثة على أصول العلاج؛ لأن المرض إما دموي أو صفراوي أو سوداوي أو بلغمي، فالدموي بإخراج الدم، وذلك بالحجامة... وبقية الأمراض بالدواء المسهل اللائق بكل خلط منها، ونبه عليه بذكر العسل، وأما الكي فإنه يقع آخراً لإخراج ما يتعسر إخراجه من الفضلات...».[1]

قال الإمام الخطابي : «هذه القسمة في التداوي منظمة جملة ما يتداوى به الناس، وذلك أن الحجمة يستفرغ الدم، وهو أعظم الأخلاط وأنجحها شفاء عند الحاجة إليه، والعسل مسهل وقد يدخل أيضًا في المعجونات المسهلة ليحفظ على تلك الأدوية قواها فيسهل الأخلاط التي في البدن.

وأما الكي فإنما هو الداء العضال والخلط الباغي الذي لا يقدر على حسم مادته إلا

---

(١) عمدة القاري،١٤/٦٧،

به، وقد وصفه النبيﷺ ثم نهى عنه نهي الكراهة؛ لما فيه من الألم الشديد والخطر العظيم...».[1]

والعسل له فوائده الكثيرة، وهو أنفع ما يتعالج به الإنسان؛ لما فيه من الحلاوة وجودة التغذية وتقوية المعدة وشهية الطعام».[2]

وقد أمر -عليه الصلاة السلام- الصحابي الذي شكى إليه مرض أخيه في بطنه فقال ﷺ : أسقه عسلاً .[3]

والحجامة لها فوائدها الصحية أيضًا، وقد فعلها الرسولﷺ، ففي الصحيحين عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبيﷺ احتجم وأعطى الحجام أجره».[4]

أما الكي فهو من الأدوية النافعة عند الضرورة، حيث وجه عليه الصلاة والسلام بعض أصحابه بذلك كما في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- أن النبيﷺ بعث إلى أبي بن كعب طبيبًا فقطع منه عرقًا ثم كواه عليه».[5]

ولما رُمِيَ سعد بن معاذ في أكحله حسمه النبيﷺ بيده بمشقص ثم ورمت فحسمه

---

(1) أعلام الحديث في صحيح البخاري، ٣/٢١٠٥.

(2) انظر : معجزة الاستشفاء بالعسل، للدكتور/ حسان شمسي باشه، ص٩٨، مكتبة السوداي للتوزيع، جدة.

(3) سيأتي شرح هذا الحديث في باب دواء المبطون، ص١١٠.

(4) صحيح البخاري كتاب الإجارة، باب خراج الحجام، ص٤٢٥، وصحيح مسلم كتاب السلام باب لكل داء دواء، بزيادة «واستعط»، ص٩٠٧.

(5) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء، ص٩٠٦، ط بيت الأفكار الدولية.

الثانية، والحسم هو الكي».[1]

وقد يرد سؤال هنا، وهو أنه كيف يأمر -عليه الصلاة والسلام- بإحضار الطبيب لأبي فيكويه، وكذلك يحسم أكحل سعد بن معاذ ثم ينهى عنه ﷺ ؟

ويجمع بين الأمر والنهي بما ذكره الإمام الحافظ ابن حجر أنه «يؤخذ من الجمع بين كراههﷺ وبين استعماله له أنه لا يترك مطلقًا، ولا يستعمل مطلقًا، بل يستعمل عند تعينه طريقًا إلى الشفاء، مع مصاحبة اعتقاد أن الشفاء بإذن الله تعالى».[2]

الفوائد الدعوية :

أولاً : بيان فوائد العسل للمدعوين، وأنه غذاء وشفاء.

ثانيًا : بيان فوائد الحجامة للمدعوين، وأنها من هديه عليه الصلاة والسلام.

ثالثًا : جواز استخدام الكي في العلاج عند الضرورة.

رابعًا : على الداعية مراعاة أحوال المرضى والحرص على وصف العلاج الناجع لهم.

خامسًا : الاهتمام بصحة المدعوين منهج نبوي كريم.

سادسًا : أن على الداعية الإلمام ببعض العلوم الطبية.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء، ص٩٠٧.

(2) فتح الباري ١٣٩/١٠، وانظر : زاد المعاد ٦٦/٤.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : بيان فوائد العسل للمدعوين، وأنه غذاء وشفاء .

لقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فضل هذا الشراب الذي يخرج من بطون النحل، وأن فيه شفاءً للناس، فقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .[١]

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره : «وفي خلق هذه النحلة الصغيرة التي هداها الله هذه الهداية العجيبة، ويسر لها المراعيَ ثم الرجوعَ إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها وهدايته لها، ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلفَ الألوان بحسب اختلافَ أرضها ومراعيها، فيه شفاء للناس من أمراض عديدة، فهذا دليل على عناية الله تعالى وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يُحب غيره ويُدعى سواه» .[٢]

وللعسل فوائد طبية تفوق كثيراً من الأغذية الأخرى، من ذلك ما ثبت «علمياً أن عسل النحل يتفوق على جميع أنواع الأطعمة، سواء بسهولة هضمه، أو سرعة امتصاصه داخل الجسم، وأن كيلوجراماً واحداً من العسل يساوي أربعة كيلوجرامات من اللحم، ويساوي أيضاً من الناحية الغذائية ما قيمته اثنا عشر كيلوجراماً من الخضروات،

---

(١) النحل : ٦٨-٦٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٤/٢١٧-٢١٨، ط المؤسسة السعودية، الرياض.

هذا بالإضافة إلى احتوائه على مجموعة من العناصر المعدنية، وكمية عالية من الفيتامين [ج] والفيتامينات الأخرى، والهرمونات وعددٍ كبير من الخمائر».[1]

ومع هذه الفوائد الغذائية التي ذكرها الأطباء في العسل، فإنه شفاء للناس، كما قال تعالى: ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.[2]

وذكر العلماء أن للعسل أنواعًا كثيرة منها :

١- العسل الاسترالي.

٢- العسل الروسي.

٣- العسل المكسيكي.

٤- العسل الأمريكي.

٥- العسل الهنغاري.

٦- العسل البري السعودي.

وقد توصل الباحثون السعوديون إلى أن أفضل أنواع العسل التي درست هو العسل البري السعودي، ثم يليه العسل الهولندي، ثم تتفاوت باقي الأنواع الأخرى، فيجيء العسل المصري في المرتبة الثالثة، ثم العسل الألماني، ثم يجيء في المرتبة الأخيرة

---

(١) الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداعالاستاذ/ مختار سالم خير مراكز الطب الطبيعي ص٣٧٢، ط مؤسسة المعارف، بيروت.

(٢) النحل : ٦٩.

العسل الأمريكي، ثم الإسباني.[1]

أما عن أنواع الأمراض التي يعالج بها فقد ذكرها الأطباء في كتبهم، ونوردها باختصار، وهي :

١- معالجة التهاب المعدة والأمعاء عند الأطفال.

٢- الإسهال المزمن.

٣- علاج الأمراض الجلدية.

٤- الأرق.

٥- أمراض الكبد.

٦- أمراض العيون.

٧- الربو.

٨- أمراض الفم والأسنان.

٩- أمراض الأنف والبلعوم والحنجرة.[2]

---

(١) معجم الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي حقائق وبرهان، تأليف الدكتور/ حسان باشا، ص١٣-١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٢ وما بعدها.

ثانياً : بيان فوائد الحجامة وأنها من هديه عليه الصلاة والسلام .

لقد احتجم رسول الله ﷺ وحثّ صحابته الكرام عليها ، وذلك لما لها من الفوائد الصحية ، وهي مع ذلك مستحبة وليست واجبة ، ذكر ذلك ابن القيم -رحمه الله.[1]

«والحجم يستفرغُ الدمَ، وهو أحد الأخلاط وأنجحها شفاءُ عند الحاجة إليه».[2]

وثمة فوائد أخرى للحجامة منها :

١- تنشيط الدورة الدموية .

٢- تنشيط العمليات الحيوية في طبقات الأنسجة تحت الجلد وبين العضلات حيث تتخلصُ من فضلات التعب ، وتتحسن النغمة العضلية والحالة العامة للعضلات .

٣- تقلل حالات الورم الناتجة عن ضعف نشاط الدورة الدموية .

٤- تساعد كثيراً في إزالة التهابات الألياف العضلية والأنسجة العصبية ، وتفيد في تقليل الشعور بالألم والتهابات عرق النسَّا وأوجاع البرد ، والآلام الروماتيزمية والصدرية والعصبية» .[3]

فعلى الداعية إلى الله سبحانه أن يبين للمدعوين هدي الإسلام في هذا الأمر ، وأن الوقاية خير من العلاج ، ولعل من أسباب كثرة الأمراض وفشوها في هذا العصر عدمَ الأخذ بهذا التوجيه النبوي الكريم ! .

---

(١) انظر : زاد المعاد ٦١/٤.

(٢) أعلام الحديث شرح في صحيح البخاري للخطابي، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاثة، ٢١٠٥/٣.

(٣) انظر : الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع، للأستاذ مختار سالم،ص٣٦٤.

ثالثًا: جواز استخدام الكي في العلاج عند الضرورة.

في قوله -عليه الصلاة والسلام- «... أو لذعة بنار توافق الداء ما يبين جواز استخدام الكي في العلاج.

قال الإمام الحافظ أن حجر -رحمه الله-: «وفي قوله -عليه الصلاة والسلام-: توافق الداء "إشارة إلى أن الكي إنما يشرع منه ما يتعين طريقًا إلى إزالة ذلك الداء، وأنه لا ينبغي التجربة لذلك، ولا استعماله إلا بعد التحقق».[1]

أما إذا لم يتعين به العلاج فتركه أولى، وقد نهى -عليه الصلاة والسلام- عمران بن حصين عن الكي؛ لأن به باسوراً وكان موضعه خطيرا.

قال ابن قتيبة: «الكي جنسان: كي الصحيح لئلا يعتل، فهذا الذي قيل فيه لم يتوكل من اكتوى لأنه يريد أن يدفع القدر عن نفسه. الثاني: كي الجرح إذا لم ينقطع دمه بإحراق ولاغيره، والعضو إذا قطع ففي هذا الشفاء بتقدير الله.

وأما إذا كان الكي للتداوي الذي يجوز أن ينجح ويجوز ألا ينجح فإنه إلى الكراهة أقرب...».[2]

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام ما يفهمه البعض بأن من اكتوى لايكون من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- منبهًا على هذا الأمر: «...ومن فعله في

---

(1) فتح الباري، ١٠/١٤١.

(2) انظر: عون الباري ٥/٢٤٦.

محله، وعلى شرطه لم يكن ذلك مكروهًا بحقه، ولا منقصًا من فضله، ويجوز أن يكون من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، كيف لا وقد كوى النبي ﷺ سعدَ ابنَ معاذٍ الذي اهتز له عرشُ الرحمن، وأبي بن كعب المخصوص بأنه أقرأ الأمة للقرآن.

فمن اعتقد أن هؤلاء لا يصلحون أن يكونوا من السبعين ألفًا ففساد كلامه لا يخفى». [1]

وما أعظم أن يقوم الداعية في تصحيح مفاهيم العامة من الناس خصوصًا من يتعمد الكي بلا مبرر إلا من أجل السلامة من الأمراض المتوقعة، أو يذهب إلى المتطببين فيؤذي نفسه بما لم يأمره الله به، وهذا من النصح لعامة الأمة كما في صحيح مسلم عن أبي رقية تميم الداري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». [2]

رابعًا: على الداعية مراعاة أحوال المرضى والحرص على وصف العلاج الناجع لهم.

يظهر لنا في حديثي البابين مراعاته -عليه الصلاة والسلام- لأحوال المرضى، حيث بين عليه الصلاة والسلام أصول العلاج للمرضى، وقد يكون الشفاء في غيرها، ومن الخطأ أن يصف العلاج من لاعلم له بذلك فيسبب أذى للمسلمين بعمله، فإن الجاهل قد يصف علاجًا يكون سببًا لوفاة المريض، أو استمرار مرضه لفترة أطول،

---

(1) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ٥/٥٩٧-٥٩٨، ط دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق بيروت.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة، ص٥٤، ط بيت الأفكار الدولية.

ولاشك أنه يتحمل تبعة هذا الخطأ، كما أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «من تطبب ولا يُعْلم منه طب فهو ضامن».[1]

وكان من هديه -عليه الصلاة والسلام- تفقدُ أصحابه، وزيارة مرضاهم، ووصف العلاج المناسب لهم، فقد أخرج أبو داود في سننه عن سعد قال: مرضت مرضًا أتاني رسول الله يعودني، فوضع يده في بين ثديي حتى وجدت بُردَها على فؤادي فقال: «إنك رجل مفؤد، إئت الحارث بن كنده أخا ثقيف فإنه رجل يتطَبب، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن، ثم ليلُدَّك بهن».[2]

إذًا ينبغي على الداعية أن يحرص على مرضى المسلمين بوصف العلاج المناسب لهم إن كان عنده علم بذلك، أو يرشدهم إلى من يكون حاذقًا في الطب كما فعل عليه الصلاة والسلام مع سعدٍ رضي الله عنه.

خامسًا: الاهتمام بصحة المدعوين منهج نبوي كريم بينه النبي ﷺ لأمته.

إن الداعية إلى الله تعالى ينطلق في جميع أعماله في هذه الحياة من منهج الهدي النبوي في دعوته وتعامله مع المدعوين، وقد كان عليه الصلاة والسلام يهتم بصحة أصحابه ويحث على ذلك، وأحس صحابته الكرام -رضي الله عنهم- بهذا الاهتمام

(1) سنن أبي داود، كتاب الديات، باب فيمن تطبب بغير علم فأعنت، ص٦٩٦.
سنن النسائي كتاب القسامة باب دية جنين المرأة ٤٣٣/٨.
سنن ابن ماجه كتاب الطب باب من تطبب ولم يعلم منه طب ١١٤٨/٢.

(2) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في تمرة العجوة، ص٥٩١.

النبوي الكريم.

قال التيفاشي: «فقد كان عليه الصلاة والسلام يسأل المريض عن شكواه وكيف يجده، ويسأل عما يشتهيه، ويضع يده على جبهته، وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له، ويصف له ما ينفعه في علته، وربما توضأ وصب على المريض من وضوئه، وربما كان يقول للمريض: «لا بأس عليك طهور إن شاء الله»، وهذا من كمال اللطف وحسن العلاج والتدبير».[1]

ومن اهتمامه عليه الصلاة والسلام بصحة أمته تحذيره عليه الصلاة والسلام من الإسراف والشراهة في الأكل؛ لما يسببه من الأمراض الكثيرة، فعن مقدام بن معد كرب -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلثٌ لنفَسه».[2]

وفي هذا التوجيه النبوي الكريم ما يكون أنفع للبدن والقلب؛ لأن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النَّفَس، وعرض له التعب والكرب».[3]

---

(1) الشفاء في الطب، للتيفاشي، ص١٥.

(2) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ٧/١١١-١١٢، وسنن ابن ماجه بنحوه، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع ٢/١١١١.

(3) منهج السنة النبوية في رعاية الصحة وقاية وعلاجًا، للدكتور/ بدير محمد بدير، ص٢٣-٢٤، وانظر: الآداب الشرعية لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، ٢/٣٤٠، ط مؤسسة الرسالة،

فعلى الدعاة أن يحذوا حذو نبيهمﷺفي الاهتمام بصحة المدعوين؛ لما لذلك من أثر فعال في نشر الدعوة بين صفوف المدعوين.

سادسًا: أن على الداعية الإلمام ببعض العلوم الطبية.

يتبين من توجيه الرسولﷺفي قوله: «الشفاء في ثلاث» فضل تعلُّم الطب، وأن على المسلم تعلمه وتعليمه؛ وذلك لما له من الفوائد العظيمة للمسلمين، وإذا كان الداعية قد تزود بقدر ولو يسير من هذا العلم فإنه ينفعه في دعوته، حيث يقوم بعلاج المرضى بنفسه، ويصف العلاج الناجع لهم، ومن ثم يجد قبولاً في أوساط المدعوين، إذ القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها.

وقد اهتم صحابة رسول اللهﷺوعلماء الإسلام بهذا العلم، وحرصوا على تعلمه وتعليمه؛ وذلك لأهميته في حياة المسلمين، ودوره الفعال في الدعوة إلى الله تعالى، قال عروة لعائشة -رضي الله عنها-: إني لأعجب من علمكِ بالطب كيف هو ومن أين هو فضربت على منكبه. وقالت: «أي عروة إن رسول اللهﷺكان يسقم عند آخر عمره، أو في آخر عمره، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات، فكنت أعالجه فمن ثَمَّ».[1]

فعلى الدعاة أن يهتموا بهذا العلم، كما أن عليهم أن يبينوا للناس ما بينه الرسول ﷺ لأمته فيما ينفعهم في حفظ صحتهم ليستعينوا بها على طاعة الله.

---

[1] مسند الإمام أحمد ٧٦/٦ ط المكتب الاسلامي.

بـاب دواء المبطون

٤- عن أبي سعيد[١] أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال : أخي يشتكي بطنه، فقال : «اسقه عسلاً» ثم أتاه الثانية فقال : «اسقه عسلاً»، ثم أتاه الثالثة فقال : «اسقه عسلاً»، ثم أتاه فقال : فعلت، فقال : «صدَقَ اللّهُ وكذَبَ بَطْنُ أخيكَ، اسْقِه عسلاً» فسقاه فبرأ.[٢]

رقم الحديث : [٥٦٨٤].

وفي رواية : «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن أخي استطلق بطنُه، فقال : «اسقه عسلاً» فسقاه فقال : إني سقيته فلم يزدْه إلا استطلاقًا، فقال : «صدق اللهُ وَكذبَ بطنُ أخيك».

---

(١) هو أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري الخدري، الإمام المجاهد مفتي المدينة، كان من الحفاظ لحديث رسول الله ﷺ المكثرين، وأحد الفقهاء المجتهدين، ومن العلماء الفضلاء النبلاء، عرض على رسول الله ﷺ يومَ الخندق فرده عليه الصلاة والسلام لصغر سنه، وشهد مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وقد بلغ مسنده ألفاً ومائةً وسبعين حديثًا، في البخاري ومسلم ثلاثة وأربعين، وانفرد البخاري بستة عشر حديثًا، ومسلم باثنين وخمسين حديثًا.

شهد -رضي الله عنه- بيعة الرضوان، روى عن رسول الله ﷺ وعن أبيه وعن أخيه لأمه قتادة ابن النعمان، وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وأبي قتادة الأنصاري، وعبد الله بن سلام، وأسيد بن خضير، وابن عباس، وأبي موسى الأنصاري، ومعاوية، وجابر بن عبد الله -توفي رضي الله عنه سنة أربع وسبعين للهجرة. انظر : أسد الغابة ١٣٨/٦، سير أعلام النبلاء ١٦٨/٣، البداية والنهاية ٣/٩، العبر ٦١/١.

(٢) طرف الحديث في الكتاب نفسه، باب دواء المبطون، حديث رقم ٥٧١٦، والحديث أخرجه مسلم، في كتاب السلام باب التداوي بسقي العسل، رقم الحديث ٢٢١٧.

غريب الحديث :

استطلق بطنه : مشي، واستطلاق البطن : مشيه.[1]

وفي النهاية : أي كثر خروج مافيه، يريد الإسهال.[2]

الموضوع الدعوي

يبين لنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث العلاجَ المناسِبَ لمن استطلق بطنه لأي سبب من الأسباب، يظهر هذا من وصفه ﷺ لهذا الصحابي الذي شكى إليه استطلاق بطن أخيه.

قال الدكتور حسان باشا : «وقد جعل الله في العسل شفاءً من الأمراض والآفات كما جعل القرآن شفاءَ الصدور من الشكوك والشبهات».[3]

وفي وصفه عليه الصلاة والسلام لهذا العلاج بيان لمعجزته ﷺ، ورد على اعتراض بعض زنادقة الأطباء القائلين : «قد أجمعت الأطباء على أن العسل يسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال؟!».

وقد أجاب على هذا الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- حيث قال : «إن هذا

---

(1) لسان العرب ٢٢٩/١٠ مادة [طلق].

(2) النهاية في غريب الحديث ١٣٦/٣.

(3) معجزة الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي حقائق وبراهين، للدكتور/ حسان باشا، ص٩٢، نقلاً عن الطب من الكتاب والسنة، لموفق الدين البغدادي.

الطعن صدر عن جهل بأدلة صدق النبيﷺ وبصناعة الطب.

أما الأول: فلو نظر في معجزاتهﷺ نظرًا صحيحًا لعلم على القطع أنه يستحيل عليه الكذب والخُلْفُ، ومن حصل له هذا العلم فحقه شرعًا وعقلاً إذا وجد من كلامه ما يقصر عن إدراكه أن يعلم أن ذلك القول حق في نفسه، وأن يضيف القصور إلى نفسه، فإن أرشده هذا الصادق إلى فعل ذلك الشيء على وجه فيستعمله على الوجه الذي عينه، وفي المحل الذي أمره بصدق نية وحسن طوية، فإنه يرى منفعته، ويدرك بركته. كما اتفق لصاحب هذا العسل. وإن لم يعين له كيفية ولا وجهةً فسبيل العاقل ألا يقدم على استعمال شيءٍ حتى يعرف كيفية العمل به فليبحث عن وجه العمل اللائق بذلك الدواء، فإذا انكشف له ذلك فهو الذي أراده الصادق. وهذا البحث إنما يكون مع العلماء بالطب من المسلمين الموثوق بعلمهم وصحة تجربتهم، وأما جهل هذا الطاعن بصناعة الطب فقد جازف في النقل، حيث أطلق في موضع التقييد، وحكى إجماعًا لا يصح له.

وبيان ذلك فيما قاله الإمام أبو عبد الله قال: ينبغي أن يُعلَم: أن الإسهال يَعرِضُ من ضروب كثيرة.

فمنها الإسهال الحادث عن التُخم والهيضات[1]. والأطباء مجمعون في مثل هذا على أن علاجه: بأن تُتْرك الطبيعة وفعلُها، وإذا احتاجت إلى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة باقية، فأما حبسها: فضرر. فإذا وضح هذا، قلنا: فيمكن أن يكون هذا الرجل أصابه الاسهال عن امتلاءٍ وهيضة، فأمره النبيﷺ بشرب العسل، فزاده، فزاده

(1) الهيضات مفردها الهيضة: مرض من أعراض القيء الشديد والإسهال والهزال، الكوليرا، المفهم، ٥/٦٠٩.

إلى أن فنيت تلك المادة فوقف الإسهال فوافقه شرب العسل، فإذا خرج هذا عن صناعة الطب أذنَ ذلك بجهل المعترض بتلك الصناعة.

قال: ولسنا. نستظهر على قول نبينا بأن يصدّقهُ الأطباء، بل لو كذبوه لكذبناهم، وكفرناهم، وصدقناه ﷺ، فإن أوجدونا بالمشاهدة صحة ماقالوه فنفتقر حينئذٍ إلى تأويل كلام رسول الله ﷺ، وتخريجه على مايصح، إذ قامت الدلالة على أنه لا يكذب.

وقوله «صدق الله وكذب بطن أخيك» تنبيه على أنه ﷺ انتزع هذا العلاج من قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. ....»[2].

الفوائد الدعوية:

أولاً: حث المدعوين على الأخذ بما وصفه النبي ﷺ من العلاج بنية صادقة.

ثانيًا: بيان فوائد تكرار العلاج للمدعوين وأنه نافع في استخراج الداء.

ثالثًا: أن بقاء المرض ليس دليلاً على قصور الدواء.

رابعًا: بلاغته وفصاحته ﷺ في مخاطبته للآخرين.

---

(١) النحل: ٦٩.

(٢) المفهم لما شكل من تلخيص كتاب مسلم ٥/٦٠٩، ط دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، بيروت.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : حث المدعوين على الأخذ بما وصفه النبيﷺمن العلاج بصدق نية .

إن الأخذ بهدي النبيﷺهو من السعادة للمسلم في حياته وبعد مماته، ومن السعادة في الحياة أن يأخذ بهدي النبيﷺبالعلاج من الأمراض بصدق نية واعتقاد جازم بالشفاء بمشيئة الله. ومن ضعف إيمانه فقد يتأخر شفاؤه.

قال الحافظ -رحمه الله- : «ولذلك قد يتخلف عن بعض من يستعمل طب النبوة؛ وذلك لمانع قام بالمستعمل من ضعف اعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول، وأظهرُ الأمثلة في ذلك القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور، ومع ذلك فقد لا يحصل لبعض الناس شفاءُ صدره لقصوره في الاعتقاد والتلقي بالقبول، بل لا يزيد المنافق إلا رجساً إلى رجسه، ومرضا إلى مرضه، فطبُّ النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا القلوبَ الطيبة»[1]. وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يتداوون بالعسل في جميع الأمراض امتثالاً لأمر الرسولﷺ.

وقد كان عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- لا يشكو قرحة ولا شيئاً إلا عالجه بالعسل عملاً بقوله تعالى : ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾.[2]

فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يبينوا هذا الأمر للمدعوين، فإن ضعف الاعتقاد بما أتى به عليه الصلاة والسلام خلل يجب التحذير منه.

---

(1) فتح الباري ١٠/١٧٠.

(2) انظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام القرطبي، ٥/٦١٠.

ثانيًا : فوائد تكرار العلاج وأنه نافع في استخراج الداء .

إن الشفاء من المرض قد يتأخر لسبب من الأسباب ؛ إذ لا يلزم من مجرد تناولِ الدواء من أول وهلةٍ الشفاءُ من الداء، ولذلك نجد أن رسول اللهﷺ كرر على هذا الصحابي أن يسقي أخاه عسلاً ليتمَ له الشفاءُ بمشيئة الله تعالى.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : «وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع، وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء، إن قصر عنه لم نعد له بالكلية، وإن جاوزه أو هى القوى، فأحدث ضررًا آخر، فلما أمره أن يسقيه العسل سقاه مقدارًا لا يفي بمقاومة الداء ولا يبلغ الغرض، فلما أخبره علم أن الذي سقاه لا يبلغ مقدار الحاجة، فلما تكرر ترداده إلى النبيﷺ أكد عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للداء، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء برأ بإذن الله، واعتبار مقادير الأدوية وكيفياتها ومقدار قوة المرض والمريض من أكبر قواعد الطب».[1]

فعلى أطباء المسلمين أن يبينوا هذا الأمر لمرضى المسلمين، ويوضحوا لهم هدي النبيﷺ في الحث على تناول الدواء حتى الشفاء، وكم يحصل الضرر بمرضى المسلمين بسبب إهمال هذا الأمر، سواء بالعسل أو بما يوصف من أدوية خسر عليها المبالغ الطائلة لإيصالها إلى المرضى لشفائهم بإذن الله مما يكون سببًا في تأخر شفاء المريض أو وفاته.

---

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد ٣٥/٤.

ثالثًا – أن بقاء المرض ليس دليلاً على قصور الدواء .

إن من المشاهد في الطب الحديث أن الأطباء يطلبون من المريض تكرار الدواء لمرات عديدة تختلف مددها بحسب طبيعة المرض وبحسب قوة الدواء؛ إذ المرض قد يبلغ من الإنسان مبلغاً لا يزيله الدواء ولا يقضي عليه لأول وهلة، وإنما يزول تدريجيًا مع الاستمرار في استعمال الدواء، وهذا ما يظهر لنا من توجيهات رسول الله ﷺ للرجل حين جاءه شاكيا حالة أخيه، فوصف له ﷺ العسل، ثم كرر عليه المجيء حتى الرابعة، والرسول ﷺ مازال يطلب منه الاستمرار في استعمال الدواء الموصوف حتى تم الشفاء بإذن الله تعالى.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- : «وفي ذلك إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء نفسه، ولكن لكذب البطن، وكثرة الداء الفاسدة فيه؛ فأمره بتكرار الدواء لكثرة المادة».[1]

رابعًا: بلاغته وفصاحته ﷺ في مخاطبته للآخرين .

لقد كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يخاطب أصحابه بأسلوب فصيح يؤدي إلى الفهم والتمعن عند سماعه، وفي قوله -عليه الصلاة والسلام- : «وكذب بطن أخيك» ما يؤكد ذلك تأكيدًا واضحًا، حيث ساقه «على سبيل الاستعارة التبعية، وفيه

---

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣٥/٤.

إشارة إلى تحقيق هذا الدواء»[1] للعلاج المطلوب بمشيئة الله، وإثبات منه -عليه الصلاة والسلام- أن علاج أخي هذا الصحابي الذي جاءه في تناول العسل مهما تأخر الشفاء.

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله اختيار أحسن الأساليب وأقواها في إقناع المدعوين بما يدعون إليه اقتداءً بهدي نبيهمﷺ.

---

(1) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للشيخ/ احمد بن محمد القسطلاني، ١٢/٤١٥، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

باب الحبة السوداء[1]

٥- عن خالد بن سعد قال : خرجنا ومعنا غالبُ بن أبْجَرَ فمرض في الطريق، وقدمنا المدينة وهو مريض، فعاده ابن أبي عتيق، فقال لنا : عليكم بهذه الحبيبة السوداء، فخذوا منها خمسًا أو سبعًا فاسحقوها، ثم اقطروها في أنفه بقطرات زيت في هذا الجانب وفي هذا الجانب، فإن عائشة -رضي الله عنها- قالت : سمعت النبيﷺ يقول : «إن هذه الحبة السوداء شفاءٌ من كل داءٍ، إلا من السام». قلت : وما السام؟ قال : «الموت».[2]

رقم الحديث : [٥٦٨٧].

٦- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه سمع رسول اللهﷺ يقول : «في الحبة السوداء شفاءٌ من كل داء إلا السام».[3]

رقم الحديث : [٥٦٨٨].

---

(١) أي : هذا باب في بيان الحبة السوداء وذكر منافعها عمدة القاري، ٦٧٦/١٤.

(٢) مطابقة الحديث للترجمة في قوله : «إن في الحبة السوداء». انظر : عمدة القاري ٦٧٧/١٤.

(٣) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، انظر : عمدة القاري للعيني، ٦٧٨/١٤، والحديث أخرجه الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه كتاب السلام باب التداوي بالحبة السوداء، ص٩٠٩، ط بيت الأفكار الدولية.

غريب الحديث :

الحبة السوداء : نبتة عشبية من الفصيلة الحوذانية، وكان الاسم الغالب عليها أيام رسول الله ﷺ «الشونيز»؛ ولذا فسرت الحبة السوداء الواردة في الأحاديث النبوية بالشونيز، وهو اسمها الفارسي، وأصله «الششهنيز».[1]

قال الحافظ ابن حجر : «وتفسير الحبة السوداء بالشونيز لشهرة الشونيز عندهم إذ ذاك، أما الآن فالأمر بالعكس، ... والحبة السوداء أشهر عند أهل هذا العصر من الشونيز بكثير».[2]

الموضوع الدعوي

يبين لنا رسول الله ﷺ في حديثي الباب أثرَ الحبة السوداء في علاج بعض الأمراض إلا الداء الذي لا علاج له وهو السام (الموت)، وقد أخذ بهذا الهدي الكريم صحابتُه عليه الصلاة والسلام، وفي هذا الحديث نرى ابن أبي عتيق يزور غالب بن أبجر في مرضه، فيذكر له ما سمعه من أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في الحبة السوداء عن رسول الله ﷺ، وفي هذا لفتٌ لأنظار المسلمين عمومًا وللأطباء خصوصًا للاهتمام بهذه الحبة السوداء لما فيها من الفوائد الطبية.

---

(1) الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث، الدكتور/ حسان باشا، ص١٣، ط دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت.

(2) فتح الباري ١٠/١٤٥، وتعرف عند العطارين بالسميراء، كما تعرف عند العامة بهذا الاسم.

وقد اهتم علماء الحديث وعلماء الطب بهذه الحبة، وبينوا فضلها وفوائدها، ويتمثل ذلك في اكتشافهم أسرار هذه الحبة الطبية، وإعدادهم البحوث العلمية عنها.

وذكر الدكتور حسان باشا -عضو الكليات الملكية للأطباء في بريطانيا وإيرلندا- أن بحوثًا قدمت في بعض جامعات المملكة المتحدة عن هذه الحبة السوداء، كما قدم الدكتور افروذ الحق الطبيب بمستشفى الملك فيصل التخصصي دراسةً لمعرفة تأثير الحبة السوداء على جهاز المناعة عن طريق الحقن بالوريد، وقد تم قبولُ هذا البحث في المؤتمر الدولي لكيمياء الطبية في سويسرا.

كما قام الدكتور/ أحمد القاضي وأسامة قنديل من معهد أكبر للبحوث العلمية في فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية بإجراء عدد من الدراسات على الحبة السوداء.[1]

وما قدم عن هذه الحبة السوداء من الدراسات قديمًا أو حديثًا، عامة أو مستقلة فإنها تدل على معجزة نبيناﷺ، وأنه -عليه الصلاة والسلام- لا ينطق عن الهوى.

---

(1) الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث للدكتور حسان باشا، ص٦-٧. ولمزيد الفائدة انظر: كتاب اليوم الطبي، وأسرار جديدة عن حبة البركة للدكتور/ عبد الرحمن النجار، ط دار أخبار اليوم.

الفوائد الدعوية :

أولاً : بيان فوائد الحبة السوداء الطبية للمدعوين.

ثانيًا : بيان أن الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام.

ثالثًا : أن الموت داء لا دواء له.

رابعًا : زيارة المريض ووصف العلاج المناسب له وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

خامسًا : حث أطباء المسلمين على اكتشاف الدواء المناسب للداء

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : بيان فوائد الحبة السوداء الطبية للمدعوين .

اهتم علماء المسلمين بهذه الحبة السوداء قديمًا وحديثًا، يظهر ذلك واضحًا عند علماء الحديث.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى- : «إن طبع الحبة السوداء حار يابس، وهي مذهبة للنفخ، نافعة من حمى الربع والبلغم، مفتحة للسدد والريح، مجففة لبلة المعدة، وإذا دقت وعجنت بالعسل وشربت بالماء الحار أذابت الحصاة وأدرت البول والطمث، وفيها جلاء وتقطيع، وإذا دقت وربطت بخرقة من كتان وأديم شمها نفع من الزكام البارد، وإذا نُقع منها سبع حبات في لبن امرأة وسُعط بها صاحب اليرقان أفاده، وإذا شرب منها وزن مثقال بماء أفاد من ضيق النفَس، والضماد بها ينفع من الصداع

البارد، وإذا طبخت بخلٍ وتمضمض بها نفعت من وجع الأسنان الكائن عن برد»[1].

وبين الأطباء في هذا العصر فوائد هذه الحبة، فمن ذلك ما ذكره الدكتور مختار سالم خبير مراكز الطب الطبيعي بدمشق، قال: «تحتوي حبة البركة على زيوت طيارة وثابتة منقية ومهدئة للنزلات الصدرية، ومسكنة للسعال العصبي، ومدرة للعاب والبول، وطاردة للغازات والبلغم، ومنقية للمعدة، وأكدت بعض الدراسات أن حبة البركة تفيد في علاج ديدان الاسكارسي، كما أثبتت إحدى التجارب الطبية أن زيت حبة البركة يزيد من تنشيط الدورة الدموية بالجسم، ويساعد في علاج حالات الضعف الجسمي والربو، ويُحَسن من الجهاز الهضمي»[2].

وذكر الدكتور العبيد عمر أثرَ الحبة السوداء في العلاج من الزكام فقال: «لعلاج نزلات البرد يضاف زيتُ الحبة السوداء (ملعقة كبيرةٍ) إلى ماءٍ غالٍ، وعلى المريض أن يستنشق البخارَ الصاعدَ منه ورأسه مغطى ببطانية أو نحو ذلك، ويستحسن تكرار ذلك صباحًا ومساءً إلى أن يتمَّ الشفاء بإذن الله»[3].

كما أعلن الدكتور الظواهري -في محاضرة له في المؤتمر الصيدلاني العالمي الثالث والعشرين الذي انعقد في مدينة موتستر بألمانيا- أن تفل الحبة السوداء المختلف عن عصرها يُخَفِّض الضغط الدموي»[4].

---

(1) فتح الباري ١٠/١٤٥، وانظر: عمدة القاري للعيني، جـ ١٤/٦٧٧

(2) الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع، للدكتور/ مختار سالم، ص٤٢٢، ط مؤسسة المعارف، بيروت.

(3) الشفاء بالحبة السوداء، ص٣٣.

(4) المرجع السابق، ص٣٥.

وللحبة السوداء دور في علاج الحساسية، ففي بحث مشترك مع معهد الأدوية «الفارماكولوجي» بجامعة «أوديس» بالدنمارك تمت مناقشة فاعلية «النبللون» -وهو المادة الفاعلة في الحبة السوداء- مع الدكتور آفارتي رئيس قسم الحساسية الذي أكد في بحثه أن زيت الحبة السوداء يقلل إفراز مادة الهيستافين والمواد المسببة للحساسية»[1].

ولهذه الحبة السوداء دور في هذا مناعة الجسم، والجهاز المناعي في الجسم كالجيش الذي يقوم بحماية البلاد، يحمي الإنسان من المواد المؤذية والجراثيم والخلايا السرطانية، فهو يمثل خطوط الدفاع التي تقي الإنسان من الالتهابات والسرطان.

وقد استنتج الباحثون من دراساتهم عن الحبة السوداء والمناعة النتائج التالية:

أولاً: ثبت أن تناول الحبة السوداء بالفم بجرعة جرام واحد مرتين يوميًا له أثر مقو على وظائف المناعة.

ثانيًا: أن الإجهاد النفسي (Stress) يؤدي إلى تثبيط في مناعة الجسم.

ثالثًا: من الممكن أن يلعب مقو طبيعي للمناعة مثل الحبة السوداء دورًا هامًا في علاج السرطان والإيدز، وبعض الحالات المرضية الأخرى المرتبطة بنقص المناعة».

وفي معهد (أكبر) الإسلامي بولاية فلوريدا الأمريكية أجرى الدكتور محمد القاضي والدكتور أسامة قنديل تجاربَ على مرض السرطان، ووجد هذان الباحثان أن مسحوق بذور الحبة السوداء قد قلل من حجم الأورام، وزاد من خلايا (T) اللمفاوية المساعدة.

---

(1) المرجع السابق، ص٣٦.

أما عن أثر الحبة السوداء في مكافحة الجراثيم، فقد أظهرت دراسة قامت بها الصيدلانية (ريما انس الزرقا) بجامعة كنغ في لندن عام ١٩٩٣م أن لزيت الحبة السوداء الطيار (Uotaltile) تأثيراً جيداً كقاتل للجراثيم حتى في تركيزات خفيفة من الزيت.

وذكر الأطباء كذلك أن للحبة السوداء دوراً فعالاً في علاج مرض السكر، هذا المرض الذي شاع في أنحاء العالم، حيث يصيب ٧٠٪ من الناس في المملكة العربية السعودية، وقد قام عدد من الباحثين في جامعة الأردن بإجراء دراسة على خلاصة الحبة السوداء؛ لمعرفة تأثيرها على سكر العام عند الأرانب، فتوصلوا إلى أن لها أثرًا في علاج هذا المرض.

أما عن مرض الروماتيزم فمن المعروف أن زيت الحبة السوداء الثابت يستعمل في الطب الشعبي في الشرق الأوسط كمادة مضادة للالتهاب، ومضادة للروماتيزم، وفي معالجة الصداع والآلام الأخرى[1].

ولازال الأطباء يقومون بإعداد الدراسة وتقديم البحوث الطبية النافعة لهذه الحبة السوداء التي يكتشف الطب الحديث فوائدها وأسرارها يومًا بعد يوم.

وما أجمل أن يبين الدعاة إلى الله هذه المعجزة النبوية للمدعوين، حيث أخبر عنها رسول اللهﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى، وأن فوائد هذه الحبة عظيمة وشافية من الأمراض بإذن الله وتوفيقه.

---

(١) انظر: الشفاء بالحبة السوداء، ص٥٢ وما بعدها، وأسرار جديدة عن حبة البركة للدكتور/ عبد الرحمن النجار، ص٨١.

ثانيًا: بيان أن الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام.

لقد اختلف العلماء -رحمهم الله تعالى- في قولهﷺ: «الحبة السوداء شفاء من كل داء» هل هو على إطلاقه، وأن الحبة السوداء تشفي من جميع الأمراض إلا السام- على قولين:

أولهما: أن المراد بقولهﷺ«شفاء من كل داء» هو من عموم اللفظ الذي يراد به الخصوص.

وقد ذهب إلى هذا الإمام الخطابي في كتابه «أعلام الحديث» حيث قال -رحمه الله تعالى- : «إن هذا من عموم اللفظ الذي يراد به الخصوص؛ إذ ليس يجتمع في طبع شيء من النبات والشجر جميع القوى التي تقابل الطبائع كلها في معالجة الأدواء على اختلافها وتباين طبائعها، وإنما أراد أنه شفاء بإذن الله للداء المقابل له الرطوبة والبرودة، وذلك أن الداء أبدًا بالمضاد، والغذاء بالمشاكل»[1].

الثاني: أنه على العموم، وأن هذه الحبة شفاء من كل داء.

ذهب إلى هذا القول الشيخ محمد بن أبي جمرة حيث قال -رحمه الله تعالى- : «تكلم الناس في هذا الحديث وخصوا عمومه وردوه إلى قول أهل الطب والتجربة، ولا خفاء بغلط قائل ذلك؛ لأنا إذا صدقنا أهل الطب- ومدار علمهم غالبًا إنما هو على التجربة التي بناؤها على ظن غالب- فتصديق من لا ينطق عن الهوى أولى بالقبول من

---

(1) أعلام الحديث في صحيح الإمام البخاري، ٣/٢١١٢.

كلامهم»[1].

وما قاله ابن أبي جمرة كلام واضح القوة؛ وذلك أنه اعتبر الوحي الذي نطق به النبيﷺ كلامًا لا يتخلف، وحقيقةً لا تخضع للتجربة؛ ولذا يبقى عموم كلام رسول اللهﷺ على إطلاقه، وما أثبته الأطباء لا يقوى على تخصيص كلام رسول اللهﷺ؛ لأنه علم تجريبي لم يقف عند حدّ ينتهي إليه، ومازالت النظريات تترى، ومستمرة في الدراسات؛ ولذا يبقى الحديث على الإطلاق كما قال ابن أبي جمرة، إلا أنه يظهر من الحديث أن الأدواء تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: داءٌ قابل للعلاج، وهو إما عن طريق قوة المناعة أو الشفاء بعد نزوله وإصابة البدن به.

القسم الثاني: داءٌ لايقبل العلاج وهو الموت، ويدخل في هذا الأمراض المستعصية التي جربت الحبة السوداء فلم تنفع في شفائها بعد إصابة البدن بها.

ثالثًا: أن الموت داءٌ لا دواء له.

في قوله -عليه الصلاة والسلام-: «إلا السام» بيان منه عليه الصلاة والسلام أن الموت لا محالة منه، وأنه إذا حلّ عجز الأطباء من معالجته واحتارت العقول في دوائه، وهو ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا

[1] فتح الباري ١٠/١٤٥، وانظر: عون الباري ٥/٢٣٩، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥/ ٦٠٦.

﴿يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1]. هذا الأمر الذي قد يفاجأ به الإنسان في لحظة من ليل أو نهار، ولهذا كان النبي ﷺ يوجه أصحابه أن لا يطيلوا الأمل في هذه الحياة، وأن يستعدوا للرحيل، وأن الإنسان مهما سلم من الأمراض فإن ثمة داءً لا سلامة منه ولا علاج له، فيكون على حذر منه.

قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- : «أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل. وكان ابن عمر -رضي الله عنهما- يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[2].

فعلى الداعية أن يحرص على تذكير المدعوين بما بينه عليه الصلاة والسلام بقوله : «إلا السام» وهو الموت، وإن حرص الداعية على ذلك يجعل المدعوين يقبلون على الآخرة، ويزهدون في الدنيا الفانية، ويستغلون أوقات فراغهم وصحتهم بطاعة ربهم وخدمة دينهم؛ امتثالاً لأمر ربهم القائل : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[3].

رابعًا: زيارة المريض ووصف العلاج المناسب له وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله .

إن في زيارة المريض فوائد عظيمة للمريض نفسه وللداعية إلى الله الزائر

---

(١) النحل : ٦١.

(٢) صحيح الإمام البخاري كتاب الرقاق، وسيأتي شرح هذا الحديث في كتاب الرقاق، ص١٠٤٥.

(٣) الحجر : ٩٩.

للمريض أيضاً، فمن فوائد زيارة المريض تسليته بأن ما أصابه تكفير لذنوبه، ومنها تخفيف لمرضه بإخباره أن له من الله أجراً عظيماً إذا صبر على ما أصابه واحتسب، وقد كان رسول اللهﷺ يفعل هذا عند زيارته للمرضى، فعن أم العلاء -رضي الله عنها- قالت: عادني رسول اللهﷺ وأنا مريضة فقال: «أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يُذهب الله به خطاياه كما تُذهب النارُ خبثَ الذهبِ والفضةِ»[1].

ومن فوائدها أيضًا الدعاء للمريض بالشفاء، فعن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: عادني رسول اللهﷺ .... فقال: اللهم اشفِ سعْدًا، واتمم له هجرته...»[2].

ومنها: فتح باب الأمل له بتعلقه بربه، وأن الله سبحانه ما أنزل داءً إلا أنزل له دواءً.

ومنها: وصف الزائر العلاج المناسب للمريض إن كان له علمٌ بذلك، كما في حديث الباب، حيث وصف ابن أبي عتيق دواء لغالب بن أبجر عند زيارته له.

أما الفائدة التي تعود على الزائر للمريض فهي الأجر العظيم من الله إذا أخلص النية له سبحانه في زيارته، فعن ثوبان مولى رسول اللهﷺ عن النبيﷺ قال: «إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خُرفَةِ الجَنَّةِ حتَّى يرْجِعَ» قيل: يا رسول الله وما خرفة

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب عيادة النساء، ص٤٨٣، ط دار ابن حزم، ودار المسير، الرياض.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المرضى باب وضع اليد على المريض، ص١١١٢، وصحيح مسلم بنحوه كتاب الوصية باب الوصية بالثلث، ص٦٦٧.

الجنة؟ قال: «جناها»[1].

إن من صفات الداعية الناجح الحرص على زيارة المرضى وتفقد أحوالهم، وكم يؤثر هذا الأمر في المدعوين، وقد تكون هذه الزيارة فرصةً سانحة لتذكير المريض بربه ودعوته إن كان مقصراً في بعض أموره الدينية، فيكون هذا المرض مدخلاً لتذكيره بنعم الله تعالى عليه، فإن العبد إذا كان معافى انهمك في ملذاته، وغفل عن مولاه، فكان فرصة للشيطان لإيقاعه في الشهوات والمعاصي -إلا من رحم الله- فيعلم أمام هذا المرض ضعفَه وذلَّه وفقرَه إلى ربه، فإن كان ممن وفق بقبول دعوة الزائرين له من الدعاة تذكر تقصيره في حق ربه وتفريطه في صحته، وعاد إلى ربه نادمًا ذليلاً، متضرعًا إليه تائبًا منيبًا لربه القائل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا... الآية** ﴾[2].

خامسًا: حث أطباء المسلمين على اكتشاف الدواء المناسب للداء.

ذكر رسول الله ﷺ في هذا الحديث فوائد الحبة السوداء، وأنها شفاء من كل داء إلا السام حثًا لأمته عليه الصلاة والسلام على اكتشاف الأدوية المركبة من هذه الحبة السوداء التي تنفع في علاج المرض.

فإن اكتشاف الدواء المناسب للداء من الأمور المهمة جداً، وهذا ما يحرص عليه الأطباء؛ لأن تناول الأدوية بدون معرفة لخصائصها واختصاصاتها يؤدي إلى ضرر أكبر،

---

(1) صحيح الإمام مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، ص١٠٣٦ ط بيت الأفكار الدولية.

(2) التحريم: ٨.

يقول الدكتور/ محمد علي البار :

«ليست العبرة بكثرة الأدوية، فإن أغلبها سموم.. وإنما العبرة بمعرفة الداءِ أولاً وإعطاء ما يضاده من دواءٍ... وكلما كان الدواء بسيطًا كان ذلك أفضل للمريض والطبيب على السواء.. وقد صارت الأمراض الناتجة عن استعمالات الدواء من الكثرة بحيث أصبحت فرعًا من فروع الطب، وتندرج تحت اسم (Idyroehic) أي الأمراض الناتجة عن المعالجة والتطبيب، سواء كان ذلك بالأدوية أم بالجراحة أم بغيرها من الأشعات والموجات تحت الحمراء وأشعة اكس.. والأصوات غير المسموعة والتراسونيك... ومثل العلاج بالذرة والمواد المشعة التي تستخدم في التشخيص وفي العلاج على السواء»[1].

فعلى الأطباء المسلمين والهيئات العلمية الطبية في بلاد الإسلام الاهتمام باكتشاف الأدوية المأمونة الجانب، والتي يمكن الحصول عليها بحيث يمكن الانتفاع بها والسلامة من مضاداتها، وبحيث يكون مأمونًا وصولها إلى المسلمين في جميع الأزمات والظروف التي قد تمر بهم.

---

(١) هل هناك طب نبوي، للدكتور/ محمد علي البار، ص٩٣، ط الدار السعودية للنشر والتوزيع.

باب السعوط بالقسط الهندي والبحري[1]

٧- عن أم قيس[2] بنت مِحْصَن قالت : «سمعت النبيﷺيقول : عليكم بهذا العود الهنديُ فإنَّ فيه سبعةُ أشفية : يُسْتَعطُ به مِنَ العُذْرَةِ، ويُلَدُّ به مِنْ ذات الجُنُبِ»[3].

رقم الحديث : [٥٦٩٢].

وفي رواية : «أنها أَتَتْ رَسُولَ الله بابن لَهَا وقَدْ علَّقَتْ عَلَيه مِنَ العذْرَة فقَال : اتقوا اللَّهَ، عَلاَمَ تَدْغَرُونَ أَوْلادكُنْ بِهَذه الأَعْلاقِ؟ عليكُمْ بِهَذا العُودِ الهِنْدِي فإنَّ فيه سَبْعَةَ أَشْفيَةٍ، مِنْهَا ذَاتُ الجُنبِ» .

طرف رقم : [٥٧١٨].

---

(١) أي : هذا باب في بيان حكم السعوط، عمدة القاري، ١٤/ ٦٨.

(٢) أم قيس بنت محصن الأسدية أخت عكاشة بن محصن، ممن أسلم قديماً بمكة وبايعت وهاجرت، روت عن رسول الله ﷺ، وروى عنها عبدُ الله بن عبد الله بن عيينة أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام... الحديث أخرجاه في الصحيحين، وروى عنها آخرون. طال عمرها بسبب بركة دعوة رسول ﷺ لها في موقف ذهلت به تعجب منه رسول الله ﷺ يروي لنا مولى أم قيس عن أم قيس قالت : توفي ابن لي فجزعتُ فقلتُ للذي يغسله : لا تغسلْ ابني بالماء البارد فتقتله، فذكر ذلك عكاشة للنبي ﷺ فقال : مالها طال عمرها؟ فلا نعلم امرأةً عُمِّرَتْ ما عُمِّرَتْ رضي الله عنها.
انظر : الإصابة ١٣/ ٢٦٩.

(٣) أطرافه في الصحيح، باب اللدود، حديث رقم ٥٧١٣.

غريب الحديث :

العود الهندي : العود : الخشبة المصراة يدخن بها ويستجمر، غلب عليها الاسم لكرمه كما في الحديث.

قيل : هو القسط البحري. وقيل : هو العود الذي يتبخر به[1].

وقد ذكر الدكتور/ محمود النسيمي : «أن القسط قطع خشبية من جذور نبات القسط الذي يعيش في شبه القارة الهندية، وخاصة في كشمير وبلاد الصين، منه ما يكون أبيض، ومنه ماهو بلون أسود، يحضرهما التجار قديمًا إلى الجزيرة العربية عن طريق البحر، ولذا كان يسمى القسط البحري، كما كان يسمى القسط الهندي، وقد يسمى بالعود الهندي قطع النبات العطري الذي يتخذ في البخور مع أنهما مختلفان في الرائحة والخواص».

وتسميته في الأحاديث النبوية بالقسط الهندي أو البحري أو العود الهندي تشير إلى أن العرب كانت تعرفه قبل الإسلام، كما يفيد ذلك قولهﷺ«إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري»[2].

يستعط : يقال : سَعَطْتُهُ وأَسْعَطْتُه فاسْتَعَطَ، والاسم السعوط بالفتح وهو ما يجعل من الدواء في الأنف[3].

---

(1) لسان العرب ٣١٦/٣ مادة [عود]، وانظر : النهاية في غريب الحديث ٣١٧/٣.

(2) جزء من حديث صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الحجامة من الداء، ص١١١٨، ومسلم بنحوه كتاب المساقاه، باب حل اجره الحجامة، ص٦٤٣.

(3) لسان العرب ٣٦٨/٢، مادة [سعط]، وانظر فتح البلى ١٤٧/١٠.

العذرة : والعاذور : داءٌ في الحلق، ورجل معذور : أصابه ذلك، والعذرة : وجع الحلق من الدم، وذلك الموضع يسمى عُذرة، وهو قريب من اللهاة[1].

وجاء في تهذيب اللغة للأزهري : العذرة وجعٌ في الحلق، يقال منه : رجل معذور[2].

يلد : اللدود ما يصب بالمسعط من السقي والدواء في أحد شقي الفم فيمرر على اللديد[3]..

وفي المشوف المعلم : اللدود : الدواء الذي يسقى في أحد شقي الفم[4].

ذات الجنب : هي قرحة تصيب الإنسانَ داخلَ جنبه، وهي علة صعبة تأخذُ في الجنبِ[5].

وجاء في النهاية : ذات الجنب : هي الدُّبيْلَة والدمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب،

---

(١) لسان العرب ٤/٥٥٢، مادة [عذر]، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/١٩٨، وقد ذكر الدكتور/ الكيلاني أن العذرة وجع الحلق، وهو التهاب اللوزتين غالبًا، الحقائق الطبية في الإسلام، ص٣٥٨.

(٢) تهذيب اللغة ٢/٣١٠، مادة [عذر].
قال الذهبي في الطب النبوي : العذرة : وجعٌ في الحلق، وقيل : العذرة دم يهج في حلق الإنسانَ وتتأذى منه اللحمتان اللتان تسميهما الأطباء اللوزتين في أعلى الحلق على فم الحلقوم، والنساء تسميها ببنات الأذن يعالجنها بالأصابع لترتفع إلى مكانها. نقلاً عن : الطب النبوي والعلم الحديث، ٣/٢٧٠.

(٣) لسان العرب ٣/٣٩٠، مادة [لدد]، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/٢٤٥، تهذيب اللغة ١٤/٦٧ مادة [لدد].

(٤) المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم ٢/٦٩٦.

(٥) لسان العرب ١/٢٨١، مادة [جنب].

وتنفجر إلى داخل، وقلّما يسلم صاحبُها[1].

قال الأزهري : ذات الجنب : علةٌ صعبةٌ تأخذُ في الجنب[2]..

تدغرن : الدغر : أن ترفع المرأة ذلك الموضع بأصبعها[3].

الموضوع الدعوي

بين لنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث العلاج المناسب لمرض الحلق الذي يصيب الأطفال في الصغر، ويطلق عليه العذرة، وهو وجع في الحلق، وقد رأى عليه الصلاة والسلام خطأ بعض الأمهات في علاج هذا المرض والمبالغة فيه من الدغر للطفل، فنهى عن ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام : «عَلَامَ تَدْغَرُونَ أَوْلَادَكُنَّ بِهَذِهِ الأَعْلَاقِ ؟ عليكم بهذا العود الهنديِّ فَإِنَّ فيه سبعةَ أشفية : يُسْتَعَطُ بِهِ مِنَ العُذْرَةِ، وَيُلَدُّ بِهِ مِنْ ذَاتِ الجُنُبِ».

ولعل تسمية هذا المرض بالعذرة تعود إلى أنه ربما «ينتشر بين الأطفال عند طلوع العذرة، وهي خمسة كواكب تحت الشعرى العبور، ويقال لها ايضاً العذارى، وطلوعها يقع وسط الحر»[4]

---

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٠٢/١-٣٠٤.

(2) تهذيب اللغة ١٢٢/١١ مادة [جنب].

(3) غريب الحديث للهروي ١٥٣/١، وانظر : أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي ٣/ ٢١٢٤.

(4) فتح الباري ١٤٩/١٠.

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : «عليكم بهذا العود الهنديّ» إحالة منهﷺ للامهات على استعمال العود الهندي الطيب الرائحة.

قال القرطبي -رحمه الله تعالى- : «ثم بين لهن كيفية العلاج به بقوله : «يُسْتَعطُ بِهِ مِنَ العُذْرَةِ» أي يدق ناعمًا ويسعط في الأنف، وهذا يفيد أنه يستعمل وحده ولا يضاف إلى غيره»[1].

وكذلك ما يصيب الإنسان في جنبه، وهو علة صعبة تأخذ في الجنب فتقضي على صاحبها، فأمر -عليه الصلاة والسلام- بفعل السبب بعلاج هذا بالعود الهندي. وهل يُلدّ به منفردًا مدقوقًا أو مع غيره؟ يسأل عن الأنفع من ذلك أهلُ الخبرة من المسلمين ممن جرب ذلك، أو تُباشَرُ تجربتُه؛ إذ لابد من نفعه في ذلك المرض؛ لأن النبيﷺ لا يقول إلا حقًا.[2]

وقد أنكر بعض الأطباء نفعَ هذا الدواء الذي وصفه النبيﷺ من وجع ذات الجنب جهلاً منهم، ورد هذا القول الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- حيث قال : «وقد خفي على جهال الأطباء نفعُه من وجع ذات الجنب فأنكروه، ولو ظفر هذا الجاهلُ بهذا النقلِ عن جالينوس نزّله منزلة النص، كيف وقد نص كثيرٌ من الأطباء المتقدمين على أن القسط يصلح للنوع البلغمي من ذات الجنب، ذكره الخطابي عن محمد بن الجهم... وإن طبَّ الأطباء بالنسبة إلى طب الأنبياء أقلُ من نسبة طب الطرقية والعجائز إلى طب الأطباء، وإن بين ما يلقى بالوحي وما يلقى بالتجربة والقياس من الفرق أعظمَ مما بين الفدم

---

(1) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦٠٣/٥.

(2) المرجع السابق.

والقرم».[1]

إن الأخذ بهدي النبي ﷺ أمرٌ واجبٌ، والضرب بأقوال المشككين عرض الحائط شيءٌ محتمٌ، ومن أخذ بهذا العلاج ممتثلاً أمرَ نبيِّه محمدٍ ﷺ فقد وفق لأمرين :

أولهما : التصديق بما جاء به النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

ثانيهما : الشفاء بإذن الله من هذا المرض؛ لأنه أخذه مؤمنًا بربه، مصدقًا بنبيِّه محمدٍ عليه الصلاة والسلام.

الفوائد الدعوية :

أولاً : فائدة العود الهندي في علاج العذرة وذات الجنب.

ثانيًا : أن ذكر سبعة الأشفية لا يراد منها الحصر.

ثالثًا : رحمة رسول الله ﷺ بأطفال الأمة وعطفه عليهم.

رابعًا : فضل الأخذ بوصف نبينا محمدٍ ﷺ في العلاج من الامراض.

---

(1) الطب النبوي لابن القيم الجوزية، ص٢٧٤، مراجعة عبد الغني عبد الخالق، وانظر أعلام الحديث للخطابي ٣/١٢٢.
و[بين الفدم والقرم] أي بين العي الثقيل والسيد الجليل.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : فائدة العود الهندي في علاج العذرة وذات الجنب .

ذكر العلماء عدداً من الفوائد لهذا العود الهندي، من ذلك ما ذكره ابن القيم حيث قال : «القسط والكست بمعنى واحد، والقسط ضربان :

أحدهما : الأبيض الذي يقال له البحري.

والآخر : هندي وهو أشدهما حراً.

والأبيض ألينهما، ومنافعهما كثيرة جداً، وهما حاران يابسان في الثالثة : ينشفان البلغم، قاطعان للزكام، وإذا شربا نفعا من ضعف الكبد والمعدة ومن بردهما، ومن حُمَّى الدَّوْر والرِّبْع، وقطعا وجع الجنب ونفعا من السموم، وإذا طلي به الوجه معجونا بالماء والعسل قلع الكلف.

وقال جاليوس : «ينفع من الكُزَاز ووجع الجنبين، ويقتل حب القرع».[1]

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- : وقد ذكر الأطباء من منافع القسط أنه يدرُّ الطمث والبول، ويقتل ديدان الأمعاء، ويدفع السم وحمى الربع والورد ويسخن

---

(1) الطب النبوي لابن القيم الجوزية، ص ٢٧٤.
حب القرع : أي الدورة الوحيدة.
وحمى الدَّور والرِّبع : هي الملاريا.
انظر : الحقائق الطبية في الإسلام، للدكتور/ عبد الرزاق الكيلاني، ص٣٥٨، ط دار القلم، دمشق.

المعدة، ويحرك شهوة الجماع، ويذهب الكلف طلاءً». [١]

وقد ذكر الدكتور الكيلاني فوائد العود الهندي فقال : «القسط الهندي نبات يؤتى به من الهند ومن كشمير خاصة، تستعمل منه الجذور، وفيها مواد قابضة تقبض الأنسجة الملتهبة المتورمة، لذلك نصح النبيﷺباستعماله في التهابات الحلق واللهاة واللوزتين تقطيراً في الأنف بعد مرثه بالماء، وفي جذوره موادٌ حارةٌ أيضا؛ لذلك يستعمل- بعد نقعه في الزيت- في الآلام العصبية والعضلية... وفي ذات الجنب، وهي ذات الجنب الرثوية (الروماتيزمية) غالبًا التي تنشأ عن البرد، ويستعمل طلاءً كما يمكن استعمالُه شربًا بعد استحلاب مسحوق جذوره في الماء»[٢].

وذكر الكحال بن طرقان طريقة المعالجة بالقسط للألم الجانبي فقال : يدق القسط ناعماً، ويخلط بالزيت المسخن، ويدلك به مكان الريح ويلعق»[٣].

وقد ذكر داود الانطاكي في تذكرته «أن القسط يفيد من ضيق النفس والربو المزمن وأوجاع الصدر، وأنه يقطع الصداع العتيق شرابًا وسعوطًا ودهنًا بالسمن»[٤].

ومما ينبغي التنبيه عليه أن القسط الهندي المراد بالحديث غير القسط الأبيض المعروف بالقسط الشامي.

---

(١) فتح الباري ١٠/١٤٨، وانظر : عون الباري ٥/٢٤٢.

(٢) الحقائق الطبية، ص ٣٥٩.

(٣) الطب النبوي والعلم الحديث، الدكتور محمد ناظم النسيمي ط مؤسسة الرسالة بيروت ٣/ ٢٧٤.

(٤) المرجع السابق، ص٢٧٤.

وقد ذكر الدكتور/ أحمد الرشيدي : «أن القسط يسمى باللسان النباتي الأوربي (قسطوس) وقد ذكروا لهذا الجنس نحوا من خمسة عشر نوعًا، والنوع الأصلي لهذا الجنس هو قسطوس سبسيوزوس أي الجميل ومأواه الهند.

ومن أنواع هذا الجنس ما سماه ليونوس : قسطوس عربيكا أي القسط العربي.

وقال ميره أحد الأطباء : فالمظنون أن قسط المتقدمين ليس هو القسط المعروف الآن عندنا، ثم نقل ميره عن ديسقوريدس أن القسط ثلاثة أنواع : عربي وهو أبيض، وهندي وهو أسود، وشامي وهو كلون البقس، قال : وهذا هو القسط المعروف عندنا»[1].

---

(1) انظر : الطب النبوي والعلم الحديث نقلاً عن الدكتور/ أحمد الرشيدي ٣/٢٦٧.
وللفائدة نذكر ما نقله الدكتور/ النسيمي عن الدكتور/ أحمد الرشيدي عن الأنواع الثلاثة
حيث قال : «ثم قال الدكتور رشيدي : ذكر أطباؤنا هذه الأنواع الثلاثة فقالوا : القسط ثلاثة
أصناف :
صنف ضعيف عطري ويسمى العربي البحري، وصنف أسود خفيف غليظ قليل العطر
ويسمى الهندي، وصنف أخر ثقيل يشبه خشب البقس ورائحته ساطعة وهو الشامي.
وقال ميره : وإذا جرينا على كلام المؤلفين نسبنا الجذر الذي يسمى الآن عندنا بالقسط
العربي للقسط الجميل الذي صوره ربيد، وذكر أن قسطه أبيض فطري مائي عذب الطعم،
يقرب قليلاً لرائحة الزنجبيل. قال : وهذا الشرح يوافق جيداً القسط الحلو المسمى قسطوس
درليس الذي هو القسط الهندي الحقيقي عند القدماء (قسطوس اندرس).
وقال الدكتور/ رشيدي : وأما ما يوجد الآن في المتجر ويسمى بالقسط المر فليس هو القسط
الذي شرحناه، والذي صار نادر الوجود أ.هـ].
ويعرف القسط بالرندة كما في كتاب منهاج الدكان].
انظر : الطب النبوي والعلم الحديث ٣/٢٦٨.

ثانيًا: أن ذكر سبعة الأشفية لا يراد منها الحصر.

بين لنا رسول اللهﷺفي هذا الحديث أن العود الهندي فيه سبعة أشفية، وذكر -عليه الصلاة والسلام- أنه يستشفى به من العذرة وذات الجنب، فاقتصر على هذين النوعين من المرض، وللعلماء أقوال في سبب اقتصارهﷺعلى النوعين.

قال الحافظ ابن حجر: «وقع الاقتصار في الحديث من السبعة على اثنين، فإما أن يكون ذكر السبعة فاختصره الراوي، أو اقتصر على الإثنين لوجودهما حينئذٍ دون غيرهما....

وأجاب بعض الشراح بأن السبعة علمت بالوحي، وما زاد عليها بالتجربة؛ فاقتصر على ماهو بالوحي لتحققه، وقيل: ذكر ما يحتاج إليه دون غيره لأنه لم يبعث بتفاصيل ذلك.

قلت -الكلام للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى-: ويحتمل أن تكون السبعة أصول صفة التداوي بها؛ لأنها إما طلاء أو شرب أو تكميد أوتنطيل أو تبخير أو سعوط أو لدود، فالطلاء يدخل في المراهم ويحلى بالزيت ويلطخ، وكذا التكميد، والشرب يسحق ويُجعل في عسل أو ماء أو غيرهما، وكذا التنطيل والسعوط يسحق في الزيت ويُقطَر في الأنف، وكذا الدهن والتبخير واضح، وتحت كل واحدة من السبعة منافع

لأدواء مختلفة، ولا يستغرب ذلك ممن أوتي جوامع الكلم»[1].

وفي العلم الحديث عن القسط الهندي ذكر الدكتور/ الكيلاني «أن القسط فيه زيت طيار ومادة الاينولين ومادة الهدلين المطهرة، ولمعالجة الجرب يصنع مرهم من ٢٠ /غ من مسحوق الجذور مع ١٠ /غ من الدهن أو الشحم، ويطلى به الجسم، وتغسل الجروح بمطلي مسحوق الجذور، ويشرب فنجان من مستحلب الجذور (٣ /غ من الجذور) في فنجان كبير من الماء أثناء النهار، وهو يسهل التقشع، ومهضم ومقو للدم، ومدر للبول والطمث»[2].

والذي يظهر أن العلاج بالعود الهندي المذكور في هذا الحديث له فوائده الكثيرة التي لازال علم الطب يكتشفها بين يوم وآخر، والدليل على ذلك ما ذكره الأطباء في القديم من منافع هذا العود الهندي، فذكروا أكثر من سبعة أنواع من المرض، ولعل في ذكر سبعة أشفية التكثير للأدوية النافعة من القسط البحري، وهي فرصة للأطباء المسلمين بأن يهتموا بهذا التوجيه النبوي ليكتشفوا أسراراً عظيمة من الأدوية.

ثالثاً: رحمة رسول الله ﷺ بأطفال الأمة وعطفه عليهم.

في حديث الباب يتبين لنا رحمة الرسول ﷺ بالأطفال واهتمامه بهم صحياً، مع العطف عليهم وعدم إيذائهم عند العلاج، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لأم قيس:

---

(١) فتح الباري ١٠/١٤٨-١٤٩، وانظر: عون الباري ٥/٢٤٢، وارشاد الساري ١٢/٤٢٢

(٢) الحقائق الطبية للدكتور/ الكيلاني، ص٣٥٨-٣٥٩، نقلاً عن كتاب التداوي بالأعشاب للدكتور/ أمين رويحة.

«اتقوا اللَّهَ، عَلاَمَ تُدْغَرُونَ أَوْلاَدكُن بِهَذِهِ الأَعْلاقِ؟».

قال الطيبي: «وتوجيهه أن في الكلام معنى الإنكار، أي على أي شيء تعالجن بهذا الداء الداهية والمداواة الشنيعة»[1].

وقد كانﷺ مثالاً في رحمة الأطفال والاهتمام بهم والعطف عليهم، تشهد بذلك أحاديث كثيرة رواها الصحابة الثقات، ومن رحمته عليه الصلاة والسلام بالأطفال تخفيفهﷺ الصلاة عند سماع بكاء الصبي، فعن قتادة -رضي الله عنه- قال: قال رسول اللهﷺ: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي؛ فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»[2].

فعلى الدعاة إلى الله الأخذُ بهذا الهدي النبوي من العطف على الأطفال والشفقة عليهم.

رابعًا: فضل الأخذ بوصف نبينا محمدﷺ في العلاج من المرض.

إن مما ينبغي أن يحرص عليه الدعاة والمدعوون على حدّ السواء الأخذ بالتوجيه النبوي في كل صغيرة وكبيرة، وما أحسن أن يبحث الداعية والمدعوون العلاج من المرض من التوجيهات الصادرة عن خاتم الأنبياء والمرسلين قبل أن يتجهوا إلى أي نوع من أنواع العلاجات، أو أخذ العلاج من وصف الأطباء قديمًا أو حديثًا.

---

(1) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود ٢٥٨/١٠، ط دار الكتب العلمية.

(2) صحيح البخاري كتاب الاذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ص٧٠٩.

ويجدر بالمدعوين أن يربوا أنفسهم على ذلك؛ فإن المسلم يجد الراحة النفسية وهو يتلقى العلاج الرباني من قراءة للقرآن، ودعاء عند المرض والقلق، ومن تناول لأدوية بينها الذي لا ينطق عن الهوى محمد ﷺ.

بـاب الجُـذَام[1]

٨- عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِي اَللَّهُ عَنْهُ قَال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَلا هَامَةَ وَلا صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»[2].

رقم الحديث : [٥٧٠٧].

وفي رواية : قال «لا عدوى، ولا صفر ولا هامة، فقال أعرابي : يا رسول الله، فمال ابلي تكون في الرّمل كأنها الظِباءُ، فيأتي البعيرُ الأجرب فيدخل بينها فيجربها فقال : «فمن أعدى الأول».

طرف رقم : [٥٧١٧].

وفي رواية : «أن رسول الله ﷺ قال : «لا عدوى» فقام أعرابي فقال : أريت الإبل في الرمال أمثال الظباء فيأتيها البعيرُ الأجرب فتجرب. قال النبي ﷺ «فمن أعدى الأول».

طرف رقم [٥٧٧٥].

---

(١) اي: هذا باب في ذكر الجذام وانه يفرُ من الذي به الجذام عمدة القاري ٦٩٢/١٤ .

(٢) مطابقة الحديث للترجمة في قوله: فرّ من المجذوم» المصدر السابق. وأطراف الحديث في صحيح البخاري : الأول : في كتاب الطب، باب لا صفرَ، وهو داءٌ يأخذُ البطنَ. رقم الحديث ٥٧١٧، الثاني : باب لا هامةَ، رقم الحديث ٥٧٥٧، والثالث : باب لا هامةَ، رقم الحديث ٥٧٧٠. الرابع : باب لا عدْوَى، رقم الحديث ٥٧٧٥.
وأخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام، باب لا عدْوَى ولا طيَرَةَ ولا هَامَةَ ولا صَفَر ولا نَوءَ ولا غُولَ ولا يُورَدُ مُمَرضٌ عَلَى مُصحٍ، رقم الحديث ٢٢٢٠.

غريب الحديث :

لا عدْوَى : العدوى اسم من الإعداء كالرعوى والبقوى من الإرعاء والإبقاء.

والعدوى : أن يكون ببعير جرب مثلاً فتُتَقَى مخالطتُه ببعير أخر حذار من أن يتعدى مابه من الجرب إليها فيصيبها ما أصابه، وقد أبطلها الإسلام[1]

قال الأزهري : العدوى : أن يكون ببعير جرب أو بإنسان جذام أو برص فتتقي مخالطتَه أو مؤاكلتَه حذار أن يعدوه مابه إليك اي يجاوزه فيصيبك ما أصابه[2].

طيرة : الطيَرة من اطيَّرْت وتطيَرت، قال الجوهري : تطيَّرْت من الشيء وبالشيء، والاسم منه الطِّيَرَة بكسر الطاء وفتح الياء، مثال العنَبَة، وقد تسكن الياءُ، وهو ما يتشاءم به من الفأل الرديء[3].

وفي النهاية قال : الطِّيَرَة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن : هي التشاؤم بالشيء، وهو مصدر تطيَّر، يقال : تطيَّر طِيَرَةً، وتَخَيَّر خِيَرَةً، ولم يجيء من المصادر هكذا غيرهما.

وأصله -فيما يقال- التطير بالسوانح والبوارح من الطَّيْر والظِّباء وغيرهما، وكان ذلك يصدَهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع، وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له

---

(١) لسان العرب ٣٩/١٥، مادة [عدو]، ط دار صادر. وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ١٩٢، ط المكتبة العلمية، بيروت.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ١١٤/٣، مادة [عدو]، ط الدار المصرية للتاليف والترجمة.

(٣) لسان العرب ٥١٢/٤، مادة [طير]، وانظر : تهذيب اللغة ١٣/١٤، مادة [طير].

تأثير في جلب نفعٍ أو دفع ضرٍ[1].

هامة : الهامة أعلى الرأس وفيه الناصية والقُصة، وهما ما أقبل على الجبهة من شعر الرأس وفيه المفرق، وهو فرق الرأس بين الجبينين إلى الدائرة، وكانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامةً فتزقوا عند قبره تقول : اسقُوني اسقُوني ! فإذا أدرك بثأره طارت»[2].

وفي النهاية : الهامة : الرأس، واسم طائر وهو المراد في الحديث؛ وذلك أنهم يتشاءمون بها، وهي من طير الليل، وقيل : هي البومة،

وقيل : روحه تصير هامة فتطير، ويسمونه الصدى، فنفاه الإسلام ونهاهم عنه[3].

صفر : الصفر : هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب، فأبطل النبي ﷺ أنها تعدي[4]

وفي النهاية : المراد به النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية، وهو تأخير المحرَّم إلى صفر، ويجعلون صفر هو الشهر الحرام، فأبطله[5].

---

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر ١٥٢/٣.

(2) لسان العرب ٦٢٤/١٢، مادة [هوم]، وانظر : تهذيب اللغة ٤٦٩/٦ مادة [هوم].

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٨٣/٥، وانظر : غريب الحديث للهروي ١٥٠/١.

(4) لسان العرب ٤٦٣/٤، مادة [صفر].

(5) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٥/٣، وانظر : غريب الحديث للهروي ١٥١/١.

المجذوم : الجُذَام من الداء معروف لتجذُّم الأصابع وتقطعها[1].

الموضوع الدعوي

لقد اهتم -عليه الصلاة والسلام- بحماية جناب التوحيد، وحذر أصحابه من الوقوع في قوادح العقيدة وإحياء ما كان يفعله أهل الجاهلية، ففي هذا الحديث يبين لنا رسول الله ﷺ المعتقد الفاسد الذي كانت الجاهلية تعتقده من أن الأمراض تعدي بطبعها، فأبطل النبي ﷺ هذا المعتقد الجاهلي فقال : «لا عَدْوَى» أي لا يعدي المرض بطبعه، وإنما ينتقل المرض من جسم لآخر بإذن الله تعالى وبمشيئته، وقد جاء ﷺ برسالته ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الخوف من غير الله إلى الخوف من الواحد القهار، والتوكل عليه؛ ليكون المجتمع الإسلامي قويًا إيمانه بربه، فقد نفى رسول الله ﷺ الأمور المخلة بالعقيدة الإسلامية التي قد تؤدي بالإنسان إلى الشرك، فحذر عليه الصلاة والسلام من الطيرة والهامة والتشاؤم بالصفر.

واهتم علماء الإسلام بتربية المسلمين على عقيدة الإسلام التي لا يشوبها ضعف أو خلل.

وقد بوب الإمامُ محمدُ بن عبد الوهاب رحمه الله بابًا في كتاب التوحيد بعنوان: باب ما جاء في التطير، ذكر فيه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحذر من التطير وغيره، ومنها هذا الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه.

---

(1) لسان العرب ١٢/٨٧، مادة [جذم].

قال الشيخ سعيد الجندول في الدر النضيد على كتاب التوحيد[1]: هدف الشيخ رحمه الله تعالى في هذا الباب هو «إبطال العقيدة القائمة على أن شيئًا من مخلوقات الله يستطيع أن يجلب خيراً للإنسان أو يدفع عنه شراً دون إرادةٍ من الله، وأن ما يعتقده الناس قديمًا وحديثًا من أن للتطير أو الأيام أو الشهور دخلاً في السعادة أو الشقاء إنما هو خرافة أبطلها الإسلام لمنافاته للتوحيد».

إن الدعوة إلى الله تعالى تنطلق من قاعدة صلبة، حيث يتربى أصحابُها على عقيدة التوحيد السليمة من الشوائب، الحريصة على سدِّ أبواب الشرك والطرق الموصلة إليه، «فتطمئن بها قلوبُهم، وتسكن نفوسُهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله، ونزل بها كتبه، وخلق لأجلها السموات والأرض، وعمر بسببها الدارين الجنة والنار، فقطع ﷺ الشرك من نفوسهم لئلا يبقى فيها علق، ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار البتة»[2].

وكلما كان المجتمع متمسكًا بعقيدته الإسلامية الصحيحة كلما كان سليما من الوساوس والأوهام التي تجعله يتردد في تصرفاته في هذه الحياة، وينطلق مؤمنًا بربه متوكلاً عليه، عالمًا بأن النافع والضار هو الله، وأنه على كل شيء قدير، يسير على منهج الدعوة النبوية ممتثلاً قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[3].

---

(1) الدر النضيد على كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، شرح وتعليق الشيخ سعيد الجندول، ص١٧٨، ط الثالثة، تقديم معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله تعالى.

(2) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب، ص٤٢٧، ط المكتب الإسلامي.

(3) يوسف: ١٠٨.

الفوائد الدعوية :

أولاً : النهي عن الطيرة وأنها من أعمال الجاهلية.

ثانيًا : النهي عن التشاؤم بصفر.

ثالثًا : إهتمام الإسلام بالطب الوقائي.

رابعًا : حرص الداعية على سلامة المدعوين والشفقة عليهم.

خامسًا : تربية المدعوين على العقيدة الصحيحة.

سادسًا : وجوب التوكل على الله حق التوكل، والأخذ بالأسباب المبعدة عن الأوهام.

سابعًا : الفصاحة والبلاغة في التبليغ أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

ثامنًا : نفي العدوى التي كانت تعتقدها الجاهلية.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً: النهي عن الطيرة وأنها من أعمال الجاهلية .

لقد كان العرب قبل الإسلام يتشاءمون بالطير عند السفر، حيث يزجرون الطير فإن ذهب يمينًا تفاءلوا، وإن اتجه شمالاً تشاءموا ورجعوا عما يريدون عمله من سفر وغيره اعتقاداً منهم أنه شرٌ، وهو ما يسمى عندهم بالسوانح والبوارح، فأتى الإسلام وأبطل هذا المعتقد، وبين أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر، وكان من هديه عليه

الصلاة والسلام عدم التطير، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : سمعت النبيﷺ يقول : «لا طيرة وخيرها الفأل»، قالوا : وما الفأل؟ قال : «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»[1].

وروى أبو داود عن بريدة أن النبي ﷺ «كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به ورُئِيَ بشرُ ذلك في وجهه، وإن كره اسمه ورُئِيَ كراهيةُ ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها، فإن أعجبه اسمها فرح بها ورُئِيَ بشرُ ذلك في وجهه، وإن كره اسمها ورُئِيَ كراهيةُ ذلك في وجهه» .[2]

وكان يعجبه عليه الصلاة والسلام الفأل لأنه تنشرح له النفس وتبشر بالخير، ويكره الطيرة لأنها من أعمال أهل الشرك، فقد روى أبو داود عن عبد الله بن مسعود عن النبيﷺ أنه قال : «الطيرة شرك، الطيرة شرك -ثلاثًا- ومامنّا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل»[3].

قال الإمام القرطبي : «أي من اعتقد في الطيرة ما كانت الجاهلية تعتقده فيها فقد أشرك مع الله تعالى خالقًا آخر، ومن لم يعتقد ذلك فقد تشبه بأهل الشرك، ولذلك قال : «ومامنّا» أي : ليس على سنتنا، وقوله : «إلا» هي «إلا» الاستثنائية، ومعنى ذلك أن المتطير ليس على سنة النبيﷺ إلا أن يمضي لوجهه ويعرض عنها، غير أنه لا يقدر على

---

(1) صحيح البخاري كتاب الطب، باب الطيرة، ص١١٢٧، ومسلم بلفظه كتاب السلام، باب الطيرة والفال وما يكون فيه من الشؤم، ص٩١٤.

(2) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الطيرة، ص٥٧٧.

(3) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الطيرة، ص٥٩٦.

الانفكاك عنها بحيث لا تخطر له مرة واحدة، فإن إزالة تأثيرها من النفوس لا تدخل تحت استطاعتنا؛ ولذلك قال النبي ﷺ في حديث معاوية بن الحكم لما قال له: ومن رجال يتطيرون فقال: «ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدُّهم»[1]. وفي بعض النسخ «فلا يضرهم»، لكنه إذا صح تفويضه إلى الله تعالى وتوكله عليه وداوم على ذلك، أذهب الله تعالى ذلك عنه؛ ولذلك قال: «لكن الله يذهبه بالتوكل»[2].

فعلى الداعية أن يحرص على تحذير المدعوين من هذا المعتقد الباطل، ومن التشاؤم والتطير من أي شيء، وأن يعتقد أن النافع والضار هو الله وحده لاشريك له، وأن الله - جلَّ وعلا- لا يقبل عملاً أشرك فيه معه غيرُه كما قال تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾[3].

ثانيًا: النهي عن التشاؤم بصفر.

اختلف العلماء في المراد بصفر في هذا الحديث، هل هو شهر صفر أم غيره، وقد ذهب البخاري إلى أن الصفر داء يأخذ البطن، ذكر ذلك في ترجمته الباب بباب لا صفر، وعلل الحافظ ابن حجر ذلك بأن مراده بنفي الصفر: ما كانوا يعتقدونه فيه من العدوى، ورجح هذا لكونه قرن الحديث بالعدوى، وكذلك رجح الطبري هذا القول، واستشهد له بقول الأعشى:

---

(1) سنن أبي داود، وهو جزء من حديث في كتاب الصلاة باب تشميت العاطس في الصلاة، ص١٤٨، وأحمد في مسنده بنحوه ٤٤٧/٥.

(2) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام القرطبي ٦٢٨/٥.

(3) الكهف: ١١٠.

.... × × × ولايعض على شُرْسُوفه الصفر

والشرسوف بضم المعجمة وسكون الراء ثم مهملة ثم فاء : الضلع، والصفر : دود يكون في الجوف، فربما عض الضلع أو الكبد فقتل صاحبه.

وقيل : المراد بالصفر الحية، لكن المراد بالنفي نفي ما كانوا يعتقدون أن من أصابه قتله، فرد ذلك الشارع بأن الموت لا يكون إلا إذا فرغ الأجل»[1].

قال الإمام القرطبي : الصفر : تأخير المحرم إلى صفر، وهو النسيء الذي كانوا يفعلونه، وإلى هذا ذهب مالكٌ وأبو عبيدة.

وقيل : هو دودٌ في البطن يهيج عند الجوع، كانت تراها أعدى من الجرب، وأنشدوا :

لا يتـــرأى لما في القـــدر يرقِبـــه ولا يعضِ على شِـرسـوفــه الصــفــر

وإلى هذا ذهب مطرِّف، وابن وهب، وابن حبيب، وهو اختيار أبي عبيد»[2].

وقيل : إن المراد بالصفر شهر صفر، وذلك أن العرب كانت تحرم صفر وتستحل المحرم، فجاء الإسلام برد ما يفعلونه من ذلك، فقال ﷺ : «لا صَفَر»[3].

وفي سنن أبي داود عن محمد بن راشد : أنهم كانوا يتشاءمون بدخول صفر، أي :

---

(1) فتح الباري ١٠/١٧١.

(2) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام القرطبي ٥/٦٢٢، وانظر : عمدة القاري ١٤/ ٦٩٣.

(3) فتح الباري ١٠/١٧١، وانظر : عون المعبود ١٠/٢٩٣.

لما يتوهمون أن فيه تكثر الدواهي والفتن[1].

والذي يظهر لى من خلال ما ذكره العلماء في تفسير معنى الصفر -والله تعالى أعلم- أن النهي يشمل الجميع على حدّ سواء؛ لما في ذلك من خللٍ في عقيدة المسلمين، ولهذا حذر منه الرسول ﷺ.

ثالثًا: اهتمام الإسلام بالطب الوقائي.

إن للداعية إلى الله أثراً عظيماً بعد توفيق الله في توعية المدعوين صحيًا للأخذ بأسباب السلامة، وبيان أن الإسلام يحرص على الوقاية من الأمراض قبل وقوعها كمرض الطاعون والجذام وغيرهما من الأمراض - نسأل الله السلامة منها-، وفي توجيه المدعوين بهذا الأمر حثٌ لهم على الأخذ بالأسباب الواقية من الشر.

قال في فتح المجيد: والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية، فكما يؤمر أن لا يلقي بنفسه في الماء أو في النار مما جرت العادة أنه يهلك أو يضر، فكذلك اجتناب مقاربة المريض والقدوم على بلد الطاعون، فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف، والله سبحانه هو خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره، ولا مقدر غيره»[2].

وقد ذكر الدكتور محمد علي البار أن الجذام نوعان: نوع معدٍ وهو المعروف

---

(1) عون الباري ٥/٢٤٧.

(2) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٢٤٦ دار المسلم للنشر والتوزيع توزيع مؤسسة الحرمين الخيرية.

بالجذام ذي الورم الجذامي، وهو الذي أمر عليه الصلاة والسلام بالفرار منه كما تفر من الأسد، ونوع درني نادر العدوى»[1].

وقد «اهتم عليه الصلاة والسلام اهتمامًا بالغًا بطرق الوقاية من الأمراض، وبتقوية النفوس والأبدان، ويشمل ذلك كثيراً من الطرق والأساليب والأسباب، فالنظافة وقاية، والرياضة وقاية، وعدم الدخول إلى مناطق الأوبئة والأمراض وقاية»[2].

وفي تدبر الآيات القرآنية نجد أن الله جلَّ وعلا حرَّم الخبائث من ميتة ودمٍ ولحم الخنزير لأضرارها الصحية، وحرَّم الخمرَ وكل ما يُذهب العقل لما في استعمالها من أضرار جسمية واجتماعية ومادية، وحرم الله جلَّ وعلا الفواحش حرصًا على تماسك الأسرة وسلامتها من الأمراض المعدية، وحفظا لطهارتها وعفتها»[3]؛ لذا نجد بحمد الله أن المجتمعات الإسلامية سالمة نظيفة إلى حدٍّ كبير من الأمراض الخطيرة المنتشرة في بلاد الكفر والفساد، ويرجع ذلك كله إلى ما يحمله هذا الدين الحنيف ويحث عليه من طهارة ونظافة، وما وضعه من التدابير الواقية والمحكمة.

رابعًا: حرص الداعية على سلامة المدعوين والشفقة عليهم.

لقد اهتم الرسول عليه الصلاة والسلام بصحة أمته، فبيَّن لهم أسباب السلامة من المرض، وأنواعًا من الأدوية التي تشفي؛ وما ذاك إلا رحمة منه عليه الصلاة والسلام

---

(1) هل هناك طب نبوي، للدكتور/ محمد بن علي البار، ص٨٦، ط الدار السعودية للنشر والتوزيع.

(2) الحقائق الطبية، للدكتور عبد الرازق الكيلاني، ص٧٣.

(3) انظر :الطب الإسلامي والعلم الحديث ١/١٤٩، بتصرف.

بامته، ولأن المسلم كلما كان بصحة وعافية كلما كان عطاؤه أكثر، من خدمة دينه، ودفاعه عن أمته، ولاشك أن المؤمن القوي في بنيته إذا استعمل هذه القوة في طاعة الله خير من المؤمن الضعيف، كما قال عليه الصلاة والسلام: «المؤْمِنُ القَوِيُّ خيرٌ وأحبُ إلى اللَّه مِنَ المؤْمنِ الضَّعيفِ وفي كُلٍ خيرٌ...»[1].

وقد قال تعالى في ذكر قصة بنت نبي الله شعيب مع نبي الله موسى عليهم الصلاة و السلام: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[2].

والصحة نعمة عظيمة بيّنها الرسول ﷺ لأمته في قوله: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَةُ وَالفَرَاغُ»[3]، لذا نجد أن رسول الله ﷺ أمر بالفرار من المجذوم لئلا يلقي المسلم بنفسه الى التهلكة قال الشيخ محمد ابن ابي جمرة «والأمر بالفرار من المجذوم ليس للوجوب بل للشفقة، فمن كان قويَ اليقين فله أن يتابعه ﷺ في فعله، ولا يضره شيءٌ، ومن وجد في نفسه ضعفًا فليتبعْ أمرَه في الفرار؛ لئلا يدخل بفعله في إلقاء النفس إلى التهلكة»[4].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ص١٠٦٩، ط بيت الأفكار الدولية.

(٢) القصص: ٢٦.

(٣) صحيح الإمام البخاري، كتاب الرقاق، وسياتي شرح هذا الحديث في كتاب الرقاق، ص١٠٣٩.

(٤) فتح الباري ١٦٢/١٠.

خامساً: تربية المدعوين على العقيدة الصحيحة.

إن من أهم ما يجب أن يقوم به الداعية إلى الله تربية المدعوين على العقيدة الصحيحة، وتحذيرهم من كل وسائل الشرك وأعمال الجاهلية التي قد تؤدي بصاحبها إلى الشرك، وفي هذا الحديث غرس لعقيدة الإسلام الصحيحة، حيث بينص أن الأمور كلها بيد الله سبحانه الواحد القهار، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه سبحانه المدبر لهذا الكون، وهو رب العالمين وحده لاشريك له، وأن التطير عمل من أعمال الجاهلين المشركين التي يجب على المؤمنين أن يبتعدوا عنها.

ومن هذا التوجيه النبوي الكريم ينطلق الداعية في توجيه المدعوين وتربيتهم على العقيدة السليمة التي تجعلهم يسيرون في هذه الحياة وهم واثقون من أنفسهم بعد توفيق الله تعالى وعونه، مبتعدون عن كل ما يؤدي بهم إلى الانحراف في العقيدة من تطير وتشاؤم، سواء بصفر أم بغيره مما يعتقده الخرافيون في بعض المجتمعات الإسلامية التي ينتشر فيها الجهل.

وقد كان الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- حريصين على هذا الأمر، فربوا الأمة على عقيدة الإسلام النقية من الشوائب المخلة بصفائها.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أخرج الطبري عن عكرمة رضي الله عنه قال: كنت عند ابن عباس فمر طائرٌ فصاح، فقال رجلٌ: خير خير. فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما عند هذا؟ لا خير ولا شر»[1].

---

[1] فتح الباري ١٠/٢١٥.

سادساً: وجوب التوكل على الله حق التوكل، والأخذ بالأسباب المبعدة عن الأوهام.

التوكل على الله صفة من صفات المؤمنين الذين أثنى الله عليهم في كتابه وأمرهم بذلك فقال عزَّ من قائل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[١].

وقال جلّ وعلا واصفًا عبادَه المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢].

والتوكل على الله «من أجمع أنواع العبادة وأعظمها؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة، فإنه إذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية دون كل من سواه صحَّ إخلاصُه ومعاملته مع الله تعالى، فهو من أعظم منازل إياك نعبد وإياك نستعين، فلا يحصل كمالُ التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله»[٣].

ومع التوكل على الله يحرص المدعو على البعد عن الأسباب المؤدية إلى الوهم، مع اعتقاده أن لا ينجي حذرٌ من قدرٍ؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «لا يُوردن مُمْرِضٌ على مُصِحٍ»[٤].

قال القرطبي رحمه الله: «إنما نهى عن إيراد الممرض على المصح مخافةَ الوقوع فيما وقع فيه أهل الجاهلية من اعتقاد ذلك، أو مخافة تشويش النفوس وتأثيرِ الأوهام،

---

(١) المائدة: ٢٣.

(٢) الأنفال: ٢.

(٣) فتح المجيد، ص٣٦٧، ط دار القلم- بيروت.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطب باب لا هامة، ص.١١٣، ومسلم بلفظ «لا يُورد» كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيره ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غُول ولا يورد ممرض على مُصح، ص٩١٣.

وهذا كنحو أمره ﷺ بالفرار من المجذوم، فإنا وإن كنا نعتقد أن المجذوم لا يعدي، فإنا نجد من أنفسنا نفرةً وكراهيةً لذلك، حتى إذا أكره الإنسانُ نفسَه على القرب منه وعلى مجالسته تألمت نفسُه، وربما تأذت بذلك ومرضت... فالأولى بالإنسان ألا يقرب شيئًا يحتاج الإنسان فيه إلى هذه المكابدة، ولا يتعرض فيه إلى هذا الخطر...»[1].

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين هذا الأمر؛ ليعيشوا في نفس مطمئنة مؤمنة بقضاء الله وقدره بعد الأخذ بالأسباب.

سابعًا: الفصاحة والبلاغة في التبليغ أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

الفصاحة والبلاغة في مخاطبة المدعوين من الأساليب الدعوية الناجحة التي يستخدمها الرسول ﷺ في دعوته، حيث يقرب الموضوع إلى أذهان المدعوين، ويظهر هذا جليًا في أسلوب التشبيه في قوله عليه الصلاة والسلام: «وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ».

قال البرقوقي: والتشبيه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وأن تعقيب المعاني به، لاسيما قسم التمثيل منه..»[2].

فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على استخدام الأسلوب البليغ في دعوتهم،

---

(1) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام القرطبي ٥/٦٢٤-٦٢٥، وانظر: فتح الباري ١٠/١٦٢.

(2) التلخيص في علوم البلاغة للقزويني، ضبطه وشرحه الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي. ص٢٣٨، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

ويجتنبوا الأسلوب الضعيف الركيك الذي لا يؤثر في المدعوين؛ أسوة بنبيهم محمدﷺ، وإيصالاً للدعوة إلى المدعوين بأسهل طريق، وأجمل أسلوب.

ثامنًا: نفي العدوى التي كانت تعتقدها الجاهلية.

في هذا الحديث يبين عليه الصلاة والسلام أنه لا عدوى، أي «لا سراية للمرض عن صاحبه إلى غيره، نفيًا لما كانت الجاهلية تعتقده في بعض الأدواء أنها تعدي بطبعها، وهو خبر أُريد به النهيُ»[1].

وقد ذكر الإمام ابن القيم في كتابه زاد المعاد فصلاً كاملاً في هديهﷺفي التحرز من الأدواء المعدية بطبعها، وإرشاد الأصحاء إلى مجانبة أهلها...

(1) عون الباري ٢٤٧/٥.

بـــاب ذات الجنب[1]

٩-١٠ حدثنا عارم، حدثنا حماد قال : قُرِئَ على أيوب مِنْ كُتُبِ أبِي قِلابَةَ، ومنه ما حدث به ومنه ما قُرِىءَ عليه، وكان هذا في الكتاب عن أنس أن أبا طلحة وأنسَ بن النَّضْر كوياه، وكواه أبو طلحة بيده.

وقال عبَّادُ بن منصور عن أيوب عن أبي قِلابَة عن أنس بن مالك قال : «أذِنَ رَسُولُ اللهِ لأهْلِ بَيْتٍ مِنَ الأنْصَارِ أنْ يَرْقُوا من الحُمَةِ والأذن.

قال أنسٌ[2]: كُوِيتُ مِنْ ذَاتِ الجُنُبِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ، وَشَهِدَنِي أَبُو طَلْحَةَ وَأَنَسُ بنُ النَّضْرِ وزَيْدُ بنُ ثَابِت، وأَبُو طَلْحَةَ كوَانِي[3].

رقم الحديث : [٥٧١٩، ٥٧٢٠].

---

(١) أي : هذا باب في بيان ذات الجنب، والمراد بها في الحديث ما يعرف في نواحي الجنب من رياح غليظة تحبس بين الصفافات والعضل في الصدر والأضلاع، فتحدث وجعًا، عمدة القاري، ٦٩٩/١٤.

(٢) أنس بن مالك، الإمام المفتي المقرئ المحدث راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي المدني، خادم رسول اله ﷺ، روى عن النبي ﷺ علمًا جمًا، وعن أبي بكر وعمرَ وعثمانَ ومعاذ وأسيدِ وأبي طلحة، مسنده ألفان ومائتان وستة وثمانون، اتفق له البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاري بثمانين حديثًا، ومسلم بتسعين، صحب النبيَّ ﷺ أتمَّ الصُّحْبَة إلى أن مات رسول الله ﷺ، وشملته بركة دعوة النبي ﷺ له.
يقول أنس رضي الله عنه عن نفسه : دعا لي رسول الله ﷺ فقال : «اللهم أكثر ماله وولدَه، وأطل حياتَه» فالله أكثر مالي، إن كرمًا لي لتحمل في السنة مرتين، وولد لصلبي مائة وستة. كان مقتديًا بحبيبه محمد ﷺ، قال أبو هريرة : ما رأيت أحدًا أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سليم. يعني أنسًا. مات رضي الله عنه سنة ثلاث وتسعين.
انظر : سير أعلام النبلاء ٣٩٥/٣، أسد الغابة ٢٩٤/١-٢٩٧، الإصابة ١١٢/١.

(٣) مطابقة الحديث للترجمة في قوله «من ذات الجنب»، عمدة القاري، ٧٠/١٤.

غريب الحديث :

الحُمَّة : علة يُستَحر بها الجسم من الحميم، وحُمَّ الرجل : أصابه ذلك[1].

وفي غريب الحديث لابن قتيبة : الحمة : السم للعقرب وأشباهها[2].

وقال الخطابي : الحمة : سم كل شيء يلدغ أو يلسع[3].

الأذن : قال ابن بطال : أي وجع الأذن، أي رخص في رقية الأذن إذا كان بها وجعٌ[4].

الموضوع الدعوي

بين الرسول عليه الصلاة والسلام في حديث الباب كيفية العلاج من الحمة والأذن، وذلك بالرقية الشرعية، حيث أذن عليه الصلاة والسلام لأهل بيت من الأنصار وهم آل عمرو بن حزم بالرقية من الحمة والأذن؛ لما في ذلك من العلاج الناجع بمشيئة الله تعالى، والرقية بالقرآن شفاء من كل داء كما قال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[5].

---

(1) لسان العرب ١٢/١٥٥.

(2) غريب الحديث لابن قتيبة ٢/٢٧٦، وانظر : فتح الباري ١٠/١٧٣.

(3) أعلام الحديث للخطابي ٣/٢١١٦، وانظر : عون المعبود ١٠/٢٦٤.

(4) فتح الباري ١٠/١٧٣، وانظر : عمدة القاري ١٤/٧٠١.

(5) الإسراء : ٨٢.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : «رخَّص النبي ﷺ الرقية من كل ذي حمة»[1].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : «القرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمانٍ وقبولٍ تامٍ واعتقادٍ جازمٍ واستيفاء شروطه لم يقاربه الداءُ أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلامَ ربِّ الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيلُ الدلالة على دوائه وسببه، والحمية منه لمن رزقه الله فهمًا في كتابه»[2].

وقد قرأ أحد الصحابة على لديغ، واشترط القراءة على شاه، فبرأ وأقره النبيص على عمله هذا بعد أن أنكر عليه بعض الصحابة اشتراطه الشياه[3].

وما أحسن أن يتربى المجتمع المسلم على الأخذ بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ بما يعود عليهم بالنفع العظيم في أمور دينهم ودنياهم.

---

(1) صحيح البخاري كتاب الطب باب رقية الحية والعقرب ص ١١٢٥، وصحيح مسلم كتاب السلام باب استحباب الرقية من العين والنملة والحُمة والنظرة بلفظ رخص لأهل بيت من الانصار، ص٩٠٣.

(2) زاد المعاد ٤/٣٥٢.

(3) سيأتي تفصيلٌ لهذا الحديث في باب الشروط في الرقية، انظر: ص١٩٦ من هذا البحث.

الفوائد الدعوية :

أولاً : الرقية الشرعية وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

ثانيًا : أن المرض يصيب الأتقياء تكفيراً لذنوبهم لا عقوبةً لهم.

ثالثًا : فائدة الكي في علاج ذات الجنب.

رابعًا : اقتداء الداعية بصبر الصحابة على المرض.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً: الرقية الشرعية وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله .

إن للداعية إلى الله رسالةً عظيمةً في توجيه مجتمعه، وما من شك في أن بعض افرادالمجتمع قد يتعرض إلى بعض الحوادث، من مرضٍ مفاجيءٍ أو لدغٍ من ذوات السمّ في السفر أو الحضر، وهنا يأتي دور الداعية إلى الله في تبيين هدي الرسول ﷺ في هذا الجانب، وأنه عليه الصلاة والسلام شرع الرقية الشرعية للشفاء من المرض.

وتربية المجتمع على الاستشفاء من هذه الأمراض بالهدي النبوي أمر مطلوب، إذ قد يغفل كثير ممن يتعرض للدغ ذات السم عن الرقية الشرعية مع يسرها وسهولة الحصول عليها؛ إذ يستطيع كل مسلم أن يقوم بها، لكنهم ينشغلون عنها بالبحث عن المستشفيات، ومع جواز ذلك يبقى استخدام الرقية الشرعية علاجًا نبويًا ناجعًا، وإن كان في الوقت نفسه لا يمنع ولا يحول دون البحث عن أنواع العلاج الأخرى.

وكان من هديه عليه الصلاة والسلام تربيتُه أهلَ بيته على ذلك إذا مرض أحد منهم، فعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحدٌ من أهله نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنها أعظم بركة من يدي»[1].

ولاشك أن الرقية الشرعية وسيلة لنشر الدعوة إلى الله، والتأثير على المدعوين لأنهم بأمس الحاجة إلى الشفاء، فيقبلون على قبول الخير من القاري.

فعلى الدعاة إلى الله أن يولوا هذا الأمر عنايتهم اقتداءً بهدي نبيهم محمد ﷺ، كما أن على المدعوين الحرصَ على هذا الجانب من الهدي النبوي؛ ليحصل لمرضاهم الشفاء العاجل من كل داء بمشيئة الله تعالى وعونه.

ثانيًا: أن المرض يصيب الأتقياء تكفيراً لذنوبهم لا عقوبةً لهم.

في هذا الحديث يذكر لنا أنس بن مالك -خادم رسول الله ﷺ الذي مكث معه عشر سنين حتى لحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى، والذي دعا له رسول الله ﷺ بالبركة وطول العمر -ما أصابه من مرض اضطر فيه إلى الكيِّ، فهو -رضي الله عنه- مع مكانته المذكورة، وأخباره المعروفة، ودعاء الرسول ﷺ له يصاب بهذا المرض، فلاشك أن هذا من ابتلاء الله لعباده المخلصين، ويخطيء من يتصور أن الأمراض

---

[1] صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات بلفظ: كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه»، ص٩٩٦، ومسلم في صحيحه ،كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث، ص٩٠٢.

التي تصيب أهلَ العلم والفضل تكون بسبب ارتكابهم لبعض الذنوب والمعاصي، فأي شخص من المدعوين يحمل هذا الفهم وقع في خطأ في الفهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى يبتلي عبادَه الصالحين الأمثل فالأمثل.

فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر بيانًا شافيا كافيًا، وأن الله سبحانه إذا أحبَّ عبداً من عباده ابتلاه، ويكفي مثالاً على ذلك ما مسَّ نبيَ الله أيوبَ عليه الصلاة والسلام من الأذى، والتي لم تزده إلا تأدبًا مع ربه في دعائه سبحانه ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يُصِبْ منه»[2].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يصيب المسلمَ من نصبٍ ولا وصبٍ ولا همٍّ ولا حزنٍ ولا أذىً ولا غمٍّ حتى الشوكةُ يشاكُها إلا كفَّر اللهُ بها من خطاياه» متفق عليه[3].

فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر للمدعوين.

---

(1) الأنبياء: ٨٣.

(2) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ص١١٠٩.

(3) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ص١١٠٩، ومسلم بنحوه، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، ص١٠٣٩.

ثالثًا : فائدة الكي في علاج ذات الجنب .

يبين أنس رضي الله عنه أنه كُوِيَ من ذات الجنب، وقد ذكرنا أنواع هذا المرض في باب السعوط بالقسط الهندي والبحري، وأنهما يشفيان من هذا المرض كما بينهﷺ، وتطرقنا إلى حكم الكي في باب الشفاء في ثلاثٍ، ويؤخذ من هذا الحديث جواز الكي عند تعين الشفاء به، حيث أقرﷺ كي أنس رضي الله عنه، بدليل قوله في الحديث : «وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيٌّ».

قال الدكتور عبد الرزاق الكيلاني : «وأما ذات الجنب التي أصيب بها أنس بن مالك رضي الله عنه وعولج منه بالكي (كواه أبو طلحة) رضي الله عنه، فهذا ذات الجنب الرئوية الجافة غالبًا، أو قد يكون المقصود بها آلام رئوية عصبية أو عضلية، حدثت في جانب الصدر فدعيت ذات الجنب، وهذه جميعها يفيد فيها الكي النقطي في مكان الألم»[1].

رابعًا : اقتداء الداعية بصبر الصحابة على المرض .

قد يمر بالداعية في حياته بعضُ المصائب المختلفة من مرض أو غيره، ومن يقرأ سيرة صحابة الرسولﷺ يجد صورًا مشرقة في صبرهم، فهذا أنس بن مالك رضوان الله تعالى عليه خادم رسول اللهﷺ يصاب بمرض ذات الجنب فيكوى فيتحمل الألم.

فحري بالدعاة إلى الله إذا عرض لهم مرضٌ أن يصبروا ويحتسبوا الأجر من الله

---

(١) الحقائق الطبية في الإسلام للدكتور/ عبد الرزاق الكيلاني، ص٢٦٦.

كما أمر الله عباده المؤمنين بذلك، فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1].

---

(1) آل عمران : ٢٠٠.

باب[1] الحمّى من فيح جهنم

١١- عن أَسْمَاءَ[2] بِنْتِ أبي بَكْر رضي الله عنها أنَّها كَانَتْ إذَا أُتِيَتْ بِالْمَرْأَةِ قَدْ حُمَّتْ تَدْعُو لَهَا أَخَذَتْ الْمَاءَ فَصَبَّتْهُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَيْبِهَا، وقَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا أَنْ نَبْرُدَهَا بِالْمَاءِ[3].

رقم الحديث : [٥٧٢٤].

---

(١) أي : هذا باب في بيان أن الحمى من فيح جهنم بفتح الفاء وسكون الياء، عمدة القاري، ٧٠٢/١٤.

(٢) أسماء بنت أبي بكر : أخت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تعرف بذات النطاقين، روى هشام بن عروة عن أبيه وفاطمة بنت المنذر عن أسماء قالت : صنعت سفرة النبي ﷺ في بيت أبي حين أراد أن يهاجر، فلم أجد لسفرته ولا لسقائه، فقلت لأبي : ما أجد إلا نطاقي. قال : شقيه باثنين فاربطي بهما، قال : فلذلك سميت بذات النطاقين.
روت عدة أحاديث، حدّث عنها ابناها عبد الله وعروة، وحفيدها عبد الله بن عروة وغيرهم، مسندها ثمانية وخمسون حديثًا، اتفق لها البخاري ومسلم على ثلاثة عشر حديثًا، وانفرد البخاري بخمسة أحاديث، ومسلم بأربعة.
كانت خاتمة المهاجرين والمهاجرات، وعمرت دهرًا، ماتت رضي الله عنها بعد ابنها عبد الله بن الزبير بليال، وكان قتله لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين.
انظر : سير أعلام النبلاء ٢٨٧/٢، الإصابة ١١٤/١٢، أسد الغابة ٧/٧.

(٣) مطابقة الحديث للترجمة في قوله ﷺ «فاطفئوها بالماء» اشارة إلى الحديث الذي قبله الباب ونصه «قال ﷺ الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء» والمطابق للمطابق للشيء مطابق لذلك الشيء» عمدة القاري، ٧٠٣/١٤، والحديث أخرجه مسلم، في صحيحه كتاب السلام، باب لكل داء دواء، واستحباب التداوي، رقم الحديث٢٢١١.

غريب الحديث :

جيبها : بفتح الجيم وسكون الياء، وهو ما يكون مفرجًا من الثوب كالطوق والكم[1].

الموضوع الدعوي

في هذا الحديث تبين لنا أسماء رضي الله عنها الهديَ النبويَّ في علاج الحمَّى، وهو أن تُبْرد بالماء، ويرجع السبب في إبرادها بالماء إلى ما يكون في الجسم من حرارةٍ شديدة، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما في نفس الباب، عن النبي ﷺ قال : «الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّم فَأَطْفِئُوهَا بِالْمَاء»[2]. وفي هذا التوجيه النبوي من الإعجاز النبوي العجيب وهو ما ظهر للأطباء في العصر الحديث. يقول الدكتور/ عبد الرزاق الكيلاني : «يُعَد العلاج بالماء -سواءً كان حارًا أم باردًا- من وسائل العلاج الطبيعي، وتقام له المصحات في كثير من بلاد العالم، أما الماء الحار فيفيد في كثير من الأمراض الناجمة عن البرد أو عن الرَّثْيَة (الروماتيزم)، كما في ذات الجنب الرثوية، والآلام العضوية والعصبية الرثوية والآلام المفصلية، واللقوة البردية، وعرق النسا الناجمة عن البرد أو الرثية...

وما التكميد إلا شكل من أشكال المعالجة بالماء الحار، وكذلك حمامات البخار، ومغاطس الطين...

---

(١) إرشاد الساري للقسطلاني ١٢/٤٤٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم، ص ١١٢٢، ومسلم بلفظ «فأبردوها» كتاب السلام، باب لكل داء دواء، واستحباب التداوي، ص٩٠٧.

وأما المعالجة بالماء البارد فتفيد في كثير من الحميات، وبخاصة الحمى الناشئة من ضربة الشمس.. أو ضربة الحرارة، وفي الحميات الإنتانية بعامة، إذا تجاوز ارتفاع درجة الحرارة حدَّ الخطر، كأن ترتفع درجة حرارة البدن إلى أكثر من ٣٩ درجة مئوية، وإذا حدث ذلك في الأطفال فقد يصابون بنوبة اختلاج صرعية الشكل تكون خطراً على حياتهم؛ لذلك يسارع الطبيب إلى معالجتهم بالماء البارد، فتُبلُّ به منشفةٌ يُلف بها جسم المريض، وتُبدل كلَّما جفتْ... هذا العلاج بالماء الحار - التكميد- والبارد بصب الماء على المريض بالحمى قد أرساه النبي ﷺ منذ أربعة عشر قرنًا، فاستعمله لنفسه، ووصفه لأصحابه»[1].

كما تظهر في هذا الحديث أيضاً عظمةُ هذا الدين الذي اهتم بصحة الإنسان، وبين كيفية العلاج من بعض الأمراض الخطيرة التي قد تؤدي إلى مرض مزمن، أو تنتهي به إلى الهلاك كما في الحمى، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

وقد بين العلماء أن المراد بالماء في الحديث هو عموم الماء، وليس خاصاً بماء زمزم كما ورد عن ابن عباس[2].

---

(١) الحقائق الطبية، د. عبدالرزاق الكيلاني ص٣٤٥-٣٤٦.

(٢) فتح الباري ١٠/١٧٥.

الفوائد الدعوية :

أولاً : أن الحمى تذكر المؤمن بعذاب النار وهَوْله.

ثانيًا : الرد على الخرافيين المنكرين لمعجزة سيد المرسلين.

ثالثًا : دور المرأة المسلمة في نشر العلم وتخفيف المصاب.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : أن الحمى تذكر المؤمن بعذاب النار وهَوْله .

في توجيه النبي عليه الصلاة والسلام بإبراد الحمى بالماء ما يثبت أن الحمى سببٌ لإرتفاع حرارة الجسم بل إن الإمام البخاري ترجم لهذا الحديث بباب الحمى من فيح جهنم تصويراً لشدة تلك الحرارة.

وقد اختلف العلماء في قوله ﷺ : «الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّم» هل هو حقيقة أم تشبيه على قولين :

الأول : أن النسبة حقيقة، واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعةٌ من جهنم، وقدر الله ظهورها بأسباب تقتضيها ليعتبَر العبادُ بذلك، كما أن أنواع الفرح واللذة من نعيم الجنة أظهرها في هذه الدار عبرة ودلالة»[1].

---

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/١٧٥، وانظر : صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢١/ ١٢، وعون الباري ٥/١٧٥.

وقال الطيبي : «"من" ليست بيانية حتى يكون تشبيها، وهي إما ابتدائية، أي الحمى نشأت وحصلت في فيح جهنم، أو تبعيضية، أي بعض منها، ويدل على هذا ماورد في الصحيح : "اشتكت النارُ إلى ربها فقالت : ربِّ أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ونفس في الصيف.." الحديث[1]، فكما أن حرارة الصيف أثر من فيحها كذلك الحمى»[2].

الثاني : أن الخبر ورد مورد التشبيه، والمعنى : أن حر الحمى شبيه بحر جهنم تنبيهًا للنفوس على شدة حرّ النار، وأن هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها، وهو ما يصيب من قرب منها من حرها[3].

ومع أن المسلم إذا أصابته هذه الحمى فانها تكفر سيئاته -كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ لأم العلاء- فإن في ذلك أيضًا تذكيرًا له بعذاب النار، نسأل الله تعالى السلامة والعافية، حيث يتذكر المسلم ذلك المشهد العظيم الذي يصف الله أصحابه بقوله : ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[4]. ويقول جلّ وعلا : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[5].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر، ص١٢٢، ومسلم بلفظه، كتاب المساجد، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة ويناله الحر في طريقه، ص٢٤٤.

(2) عمدة القاري، ١٤/ ٧٠٣

(3) فتح الباري ١٠/١٧٥، وانظر : زاد المعاد ٤/٢٨.

(4) فصلت : ٢٨.

(5) ق : ٣٠.

ففي الدنيا يسارع الإنسان إلى الماء لإبراد هذه الحرارة وقد تيسر ذلك، لكن يوم القيامة وفي ذلك المكان المرعب تتغير الأحوال.

إن هذا المرض تذكير لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فحري بالمسلم أن يعود إلى ربه، ويتذكر فيح جهنم ولفحها لوجه الكافرين، كما أن على الدعاة أن يركزوا في دعوتهم على التذكير باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان علَّ غافلاً يعتبر، وقلبًا مظلما يتذكر ويفيق، فيعود إلى ربه تائبًا خائفًا ذليلاً نادمًا على ماقد اقترف، مرددًا قول ربه جل ذكره : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾(١).

ثانيًا: الرد على الخرافيين المنكرين لمعجزة سيد المرسلين.

قد يظهر في بعض المجتمعات الإسلامية من ينكر ما يصدر عن رسول هذه الأمة ﷺ -الذي لا ينطق عن الهوى- من علاج لبعض الأمراض، كالإبراد بالماء عند الإصابة بالحمى، خاصة بعض جهلة الأطباء.

قال الإمام القرطبي رحمه الله : «وقد اعترض بعض سخفاء الأطباء على هذا الحديث فقال : استعمال المحموم الاغتسال بالماء خطرٌ مقرب من الهلاك؛ لأنه يجمع المسام، وحقن البخار، ويعكس الحرارة لداخل الجسم، فيكون ذلك سببًا للتلف.

وجوابه أن هذا إن صدر عمن ارتاب في صدق النبي ﷺ فجوابه بالمعجزات الدالة

---

(١) الفرقان : ٦٥-٦٦.

على صدقهﷺ التي تدل قطعًا على صحة قوله وصواب فعلهﷺ، فإن حصل له التصديق والإيمان وإلا يفعل اللهُ بالسيف والسنان مالا يُفعل بالبرهان، وإن صدر عن مصدق له ومؤمن برسالته -وما أقله فيمن يتعاطى صفة الأطباء- قيل له: تفهَّم مرادَه من هذا الكلام، فإنهﷺ لم ينص على كيفية تبريد الحمى بالماء، وإنما أرشد إلى تبريدها بالماء مطلقًا.

فإن أظهر الوجود أو صناعة الطب أن غمس المحموم في الماء أو صبه على جميع بدنه يضرُّه، فليس هو الذي قصد النبيﷺ، وإنما قصد استعمال الماء على وجه ينفع، فيبحث عن ذلك الوجه، وتجرب الوجوه التي لا ضرر فيها، فإنه سيظهر نفعُه قطعًا»[1].

ولازال الطب -ولله الحمد- يكتشف أسرار هذا التوجيه النبوي الذي يبين معجزة من معجزاته ﷺ.

ثالثًا: دور المرأة المسلمة في نشر العلم وتخفيف المصاب.

للمرأة المسلمة دور كبير في نشر العلم وتخفيف المصاب والتفاني في ذلك، فإن النساء شقائق الرجال لهن مالهم، وعليهن ما عليهم، إلا ما استثناه الشارع من ذلك، ولأن نشر العلم واجب على كلا الجنسين، والتخفيف عن المصابين من جملة الإحسان، والله سبحانه يحب المحسنين.

---

(1) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام القرطبي ٥/٥٩٩-٦٠٠.

ولقد كان الصحابة وكذا الصحابيات أكثر الناس حرصًا على نشر العلم، وتبليغ ما سمعوه أو رأوه عن رسول الله ﷺ، كما أن لهن دورًا مشهودًا في تخفيف المصاب عن المسلمين، فهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها يأتي إليها الناس عند مرضهم، فتُبلغ ما سمعتْه من النبي ﷺ، حرصًا على نشر العلم، ورغبة في تخفيف المصاب.

وكم تؤثر المرأة المسلمة إذا حرصت على نشر العلم والدعوة إلى الله، بحيث تبدأ بذلك من بيتها فتربي أولادَها على طاعة الله، ثم تنطلق إلى بنات جنسها الأقرب فالأقرب؛ لذا نجد أن رسول الله ﷺ بين أن على المرأة المسلمة مسئوليةً في هذه الحياة، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راعٍ ومسئول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عنهم والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[1].

فعلى المرأة المسلمة أن تعرف أن لها دورًا كبيرًا في الدعوة إلى الله ونشر العلم الشرعي، وفي تخفيف المصاب عن المسلمين والمسلمات، سواء بالوصفة الطبية، أو بالدعاء، وأن الشرع لا يمنعها من معالجة نساء المسلمين وتخفيف مصابهم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، ص٤٨٣، ومسلم بلفظه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، ص٧٦٣.

باب ما يذكر في الطاعون [1]

١٢- عنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أنَّ عُمَرَ بن الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج إِلَى الشَّام حتى إِذَا كَانَ بِسَرْغٍ لقِيَهُ أُمرَاءُ الأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الْجَرَّاحِ وأَصْحَابُه فَأَخْبَرُوه أنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وقَعَ بأَرْضِ الشَّامِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاس : فَقَالَ عُمَرُ : ادْعُ لِي الْمُهَاجِرين الأَوَّلِين. فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَدْ خَرَجْنَا لأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ نَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ. فَقَالَ : ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ : ادْعُ لِي الأَنْصَارَ. فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِين، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلافِهِمْ، فَقَالَ : ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ : ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْش مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلان، فَقَالُوا : نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ.

فنادى عُمَرُ في الناس : إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْه. فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ : أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّه؟! فَقَالَ عُمَرُ : لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّه، أَرَأَيْتَ إِن كَانَتْ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَان إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَة، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصِبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ

---

(١) أي : هذا باب في بيان ما يذكر في الطاعون، وهو على وزن فاعول من الطعن وضعوه على هذا الوزن ليدل على الموت العام، عمدة القاري، ٧٠٥/١٤.

رَعَيْت الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟!.

قَالَ : فجاء عَبْدُ الرَّحْمَن بنُ عَوْف وكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِه فَقَالَ : إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْه، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ». قَالَ فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَف[1].

رقم الحديث : [٥٧٢٩].

وفي رواية : أن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام فلما جاء سرْغ بلغه أن الوباء وقع بالشام، فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال : «إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه». فرجع عُمرْ من سرْغ.

طرف رقم : [٦٩٧٣].

غريب الحديث :

الطاعون : داء معروفٌ، والجمع الطواعين[2]، فهو على وزن فاعول من الطعن.

---

(١) مطابقته للترجمة في قوله «إذا سمعتم به» إلخ، عمدة القاري، ٧٠٧/١٤، وأطراف الحديث بنفس الباب رقم ٥٧٣٠، وفي كتاب الحيل، باب ما يكره من الاحتيال، في الفرار من الطاعون»، رقم الحديث : ٦٩٧٣، والحديث أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، رقم الحديث : ٢٢١٩.

(٢) لسان العرب ٢٦٧/١٣، مادة [طعن].

وفي النهاية : الطاعون : المرض العام الذي يفسد له الهواء، وتفسد به الأمزجة والأبدان[(١)].

والطاعون في الطب الحديث يعرف بأنه «مرض انتاني وبائي، عامله جرثومة بشكل العصية اكتشفها العالم بيرسين سنة ١٨٩٤م فسميت باسمه (عصية بيرسين)، كان يأتي بشكل جائحات تجتاح البلادَ والعبادَ، وتحصد في طريقها الألوفَ من الناس، وهو يصيب الفئران عادة ثم تنتقل جراثيمه إلى الإنسان بواسطة البراغيث، فتصيب العُقَد البلغمية (الغدد البلغمية) في الآباط والمغابن والمراجم فتتورم فتنتبج ثم تتقرح فتصبح كالدمامل، وقد يصيب الرئتين مع العقد البلغمية أو بدونها فيصبح خطراً جداً[(٢)].

سرغ : بفتح السين المهملة وتسكين الراء وبالمعجمة، منصرفًا وغير منصرف، قريةٌ من طرف الشام مما يلي الحجاز[(٣)].

وفي معجم البلدان : هو أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك، من منازل حاج الشام[(٤)].

المهاجرون الأولون : هم الذين صلوا إلى القبلتين[(٥)].

---

(١) النهاية في غريب الحديث ١٢٧/٣.

(٢) الحقائق الطبية في الإسلام، للدكتور/ عبد الرزاق الكيلاني، ص٤٨.

(٣) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢١ . ١٤-١٥، وانظر : إرشاد الساري ٣٣٤/٨.

(٤) معجم البلدان للحموي ٢٣٩/٣، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) عمدة القاري، ٧٠٨/١٤ .

مشيخة قريش من مهاجرة الفتح : المشيخة : جمع شيخ ويجمع على شيوخ بالضم أو بالكسر . ومهاجرة الفتح : الذين هاجروا إلى المدينة عام الفتح، أطلق عليهم ذلك احترازًا عن غيرهم من مشيخة قريش ممن أقام بمكة ولم يهاجروا أصلاً[(١)].

عُدْوتان : بضم العين وكسرها وسكون الدال المهملتين أي شاطئان وحافتان[(٢)].

مُصْبح : مصبح : بضم الميم وسكون الصاد وكسر الباء، أي مسافر في الصباح. راكبًا على ظهر الراحلة راجعًا إلى المدينة[(٣)].

الوباء : بالمد والقصر، هو الطاعون، وقيل : هو المرض العام، فكل طاعون وباء دون العكس، والوباء المذكور هنا هو الطاعون.

الموضوع الدعوي

في حديث الباب يوجه النبيﷺ أمته إلى ما يجب عليهم عمله عند وقوع الطاعون في بلد من البلدان، وهو عدم القدوم على ذلك البلد، وكذلك عدم الخروج منه إذا وقع وهم بداخله، وهذا ما يعبر عنه الأطباء في العصر الحديث بالحجر الصحي.

قال الدكتور عبد الرزاق الكيلاني : «هذا الحديث الشريف هو أساس الحجر الصحي

---

(١) إرشاد الساري ٨/٣٨٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣/١٩٤، لسان العرب ١٥/٣٨-٤٠ مادة [عدو].

(٣) عمدة القاري، ١٤/ ٧٠٩.

الذي لم يعرف إلا في القرن العشرين...»[1].

ونهى ﷺ عن الدخول في بلد الطاعون «لما في الإقدام عليه من تعريض النفس للبلاء، ولعلها لا تصبر على ذلك، ولحرص الإسلام على اجتناب أسباب الهلاك لضعف النفس البشرية التي لا يؤمن غدرها عند حلول المصيبة»[2].

وفي نهيه عليه الصلاة والسلام من الفرار من بلد الطاعون تربية للمسلم ليصبر على أقدار الله تعالى المؤلمة، وأن ذلك من الإيمان بالله؛ ولأهمية هذا الأمرِ في عقيدة المسلمين بوب الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد باباً قال فيه: «باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله».

إن الصبر على أقدار الله المؤلمة أمر يقتضيه كمال التوحيد؛ لأن أخطر مرحلة تمر بالمسلم في هذه الحياة الدنيا المواقف المحزنة.

واختلف العلماء في النهي عن الخروج هل هو للتنزيه أم للكراهية أم للتحريم؟.

قال الإمام القسطلاني: «وفصل بعضهم في هذه المسألة تفصيلاً جيداً فقال: من خرج لقصد الفرار محضاً فهذا يتناوله النهي لا محالة، ومن خرج لحاجة متمحضة لا لقصد الفرار أصلاً، ومن عرضت له حاجة فأراد الخروج، وانضم لذلك أنه قصد الراحة من الإقامة بالبلد الذي به الطاعون فهذا محل النزاع»[3].

---

(1) الحقائق الطبية في الإسلام للدكتور/ عبد الرزاق الكيلاني، ص١٣٢.

(2) انظر: فتح الباري ١٠/١٩٠، عمدة القاري ١٤/٧١٠.

(3) إرشاد الساري ١٢/٤٥٣.

وفي موقف عمر رضي الله عنه من هذا الحدث الجلل الذي أصاب بلاد الشام مايبين المنهج الإسلامي في الحكم، وهو نظام الشورى الذي بينه الله سبحانه في كتابه حيث يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1]، وتكمن مهمة هذا النظام في النظر في مصالح المسلمين التي تحتاج إلى مشورة لعظم أمرها، وهي مهمة خطيرة يتوخى الإمام الحذر من البت فيها منفرداً.

قال الإمام الشوكاني في تفسيره عن ابن خوزمنداد: «واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدنيا، ومشاورة وجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتاب والعمال والوزراء فيما يتعلق بمصالح العباد وعمارتها»[2].

وقد أمر الله نبيه الكريمﷺ بمشورة أصحابه فقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[3].

قال الإمام القرطبي في تفسيره عن الحسن البصري والضحاك رحمهم الله جميعًا: «ما أمر الله نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم مافي

---

(1) الشورى: ٣٨.

(2) فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام الشوكاني ١/٣٩٤، ط مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

(3) آل عمران: ١٥٩.

المشاورة من الفضل؛ ولتقتدي به أمتُه من بعده»[١].

وقد سار الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم على هذا الأمر الإلهي والمنهج النبوي في حكمهم، حيث كانوا «يقومون على رأس الدولة الإسلامية، ثم يتخيرون من بين جماعة المؤمنين أمثَلَهم طريقةً، وأنفذَهم بصيرةً، وأكثرَهم علمًا، وأقربَهم إلى التقوى... ومن هؤلاء الصفوة المتخيَّرين يصدر الرأي فيما يعرض للمسلمين من أحداث، وذلك بعد مشورة ومناصحة»[٢]، وبعد المشورة ينفذ الإمام ما أطمأنت إليه نفسه، طبقًا لقوله تعالى: ﴿ **فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾ أي «إذا عزمت عقب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك، فتوكل على الله في فعل ذلك، أي اعتمد عليه، وفوض إليه بعد الله»[٣].

الفوائد الدعوية:

أولاً: الاهتمام بالمدعوين وتحذيرهم من الأسباب المؤدية إلى هلاكهم.

ثانيًا: تفقد ولي الأمر لأفراد رعيته واثر ذلك في حفظ المجتمع.

ثالثًا: من صفات الداعية النصح لولاة الأمر.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/٢٥٠، ط دار الكتاب العربي.

(٢) الدعوة إلى الله مضامينها وميادينها، للشيخ عبد الكريم الخطيب، ص١٤٦، ط دار الكتاب العربي.

(٣) فتح القدير للإمام الشوكاني ١/٣٩٤.

رابعًا : مشروعية الاستشارة في النوازل وأثرها في مسيرة الدعوة.

خامسًا : اجتهاد الداعية في تحقيق مصالح المدعوين.

سادسًا : الشكر لله والثناء عليه عندما يوفق الداعية للصواب.

سابعًا : توجيه المدعوين للأخذ بالأسباب وبيان أن ذلك لا يتعارض مع عقيدة الإسلام.

ثامنًا : دور الداعية إلى الله في نشر العلم الشرعي.

تاسعًا : المناظرة وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى.

عاشرًا : حرص الإسلام على التكافل الاجتماعي.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا: الاهتمام بالمدعوين وتحذيرهم من الأسباب المؤدية إلى هلاكهم.

إن مجتمع الدعوة أمانة في عنق الداعية إلى الله؛ فهو مسؤول عنه بجلب الخير لهم، ودفع الشر عنهم بعد توفيق الله وعونه، ومن هذا المنطلق يسعى الداعية إلى تجنيب المدعوين أسباب الهلاك لكونه أمينًا على مصالحهم، فلا يزج بهم في مهالك لا تحمد عقباها، ويجعل مخافة الله بين عينيه، ذاكرًا قول ربه تعالى: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً** ﴾[1]. وقوله عليه السلام: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع

---

[1] الأحزاب: ٧٢.

ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته»[1]. وعليه كذلك أن يسعى لما فيه نفع المدعوين وفق هدي كتاب الله وسنة نبيهﷺ، وهذا ما فعله عمر رضي الله عنه عندما علم بوقوع الطاعون في بلد الشام ورجَح عدمَ دخولهم حرصًا على سلامة المسلمين، كيف وقد تبين له خبرُ رسول اللهﷺ.

إنها التربية النبوية لصحابة رسول اللهﷺ، فهي تربية واضحة محددة يتلقاها الرسولُﷺ وحيًا من لدن حكيم خبير، فيبلغهﷺ قرآنًا وحديثاً وعملاً[2].

ثانيًا: تفقد ولي الأمر لأفراد رعيته وأثر ذلك في حفظ مجتمع الدعوة.

إذا حلت ببلد من بلدان المسلمين مصيبةٌ فإن ولي الأمر بحكم ما ولاه اللهُ إياه، ولإحساسه بالمسؤولية تجاه رعيته يكون أكثرَ الناس تأثرًا بتلك المصيبة، ومن هنا يتحتم على الدعاة والعلماء الصالحين ملازمته في مثل هذا الوقت الحرج؛ تخفيفًا للألم، ونصحًا له، خاصة أنه قد يكون في مثل هذه الأحوال بحاجة إلى مشاورتهم فيما يجب اتخاذه من قرار تجاه هذا المصاب.

ونجد هذا الأمر في حديث الباب واضحًا جليًا، حيث وقف العلماء الصالحون من

---

(1) سبق تخريجه، ص١٧٥.

(2) انظر: دور المنهج الرباني في الدعوة الإسلامية، لعدنان علي النحوي، ص١٧٧، ط الفرزدق التجارية.

صحابة رسول الله ﷺ مع خليفتهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين حين ألمت ببلد الشام مصيبةُ الطاعون، فاستعان بهم عمر بعد الله في اتخاذ القرار، وشاورهم في الأمر، وقدموا له النصح والمشورة.

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يلازم الخليفة عمرَ في هذا الموقف أشدَّ الملازمة، وعمر رضي الله عنه يقول له: «ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِين الأَوَّلِين» «ادْعُ لِي الأَنْصَار» «ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْش مِنْ مُهَاجَرَةِ الْفَتْحِ» فيُلبِّي رضي الله عنه أمره فيدعوهم، فيستشيرهم أمير المؤمنين في الأمر، فيتوصل بعون الله إلى اتخاذ قرار حازم بعد قدوم عبد الرحمن بن عوف الذي كان غائبًا في حاجة، وإبلاغه بما سمع عن رسول الله ﷺ في المسألة.

وفي هذا الحديث إشارة واضحة إلى ما ينبغي أن يحرص عليه ولاة الأمر في بلاد المسلمين من مشاورة العلماء الصالحين في الأمور؛ وذلك لما عند العلماء من النصح لله ولرسوله، لأئمة المسلمين وعامتهم.

قال الإمام العيني -رحمه الله- عند سياقه لفوائد هذا الحديث: «ومن الفوائد الاجتماع بالعلماء وتنزيل الناس منازلهم»[1].

وفيه أيضًا أن على ولي الأمر الخروجَ بنفسه لمتابعة أحوال رعيته؛ «لما فيه من إزالة ظلم المظلوم، وكشف كربة المكروب، وردع أهل الفساد، وإظهار الشرائع والشعائر»[2].

---

(١) عمدة القاري ١٤/٧١٠.

(٢) فتح الباري ١٠/١٩٠.

ثالثًا: من صفات الداعية النصح لولاة الأمر.

إن من أهم ما يتصف به العلماءُ المخلصون والدعاةُ الصالحون النّصحَ لولاة الأمر، وعدمَ غشّهم، ممتثلين أمرَ ربِّهم القائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[1]، وأمرَ رسولِهم عليه الصلاة والسلام حيث قال: «عليك السمعُ والطاعةُ في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وإثرة عليك»[2]، وقوله ﷺ: «الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[3].

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين، وهم ولاتهم من السلطان الأعظم، إلى الأمير، إلى القاضي، إلى جميع من لهم ولاية صغيرة أو كبيرة، فهؤلاء لما كانت مهماتهم وواجباتهم أعظمَ من غيرهم، وجب لهم من النصيحة بحسب مراتبهم ومقاماتهم، وذلك باعتقاد إمامتهم، والاعتراف بولايتهم، ووجوب طاعتهم بالمعروف، وعدم الخروج عليهم، وحثُّ الرعية على طاعتهم، ولزوم أمرهم الذي لا يخالف أمرَ الله ورسولِه، وبذل ما يستطيع الإنسانُ من نصيحتهم، وتوضيح ما خفي عليهم مما يحتاجون إليه في رعايتهم، كل أحد بحسب حاله، والدعاءِ لهم بالصلاح والتوفيق؛ فإن في صلاحهم صلاحًا لرعيتهم، واجتنابِ سبهم والقدحِ فيهم، وإشاعةِ مثالبهم؛ فإن في ذلك شرًا وضررًا وفسادًا كبيرًا»[4].

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ص١٨٣٦.

(٣) سبق تخريجه، ص١٠٦.

(٤) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ٣٩٨/٥، ط مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة.

والنصح لولاة الأمر يتمثل في الأمور التالية :

أ- حسن الاستقبال لهم عند تفقدهم لمصالح المسلمين.

ب- النصح لهم بما فيه عز وصلاح العباد والبلاد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- : «وما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب على الإنسان وإن لم يعاهدهم عليه وإن لم يحلف لهم الأيمان المؤكدة»[1].

جـ- بيان المخاطر التي تهدد حياةَ المسلمين عامةً أو طائفةً منهم، وهذا ماقال به أبو عبيدة بن الجراح ومن معه بإخبارهم أميرَ المؤمنين ما حلّ بالشام؛ فيكون على بينة من أمره، مع الإمكان أن يخفوا هذا الأمرَ عنه، ولا يعلم به إلا بعد دخوله بلاد الشام.

ومتى نصح العلماءُ والدعاةُ إلى الله ولاةَ أمرهم وفقوا إلى الصواب بمشيئة الله تعالى في دعوتهم، ووفق اللهُ وليَ الأمرِ إلى المواقف الحكيمة في حالة تعرض الدولة المسلمة إلى أي خطرٍ من الأخطار الصحية أو الحربية.

رابعًا: مشروعية الاستشارة في النوازل وأثرها في مسيرة الدعوة .

إن الشورى منهج رباني، ونظام من أنظمة الحكم الإسلامي كما مرّ معنا، والعمل به له أثره الفعالُ -بمشيئة الله تعالى- في مسيرة الدعوة إلى الله، وحفظها من الأخطار التي تهددها.

---

(١) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٣٥/٩، ط بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

وقد وصف الله جلَّ وعلا المؤمنين بقوله : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1].

قال الحافظ ابن حجر : «وفي قصة عمرَ من الفوائد مشروعية الاستشارة في النوازل»[2].

وأعداء الإسلام يكيدون للدعاة إلى الله ويخططون للقضاء عليهم بشتى الوسائل الممكنة، فيتعرض الدعاة لمواقف تستوجب منهم عدمَ الاندفاع في المواقف الحرجة، بل التريثَ والمشورةَ لمن لهم الحلُّ والعقدُ؛ لكي يكون الموقف من هذه المخاطر صوابًا وموفقًا بمشيئة الله تعالى.

فأسلوب أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الحديث واضحٌ جليٌّ، حيث استشار كبارَ الصحابة لأمرٍ طاريء لم يحسب له حسابه، فمشاورة أهل العلم والرأي في النوازل أمر لابدُ منه، ويقدم أهلُ الفضل والسابقة في الخير، وكذلك مشورة من يترجح للدعاة إلى الله تعالى إخلاصُهم وبعدُهم عن التعصب والهوى والغرور.

قال الإمام القرطبي رحمه الله : «وفي قوله : "ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِين الأوَّلِين. فَاسْتَشَارَهُمْ" دليل على استشارة أولي العلم والفضائل وتقديم أهل السوابق»[3].

إن هذا الأسلوب تعلَّمه صحابةُ رسول اللهﷺ من منهاج الله قرآنًا وسنةً، وتدربوا

---

(1) الشورى : ٣٨.

(2) فتح الباري ١٠/١٩٠، وانظر : عمدة القاري ١٤/٧١٠، وصحيح البخاري بشرح الكرماني ٢١/ ١٧.

(3) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام القرطبي ٥/٦١٦.

عليه في صحبة النبوة»[1].

وكم جنى بعضُ الدعاة في العالم الإسلامي الثمار المرة بسبب اجتهادٍ فرديٍ أدى بمصالح المسلمين إلى عواقب غير محمودة، وعطلّت مسيرة الدعوة إلى الله أعواماً عديدةً، نسأل الله السلامة والعافية.

خامساً: اجتهاد الداعية في تحقيق مصالح المدعوين.

إن الداعية إلى الله مطلوب منه الاجتهادُ في تحقيق مصالح المسلمين كما هو مطلوب من الفقيه الاجتهادُ في الأحكام الفقهية التي يفتي بها للناس، وإذا سعى الداعيةُ إلى تحقيق مصالح المسلمين باجتهادٍ منه، مخلصاً لربه سبحانه وتعالى، لا رغبةً في سمعة، أو هضماً لحقوق المسلمين، وكان اجتهاده نابعاً من مخافة الله تجاه المدعوين، امتثالا لأمر إمام الدعاة إلى الله وسيد الأنبياء والمرسلين في قولهﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»[2]، فإنه يكون بذلك موفقا في اجتهاده، ويتحقق له الأجر العظيم الذي أعده الله للعلماء المجتهدين، سواء وفقوا في اجتهادهم أم لا.

وفي اهتمام الداعية بمصلحة الدعوة والمدعوين حفظٌ لهما من الوقوع في المكاره، وتحقيقٌ لمصالح المسلمين، ووصولٌ بهم إلى برِّ الأمان بمشيئة الله تعالى، وهذا ما استفاده

---

(1) دور المنهج الرباني في الدعوة الإسلامية، لعدنان علي النحوي، ص٢٣٧.

(2) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الايمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ص٢٦، ومسلم بلفظه كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم مايحب لنفسه من الخير، ص٥٠.

العلماء من هذا الحديث، حيث ذكر الإمام الكرماني في شرحه لصحيح الإمام البخاري عند ذكره لفوائد هذا الحديث فقال: «... وفيه أن على المرء التدبرَ في المكاره قبل وقوعها، وتجنبَ الأشباه المخوفة قبل هجومها»[1].

سادسًا: الشكر لله والثناء عليه عندما يوفق الداعية للصواب.

قد تعترض الداعيةَ مواقفُ مؤلمة تضيق الدنيا بين عينيه، وبتوفيق من الله يُوفق للصواب ويخرج منها سالمًا غانمًا، وفي هذه الحالة يجب عليه أن يشكر ربه سبحانه على ذلك؛ إذ لولاه لما وفق للصواب.

وفي الخلفاء الراشدين بعد رسول الله ﷺ القدوة الحسنة في هذا الأمر للدعاة، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله يبادر عنه في هذا الحديث إلى شكر ربه سبحانه الذي وفقه في اجتهاده إلى هدي النبي ﷺ بعد أن أخبره عبد الرحمن بن عوف بما سمع عن رسول الله ﷺ في هذا الموضوع الذي احتار فيه عمر ومن معه من كبار الصحابة رضوان الله عليهم في اتخاذ قرار صارم، فكان هذا الحديث الذي بلغه به عبد الرحمن بن عوف كالبلسم في قلبه؛ لما يكنه من حبٍ للمسلمين وأصحاب رسول الله ص، وحرصه الشديد على سلامتهم.

ولم يقرر عمر رضي الله عنه العودةَ خوفًا من الموت، لكنها المخافة من الله أن يسأل عن هذه الأنفس التي معه وهو الراعي لها، والمسئول عنها أمام الله جلّ وعلا.

---

(1) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢١/١٧.

سابعًا: توجيه المدعوين للأخذ بالأسباب وبيان أن ذلك لا يتعارض مع عقيدة الإسلام.

إن المؤمن مأمور بالأخذ بالأسباب التي تبعده عن كل ما يضره في أمور دينه ودنياه، وينطلق في حياته من العقيدة الإسلامية الصافية، فإذا عرض له عارضٌ ألزمه السفر إلى بلد ثم علم بانتشار الطاعون في هذا البلد فإن عليه العودة إلى بلده إذا كان في الطريق، أو التوقف عن السفر إذا كان لم يتم، وهذا من فعل الأسباب المأمور به شرعًا.

قال الإمام الحافظ ابن حجر: «في هذا الحديث جواز رجوع من أراد دخولَ بلدة فعلم أن بها الطاعون، وأن ذلك ليس من الطيرة، وإنما هو من منع الإلقاء إلى التهلكة، أو سدُّ الذريعة لئلا يعتقدَ من يدخل إلى الأرض التي وقع بها أن لو دخلها وطعن العدوى المنهي عنها...»[1].

وفي رجوع عمر رضي الله عنه أخذٌ بالأسباب مع توكله على ربه، وعلمه اليقين أنه لا ينفع حذرٌ من قدرٍ، وأجاب أبا عبيدة عندما قال: «أفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟!» بأن قال له: «نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ» فلا مفر للإنسان عما قدره الله.

قال الإمام القرطبي: «أمرنا الله بالتحرز من المخاوف والمهلكات، وباستفراغ الوسع في التوقي من المكروهات، والحذر وجلب المنافع ودفع الضرر، ثم المقصر في ذلك ملوم عادةً وشرعًا، ومنسوب إلى التفريط عقلاً وسمعًا، وإن زعم أنه المتوكل على الله، المسلِّمُ لأمر الله...»[2].

---

(1) فتح الباري ١٠/١٨٧، وانظر: عمدة القاري ١٤/٧١٠.

(2) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام القرطبي ٥/٦١٨.

وما نجده في بعض المستشفيات من تعليمات عند زيارة المرضى، خصوصًا من به مرضٌ سريعُ الانتشار -من عدم الدخول على المريض، أو عدم القرب من المريض، فإن في ذلك حرصًا على سلامة الأصحاء، مع الإيمان الكامل بأن الحذر لا ينجي من القدر، وأن ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن.

ثامنًا: دور الداعية إلى الله في نشر العلم الشرعي:

إن الدعوة إلى الله بحاجة ماسة إلى العلماء الذين ينيرون لأهلها الطريق بإذن الله حتى يسيروا على بصيرة، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

والعلم الشرعي من أهم الأسباب المؤدية إلى تبصير المدعوين وتوجيههم عند تعرضهم للأزمات؛ ولذلك أثنى الله على العلماء بقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[3].

وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين...»[4].

---

(1) يوسف: ١٠٨.

(2) الزمر: ٩.

(3) فاطر: ٢٨.

(4) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ص٣٩، ومسلم بنحوه، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ص٣٩٩.

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفرح بحديث رسول اللهﷺ الذي رواه عبد الرحمن بن عوف بقوله : «إِنَّ عِنْدِي في هَذَا عِلْمًا»؛ وذلك لما في هذا العلم الذي أتى به من إنقاذٍ في أحرج موقفٍ احتارت فيه آراءُ الرجال.

وما تعيشه الدعوة الإسلامية في العالم المعاصر في بعض البلدان الإسلامية من خلافات وكثرة الآراء وتعارضها أحيانًا حين يعرض أمر من الأمور إنما ذلك -والله أعلم- بسبب قلة العلماء المتضلعين بالعلم الشرعي.

فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على طلب العلم الشرعي ونشره بين المدعوين، فهو صمام الأمان بمشيئة الله تعالى، كما أن عليهم أيضاً تربيةَ المدعوين على طلب العلم واحترام العلماء، والرجوع إليهم في المشكلات، لما في ذلك من الخير الكثير لدعوة الإسلام في جميع أنحاء المعمورة.

تاسعًا: المناظرة وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى.

إن المناظرة مع المدعوين وسيلة مهمة في الدعوة إلى الله، وطريقة مثلى لإقناعهم بقبول الحق؛ وذلك بضرب الأمثلة، وطرح الأسئلة، وجعل المناقش هو المجيب عليها.

وهذا ما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي عبيدة بن الجراح، ولم يزد أبا عبيدة ذلك إلا الإذعان للحق وقبوله بصدر رحب، فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يتقبل الحوار بصدر رحب؛ لأن هدفه هو الوصول إلى الحق، ومتى تبين له أن الصواب مع غيره أخذ به ابتغاءَ مرضاة الله، ولا بأس للمحاور أن يصدر العبارات التي

فيها شيء من التعجب ليجعل المناقش يفكر جيداً كما فعل عمر مع أبي عبيدة حين ضرب الأمثلة له بطريق السؤال والجواب، قال : «أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خِصْبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَة، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخِصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟!...» الحديث.

إن المناظرة مشروعة في الإسلام لما فيها من المصالح في الدعوة إلى الله تعالى، وهي تستخدم في جميع المواقع، في الحروب مع القواد والجنود، ومع المبطلين، وأصحاب الأهواء، والنصارى والملحدين.

قال الحافظ ابن حجر : «وفي قصة عمر من الفوائد مشروعية المناظرة»[1].

عاشراً : حرص الإسلام على التكافل الاجتماعي :

إن الإسلام يدعو إلى الترابط والتعاون بين أفراد المجتمع المسلم، ويصف الرسول عليه الصلاة والسلام هذا التعاون المثمر ويشبهه بالجسد الواحد، وذلك في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائرُ جسده بالسهر والحمى»[2].

---

(١) فتح الباري ١٠/١٩٠، ولمزيد فائدة انظر : باب إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة في : جامع بيان العلم وفضله للإمام يوسف بن عبد الله القرطبي ٢/٩٩، ط دار الكتب العلمية.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس بالبهائم، ص١١٦٤، ومسلم بنحوه، كتاب البر والصلة والاداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ص١٠٤١.

ولا يُعرف فضل التكافل في المجتمع إلا حين تحل به الأزمات، ومن أعظم ما يمر بالمجتمع من أزمات انتشار الوباء، حيث يصيب الناسَ الخوفُ والهلعُ، وتتغير الأحوال والمواقف عما كانت عليه وقت الرخاء، ولعل في نهي الرسول ﷺ عن الخروج من بلد الطاعون من الحكم العظيمة التي قد تخفى على البعض.

قال الحافظ ابن حجر: «وقد ذكر العلماء في النهي عن الخروج حكمًا، منها: أن الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه لمرض أو غيره ضائع المصلحة لفقد من يتعهده حيًا وميتًا. وأيضًا فلو شرع الخروج فخرج الأقوياء لكان في ذلك كسرُ قلوب الضعفاء... وقد قالوا: إن حكمة الوعيد في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر، وإدخال الرعب عليه بخذلانه»[1]، وقال القسطلاني: في النهي من القرار من بلاد الطاعون «لئلا تضيع المرضى لعدم من يتعهدهم والموتى ممن يجهزهم»[2].

فعلى المدعوين أن يظهروا التعاون والتكافل في مجتمعهم في الأوقات عامة، وعند حلول الأزمات خاصة، مستجيبين لأمر ربهم القائل: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[3].

---

(1) فتح الباري ١٠/١٨٩.

(2) إرشاد الساري ١٢/٤٥٣ ولمزيد فائدة يُرجع إلى: زاد المعاد ٤/٣٧ وما بعدها.

(3) المائدة: ٢.

باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب[1]

١٣- عَنْ ابْنِ عَبَّاس أنَّ نفرًا مِنْ أَصْحَاب النَّبِيِّ ﷺ مَرُّوا بِمَاءٍ فِيهِمْ لَدِيغ أَوْ سَلِيمٌ[2]، فَعَرَضَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَاءِ،[3] فَقَال : هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ؟ إنَّ فِي الْمَاءِ رَجُلاً لَدِيغًا أَوْ سَلِيمًا، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَاب عَلَى شَاءٍ فَبَرأَ، فَجَاءَ بِالشَّاءِ إِلَى أَصْحَابِهِ فَكَرِهُوا ذَلِك وَقَالُوا : أَخَذْتَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا؟ حَتَى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ فَقَالُوا : يَا رَسُول اللَّهِ أَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا!. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ أَحَقَ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ»[4].

رقم الحديث : [٥٧٣٧].

الموضوع الدعوي

في هذا الحديث يتبين مشروعية الرقية بفاتحة الكتاب، وأنها علاج نافع للديغ.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : «فما الظن بفاتحة الكتاب التي لم يُنزل في القرآن ولافي التوراة ولافي الإنجيل ولافي الزبور مثلُها، المتضمنة لجميع معاني كتب الله، المشتملة على أصول أسماء الرب تعالى... وإثبات المعاد، وذكر التوحيدين: توحيد

---

(١) أي : هذا باب في بيان الشرط في قراءة الرقية بقطيع بطائفة من الغنم ليأتون به، عمدة القاري ١٤/٧١٦.

(٢) "أو سليم" يطلق على اللديغ تفاؤلاً، انظر : فتح الباري ١٠/١٩٩.

(٣) أي : بقوم نزلوا على ماء. انظر : ارشاد الساري ١٢/٤٥٩.

(٤) مطابقه الحديث للترجمة في قوله : فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء، عمدة القاري، ١٤/٧١٦.

الربوبية وتوحيد الألوهية، وذكر الافتقار إلى الرب سبحانه وتعالى في طلب الإعانة، وطلب الهداية، وتخصيصه سبحانه بذلك، وذكر أفضل الدعاء على الإطلاق، وأنفعه وأفرضه، وما العباد أحوج شيء إليه وهو الهداية إلى صراطه المستقيم.. إلى أن قال: «وحقيق بسورة هذا بعضُ شأنِها أن يستشفى بها من الأدواء، ويُرقى بها اللديغ. وبالجملة، فما تضمنته الفاتحة من إخلاص العبودية، والثناء على الله، وتفويضِ الأمر كلّه إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وسؤاله مجامع النعم كلها، وهي الهداية التي تجلب النعم، وتدفع النقم، من أعظم الأدوية الشافية الكافية»[1].

وقد بين عليه الصلاة والسلام أن فاتحة الكتاب هي أعظم سورة في القرآن، فعن أبي سعيد رافع بن المعلّى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك أعظمَ سورةٍ في القرآن قبل أن تخرجَ من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت: لأعلمنَّك أعظمَ سورةٍ من القرآن؟ قال: الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتُه»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فُتح اليوم ولم يُفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملكٌ فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يُوتَهما نبيٌّ قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم

---

(1) زاد المعاد ٤/١٧٧-١٧٨، وانظر: فتح الباري ١٠/١٩٨، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٦/ ١٩١، ط دار الكتب العلمية، بيروت الحقائق الطبية، ص٢٩٧.

(2) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، ٩٩٥،

البقرة، لم تقرأ بحرف منها إلا أعطيته»[1].

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ» بيان منه عليه الصلاة والسلام بجواز أخذ الأجرة على الرقية بكتاب الله، وهو قول مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابه وأحمدَ وإسحاقَ وأبي ثور وجماعة من السلف والخلف.

وأما الأجرة على تعليم القرآن فأجازها الجمهور من السلف والخلف، متمسكين بقوله عليه الصلاة والسلام : «...خذوها وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ»[2]. وبقولهﷺ : «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ».

وقد حرّم أبو حنيفة أخذَ الأجرة على تعليم القرآن، وكذلك أصحابُه[3]. والذي يظهر لي -والله أعلم- من خلال أقوال العلماء -رحمهم الله- في المسألة القول بجواز

---

(1) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، ص٣١٥، ط بيت الأفكار الدولية.

(2) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الرُّقَى بفاتحة الكتاب، ص١١٢٤.، ومسلم بنحوه، كتاب السلام، باب لا بأس بالرُّقَى مالم يكن فيه شرك، ص٩٠٥.

(3) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام القرطبي ٥/٥٨٨، وعمدة القاري ١٤/٧١٧ وحجتهم في ذلك أمران :
أحدهما : أن تعلُّمَ القرآن وتعليمَه واجب من الواجبات التي تحتاج إلى نية التقرب والإخلاص، فلا يؤخذ عليها أجرة كالصلاة والصيام.
والآخر : ما رواه أبو داود من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : علّمت ناسًا من أهل الصفة الكتابَ والقرآنَ، وأهدى إليّ رجلٌ منهم قوسًا، فقلت : ليست بمالٍ، وأرمي عليها في سبيل الله فلآتينّ رسول الله ﷺ فلأسألنّه، فأتيته فقال : «إن كنت تحب أن تطوق قوسًا من نارٍ فاقبلها». انظر : سنن أبي داود كتاب الإجارة باب في كسب العلم٢/٢٨٥، ط دار الجنان، بيروت.

أخذ الأجرة، سواء من أجل الرقى، أم من أجل تعليم كتاب الله، لثبوت الأدلة الصريحة على ذلك.

الفوائد الدعوية:

أولاً: اجتهاد الداعية بما يحقق المصلحة لمجتمع الدعوة.

ثانيًا: من صفات الداعية التوقف في المسألة عند الإشكال إلى البيان.

ثالثًا: حث المدعوين على علاج مرضاهم بالرقى الشرعية.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا: اجتهاد الداعية بما يحقق المصلحة لمجتمع الدعوة.

على الداعية أن يجتهد في تحقيق المصلحة للمدعوين وفق الضوابط الشرعية؛ لما في ذلك من الخير الكثير له ولهم على حد السواء، فهذا الصحابي رضي الله عنه لما طلب منه الرقية على اللديغ أجابهم بالموافقة، واشترط إعطاء الشياء على الرقية، ويعود ذلك -والله أعلم- إلى أنه رأى أن في ذلك مصلحةً له ولرفقائه، خاصة أنهم في سفر، فلاشك أنهم في حاجة إلى ما يعينهم في سفرهم، وموافقة هذا الصحابي رضي الله عنه من التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله به في قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[1] بالإضافة إلى ما فيه من قضاء حوائج المسلمين.

---

[1] المائدة: ٢.

وما أعظم أن يكون للداعية دورٌ فعالٌ في قضاء حوائج أفراد المجتمع، وأن يكون نافعًا لأمته، حريصًا على سلامتها، خصوصا في الحالات الخطرة الحرجة مثل هذه الحالة الواردة في الحديث، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لدغت رجلاً منا عقربٌ ونحن جلوس مع رسول اللهﷺ فقال رجل: يا رسول الله أرقي؟ قال: «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل»[1].

إن عناية الداعية بالمدعوين واجتهاده بما يعود عليهم بالنفع والمصلحة فيه أجر عظيم للداعية، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللهﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربةً فرج الله عنه بها كربةً من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يومَ القيامة»[2].

فعلى الداعية ألا يتردد في نفع المسلمين في كل وقت بقدر استطاعته، فإن ذلك من أفضل الوسائل لقبول دعوته بمشيئة الله تعالى.

ثانيًا: من صفات الداعية التوقف في المسألة عند الإشكال إلى البيان.

إن أول أمر يحرص عليه الداعية في حياته هو أن يكون عملُه خالصًا لوجه الله

---

(١) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحُمَة والنظرة، ص٩٠٤.

(٢) صحيح البخاري كتاب المظالم باب لا يَظلِمُ المسلم المسلم ولا يُسلِمُه، ص٤٦٠-٤٦١، ومسلم بلفظه كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ص١٠٤٠.

تعالى، موافقًا لهدي كتاب الله وسنة رسول الله ص، ممتثلاً في ذلك أمرَ ربه القائل: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[1]، فإذا اشتبه على الداعية أمرٌ في مسألة من المسائل تريّث في بيان حكمها حتى يعرف الدليل الشرعي فيها، وهذا هو المنهج الشرعي السليم الذي يجب أن يسير عليه الدعاة، مقتدين بصحابة رسول الله ﷺ الذين كان دأبهم الرجوع إلى رسول الله ﷺ حين يشتبه عليهم أمر من الأمور أو مسألة من المسائل.

وفي حديث الباب نجد دليلاً قاطعًا على ما ذكرنا، حيث إن هؤلاء الصحابة عندما اشتبه عليهم أمر جواز ماقام به القاريء واشتراطه الشياء في الرقية بكتاب الله توقفوا حتى يأتوا رسول الله ﷺ ويخبرونه الخبر، ويستفتونه في المسألة، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ أَحقَّ مَا أَخَذْتُم عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّه».

قال الإمام القرطبي: «وإيقاف الصحابي قبول الغنم على سؤال النبي ﷺ عملٌ بما يجب من التوقف عند الإشكال إلى البيان، وهو أمر لا يُختلف فيه»[2].

وكم يكون للداعية من قبول لدى المدعوين إذا علموا منه صدق النية وحرصه على التوقف عند الإشكال في مسألة من المسائل، حيث يكون قدوةً صالحةً في مجتمعه يقتدي به الآخرون، إضافة إلى أن ذلك يجعل الداعية مطمئن البال في معرفة الدليل الشرعي عند الخلاف في وقت من الأوقات.

وهذا ما تربى عليه صحابةُ رسولِ الله ص، وطبقوه في حياتهم العملية، ممتثلين

---

(1) الحشر: ٧.

(2) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام القرطبي ٥/٥٨٧.

قولَ الله جلَّ وعلا : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[1].

فالخلاف قد يقع، والفيصل في ذلك هو الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين من بعده رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ثالثًا: حث المدعوين على علاج مرضاهم بالرقى الشرعية.

إن المجتمع المسلم يستمد منهجَ حياته من كتاب الله وسنة رسول الله ص، وحيث إن كتاب الله نزل منهجًا ونظامًا للحياة، ورحمةً وشفاءً للمؤمنين كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾[2]، فإنه إذا تعرض أحد المدعوين لمرضٍ أو لدغٍ فإن خير ما يستشفى به كتابُ الله، فهو شفاءٌ ناجعٌ نافعٌ بإذن الله، كما حصل مع هذا الرجل من القوم الذين نزلوا على ماء فلُدغ أحدُهم، ففزع إلى طلب الرقية، فكان شفاؤه في رقيته بفاتحة الكتاب.

وما أجمل أن يتربى المدعوون على حب كتاب الله قراءةً وتطبيقًا وإيمانًا بأنه شفاءٌ كل داءٍ، وما أحسن أن يحرصوا على علاج مرضاهم بالرقى الشرعية، ويتفاءلوا بشفائهم بها، فإن المسلم مطلوب منه التفاؤل في كل حياته، حتى عند إصابته بالمرض المفاجي؛ قال الحافظ ابن حجر: «والسليم هو اللديغ؛ سمي بذلك تفاؤلاً من السلامة لكون غالب من يُلدغ يعطب»[3].

---

(1) النساء: ٦٥.

(2) الإسراء: ٨٢.

(3) فتح الباري ١٩٩/١٠، هذا وقد ألف عددٌ عدد من الكتب عن الرقى الشرعية، شروطها، آدابها، ينبغي الاطلاع عليها والاستفادة منها، بحيث يسلم المسلمون من المخالفات والمحاذير الشرعية عند الرقية.

باب رقية العين[1]

١٤- عَنْ عَائِشَةَ[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ أَمَرَ أَنْ يُسْتَرْقَى مِنَ الْعَيْنِ»[3].	**رقم الحديث : ٥٧٣٨**

١٥- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ[4] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ فَقَالَ : «اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ»[5].	**رقم الحديث : ٥٧٣٩.**

---

(١) أي : هذا باب في بيان رقية العين أي : الذي يصاب بالعين، وليس المراد به الرمد، عمدة القاري، ١٤/ ٧١٧.

(٢) عائشة أم المؤمنين بنت الإمام الصديق خليفة رسول الله ﷺ، تزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، روت عن رسول الله ﷺ علمًا كثيراً طيبًا مباركًا فيه، وعن أبيها وعن غيره من أصحاب رسول الله ﷺ، بلغ مسندها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، انفرد البخاري بأربعة وخمسين حديثًا، ومسلم بتسعة وستين، تعرضت لحادثة الإفك فبرأها الله من فوق سبع سموات بعد أن ضاقت عليها الأرض بما رحبت، نالت الشرف العظيم بسلا م جبريل عليها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت :قال رسول الله ﷺ يومًا : «يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام» فقلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى مالا أرى تريد رسول الله ﷺ»، البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها. حديث رقم ٣٧٦٨، توفيت -رضي الله عنها وأرضاها- سنة إحدى وستين للهجرة.
انظر : سير أعلام النبلاء ٢/١٣٥.

(٣) مطابقة الحديث للترجمة ظاهر عمدة القاري ٧١٨/١٤ والحديث أخرجه مسلم في كتاب السلام باب استحباب الرقية من العين والنملة والحُمة والنظرة، ص ٩٠٣.

(٤) أم سلمة : أم المؤمنين من المهاجرات الأوَل، دخل بها النبي ﷺ في سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجمل النساء، وأشرفهن نسبًا، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين، بلغ مسندها ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثًا.
توفيت -رضي الله عنه- سنة إحدى وستين للهجرة..
انظر : سير أعلام النبلاء ٢/٢٠١.

(٥) مطابقة الحديث للترجمة : في آخر الحديث «استرقوا لها فإن بها النظرة»، عمدة القاري، ٧١٨/٤، والحديث أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحُمة، حديث رقم ٢١٩٥.

باب العين حق[1]

١٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «الْعَيْنُ حَقٌّ» وَنَهَى عَنِ الْوَشْمِ[2].

رقم الحديث : [٥٧٤٠].

غريب الحديث :

سفعة : السفَع : السواد والشحوب.

وقيل : نوع من السواد ليس بالكثير.

وقيل : السواد على لونٍ آخر.

وقيل : السواد المشرَب حمرة[3].

الوشم: هو ما يكون من غرز الإبرة في الجلد وذرِّ النيلج عليه حتى يزرق أثرُه أو يخضر[4].

النظرة: اختلف في المراد من النظرة فقيل : عين من نظر الجن. وقيل : من الإنس. وبه

---

(١) أي : هذا باب يذكر فيه العين حق أي : الإصابة بالعين ثابتة موجودة ولها تاثير في النفوس، عمدة القاري،١٤/٧١٩.

(٢) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، المصدر السابق، والحديث طرفه في صحيح البخاري، في كتاب اللباس، باب الواشمة، رقم الحديث ٥٩٤٤، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب مسلم في كتاب السلام باب الطب والمرض والرقى ص٩٠٠، رقم الحديث ٢١٨٧.

(٣) لسان العرب ٨/١٥٦، مادة [سفع]، وانظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/٣٧٤.

(٤) المعجم الوسيط، ص١٠٣٥ [وشم]. وانظر: الحقائق الطبية، ص٢٢٥.

جزم أبو عبيد الهروي.

والأولى أنه أعم من ذلك، وأن الجارية في الحديث أصيبت بالعين ولذلك أذن رسول اللهﷺ في الاسترقاء لها[1].

الموضوع الدعوي

يبين لنا رسول الله ﷺ في أحاديث البابين الآنفة الذكر أن العين حق لا مريةَ فيها؛ لذا أمر عليه الصلاة والسلام أمَّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها أن تسترقى منها، «أي بسببها؛ وذلك إذا نظر المعيان لشيء باستحسان مشوبٍ بحسدٍ يحصل للمنظور ضرر بعادة أجراها الله تعالى»[2]

قال ابن العربي: «والحق أن الله تعالى يخلق عند نظر العائن إليه وإعجابه به إذا شاء ما شاء من ألمٍ أو هلكةٍ، وقد يصرفه قبل وقوعه بالرقية»[3].

وقد حث عليه الصلاة والسلام على العلاج من العين بالرقى الشرعية كما أمرﷺ أمَّ سلمةَ رضي الله عنها بذلك عندما وجد عندها جارية بوجهها سفعة، وقال عنها رسول اللهﷺ: «اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِها النَظْرَةَ».

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «العين حق ولو كان شيءٌ

---

(1) فتح الباري ٢٠٢/١٠.

(2) إرشاد الساري للقسطلاني ٤٦٠/١٢.

(3) المرجع السابق.

سابقٌ القدرَ لسبقته العينُ، وإذا استُغْسِلْتُم فاغسلوا»[1].

وقد وقع هذا الأمر في عهد النبيﷺ بين الصحابة، فعن أبي أمامة بن سهل بان حنيف رضي الله عنهما أن أباه حدثه أن النبيﷺ خرج وساروا معه نحو ماءٍ حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بنُ حنيف -وكان أبيضَ حسنَ الجسم والجلد- فنظر إليه عامر بن ربيعة فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلدَ مخبأة. فلُبِط -أي صرع- سهل، فأتى رسول اللهﷺ فقال : هل تتهمون به من أحدٍ؟ قالوا : عامرَ بن ربيعة. فدعا عامراً فتغيظ عليه فقال : علامَ يقتلُ أحدُكم أخاه! هلاّ إذا رأيت ما يعجبك بركت. ثم قال : اغسل له. فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم حثي عليه، وخرج سهل مع الناس ليس به بأس[2].

ومع وجود هذه الادلة الصريحة من سنة رسولﷺ بحقيقة العين وتأثيرها على الآخرين إلا أن هناك طوائف من المبتدعين المتقدمين والمتأخرين انكروا أمرَ العين، وقالوا: إن ذلك أوهام لا حقيقة لها. وقد أنكر عليهم علماءُ الإسلام.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : « أبطلت طائفة ممن قلَّ نصيبُهم من السمع والعقل أمرَ العين وقالوا : إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل، ومن أغلظهم حجابًا، وأكثفهم طباعًا، وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها، وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونِحلهم لا تدافع أمرَ

---

(1) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطب، والمرض والرقي، ص..٩.

(2) سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب العين ٢/ ١١٦٠.
ومالك في الموطأ، كتاب العين باب الوضوء من العين ٢/٣٤٥.

العين ولا تنكره..»[1].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «قوله : "باب العين حق" أي الإصابة بالعين ثابت موجود، أو هو من جملة ما تحقق كونه. قال المازري : أخذ الجمهور بظاهر الحديث، وأنكره طوائف المبتدعة لغير معنى؛ لأن كل شيء ليس محالاً في نفسه، ولا يؤدي إلى قلب حقيقة ولا إفساد دليل، فهو من متجاوزات العقول، فإذا أخبر الشرع بوقوعه لم يكن لإنكاره معنى، وهل من فرق بين إنكارهم هذا وإنكارهم ما يُخْبِرُ من أمور الآخرة؟!»[2].

ومهما ادعى الجاهلون في كل زمان من إنكار إصابة العين فإن ما أخبر به الرسول ﷺ أمرٌ مسلَّمٌ به ومقبول عند المسلمين وهو، عقيدةً يعتقدونها.

الفوائد الدعوية :

أولاً : حرص الداعية على علاج العين بالقرآن والأدعية الشرعية.

ثانيًا : شفقة رسول الله ﷺ على المرضى.

ثالثًا : النهي عن الوشم.

رابعًا : حرص الداعية على صحة المدعوين اقتداء بسيد المرسلين ﷺ.

---

(1) زاد المعاد ٤/١٦٥.

(2) فتح الباري ١٠/٢٠٣، وانظر الكرماني بشرح صحيح البخاري ٢١/٢٢.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً: حرص الداعية على علاج العين بالقرآن والأدعية الشرعية .

إن الداعية إلى الله تعالى مأمور بامتثال المنهج النبوي في دعوته، وبالأخذ بما ورد عن رسول الله ﷺ في شأنه كله، ومن ذلك الرقية الشرعية للمصاب بالعين، لما في ذلك من نفع عظيم له ولسائر المدعوين، فعليه الأخذ بهذا العلاج النبوي القويم، ومعالجة من يصاب بالعين من مرضى المسلمين به.

قال الخطابي : «الرقية التي أمر بها رسول الله ﷺ هو ما يكون بقوارع القرآن، وبالعوذ التي يقع منها ذكر الله عز وجل وأسماؤه على ألسن الأبرار من الخلق والأخيار الطاهرة نفوسهم، فيكون ذلك سبباً للشفاء بإذن الله وهو الطب الروحاني، وعلى هذا كان معظم الأمر في الزمان المتقدم الصالح أهله، وبه كان يقع الاستشفاء واستدفاع أنواع البلاء، فلما عزّ وجود هذا الصنف من أبرار الخليقة وأبرار البرية، فزع الناس إلى الطب الجسماني حين لم يجدوا للطب الروحاني نجوعا في العلل والأسقام، لعدم المعاني التي كان يجمعها الرقاة والمعوذون والمستشفون بالدعوات الصالحة..»[1].

وقد فصل الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى القولَ في بيان هديه ﷺ في علاج المصاب بالعين حيث قال : «... فمن التعوذات والرقى الإكثار من قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وآية الكرسي، ومنها التعوذات النبوية نحو : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. ونحو : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة...

---

(1) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للإمام ابن سليمان حمد بن محمد الخطابي ٣/٢١٣١-٢١٣٢

إلى أن قال : ومن جرب هذه الدعوات عرف مقدار منفعتها، وشدة الحاجة إليها، وهي تمنع وصول أثر العائن، وتدفعه بعد وصوله، بحسب قوة إيمان قائلها وقوة نفسه واستعداده، وقوة توكله وثبات قلبه، فإنها سلاح، والسلاح بضاربه»[1].

فعلى الداعية إلى الله تربية أفراد مجتمعه على التحصن بكتاب الله وما ورد عن رسول الله ﷺ من أدعية مأثورة صحيحة، فهي صمام الأمان للمدعوين، والطريقة السليمة لحفظ أنفسهم وأولادهم من العائنين، فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين.

ثانيًا: شفقة رسول الله ﷺ على المرضى.

إن رسول الله ﷺ المحب لأمته الرؤوف بها الذي وصفه ربه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]. ومن شفقته عليه الصلاة والسلام أنه لما رأى في وجه هذه الجارية التي كانت في بيته ﷺ أثر المرض أمر بعلاجها رحمة منه ﷺ وشفقةً عليها فقال : «اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ». وشبيه بهذه القصة أنه ﷺ لما رأى أبناء أخيه وفي أجسامهم نحافة قال لأسماء بنت عميس : «مالي أرى أجسام بني أخي ضارعة تصيبهم الحاجة؟ قالت : لا ولكن العين تسرع إليهم. قال : «ارقيهم» قالت فعرضت عليه فقال : ارقيهم»[3].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ١٧٠/٤، وانظر : الحقائق الطبية في الإسلام، ص٢٩١.

(٢) التوبة : ١٢٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنَّمْلَة والحُمَة والنظرة، ص٩٠٤.

فعلى الداعية أن يقتدي برسوله ﷺ في هذا الخلق الكريم، وينظر إلى أفراد مجتمعه نظرة رحمة وعطف، يرحم الصغير، ويعطف على الكبير، ويتفقد المريض ويبحث عن أسباب علاجه.

ثالثًا: النهي عن الوشم.

إن المسلم يستمد منهج حياته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في جميع أموره، ويحذر من مخالفة هدي رسول الله ﷺ، ومن ذلك الوقوع في الوشم الذي حذر منه رسول الله ﷺ. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة»[1].

قال الخطابي: «إنما ورد الوعيد الشديد في هذه الأشياء؛ لما فيها من الغش والخداع، ولو رخص في شيء منها لكان وسيلة إلى استجازة غيرها من أنواع الفحش، ولما فيها من تغيير الخلقة»[2].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب المستوشمة، ص١١٥٤، ومسلم بلفظه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، ص٨٧٩، وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى تعقيبًا على هذا الحديث: «وقد ظهرت لي مناسبة بين هاتين الجملتين لم أر من سبق إليها، وهي أن من جملة الباعث على الوشم تغيير صفة الموشوم لئلا تصيبه العين، فنهى عن الوشم مع إثبات العين». انظر: فتح الباري، ٢٠٣/١٠.. وانظر: الطب النبوي والعلم الحديث ١٦٣/٣. وسيأتي مزيد عن ذلك في كتاب اللباس، باب وصل الشعر، ص٣٩١.

(2) أعلام الحديث للخطابي ٢١٦٤/٣.

رابعًا: حرص الداعية على صحة المدعوين اقتداء بسيد المرسلين ﷺ.

إن على الداعية الحرص على توجيه المدعوين بما ينفعهم في أمور الدين، كما يحرص على صحتهم لما فيها من نعمة عظيمة على الإنسان في هذه الحياة، إذا استثمرها في طاعة الله سبحانه، ورسول الله ﷺ عندما رأى هذه الجارية قد تغير لون وجهها، شخص ما بها من مرض، وعلم عليه الصلاة والسلام أن بها النظرة، فأمر بأن يسترقى لها.

وهذا هديه عليه الصلاة والسلام مع القريب والبعيد، حيث كان ﷺ يعوذ الحسن والحسين من عين وغيرها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين، يقول: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة. قال: وكان أبونا إبراهيم يعوذ بها إسماعيل وإسحاق»[1].

فعلى الداعية إلى الله أن يحرص على سلامة مجتمع الدعوة صحيًا؛ ليكون هذا المجتمع قويًا يهابه الأعداءُ ويعمر الأرض طاعة لله وخدمةً للإسلام والمسلمين، ومن الحرص على سلامة المدعوين منع العائن الذي يتأذى به الناس من الدخول للأسواق حفظا للمدعوين من أذاه. قال الحافظ ابن حجر: «ونقل ابن بطال عن بعض أهل العلم أنه ينبغي للإمام منع العائن إذا عرف بذلك من مداخلة الناس وأن يلزمَ بيتَه، فإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به؛ فإن ضرره أشدّ من ضرر المجذوم الذي أمر عمر رضي الله عنه بمنعه من مخالطة الناس، وأشد من ضرر الثوم الذي منع الشارع آكله من حضور الجماعة.

---

(1) سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب ما عَوَّذ به النبي ﷺ وما عُوِّذ به، ٢/١١٦٣.

قال الحافظ ابن حجر : وهذا القول صحيح متعين لا يعرف عن غيره تصريح بخلافه[1]. وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : «وقد قال أصحابنا وغيرهم من الفقهاء : إن من عرف بذلك حبسه الإمام، وأجرى له ما ينفق عليه إلى الموت، وهذا هو الصواب قطعًا[2].

(1) انظر : فتح الباري ٢٠٥/١٠،والكرماني على البخاري ٢٤/٢١.

(2) زاد المعاد، ١٦٨/٤.

باب رقية الحية والعقرب[1]

١٧- عنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : «رَخص النَّبيُّ ﷺ الرُّقيَةَ مِنْ كُلِّ ذِي حُمَةٍ»[2].

رقم الحديث : [٥٧٤١].

باب رقية النبي ﷺ[3]

١٨- عنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ[4] قال : دَخَلْتُ أنا وثَابتُ[5] عَلَى أنس بن مَالك فقَال ثابت : يَا أبَا حَمْزَةَ اشتَكَيْتُ[6]، فقَال أنس : ألا أرْقيكَ برُقْيَة الرَّسُول ﷺ ؟ قالَ : بلَى، قَالَ : اللَّهُمَّ ربَّ النَّاسِ مُذْهِبَ الْبَاسِ اشْفِ أنْتَ الشَّافِي لا شَافِيَ إلا أنْتَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا[7].

رقم الحديث : ٥٧٤٢.

---

(١) أي : هذا باب في بيان مشروعية الرقية عند لدغ الحية والعقرب عمدة القاري ٧٢١/١٤.

(٢) سبق شرح ما يتعلق بالرقية من كل ذي حمة في باب ذات الجنب، ص.١٦٠؛ فليرجع إليه هناك، ومطابقته للترجمة تؤخذ من قوله : «الرقية من كل ذي حمة»،عمدة القاري، ٧٢٢/١٤، والحديث أخرجه مسلم، برقم : ٢١٩٣، بلفظ رخص لأهل بيت من الأنصار.

(٣) أي: هذا باب في بيان رقية النبي ﷺ التي كان يرقى بها، عمدة القاري،١٤/ ٧٢٢.

(٤) عبد العزيز بن صهيب، هو عبدالعزيز بن صهيب البناني، البصري الحافظ حدث عن أنس بن مالك، وأبي نضرة العبدي وشهر بن حوشب. روى عنه شعبه، والثوري، وحماد بن زيد وهشيم، وعبدالوارث وغيرهم وثقه أحمد بن حنبل وغيره وماهو بالمكثر ، مات سنة ثلاثين ومائة. سير أعلام النبلاء ١٠٣/٦.

(٥) ثابت البناني، هو ثابت بن اسلم ابو محمد البناني، الإمام القدوة شيخ الإسلام ولد في خلافة معاوية وبنانة هم بنو سعد بن لؤي بن غالب حدث عنه عطاء بن رباح مع تقدمه وقتادة وغيرهما خلق كثير مات سنة ١٢٧هـ، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٠-٢٢.

(٦) اشتكيت : مرضت. إرشاد الساري، ٤٦٣/١٢.

(٧) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة. عمدة القاري ٧٢٢/١٤.

١٩- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ : «بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا ، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا ، يُشْفَى سَقِيمُنَا ، بِإِذْنِ رَبِّنَا»[١].

رقم الحديث : [٥٧٤٥].

الموضوع الدعوي

في حدثيي الباب بيان لهديه ﷺ في رقية المريض المشتمل على الدعاء والتضرع إلى الله، وفي هذا بيان أهمية الدعاء عند المرض وطلب الشفاء، وقد قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٢].

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى عن هذه الآية :«فاني قريب منهم اسمع دعاءهم واجيب دعوة الداعي منهم»[٣].

فمن دعا ربه بقلب حاضر ودعاء مشروع ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء كأكل الحرام وغيره، فإن الله وعده بالإجابة، خصوصًا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهو الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره و اجتناب نواهيه القولية والقلبية، والإيمان به الموجب للاستجابة؛ فلهذا قال جل وعلا : ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ

---

(١) مطابقته للترجمة ظاهرة، انظر : عمدة القاري، ٧٢٤/١٤، والحديث أخرجه مسلم في كتاب. السلام باب استحباب الرقية من العين والنملة والحُمه والنظرة، ص٩٠٣ برقم ٢١٩٤.

(٢) البقرة : ١٨٦.

(٣) جامع البيان عن تأويل أي القرآن للإمام الطبري ١٥٨/٢، ط مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

يَرْشُدُون ﴾[1].

وقد بين عليه الصلاة والسلام فضل الدعاء واللجوء إلى الله في كل وقت، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما على الأرض مسلمٌ يدعو الله تعالى بدعوة إلا أتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلَها مالم يدع بمأثمٍ أو قطيعة رحمٍ» فقال رجل من القوم: إذًا نكثر. قال: «الله أكثر»[2].

وعندما يدعو المسلم ربَّه يعلم علم اليقين أنه لاشافي إلا اللهُ وحده، وأن هذه الرقى ماهي إلا سبب من الأسباب؛ ولذا قال عليه الصلاة والسلام في دعائه في الحديث الذي رواه أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: «اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لا شَافِيَ إِلا أَنْتَ».

إنها تربية على عقيدة الإسلام الصافية، ورد على من يظن أن الرقية هي الشافية بنفسها، وأن هذا القول مخالف للعقيدة الصحيحة التي ذكرها الله في كتابه وعلى ألسنة رسله، وبينها إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في محاجته لقومه، حيث قال جلَّ وعلا: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[3].

---

(١) البقرة: ١٨٦.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب في انتظار الفرج وغير ذلك، ٩/٢١٥، واخرجه الإمام احمد في مسنده، ٣/١٨، بزيادة.

(٣) الشعراء: ٦٩-٨٠.

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : «اشْفِ أنْتَ الشَّافِي» بيان لجواز تسمية الله تعالى بما ليس في القرآن بشرطين :

أحدهما : أن لا يكون في ذلك ما يوهم نقصاً.

الثاني : أن يكون له أصل في القرآن، وهذا من ذاك، فإن في القرآن (وإذا مرضت فهو يشفين.....)[1].

وكان من هديه عليه الصلاة والسلام أنه إذا أتى مريضًا أو أوتي به إليه قال : «اذهب الْبَاسَ اشْفِ وأنْتَ الشَّافِي لا يُغَادِرُ سَقَمًا»[2].

والحكمة من تقييده ﷺ في قوله : «شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا» هو طلب الشفاء من المرض نهائيًا، وألا يترتب على زوال المرض بقاء مرض آخر يعقبه.

قال الحافظ ابن حجر : «وفائدة التقييد بذلك أنه قد يحصل الشفاءُ من ذلك المرض فيخلفه مرضٌ آخر يتولد منه، فكان يدعو له بالشفاء المطلق، لا بمطلق الشفاء»[3].

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : «بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا...الخ بين العلماء الحكمة في ذلك فقال الحافظ نقلاً عن التوربشتي : «كأن المراد بالتربة الإشارة إلى فطرة آدم، والريقة الإشارة إلى النطفة، كأنه تضرع بلسان الحال أنك اخترعت الأصل الأول من التراب ثم أبدعته منه من ماء مهين، فهين عليك أن تشفي من كانت هذه

---

(١) فتح الباري ٢٠٧/١٠، وانظر : عمدة القاري ٧٢٣/١٤، إرشاد الساري ٤٦٣/١٢.

(٢) سبق تخريجه، ص٨٦.

(٣) فتح الباري ١٣١/١٠.

نشأته»[1].

قلت : وسواء علمت الحكمة من ذلك أم لم تعلم فإن الواجب علينا التسليم بما ورد عن رسول الله ﷺ والأخذ به واعتقاد نفعه.

قال القرطبي رحمه الله : «وأما النفث ووضع السباب على الأرض فلا يتعلق منها بالمرء في شيء له بال ولا أثر، وإنما هذا من باب التبرك بأسماء الله تعالى وبآثار رسوله ﷺ، وأما الريق ووضع الإصبع وما أشبه ذلك فإما أن يكون ذلك لخاصية فيه، وإما أن يكون ذلك لحكمة إخفاء آثار القدرة بمباشرة الأسباب المعتادة، والله تعالى أعلم»[2].

الفوائد الدعوية :

أولاً : جواز عرض المدعو ما به من مرض على الآخرين.

ثانيًا : حث المدعوين على الرقى الشرعية الثابتة عن المصطفى ﷺ.

ثالثًا : من صفات الداعية الحرص على نشر العلم الشرعي.

---

(1) فتح الباري ١٠/٢٠٨، وانظر : عون الباري ٥/٢٥٩، وصحيح البخاري بشرح الكرماني ٢٠/٢٦، والحقائق الطبية، ص٣٢٧.

(2) المفهم ٥/٥٨٠.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا: جواز عرض المدعو مابه من مرض على الآخرين.

إن المسلم قد يصاب بمرض من الأمراض، فيجب عليه عرض ما أصابه من مرض على العلماء والأطباء بحثًا عن العلاج، فذلك لا يعارض إيمانه بربه وتوكله عليه، وقد أخرج مسلم من حديث أبي سعيد «أن جبريل أتى النبيﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال: نعم. قال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شرّ كل نفس أو عين حاسد اللهُ يشفيك باسم الله أرقيك»[1].

وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يعرضون أنفسهم على رسول اللهﷺ ويشتكون إليه ما نزل بهم من الهم؛ رجاءَ الدعوة منه، والشفاء من المرض، وقد شكا خالد بنَ الوليد المخزومي إلى النبيﷺ فقال: يا رسول الله، ما أنام الليل من الأرق. فقال النبي ﷺ: إذا أويت إلى فراشك فقل: «اللَهُمَّ ربَّ السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعًا أن يفرط عليَّ أحدٌ منهم أو أن يبغى، عزّ جارك، وجلّ ثناؤك، ولا إله غيرك لا إله إلا أنت»[2].

وعرض ما بالإنسان من مرض على الآخرين هو من باب الأخبار لامن باب التسخط وعدم الرضى؛ لذا ينبغي على الداعية إلى الله أن يخفف المصاب عن المريض إذا

---

(1) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، ص٩٠٠.

(2) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب دعاء من أوى إلى فراشه ١٨٣/٩.

اشتكى إليه بأمور منها القراءة عليه من الكتاب والسنة، وإرشاده إلى الأدوية النافعة الناجعة بإذن الله، وحثه على الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، وتحذيره من التسخط مما أصابه.

ثانيًا: حث المدعوين على الرقى الشرعية الثابتة عن المصطفى ﷺ من كل الأمراض.

الداعية إلى الله يربي المدعوين على الأخذ بما ورد عن رسول الله ﷺ، ومن هنا فإن أول ما ينصح به المدعو عندما يمرض هو قراءة الرقى الشرعية الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن من أخذ بها بصدق نية وفق إلى الشفاء بإذن الله تعالى من كل مرض، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على الرقية الشرعية الثابتة عن الرسول ﷺ كما فعل أنس رضي الله عنه مع ثابت حيث قال له: أرقيك برقية رسول الله ﷺ»، وقد وضع العلماء شروطًا للرقية الشرعية منها :

١- ألا تكون الرقية رقية شركية، فكل رقية اشتملت على شرك فهي حرام لا يجوز للمؤمن أن يتعاطاها.

٢- ألا تكون الرقية رقية سحرية، حيث حذر الرسول ﷺ من ذلك فقال : «اجتنبوا الموبقات : الشرك بالله والسحر»[1].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات، ص١١٢٩، ومسلم مطولاً كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ص٦٣.

٣- ألا تكون الرقية من عراف أو كاهن.

٤- أن تكون الرقية بعبارات ومعنى مفهوم.

٥- ألا تكون الرقية بعبارات محرمة، كاشتراط الذبح للجن[١].

٦- الإخلاص لله جلّ وعلا.

٧- الاتباع وعدم الابتداع.

ثالثًا: من صفات الداعية الحرص على نشر العلم الشرعي.

إن أعظم ما يحفظ مجتمع الدعوة من الانحراف عن الطريق المستقيم هو نشرُ العلم الشرعي، وقد دعا عليه الصلاة والسلام لمن بلغ دعوته ونشر حديثه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضَّر الله امرءاً سمع منا شيئًا فبلّغه كما سمع، فربَّ مبلَّغٍ أوعى من سامعٍ»[٢]؛ لذا نجد صحابة رسول الله ﷺ يحرصون على نشر العلم وتبليغ رسالة الله سبحانه، فهذا أنس بن مالك اشتكى إليه ثابت فقال: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟؟ قال: بلى.

---

(١) الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، ص٥٩ بتصرف، وانظر: قواعد الرقية الشرعية للشيخ/ عبد الله محمد السدحان.

(٢) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٣٠٦/٧، وابن حبان، في صحيحه كتاب العلم، باب الزجر عن كِتبة المَرْءِ السّنَنَ مخافة أن يتكل عليها دون الحفظ لها ٢٦٨/١، ط مؤسسة الرسالة.

ومتى حرص الدعاة إلى الله على ذلك نالوا الأجرَ العظيمَ والثوابَ الجزيلَ من الله، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» ثم قال ﷺ: «إن الله وملائكتَه وأهلَ السموات والأرضِ حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخيرَ»[1].

---

(1) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٣٢٧/٧. قال ابوعيسى هذا حديث حسن صحيح.

باب الطيرة[1]

٢٠- عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللّهُ عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ» قَالُوا : وَما الْفَأْلُ؟ قَالَ : «الْكَلِمَةُ الصَالِحَة يَسْمَعُهَا أحدُكُمْ»[2].

رقم الحديث : [٥٧٥٤].

باب الفأل

٢١- عَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّه عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَال : «لاَ عَدْوَى ولاَ طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ : الْكَلِمَةَ الْحَسَنَةُ»[3].

رقم الحديث : [٥٧٥٦].

وفي رواية قال : «لا عَدْوَى ولاَ طَيَرةَ، ويُعْجِبُني الفأل» قالوا : وما الفألْ؟ قال : كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ».

طرف رقم : [٥٧٧٦].

---

(١) أي : هذا باب في بيان الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء آخر الحروف وقد تسكن وهو التشاؤم النسبي، عمدة القاري، ١٤ /٧٢٩، وسبق تعريف الطيرة في ص١٤٥.

(٢) مطابقته للترجمة ظاهرة، عمدة القاري، ١٤ /٧٣٠، وطرف الحديث بنفس الكتاب، باب الفأل برقم ٥٧٥٥، وأخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، حديث رقم : ٢٢٢٣.

(٣) مطابقة للترجمة في قوله : «ويعجبني الفأل» عمدة القاري، ١٤ /٧٣١، والحديث في باب لا عدوى برقم ٥٧٧٦، وأخرجه مسلم ٢٢٢٤ في كتاب السلام باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، ص٩١٤.

باب لا هامة[1]

٢٢- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللهُ عنه قال : قَالَ النَّبيُّ ﷺ : «لاَ عَدْوَى، وَلاَ صَفَر، ولاَ هَامَة» فَقَال أعْرَابي : يا رَسُولَ اللهِ فَمَا بَالُ الإبْلِ تَكُونُ في الرَمْل كَأنَّها الظِّباء، فَيُخَلِطُهَا الْبَعيرُ الأجْرَبُ فيجرِبها؟ فقالَ ﷺ : «فَمَنْ أعْدَى الأوَّل؟!»[2].

رقم الحديث : [٥٧٧٠].

غريب الحديث :

الفال : ضد الطيرة، والفال أن يكون الرجل مريضًا فيسمع آخر يقول : يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول : يا واجد فيقول : تفاءلت بكذا[3].

والفال مهموز : فيما يسر ويسوء[4].

قال ابن دريد : تفاءلت بالشيء تبركت به أو تشاءمت.

---

(١) أي : هذا باب يذكر فيه : لاهامة. والهامة : كل ذات سم تقتل والجمع الهوام، عمدة القاري، ٧٤٩/١٤.

(٢) مطابقته للترجمة في قوله : «ولاهامة»، عمدة القاري، ١٤ /٧٤٩، والحديث أخرجه مسلم، في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها برقم ٢٢٢٠.

(٣) لسان العرب ٥١٣/١١، مادة [فال]، وانظر : المشوف المعلم ٥٨٨/٢، تهذيب اللغة ٣٧٧/١٥ مادة [فال].

(٤) النهاية في غريب الحديث ٤٠٥/٣.

قال أبو عبيد : هو الفأل، وجمعه فؤول، وقيل : الفأل في الخير، والطيرة في الشر[1].

الرَمْل : نوع معروف من التراب، وجمعه الرمال[2].

الظباء : الظبي الغزال، الأنثى ظبية، والجمع ظبيات وظباء[3].

فيجرِبُها : الجرب معروف، بثر يعلو أبدان الناس والإبل[4].

الموضوع الدعوي

في أحاديث الأبواب الآنفة الذكر يبيّن لنا رسول الله ﷺ حبّه للفأل، والفأل كما فسره النبي ﷺ هو الكلمة الصالحة، وحذر ﷺ من التطير؛ لما فيه من خلل في عقيدة المسلم وسببٍ للقلق النفسي؛ لأن الطيرة سوء ظن بالله سبحانه وتعالى، فمن ساء ظنه بربه فحري أن ينتابه القلقُ والخوفُ في جميع أموره، ويطلب الفرج مما لا يقدر على ذلك، كأن يعتمد على الطير في حركاته وجنوحه يمينًا وشمالاً، وغيرها من الأمور التي نهى عنها الشرع.

وقد بين ﷺ البديل وهو الفأل، وهو حسن الظن بالله سبحانه وتعالى، فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي

---

(1) المخصص لابن سيدة ٢٤/٤، ط دار الفكر، بيروت.

(2) لسان العرب ٢٩٤/١١ مادة [رمل].

(3) لسان العرب ٢٣/١٥، مادة [ظبا]، وانظر تهذيب اللغة ٣٩٨/١٤ مادة [ظبا].

(4) لسان العرب ٢٥٩/١ مادة [جرب].

بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...»[1].

قال الحلبي: إنما كانﷺ يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء الظن بالله تعالى بغير سببٍ محققٍ، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال[2].

وكان من هديهﷺ حبُّ الفأل، فعن أنس رضي الله عنه قال: إن النبيﷺ كان إذا خرج لحاجة يعجبه أن يسمع: يا نجيح يا راشد»[3].

قال ابن بطال: جعل الله في فطر الناس محبةَ الكلمة الطيبة والأنسَ بها، كما جعل فيهم الارتياح بالمنظر الأنيق والماء الصافي، وإن كان لا يملكه ولا يشربه»[4].

وقال الطيبي: معنى الترخص في الفأل والمنع من الطيرة هو أن الشخص لو رأى شيئًا فظنه حسنًا محرضًا على طلب حاجته فليفعل ذلك، وإن رآه بضد ذلك فلا يقبله بل يمضي لسبيله، فلو قبل وانتهى عن المضي فهو الطيرة التي اختصت بأن تستعمل في الشؤم، والله أعلم»[5].

وليس التطير وجود الأثر السيء بعد المصيبة، إنما الخوف من القدر، وسوء الظن

(1) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: «ويحذركم الله نفسه»، ص.١٤١٠، ومسلم بنحوه، كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، ص١٠٧٥.

(2) فتح الباري ٢١٥/١٠، وانظر: تيسير العزيز الحميد، ص٤٣٥.

(3) سنن الترمذي، كتاب السِّيَر، باب ماجاء في الطيرة، وقال: حديث حسن غريب صحيح ٥/ ٣٣٧-٣٣٨.

(4) فتح الباري ٢١٥/١٠.

(5) فتح الباري ٢١٥/١٠.

بالله، وتوقع البلاء[1]، أما إذا وقعت المصيبة فعلى المسلم التسليم بما قدره الله عليه، والصبر على الضراء، فهذه صفة المؤمن المتوكل على الله الراضي بقدر الله، وهو الذي قال عنه الرسول ﷺ في قوله: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمرَه كلَّه خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».[2]

فمن كانت هذه حاله اطمأن قلبُه في هذه الحياة الدنيا، وعاش حياة سعيدة، وأنعمْ بها من حياة لا يعيشها إلا المؤمن الذي توكل على ربه حق التوكل.

الفوائد الدعوية:

أولاً: حرص الداعية على تربية المدعوين على حب الفأل والبعد عن الطيرة.

ثانيًا: تربية المدعوين على حسن المحاورة للوصول إلى الحق، وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

ثالثًا: بيان الحكمة من الجمع بين الطيرة والفأل.

رابعًا: حرص الدين الإسلامي على حماية مجتمع الدعوة من الأسباب المؤدية إلى الوهم.

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص٤٣٤، ط المكتب الإسلامي.

(٢) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق باب المؤمن أمره كله خير، ص١٢٠٠. ط بيت الافكار الدولية.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً: حرص الداعية على تربية المدعوين على حب الفأل والبعد عن الطيرة .

إن مما يحرص عليه الداعية في مجتمعه تربية المدعوين على العقيدة الصحيحة البعيدة كل البعد عن كل ما يؤدي بها إلى الخلل، ومن ذلك الحذر من التطير وعدم الالتفات إلى هذه الأمور في حياتهم كلها، كما يربيهم على حب الفأل كما ربى رسول اللهﷺ أصحابه على ذلك، ومن المؤسف ما ينتشر في بعض مجتمعات المسلمين من التطير ببعض النجوم والتفاؤل بها، فيقال : في نجم كذا تأتي إليك الكوارث، وفي نجم كذا تكون من أصحاب الأموال الطائلة، وساعد على نشر هذه الأفكار المنحرفة تلك المجلات الوافدة التي خصصت صفحة لها في كل مجلة من أجل هذا الغرض، وقد حذر سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله من هذا الأمر فقال[1] : «لقد اطلعت على مقال نشر في بعض الصحف يتضمن تمجيد بعض أعمال الجاهلية والفخر بها والدعوة إليها، مثل التعلق بالنجوم والأبراج، والحظ والطالع، فرأيت أن من الواجب التنبيهَ على ما تضمنه المقال من الباطل، فأقول : إن ما يسمى بعلم النجوم والحظ والطالع من أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها وبيان أنها من الشرك؛ لما فيها من التعلق بغير الله تعالى، واعتقاد الضر والنفع في غيره.. وتصديق العرافين والكهنة الذين يدّعون علمَ الغيب زوراً وبهتاناً، ويعبثون بعقول السذج والأغرار من الناس ليبتزوا أموالهم ويغيروا عقائدهم. قال ﷺفيما رواه عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : «من اقتبس علماً

---

[1] نشرته مجلة البحوث الإسلامية، التي تصدرها الإدارة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، عدد٦، ص٢٨٦-٢٨٨.

من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد مازاد»[1]. إلى أن قال رحمه الله: وقد ظهر من أقواله ﷺ ومن تقريرات الأئمة من العلماء وفقهاء هذه الأمة أن علم النجوم وما يسمى بالطالع وقراءة الكف وقراءة الفنجانة ومعرفة الحظ كلُّها من علوم الجاهلية، ومن المنكرات التي جاء الإسلام بإبطالها والتحذير من فعلها أو إتيان من يتعطاها وسؤاله عن شيء منها، أو تصديقه فيما يخبر به من ذلك؛ لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[2].

ونصيحتي لكل من يتعلق بهذه الأمور أن يتوب إلى الله ويستغفره، وأن يعتمد على الله وحده، ويتوكل عليه في كل الأمور مع أخذه للأسباب الشرعية والحسية المباحة، وأن يدع هذه الأمورَ الجاهليةَ ويبتعد عنها، ويحذر سؤالَ أهلها أو تصديقَهم طاعةً لله ولرسوله ﷺ، وحفاظًا على دينه وعقيدته، والله المسؤول أن يرزقنا والمسلمين الفقهَ في دينه، والعمل بشريعته، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه وخاتم رسله محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين».

فعلى الداعية إلى الله تحذير المدعوين من التشاؤم بالنجوم وغيرها؛ حمايةً لجانب التوحيد[3].

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في النجوم، ص٥٩٦.

(2) النمل: ٦٥.

(3) للفائدة انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم الجوزية، ٢/٥٥٣، ط دار زمزم، الرياض.

ثانيًا: تربية المدعو على حسن المحاورة للوصول إلى الحق، وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

إن تربية المدعوين على طرح الأسئلة التي في أذهانهم دون تردد والإجابة عليها من الوسائل التي تعينهم على الوصول للحق وبيان الصواب، فهذا نبي الأمة وإمام الدعاةﷺ يترك المجال لهذا الأعرابي يحاوره فيقول: «يا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ الإِبْلِ تَكُونُ في الرَّمْلِ كَأَنَّها الظِّباء، فَيُخَالِطُهَا الْبَعِيرُ الأَجْرَبُ فيجْرِبَها؟» فيجيبهﷺ: «فَمَنْ أَعْدى الأَوَّل؟!».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وهو جواب في غاية البلاغة والرشاقة، وحاصله: من أين جاء الجرب الذي أعدى بزعمهم؟ فإن أجيب بأن الذي فعله في الأول هو الذي فعله في الثاني ثبت المدَّعى، وهو أن الذي فعل بالجميع ذلك هو الخالق القادر على كل شيء، وهو الله سبحانه وتعالى»[1].

وهذا الحوار يصدر ممن اتصف بسعة الصدر للآخرين؛ رغبةً في بيان الحق لهم، وقد وصف الله نبيّهﷺ بذلك فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[2].

فإن المدعو حينما يسأل عن مسألة وقعت له فيها شبهٌ يحتاج إلى مثل هذا الخلق الكريم.

(1) فتح الباري ١٠/٢٤٢.

(2) آل عمران: ١٥٩.

قال القرطبي : «وفي جواب النبيﷺ للأعرابي جوازُ مشافهة من وقعت له شبهة في اعتقاده بذكر البرهان العقلي إذا كان السائل أهلا لفهمه، وأما إن كان قاصراً فيخاطب بما يحتمله عقلُه من الإقناعيات...»[1].

وما أجمل أن يستعمل الداعية هذا الأسلوب بسعة الصدر للمدعوين، يسمع من متعلمهم، ويعلم الجاهل من عوامهم بحسن أسلوب وسلامة صدر يؤدي إلى ظهور الحق والأخذ به بمشيئة الله تعالى.

ثالثًا: الحكمة من الجمع بين الطيرة والفأل.

في قوله ﷺ : «لا طيرة، وخيرها الفأل. قالوا : وما الفأل يا رسول الله؟ قال : «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم».

قال الكرماني : «إضافة الخير إلى الطيرة مشعر بأن الفأل من جملة الطيرة»[2].

وقد تعقبه الحافظ ابن حجر فقال: «وليس كذلك بل هي إضافة توضيح»[3].

وتعقُّب الحافظ في محله فلا يسلَّم بكلام الإمام الكرماني رحمه الله، بل الإضافة تدل على أن الفأل خير من الطيرة، لكن أفعل التفضيل ليست على بابها للأحاديث الدالة على نفي الخيرية من التطير».

---

(1) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٥/٦٢٢.

(2) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢١/٣٢.

(3) فتح الباري ١٠/٢١٤.

وقال الطيبي : «الضمير المؤنث في قوله : «وخيرها» راجع إلى الطيرة، وقد علم أن الطيرة كلها لا خير فيها، فهو كقوله تعالى : ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾[1]، وهو مبني على زعمهم، وهو من إرخاء العنان في المخادعة بأن يجرى الكلام على زعم الخصم حتى لا يشمئز عن التفكر فيه، فإذا تفكر فأنصف من نفسه قبل الحق. فقوله : «خيرها الفأل» إطماع للسامع في الاستماع والقبول، لا أن في الطيرة خيراً حقيقةً، أو هو من نحو قولهم : «الصيف أحر من الشتاء» أي الفأل في بابه أبلغ من الطيرة في بابها، والحاصل أن أفعل التفضيل في ذلك إنما هو بين القدر المشترك بين الشيئين، القدر المشترك بين الطيرة والفأل تأثير كلٍ منهما فيما هو فيه، والفأل في ذلك أبلغ»[2].

وقال الخطابي : «وإنما صار الفأل خير أنواع هذا الباب، لأن مصدره عن نطق وبيان، فكأنه خير جاءك عن غيب، وأما سنوح الطير وبروحها، فليس فيه شيء من هذا المعنى وإنما هو تكلف من المتطير وتعاطٍ لما لا أصل له في نوع علم وبيان؛ إذ ليس للطير والبهائم نطق ولا تمييز، فيستدل بنطقها على مضمون معنى فيه وطلب العلم من غير مظانه جهل، فلذلك تركت الطيرة واستؤنس بالفأل»[3].

رابعًا : حماية الإسلام لأفراد مجتمع الدعوة من الأسباب المؤدية إلى وسوسة الشيطان .

إن الإسلام في عقيدته الصافية يربي أبناء المجتمع على التوكل على الله الذي لا

---

(١) الفرقان : ٢٤.

(٢) فتح الباري ١٠/٢١٤.

(٣) أعلام الحديث للخطابي، ٣/ ٢١٣٦.

يشوبه خلل؛ امتثالاً لقوله تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، فنهى رسول الله ﷺ عن التطير لما فيه من الوهن وضعف التوكل على الله، وحث على الفأل.

لذا فإن الإسلام قد حمى أفراد المجتمع المسلم من أسباب وسوسة الشيطان بتحريم الطيرة المؤدية إلى ضعف المسلم في مسيرته في حياته، قال الإمام ابن القيم : «فالطيرة باب من الشرك وإلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، يكبر ويعظم شأنها على من أتبعها لنفسه واشتغل بها وأكثر العناية بها، وتضمحل عمن لم يلتفت إليها، ولا ألقى إليها بالَه، ولا شغل بها فكَره ونفسَه، والمتطير متعب القلب، منكر الصدر، كاسف البال، سيء الخلق، يتخيل من كل ما يراه أو يسمعه، أشد الناس خوفًا، وأضيق الناس صدراً، وأحزنهم قلبًا، كثير الاحتراز والمراعاة لما لا يضره ولا ينفعه، وكم حرَم نفسَه بذلك من حظ، ومنعها من رزقٍ، وقطع عليها من فائدة»[2].

ومن الأمور التي بينها الإسلام في علاج التطير :

١- التوكل على الله.

٢- الاستخارة، وهي تمام التوكل على الله، وإسناد الأمر إليه، والاعتماد عليه، وكان النبي ﷺ يعلم الصحابة الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن الكريم، فعن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن... الحديث»[3].

---

(١) المائدة : ٢٣.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/٢٣١.

(٣) صحيح البخاري، أبواب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، ص٢٢٩.

٣- الانتقال من المكان الذي ظن أنه مشؤوم.

وهو مايصفه ﷺ لبعض أصحابه رضي الله عنهم فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله إنا كنا في دار كثير فيها عددنا، كثيرة فيها أموالنا، فتحولنا إلى دار أخرى فقلّ فيها عددنا، وقلّتْ فيها أموالنا. فقال رسول الله ﷺ : ذروها ذميمة»[١] .

قال الاردبيلي في الازهار «أي ذروها وتحولوا عنها لتخلصوا من سوء الظن ورؤية البلاء من نزول تلك الدار وانما امرهم بالتحول عنها إبطالا لما وقع في نفوسهم من أن المكروه إنما أصابهم بسبب السكنى، فإذا تحولوا عنها إنقطعت مادة ذلك الوهم. وزال عنهم ما خامرهم بالشبهة»[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري في الادب المفرد باب الشؤوم في الفرس، وابوداود في كتاب الطب باب الطيرة، ص٥٥٨.

(٢) فضل الله الصمد في توضيح الادب المفرد للشيخ فضل الله الجيلاني ٢/٣٧٤، ط المطبعة السلفية مكتبتها القاهرة.

باب الكهانة[1]

٢٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتَتَلَتَا فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ فَأَصَابَ بَطْنَهَا فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَضَى أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ. فَقَالَ وَلِيُّ الْمَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ: كَيْفَ أَغْرَمُ يَارَسُولَ اللَّهِ مَنْ لا شَرِبَ وَلا أَكَلَ وَلا نَطَقَ وَلا اسْتَهَلَ؟ فَمِثْلُ ذَلِكَ يطل.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ»[2].

رقم الحديث: [٥٧٥٨].

وفي رواية: «...أن امرأتين رمت إحداهما الأخرى بحجر فطرحت جنينها فقضى فيه النبي ﷺ بغرة عبدٍ أو وليدة».

طرف رقم: [٥٧٥٩].

---

(١) أي: هذا باب في بيان أمور الكهانة.
والكهانة: لغة من كهن له، كمنع ونصر وكرُم كهانة بالفتح، وتكهّن تكهّنًا: قضى له بالغيب، فهو كاهن، والجمع كهنة وكهان، والكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرها: ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب. والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن.
والكاهن: لفظ يطلق على العراف والذي يضرب بالحصى والمنجم، ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه انظر القاموس المحيط، ص١١٠٧ مادة [كهن].
انظر: فتح الباري ٢١٦/١٠، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص٤٠٦،

(٢) مطابقته للترجمة في قوله: «إنما هذا من إخوان الكهانة»، عمدة القاري، ٧٣٣/١٤، والحديث واطرافه في صحيح البخاري بنفس الباب برقم ٥٧٥٩، ٥٧٦٠.. و كتاب الفرائض: باب: ميراث المرأة والزوج مع الولد وغيره، برقم ٦٧٤٠.
وكتاب الديات باب: جنين المرأة برقم ٦٩٠٤، ورقم ٦٩٠٩، ورقم ٦٩١٠، وأخرجه مسلم: في كتاب القسامةُ والمحاربين، باب دية الجنين ووجوب الديه في قتل الخطأ وشبه العمد برقم١٦٨١.

وفي رواية : «... قضى رسول اللهﷺ في جنين امرأة من بني لحيان سقط ميتًا بغرة عبدٍ أو أمة...».

طرف رقم : [٦٧٤٠].

غريب الحديث :

غـرة : بضم الغين المعجمة وتشديد الراء، وهي بياض في الوجه، وعبر بالغرة من الجسم كله إطلاقًا للجزء وإرادة الكل، ولفظ غرة بالتنوين، ولفظ عبد أو أمة بدل منه، ويروى بالإضافة، وكلمة أو هنا للتقسيم لا للشك[1].

استهل: استهلال الصبي تصويته عند ولادته[2].

واستهل الصبي بالبكاء : رفع صوته وصاح عند ولادته[3].

يطـل : قال الحافظ ابن حجر : الأكثر بضم المثناة التحتانية وفتح الطاء المهملة، وتشديد اللام : أي يهدر. يقال : دم فلان هدر، إذا ترك الطلب بثأره... ووقع لكشميهني في رواية ابن مسافر «بطل» بفتح الموحدة والتخفيف من البطلان، كذا رأيته في نسخة معتمدة من رواية أبي ذر، وزعم عياض أنه وقع هنا للجميع بالموحدة- قال : وبالوجهين في الموطأ.

---

(١) عمدة القاري ٢٧٥/٢١. ولمزيد فائدة : انظر : الفقه الإسلامي وأدلته ٣٦٢/٦، للدكتور/ وهبة الزحيلي.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢٧١/٥.

(٣) لسان العرب ٧٠١/١١، مادة [هلل]، تهذيب اللغة ٣٦٧/٥، مادة [هلل].

وقد رجح الخطابي أنه من البطلان وأنكره ابن بطال فقال : كذا يقوله أهل الحديث، وإنما هو طل الدم إذا هدر.

قلت : والكلام للحافظ- وليس لإنكاره معنى بعد ثبوت الرواية، وهو موجه راجع إلى معنى الرواية الأخرى[1].

الموضوع الدعوي

في حديث الباب يحذر رسول الله ﷺ من التشبه بالمشركين الذين يدعون علم الغيب ويشركون مع الله إلهًا آخر، حتى وإن كان التشبه بأسلوب نطقهم، حمايةً لجانب العقيدة، وقد اهتم علماء الإسلام بهذا الأمر وبينوا خطره على عقيدة الإسلام.

قال ابن بطال : «فيه ذم الكفار، وذم من تشبه بهم في ألفاظهم»[2].

«والتشبه بالكافرين يوقع المسلم بالتبعية لهم، وفي هذا مشاقة لله ولرسوله ﷺ، واتباع لسبيل غير المؤمنين، وفي هذا وعيد شديد»[3] قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾[4]؛ لذا وصف رسول الله ﷺ قول هذا الرجل أنه من إخوان الكهان لاستعماله

---

(1) فتح الباري ٢١٨/١٠، عون الباري ٢٠٥/٦.

(2) فتح الباري ٢١٨/١٠.

(3) من تشبه بقوم فهو منهم، للدكتور/ ناصر العقل، ص٩، ط دار الوطن.

(4) النساء : ١١٥.

أسلوبًا من أساليبهم التي تخل بعقيدة المسلم من حيث عدم الانقياد لأمر الله وأمر رسول الله ﷺ، وإن من عقيدة أهل السنة والجماعة تكذيب هؤلاء والإنكار عليهم. قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى: «ولا نصدق كاهنًا ولا عرافًا، ولا من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة»[1].

وقد بوب الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد بابًا فقال: باب ما جاء في الكهان ونحوهم: «والكهان الذين يأخذون من مسترقي السمع موجودون إلى اليوم، لكنهم قليل بالنسبة لما كانوا عليه في الجاهلية؛ لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب، ولم يبق من استراقهم إلا ما يخطفه الأعلى، فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وأما ما يخبر به الجني مواليه من الإنس بما غاب وغيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالبًا فكثير جدًا في أناسي ينتسبون إلى الولاية والكشف، وهم من الكهان إخوان الشياطين لا من الأولياء»[2].

ومناسبة ذكر باب الكهانة في كتاب الطب ما بينه الحافظ ابن حجر حيث قال: أورد الإمام البخاري رحمه الله تعالى بابَ الكهانة في كتاب الطب «لمناسبته لباب السحر؛ لما يجمع بينهما من مرجع كل منهما إلى الشيطان»[3].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابي العز الدمشقي، ص٥٠٣ توزيع مكتبة المؤيد الطائف.

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص٤٠٥، ط المكتب الإسلامي.

(٣) فتح الباري ٢٢١/١٠.

الفوائد الدعوية :

أولاً : خطر الاعتراض على حكم الله جلّ وعلا.

ثانيًا : على الداعية بيان خطر الكهان على مجتمع الدعوة.

ثالثًا : حرص الإسلام على حياة المسلم.

رابعًا : تحريم السجع إذا كان لرد حكم من أحكام الله.

خامسًا : الصفح عن الجاهلين صفة من صفات الداعية المسلم.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً: خطر الاعتراض على حكم الله جلّ وعلا.

إن الله جلّ وعلا بعث رسوله محمداًﷺ لنشر دين الإسلام وتحكيم شرع الله المستمد من كتاب الله وسنة رسولهﷺ، وأوجب على الناس اتباعه والتحاكم إليه في جميع شؤونهم، وجعل ذلك مناط إيمانهم بالله سبحانه، وقد أكد الله ذلك لنبيهﷺفي آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[1]، وقال تعالى :﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**

---

(1) النساء : ٦٥.

﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

قال ابن كثير: «قال أبو الدرداء: لا إسلام إلا بطاعة الله، ولا خير إلا في جماعة، والنصيحة لله ولرسوله وللخليفة وللمؤمنين عامة، قال: وقد ذكر لنا أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: عروة الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين»[3].

وقد عاب الله على المنافقين إعراضهم عن حكم الله فقال تعالى: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «بين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن»[5].

فعلى الداعية إلى الله بيان خطر هذا الأمر على المسلم، وأنه قد يحبط عمله إن كان في قلبه شك أو ريب في حكم الله العادل.

---

(١) الأحزاب: ٣٦.

(٢) النور: ٥١.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣/٣١٠، ط دار المعرفة، بيروت.

(٤) النور: ٤٨-٥٠.

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٣٨، ط مكتبة تاج بطنطا، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

وقد أنكر عليه الصلاة والسلام على هذا الرجل الذي اعترض على حكم الله الصادر عن رسوله عليه الصلاة والسلام.

قال الشيخ شمس الحق العظيم آبادي: «وإنما أنكره وذمه ﷺ لأنه عارض به حكم الشرع ورام إبطاله، ولأنه تكلفة في مخاطبته»[1].

ثانيًا: دور الداعية في بيان خطر الكهان على مجتمع الدعوة والإنكار عليهم.

إن من أهم ما يقوم به الداعية توعية المجتمع المسلم وتحذيره من الأخطار التي تهدد عقيدته الصافية، ومن هذه الأخطار التي تهدد كيان المجتمع الكهان والعرافون، فعلى الدعاة أن يسعوا جاهدين إلى بيان خطر هؤلاء؛ إذ قد يضعف المسلم أمام بعض المصائب التي تحلّ به من مرض أو فقد ولد أو مال، فيذهب إلى الكهان والعرافين، وقد حذر رسول الله منهم فقال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[2]. «وإذا كانت هذه حالة السائل فحال المسؤول أسوأ وأشر وأعظم»[3]. وينبغي على الداعية الإنكار على هؤلاء. قال القرطبي رحمه الله تعالى: «يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شيئًا من ذلك من الأسواق، وينكر عليهم ذلك أشد

---

(1) عون المعبود ٢٠٣/٦، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
وانظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق أبي إسحاق الجويني، ٢٨٥/٤، ط دار ابن عفان.

(2) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ص٩١٧.

(3) حاشية كتاب التوحيد، للشيخ/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ص٢٠٣، بدون ذكر طبعة.

النكير وعلى من يجيء إليهم»[1].

وقال ابن أبي العز شارح الطحاوية : «والواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والقالات، ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات، أو يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك»[2].

ويكثر الكهان بكل أسف في المجتمعات الإسلامية التي ينتشر بين أفرادها الجهل، ويقل فيها الوازع الديني، ويضعف فيها جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتتلخص أسباب انتشار هؤلاء الكهان فيما يلي :

أ- ضعف الدعوة إلى الله في الأماكن النائية، لذا على الدعاة أن يركزوا على مثل هذه المواقع في مجتمعاتهم، فهي مرتع خصيب لأمثال هؤلاء.

ب- ضعف العقوبة الزاجرة لهم، فإذا علم هذا الكاهن ألا عقوبة تذكر عليه في حال القبض عليه فإنه يأمن ويزداد شرُّه، نسأل اللهَ السلامةَ والعافيةَ.

جـ- الإعلام الوافد الذي يصل إلى أبناء المسلمين، ويروج لأمثال هؤلاء عبر وسائله المختلفة،.

د- الجهل حيث يجد الكهان مرتعهم الخصيب في المجتمع الذي ينتشر فيه الجهل. لذا يجب على الدعاة إلى الله رفع الجهل.

---

(1) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٥/٦٣٣.

(2) شرح العقيدة الطحاوية، ص٥٠٦. توزيع مكتبة المؤيد- الطائف.

هذه بعض الأسباب المؤدية إلى انتشار الكهان، وان الوسائل الناجحة لصدّ شرهم هو غرس العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين، والحرص على تأديب هؤلاء من قبل ولاة الأمر، والرفع بشأنهم، والإبلاغ عنهم فوراً؛ امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ القائل: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1].

ثالثًا: حرص الإسلام على حياة المسلم.

لقد حفظ الإسلام دمَ المسلم، وحرم أن يراق بغير حق، ومن تعمد ذلك فإن جزاءه عند الله عظيم كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[2].

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: «ذكر هنا وعيد القاتل عمداً، وعيداً ترجف له القلوب، وتتصدع له الأفئدة، وينزعج منه أولو العقول، فلم يرد في أنواع الكبائر أعظمُ من هذا الوعيد، بل ولا مثله، ألا وهو الإخبار بأن جزاءه جهنم. أي فهذا الذنب العظيم قد انتهض وحده أن يجازى صاحبه بجهنم؛ بما فيها من العذاب العظيم والخزي المهين، وسخط الجبار، وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسارة، فعياذاً بالله من كل سبب يبعد رحمة الله»[3].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ص٥١.

(2) النساء: ٩٣.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٥٧، ط مؤسسة الرسالة.

وقال تعالى مبينًا أن في حماية نفس المسلم حياةً للمجتمع : ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**﴾ . فمن قتل أخاه عمداً أقتُص منه في هذه الحياة الدنيا ، وإن كان خطأً دفع الدية لوليه.

وحرص الإسلام على حفظ الآدمي حتى وهو في بطن أمه كما في حديث الباب ، وهو الأمر الذي أثار استغراب هذا الجاهل ولي أمر المعتدية -كما في الحديث- حتى اعترض على هذا الحكم بدعوى أنه «لا شَرِبَ ولَا أكَلَ ولا نَطَقَ ولا اسْتَهَلَ» ولكنه يجهل أن الإسلام يحفظ النفس من الاعتداء عليها حتى وهي في قرارها المكين. لذا يجب على المعنيين في مثل هذه الأحداث رفع الجناية إلى ولي الأمر.

قال الحافظ ابن حجر : «وفي الحديث من الفوائد رفع الجناية للحاكم ووجوب الدية في الجنين ولو خرج ميتًا»[1].

رابعًا: تحريم السجع إذا كان لرد حكم من أحكام الله .

إن الداعية إلى الله مطالب بأن يكون خطابه للمدعوين متصفًا بالسلامة والوضوح، بعيداً عن التعقيد والغموض والتكلف، وقد اعترض رسول الله ﷺ على هذا الرجل في أسلوبه الذي قال عنه ﷺ : «أسجع كسجع الأعراب»[2] لاعتراضه على حكم

---

(1) فتح الباري ٢١٨/١٠، وراجع شرح الحديث في كتاب الديات لمزيد فائدة.

(2) صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد على عاقلة الجاني، ص٦٩٧.

من أحكام الله.

قال الطيبي: «وإنما قال ذلك من أجل سجعه الذي سجع، ولم يعبه بمجرد السجع دون ما تضمنه سجعه من الباطل، أما إذا وضع السجع في مواضعه من الكلام فلا ذم فيه، وكيف يذم وقد جاء في كلام رسول الله ﷺ كثيراً»[1].

وقال الخطابي: «ولم يعبه رسول الله ﷺ بقوله: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ» لأجل السجع نفسه، وقد يوجد في تضاعيف كلام رسول الله ﷺ من السجع مالا يخفى، ولكنه إنما عاب منه ردَّه الحكمَ وتزيينَه القولَ فيه بالسجع على مذهب الكهان في ترويج أباطيلهم بالأساجيع التي يولعن بها فيروجون بها الباطل، ويوهمون الناس أن تحتها طائلاً»[2].

<u>خامساً: الصفح عن الجاهلين صفة من صفات الداعية المسلم.</u>

لم يذكر أنه ﷺ عاقب هذا المعترض بسجعه على حكم الله، بل أعرض عنه قال الحافظ: «فلم يعاقبه لأنه كان مأموراً بالصفح عن الجاهلين»[3]. وهكذا كان عليه الصلاة والسلام يفعل مع المخالفين الذين يجهلون الحكمَ الشرعيَ.

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية إلى الله سبحانه لكي تسير دعوتُه وفق هدي

---

(1) تحفة الأحوذي ٤/٥٥٥.

(2) أعلام الحديث ٣/٢١٣٨.

(3) فتح الباري ١٠/٢١٨.

كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ لأن الناس أمانة في أعناق الدعاة، يعفون عن جاهلهم شفقةً عليهم، وحرصًا منهم على هدايتهم ورجوعهم إلى الصواب، أما من اعترض على حكم من أحكام الله، عالمًا بذلك ومعاندًا ومكابرًا، فلابد من الأخذ على يده اتقاءً لشره وتأديبًا له.

الفصل الثاني

كتاب اللباس

تمهيـــد :

يقول الله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ [1]. ويقول سبحانه : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ﴾[2].

لقد امتن الله على عباده بما يسر لهم من اللباس الضروري، فهي نعمة عظيمة من نعم الله الكثيرة التي امتن بها على عباده لستر السوءات.

وقد تفضل الله سبحانه في إنعامه وتكريمه لبني آدم بما يزيد عن ستر العورة فقال تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (80) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ** ﴾[3].

وقد أمر الله بقدر زائد في الصلاة على ستر العورة، وهو أخذ الزينة فقال سبحانه : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ** ﴾[4].

إن فضل اللباس في هذه الحياة عظيم، وكشف العورة من الأمور التي لا يقبلها الإنسان من لدن آدم وحواء عليهما السلام. قال الله تعالى :﴿ **فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا**

---

(1) الأعراف : ٢٦.

(2) الأعراف : ٣٢.

(3) النحل : ٨٠، ٨١.

(4) الأعراف : ٣١.

الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾[1].

قال العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعالى : «أي ظهرت عورة كل منهما بعدما كانت مستورة، فصار للعري الباطن من التقوى في هذه الحال أثر في اللباس الظاهر حتى انخلع فظهرت عوراتهما؛ ولما ظهرت عوراتهما خجلا وجعلا يخصفان على عوراتهما من أوراق شجر الجنة ليستترا بذلك»[2].

ولاشك أن الأصل في الألبسة الإباحة، إلا أن هناك مستثنيات ماهو محرم لذاته، وماهو محرم لآثاره وما يترتب عليه من مفاسد، وما قد يتعلق بذات اللابس نفسه أو بالمجتمع وسيتضح ذلك كله في دراسة أحاديث هذا الكتاب (كتاب اللباس).

وقد حث الإسلام على اللباس فقال عليه الصلاة والسلام : «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة»[3].

وفي دراسة كتاب اللباس يظهر لنا عظمة هذا الدين الذي يحرص على سعادة البشرية ووجود الطمأنينة لهم في حياتهم، وأي طمأنينة أعظم من أن يسير الإنسان في هذه الحياة مستور العورة، متحلياً بأحسن ما يحب أن يلبسه من الثياب، متزيناً بما يعجبه من الزينة، وأي خزي وعار وقلق نفسي أشد عليه من أن يسير في هذه الحياة عارياً لا يجد ما يستر به عورته كلها أو بعضها، فلله الحمد في الأولى والآخرة.

---

(1) الأعراف : ٢٢.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٤٨. ط مؤسسة الرسالة.

(3) صحيح البخاري كتاب اللباس باب قوله تعالى «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ص ١٣٢

كتـــاب اللبـــاس[1]

باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار[2]

٢٤- عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه عن النبيﷺ قال : «مَا أَسْفَلَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ في النَّار».

رقم الحديث : [٥٧٨٧].

غريب الحديث:

الكعبين: الكعب كل مفـصل للعظام، والعظم الناشـز فـوق القـدم والناشـزان من جانبيها[3].

الإزار: الملحفة وأزر به الشي أحاط، وائتزر فلان إزره حسنه، وتأزر لبس المئزر، وقيل الإزار كل ماواراك وسترك[4].

---

[1] أي: هذا كتاب في بيان انواع اللباس وأحكامها عمدة القاري ٣/١٥.

[2] أي : هذا باب يذكر فيه ما أسفل من الكعبين فهو في النار، ويذكر معناه في الحديث لأن قوله ما اسفل من الكعبين من لفظ الحديث. وقوله : فهو في النار، ليس لفظ الحديث هكذا بل هو ما اسفل من الكعبين من الإزار ففي النار واقتصر في الترجمة في الجزء الثاني وأطلقها ولم يقيدها بلفظ الإزار قصداً للتعميم في الإزار والقميص ونحو ذلك» عمدة القارىء ٧/١٥.

[3] القاموس المحيط للفيروز أبادي ص ١٢١ ط دار الفكر.

[4] لسان العرب ١٦/٤.

الموضوع الدعوي:

يبين عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الحدَّ المشروع للإزار وهو الكعبان، وأن ما تجاوز ذلك الحدَّ- بأن يكون وصل إلى أسفل الكعبين- مخالف لهديه ﷺ. وقد وضّح العلماء هذا الموضوع توضيحا، وبيّنوا حدَّ القدر المستحب للإزار.

قال الشيخ بكر أبو زيد: «ثبت في حدِّ القدر المستحب فيما يترك إليه طرف الإزار من الساق ثلاث سنن عن النبي ﷺ:

الحد الأول: إلى أنصاف الساقين، وذلك ثابت من هديه ﷺ في إزاره كما في حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: «كانت إزرة النبي ﷺ إلى أنصاف ساقيه». وعن أبي جحيفة رضي الله عنه عن أبيه قال «.... خرج النبي ﷺ وعليه حلة حمراء كأني أنظر إلى بياض ساقيه»[1]. وثابت من قوله ﷺ: «إزرة المؤمن إلى نصف ساقيه»[2].

الحد الثاني: إلى عضلة الساقين، وهذا الحدّ أعلى من أنصاف الساقين بقليل، والعضلة بفتحات: كل عصبة معها لحمٌ غليظٌ ووسطها يعلو نصف الساق بقليل، وهذا ظاهر.

وهذا الحدَ ثابت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إزرة المومن إلى عضلة ساقيه، ثم إلى نصف ساقيه، ثم إلى

---

(1) صحيح البخاري كتاب الوضوء باب استعمال فضل وضوء الناس ص٦١ وصحيح مسلم كتاب الصلاة باب سترة المصلي، ص ٢٠٥.

(2) مسلم كتاب اللباس والزينة باب تحريم جر الثوب ص ٨٦٦.

الكعبين، فما كان أسفل من ذلك فهو في النار»[1]. ومن حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «أخذ رسول الله ﷺ بعضلة ساقي أو ساقه- هكذا قال إسحاق - فقال: هذا موضع الإزار، فإن أبيت فهذا، - وطأطأ قبضة- فإن أبيت فهذا- وطأطأ قبضة- فإن أبيت فلا حق للإزار في الكعبين»[2].

الحد الثالث: موضعه ما تحت نصف الساق إلى الكعبين، وهذا الموضع ثبت في السنن جوازه، وأجمع على جوازه المسلمون بلاكراهة؛ لحديث العلاء بن عبدالرحمن عن أخيه قال: سألت أبا سعيد الخدري عن الإزار قال: على الخبير سقطت. قال رسول الله ﷺ: «إزرة المسلم إلى نصف الساق، ولاحرج أو لا جناح فيما بينه وبين الكعبين....»[3] رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

لكن ثبت عن النبي ﷺ حديثان يفيدان رفع هذا الحكم من مرتبة الجواز إلى مرتبة السنية والاستحباب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الإزار إلى نصف الساق فلما رأى شدةَ ذلك على المسلمين قال: «إلى الكعبين لا خير فيما أسفل من ذلك»[4]. [رواه أحمد بسند صحيح] وهو صريح بأن الندب إليه كان آخرَ الأمرين من رسول الله ﷺ. والثاني من حديث أبي هريرة المتقدم بتمامه في الحدّ الثاني،

---

(1) مسند الإمام أحمد ٢/ ٢٨٧.

(2) صحيح ابن حبان ٢٦٤/١٢

(3) سنن أبي داود كتاب اللباس باب في قدر موضع الإزار ص ٦٢. وسنن ابن ماجه كتاب اللباس باب موضع الازار أين هو ١١٨٣/٢.

(4) مسند الإمام أحمد ٢٤٩/٣ .

وهو حديث صريح بأن كل المواضع الثلاثة في حدّ الإزار طولاً «إزرة المؤمن» مندوب إليها. وهذا من التوسعة لهذه الأمة وتنوع العبادات من جنس واحد»[1].

وقد جعل الثياب إلى الكعبين حماية للمسلم من الوقوع في النجاسة وهو لا يعلم، فإن الإزار أو الثوب إذا كان أسفل الكعبين لا يؤمن أن يصيبها ما ينجسها، إضافة إلى تعرضها للأوساخ المختلفة.

الفوائد الدعوية

أولاً: حرص الداعية على تحذير المدعوين من كل مايؤدي بهم إلى الوقوع في معصية الله.

ثانياً: التذكير بالنار بين فترة وأخرى أسلوب من أساليب التأثير على المدعوين.

ثالثاً: تحريم الوسائل المؤدية إلى محرم.

رابعاً: شمولية الإسلام.

خامساً: تميز المجتمع المسلم في لباسه.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: حرص الداعية على تحذير المدعوين من كل ما يؤدي بهم إلى الوقوع في معصية الله.

إن على الداعية إلى الله مسؤولية عظيمة تجاه مجتمعه الذي يعيش فيه، ومن أعظم المسؤوليات أن يبين لهم أسباب سعادتهم في الدنيا والآخرة، ويحذرهم مما يؤدي

---

(1) حدّ الثوب والإزرة للشيخ بكر أبوزيد ط دار العاصمة الرياض ص ٦-٨ بتصرف.

بهم إلى مخالفة السنة النبوية في اللباس والزينة وفي كل الأمور بحكمة وروية، ممتثلاً قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2].

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: «أي لا أحدَ أحسنَ قولاً، أي كلاماً وطريقة ممن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه»[3].

وعلى الداعية أن يبين لمجتمعه شمولية دلالات الكتاب والسنة، والاستجابة لله سبحانه وتعالى، ووجوب الأخذ بهدي كتاب الله تعالى وسنة رسولهﷺ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[4].

«وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ في وجوب طاعته واتباع ما جاء به وتحريم معصيته، وذلك في حق من كان في عصره، وفي حق من يأتي بعده إلى يوم

---

(1) النحل: ١٢٥.

(2) فصلت: ٣٣.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٦٩٤ ط مؤسسة الرسالة.

(4) النساء: ٥٩.

القيامة»[1]. ومن طاعته عليه الصلاة والسلام أن يلتزم المسلم في حياته الزي الشرعي، ويبتعد عما نهى عنه ﷺ من لباس من لا خلاق لهم؛ ليفوز برضوان الله تعالى.

ثانياً: التذكير بالنار بين فترة وأخرى أسلوب من أساليب التأثير على المدعوين.

لقد حذر الله سبحانه وتعالى عباده من النار، وبين لهم شدة عقابها، ووضح لهم طريقة النجاة منها فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2]، وبين الرسول ﷺ في كثير من الأحاديث الأعمال التي تكون سبباً في دخول النار، ومن تلك الأعمال إطالة الثياب إلى أسفل الكعبين، فحذر الرسول ﷺ من ذلك فقال ﷺ: «مَا أَسْفَلَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فِي النَّارِ».

وكان من هديه ﷺ مع أصحابه تذكيرهم بالنار وبيان اسباب الوقوع فيها من ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «عُذِّبَتْ امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النارَ، لاهي أطعمتها ولاسقتها إذ حبستها، ولاهي تركتها تأكل من خشاش الأرض» متفق عليه[3].

---

(1) وجوب العمل بسنة النبي ﷺ وكفر من أنكرها ص ١٢ لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز -رحمه الله-.

(2) التحريم: ٦.

(3) صحيح الإمام البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، ٣٤٨٢/٦٧٠-٦٧١ وصحيح مسلم كتاب السلام باب تحريم قتل الهرة ص ٩٢٢.

فعلى الداعية إلى الله أن يتأسى بدعوة الرسول ﷺ، ويذكّر المدعوين بين فترة وأخرى بنار جهنم، وبالأعمال التي قد تكون سبباً في دخولها، وذلك بأسلوب يرقق القلوب، ويجعلها تميل إلى الخير، وتبتعد عن الشر.

فهذا أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ينادي أباه بلطف ورأفة خائفاً عليه من الوقوع في النار فيقول بكل أدب وتكريم لمقام الوالد: ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا** ﴾[1].

وكم غافل في هذه الحياة يعود إلى صوابه عندما يذكّر بعذاب النار وما فيه من الأهوال، فيتوب توبةً نصوحاً، ومن يقرأ قصص التائبين قديماً وحديثاً يدرك أن من أسباب توبتهم استعمال هذا الأسلوب المؤثر على المدعوين.

ثالثاً: تحريم الوسائل المؤدية إلى محرم.

في قوله ﷺ «مَا أَسْفَلَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فِي النَّارِ»، نهي صريح من أن ينزل الإزار أسفل الكعبين؛ لأن إرخاء الإزار إلى أسفل الكعبين قد يجر إلى المحرم.

قال الشيخ بكر أبو زيد -وفقه الله- أثناء سياقه لأحاديث النهي عن الإسبال: «هذا- والله أعلم- من تحريم الوسائل الموصلة إلى المحرم تحريم غاية الإسبال، ونظائره في الشريعة كثيرة ساق ابن القيم- رحمه الله تعالى- منها جملة في (روضة المحبين)، و(إعلام الموقعين)، وهكذا إذا حرم شيء حرمت الأسباب المفضية إليه، وفي (التوحيد)

---

(١) مريم: ٤٥.

مسائل لحماية التوحيد، وأخرى لحماية حمى التوحيد. والله أعلم»[1].

فعلى الداعية أن يبين للمدعوين حرص الإسلام على سدّ الأبواب المؤدية إلى الحرام.

رابعاً: شمولية الدين الإسلامي.

يفهم من الحكم التشريعي في هذا الحديث شمولية الإسلام لكل جوانب الحياة، حتى إنه نظم أخص ما يخص الإنسان لا لمجرد ستر العورة فقط، ولكن لتأديبه بأدب التواضع، والبعد عن الكبر والبطر، بل والبعد عن كل ما يقرِّب إلى ذلك من لباس المتكبرين.....

خامساً: تميز المجتمع المسلم في لباسه.

في هذا الحديث دلالة على تميز مجتمع الدعوة وأهل الإيمان عن غيرهم من سائر المجتمعات، وهو تميز ناشيء عن تمسكهم بأوامر ربهم سبحانه وتعالى وأوامر نبيهم ﷺ في لباسهم المتميز، وكم يشعر المسلم بالغبطة وهو يرى أهل الإسلام يتميزون بهذا اللباس عن غيرهم.

---

(1) حدّ الثوب والإزرة ص ١٧ ط دار العاصمة الرياض.

بابٌ من جرّ ثوبه من الخيلاء[1]

٢٥- عن أبي هريرة رضي اللهُ عنهُ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال : «لا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ القِيامَةِ إِلَى من جرَّ إِزَارَه بَطَراً»[2].

رقم الحديث : [٥٧٨٨].

٢٦- عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قال : قَالَ النَّبيُّ ﷺ أوْ قَالَ أبو القَاسمِ ﷺ : «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَه إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[3].

رقم الحديث : [٥٧٨٩].

وفي رواية قال «بينما رجل يجر ازاره إذ خُسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»

طرف رقم : [٥٧٨٩٠]

وفي رواية «بينما رجل يجرّ إزاره من الخيلاء، خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»

طرف رقم : [٣٤٨٥].

---

(١) أي هذا باب في بيان من جر ثوبه لأجل الخيلاء، وحكمة «من» للتعليل عمدة القاري، ١٥/٨.

(٢) مطابقته للترجمة ظاهرة.

(٣) مطابقته للترجمة ظاهرة ؛ لأن المشي في حلة من إعجاب النفس معنى جر الثوب خيلاء عمدة القاري، ١٥/٨ والحديث أخرجه مسلم كتاب اللباس باب تحريم التبختر في المشي رقم ٢٠٨٨.

غريب الحديث:

بطراً : البطر : النشاط، وقيل التبختر، وقيل : قلة احتمال النعمة، وقيل : البطر : الطغيان في النعمة[١].

حلّة : الحلة واحدة الحلل، وهي برود اليمن، ولا تسمى حلة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد[٢].

مرجّل: الترجل والترجيل : تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه[٣].

جمته : الجمة من شعر الرأس : ما سقط على المنكبين[٤].

يتجلجل: الجلجلة : الحركة مع الصوت ، أي يسوخ فيها حين يخسف به[٥].

الموضوع الدعوي

في حديثي الباب يبين لنا رسول الله ﷺ ما ينبغي أن تسير عليه أمتُه في لباسها، وأن إطالة اللباس من إزار أو غيره خطر على ذكور المسلمين في الدنيا والآخرة، وخاصة إذا صحب هذا العملَ القصدُ السيء.

---

(١) لسان العرب ٦٨/٤ مادة [بطر] . وانظر : المشوف المعلم ١٠٩/١.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٤٣٢/١، وانظر : لسان العرب ١٧٢/١١ مادة [حلل].

(٣) النهاية في غريب الحديث ٢٧٢/٢، وانظر : لسان العرب ٢٧٢/١١ مادة [رجل].

(٤) النهاية في غريب الحديث ٣٠٠/١، وانظر : لسان العرب ١٠٧/١٢ مادة [جمم].

(٥) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ١٢١ وانظر المعلم بفوائد مسلم للإمام المازري، ٧٨/٣ ط دار الغرب الإسلامي.

إن جرَّ الإزار قد يؤدي بصاحبه إلى الغرور والكبرياء؛ لضعف النفس البشرية إذا خالفت المعهود عند الناس، وميزت نفسها بذلك، ومن تعمّد ذلك فقد عرض نفسه للوعيد الشديد الذي بيّنه عليه السلام بقوله: «لا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَه بَطَراً».

قال الإمام الخطابي: «إنما نهى عن الإسبال لما فيه من النخوة والكبر»[1].

وقال الإمام الصنعاني رحمه الله: «دلتْ الأحاديث على أن ما تحت الكعبين في النار، وهو يفيد التحريم، ودل على أن من جرّ إزارَه خيلاء لا ينظر اللهُ إليه، وهو دال على التحريم...»[2].

إن الغرور والكبرياء في اللباس يعرض المسلمَ للعقوبة العاجلة؛ لذا يذكر الرسول ﷺ أصحابَه بذلك منبهًا و محذراً فيقول ﷺ: «بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَه إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ».

والحكمة من الخسف بهذا الرجل -والله أعلم- أنه وعومل بنقيض عمله؛ إذ تكبره فيه تعال على الخلق وتقصير في جانب الخالق، فعاقبه الله بالذل والإهانة، فخسف به إذلالاً له ولأمثاله جزاء وفاقاً، والخالق سبحانه وتعالى في مقابل ذلك يكرم منزلة من تواضع وتذلل له، ولم يتكبر على المخلوقين يوم القيامة.

إن الغرور في هذه الحياة الدنيا خلل يجب على المسلم الحذر منه؛ لأن صفة المسلم

---

(1) معالم السنة ١٩٥/٤.

(2) استيفاء الأقوال في تحريم الإسبال على الرجال للإمام الصنعاني ص ٢٦، ط مكتبة دار القدس، صنعاء.

المؤمن بربه داعيةً كان أو مدعواً هو التذلل والخضوعُ لرب العالمين، والبعدُ عن كلِّ ما يؤدي به إلى الكبرياء والبطر.

وما أعظمَ وصيةَ لقمان لابنه وهو يوجهه في حياته فيقول -كما حكى الله تعالى عنه في القرآن الكريم: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (17) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي في تفسيره: «ولا تمش في الأرض مرحاً» أي متبختراً متكبراً مصدر في موضع الحال، وهو النشاط والمشي فرحا من غير شغل وفي غير حاجة، وأهل هذا الخُلُق ملازمون للفخر والخيلاء، فالمرح مختال في مشيته...»[2] فالذي يمشي جاراً إزاره متكبراً من الذين يمشون في الأرض مرحا.

إن الكبرياء لله وحده لا شريك له، وهي صفة مذمومة عند المخلوقين فيجب عليهم تجنُّبها.

ذلك أن الله سبحانه خلق الخلق وأمرهم بعبادته، وحذرهم من البطر والكبرياء فقال تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[3]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

(1) لقمان: 17-18.

(2) الجامع لأحكام القرآن 7/70، دار الشام للتراث، بيروت- لبنان.

(3) الأنفال: 47.

ﷺ: «العزّ إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته»[1]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة من كبر»[2].

الفوائد الدعوية

أولاً: العجب والغرور في اللباس صفة ذميمة وعواقبه وخيمة.

ثانياً: تحذير المدعوين من مخالفة سنة سيد المرسلين.

ثالثاً: أن الحرص على نظافة الملبس والمظهر لا يدخل في العجب بالنفس.

رابعاً: الانكار على المخالفين للسنة في اللباس.

خامساً: ذكر قصص السابقين السالكين أسلوب من أساليب التأثير على المدعوين.

سادساً: مشروعية شكر النعمة.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: العجب والغرور في اللباس صفة ذميمة وعواقبه وخيمة.

لقد حذر الله عباده من العجب بالنفس حتى عند مواجهة العدو، وذلك ليعلم

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، ص ١٠٥٣.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإعان، باب تحريم الكبر وبيانه، ص٦٤.

العبدُ أنه ضعيف، فلا يعجب بنفسه مهما أوتي من قوة وعتاد ومال، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾[1]. فإذا كان هذا في مواجهة الأعداء، والتي قد يكون الإعجاب بالنفس والقوة والعتاد من الأسباب النفسية التي تدفع الجنود إلى القتال ومع ذلك نهى الله سبحانه عنه، فكيف بمن يعجب بنفسه في وقت الرخاء والأمن.

إن العجب قد يؤدي بالمسلم إلى تزيين العمل وإن كان على غير هدي الإسلام كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[2].

إن على الدعاة إلى الله أن يبذلوا قصارى جهدهم لإنقاذ المسلمين من هذه الصفة الذميمة، وذلك ببيان حكمه شرعاً، وما قد يترتب عليه من مفاسد ومضار سواء على المعجب بنفسه أو على مجتمعه.

وقد أمر الله نبيَّه المصطفى ﷺ بخفض الجناح للمؤمنين، فقال عز وجل: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، ودعا عليه الصلاة والسلام على رجل أكل عنده بشماله تكبراً وغروراً، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «كل بيمينك» قال: لا أستطيع! قال: «لا استطعت» ما منعه

---

(1) التوبة: ٢٥.

(2) فاطر: ٨.

(3) الشعراء: ٢١٥.

إلا الكبر، قال : فما رفعها إلى فيه»[1].

وقد توعد الله سبحانه المتكبرين بعذاب النار يوم القيامة إن ماتوا على ذلك فقال تعالى : ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[2] وقال أيضاً : ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[3]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ قال : تحاجت الجنةُ والنارُ، فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة : مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطُهُم، قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها[4].

ثانياً : تحذير المدعوين من مخالفة سنة سيد المرسلين .

إن المسلم قد يتساهل بالأخذ بسنة سيد المرسلين لجهله أو لقصور فقهه وفهمه للمسألة، وعدم استفتاء أهل العلم عن الصواب حتى يأخذ به ليفوز برضى الله سبحانه، ومن ذلك الإسبال الذي قد يفعله بعض الناس جهلاً .

وقد يحتج بعضهم ببعض الأقوال الضعيفة والشبه الواهية التي لا ترقى إلى

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها، ص ٨٣٨ .

(2) الزمر : ٦٠ .

(3) الزمر : ٧٢ .

(4) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله «وتقول هل من مزيد»، ص٩٥٢ . وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الجنة وصفه نعيمها، ص ١١٤٣ .

الصواب ولا تدانيه، ولا تنبني على حكم شرعي صحيح وذلك بقولهم إن الاسبال من غير خيلا لابأس به، وقد أجاب العلماء عن هذه الشبه بما يلي :

قـال ابن العـربي : «لا يجوز للرجل أن يجـاوز بثوبـه كعبـه ويقـول : لاأجـر ذلك خيلاء؛ لأن النهي قد تناوله لفظاً، ولا يجوز لمن تناوله لفظاً أن يخالفه، إذ صار حكمه أن يقول : لا أمتثله لأن تلك العلة ليست فيَّ، فإنها دعوى غير مسلَّمة، بل إطالة ذيله دالة على تكبره»[1].

وقال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز -رحمه الله- : «لا يجوز أن يظن أن المنع من الإسبال مقيد بقصد الخيلاء المذكورين[2] آنفاً، كما أنه لم يقيد ذلك في الحديث الآخر، وهو قوله ﷺ لبعض أصحابه : «إياك والإسبال فإنه من المخيلة» لأنه في الغالب لا يكون إلا كذلك، والوسائل لها حكم الغايات، ولأن ذلك إسراف وتعريض لملابسة النجاسة والوسخ»[3].

كما تمسك أصحاب القول بجواز الإسبال لغير الخيلاء بما ورد أنه عليه الصلاة والسلام خرج يجر ثوبه، وقد أجاب العلماء عن ذلك بأنه ليس في ذلك حجة على جواز الإسبال لغير الخيلاء؛ لأن كل الأحاديث التي جاء فيها جر الثوب كان فيها ذكر إما مستعجلاً وإما فزعاً وإما غضباناً، مما يدل على أن الارتداء بهذه الصفة لاستعجاله عليه الصلاة والسلام.

(١) عون الباري ٥/٢٧١ .

(٢) يشير إلى حديث «ما أسفل الكعبين من الإزار فهو في النار» وحديث «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم».

(٣) فتاوى سماحة الشيخ بن باز، كتاب الدعوة ١/٢١٩، ط مؤسسة الدعوة بالرياض.

قال النووي : «يجر ثوبَه» يعني لكثرة اشتغاله بشأن الصلاة خرج يجر رداءَه ولم يتمهل ليلبسه»[1].

ثالثاً : أن حرص الداعية والمدعوين على نظافة الملبس والمظهر لا يدخل في العجب بالنفس.

إن الإسلام هو دين الجمال والنظافة، وقد ربى رسول الله ﷺ أصحابه على ذلك فهو -مثلاً- عليه الصلاة والسلام يكره أن يرى المظهر غير الحسن من شعث الرأس ووساخة الملبس أو الرائحة الكريهة؛ وقد حث ﷺ على الاغتسال يوم الجمعة، هذا اليوم الذي يجتمع فيه المسلمون، فعن سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يغتسل رجلٌ يومَ الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له مابينه وبين الجمعة الأخرى»[2].

وقد سمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم التوجيه من نبيهم الكريم ﷺ وهو يقول : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة؟ قال : «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ٥/٧٠، ولمزيد فائدة ينظر : "الإسبال- دراسة أحاديثه وبيان حكمه" للشيخ صالح بن محمد العليوي، ط دار الطيبة. واستيفاء الأقوال في تحريم الإسبال على الرجال للإمام الصنعاني، ط دار القدس.

(2) صحيح البخاري - كتاب الجمعة - باب الدهن يوم الجمعة، ص ١٧٨ .

وغمط الناس»[١].

وفي سنن أبي داود عن أبي الأحوص عن أبيه قال : أتيت النبيَّ ﷺ في ثوب دون فقال : «ألك مالٌ؟» قال : نعم . قال : من أي المال؟ قال قد أتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق، قال : «فإذا أتاك الله مالاً فليُر أثرُ نعمة الله عليك وكرامته»[٢].

وفي سنن أبي داود أيضاً عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قالا : أتانا رسول الله ﷺ فرأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعره فقال : «أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره»، ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة فقال : «أما كان هذا يجد ماءً يغسل به ثوبَه»[٣].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :«إن من قصد بالملبوس الحسن إظهارَ نعمة الله عليه، مستحضراً لها شاكراً عليها غير محتقرٍ لمن ليس له مثله، لا يضره ما لبس من المباحات ولو كان في غاية النفاسة»[٤].

رابعاً : الإنكار على المخالفين للسنة في اللباس.

إن الداعية يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق هدي كتاب الله وسنة

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ص ٦٣ .

(٢) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في غسل الثوب وفي الخلقان، ص ٦١٦ .

(٣) المرجع السابق.

(٤) فتح الباري ٢٥٩/١٠ .

رسوله ﷺ ؛ ليمتثل أمرَ ربه القائل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1]. وأمر نبيه ﷺ القائل : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».[2]

ومن ذلك المنكر الاسبال فعلى الداعية الإنكار على المخالفين للسنة، وهذا ما سار عليه صحابة رسول الله ﷺ في أحرج اللحظات فهذا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينكر على من أسبل ثوبه فقد «جاء غلام شاب- يزور عمر في منزله بعدما طعن رضي الله عنه فقال: ابشر- يا أمير المؤمنين- ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدمٌ في الاسلام ماقد علمت، ثم وليتَ فعدلتَ، ثم شهادةٌ قال: وَددْتُ أن ذلك كفافا، لا عليّ ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الارض، قال: ردوا عليَّ الغلام، قال يا ابن أخي، أرفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك»[3].

فهذا دليل قاطع على أهمية الانكار على المخالفين وبهذا العمل يكثر الخير في المجتمع، ويقل الشر، وتختفي المظاهر السيئة في الملبس، والتي انتشرت- وللأسف الشديد- بين أبناء المسلمين في هذا العصر.

فهكذا الداعية إلى الله يقوم بهذا الواجب طاعة لله، وحرصاً على حفظ مجتمعه من الزلل والخلل الذي قد يؤدي بالمسلمين إلى الضلال والهلاك.

---

(1) آل عمران: ١٠٤.

(2) سبق تخريجه، ص ٢٤٢.

(3) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤/١٦٤.

خامساً: ذكر قصص السابقين الهالكين أسلوب من أساليب التأثير على المدعوين:

لقد ذكر الله سبحانه في كتابه الكريم قصص الأمم الغابرة التي كذبت رسل الله تسليةً لرسوله ﷺ، وتذكيراً لأمته بما حلّ بالأمم السابقة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا...﴾[1]، ومن تلك القصص التي هي عبرة للمعتبرين، قصة قارون وقد تمنى بعض قومه أن يكونوا مثله، فبينما هو في قوته وكبريائه إذ خسف الله به الأرض. قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾[2].

إن ذكر قصص الأمم الغابرة للمدعوين أسلوب مهم للتأثير عليهم، ولفت أنظارهم إلى الاعتبار بمن مضى، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ مع صحابته وهو يذكر لهم

---

(١) الأعراف: ١٠١.

(٢) القصص: ٧٦-٨١.

قصة الرجل الذي يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل جمته، فخسف الله به، وهو يتجلجل إلى يوم القيامة.

إن المسلم إذا سمع وتأمل هذه العقوبة الإلهية فإنه يعود إلى صوابه، ويحاسب نفسه، فعلى الدعاة إلى الله أن يأخذوا بهذا المنهج النبوي الذي رسمه رسول الله ﷺ في دعوته، فيبينوا للمدعوين ما حل بالأمم السابقة حينما أعرضت عن دين الله، وأن عقوبة الله سبحانه أليمة للمخالفين أمره كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[1].

سادساً: مشروعية شكر النعمة.

لقد أمر الله جل وعلا عبادَه بشكر نعمه التي أنعم بها عليهم، وبين سبحانه أنه سبب لزيادة النعمة واستقرارها كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[2]، وما نزل عذاب الله في أمة من الأمم إلا بسبب كفرها بنعم الله، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[3] من شكر النعمة أن يمتثل أمر الله وأمر رسوله ويحذر مخالفته.

(١) هود: ١٠٢.

(٢) إبراهيم: ٧.

(٣) النحل: ١١٢.

باب البرانس[1]

٢٧- قال لي مسدد[2] حدثنا معتمر قال : سمعت أبي قال : «رأيت على أنس برنساً أصفر من خز»[3].

رقم الحديث : [٥٨٠٢].

غريب الحديث:

البرنس: كل ثوب رأسه منه ملتزق به دُراعةً كان أو ممطراً أوجبه والبرنس قلنسوة طويلة وكان النساك يلبسونها في صدر الاسلام، وقد تبرنس الرجل إذا لبسه[4].

خز : الخز ماخلط من الحرير بالوبر وشبهه، وأصله من وبر الأرنب ويسمى ذكره الخزز، فسمى ماخلط بكل وبر خزاً من اجل خلطه به[5].

---

(١) أي هذا باب يذكر فيه لبس البرانس ١٩/١٥ .

(٢) هو شيخ البخاري ومعتمر ابن سليمان التميمي - فتح الباري ٢٧٢/١٠ .

(٣) قال الحافظ: وهذا الأثر موصول لتصريح المصنف بقوله «قال لي» لكن لم يقع في رواية النسفي لفظ «لي» فهو تعليق، وقد رويناه موصولاً في مسند مسدد رواية معاذ ابن المثنى عن مسدد وكذا وصله ابن أبي شيبة عن ابن عليه عن يحيى بن إسحاق قال: «رأيت على أنس» وذكر مثله الفتح ٢٧٢/١٠ .

(٤) لسان العرب ٢٦/٦ .

(٥) مشارق الأنوار على صحيح الآثار للقاضي عياض ٢٩١/١، ط المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز وانظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود ٥٦/١١، ط دار الكتب العلمية.

الموضوع الدعوي

اهتم الإسلام بلباس المسلم وحسن مظهره بين الناس في مجتمعه، وفي حديث الباب يبين لنا أبو معتمر ما كان يلبسه أنس رضي الله عنه.

وقد كره بعض السلف لبس البرانس لما فيها من التشبه بالنصارى:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وقد كره بعض السلف لبس البرنس لأنه كان من لبس الرهبان، وقد سئل مالك عنه فقال: لا بأس به، قيل: فإنه من لبوس النصارى قال كان و يلبس ههنا وقال عبدالله بن أبي بكر: ما كان أحد من القراء إلا له برنس»[1].

ودليل من كرهه حديث علي يرفعه «إياكم ولبوس الرهبان فإنه من ترهب أو تشبه فليس مني»[2] إلا أنه ورد أن بعض الصحابة قد لبس الخز كما في حديث الباب قال أبو داود: وعشرون نفساً من أصحاب رسول الله ﷺ أو أكثر لبسوا الخز منهم أنس والبراء بن عازب[3].

وأجاز الحنفية والحنابلة لبس الخز مالم يكن فيه شهرة[4]. والله أعلم.

---

(1) الفتح ١٠/٢٧٢.

(2) الطبراني في الأوسط بسند لابأس به ٤/١٧٨، وانظر فتح الباري ١٠/٢٧٢.

(3) انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود ١١/ ٥٩.

(4) الفتح ١٠/٢٧٢ .

الفوائد الدعوية:

أولاً: حرص السلف على معرفة حياة صحابة رسول الله ﷺ.

ثانياً: استحباب التجمل في اللباس.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: حرص السلف على معرفة حياة صحابة رسول الله ﷺ:

في حديث البـاب مـايبين حـرص السـلف على نقل سـير صـحابة رسـول الله، لذا ينبغي للدعاة إلى الله حث المدعوين على اقتفاء أثر الصحابة رضي الله عنهم.

ثانياً: استحباب التجمل في اللباس.

في حديث البـاب ما يبين هدي الإسـلام في التجمل في اللبـاس. فهذا أنس رضي الله عنه يلبس برنساً أصفر من خَزٍ.

لذا ينبـغي على المسلم الحـرص على حـسن الملبس ليكون شـامـة بين النـاس في مجتمعه.

باب البرود والحبر والشملة(١)

٢٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يدخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمرةٌ هي سَبْعُونَ ألفاً تَضِيءُ وُجُوهُهُم إِضَاءَةَ الْقَمرِ». فقام عكاشة بن محصن الأسدي (٢) يرفع نمِرَةً علَيه قال : ادْعُ اللّهَ لي يا رَسُولَ الله أَنْ يَجْعلَنِي مِنهُمْ، فَقَالَ : «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنهُمْ». ثم قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأنصارِ(٣)، فَقَال :يا رَسُولُ اللَّه ادع الله لي أَنْ يجعَلَنِي منْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : «سَبَقَكَ عُكَاشَةُ»(٤).

رقم الحديث [٥٨١١].

---

(١) أي : هذا باب يذكر فيه البرود وهو جمع بُرده عمدة القاري ١٥/٢٧.

(٢) عكاشة بن محصن الأسدي من السابقين للإسلام، وكان من أجمل الرجال، شهد بدراً وقاتل فيها، استشهد في قتال الردة مع خالد بن الوليد سنة ١٢هـ قال ابن إسحاق: بلغني أن رسول الله ﷺ قال : «خير فارس في العرب عكاشة». انظر : فتح الباري ١٠/٤١١.

(٣) سعد بن عبادة -كما قاله الخطيب- وفي قوله من الانصار ردٌ على من قال : إنه من المنافقين، وأنه ﷺ إنما ترك الدعاء له لذلك. انظر: إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري ١٢/ ٥٣٢.

(٤) مطابقته للترجمة في قوله : «يرفع نمرة له». انظر : عمدة القاري ١٥/٢٩ وإرشاد الساري بشرح صحيح البخاري ١٢/ ٥٣٢. والحديث طرفه في كتاب الرقاق باب يدخل الجنة سبعون الف بغير حساب رقم ٦٥٤٢ و أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب رقم الحديث ٢١٦ .

غريب الحديث

البرود : كساء أسود مربع فيه صفر تلبسه الاعراب[1].

الحُبْرة : الحِبَرة والحَبرة: ضرب من برود اليمن مشمر، والجمع حِبَرٌ وحبرات[2].

وفي النهاية الحبير من البرود ما كان موشياً مخططاً، يقال : برد حبير وبردة حبـرة، بوزنِ عنَبَـة على الوصف والإضـافـة، وهو برد يمان، الجـمع حِبَـرٌ وحبرات[3].

نمـرة : النمرة الحبرة لاختلاف ألوان خطوطها، والنمـرة : شملة منها خطوط بيض وسود[4]. قال في النهاية: كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض[5].

الشملة: بفتح المعجمة وسكون الميم، ما يُشتمل به من الأكسية أو يلتحف[6].

زمرة : بضم الزاي وفتح الراء بينهما ميم ساكنة : جماعة[7].

---

(1) فتح الباري ٢٧٦/١٠. وانظر عمدة القاريء ٢٧/١٥ .

(2) لسان العرب ١٥٩/٤ مادة [حبر]. وانظر : تهذيب اللغة ٣٤/٥.

(3) النهاية في غريب الحديث ٣٢٨/١، وانظر: فتح الباري ٢٧٦/١٠.

(4) لسان العرب ٢٣٥/٥ مادة [نمر].

(5) النهاية في غريب الحديث ١١٨/٥، وانظر: تهذيب اللغة ٢١٩/١٥.

(6) فتح الباري ٢٧٦/١٠.

(7) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري ٥٣٣/١٢.

الموضوع الدعوي

في حديث الباب يصف لنا رسول الله ﷺ ما يكون عليه الناس يوم القيامة، وأن منهم زمرةً هي سبعون ألفاً يدخلون الجنة، تضيء وجوهم إضاءة القمر، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم. فمن هي هذه الزمرة التي كان لها هذا الفضل العظيم في ذلك الموقف؟.

جاء في صحيح البخاري، (باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب) عن سعيد بن جبير قال: حدثني عباس قال: قال النبي ﷺ: عُرضت عليّ الأمم، فأخذ النبي يمرّ معه الأمة، والنبي يمرّ معه النفر، والنبي يمرّ معه العشرة، والنبي يمرّ معه الخمسة، والنبي يمرّ وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريلُ هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب. قلت: ولِمَ؟. قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون. فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: اللهم اجعله منهم. ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: سبقك بها عكاشة.»[1].

وكان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يذكر أوصاف أهل الإيمان في صفات مختلفة في ذلك اليوم العظيم، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(1) صحيح البخاري كتاب الرقاق باب يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب ص ١٢٥٣ وصحيح مسلم بنحوه كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ص ١١٦-١١٧.

يقـول : «قـال الله عـز وجلّ: المتـحـابون في جـلالي لهـم منابر من نـور يغبـطُهم النبيـون والشهداء»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام : «أول زُمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة...»[2].

والإيمان باليوم الآخر مقتض للتصديق بإخبار الله تعالى بفناء هذه الحياة الدنيا، وبما يسبقه من أمارات ، وما يتم فيه من أهوال واختلاف أحوال، كما هو مقتض كذلك تصديق الله تعالى في أخباره عن الحياة الآخرة، وما فيها من نعيم وعذاب، وما يجري فيها من أمور عظام، كبعث الخلائق وحشرهم وحسابهم ومجازاتهم على أعمالهم»[3].

الفوائد الدعوية

أولاً : حرص الصحابة على الخير، واغتنامهم الفرص المتاحة لذلك.

ثانياً: حسن خلق الداعية مع المدعوين.

ثالثاً: حسن أدب المدعو مع الداعية.

رابعاً: تقريب المسائل الغيبية بالأمثلة الحسية وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

---

(1) سنن الترمذي كتاب الزهد باب ما جاء في الحب في الله ١١٩/٧.

(2) صحيح البخاري، كتاب الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ص ٦٢٤، وصحيح مسلم بنحوه كتاب الجنة باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ص ١١٣٨.

(3) عقيدة المؤمن للشيخ أبي بكر الجزائري، ص ٣٢١ ط دار الشروق.

خامساً: الترغيب فيما عند الله من الأجر العظيم للمؤمنين يوم القيامة.

سادساً: إخبار الداعية بأحوال الناس يوم القيامة وتنويع ذلك لهم.

سابعاً: تركيز الداعية على تقرير الإيمان بالله والتوكل عليه.

ثامناً: الحرص على المسابقة لفعل الخيرات.

تاسعاً: جواز طلب الدعاء ممن شهد لهم بالصلاح.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: حرص الصحابة على الخير، واغتنامهم الفرص المتاحة لذلك.

لقد حرص الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم- على فعل الخيرات واغتنام الفرص المودية إليها، ففي الوقت الذي كان رسول الله ﷺ يصف زمرةً من أمته تضيء وجوههم إضاءة القمر تحركت نفسُ عكاشةَ رضي الله عنه إلى الخير، فبادر مسرعاً إلى مجلس الرسول ﷺ يرفع نمرةً له تفاعلاً مع الموقف، وإظهاراً لحبه الشديد لأصحاب هذه الوجوه التي تضيء إضاءةَ القمر، ورغبةً في أن يكون منهم، فقال: «يارسول الله ادع اللهَ أن يجعلني منهم» لعلمه أن دعوات رسول الله ﷺ مستجابة. فقال ﷺ: «اللهم اجعله منهم»، وفاز بهذا الشرف العظيم، دعوةِ رسول الله ص، وتواصل التفاعل بين صحابة رسول الله ﷺ وحرصهم على الخير، فقام رجل من الأنصار فقال: «ادع اللهَ أن يجعلني منهم» فقال ص: «سبقك بها عكاشة».

هكذا كان صحابة رسول الله ﷺ يحرصون على فعل الخير، ويتحرون الفرص التي قد لا تعوض لتؤهلهم للفوز بما عند الله. فعلى المسلمين أن يحذوا حذوَ صحابة رسول الله ﷺ؛ لأن هذا هو مطلب كل مسلم ومبتغاه في هذه الحياة الدنيا الفانية، الفوز بالجنة والنجاة من النار.

وما أكثر الفرص التي قد يغفل عنها بعض المسلمين في هذه الحياة الدنيا، ، مثل أوقات استجابة الدعاء، كما ورد أن في يوم الجمعة ساعةً يستجيب الله فيها لمن سأله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعةٌ لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه»، وأشار بيده يقللها [1].

ثانياً: حسن خلق الداعية مع المدعوين.

إن قدوة الداعية في هذه الحياة هو رسول الله ﷺ، فقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين بمتابعته، وجعله أسوة لهم في جميع أعمالهم وتصرفاتهم فقال جلّ وعلا: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾[2]، وكان عليه الصلاة والسلام على أحسن خلق، وقد وصفه ربه سبحانه بذلك

---

(1) صحيح البخاري كتاب الجمعة باب الساعة التي في يوم الجمعة ص ١٨٦ وصحيح مسلم بلفظه كتاب الجمعة باب الساعة التي في يوم الجمعة ص ٣٣٠.

(2) الأحزاب: ٢١.

فقـال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، وكانﷺعلى أحسن خلق مع المدعوين، يبلغ دعوة ربه، ويؤلف القلوبَ ويجمعها على طاعة الله سبحانه، ويبعد كلَّ ما قد يؤدي إلى التفرقة بين جماعة المؤمنين، إنه محمد رسو ل الله ﷺ الذي بعثه ربُّه ليخرج الناس من الغي إلى الهدى، ومن الضلالة إلى الرشد، ومن ظلمات الشرك إلى نور عبادة الله وحده لا شريك له، إنه رسول الهدى الذي وصفه الله بلين الجانب مع صحابته، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[2]، هذا الخلق العظيم جعله يتعامل مع صحابته بحسن أدب، لا يجرح شعور أحد منهم أبداً، ويربيهم على ذلك، ويزيل كلَّ ما يؤدي إلى وحشتهم وقلقهم، فمن ذلك مارواه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن الصعب بن جثامة الليثي أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشياً وهو بالأبواء أو بودان، فردَّه عليه، فلما رأى مافي وجهه قال : «إنا لم نرده إلا أنا حُرُمٌ»[3].

وفي حديث الباب يظهر لنا هذا الخلق العظيم في تعامله مع أصحابه ﷺ ، فعندما قام أحد الأنصار بعد عكاشة، يطلب من رسول الله ﷺ أن يدعوَ له، فيردﷺ عليه بأدب جمٍّ فيقول : «سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَة». لم يعنفه أو يطعن فيه عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى معلقاً على هذا الموقف من رسول الله ﷺ :

---

(١) القلم : ٤.

(٢) آل عمران : ١٥٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب إذا أهدى للمحرم حماراً وحشياً حياً لم يقبل ص ٣٤٨، وصحيح مسلم بنحوه كتاب الحج باب تحريم الصيد للمحرم ص ٤٦٦.

«عدل عن قوله : «لست منهم أو لست على أخلاقهم» تلطفاً بأصحابهﷺ وحسن أدبه معهم»[1].

وعن جرير رضي الله عنه قال : ماحجبني رسول اللهﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي، ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل فضرب بيده في صدري وقال : «اللهم ثبته واجعله هدياً مهدياً»[2].

وبالجملة «فقد كان ﷺ محلىً بصفات الكمال المنقطعة النظير، أدّبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثنياً عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3] وكانت هذه الخلال مما قرّب إليه النفوس، وصيّره قائداً تهوي إليه الأفئدة، وآلات من شكيمة قومه بعد الإباء حتى دخلوا في دين الله أفواجاً»[4] .

وهكذا يجب أن يكون الداعية متصفاً بهذا الخلق العظيم في نشره لدين الله، حتى يجد قبولاً واستجابة لدى المدعوين.

ثالثاً : حسن أدب المدعو مع الداعية .

إن المسلم مأمور بحسن الخلق اقتداء بهدي نبيه ﷺ، وخصوصاً إذا كان طالب

---

(1) فتح الباري ٤١٢/١١.

(2) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب من لايثبت على الخيل ص ٥٨٠، وصحيح مسلم بلفظه كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل جرير بن عبدالله ص ١٠٠٤.

(3) القلم: ٤.

(4) الرحيق المختوم ص ٤٨٧، ط دار السلام.

علم، أو حضر مجلس علم يلقيه من شُهد له بالعلم النافع والدعوة إلى الله، وهذا ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ، فالرجل الذي حضر مجلسه ﷺ وهو يصف صنفاً من أهل الجنة تضيء وجوههم، ويدخلون الجنة بغير حساب، وطلب من الرسول ﷺ أن يدعو له بعد طلب عكاشة رضي الله عنه، فأجابه رسول الله ﷺ بقوله: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَة»، لم يضجر ولم يغضب من قول الرسول له، بل تأدب مع معلم الأمة عليه الصلاة والسلام.

وقد وجه ﷺ أصحابه إلى التحلي بهذا الخلق مع العلماء، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»[1].

وعن أبي سعيد سُمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ منه عنه فما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالاً هم أسنَ مني...»[2].

«وقد امتثل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ما أمرهم الله وادبهم به، بكل ما فيه من سمو واتباع لكتاب الله تعالى، فكانوا وقافين عند حدود الله تعالى، متخلقين بأدب القرآن وأدب الرسول ﷺ، وكذلك كان التابعون من بعدهم، ومن تبعهم بإحسان

---

(١) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في تنزيل الناس منازلهم ص ٧٣٢.

(٢) صحيح مسلم كتاب الجنائز باب أين يقوم الإمام من الميت للصلاة عليه ص ٣٧٣.

إلى يوم الدين»[1].

«ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قـال : «من حق العـالم عليك إذا أتيته أن تسلم عليه خاصة، وعلى القوم عامة، وتجلس قدامه، ولاتشر بيدك، ولا تغمز بعينيك، ولا تقل: قال فلانٌ خلافَ قولك، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه في السؤال، فإنه بمنزلة النخلة المرطبة لا يزال يسقط عليك منها شيء»[2].

فـعلى المدعـو أن يتـأدب مع العـالم والـداعيـة إلى الله؛ ليـنهل من العلم النـافع، ويكسب عند الله الثواب العظيم، ثواب إجلال حامل القرآن.

رابعاً : تقريب المسائل الغيبية بالأمثلة الحسية أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

ينبـغي على الداعيـة أن يقرب المسـائل الإيمانيـة الغيـبيـة بذكـر الأمثـلة من المادة المحسوسة ما أمكنه ذلك.

ففي حديث البـاب نجد أن رسـول اللهﷺ يـربط أذهان أصحابه بمادة محسوسة، وذلك حين يشـبـه وجوه الزمـرة التي تدخل الجنة بغـيـر حسـاب بـالقـمـر الذي يرونـه ليلة البـدر، تقريبـاً للصورة، حتى تصير كأنـهم يشـاهدونهـا عيـانـاً، وكـثـيـراً مـا كـان رسـول اللهﷺ يستعمل هذا الأسلوب مع أصحابه.

---

(1) منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي على ما جاء في سورة الحجرات، للشيخ محمد الأنصاري ص ٣٠٢، ط مكتبة الأنصار.

(2) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ص ٢٣١، ط دار الكتب الإسلامية- القاهرة.

ومن الأمثلة لذلك وصفه عليه الصلاة والسلام للصراط المضروب على جهنم، حيث قال ﷺ : « . . . ويُضْرَبُ جسْرُ جَهَنَم، فأكُون أوَّلَ من يُجِيزُ، ودُعاءُ الرُّسُل يَوْمَئِذٍ : اللّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وبِه كلاليبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَان أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا بلى يارسول الله، قال : «فإنها مثل شوك السعدان غَيْرَ أنها لا يَعلَمُ قدْرَ عِظَمِها إلا الله . . . » الحديث[1].

وهكذا ينبغي على الداعية أن يستعمل من الأساليب أبلغها، ومن العبارات أفصحها ضارباً الأمثلة الحسية للأمور الغيبية، تقريباً للمعنى المراد إلى أذهان المدعوين، أسوة بسيد المرسلين صلوات ربي وسلامه عليه.

خامساً : الترغيب فيما أعدّه الله للمؤمنين من الأجر العظيم أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

في حديث الباب يبين رسول الله ﷺ لصحابته الكرام رضي الله عنهم ما أعده الله للمؤمنين يوم القيامة، ترغيباً لهم في المسارعة إلى فعل الخير، وكان من هديه ﷺ مع أصحابه هذا الأسلوب، فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال : إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يوم القيامة كَمَا تَرَون هَذَا لا تُضَامُّون في رُؤْيَته»[2].

---

(1) صحيح البخاري كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم ص ١٢٥٧، وصحيح مسلم مطولاً كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ص ٩٩.

(2) صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قوله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة» ص ١٤١٦، وصحيح مسلم بنحوه كتاب المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ص ٢٤٩.

ويصف رسول الله ﷺ لصحابته أول زمرة يدخلون الجنة فيقول : «أَوَّلُ زُمرَةٍ يدْخُلونَ الْجَنَّةَ على صورَةِ الْقَمَرِ ليلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الذين يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوكَبٍ دُرِيٍ في السَّمَاءِ إضَاءَةً، لا يَبُولون ، ولا يَتَغَوَّطُون، ولا يَتْفُلُون، ولا يَتَمَخَّطُون، أَمْشَاطُهم الذهَب، ورَشحُهم المِسْكُ، ومَجامِرُهم الألوة- عود الطيب- أزْوَاجُهم الْحُورُ العينُ عَلَى خلقِ رَجُلٍ واحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أبيهم آدَمَ ستون ذِراعاً فِي السَّماءِ»[1].

لذا ينبغي على الداعية الأخذ بهذا الأسلوب، وتذكير المدعوين بما أعده الله لعباده المؤمنين الصادقين من نعيم مقيم؛ لأن هذه الدنيا قد تغرّ الإنسان بزخارفها، وتلهيه بملذاتها الزائلة، فيركن إليها المؤمن، فإذا ذُكِّرَ بمصير أهل الإيمان وأن الفوز ليس بجمع الأموال وكثرة الأولاد، وإنما الفوز بدخول جنة النعيم، وبما أعده الله للمؤمنين مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب أحد من البشر، أفاق من رقاده، وشمر للعمل لذلك اليوم العظيم، فيختار حال السعداء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

سادساً : إخبار الداعية بأحوال الناس يوم القيامة وتنويع ذلك لهم.

في حديث الباب يذكر لنا رسول الله ﷺ صنفاً من الناس يوم القيامة وهم أهل الإيمان ، فعلى الداعية أن يبين للمدعوين أحوال الناس يوم القيامة، وينوع ذلك لهم كما هو شأن القرآن، فتارة يذكر وصف أحوال الكافرين، ثم يعقبه وصف أحوال المؤمنين المطيعين كما جاء في سورة الزمر قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كفروا إلى جهنم زُمَراً حَتَّىٰ

---

(1) سبق تخريجه ص ٢٧٥.

﴿إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ الآية[1]، ثم قوله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا...﴾[2].

وتارة يذكر حال وجوه الصنفين. فوجوه أهل الإيمان مسفرة، ووجوه أهل الضلال والكفر عليها غبرة، كما في قوله تعالى :﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾[3].

وتارة يذكر أصحاب النار وهم يعذبون فيقول تعالى : ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾[4].

وتارة يذكر أهل الجنة وما أعده الله لهم من نعيم مقيم كما في قوله تعالى :﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5].

فعلى الداعية أن ينهج هذا المنهج في دعوته بحيث يذكر أحوال الناس يوم القيامة بما في ذلك بيان لأنواع النعيم العظيم الذي أعده الله للمؤمنين، وما يقابله من أنواع العذاب الأليم الذي أعدّه الله للكافرين.

---

(١) الزمر: ٧٢.

(٢) الزمر: ٧٣.

(٣) عبس : ٣٨-٤٢.

(٤) الاحزاب: ٦٦.

(٥) الزخرف : ٦٩-٧١.

سابعاً: تركيز الداعية على تقرير الإيمان بالله والتوكل عليه.

إن من أهم ما ينبغي أن يحرص عليه الداعية إلى الله هو غرس الإيمان في نفوس المدعوين، وتربيتهم على التوكل على الله سبحانه حق التوكل في جميع شؤونهم وأمورهم، وإعلامهم بأن الله وحده القادر على كل شيء المتصرف في الخلق كيف يشاء، وأن التوكل على الله وحده من صفات المؤمنين الصادقين في إيمانهم، وقد وصفهم ربهم بذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1].

إن ما يبذله المسلم من الأمور، وما يتخذه من الاحتياطات وقايةً للمرض، أو منعاً لسطو العدو ماهو إلا سبب من الأسباب، ولابدّ أن يسبقها التوكل على الله حقّ التوكل الذي هو الأساس، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فقد خرج ﷺ هو وأبوبكر الصديق، وسارا فراراً من المشركين حتى وصلا إلى الغار، وتبعهما المشركون حتى وصلوا إلى الغار، وقد قال أبوبكر الصديق حاكياً لما حصل في ذلك الموقف التاريخي: «نظرتُ إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت: يارسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا» فقال ﷺ: «ماظنك يا أبابكر باثنين اللهُ ثالثهما»[2] متفق عليه.

في هذه القصة التاريخية الخالدة نجد أن رسول الأمة قد فعل السبب، وذلك بخروجه من مكة مهاجراً، واختبائه في الغار مع الصديق رضي الله عنه، لكنه ﷺ لم يقتصر على فعل

---

(١) الأنفال: ٢.

(٢) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم ص ٦٩٨، وصحيح مسلم بنحوه كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق ص ٩٧١.

الأسباب بل توكل على الله، خالق الأسباب و المسببات.

إن التوكل على الله مع فعل الأسباب هما الأمران المقترنان، فلا يعتمد على الأسباب وحدها ويترك التوكل على الله، فلا يقول : توكلت على الله، ويترك فعل الأسباب، فبالتوكل على الله تكون النجاة من المشاكل والسلامة من المؤامرات والمكائد كما بين رسول الله ﷺ ذلك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين ألقي في النار و قالها محمد ﷺ حين قالوا : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل»[١] حيث بين رسول الله ﷺ صفة السبعين الف الذين يدخلون الجنة بغير حساب المتوكلون على الله فقال عكاشة بن محصن أمنهم انا يارسول الله ؟ قال : «نعم»[٢].

ثامناً : الحرص علي المسابقة لفعل الخيرات.

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ أحرص الناس على الخيرات، وأشد الناس مسابقة فيها، وعلى اغتنامها فظهر من فعل عكاشة رضي الله عنه، ومبادرته بطلب رسول الله ﷺ أن يدعو الله له؛ ليفوز يوم القيامة فيكون من هذه الزمرة التي وصفها رسول الله ﷺ ، وهذه من الصفات التي عرف بها صحابة رسول الله ﷺ .

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله تعالى «إن الناس قد جمعوا لكم»، ص ٨٦٥.

(٢) كما جاء ذلك مفسراً صفات هؤلاء في كتاب الطب باب من اكتوى أوكوي غيره وفضل من لم يكتو حديث رقم ٥٧٠٥.

إنها حقاً المسارعة لفعل الخيرات ،وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم، حيث كانوا يسارعون في فعل الخيرات ويسألون رسول الله ﷺ عنها.

من ذلك حرص أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال : قلت : يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوّل منك؛ لما رأيتُ من حرصك على الحديث، أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه»[1].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رجل للنبيﷺ يوم أُحد: أرأيت إن قتلتُ فأين أنا؟ قال: «في الجنة» فألقى تمرات في يده، ثم قاتل حتى قتل»[2]. متفق عليه.

وهكذا ينبغي على الداعية أن يربي نفسه ومن يدعوه على المسارعة لفعل الخيرات امتثالاً لأمر الله القائل : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3].

قال القرطبي: «وهذا الطلب من الله لعباده المؤمنين بالمسارعة إلى مايوجب المغفرة وهي الطاعة»[4].

---

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ص ١٢٥٦.

(٢) صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة أحد ص ٧٦٩، وصحيح مسلم بنحوه كتاب الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد ص ٧٨٩.

(٣) آل عمران ١٣٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ٤/٢٠٣.

تاسعاً: جواز طلب الدعاء ممن شهد لهم بالصلاح.

قـوله : «فقـام عكاشـة بن محـصن الأسـدي يرفع نمرَةً عليـه قال : ادْعُ اللَّه لِي يَا رَسُولَ اللَّه أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ» دليل على جواز طلب الدعاء من الصالحين، وقد استجاب ﷺ لطلب عكاشة فقال: «اللَّهُمَّ أجْعَلْه مِنهمْ» فهذا دليل قاطع على أنه لابأس بالمسلم؛ أن يوصي إخوانه بالدعاء له، كما أوصى النبي ﷺ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعنه رضي الله عنه قال : استأذنت النبيَّ ﷺ في العمرة فأذن لي وقال : «لا تنسانا يا أُخي في دعائك» فقال كلمة مايسرني أن لي بها الدنيا، وفي رواية قال : «أشركْنا يا أخي في دعائك»[1].

---

(1) سنن أبي داود كتاب الصلاة باب الدعاء ص ٢٣٤، وسنن الترمذي بنحوه كتاب الدعوات ح (٣٥٥٧) ٢٠٨/٩ وقال عنه : حسن صحيح . وسنن ابن ماجة بنحوه كتاب المناسك باب فضل دعاء الحاج ٩٦٦/٢.

٢٩- عن قتادة [١]، عن أنس قال : قلت له : أيّ الثياب كان أحبَّ إلى النبيِّ ﷺ ؟ قال : الحِبَرة.

رقم الحديث: [٥٨١٢].

وفي رواية «كان أحبُّ الثيابَ إلى النبيِّ ﷺ أن يلْبِسَها الحِبَرةَ»

طرف : [٥٨١٣].

الموضوع الدعوي

في هذا الحديث يبين لنا أنس بن مالك رضي الله عنه ما كان يحب أن يلبسه عليه الصلاة والسلام من الثياب وهي الحبرة، قال ابن بطال : «وهي من برود اليمن تصنع من قطن وكانت أشرف الثياب عندهم»[٢] وقال الداودي: «وإنما كانت أحبَّ إليه ﷺ لأنها- فيما قيل -لونها أخضر، وهو لباس أهل الجنة»[٣].

ونقل بعض الصحابة خبر لبسه لهذا النوع فعن أبي رمثة رفعة التيمي رضي الله

---

(١) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزير بن الخطاب السدوسي البصري الضرير الاكمه، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، ولد سنة ٦٠هـ.
قال أحمد بن حنبل : كان قتادة عالماً بالتفسير وباختلاف العلماء، ثم وصفه بالفقه والحفظ، وأطنب في ذكره وقال : قلّ ما نجد من يتقدمه، وقد كان أيضاً رأساً في العربية والغريب وأيام العرب وأنسابها، توفي رضي الله عنه سنة ١١٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩.

(٢) فتح الباري ١٠/٢٧٧.

(٣) عون الباري ٥/٢٧٢.

عنه قال: انطلقت مع ابي نحو النبي ﷺ فرأيت عليه بردين أخضرين»[١]. وقال تعالى واصفاً لباس أهل الجنة: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى مبيناً هديَ النبيِّ ﷺ في اللباس: «وكان من هديه في اللباس أن يلبس ما تيسر من اللباس، من الصوف تارة، والقطن تارة، والكتان تارة، ولبس البرود اليمانية، والبرد الأخضر، ولبس الجبة والقباء، والقميص والسراويل، والإزار والرداء، والخف والنعل، وأرخى الذؤابة من خلفه تارة وتركها تارة، وكان إذا استجد ثوباً سماه باسمه وقال: «اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك من خيرِه وخيرِ ما صنع له، وأعوذ بك من شرِّه وشرِّ ما صنع له»[٣].

---

(١) سنن ابي داود كتاب اللباس، باب في الخضرة، ص٦١٦.

(٢) الإنسان: ٢١.

(٣) سنن أبي داود كتاب اللباس ح (٤٠٢٠)، ص٦١. وسنن الترمذي بنحوه كتاب اللباس باب مايقول اذا لبس ثوبا جديداً ٧٨/٦.

الفوائد الدعوية

أولاً : الاهتمام بحسن الملبس تأسياً بنبي الأمة ﷺ.

ثانياً : حرص الصحابة رضوان الله عليهم على معرفة هدى النبي ﷺ في اللباس.

ثالثاً : وسطية هذا الدين في اللباس.

رابعاً : استجابة الإسلام للغرائز النفسية في اللباس.

خامساً : أن الملبس الحسن لا يتنافى مع التواضع والعبودية لله جلّ وعلا.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : الاهتمام بحسن الملبس تأسياً بنبي الأمة ﷺ.

إن الاهتمام بحسن الملبس والمظهر من الأمور التي حثّ عليها هذا الدين القويم، ورغّب فيها نبي الأمة ﷺ أيّما ترغيبٍ، وذلك لما لحسن الملبس والمظهر من الأهمية، إذ هو إبرازٌ لنعم الله على العبد، وقد قال ﷺ : «إن الله يحبُّ أن يرى أثرَ نعمته على عبده»[1]. وفي الحرص على حسن الملبس اقتداءٌ بنبي هذه الأمة الذي وردت عنه أحاديثُ كثيرةٌ تؤكد على اعتنائه ﷺ بملبسه ومظهره.

إنه رسول الأمة، خاتم الأنبياء وإمام المرسلين الذي دعا إلى عبادة الله، وإلى أفضل الأخلاق وأتمها بلسانه وأفعاله التي من بينها حفاظه على مظهره الخارجي، وقد روى

---

(1) سنن الترمذي كتاب الأدب باب إن الله يحبّ أن يرى أثرَ نعمته على عبده ٤٤/٨.

أصحابُه رضوان الله عليهم صوراً مختلفة من لباسه ﷺ منها الأبيض والأحمر، والأخضر، والأسود، فعن البراء رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ مربوعاً وقد رأيته في حلّة حمراء، ما رأيت شيئاً أحسن منه»[1]. وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء» رواه مسلم[2].

وحث ﷺ على لبس الأبيض، كما في الحديث الذي رواه سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البسو من ثيابكم البياض فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم»[3].

وحث عليه الصلاة والسلام أصحابه على حسن المظهر ونظافته، وبخاصة عند لقاء الإخوان، وذلك لما يجلبه حسن المظهر من هيبة واحترام، فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه لبشر التغلبي: سمعت رسول الله ﷺ يقول «...إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم، وأصلحوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامةٌ في الناس، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش»[4].

وقد اهتم علماء الإسلام وأئمة الدين بذلك، فهذا إمام اهل السنة والجماعة يقول

---

(1) صحيح البخاري كتاب اللباس باب الثوب الأحمر ص ١١٤٢، وصحيح مسلم بنحوه كتاب الفضائل باب في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجهاً ص ٩٥٣.

(2) صحيح مسلم كتاب الحج باب جواز دخول مكة بغير إحرام ص ٥٢٦.

(3) سنن النسائي كتاب الزينة باب الامر بلبس البيض من الثياب ٨/٥٩٢-٥٩٣ وصححه الحاكم في المستدرك كتاب اللباس ٤/١٨٥.

(4) سنن أبي داود كتاب اللباس باب ما جاء في اسبال الازار ص ٦١٩-٦٢٠ وصححه الحاكم في المستدرك كتاب اللباس ٤/١٨٣.

عنه الميموني «ما رأيت أنظف ثوباً ولا اشد تعاهداً لنفسه في ، شاربه وشعر رأسه وبدنه ولا أنقى ثوباً وأشد بياضاً من أحمد بن حنبل»[1].

إن على الداعية أن يبين للمدعوين هديَ النبيِّ ﷺ في اللباس ليتأسوا به في ذلك، ولتتعلق نفوسهم به ﷺ في جميع أمورهم، فإن الرسول ﷺ قدوة المؤمنين وإمامهم الذي أوجب الله عليهم اتباعه، والأخذ بهديه، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[2].

ثانياً: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على معرفة هدى النبي ﷺ في اللباس.

كان صحابة رسول الله ﷺ أحرص الناس على الاقتداء به، فهذا أنس رضي الله عنه يصف أحبَّ الثياب إلى رسول الله ﷺ لقتادة رضي الله عنه، وذلك ليكون على علم به، وليتأسى به ﷺ في ذلك، وهذا الذي عرف به صحابته رضوان الله عليهم جميعاً، فهم حريصون على نقل كل مارأوا أو سمعوا من رسول الله ﷺ إلى من خلفهم أداء لأمانة العلم، ورغبة في نشره، واستجابة لأمر الرسول ﷺ القائل: «بلغوا عني ولو آية...»[3].

إن ما نقله الصحابة رضوان الله عليهم من ألوان ملبسه عليه الصلاة والسلام لدليل حي على حرصهم في نقل كل ما يتعلق به عليه الصلاة والسلام إلى أمته بأمان،

---

(1) الآداب الشرعية لابن مفلح ١٤/٢.

(2) الأحزاب: ٢١ .

(3) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني اسرائيل، ص ٦٦٦ .

وليكون كلّ من أراد اتباعهص على بينة من أمره، فلا يقدم على شيء ولا يدبر عنه إلا بناء على السنة النبوية المشرفة، ولأن ذلك دليل قاطع على جواز لبس الملابس الملونة، فلا يأتي آت مثلاً يحرم لبس اللباس الأسود لسواده، ولا الأحمر لحمرته، فكل ذلك قد ثبت عن النبي ﷺ إمام الأمة الذي يجب اتباعه.

فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر للمدعوين حتى يكونوا على بينة من أمرهم، وحتى يقتفوا أثرهﷺفي تنويع اللباس، ويتقربوا إلى الله سبحانه بالأخذ بهديه.

ثالثاً: وسطيه هذا الدين في اللباس.

في حديث الباب ما يبين وسطية هذا الدين وبعده عن الغلو في لباس معين فلا مكان في هذا الدين لما يفعله بعض الناس من الاقتصار على لبس معين كالصوف مثلاً والإعراض عن كثير من أنواع اللباس الذي أباحه الإسلام.

«ذكر الشيخ أبو إسحاق الأصفهاني بإسناد صحيح عن جابر بن أيوب قال: دخل الصَّلْت بن راشد على محمد بن سيرين وعليه جبة صوف وإزار صوف وعمامة صوف فاشمأز منه محمد وقال: أظن أن أقواماً يلبسون الصوف ويقولون: قد لبسه عيسى بن مريم عليه السلام، وقد حدثني من لا أتهم أن النبيﷺقد لبس الكتان والصوف والقطن، وسنة نبينا أحق أن تتبع.

ومقصود ابن سيرين بهذا أن أقواماً يرون أن لبس الصوف دائماً أفضل من غيره فيتحرونه، ويمنعون أنفسهم من غيره، وكذلك يتحرون زياً واحداً من اللباس، ويتحرون رسوماً وأوضاعاً وهيئات يرون الخروج عنه منكراً، وليس المنكر إلا التقيدَ بها والمحافظة

عليها، وتركَ الخروج عنها.

والصواب أن أفضل الطريق طريق رسول الله ﷺ التي سنّها وأمر بها، ورغّب فيها وداوم عليها»[1].

رابعاً : استجابة الإسلام للغرائز النفسية في اللباس.

إن النفس البشرية تتوق إلى الملبس الحسن وتحرص على ذلك في الغالب، فجاء الإسلام مستجيباً لهذه الغرائز، ويظهر هذا جلياً في إجابة رسول الله ﷺ لأحد الصحابة في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». فقال رجلٌ : إن الرجل يحبُّ أن يكون ثوبهُ حسناً ونعلُه حسناً. فقال ﷺ : «إن الله جميل يحبُّ الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»[2] ففي هذا الحديث لم ينكر ﷺ على هذا الصحابي غريزته النفسية في حبه للملبس الحسن والنعل الحسن، بل شجعه الرسول الكريم ﷺ على ذلك بقوله: «إن الله جميل يحب الجمال» مبيناً له حقيقة الكبر، وأنه ليس في حسن الملبس ولاحسن النعل، ولكنه بطر الحق وغمط الناس.

خامساً : أن الملبس الحسن لا يتنافى مع التواضع والعبودية لله جلّ وعلا.

لقد كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس تواضعاً وأحسنهم خلقاً، حتى مع

---

(1) زاد المعاد ١/١٤٣.

(2) سبق تخريجه، ص٢٦٥.

الصبيان والعبيد، وحتى أن الجارية لتأخذ بيده الشريفة عليه الصلاة والسلام وتنطلق به في المدينة كيف شاءت، وكان مع تواضعه عليه الصلاة والسلام محافظته على حسن ثيابه كما في هذا الحديث، وتجمله للوفود بأحسن ثياب.

ان الملبس الحسن لا يتنافى مع التواضع فالرسول عليه الصلاة والسلام كان اشد الناس خشية لله واحسن الناس تواضعاً ومع ذلك يكره الملبس الرديء ، وينكره، وقد أنكر على بعض أصحابه رداءةَ ملبسه، وذلك فيما رواه أبو داود عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت النبيﷺ في ثوب دون فقال: «ألك مال؟» قال: نعم قال: «من أي المال؟» قال: أتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال: «فإذا أتاك الله مالاً فلُير أثرُ نعمة الله عليك وكرامته»[1].

---

(1) سبق تخريجه، ص٢٦٥.

٣٠- عن أبي سلمـة بن عـبـدالرحـمن بن عـوف[1] أن عـائشـة رضي الله عنهـا زوج النبيﷺ أخبرته أن رسول اللهﷺحِينَ تُوُفِّيَ سُجِّيَ[2] بِبردِ حِبرةٍ[3].

رقم الحديث: [٥٨١٤].

الموضوع الدعوي

في حـديث عـائشـة رضـي الله عنهـا يتـبين لنا هدي الإسـلام في ستـر المسلم بعد وفاته، حيث قالت رضي الله عنها : «إن رسول الله ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ سُجِّيَ بِبُرد حِبرةٍ» وقد حث الإسلام على ستر المسلم حياً وميتاً إلا أن لستر الأحياء أحكاماً تخصـهم، وللأموات أحكاماً تخصـهم، وكما حرص الإسلام على ستـر المسلم حياً فكذلك حرص على ستره بعد موته، قال صاحب التوضيح :[4] «ويؤخذ من هذا الحديث «استحباب تغطية جسد الميت كله، فهو أفضل من بقائه مكشوفَ الوجه والأطراف، فالإنسان بعد موته عورةٌ يستحب مواراتها قبل الدفن بالتسجية بما يخفي سوءاتها، قال تعالى حكاية عن ابن آدم :

---

(١) أبو سلمـة بن عـبـدالرحـمن بن عـوف الحـافـظ، أحـد الاعـلام بالمدينة المنورة، ولد سنة بضع وعشرين، مات سنة ١٠٤هـ وهو ابن ٧٢ سنة. انظر : سير أعلام النبلاء ٢٨٧/٤.

(٢) سجي: سجى الميت، غطاه. وسجيت الميت تسجيةً إذا أمددت عليه ثوباً.
انظر : لسان العرب ٣٧١/١٦، مادة [سجى]، النهاية في غريب الحديث ٣٤٤/٢، تهذيب اللغة ١١/ ١٤٠، مادة [سجي]، فتح الباري ٢٧٧/١٠.

(٣) مطابقته للترجمة في آخر الحديث عمدة القاري، ١٥ ص ٢٩، والحديث أخرجه مسلم في كتاب الجنائز باب تسجية الميت حديث رقم ٩٤٢.

(٤) توضيح الاحكام من بلوغ المرام للشيخ عبدالله البسّام ٤٨٤/٢، ط مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة - مكة المكرمة .

﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾[1].

وقال النووي : «إن هذه التسجية مجمع عليها، وحكمة ذلك صيانةُ الميت عن الانكشاف، وستر صورته المتغير بوفاته عن الأعين»[2].

هذا هدي الإسلام في حفظ عورة الميت، وهذا ما أمر به عليه الصلاة والسلام أصحابَه في تكفينهم لموتاهم. قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : «وكان من هديه ﷺ تسجيةُ الميت إذا مات، وتغميض عينه، وتغطية وجهه وبدنه، وكان ربما يقبّل الميت كما قبل عثمانَ بنَ مظعون وبكى، وكذلك الصديقُ أكبَّ عليه يقبله بعد موته ﷺ»[3].

الفوائد الدعوية:

أولاً : إكرام الإسلام للمسلم حياً وميتاً.

ثانياً : دور المرأة المسلمة في نشر العلم.

ثالثاً : بيان الحكمة من تجسية الميت.

---

(1) المائدة : ٣١ .

(2) مسلم بشرح النووي ١٤/٧ .

(3) زاد المعاد ٥٠٢/١.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : إكرام الإسلام للمسلم حياً وميتاً.

لقد أكرم اللهُ جلّ وعلا المسلمَ في حياته وبعد موته، وفي حديث عائشة رضي الله عنها ما يفيد تكريم الميت، وذلك بتغطيته بأحسن مايلبس في حياته إن تيسر ذلك، فقد كانت الحبر من أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ، وبه سجي ﷺ بعد موته. وقد أكرم الإسلام المسلم وحفظ عورته وحذر من هتكها وبيان عيوبها حتى بعد الموت، فمن ذلك ماورد من حثه ﷺ لغاسل الميت على ستر ما يراه من أمرٍ يكره الميت اطلاعَ الناس عليه في حياته، فعن أبي رافع أسلم مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «من غسّل ميتاً فكتم عليه، غفر الله له أربعين مرة.....» رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم[1].

فأي تكريم للمسلم أكبر من أن يستر عيبُه بعد موته كما حرص هو نفسه على ستره حياً. وعلى الدعاة أن يبينوا فضلَ هذا الأمر للمدعوين، وعلى الخصوص من يتولى تغسيل الأموات، ويحذرونهم من إفشاء ما يراه في جسم الميت من عيب أو نحوه من الأمور التي لا يحب أن يطلع عليها أحد وهو حي، ولعل في ذلك راحة نفسية حتى لأولاده وأقاربه، فإن إهانة المسلم واحتقاره حرام كما بين ذلك النبي ﷺ في قوله : «...المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/٣٥٤ .

حرام دمه وماله وعرضه»[1]، وإذا كان ذلك قد حرم وهو حي إكراماً له، فإن هذه الحرمة تبقى له بعد وفاته.

ثانيا: دور المرأة المسلمة في نشر العلم.

إن المرأة المسلمة لها دورها في نشر العلم الشرعي وبيان الأحكام الشرعية إذا وفقت لهذا الأمر، فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تبين لأبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف فضل تسجية الميت، وأنه عليه الصلاة والسلام حين توفي سجي ببرد حبرة.

وقد بين عليه الصلاة والسلام فضلَ تعليم الناس في أحاديث كثيرة، من ذلك ماروا أبوموسى رضي الله عنه قال: قال النبيﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث، أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماءض فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماءَ فنفع الله بها الناسَ، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني اللهُ به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[2]. متفق عليه.

فعلى المرأة المسلمة أن تحرص على تعليم الناس الخيرَ إذا كان لديها العلمُ

---

(1) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ص ١٠٣٥.

(2) صحيح البخاري كتاب العلم باب فضل من عَلِمَ وعَلَّم ص ٤١، وصحيح مسلم بنحوه كتاب الفضائل باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدي والعلم، ص ٩٣٨.

الشرعي، ففي ذلك نشر لدين الله والفقه في الدين، ولقد كانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها آيةً في الحرص على العلم والأخذ من رسول الله ﷺ وتعليم الناس، وكانت مرجعاً للصحابة رضوان الله عليهم إذا أشكل عليهم أحياناً مسألة من المسائل، وكم تكون الأسرة المسلمة متمسكة بهذا الدين إذا كانت المرأة داعية إلى الله فيها، مبلغة رسالة رسول الله ﷺ لأفرادها، وإلى أي درجة يبلغ صلاح أفراد الأسرة إذا كانت ربّتُها حريصةً على العلم مشجعةً عليه داعيةً إلى الله سبحانه وتعالى.

إن واجب نشر الدعوة إلى الله والعلم الشرعي ليس مقصوراً على رجال هذه الأمة دون نسائها، بل الكل مشترك فيه حسب الطاقة والاستطاعة والقدرة، فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر بياناً وافياً شافياً حتى تعرف المرأة المسلمة أن دورها في نشر العلم الشرعي كبير جداً.

ثالثاً: بيان الحكمة من تسجية الميت.

لعل الحكمة من المسارعة في تسجية الميت هو سرعة تغير لون الجسم، إذ لو كان حياً لستر ما ظهر منه، ولما سمح لأي شخص بالاطلاع عليه.

قال ابن قدامة: «ويسجى في ثوب يُستر جميعه»، «ولا يترك الميت على الأرض لأنه أسرع لفساده، ولكن على سرير أو لوح ليكون أحفظ له»[1].

وقال صاحب حاشية الروض: «وحكمته صيانته من الانكشاف وستر عورته

(1) المغني لابن قدامه ٢/٣٥٤، ط مكتبة الرياض الحديثة.

المتغيرة عن الأعين، والتسجية بعد نزع ثيابه التي توفي فيها»[1].

وقال ابن القيم : «وكان هديه ﷺ في الجنائز أكمل هدي، مخالفاً هدي سائر الأمم، مشتملاً على الإحسان إلى الميت، ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها»[2].

---

(١) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع جمع الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ٣ /٢٢.

(٢) زاد المعاد ص ١٨١ ط دار ابي حزم.

باب لبس الحرير للرجال وقدر ما يجوز منه[1]

٣١- عن قتادة قال : سمعت أبا عثمان النهدي [٢] قال : أتانا كتابُ عمرَ ونحن مع عُتْبَةَ بنِ فَرْقَدٍ[٣] بأذْربيجان[٤] أن رسولَ اللَّه ﷺ نهى عن الحريرِ إلا هكذا، وأشار بإصبعَيْه اللتين تَلِيَانِ الإبهامَ. قال : فيما علمنا أنه يعني الأعلامَ[٥]

رقم الحديث : [٥٨٢٨].

وفي رواية أن النبي ﷺ قال : «لا يُلبَسُ الحرير في الدنيا إلا لمْ يُلْبَسْ منه شيءٌ في الآخرة»

طرف رقم : [٥٨٣٠].

---

(١) أي : هذا باب في بيان حكم لبس الحرير.

(٢) النهدي: بفتح النون وسكون الهاء، قال سليمان التميمي : إنه لأحسبه كان لايصيب ذنباً، ليله قائم، ونهاره صائم، كان يصلي حتى يغشى عليه.... إرشاد الساري ٤٣٧/٨.

(٣) عتبة بن فرقد صحابي مشهور، سمي أبوه باسم النجم، واسم جده يربوع بن حبيب بن مالك السلمي، وكان عتبة أميراً لعمر بن الخطاب في فتوح بلاد الجزيرة، غزا مع رسول الله ﷺ غزوتين.

قال عتبة : أخذني الشرى على عهد رسول الله ص فأمرني فتجردت، فوضع يده على بطني وظهري فعبق بي الطيب من يومئذ. الفتح ١٠/ ٢٨٦، قالت زوجته : كنا عنده أربع نسوة، وكنا نجتهد في الطيب وما كان هو يمسه ،، وإنه كان أطيبنا ريحاً.

(٤) أذربيجان: إقليم معروف وراء العراق، وأهلها يقولون بفتح الهمزة والمد وفتح المعجمة، وضبطه المحدثون بوجهين: بفتح الهمزة بغير المد وإسكان المعجمة وفتح الراء وكسر الموحدة وسكون التحتانية وبعد الهمزة وفتح المعجمة. معجم البلدان ابن ياقوت الحموي ١/ ١٥٦ .... ط دار الكتب العلمية.

(٥) مطابقته للترجمة ظاهرة والحديث أطرافه بنفس الباب برقم ٥٨٢٩ و ٥٨٣٠، ٥٨٣٤، ٥٨٣٥، وأخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير: ص ٨٥٦.

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال: «.... إنما يَلْبَسُ الحريرَ في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة ...»

طرف رقم [٥٨٣٥].

٣٢- حدثنا شعبة حدثنا عبدالعزيز بن صهيب قال: سمعت أنسَ بنَ مالك قال شعبة: فقلت: أعن النبي ﷺ؟ فقال: شديداً عن النبي ﷺ.: «منْ لَبِسَ الحَرِيرَ في الدّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الآخِرَة»[1]

رقم الحديث [٥٨٣٢].

٣٣- عن ثابت[2] قال: سمعت ابنَ الزبير[3] يخطب يقول: قال محمد ﷺ: «مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدّنْيَا لم يَلْبَسَهُ فِي الآخِرَةِ»[4]

رقم الحديث [٥٨٣٣].

---

(١) مطابقته للترجمة: ظاهرة لانه يوضحها لان الترجمة ليس فيها بيان الحكم، و عمدة القاري ٤٢/١٥ والحديث أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة برقم ٢٠٧٣.

(٢) ثابت بن قيس بن الخطيم مذكور في الصحابة، مات في خلافة معاوية، شهد مع علي النهروان/ أسد الغابة ١/ ٤٥٠.

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام، أمه اسماء بنت أبي بكر وهو أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة، كان صواماً قواماً، غزا أفريقيه، قُتل في مكة سنة ٧٣هـ أسد الغابة ٥٩٩/٢.

(٤) مطابقته للترجمة مثل ما ذكرنا في الحديث رقم ٥٨٣٢.

غريب الحديث :

الأعلام: بفـتـح الهـمـزة جـمـع علم بـالتـحـريك ، أي الذي حـصـل في علمنـا أن المراد بالمستثنى الأعلام، وهو ما يكون في الثياب من تطريف وتطريز ونحوهما[1].

الحرير: مـعـروف ، وهو عـربي، سـمي بذلك لخلوصـه، يقـال لكل خـالص : مـحـرر، وحررت الشيء خلصته من الاختلاط بغيره وقيل : هو فارسي معرب[2].

الموضوع الدعوي

في أحاديـث الباب يبين عليـه الصلاة والسـلام حرمةَ الحرير على الرجـال، والحريرُ من أنعم الألبسة، وقد أعجب الصحابة رضوان الله عليهم نعومةُ هذا اللباس كمـا في صحيح البخاري عن البـراء بن عـازب رضي الله عنه قال : أُهدي للنبـيص ثوبُ حرير، فجعلنا نلْمسهُ ونتعجب منه، فقال النبي ﷺ : «أتعْجبُون منْ هذا؟ قلنا : نعم: قال : مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا»[3]. وقد وردت أحاديث أُخَرُ تُبين حرمة لبس الحرير، فعن علي رضي الله عنـه «أن النبيﷺأخـذ حريراً فـجـعله في يمينـه وأخذ ذهبـاً فجعله في شماله ثم قال: إن هذين حرام على ذكور أمتي»[4].

---

(1) فتح الباري ٢٨٦/١٠.

(2) فتح الباري ٢٨٥/١٠ .

(3) صحيح البخاري كتاب اللباس باب من مس الحرير من غير لبس ص ١١٤٠، وصحيح مسلم بنحوه فضائل الصحابة باب من فضائل سعد بن معاذ ص١٠٠.

(4) سنن ابي داود كتاب اللباس باب في الحرير للنساء ص ٦١٥ وسنن النسائي بلفظه كتاب الزينة باب تحريم الذهب على الرجال ٥٣٩/٨.

وقد ربى رسول الله ﷺ أصحابه على البعد عن كل ما يؤدي بهم إلى الهلاك في الآخرة، ومن ذلك لبس الحرير للرجال، فعن عمران بن حطان رضي الله عنه قال: سألت عائشة عن الحرير فقالت: ائت ابن عباس فاسأله. قال: فسألته فقال: سلْ ابنَ عُمَرَ. قال: فسألت ابنَ عمرَ فقال: أخبرني أبو حفص- يعني عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة» فقلت: صدق وما كذب أبو حفص على رسول الله ﷺ»[1].

وقد بين العلماء الحكمةَ من تحريم الحرير على الرجال وإباحته للنساء، قال الشيخ محمد بن أبي جمرة: «إن قلنا إن تخصيص النهي للرجال لحكمة، فالذي يظهر أنه سبحانه وتعالى علم قلة صبرهن عن التزين، فلطف بهن في إباحته، وإنما تزينهن غالباً إنما هو لأزواج، وقال: ويستنبط من هذا أن الفحل لا يصلح له أن يبالغ في استعمال الملذوذات؛ لكون ذلك من صفات الإناث»[2].

وجاء في عون الباري: أن «علة التحريم إما الفخر والخيلاء، أو لكونه ثوبَ رفاهية وزينة يليق بالنساء لا الرجال، أو التشبه بالمشركين، أو السرف»[3].

وقال ابن بطال: «فيه ترك النبي ﷺ لباس الحرير، وهذا في الدنيا، وإرادة تأخير الطيبات إلى الآخرة التي لا انقضاء لها؛ إذ تعجيل الطيبات في الدنيا ليس من الحزم، فزهد في الدنيا للآخرة، وأمر بذلك، ونهى عن كل سرف وحرَّمه».

---

(1) صحيح البخاري كتاب اللباس باب لبس الحرير وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز منه ص.١١٤٠، وصحيح مسلم بنحوه كتاب اللباس والزينة باب تحريم استعمال اناء الذهب والفضة على الرجال والنساء ص ٨٥٩.

(2) فتح الباري ٢٩٦/١٠ .

(3) عون الباري ٢٧٦/٥ وانظر ارشاد الساري ٥٤٣/١٢ .

وقد تعقب ابن المنير كلام ابن بطال فقال: «إن ترك النبي ﷺ لبسَ الحرير إنما هو لا جتناب المعصية، وأما الزهد فإنما هو في خالص الحلال وما لا عقوبة فيه، فالتقليل منه وتركه مع الإمكان هو الذي تتفاضل فيه درجات الزهد».

قال الحافظ ابن حجر: «ولعل مرادَ ابن بطال بيانُ سبب التحريم، فيستقيم ما قاله»[1].

ولعل من الحكمة أيضاً أن لبس الحرير يوجد في الإنسان الضعف في مواجهة الشدائد مما يخل بقوامته في الحياة.

والذي يظهر أن هذه الوجوه كلها من أسباب تحريم لبس الحرير والله أعلم، وقد تكون الحكمة تعبدية خالصة.

وفي كتاب عمر ما يبين جواز لبس الحرير للرجال بقدر الإصبعين اللتين تليا الإبهام، كما يجوز لبس الحرير لمن به حكة من الرجال قال ابن دقيق العيد[2]: «كما دلت السنة على جواز لبسه لمن به حكة من الرجال، حيث رخص رسول الله ﷺ لبعض أصحابه عن أنس رضي الله عنه قال: «رخص النبي ﷺ للزبير ولعبد الرحمن في لبس الحرير لحكة بهما»[3].

---

(١) فتح الباري ١٠/٣٠١.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد ٤/ ٢٢١، ط دار الكتاب العربي.

(٣) صحيح البخاري كتاب اللباس باب ما يُرَخَّصُ للرجال من الحرير للحكة ص ١١٤١، وصحيح مسلم بنحوه كتاب اللباس والزينة باب اباحة لبس الحرير للرجل اذا كان به حكة او نحوها ص ٨٦٢.

الفوائد الدعوية:

أولاً : أن على الدعاة تذكير المدعوين بأن من استعجل ما أمره الله تعالى بتأخيره عاقبة بحرمانه منه في الآخرة.

ثانياً : حرص ولاة الأمر والدعاة على نشر العلم في بلاد المسلمين.

ثالثاً : الخطبة وسيلة من وسائل الدعوة.

رابعاً : تحذير المدعوين من ارتكاب المعاصي.

خامساً: بيان اتساع رقعة الدعوة الإسلامية في العهد الأول من تاريخ الإسلام.

سادساً: من صفات الداعية الحرص على التثبت من صحة حديث رسول الله ﷺ .

سابعاً : أن الحرير من لباس أهل الجنة.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : أن على الدعاة تذكير المدعوين بأن من استعجل ما أمره الله تعالى بتأخيره عاقبه بحرمانه منه في الآخرة .

إن الله سبحانه وتعالى يحاسب العباد على أعمالهم عدلاً منه وقسطاً، وكل العباد تحت مشيئته سبحانه إن شاء عذب وإن شاء غفر مالم تكن المعصية شركاً، وقد

ورد النهي عن ارتكاب المحرمات، وورد في بعضها أن من ارتكبها في الدنيا حُرّم عنهما
في الآخرة، فمن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، روى ابن عمر رضي الله
عنهما عن رسول اللهﷺ أنه قال: «من شرب الخمرَ في الدنيا ثم لم يتب منها حُرِمها في
الآخرة»[1].

وقال ابن العربي: إنه لا يشرب الخمرَ في الجنة، ولا يلبس الحرير فيها" وذلك لأنه
استعجل ما أمر بتأخيره ووعده به، فحرمه عند ميقاته»[2].

ثانياً: حرص ولاة الأمر والدعاة على نشر العلم في بلاد المسلمين.

اهتم صحابةُ رسول الله ﷺ بنشر العلم الشرعي في البلاد التي تم فتحها، ومع
انشغالهم بالجهاد في سبيل الله إلا أنهم لم يهملوا هذا الجانب لأهميته في حياة
المسلمين.

فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرسل كتاباً إلى أذربيجان
يحمل علماً عن رسول الله ص، فهذه تربية نبي الأمة لصحابته الكرام، رباهم على حب
العلم والحرص على نشره وإبلاغه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن وفد عبد
قيس أتوا النبيﷺ فقال: «من الوفد؟ أو من القوم؟» قالوا: ربيعة. فقال: «مرحباً بالقوم

---

(1) صحيح البخاري كتاب الأشربة باب قول الله تعالى: «إنما الخمر والميسر والأنصاب، ص ١٠٩٩،
وصحيح مسلم بنحوه كتاب الاشربة باب عقوبة من شرب الخمر اذا لم يتب منها ص ٨٣٢.

(2) انظر نيل الاوطار شرح منتقي الأخبار للشيخ محمد الصنعاني ١٩٣/٨، ط مكتبة مصطفى
البابي والحلبي وأولاده بمصر.

أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى» قالوا: إنا نأتيك وبيننا وبينك هذا الحي من كفا مضر ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة. فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان بالله عز وجل وحده، قال: «وهل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخمسَ من المغنم». ونهاهم عن: الدباء[١] والحَنْتَم[٢] والمُزَفَّت[٣].

قال شعبة: ربما قال: «النَقِير» وربما قال: «المُقَير»[٤] قال: احفظوه، وأخبره من وراءكم»[٥].

فعلى الدعاة إلى الله نشر العلم الشرعي في جميع بلاد المسلمين، وعلى تبليغ رسالة الله في أرجاء المعمورة، وأن يحسنوا استغلال الوسائل المتاحة لذلك في هذا العصر من الوسائل الإعلامية، وتأليف الكتب وكتابة النشرات والمطويات، وتوزيعها، وترجمتها إلى لغات عدة تعميماً للنفع، وتبليغاً لرسالة الله، متعاونين في ذلك مع ولاة

---

(١) الدباء: القرع واحدها دباءة. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/٩٦، تهذيب اللغة ١٢/٢٠١.

(٢) الحنتم: قال ابو عبيد هي جرار حُمْر كانت تُحمل الى المدينة فيها الخمر، لسان العرب ١٢/١٦١-١٦٢.

(٣) المزفت: يقال وعاء مزفت وجره مزفته مطلية بالزفت ويقال لبعض أوعية الخمر المزفت، وهو المقير والزفت شيء يخرج من الأرض، يقع في الأودية، وليس هو الزفت المعروف. لسان العرب ٢/٣٤-٣٥.

(٤) النقير: اصل النخلة يُنْقَرُ فينبذ فيه لسان العرب ٥/٢٢٨.

(٥) صحيح البخاري كتاب العلم باب تحريض النبي ﷺ وفد عبدالقيس على أن يحفظوا الايمان والعلم ص ٤٢-٤٣. وصحيح مسلم بنحوه كتاب الإيمان باب الامر بالايمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه ص ٤٠.

الأمر الذين يلزمهم الاهتمام بهذا الجانب العظيم، والعمل على نشر العلم الشرعي الصحيح المستمد من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، إذ «ليس من الخافي على كل من له أدنى علم أو بصيرة أن العالم الإسلامي، بل العالم كله في أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الواضحة الجلية التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتوضح لهم أحكامه ومحاسنه»[1].

ثالثاً: الخطبة وسيلة من وسائل الدعوة.

إن الخطبة لها أثرها في نشر الدعوة إلى الله، وكان المنبر في أول الإسلام من أهم وسائل الدعوة إلى الله، فقد كان عليه الصلاة والسلام يقوم عليه في خطبه لأصحابه، قال ابن القيم رحمه الله تعالى يصف هديه ص في خطبه: «خطب ﷺ على الأرض وعلى المنبر وعلى البعير وعلى الناقة، وكان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوتُه، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، يقول صبحكم ومساكم ويقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين» ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: أما بعد، فإن خير الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهُدى هُدى محمدٍ، وشرَّ الأمورِ محدثاتَها، وكلُّ بدعةٍ ضلالة.....»[2] وكان يقصر خطبتَه أحياناً ويطيلها أحياناً بحسب حاجة الناس، وكانت خطبته العارضة أطول من خطبته الراتبة، وكان يخطب النساء على حدة في الأعياد، ويحرضهن على

---

(1) من كلام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز-رحمه الله- نقلاً عن كتاب صفات الداعية، ص ١٧، ط دار إشبيليا. للدكتور حمد بن ناصر العمار.

(2) صحيح مسلم كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ص ٣٨٥.

الصدقة»[1].

وسار على نهجه صحابته الكرام رضي الله عنهم، وعلماء الإسلام من بعدهم، فهذا ابن الزبير يخطب ويبين للمسلمين حرمة لبس الحرير.

فعلى الداعية أن يستعمل هذه الوسيلة - أعني المنبر- لتبليغ رسالة الإسلام.

رابعاً : تحذير المدعوين من ارتكاب المعاصي:

إن من مهمة الداعية إلى الله تحذير المدعوين من الوقوع في المعاصي، وبيان المخاطر التي قد تحلّ بهم في الدنيا والآخرة، إذ المعاصي قد تجلب على مقترفها أنواعاً من العقوبة في الآخرة، فتارة بحرمان العاصي من التنعم بمثل ما تنعم به في الدنيا، كمن لبس الحرير في الدنيا، فإن الله سبحانه يحرمه منه في الآخرة عقوبة له، كما في حديث الباب، حيث قال ﷺ : «مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَنْ يَلْبَسَهُ فِي الآخِرَةِ».

وتارة بإيقاع العقاب الأخروي كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[2].

---

(١) زاد المعاد ١/١٨٦، ١٩١.

(٢) التوبة: ٣٤-٣٥.

عن ارتكاب المعاصي خشيةً لله، وخوفاً من أليم عقابه.

فعلى الداعية إلى الله سبحانه وتعالى بيان هذا الأمر للمدعوين حتى ينزجروا

خامساً : بيان اتساع رقعة الدعوة الإسلامية في العهد الأول من تاريخ الإسلام.

إن الداعيـة عندما يطلع على السنة النبوية، والتاريخ الإسلامي يجد أن الدعوة الإسلاميـة قد قطعت شوطاً واسعاً، وأن رقعتها قد اتسعت حتى وصلت إلى أقاصي الأرض، هذاكلّه بتوفيق من الله سبحانه، ثم بجهود صحابة رسول الله ﷺ الذين نشطوا في تبليغ هذه الرسالة الإلهية الخالدة، ونشرها في جميع أرجاء المعمورة.

ونجد في حديث الباب شاهداً على ذلك، حيث واصل أولئك الفرسان فتوحاتهم المباركة حتى وصلوا إلى أذربيجان، وهو - كما قال الزبيدي- إقليم واسع مشتمل على مدن وقلاع وخيرات بنواحي جبال العراق غربي أرمينيا، وقد فتحت في أيام عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر قد أنفذ المغيرة بن شعبة الثقفي والياً على الكوفة، رمعه كتابٌ إلى حذيفة بن اليمان بولاية أزربيجان».

إن الداعيـة عندما يبين للمسلمين ما وصلت إليه دولة الإسلام، وكيف توسعت وعمرت الأرض، وحكمت فيها شرع الله تعالى فإن ذلك يكون دافعاً قوياً لأمة الإسلام للتمسك بهذا الدين العظيم الذي أعز الله أهلَه بسبب نصرتهم لدين الله، بعد أن كان العرب الذين شرفهم الله بهذا الدين بدواً رحلاً لا يعرفون إلا التقاتل بينهم لأتفه أسباب، أو الانشغال بالملذات والقينات، أو التفاخر بالأنساب والأحساب.

وقد نزل القرآن ليرفع الأمة المسلمة إلى معالي الأمور والقوة والمنعة إن تمسكت به، وحكمته في جميع شؤونها، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»[1].

إن تاريخ هذه الأمـة مليء بالأمـجـاد التي تحـقـقت على أيدي المسلمين، الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وبذلوا الغالي والرخيص في سبيل نشر الدعوة الاسلامية، لا بالسيف والرمح، ولكن بـالإيمان واليقين، إيمان وقر في قلوبهم، وعملت به جوارحهم، فكانوا يدعون إلى الإسلام بأفعالهم وأخلاقهم قبل مايدعون بألسنتهم، فدخل الناس في هذا الدين أفـواجـاً، وآمنوا بالله رباً، وبـالإسلام ديناً، ومـحـمـدﷺ نبيـاً ورسولاً، فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر للمدعوين حتى يعلم هذا الجيل الأسباب التي وراء اتساع الرقعة الإسلامية في ذلك العصر، وحتى يقتفوا أثر سلفهم فيحملوا رسالة الدعوة إلى الله ونشر الأحكام الإسلامية السمحة في جميع العالم.

سادساً: من صفات الداعية الحرص على التثبت من صحة حديث رسول اللهﷺ.

لقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أشد الناس تثبتاً من صحة الحديث عن رسول الله ص، وكانوا يتحرجون من كثرة الرواية في الحديث خشيةَ الوقوع في الكذب والخطأ، «وتشدد الصحابة في الحديث، وأمسك بعضهم عنه كراهية التحريف أو الزيادة والنقصان في الرواية عن رسول الله ﷺ؛ لأن كثرة الرواية كانت في نظر كثير منهم مظنة الوقوع في الخطأ والكذب على رسول الله ﷺ»[2].

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «قوله: قال شعبة: فقلت: أعن النبي ﷺ؟

---

(١) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ص ٣١٨ ط بيت الافكار.

(٢) السنة قبل التدوين، ص ٩٥، ط دار الفكر.

فقال: شديداً عن النبي ﷺ، وقع في رواية علي بن الجعد عن شعبة «سألت عبدالعزيز بن صهيب عن الحرير فقال: سمعت أنساً، فقلت: أعن النبيص؟ فقال: شديداً، وهذا الجواب يحتمل أن يكون تقريرا لكونه مرفوعاً، إنما حفظه حفظاً شديداً، يحتلم أن يكون إنكاراً، أي جزمي برفعه عن رسول الله ﷺ يقع شديداً عليّ»[1].

فعلى الدعاة إلى الله الاهتمام بحديث رسول الله ﷺ، وتمييز صحيحه من ضعيفه وموضوعه، ، «لاسيما الذين ينشرون على الناس فقههم وفتاويهم أن يتجرأوا على الاحتجاج بالحديث إلا بعد التأكد من ثبوته، فإن كتب الفقه التي يرجعون إليها عادةً مملوءةٌ بالأحاديث الواهية المنكرة، وما لا أصل له، كما هو معروف عند العلماء»[2].

سابعاً: إن الحرير من لباس أهل الجنة: في قوله ﷺ.

«من لبس الحرير في الدنيا فلن يلبسه في الأخرة» بيان منه ﷺ لحال أهل الجنة، وأنهم يلبسون الحرير فيها، وهذا مابينه الله جلّ وعلا واصفاً حال المؤمنين في الجنة حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[3].

قال الإمام ابن القيم يصف لباس الجنة:

ولباسُهم من سُندسٍ خضرٍ ومن ... استبرق نوعان معروفان

لا تقربُ الدّنسَ المقرّب للبلى ... ما للبلى فيهن من سلطان[4]

---

(1) فتح الباري ٢٨٨/١٠.

(2) منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها للشيخ ناصر الدين الألباني ص ١٩.

(3) فاطر: ٣٣.

(4) القصيدة النونية لابن القيم ص ٢٢٩ توزيع دار طيبة الرياض.

باب لبس الحرير للنساء[1]

٣٤- عن أنس بن مالك أنه رأى على أم كلثوم[2] رضي الله عنها بنت النبي ﷺ بُرْدَ حَرِير سِيَرَاء[3].

رقم الحديث [٥٨٤٢].

الموضوع الدعوي

يهتم الإسلام بزي المرأة المسلمة، وفي حديث الباب بيان ما كانت تلبسه أم كلثوم بنت الرسول ﷺ، وهو بُرْدَ حرير سِيَراء، وفي هذا بيان لجواز لبس الحرير لنساء أمة محمد ص، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه عنه عليّ رضي الله عنه أنه ﷺ أخذ حريراً وذهباً فقال: «هذان حرامان على ذكور أمتي حلٌّ لإناثهم»[4].

ومما لاشك فيه أن المرأة تنشد الكمال في الزينة أمام زوجها، والحرير من أنعم

---

(1) أي: هذا باب في بيان استعمال الحرير في اللبس للنساء عمدة القاري ١٥/٥٠.

(2) أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وأمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنهما روى سعيد بن المسيب أن النبي ﷺ رأى عثمان بعد وفاة رقية مهموماً لهفان فقال له: مالي أراك مهموماً؟ قال: يارسول الله وهل دخل على أحد ما دخل عليّ؟ ماتت ابنة رسول الله ﷺ التي كانت عندي، وانقطع ظهري، وانقطع الصهر بيني وبينك، فبينما هو يحاوره إذ قال النبي ﷺ: «يا عثمان هذا جبريل عليه السلام يأمرني عن الله عز وجل أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها، وعلى مثل عشرتها». فزوجه إياها. انظر: أسد الغابة ٧/٣٧٤ والغبر في خبر من غبر ١/٦ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(3) بُرْد حرير سِيَرَاء: السِّيْراء والسِّيَراء: ضرب من البرود وقيل: هو ثوب مسير وشيه مثل السيور. انظر: لسان العرب ٤/٣٩٠ مادة [سير] ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة عمدة القاري ١٥/ ٥٢.

(4) سبق تخريجه. ص٣٠٥.

اللباس لمساً (كما مرّ معنا)، ويعد من كمال الزينة في لباس المرأة، كما يتفق مع طبعهن، وقد حُرِّم على الرجال، قال علي رضي الله عنه: كساني رسول الله ﷺ حلةً سيراء فخرجت فيها، فرأيت الغضب في وجهه، فشققتها بين نسائي»[1].

والقول بجواز لبس الحرير للنساء هو ماعليه جمهور العلماء أما ماورد عن خليفة بن كعب أبي ذبيان أنه قال: سمعت عبدالله بن الزبير يقول قال رسول الله ﷺ «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»[2]. فإن هذا الكلام عن عبدالله بن الزبير مبني على مذهبه الخاص في هذا الموضوع، وهو مخالف لما عليه جمهور الأمة بعده، وبما فسروا به الأحاديث الواردة في تحريم لبس الحرير من كون ذلك خاصة بذكور هذه الأمة دون إناثها[3].

---

(١) صحيح البخاري كتاب اللباس باب الحرير للنساء ص ١١٤١ وصحيح مسلم بلفظه كتاب اللباس والزينة باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجال ص ٨٦١.

(٢) صحيح البخاري كتاب اللباس باب لبس الحرير وافتراشه للرجال بقدر ما يجوز منه ص ١١٤٠، وصحيح مسلم بنحوه كتاب اللباس والزينة باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجال ص ٨٦٠.

(٣) قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «هذا مذهب ابن الزبير، واجمعوا بعده على إباحة الحرير للنساء، وهذا الحديث الذي احتج به إنما ورد في لبس الرجال لوجهين: أحدهما: أنه خطاب مذكر، ومذهبنا ومذهب المحققين الأصوليين أن النساء لا يدخلن في خطاب الرجال عند الإطلاق.
الثاني: أن الأحاديث الصحيحة التي ذكرها مسلم صريحة في إباحته للنساء، وأمره ﷺ علياً وأسامة أن يكسواه نساءهما، مع الحديث المشهور أنه ﷺ قال في الحرير والذهب: «إن هذين حرام على ذكور أمتي، حلٌّ لنسائها». والله أعلم. انظر صحيح مسلم بشرح النووي للإمام النووي ١٤/٦١ ط قرطبة.

الفوائد الدعوية :

أولاً : أن على الداعية بيان ما يباح للمرأة المسلمة من أنواع الملابس.

ثانياً : عناية الداعية والمدعو بأسرته.

ثالثاً : اهتمام الإسلام بزينة المرأة.

رابعاً : حرص الداعية على نشر العلم الشرعي.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : أن على الداعية بيان ما يباح للمرأة المسلمة من أنواع الملابس.

على الداعيـة إلى الله أن يولي جانب المرأة المسلمـة اهتمامه في دعوته؛ لحاجتها الماسة إلى الفقه في الدين؛ ولأنها بحقٍ المدرسة في المجتمع المسلم المؤثرة فيه.

فعليه أن يبين لها ما ينفعها في أمور دينها ودنياها، ومن الأمور المهمة التي ينبغي أن تتفقه فيه المرأة المسلمة اللباس؛ وذلك لتعلم ما يجوز لها لبسه وما يحرم عليها.

وقد اهتم رسولُ اللهﷺ بنساء الأمة، فأجابهن في تحديد يوم يتعلمن منه ﷺ فعن أبي سعيد الخدري: قالت النساء للنبيﷺ غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوَعَدهُنَّ يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن....»[1] الحديث. وخصﷺ النساء ببعض خطبه، ووعظهن في يوم العيد حتى تأثرن وبادرن بالصدقة طلباً للمغفرة من الله تعالى.

---

(١) صحيح البخاري كتاب العلم باب : هل يجعل للنساء يوم على حده في العلم. ص ٤٥، ط بيت الافكار. وصحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، ص١٠٥٥.

وقـد أكـرم الإسـلامُ المرأةَ إكـرامـا كـبيـرا، حـيث إن المرأة المسلمـة تلبس الحـرير والذهب ولا يلبسهما الرجل، وتطيل ثيابَها حتى أخمص قدميها، .

وفي هذا العصر الذي كثرت فيه الملابس المخالفة للشرع، سواء في نوع لبسها أم فيما تحمله من صور وكلمات ينبغي للمرأة المسلمة الابتعاد عنها، تشتد الحاجة إلى بيان اللباس الشرعي للمرأة المسلمة من قبل الداعية حتى لا تستعمل الملابس المخالفة للشرع.

ثانياً : عناية الداعية والمدعو بأسرته.

قال تعالى في محكم كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[(1)]، والداعية إلى الله هو أول من يتأسى بنبيه ﷺ، ومن التأسي به عليه الصلاة والسلام الحرص على كسوة نسائه بما يحسن من الملابس، وهذه أم كلثوم رضي الله عنها بنت النبي ﷺ تلبس ثوب حرير وهو من أفضل أنواع الملابس، وهذا علي رضي الله عنه يكسو نساءه الحريرَ، وذلك فيما رواه زيد بن وهب عن علي بن أبي طالب قال : كساني رسول الله ﷺ حلةَ سيراء فخرجت فيها، فرأيت الغضب في وجهه. قال: فشققتها بين نسائي»[(2)].

وقد أهدي إلى رسول الله ﷺ حريرٌ من أكيدر دومة فأعطاه علياً فقال: «شققها

---

(1) الأحزاب: ٢١.

(2) سبق تخريجه، ص ٢١٧.

خمراً بين نسائك»[1] ، ومن هذا يتضح عناية الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بتوجيه من رسول الله ﷺ على كسوة نسائهم باللباس الحسن لحاجتهن الماسة إلى ذلك.

وما أجمل أن تكون أسرة الداعية تتبع أثر الرسول ﷺ في اللباس لتعطيَ الصورةَ الحسنة للمرأة المسلمة في مجتمعها، وأن الإسلام دين يكرم المرأة ويحرص على كل مافيه جمالها.

ثالثاً : اهتمام الإسلام بزينة المرأة.

في لبس أم كلثوم للحرير ما يدل على اهتمام الإسلام بزينة المرأة المسلمة، وأن ذلك من زينة الله التي أنعم بها على عباده، والمؤمن أو المؤمنة أحق بها من غيره، فلا يحرم نفسه من ذلك بدعوى الزهد والتقشف، قال تعالى : ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**﴾[2].

ولأن في ذلك دليلاً على استجابة الإسلام لغريزة المرأة، فأباح لها مالم يبحه للرجل، أباح لها الذهبَ ولبسَ الحرير ؛ لما فيهما من الجمال، فهذا مما تحرص عليه المرأة أكثر من الرجل.

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا مشروعية تجمل النساء في بيوتهن سواء لنفسها أم

---

(1) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجل، ص٨٥٦ .

(2) الأعراف : ٣٢ .

لزوجها، لما ورد أن «حسن التبعل من الإيمان»، ويلفتوا أنظار بعض نساء المسلمين اللاتي تغيرت- مع الأسف الشديد- مفاهيمهن، فهن يبتذلن في بيوتهن، ولا يلبسن أحسن ملابسهن أو يتزينّ إلا عند خروجهن للمناسبات وللزيارات، وهو الأمر الذي قد يؤدي بهن إلى أمور وخيمة، منها عزوف الأزواج عنهن والبحث عن الأفضل، ومنها كثرة الشقاق في حياتهن الأسرية، كل ذلك بسبب تقصيرهن في هذا الجانب قال ابن الجوزي «ومن الناس من يستهين بهذه الأشياء، فيرى المرأة متبذلة تقول: «هذا ابو اولادي، ويتبذل هو، فيرى كل واحد منهما من الآخر ما لا يشتهي، فينفر القلب، وتبقى المعاشرة بغير محبة»[1].

رابعاً: حرص الداعية على نشر العلم الشرعي:

لقد حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على بيان الأحكام الفقهية للناس، وذلك لنشر العلم بينهم، ليكونوا على بصيرة من أمرهم، فهذا أنس رضي الله عنه يبين جوازَ لبس الحرير للمرأة من خلال رؤيته رضي الله عنه لأم كلثوم بنت النبي ص، وحاشا لبنت رسول الله أن تلبس ما حرم الله ونهى عنه رسول الله ﷺ.

وأنس بن مالك رضي الله عنه صحابي جليل أتت به أمه إلى رسول الله ﷺ وهو صغير، فتربى في بيت النبوة يخدم رسول الله ﷺ، وقد أستطاع بذلك أن ينقلَ لنا

---

(1) صيد الخاطر لابن الجوزي ص٥٠٦ ط دار اليقين مصر المنصورة.

علماً كثيرا خاصة ما يجري في بيت النبوة مثل هذا الحديث الذي رواه عن لبس أم كلثوم للحرير[1].

وقد نقل رضي الله عنه علماً جمّاً من بيت النبي ﷺ، وكان كثيراً ما يصف وينقل ما يراه أو يسمعه من رسول الله ﷺ بغية اقتداء المسلمين به، واقتفاء أثره ﷺ في جميع أمورهم وشؤونهم، من ذلك ما رواه عن رسول الله ﷺ في غلام يهودي يخدم رسول الله ﷺ. قال أنس رضي الله عنه: كان غلامٌ يهودي يخدم النبيَّ ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده! فقال: له أطع أبا القاسم. فأسلم، فخرج النبيُّ ﷺ وهو يقول: «الحمدُ لله الذي أنقذه من النار». رواه البخاري[2].

وقال أنس رضي الله تعالى عنه لثابت البناني رحمه الله: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى. قال: «اللهم ربَّ الناس، مذهبَ البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً»[3].

وهكذا الداعية إلى الله تعالى يحرص على هذا الأمر فيبين للمسلمين ما يعينهم على الفقه في الدين، واتباع هدي سيد المرسلين في جميع شؤونهم في هذه الحياة.

---

(1) تنبيه: قد يقول قائل كيف يجوز لانس رؤية بنات النبي ﷺ فالجواب إما أن يكون ذلك قبل بلوغ انس مبلغ الرجال، وكان بلوغه في حياة النبي ﷺ بالإجماع، او كان قبل نزول الحجاب. انظر عمدة القاري ١٥/٥٢.

(2) صحيح البخاري كتاب الجنائز، باب إذا اسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ص٢٦٣ .

(3) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، ص١١٢٥، ط بيت الأفكار الدولية.

باب لا يمشي في نعل واحدة[(١)]

٣٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَمْشِي أحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ واحِدَةٍ، لِيُحْفِهِما[(٢)] جَمِيعاً أوْ لِيَنْعَلْهُمَا جميعاً»[(٣)].

رقم الحديث [٥٨٥٦].

باب ينزع نعله اليسرى[(٤)]

٣٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ*، وَإِذَا انْتَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، لِتَكُنْ الْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ[(٥)]، وآخِرَهُمَا تُنْزَعُ»[(٦)].

رقم الحديث: [٥٨٥].

---

(١) أي: هذا باب يذكر فيه: لا يمشي الرجل في نعل واحد وانما وصف النعل بالمذكر مع أنها مؤنثة لأن تانيثها غير حقيقي. عمدة القاري ١٥/٦٢..

(٢) ليحفهما: ليجردهما. إرشاد الساري ٨/٤٤٩، وانظر: شرح الكرماني.

(٣) مطابقته للترجمة عمدة القاري ١٥/ ٦٢ والحديث أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة باب استحباب لبس النعل في اليمنى برقم ٢٠٧٩.

(٤) هذا باب يذكر فيه أن الرجل إذا (نزع نعليه ينزع أولاً نعله اليسرى عمدة القاري، ١٥/٦١.

(٥) إذا انتعل: إذا لبس النعل. عمدة القاري ١٥/٦١.

(٦) مطابقته للترجمة ظاهرة، عمدة القاري ١٥/٦١، والحديث اخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب استحباب لبس النعل في اليمنى أولا رقم ٢٠٩٧.

(*) قوله: «باليمين»: أي بيمين التنعيل، ويروى باليمنى، أي بالنعل اليمنى. وقوله: «أولهما» خبر لكونه. قوله: «تنعل» على صيغة المجهول جملة حالية. وقال الطيبي: أولهما يتعلق بقوله: «تنعل» وهو خبر كان ذكره بتأويل العضو، وهو مبتدأ، وتنعل خبره.

الموضوع الدعوي

في حديثي البابين يتبين عظمة هذا الدين وجماله، حيث اهتم بشخصية المسلم، قال عليه الصلاة والسلام : «لا يمشي أحدكم في نعل واحدة ليحفهما جميعاً أو لينعلهما». وفي هذا ما يبين كمال شريعة الإسلام كما قال سبحانه وتعالى مبيناً فضله على المؤمنين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[1]. ومع هذا الجمال لشخصية المسلم فإن هناك أيضاً فائدة طبية حيث بين الأطباء الحكمة من نهيه ﷺ من المشي في نعل واحدة وبيان الضرر المترتب على ذلك «فمن المعلوم أن كل قدم تحمل نصف وزن الجسم عندما يكون الجسم في حالة سكون «وقوف»، أما الجسم المتحرك فإن الواحدة تحمل الجسم بطريقة متناوبة وبتناسق عجيب في حركة المفاصل والعضلات؛ مما يحافظ على سلامتها وسلامة العمود الفقري.

أما إذا اختل هذا التوازن، وحدث ما يعرف بالعرج؛ فإنه يضع وزناً أكثر على قدم واحدة أكثر من الأخرى، ويختل توازن العضلات والمفاصل والأربطة المحيطة بالمفاصل، مما قد يؤثر سلباً عليها وعلى العمود الفقري، ناهيك عن تأثيره على الأربطة؛ مما قد يحدث عنه ألم في المشي والظهر، ويزداد الأمر سوء عند البدناء «الأكثر سمناً».

ومن المعروف طبياً أن الاختلاف في طول الرجلين أكثر من ٢,٥٠ سم يحتاج إلى علاج طبي.»[2].

---

(١) المائدة : ٣.

(٢) من كتاب ابلي لامراض العظام والكسور الطبعة السادسة ١٩٨٢م - للدكتور أبلي: استشاري العظام بمستشفى توماس- لندن ولويس سولمون استشاري جراحة العظام بجامعة ديتورتر جوهابتربوريخ ، قام بترجمة هذا النص إلى العربية الدكتور/ عبدالله الأشقر.

وفي أمره ﷺ البدء بلبس النعل باليمين ونزعهما باليسار؛ ما يدل على هديه عليه الصلاة والسلام في هذا الأمر.

قال الإمام النووي: يستحب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتشريف؛ كلبس الثوب والسراويل والخف ودخول المسجد والسواك والإكتحال وتقليم الأظافر وقص الشارب وترجيل الشعر ونتف الإبط وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، وغسل أعضاء الطهارة، والخروج للخلاء، والأكل والشرب، والمصافحة، واستلام الحجر الأسود، وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه، وأمّا ما كان بضده كدخول الخلاء، والخروج من المسجد، والامتخاط والاستنجاء، وخلع الثوب والسراويل والخف وما أشبه ذلك؛ فيستحب التياسر فيه»[1].

الفوائد الدعوية:

أولاً: نهي المدعوين عن المشي بنعل واحدة.

ثانياً: حماية الإسلام للمسلم من الأذى.

ثالثاً: اهتمام الإسلام بجمال المسلم.

رابعاً: تربية المدعوين على حسن الاتباع لهدى سيد المرسلين.

خامساً: فتح باب المنافسة بين المدعوين في فعل الخير، والاقتداء بالنبي ﷺ.

سادساً: تربية المدعو على النظام.

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/ ١٠٥. بتصرف.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: نهي المدعوين عن المشي بنعل واحدة.

إن المسلم بحاجة إلى مايحفظ سمعته وكرامته، وذلك بالبعد عن كل مايخدش مرؤته ومن ذلك المشي بنعل واحدة، وقد كره الفقهاء ذلك، قال البيهقي: الكراهة فيه للشهرة، فتمتد الأبصار لمن ترى ذلك منه، فكل شيء صير صاحبه شهرة فحقه أن يجتنب»[(١)].

وقال الخطابي: الحكمة في النهي أن النعل شرعت وقاية للرجل عما يكون في الأرض من شوك أو نحوه، فإذا انفردت إحدى الرجلين احتاج الماشي أن يتوقى لإحدى رجليه ما لا يتوقى لأخرى، فيخرج بذلك عن سجية مشيه، ولا يأمن مع ذلك من العثار. وقيل: لأنه لم يعدل بين جوارحه، وربما نسب فاعل ذلك إلى اختلال الرأي أو ضعفه»[(٢)].

وقال القاضي: إنما نهي عن ذلك لقلة المروءة والاختلاط والخبط في المشي»[(٣)].

وقال القرطبي: نهي عن أن يمشي في نعل واحدة لأن ذلك من باب التشويه والمثلة، ولأنه مخالف لزي أهل الوقار، وقد يخلّ بالمشي»[(٤)].

---

(١) انظر منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات لتقي الدين محمد الفتوحي مع حاشية المنتهى - تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي١/ ١٧٢ ط مؤسسة الرسالة.

(٢) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ٣/ ٢١٥٠، وانظر عون المعبود ٦/ ١٣١ .

(٣) تحفة الأحوذي ٥/ ٣٨٣ وانظر: جامع الأصول ١٠/ ٦٤٩، شرح الكرماني ٢١/ ٩٤.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم للقرطبي ٥/ ٤١٥.

وقـال صـاحب التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح: لأنه تشويه ومخالف للوقار، ولأن الرجل المنعلة تصير أرفع من الأخرى فيعسر مشيه، وربما كان سبباً للعثار»[1].

ثانياً: حماية الإسلام للمسلم من الأذى.

في قوله ﷺ : «لا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَة. مايبين حماية الإسلام للمسلم من الأذى، ومن ذلك تعثره في مشيه، أو تعرضه لبعض مايؤذيه، وكان عليه الصلاة والسلام يحذر أمتَه من كل ماقد يكون سبباً في حصول الأذى عليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال : «لا يشير أحدُكم على أخيه بالسلاح، فإنه لايدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»[2].

وفي رواية المسلم قال: قال أبو القاسم ﷺ : «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه»[3].

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : «اطفؤوا المصابيح بالليل إذا رقدتم، وغلقوا

---

(1) التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي رحمه الله ٣٨٤/٤ ط المكتبة العثمانية- لاهور باكستان.

(2) صحيح البخاري كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ «من حمل علينا السلاح فليس منا»، ص١٣٥١- ١٣٥٢. وصحيح مسلم بنحوه كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم ص ١٠٥٢.

(3) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم. ص ١٠٥٢.

الأبواب، وأوكُوا الأسقية، وخمروا الطعام والشراب»[1].

لذا ينبغي على الدعاة بيان محاسنَ هذا الدين واعتنائه بالمسلم والحرص على حفظه من كل ما يؤذيه.

ثالثاً : اهتمام الإسلام بجمال المسلم.

في نهيه عليه الصلاة والسلام عن المشي في نعل واحدة مايدل على حرصه ﷺ على أمته وقد بين الله حرص الرسول ﷺ على هذا الأمر فقال تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماغنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾. فقد كان عليه الصلاة والسلام يوجه من يرى من صحابته وعليه ما يشين مظهره بين الآخرين، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ في ثوب دون فقال : «ألك مال؟» قال: نعم. قال: «من أي المال؟» قال : قد أتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال: «فإذا أتاك الله مالاً فليرَ أثر نعمة الله عليك وكرامته»[2].

وكان ﷺ يدخل السرور على المسلمين في إعطائهم الملبس الحسن، فعن أم خالد بنت خالد قالت : أُتي رسول الله ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء. قال: «من ترون نكسوها هذه الخميصة؟» فأسكت القوم، قال : «ائتوني بأم خالد» فأتي بي

---

(1) صحيح البخاري كتاب الاستئذان باب غلق الابواب بالليل ص ١٢١١. وصحيح مسلم بنحوه كتاب الأشربة باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الابواب وذكر اسم الله عليها ص٨٣٥.

(2) سبق تخريجه، ص٢٦٥.

النبيﷺ فألبسنيها بيده وقال: «ابلي وأخلقي» مرتين، فجعل ينظر إلى عَلَم الخميصة ويشير بيده إليّ ويقول: «يا أم خالد هذا سناه». والسنا بلسان الحبشية: الحسن[1].

فعلى الدعاة إلى الله حثُّ المدعوين على الحفاظ على حسن ملبسهم ومظهرهم بما يوافق هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام، ويبينوا اهتمامَ هذا الدين بحسن مظهر المسلمين.

رابعاً: تربية المدعوين على حسن الاتباع لهدي سيد المرسلين.

في حديثي البابين يتبين لنا الهدي النبوي في تربية المؤمنين على أدب من آداب الإسلام [في لبس النعل] حيث نهى عليه الصلاة والسلام عن المشي في نعل واحدة، وأمر بأن يبدأ بلبس النعل في اليمنى وبنزعها من اليسار، وقد تساهل بعض المسلمين بهذا، فعلى الداعية أن يربي المجتمع الدعوي على حسن الاتباع لنبي الأمة محمدﷺ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[2].

وقد اعتنى الإسلام بتربية المسلمين على هذا الهدى الذي قد تغفل عنه المدارس التربوية قديماً وحديثاً، وفي ذلك تربية للمسلم على حسن الاتباع، فإن من كان في الأمور المسنونة أطوع فسيكون أكثر انضباطاً وامتثالاً لبقية الواجبات والأركان، وعلى

---

(1) صحيح البخاري كتاب اللباس باب مايُدعى لمن لبس ثوباً جديداً ص ١١٤٢.

(2) الحشر: ٧.

قدر التساهل في ذلك يكون التساهل في بقية الواجبات، وهو الأمر الذي قد يؤدي بالمسلم إلى التساهل في الواجبات والأركان.

ولاشك أن الأخذ بالسنة النبوية في الأمور كلها، صغيرها وكبيرها، يجعل المسلم يقبل على طاعة الله براحة بال وسعة صدر.

وقد تربى أصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم على حسن الاتباع في الأمور كلها.

خامساً: فتح باب المنافسة بين المدعوين في فعل الخير، والاقتداء بالنبي ﷺ.

على الداعية إلى الله تربية المدعوين على المنافسة في فعل الخيرات، فقد قال تعالى مثنياً على هذا الأمر: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[1]، وكان ﷺ كثيرا ما يفعل ذلك مع أصحابه كما في الحديث الذي قال فيه ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف اللهَ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[2].

---

(1) المطففين ٢٦.

(2) صحيح البخاري كتاب الزكاة باب الصدقة باليمين ص ٢٧٧.، وصحيح مسلم بقلب لفظ الشمال كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة ص ٢٩٧.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلج النارَ رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان في جهنم»[1].

وعن أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعةً تطوعا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة»[2].

إن هذه الأحاديث ونحوها قد احتوت على أمور فيها خير كبير ينبغي للمؤمنين التنافس فيها، وكذا حديث الباب الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ «لا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ»، وفي الحديث الآخر مشروعية التيامن في الأمور التي حثّ الشرع على التيامن فيها، فعلى المدعوين الحرص على التنافس في هذه الأمور والتسابق فيها، لما في ذلك من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، وقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[3].

(1) سنن الترمذي كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله ٥/٣٥١ وقال عنه هذا حديث حسن صحيح. وسنن النسائي بلفظه كتاب الجهاد باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه ٦/٣١٩.

(2) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن ص ٢٨٧.

(3) البقرة ١٤٨.

سادساً: تربية المدعوين على النظام.

في قوله ﷺ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا انْتَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالَ.....» الحديث. تربية منه ﷺ لأمته على النظام، فدين الإسلام هو دين النظام، وفي جل شعائر الإسلام عناية خاصة به، فهذه الصلوات الخمس- على سبيل المثال- لها أوقات محددة تقام فيها، والحج والوقوف بعرفة، وغير ذلك من شعائر هذا الدين الحنيف المبنية على نظام دقيق مما فيه تربية للمسلم على أن يكون نظامياً في أموره كلّها، وأن يلزم الدقة في عمله، ويعوّد نفسه على ذلك؛ لما في ذلك من المصالح العظيمة على مجتمع الدعوة والتي منها:

أ- ظهور المجتمع المسلم في تصرفاته، وفي نمط حياته بالمظهر اللائق بين الأمم والمجتمعات الأخرى.

ب- أن الذي يحافظ على هذه الأمور القليلة ويعوّد نفسه على ذلك يحافظ على ماهو أولى وخاصة مصالح المسلمين.

جـ- أن هذا العمل يجعل الناس يقبلون -بتوفيق الله- على الدخول في هذا الدين القويم.

وقد ذكر اللهُ محبتَه للمؤمنين في مقابلتهم لأعدائهم وهم على أحسن نظام فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين

---

[1] الصف: ٤.

إذا صفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله؛ لتكون كلمة الله هي العليا ، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان»[1].

فعلى الداعية أن يكون منظماً في حياته كلِّها، وأن يحذر من الفوضى في عمله وأوقاته، فإن الوقت هو الحياة، وعليه كذلك أن يربي المدعوين على ذلك، وعلى الاهتمام بهذا الأمر حتى في أيسر الأمور التي منها لبس النعل والثياب؛ ليكون فيما هو أكبر أطوع وأسرع للانقياد والانضباط كما في مواجهة العدو.

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٨٣/٤، ط دار المعرفة - بيروت.

باب خواتم الذهب[1]

٣٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيﷺأنه نهى عن خاتم الذهب.[2]

رقم الحديث[٥٨٦٤].

٣٨- عن عبدالله [3] رضي الله عنه أن رسول اللهﷺاتخذ خاتماً من ذهب، وجعل فصه مما يلي كفه، فاتخذه الناس، فرمى به واتخذ خاتماً من ورق أو فضة[4].

رقم الحديث [٥٨٦٥].

وفي روية : «أن رسول اللهﷺاتخذَ خاتماً من ذهب أو فضة، وجعل فصه مما يلي كفه ونقش فيه محمد رسول الله فاتخذ الناس قبله فلما رآهم قد اتخذوها رمى به، وقال «لا ألبسه أبداً» ثم اتخذﷺخاتما من فضة ...»

طرف [٥٨٦٦].

---

(١) أي : هذا باب في بيان حكم لبس خواتيم الذهب وهو جمع خاتم عمدة القاري١٥/ ٦٦.

(٢) مطابقته للترجمة ظاهرة المصدر السابق ص ٦٧ والحديث أخرجه مسلم في اللباس برقم ٢٠٨٩ كتاب اللباس والزينة باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ص ٨٦٧..

(٣) عبدالله بن مسعود: بن غافل بن الحارث الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبدالرحمن الهذلي، روى علماً كثيراً وهاجر الهجرتين. شهد مع رسول الله ﷺ بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد وشهد اليرموك وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ كان كثير الولوج على رسول الله والخدمة له، وكان من كبار الصحابة وساداتهم وفقهائهم ومقدميهم في القرآن والفقه والفتوى توفي في الكوفة سنة ٣٢ وعمره بضع وسبعين انظر تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٨٨.

(٤) مطابقته للترجمة في قوله «اتخذ خاتماً من ذهب» عمدة القاري، ١٥/٦٧ وأطرافه في الصحيح في باب خاتم الفضة برقم ٥٨٦٦ وحديث رقم ٥٨٦٧ وفي كتاب الايمان والنذور باب من حلف على الشيء وإن لم يُحَلف رقم ٦٦٥١ وفي باب نقش الخاتم من الكتاب نفسه رقم ٥٨٧٣ وفي كتاب الاعتصام : باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ حديث رقم ٧٢٩٨ والحديث أخرجه مسلم باختلاف في كتاب اللباس والزينة باب لبس النبي ﷺ خاتماً من ورق نقشه محمد رسول الله ولبس الخلفاء له من بعده رقم الحديث ٢٠٩١.

بــاب[1]

٣٩- عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أنه رأى في يد رسول الله ﷺ خاتماً من ورقٍ يوماً واحداً، ثم إن الناس اصطنعوا الخواتم من ورقٍ فلبسوها، فطرح رسول الله ﷺ خاتَمه، فطرح الناس خواتمهم.

رقم الحديث : [٥٨٦٨].

باب هل يجعل نقشُ الخاتم ثلاثة أسطر[2]

٤٠- عن أنس رضي الله عنه قال: كان خاتم رسول الله ﷺ في يده، وفي يد أبي بكر بعده، وفي يد عمرَ بعد أبي بكر، فلما كان عثمان جلس على بئر أريس قال : فأخرج الخاتمَ، فجعل يعبث به، فسقط. قال: فاختلفنا ثلاثةَ أيام مع عثمان ننزح البئرَ فلم نجده»

رقم الحديث [٥٨٧٩].

(١) هكذا هو مجرد: وهو كالفصل للباب الذي قبله عمدة القاري ٧٠/١٥.

(٢) أي : هذا باب يقال فيه : هل يجعل ... إلخ ولم يذكر الجواب الذي هو الحكم اكتفا بما في الحديث وليس كون نقش الخاتم ثلاثة أسطر او سطرين أفضل من من كونه سطراً واحدا، وكل ذلك مباح، عمدة القاري ٧٩/١٥.

غريب الحديث :

فصـه : فَص الخاتم وفِصه بالفتح والكسر : المركب فيه[1].

الـورق : بفتح الواو وكسر الراء ويجوز إسكانها : الفضة[2].

بئر أريس : بفتح أوله، وكسر ثانيه بعده ياءُ وسين مهملة : بئر بالمدينة معروفة. وأريس : حديقة بالقرب من مسجد قباء[3].

نـزح : نزح الشيء نزحاً، ونزوحاً، بَعُدَ ونزحت[4] البئر فهي نازح، وبئر نزوح قليلة الماء.

الموضوع الدعوي

في حديثي أبي هريرة وعبدالله بن مسعود رضي عنهما يتبين لنا النهي عن التختم بالذهب للرجال، وأن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب ثم رمى به، ونهى أمته عن ذلك، واتخذ خاتما من ورق، وقد اختلف العلماء في لبس الخاتم للرجال على العموم.

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : «اختلف أهل العلم في لبسه في الجملة، فأباحه كثير من أهل العلم ولم يكرهوه، وهذا مذهب الإمام أحمد، وهو اختيار أكثر أصحابه،

---

(1) لسان العرب ٧/٦٦، وانظر : المشوف المعلم ٢/٦٠٢، تهذيب اللغة ١٢/١٢٠.

(2) النهاية في غريب الحديث ٥/١٧٥، لسان العرب ١٠/٣٧٥.

(3) معجم ما استعجم ١/١٤٣-١٤٤، وانظر: الفتح ١٠/٣١٩.

(4) لسان العرب ٢/٦١٥.

فقال في رواية أبي داود، وصالح، وعلي بن سعيد: «ليس به بأس» ففي الصحيحين عن أنس أن النبيﷺلبس خاتم فضة في يمينه فيه فص حبشي كان يجعل فصه مما يلي كفه»[1].

وقد ثبت لبس الخاتم عن جماعة من الصحابة، منهم: طلحة، وسعد، وابن عمر، وخباب بن الأرت، والبراء بن عازب، والمغيرة بن شعبة، وغيرهم، ولم ينقل عن أحد منهم إنكارُ لبسه لكونه خاتماً»[2].

وذهبت طائفة إلى استحباب لبس الخاتم للرجال.

قال ابن رجب: «وهذا وجه لأصحابنا، وروى مالك عن صدقة بن يسار أنه قال: سألت سعيدَ بنَ المسيب عن لبس الخاتم فقال: «البسه وأخبر الناسَ أني أفتيتك بذلك»[3]، مستدلين بأن الخاتم لم يزل في يد النبيﷺحتى مات، وفي يد أبي بكر وعمرَ حتى ماتا، وفي يد عثمانَ حتى وقع منه في بئر أريس».

وذهب قوم إلى كراهة لبس الخاتم إلا لذي سلطان، «واحتجوا بالحديث الذي رواه الإمام أحمدُ في المسند، وأبو داود والنسائي من حديث الهيثم بن شفي، عن صاحب له عن أبي ريحانة، أن النبيﷺلم يكن يلبس الخاتمَ لباس تجمل وتزين به كالرداء والعمامة والنعل، وإنما اتخذه لحاجة ختم الكتب التي يبعثها إلى الملوك كما في حديث أنس: أن

---

(1) صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة باب في خاتم الورق فصه حبشي ص ٨٦٩.

(2) أحكام الخواتيم وما يتعلق بها لابن رجب الحنبلي ص ٢٢، تعليق عبدالله القاضي، ط دار الكتب العلمية بيروت.

(3) المرجع السابق ص ٢٤، وقد أجاب ابن رجب عن ذلك، فبين أنه للجواز بعد النهي وليس للاستحباب.... ص ٣٠، ٣١.

النبيﷺ كتب إلى الروم، فقيل له: لن يقرؤوا كتابك إذا لم يكن مختوماً فاتخذ خاتما من فضة ونقشه. «محمد رسول الله»[1]. وأبوبكر إنما لبسه بعده لأجل ولايته، فإنه كان يحتاج إليه، وكذلك عمر إنما لبسه بعد أبي بكر لهذه المصلحة، وكذلك عثمان رضي الله عنهم»[2].

والذي يظهر لي -والله أعلم- جواز لبس الخاتم بغير الذهب؛ لورود النصوص الدالة على ذلك، كما في حديث أنس الذي بين فيه أن رسول اللهﷺاتخذ الخاتم وكذلك أبوبكر و عمر وعثمان. قال ابن العربي: «والخاتم عادة في الأمم ماضية، وسنة في الإسلام قائمة» يريد بذلك خاتم الفضة لأنه هو المشروع في الإسلام[3].

الفوائد الدعوية

أولاً: تحذير المدعوين من لبس خاتم الذهب.

ثانياً: حث المدعوين على المبادرة بإنفاذ أمرهﷺواجتناب نهيه.

ثالثاً: اهتمام الإسلام بحفظ بيت مال المسلمين.

رابعاً: الترويح عن النفس بين صفوف المدعوين...

خامساً: جواز التبرك بآثاره ﷺ.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء، ص١١٤٦، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب اللباس والزينة، باب في اتخاذ النبي ﷺ خاتمًا لما أراد أن يكتب إلى العجم، ص٨٦٨.

(2) أحكام الخواتيم وما يتعلق بها لابن رجب الحنبلي، ص ٢٦-٢٧.

(3) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ٢٢١/٤ لابن دقيق العيد
وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وقد اجمع المسلمون على خاتم الفضة للرجال، وكره بعض علماء الشام المتقدمين لبسه لغير ذي سلطان، ورأو منه أثرا، وهذا شاذ مردود. صحيح مسلم بشرح النووي ٩٤/١٤.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : تحذير المدعوين من لبس خاتم الذهب.

لقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أبعد الناس عن كل مايؤدي بهم إلى مخالفة هديه ﷺ ، وقد نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام عن لبس الذهب للرجال ، وحذر أمته منه ؛ لما قد يقع في لبسه من الغرور والكبرياء ، والترفع عن الآخرين من الفقراء والمساكين وكسر قلوبهم ؛ ولما فيه من الترف الذي يؤدي إلى ضعف مجتمع الدعوة ، وحرصه على استعمال الملذات.

وقد استعمل رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب ، فرمى به ، واتخذ خاتماً من ورق أو فضة كما روى ذلك عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : «كان رسول الله ﷺ يلبس خاتماً من ذهب ، فنبذه فقال : لا ألبسه أبداً ، فنبذ الناس خواتيمهم»[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : في قوله : «فرمى به وقال : لا ألبسه أبداً» وقع في رواية جويرية عن نافع «فرقي المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه فقال : إني كنت اصطنعته ، وإني لا ألبسه» وهذا يحمل أن يكون كرهه من أجل المشاركة ، أولما رأى من زهوهم بلبسه ، ويحتمل أن يكون لكونه من ذهب فصادف وقت تحريم لبس الذهب على الرجال»[2].

لذا ينبغي للدعاة حث المدعوين على الابتعاد عن لبس خاتم الذهب طاعة لله

---

(1) صحيح البخاري كتاب اللباس ح (٥٨٦٧) ص ١١٤٤-١١٤٥ ، وصحيح مسلم بنحوه كتاب اللباس والزينة باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ونسخ ما كان من إباحته في أول الإسلام ص ٨٦٧.

(2) فتح الباري ٣١٩/١٠.

واتباعاً لهدي رسول الله ﷺ ، كما أن على الدعاة بيان هذا الأمر للمدعوين حتى يكونوا على علم بحكمه وبأسباب تحريم لبسه على الرجال.

ثانياً: حث المدعوين على المبادرةُ بإنفاذ أمره ﷺ واجتناب نهيه.

كان صحابة رسول ﷺ أحرصَ الناس على اتباع أمره، وأسرعَهم إنفاذاً له واجتناباً لنهيه عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في نهيه ﷺ عن خاتم الذهب: «مبادرة الصحابة إلى الاقتداء بأفعاله ص، فمهما أقر عليه استمروا عليه، ومهما أنكره امتنعوا منه»[(١)].

إن مبادرة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لإنفاذ أمره هو الانقياد لحكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ ممتثلين قولَ الله تعالى ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[(٢)].وكانوا رضوان الله تعالى عليهم يبادرون بأفعال الطاعات التي يؤديها عليه الصلاة والسلام.

ومما يبين حرص الصحابة على انفاذ سننه ما حدث بعد صلح الحديبية حيث أمرهم عليه الصلاة والسلام بحلق رؤوسهم فتوقف الصحابة رضوان الله عليهم عن ذلك، ليس عصياناً لأمره ﷺ ، وإنما لانتظار ما يفعله لاتباع هديه، فما أن بادر عليه

---

(١) فتح الباري ٣٢١/١٠، وانظر: شرح الكرماني على صحيح البخاري ٩٩/٢٠.

(٢) النور: ٥١.

الصلاة والسلام بحلق رأسه حتى تأثر الصحابة بهذا الموقف، فبادر كل منهم يستبق الآخر إلى الاقتداء برسول الله ﷺ بحلق رأسه، طاعةً لله ولرسوله، حتى كاد يقتل بعضهم بعضا[1] وهكذا المجتمع الدعوة يبادر إلى الاقتداء بنبيه ﷺ وبخلفائه الراشدين المهديين.

ثالثاً : اهتمام الإسلام بحفظ بيت مال المسلمين.

إن دعاة الإسلام هم أولى الناس بمعرفة أحكام بيت مال المسلمين، ومن هنا كان لزاماً لهم أن يوجهوا المدعوين إلى الإلتزام بأحكام الشرع في ذلك.

قال ابن بطال: «يؤخذ من حديث أنس قوله : «فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده» أن يسير المال إذا ضاع يجب البحث في طلبه، والاجتهاد في تفتيشه».

وقد أجاب الحافظ ابن حجر بقوله: «إنما بالغ في التفتيش عليه لكونه أثرَ النبي الله ﷺ قد لبسه واستعمله وختم به ومثل ذلك يساوي في العادة قدراً عظيما من المال وإلا لو كان غير خاتم النبي ﷺ لاكتفى بطلبه بدون ذلك، وبالضرورة يعلم أن قدر المؤنة التي حصلت في الأيام الثلاثة تزيد عن قيمة الخاتم، لكن اقتضت صفته عظيم قدره، فلا يقاس عليه كل ما ضاع من يسير المال»[2].

---

(١) صحيح البخاري كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط- ص ٥٢٢.

(٢) فتح الباري ٣٢٩/١٠.

قلت : ما ذكره الحافظ ابن حجر هو الأرجح، ولكن هذا لا يمنع من الاهتمام بمصالح المسلمين الصغيرة التي لها مكانتها في دولة الإسلام، فعلى الداعية إلى الله الحرص على حفظ بيت مال الدولة العام وحفظ الشئ اليسير الذي له أهمية بين المسلمين.

رابعاً : الترويح عن النفس بين صفوف المدعوين.

ان الدعاة الى الله في عملهم الدعوي إنما يحملون هم هذه الأمة ويدعون إلى الله على بصيرة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[1]، ولاشك أن العمل الدؤوب لمصلحة المسلمين، وحماية مجتمعاتهم من الفساد والاعتداء عليها من قبل أعداء الإسلام يحتاج إلى إشغال فكر بشكل جاد، وبصفة متواصلة، ومن هنا لابد للداعية من الترويح عن النفس ولو بالشيء اليسير، وقد ذكر علماء الحديث من فوائد حديث أنس وقصة فقد الخاتم نتيجة عبث عثمان رضي الله عنه به أن ذلك من باب الترويح عن النفس.

قال ابن بطال : «وفيه أن فعل الصالحين العبث بخواتمهم وما يكون بأيديهم ليس ذلك بعائب عليهم».

وقال الحافظ ابن حجر : «إنما كان كذلك لأن ذلك من مثلهم إنما ينشأ عن فكر،

---

(1) يوسف ١٠٨.

وفكرتهم إنما هي في الخير»[1].

أجل إن فكر الدعاة يكون بمشيئة الله في الخير دائماً، وعبثهم لا يكون أبداً كعبث الجاهلين الذين لا يحملون إلا همَّ الدنيا.

وقد كان رسول الله ﷺ يروح عن صحابته في بعض الأحيان، كما كان صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين يروح بعضهم عن بعض، ويتجلى ترويح رسول الله ﷺ مع صحابته فيما روي من قصص مزاحته ﷺ معهم، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه في قصته ﷺ مع صحابته وهم في سفر قال: «كان للنبي صلى الله عليه وسلم حاد يقال له أنجشة وكان حسن الصوت فقال له النبي ﷺ رويدك يا أنجشة، لا تكسر القوارير»[2].

خامساً: جواز التبرك بآثاره ﷺ.

في لبس أبي بكر وعمر وعثمان لخاتم النبي ﷺ بعده، دليل على جواز التبرك بآثاره ﷺ، وقد توسع بعضهم في هذا الأمر حتى أجاز التبرك بآثار الصالحين.

كما قال الحافظ ابن حجر في حديث أنس: كان خاتم النبي في يده وفي يد أبي

---

(١) فتح الباري ١٠/٣٢٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب المعاريض مندوحة عن الكذب، ص١١٩٦، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي ﷺ للنساء وأمر السُّوَّاق مطاياهن بالرفق بهن، ص٩٥٠، وسيأتي مزيد بحث عن هذا الهدي منه ﷺ في كتاب الأدب.

بكر : «فيه استعمال آثار الصالحين ولباس ملابسهم على جهة التبرك والتيمن بها»[1].

وفي كلامه هذا نظر ؛ لأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله : «الصحابة رضي الله عنهم بعد موته عليه الصلاة والسلام لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى خلقه، إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضلَ من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهو كان خليفته ولم يُفعل به شيء من ذلك، ولا عمر رضي الله عنه، وهو كان أفضلَ الأمة بعده، ثم كذلك عثمان ثم علي ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة،ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركاً تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها، بل اقتصر منهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبيَّ ﷺ ، فهو إذاً إجماع منهم على ترك تلك الأشياء»[2].

فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر للمدعوين بيانا واضحاً، وذلك لأهميته في عقيدة المسلم، ولكثرة من يخطئ فيه من المسلمين.

---

(1) فتح الباري ١٠/ ٢٣٠.

(2) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٨-٩ وللفائدة انظر كتاب التبرك أنواعه وأحكامه للدكتور ناصر بن محمد الجديع.

بـاب قص الشـارب[1]

٤١- عن ابن عـمـر[2] رضي الله عنهـمـا، عن النبيﷺقـال: «مِنَ الْفِطرَةِ قَصُّ الشَّارِبِ»[3].

رقم الحديث [٥٨٨٨]

٤٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه روايةً: «الْفِطْرَةُ خَـمْسٌ -أو خَـمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ- : الْخِتَان، وَالاسْتِحداد، ونَتَفُ الإبطِ، وتَقْلِيمُ الأَظَافِر، وقَصُّ الشَّارِبِ»[4]

رقم الحديث [٥٨٨٩]

---

(١) أي: هذا باب في سنن قص الشارب بل وجوبه عمدة القاري، ٨٦/١٥.
قال الحافظ ابن حجر: «هذه الترجمة وما بعدها إلى آخر كتاب اللباس لها تعلق باللباس من جهة الاشتراك في الزينة، فذكر أولاً التراجم المتعلقة بالشعور وما شاكلها، وثانياً المتعلقة بالتطيب، وثالثاً المتعلقة بتحسين الصورة، ورابعاً المتعلقة بالتصاوير؛ لأنها قد تكون في الثياب، وختم بما يتعلق بالارتداف، وتعلقه بكتاب الأدب الذي يليه ظاهر. والله أعلم». فتح الباري ٣٣٤/١٠-٣٣٥.

(٢) عبدالله بن عمر رضي الله عنهما القرشي العدوي المدني ومناقبه كثيرة مشهورة بل قلّ نظيره في المتابعة لرسول الله ﷺ في كل شيء من الأقوال والأفعال وفي الزهادة من الدنيا ومقاصدها كان كثير الصدقة من ماله والبكاء عند تلاوة القرآن: توفى رضي الله عنه بمكة سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر وقيل بستة أشهر انظر: تهذيب الاسماء واللغات٢٧٨/١ وما بعدها.

(٣) مطابقته للترجمة ظاهرة عمدة القاري، ٨٧/١٥، وطرفه بنفس الكتاب باب تقليم الأظافر حديث رقم ٥٨٩٠.

(٤) مطابقته للترجمة في قوله: «وقص الشارب» عمدة القاري، ٨٨/١٥، وأطراف الحديث بنفس الكتاب باب تقليم الأظافر رقم ٥٨٩١ وكتاب الاستئذان باب الختان بعد الكبر ونتف الابط رقم الحديث ٦٢٩٧ وأخرجه مسلم في كتاب الطهارة. باب خصال الفطرة ص ١٢٨ برقم ٢٥٧.

باب تقليم الأظافر[1]

٤٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «خَالِفُوا المُشْرِكِينَ وَفِّرُوا اللِّحى وأحفُوا الشَّوَارِبَ»[2]

رقم الحديث [٥٢٩٢]

غريب الحديث:

قَــصَّ: قص الشعر والصوف والظفر يقصُّه قصًا وقصَّصه، وقصّاه على التحويل: قطعه، وقصاصة الشعر: ما قص منه. والقص: أخذ الشعر بالمقص، وأصل القص القطع، يقال: قصصت ما بينهما أي قطعت[3].

الشوارب: الشاربان: ما سال على الفم من الشعر. وقيل: إنما هو الشارب والتثنية خطأ. والشاربان: ما طال من ناحية السبلة، وبعضهم يسمى السبلةَ كلَّها شارباً واحدا وليس بصواب. والجمع شوارب.

قال اللحياني: وقالوا: إنه لعظيم الشوارب، قال: وهو من الواحد الذي

---

(١) أي: هذا باب في بيان سنية تقليم الأظافر والتقليم تفعيل القلم وهو القطع، عمدة القاري ٨٩/١٥.

(٢) طرف الحديث بنفس كتاب اللباس باب إعفاء اللحى رقم ٥٨٩٣ والحديث أخرجه مسلم كتاب الطهارة باب: خصال الفطرة رقم الحديث ٢٥٩.

(٣) لسان العرب ٧٣/٧ مادة [قصص]، وانظر: تهذيب اللغة ٢٥٥/٨، المشوف المعلم ٦٤١/٢.

فرقه فجعل كل جزء منه شارباً ثم جمع على هذا[1].

الختـــــان: موضع القطع من الذكر، وموضع الخفض من نوات الأنثى[2].

الاستحداد: حلق شعر العانة[3].

اللحيـــــة: اسم يجمع من الشعر مانبت على الخدين والذقن، والجمع لِحى ولُحى بالضم مثل ذِروة وذُرى[4].

احـفـوا: حفا شاربَه حفواً وأحفاه: بالغ في أخذه[5].

الموضوع الدعوي

في الأحاديث التي مرت معنا أرشدنا عليه الصلاة والسلام إلى الاهتمام بنظافة الجسم، فقد أمر عليه الصلاة والسلام في الاهتمام بهذا الجانب فقال: «خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: الْخِتَان، وَالاسْتِحْدَادُ، ونَتَفُ الإبطِ، وتَقْلِيمُ الأَظَافِر، وقَصُّ الشَّارِبِ».

قال الكرماني: «الفطرة، أي السنة القديمة التي اختارها الأنبياء، واتفقت عليها

---

(1) لسان العرب ٤٩١/١ مادة [شرب]، وانظر: تهذيب اللغة ٣٥٤/١١.

(2) لسان العرب ١٣٧/١٣-١٣٨ مادة [ختن]، وانظر: تهذيب اللغة ٣٠٠/٧، النهاية في غريب الحديث ١٠/٢.

(3) لسان العرب ١٤١/٣ مادة [حدد]، وانظر: تهذيب اللغة ٤٢١/٣، المشوف المعلم ١٨٠/١ النهاية في غريب الحديث ٣٥٣/١.

(4) لسان العرب ٢٤٣/١٥ مادة [لحى].

(5) لسان العرب ١٨٧/١٤ مادة [حفو]، وانظر: تهذيب اللغة ٢٥٨/٥، النهاية في غرب الحديث ٤١٠/١.

الشرائع، فكأنها أمر جبلّي فُطروا عليه»[1].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «قال أبو شامة: أصل الفطرة الخِلقة المبتدأة، ومنه فاطر السموات والأرض أي المبتدىء خلقهن، وقوله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة»[2] أي على ما ابتدأ الله خلقه عليه، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[3] والمعنى: أن كل أحد لو ترك من وقت ولادته وما يؤديه إليه فطره لأداه إلى دين الحق وهو التوحيد، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله﴾، وإليه يشير في بقية الحديث حيث عقبه بقوله: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه». والمراد بالفطرة في حديث الباب: أن هذه الأشياء إذا فعلت اتصف فاعلها بالفطرة التي فطر اللهُ العبادَ عليها، وحثهم عليها، واستحبها لهم ليكونوا على أكمل الصفات وأشرفها صورة»[4].

إن اهتمام الإسلام بهذه الخصال يجعل المسلم شامةَ بين الناس، جميلاً في مظهره، إن الإنسان إذا كان طويل الأظافر والشوارب، منتن الرائحة يكون مكروهاً عند النفوس السليمة؛ لذا ربى رسول الله ﷺ أمته على أن تكون خير أمة بإسلامها، فتأخذ بكل صغيرة وكبيرة من هديه ابتغاء الأجر من الله سبحانه وتعالى.

فعلى المسلم أن يأخذ بهذه التوجيهات النبوية من توفير اللحى وقص الشارب،

---

(1) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢٠/١١٠.

(2) صحيح الباري كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ص٢٦٨، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ص١٠٦٦.

(3) الروم: ٣٠.

(4) عون المعبود، شرح سنن أبي داود ١١/١٦٩.

واستحداد العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، والختان، وقد حدد عليه الصلاة والسلام وقتاً لقص الشوارب وتقليم الأظفار، فعن أنس قال: «وقّت لنا النبيﷺفي قص الشارب وتقليم الأظفار وحلق العانة ونتف الإبط أربعين يوماً»[1].

وقد اختلف العلماء في كيفية قصّ الشارب قال في عون المعبود «واعلم أنه ورد في قطع الشارب لفظ القص والحلق والتقصير والجز والإحفاء والنهيك؛ ولأجل هذا الاختلاف وقع الاختلاف بين العلماء، فبعضهم قالوا بقص الشارب، وبعضهم باستئصاله، وبعضهم بالتخيير في ذلك.

قال القرطبي: وقص الشارب أنه يأخذ ماطال على الشفة بحيث لا يؤذي الأكل، ولا يجتمع فيه الوسخ. قال: والجز والإحفاء هو القص المذكور، وليس بالاستئصال عند مالك. قال وذهب الكوفيون إلى انه الاستئصال وبعض العلماء إلى التخيير في ذلك»[2].

---

(1) سنن النسائي، كتاب الطهارة، باب التوقيت في ذلك ٢٢/١، وسنن أبي داود بنحوه، كتاب الترجل في أخذ الشارب، ص٦٣٤.

(2) عون المعبود، شرح سنن أبي داود١١/١٦٩.

الفوائد الدعوية:

أولاً: حرص الإسلام على تميز شخصية المسلم في المجتمع.

ثانياً: حرص الإسلام على صحة المدعوين.

ثالثاً: حث المدعوين على الفقه في الدين والبعد عن الحياء المانع من ذلك.

رابعاً: على الداعية أن يكون قدوة حسنة في مجتمعه في الأخذ بهدي النبي ﷺ.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً حرص الاسلام على تميز شخصية المسلم في مجتمعه.

حرص الإسلام على تمييز المسلم عن غيره، وذلك بغرس أحكام الإسلام في نفوس أتباعه، وترغيبهم في الأخذ بها مخالفة لغيرهم من أهل الأديان الأخرى؛ وذلك بحثهم على الأخذ بما أمر الله به في كتابه، وأمر به رسوله ﷺ في سنته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]. وقال جل وعلا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[2]. وقال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا يارسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[3].

---

(1) النساء: ٥٩.

(2) الحشر: ٧.

(3) صحيح البخاري، كتاب الإعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ص١٣٨٨.

إن في تربية المدعوين على المنهج الصحيح خطوة مهمة لجعل المسلم ذا شخصية متميزة في أخلاقه وأوصافه وفي جميع تصرفاته، وقدوة لغيره في مجتمعه سواء من غير المسلمين من المشركين واليهود والنصارى، أم من غير صالحي المسلمين من الفساق والجهلة، وقد علم أن حلق اللحى مخالفة سيئة وتشبه بالمجوس والمشركين عموما، فإذا تمسك المسلم بسنة نبيه ﷺ في توفير اللحية، فإن ذلك يكسبه الوقار والاحترام، ويجعله معروفا بين الناس بالخير والصلاح؛ ولهذا قدم الرسول ﷺ الأمر بمخالفة المشركين على الأمر بإعفاء اللحى، ولعلّ في ذلك تنبيهاً للأمة، وبياناً لخطر التشبه بالمشركين، وحرصا منه ﷺ على الأخذ بهذه السنة التي تميزهم عن غيرهم.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : «الأمر بها أولاً بلفظ مخالفة المشركين دليل على أن جنس المخالفة أمر مقصود للشارع وإن عينه هنا في هذا الفعل، فإن تقديم المخالفة علة تقديم العام على الخاص كما يقال: «أكرم ضيفَك أطعمه وحادثه» فأمرك بالإكرام أولاً دليل على أن إكرام الضيف مقصود، ثم عينت الفعل الذي يكون إكراماً في ذلك الوقت....»[1].

فعلى الداعية إلى الله أن يغرس حبَّ مخالفة المشركين في نفوس المدعوين، ويبين لهم أن تقليدهم في أعمالهم دليل على ضعف الإيمان، وأن على المسلم أن يعتز بدينه، ويحذر من متابعة الشيطان والهوى، فقد قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ١/١٧٧-١٧٨، تحقيق الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، توزيع مكتبة الرشد. وانظر : المنظار في كثير من الأخطاء الشائعة لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، ص١٠٣، ط دار العاصمة للنشر والتوزيع

قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1].

ثانياً : حرص الإسلام على صحة المدعوين .

مر معنا في كتاب الطب اهتمامُ الإسلام بصحة المسلمين، وكيف كان عليه الصلاة والسلام يهتم بأصحابه رضوان الله تعالى عليهم بإرشادهم إلى بعض الأدوية الطبية الشافية بإذن الله تعالى من الأمراض، وبزيارته لهم عليه الصلاة والسلام، والدعاء لهم بالشفاء وتخفيف مصابهم، وقد لمس الصحابة رضوان الله تعالى عليهم هذا الأمرَ منه ﷺ واقتفى أثرَه الخلفاء الراشدون بعده، ومن سار على نهجهم إلى يومنا هذا.

وفي أحاديث هذين البابين يظهر لنا اهتمامه ﷺ بصحة أمته حيث يقول ﷺ : «خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: الْخِتَان، والاستحداد، ونَتَفُ الإبطَ، وتَقْلِيمُ الأظافر، وقَصُّ الشَّارب».

وقد ذكر الطبيب مختار سالم، -خبير مراكز الطب الطبيعي -الحكمة من الختان وفوائده الطبية فقال : «إن الحكمة الطبية من إزالة جلد القلفة من فوق رأس العضو التناسلي أنه لو ترك لتجمعت وتراكمت تحته المواد والإفرازات الضارة، وتكاثرت الميكروبات والروائح الكريهة، فقد ثبت أن الشعوب التي لا تعرف عملية ختان الرجل يكثر فيها الإصابة بالأورام السرطانية للعضو التناسلي للذكر، في الوقت الذي ينعدم فيه هذا المرض بين المسلمين... ونشرت المجلة الطبية البريطانية إحصائيةً تبين أن الإصابة

---

[1] الأحزاب: ٣٦.

بسرطان عنق الرحم أو سرطان عضو البظر عند النساء تكون بين الذين أزواجهن غير مختونين أكثر من الذين أزواجهن مختونون»[1].

أما حلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشارب، فإن في إزالتها حماية للجسم من الأوساخ والروائح الكريهة التي قد تنبعث مع إجهاد البدن أو ارتفاع درجة حرارته في وقت من الأوقات، فيا له من دين عظيم أسعد البشرية بتعليماته وأحكامه.

فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر للمدعوين، ولفت أنظار أبناء المسلمين إلى الخطر الكامن في تشبههم بالكفار وبأعداء الدين في إطالة الأظافر والشوارب.

ثالثاً: حث المدعوين على الفقه في الدين والبعد عن الحياء المانع من ذلك.

إن مهمة الداعية إلى الله تبليغ هذا الدين، ونشر العلم الشرعي الذي يجعل المسلمين على فقه أمور دينهم، وعليه أن يجيب على أسئلتهم، ويبين لهم ما أشكل عليهم، وعليهم ألا يجعلوا الحياء مانعًا لهم عن السؤال، وعليه أن يتقبل أسئلتهم بصدر رحب فلا تمنعه غرابة السؤال من الإجابة عليها، فهذا ما كان يفعله النبي ﷺ حيث يتقبل كلُّ سؤال ويجيب عليه، ولا يمنع الحياء صحابته الكرام من الاستفسار والسؤال عما أشكل عليهم من أمور دينهم، ومن الأمثلة لذلك ماروته عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: جاءت امرأة رفاعة القُرظي رسول الله ﷺ وأنا جالسة، وعنده أبوبكر فقالت: يارسول الله، إني كنت تحت رفاعة فطلقني فبت طلاقي، فتزوجت بعده عبدالرحمن بن الزبير، وإنه والله ما معه يارسول الله إلا مثل هذه الهُدبة، وأخذت هدبةً

---

[1] الطب الإسلامي بين العقيدة والابداع، للدكتور مختار سالم، ص٤٤٣-٤٤٤، ط مؤسسة المعارف، بيروت

من جلبابها. فسمع خالد بن سعيد قولَها وهو بالباب لم يؤذن له، قالت: فقال خالد: يا أبا بكر ألا تَنْهَى هذه عما تجهر به عند رسول الله ﷺ؟ فلا والله ما يزيد رسول الله ﷺ على التبسم، فقال لها رسول الله ﷺ: «لعلكِ تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟! لا، حتى يذوقَ عسيلتك وتذوقي عسيلته»[1].

وهكذا الداعية إلى الله يبين للمدعوين أمر دينهم، سواء ما يتعلق منها بأمورهم الخاصة التي لا يبوحون بها إلا للداعية وحده طلباً لمعرفة حكم الشرع فيه، أم بأمورهم العامة، وعليه أن يبين لهم سنن الفطرة التي منها حلق العانة ونتف الإبط والختان.

إن الحياء الذي يمنع من تبليغ دعوة الإسلام، أو من التفقه في الدين، أو شرح أحكام الإسلام المهمة حياء مذموم كما ذكر ذلك أهل العلم، فيجب على أبناء هذه الأمة رجالاً ونساء اجتنابه، اقتداء بمن قبلهم من صحابة رسول الله ﷺ، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: نعم النساء نساءَ الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين[2]. وقالت أم سليم: يارسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبيﷺ: «إذا رأت الماء» فغطت أم سلمه تعني وجهها وقالت: يارسول الله وتحتلم المرأة؟ قال: «نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها»[3].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الإزار المهدب، ص١٣٢، وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب لا تحل المطلقة ثلاثًا لمطلقها حتى تنكح زوجًا غيره ويطأها ثم يفارقها وتنقضي عدتها، ص٥٦٧.

(2) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ص٥٠، وصحيح مسلم مطولاً، كتاب الحيض، باب استحباب المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، ص١٥٠.

(3) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ص ٥٠-٥١، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، ص١٤٤.

وهكذا يجب على المدعوين أن يتفقهوا في الدين، وألا يمنعهم الحياء من ذلك، كما أن على الداعية أيضا بيان هذا الأمر لهم، وأن يجيب على أسئلتهم، ويتقبلها بصدر رحب، رغبة في نشر العلم، وتأسياً برسول الله ﷺ وصحابته الكرام.

رابعاً: على الداعية أن يكون قدوة حسنة في مجتمعه في الأخذ بهدي النبي ﷺ.

إن الداعية إلى الله عز وجل إذا كان راغباً في أن يكون له القبول في الأرض وينفع الله به في دعوته فعليه أن يحرص على تطبيق السنة بين أفراد المدعوين، طاعةَ لرب العالمين، وليكون قدوةَ صالحةً يقتدى به، ويحذر من مخالفة أمر رسول الله ﷺ، فإن في ذلك خطراً عليه وعلى دعوته.

أما الخطر الذي عليه، فيأتي من حيث إن الله سبحانه قد حذر المسلمين من أن يقولوا ما لا يفعلون فقال جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾[1]. وقال تعالى إخباراً عن شعيب عليه السلام: ﴿ مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾[2].

وقد وصف رسول الله ﷺ رجلا بمنظر تقشعرّ منه الأبدان يوم القيامة؛ لأمره الناسَ بالخير وعدم امتثاله له، ونهيه إياهم عن الشر وارتكابه له، فعن أسامة بن زيد ابن حارثة رضي الله عنهما قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «يجاء برجل فيطرح في النار

(1) الصف: ٢.

(2) هود: ٨٨.

مُخَضَّبَة: مثل إجَّانةٍ يغسل فيها الثياب[1].

الجلجل: بضم الجيمين واحد الجلاجل، شي يتخذ من الفضة والصفر أو النحاس.

قال الحافظ: هو شبه الجرس، وقد تنزع منه الحصاة التي تتحرك، فيوضع فيه ما يحتاج إلى صيانة[2].

الموضوع الدعوي

في هذا الحديث تظهر لنا بركة أثر رسول الله ﷺ وحرص الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك، فهذه أم سلمة رضي الله عنها تحتفظ بشعرات الرسول ﷺ للتبرك ونفع المسلمين بها، وهو ما بينه بعض العلماء قال الإمام الكرماني: «كان الناس عند مرضهم يتبركون بها ويستشفون من بركتها، فتارة يجعلونها في قدح من الماء فيشربون الماء الذي هي فيه، وتارة يجعلونها في إجانة من الماء، فيجلسون في الماء الذي فيه تلك الجلجلة التي فيها الشعر، وكان لأهل عثمان إجانة كبيرة لائقه بالجلوس فيها، فكان يبعث بها إليها عند الحاجة إليها»[3].

وكان ﷺ يحلق رأسه في منى ثم يعطيه الناس، كما ورد ذلك عن أنس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ أتى منى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال

---

(1) تهذيب اللغة ٧/١١٧.

(2) فتح الباري ١٠/٣٥٣ وانظر عمدة القاري ١٥/٩٥.

(3) شرح الكرماني على صحيح البخاري ٢١/١١٣.

للحلاق: خذ، وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس»[1].

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى وهو يذكر الفوائد من هذا الحديث: «ومنها التبرك بشعره ﷺ وجواز اقتنائه للتبرك»[2].

الفوائد الدعوية

أولاً: حث المرأة المسلمة على خدمة المسلمين ونفعهم أسوة بأمهات المؤمنين.

ثانياً: بذل الأسباب في علاج المرضى من المدعوين.

ثالثاً: على الدعاة بيان التبرك المشروع والممنوع للمدعوين.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: حث المرأة المسلمة على خدمة المسلمين ونفعهم أسوة بأمهات المؤمنين.

في حديث الباب تضرب لنا أم سلمة رضي الله عنها أروع المثل في خدمة ذوي الحاجة، وخصوصاً المرضى منهم، وفي ذلك من الأجر العظيم عند الله مالا يخفى، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من نفس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله

---

(1) صحيح مسلم كتاب الحج باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمى ثم ينحر ثم يحلق ص ٥١٤.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ٧٨/٩.

عليه في الدنيا والآخرة.....»[١].

وأي تنفيس أعظم من أن تسعى المرأة المسلمة إلى مساعدة المريض بالقراءة عليه، أو البحث عما يكون سبباً لشفائه بمشئية الله تعالى وتوفيقه.

وهكذا ينبغي أن تكون المرأة الداعية إلى الله، تسعى إلى خدمة مجتمعها المسلم، وتكون ملاذاً بعد الله في مساعدة المحتاجين، وكشف الكرب عن المكروبين، وكم تكون هذه المرأة محبوبة بين أفراد مجتمعها لحبها للخير وأهله، وهذا من باب التعاون على البر والتقوى، وقد أمر الله به في كتابه فقال سبحانه : ﴿.... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾[٢].

وهذا الذي قامت به أم سلمة صورة لما كانت تقوم به غيرها من الصحابيات وأمهات المؤمنين زوجات رسول الله ﷺ، فقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تصف الدواء للمرضى، وتحرص على نفعهم حباً للخير،، وهكذا غيرها من الصحابيات اللائي سجلت كتب الأحاديث جهودهن المباركة في هذا المجال.

فعلى الدعاة إلى الله حث نساء الأمة على الاقتداء بأمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن في هذا العمل، وأن يبذلن أقصى جهودهن في تقديم النفع لمجتمعهن الإسلامي .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ص ١٠٨٢.

(٢) المائدة: ٢.

ثانياً: بذل الأسباب في علاج المرضى بما يوافق شرع الله والحرص على صحتهم.

لاشك أن المرض يعيق المسلم عن مسيرته في هذه الحياة، وعن عمارة هذا الكون بما يرضي الله عزّ وجلّ، ولهذا يلزم العبدَ الحرصُ على صحته البدنية وقاية وعلاجاً، وقد قَدِمَ رسول الله ﷺ إلى المدينة وهي أوبأ أرض الله، فدعا عليه الصلاة والسلام بنقل هذا الوباء إلى الجحفة فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، أو أشد وانقل حماها إلى الجحفة اللهم بارك لنا في مدِّنا وصاعنا»[1].

وكان ﷺ إذا أتى مريضاً أو أتي به إليه بادر بالدعاء له بالشفاء، روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضا أو أتي به قال عليه الصلاة والسلام: «اذهب البأس، ، اشف وأنت الشافي لا يغادر سقماً»[2].

وفي حديث الباب يرسل المصاب بالمرض أهلَه إلى أم سلمة ليتبرك بشعر رسول الله ﷺ ويتعالج به بمشيئة الله تعالى، فتقوم أم سلمة بواجبها تجاه هذا المريض، ويبذل مافي وسعها حرصاً على صحته وسلامته.

إن على الدعاة إلى الله الحرصَ على سلامة المجتمع المسلم من الأمراض، وبذل الأسباب في سدّ الطرق المؤدية إلى انتشارها، حتى يصبح المجتمع الإسلامي مجتمعاً صحياً سليماً من الأمراض. وعليهم كذلك أن يبينوا للمدعوين الطرق الشرعية في

---

(1) صحيح البخاري كتاب الدعوات باب الدعاء برفع الوباء والوجع ص ١٢٢٤، وصحيح مسلم بنحوه كتاب الحج باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها ص ٥٤٠.

(2) صحيح البخارى كتاب المرضى باب دعاء العائد للمريض ص ١١١٥، وصحيح مسلم بنحوه كتاب السلام باب استحباب رقية المريض ص ٩٠١.

العلاج، وأن عليهم الابتعاد عن التداوي بحرام أو مايؤدي إلى الحرام[1].

ثالثاً: على الدعاة بيان التبرك المشروع والممنوع للمدعوين.

إن على الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين هدى السلف الصالح في التبرك وبيان الجائز منه والممنوع والذي عليه أهل السنة هو التبرك بأثارهﷺ كما في حديث الباب وماعدا ذلك فانه خلاف السنة وقد بينا هذا الأمر في باب هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر الفائدة الخامسة[2].

---

(١) وقد مر معنا بيان ذلك مفصلاً في كتاب الطب انظر ص٨٨.

(٢) انظر ص٣٤٤ من هذا الكتاب وللفائدة انظر الارشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ٣٢٥ لمعالي الشيخ صالح فوزان الفوزان ط دار ابن الجوزي.

باب القزع[1]

٤٧- عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول : سمعتُ رسولَ اللهﷺينهى عن القزع. قال عبيد الله: قلت : وما القزع؟ فأشار لنا عبيد الله قال : إذا حُلِقَ الصَّبِيُ وتُرِكَ هَاهُنا شَعْرَةٌ، وهَاهُنَا، فأشار لنا عبيد الله إلى ناصيته وجانبي رأسه، قيل لعبيد الله : فالجارية والغلام؟ قال: لا أدري، هكذا قال: الصبي. قال عبيدالله: وعاودتُه فقال: أما القُصَّة والقَفَا للغلام فلابأس بهما، ولكن القزع أن يُتْرَكَ بناصيته شعرٌ وليس في رأسه غيرُه، وكذلك شق الرأس هذا وهذا.[2]

رقم الحديث [٥٩٢٠].

غريب الحديث :

القزع: جمع قزعة، وهي القطعة من السحاب، وسمي شعر الرأس إذا حلق بعضه وترك بعضه قزعاً تشبيهاً بالسحاب المتفرق[3].

ناصية : واحدة النواصي، وهي قصاص الشعر في مقدم الرأس[4].

القصة : سبق تعريفها في الباب الذي قبله.

شق رأسه: جانب رأسه، والشق النصف والجانب[5].

---

(١) أي: هذا باب في بيان حكم القزع بفتح القاف والزاي وبالعين المهملة.عمدة القاري ١٥/١٠٦.

(٢) مطابقته للترجمة ظاهرة. انظر: المصدر السابق. والحديث طرفه بنفس الباب رقم الحديث ٥٩٢١ وأخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة باب كراهة القزع رقم ٢١٢٠.

(٣) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري ١٢/٦٠٣.

(٤) لسان العرب ١٥/٣٢٧ مادة [نصا]. وانظر: القاموس المحيط ص ١٢٠٥.

(٥) تهذيب اللغة ٨/٢٤٧، ٢٤٨ مادة [شق].

الموضوع الدعوي

في حديث الباب ينهى رسول الله ﷺ عن القزع، وهو كما فسر في الحديث «أن يُتْرَكَ بناصيته شعرٌ وليس في رأسه غيرهُ»، وقد بيّن بعض العلماء الحكمة من النهي عن ذلك.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى «قيل: لكونه يشوه الخلق، وقيل: لأنه زي الشيطان، وقيل: لأنه زي اليهود»[1].

وقال العيني: «الحكمة في النهي عن القزع تشويه الخلق، وقيل: زي اليهود، وقيل: زي أهل الشر والدعارة»[2].

وقال الكرماني: «والحكمة في كراهته أنه تشويه الخلق، أو أنه زي أهل الشطارة، أو زي اليهود»[3].

ومع ما بين العلماء من الحكمة في النهي عن القزع، فإنه عليه الصلاة والسلام قد نهى عنه تربيةً لأمته على الخير والأخلاق الفاضلة، وإبعاداً لها عن العادة السيئة التي تظهر أفراد أمته صغيرها وكبيرها في صورة مشوهة، وتقربه من صورة المغضوبين عليهم من اليهود والنصارى، وأصحاب الشر والفحش والخنا.

ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ حريص كل الحرص على أمته وعلى تربيتها على الأخلاق الفاضلة كما وصفه بذلك ربه، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ

---

(1) فتح الباري ١٠/٣٦٥، وانظر: إرشاد الساري ١٢/٦٠٤.

(2) عمدة القاري ٢٢/٥٨، وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/١٤٤.

(3) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢١/١٢١.

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] إنه رسول الأمة الرؤوف بهم، الساعي إلى مافيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، الذي رباهم على الأخلاق العالية، ونأى بهم عن كل خلق ذميم يؤدي بأبناء المسلمين وفلذات أكبادهم إلى الانحراف، وهذا هو الدين الإسلامي الحنيف الذي أتى به عليه الصلاة والسلام لتسعد البشرية بحياة هنيئة عالية الأخلاق، وليتربى أبناء المسلمين على العزة والقوة، ممتثلين أمر ربهم القائل ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[2].

الفوائد الدعوية :

أولاً: تحذير المدعوين من تقليد أهل الشر في زيهم.

ثانياً: تربية الأولاد منذ الصغر على الأخذ بهدى المصطفى ﷺ.

ثالثاً: حرص الداعية على الفقه في الدين لتبصير المدعوين.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: تحذير المدعوين من تقليد أهل الشر في زيهم.

لقد كان عليه الصلاة والسلام يحرص أشد الحرص على مخالفة المشركين واليهود، وحث أمته على ذلك، وذلك لتتميز الأمة المسلمة عن غيرها من الأمم، إذ هي

---

(1) التوبة، ١٢٨.

(2) الحشر: ٧.

الأمة المفضلة على غيرها، ودينها هو الدين المرضي عند الله سبحانه وتعالى، ففي سنن أبي داود عن حدثنا الحجاج بن حسان قال : دخلنا على أنس بن مالك فحدثتني أختي «المغيرة قالت : وانت يومئذ غلام ولك قرنان، أو قصتان، فمسح رأسك وبرك عليك وقال «احلقوا هذين، او قصوهما، فإن هذا زي اليهود».[1] ، والإسلام ينهى عن ذلك لاسباب منها :

أ- أن التشبه باليهود يوقع المسلم في التبعية لهم.

ب- أن التشبه بغير المسلمين يورث الإعجاب بهم.

جـ- أن التشبه بهم يورث المودة والمحبة.

د- أن التشبه بأخلاق الكافرين ينبيء عن ضعف في شخصية المسلم، وأنه يشعر بالذل والهوان[2].

فعلى الداعية إلى الله القيام بتحذير أبناء المسلمين خصوصاً من هم بسن المراهقة من تقليد غير المسلمين في أخلاقهم المشينة، وأن يمتثلوا أمرَ الله تعالى، ويتقيدوا بهدي رسول الله ﷺ، رافعين بذلك رؤوسهم كما كان عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، الذين نذروا أنفسهم لخدمة هذا الدين، والبعد عن سفاسف الأمور التي تجعل المجتمعَ المسلم ضعيفَ الهمة، يقلد غيرَه فيما يضر ولا ينفع . والله المستعان.

---

(١) سنن أبي داود كتاب الترجل باب ماجاء في الرخصة. ص ٦٣٣-٦٣٤.

(٢) انظر من تشبه بقوم فهو منهم للدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل ص ٨ بتصرف، ط دار الوطن.

ثانياً: تربية الأولاد منذ الصغر على الأخذ بهدي المصطفى ﷺ.

ان تربية الولاد على الأخذ بهدى المصطفى ﷺ مسؤ مسؤولية الدعاة والمدعوين والمربين، ومن يتولى تربية النشء، وهي مسؤولية حددها عليه الصلاة والسلام بقوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها......»[1] وقال تعالى في محكم تنزيله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2].

وكان عليه الصلاة والسلام يوجه الأمة إلى مافيه تربية أبناء المسلمين وتعويدهم على أوامر الإسلام منذ الصغر، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «علّموا الصبيَّ الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابنَ عشر»[3].

وعن أبي حفص عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام، سمِّ اللهَ تعالى، وكلْ بيمينك، وكل مما يليك» فما زالت تلك طعمتي بعد[4].

فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على الأخذ بهذا المنهج النبوي الكريم في تربية

---

(1) سبق تخريجه، ص ١٧٥.

(2) التحريم ٦.

(3) سنن الترمذي كتاب الصلاة باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة ٢/٧٤. وسنن أبي داود كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ص٨٤.

(4) صحيح البخاري كتاب الأطعمة باب التسمية علي الطعام والأكل باليمين ص ١٠٦٤، وصحيح مسلم بلفظه كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ص ٨٣٨.

الأولاد على الأخذ بهديه ﷺ في المظهر والملبس والمأكل والمشرب وفي الأمور كلها.

ثالثاً: حرص الداعية على الفقه في الدين لتبصير المدعوين.

إن الفقه في الدين أمر مهم للداعية إلى الله لكي ينطلق في دعوته إلى الله على علم وبصيرة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[1] وفي هذا الحديث يسأل عبدالله رضي الله عنه فيقول: «وما القزع؟» عندما سمع النبيَّ ﷺ ينهى عنه.

هكذا سلف الأمة رضوان الله عليهم يحرصون على الفقه في أمور دينهم، ومتى كان الداعية على فقه عظيم في دين الله كان موفقاً في التوجيه والإرشاد، وأخرج الناسَ من طريق الشر والضلال إلى طريق الخير والصلاح، ولاشك أن من أهم الصفات التي يجب أن يكون عليها الداعية لكي يوفقه الله إلى الفقه في الدين الإخلاصَ لله جلَّ وعلا، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[2] وتقوى الله جلَّ وعلا هي السر العظيم في تحصيل الداعية للعلم النافع بمشيئة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3].

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: «وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه بأن يجعل في قلبه نوراً يفهم به مايلقى إليه، وقد يجعل الله في قلبه

---

(1) سبق تخريجه، ص١٩٢.

(2) البينة: ٥.

(3) البقرة: ٢٨٢.

ابتداء فرقاناً، أي فيصلاً يفصل به بين الحق والباطل، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[1] ....،[2].

---

[1] الأنفال،٢٩.

[2] الجامع لإحكام القرآن لأبي عبدالله القرطبي٢/٤٠٦.

باب الجعد[1]

٤٨- عن أنس رضي الله عنه قال: إن النبي كان يضربُ شعرهُ منكبيه»[2].

رقم الحديث [٥٩٠٣].

٤٩- عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن شعر رسول الله ﷺ فقال: كان شعره رسول الله ﷺ رجلاً ليس بالسَّبِط ولا الجَعْد بين أذنيه وعاتقه»[3]

رقم الحديث [٥٩٠٣].

٥٠- عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ ضخمَ اليدين والقدمين، لم أرَ قبله ولا بعده مثلَه، وكان بسطَ الكفين[4]

رقم الحديث [٥٩٠٧].

---

(١) أي هذا باب في بيان الجعد- بفتح الجيم وسكون العين المهملة والدال المهملة- وهو صفة للشعر، وهو خلاف السبط. عمدة القاري ٩٧/١٥.

(٢) مطابقته للترجمة من حيث إن الشعر يوصف بالجعد. عمدة القاري ١٠٠/١٥ طرفه في نفس الباب رقم ٥٩٠٤.

(٣) طرفه بنفس الباب برقم ٥٩٠٦ وأخرجه مسلم كتاب الفضائل باب صفة شعر النبي ﷺ رقم الحديث ٢٣٣٨.

(٤) أطرافه بنفس الباب برقم ٥٩٠٨، و٥٩١٠و٥٩١١.

٥١- عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ ضخمَ القدمين، حسنَ الوجه، لم أرَ بعده مثلَه.

رقم الحديث [٥٩٠٩].

بـــاب التلبيد[1]

٥٢- عَنْ ابن عمـر رضِي الله عنهـما قال: سَمِعْتُ رسـولَ اللَّه ﷺ يهلُّ ملبِّدًا يقـول: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبيْكَ، لَبيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إنَّ الْحَمْدَ والنِّعْمَةَ لَكَ، والْمُلْكَ، لا شَرِيْكَ لَكَ». لا يزيد على هؤلاء الكلمات[2].

رقم الحديث [٥٩١٥].

غريب الحديث:

منكبيه: منكب كل شيء مجتمع عظم العضد والكتف. والمنكب من الإنسان وغيره مجتمع رأس الكتف والعضد أ.هـ[3].

رجِلاً: شَعْرٌ رَجَل ورَجِلٌ: بين السبوطة والجعودة، وفي صفته ﷺ كان شعره رجلاً أي

---

(١) أي: هذا باب في بيان التلبيد، وهو أن يجعل المحرم في رأسه شيئًا من الصمغ ليصير شعره مثل اللبد لئلا يقع فيه القمل، وقيل: لئلا يشعث في الإحرام.
ووجه إيراد هذا الباب هنا من حيث إن الأبواب الستة التي قبل هذا الباب كلها في أحوال الشعر، وتلبيد الشعر أيضًا من جملتها، عمدة القاري، جـ١٥ ص١٠٢.

(٢) مطابقته للترجمة في قوله «ملبدا»، المصدر السابق، ص١٠٣، والحديث أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها، رقم الحديث ١١٨٤.

(٣) لسان العرب ١/٧٧٠، والقاموس المحيط ص١٢٩.

لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما[1].

السبط : الشعر الذي لا جعودة فيه، وشعرٌ سَبْطٌ وسَبِطٌ : مسترسل غير جعد[2].

الجعد : الجعودة :التواء الشعر وتثنيه، والجعد من الشعر خلاف السبط والقصير منه[3].

عاتقه : العاتق هو موضع الرداء من المنكب، أو مابين المنكب والعنق[4].

بسط الكفين : بسط الشيء نشره، وانبسط الشيء على الأرض والبسيط من الأرض كالبساط من الثياب ويد بسط أي مطلقة[5].

الموضوع الدعوي

في أحاديث الباب بيان لبعض صفات رسول الله ﷺ وبعض شمائله التي حرص الصحابة رضوان الله عليهم على بيانها ونقلها، ،وتتجلى أهمية الشمائل في أنك تجد فيها صفتَه ﷺ وأحوالَه وأخلاقَه مع ربه عز وجل، ومع أهله وأصحابه، ومع أعدائه، وفي سرّه وعلنه، ويسره وعسره، ومنشطه ومكرهه، وصفاته الظاهرة، وصفة ثيابه، ونهوضه من نومه، وهيئته في ضحكه وابتسامه، ومشيته وعبادته في ليله

(1) لسان العرب ٢٧٢/١١.

(2) ا المصدر السابق، ٣٠٨/٧.

(3) لسان العرب، ١٢١/٣، اوانظر القاموس المحيط، ص٢٤٧.

(4) لسان العرب ٢٣٨/١٠، القاموس المحيط ص ٨١٦.

(5) لسان العرب ٢٥٩/٧.

ونهاره..»[1].

وفي هذا بيان لحرص الصحابة والتعابين على معرفة صفاته عليه الصلاة والسلام للاقتداء والتأسي به ص، وفي معرفة صفاته عليه الصلاة والسلام تأكيد لحقيقة رؤيا من يراه في المنام، وقد قال عليه الصلاة والسلام : «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتخيل بي»[2].

قال الإمام الترمذي : حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن عدي ومحمد بن جعفر قالا : حدثنا عون بن أبي جميلة، عن يزيد الفارسي -وكان يكتب المصاحف- قال : رأيت النبي في المنام -زمن ابن عباس- فقلت لابن عباس : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام. فقال ابن عباس : إن رسول الله ﷺ كان يقول : «إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي، فمن رآني في المنام فقد رآني»، هل تستطيع أن تنعت هذا الرجل الذي رأيته في المنام؟ قال : نعم، أنعت لك رجلاً بين الرجلين، جسمه ولحمه أسمر إلى البياض، أكحل العينين، حسن الضحك، جميل دوائر الوجه، قد ملأت لحيته مابين هذه إلى هذه قد ملأت نحره. قال عوف : ولا أدرى ما كان مع هذا النعت، فقال ابن عباس : لو رأيته في اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا»[3].

---

(1) الشمائل المحمدية للترمذي، ص٨، ط المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة.

(2) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ص في المنام، ص١٣٢٧، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الرؤيا، باب قول النبي ص «من رآني في المنام فقد رآني»، ص٩٣١.

(3) الشمائل المحمدية للترمذي، ٥٢.

الفوائد الدعوية :

أولاً : تحذير الداعية للمدعوين من انتكاس المفاهيم بمخالفة سنة سيد المرسلين.

ثانيًا : الحذر من الإنكار على من اقتفى أثر المصطفى ﷺ.

ثالثًا : الحرص على العناية بالشعر اقتداء بهدي سيد المرسلين.

رابعًا : إخلاص التوحيد لله وحده لا شريك له.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : تحذير الداعية المدعوين من انتكاس المفاهيم بمخالفة سنة سيد المرسلين.

إن أعظم مصيبة يبتلى بها مجتمع الدعوة هي انتكاس المفاهيم، بحيث يصبح المنكر معروفًا والمعروف منكراً، وهذا من مخالفة أمر الله، وقد حذر الله جل وعلا من مخالفة أمره فقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

فعلى الداعية إلى الله أن يقوم بدوره ببذل النصح والإرشاد لأبناء المسلمين، واقتفاء أثر سيد المرسلين بالتمسك بسنته ﷺ، والعض عليها بالنواجذ، والحذر من مزالق الشيطان، واتباع حيله ووساوسه.

إن الشيطان يزين العمل السيء ويجعله حسنًا في قلوب أتباعه كما قال تعالى : ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴾[2].

---

(1) النور : ٦٣.

(2) فاطر : ٨.

ثانيًا : الحذر من الإنكار على من اقتفى أثر المصطفى ﷺ .

في قول أنس في الحديث : «إن النبي كان يضربُ شعرُه منكبيه» ما يدل على فضيلة التأسي بهدي نبيه محمد ﷺ ، وأن له أن يأخذ بذلك ما استطاع، كأن يربي شعره إلى منكبيه اقتداء بهدي المصطفى عليه الصلاة والسلام.

فعلى الدعاة إلى الله أن يعوا هذا الأمر جيداً، والحذر من الإنكار على من قام بعمل ثبت أن رسول الله ﷺ فعله، وذلك لما قد يؤدي إليه الإنكار من نتائج سلبية للداعية خاصة، وللدعوة عامةً.

ثالثًا - الحرص على العناية بالشعر اقتداء بهدي سيد المرسلين .

إن الله خلق بني آدم بأحسن صورة كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[1] وأمره بالعناية بنظافة شعره وما يتصل به، وأجاز له أن يتزين بما شاء وفق ما حدده في شرعه.

ومن خلقه سبحانه الإنسان في أحسن صورة ما غطى به رأسَه من شعر رقيق يضفي عليه جمالاً إذا أحسن الاعتناء به.

وفي حديث عبد الله بن عمر في باب التلبية نرى كيف كان ﷺ يعتني بهذا الشعر، حيث كان رسول الله ﷺ «يهلُّ ملبدًا»، لذا ينبغي على الدعاة إلى الله بيان هدي الإسلام للمدعوين وذلك في عنايته بالشعر من تمشيطه، ودهنه، لما في ذلك من المصالح الصحية والنفسية على المدعو .

---

(1) الإنفطار : ٦، ٧، ٨.

رابعاً : إخلاص التوحيد لله وحده لا شريك له.

في قوله ﷺ لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك ...الخ الحديث، ما يبين أهمية توحيد الله والإخلاص له في العبادة.

وفي الاحاديث الواردة في الأبواب آنفة الذكر بيان لصفة رسول الله ﷺ الخَلقية وحرص الصحابة على نقل ذلك لمن بعدهم، فعلى الدعاة إلى الله العناية بهذا وبيان صفاته ﷺ الخَلْقية.

باب الامتشاط[1]

٥٣- عَنْ سَهلِ بنِ سعدٍ[2] أنَّ رجلاً اطَّلَعَ من جُحْرٍ في دارِ النَّبيِّ ﷺ والنَّبيُّ يَحُكُّ رأسَه بالمِدْرَى فَقَالَ : «لَوْ عَلِمْتُ أنَّكَ تَنظُرُ لَطَعَنْتُ بِهَا فِي عَيْنِكَ، إنَّمَا جُعِلَ الإذْنُ مِنْ قِبَلِ الأَبْصَارِ»[3]

رقم الحديث : [٥٩٢٤].

غريب الحديث :

حجر : الحجر : الصخرة والجمع في القلة احجار والحجرة من البيوت معروفة لمنعها المال، والجمع محجْرات، وحُجْرات، وحُجُرات وحُجرَات.

المدرى: مثل غرفة وغرف[4].

---

(١) أي باب في بيان استحباب الامتشاط، وهو على وزن افتعال من المشط بفتح الميم. وهو تسريح الشعر بالمشط، ووجه دخول هذا الباب في كتاب اللباس ظاهر، وهو الاشتراك في نوع من الزينة، عمدة القاري، ١٥/١٠٩.

(٢) هو سهل بن سعد الساعدي الأنصاري، عاش سهل وطال عمره، كان اسمه حزنا فسماه رسول الله ﷺ سهلاً، ت سنة ٨٨هـ أسد الغابة ٢/٣٩١.

(٣) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة من حيث أن المدرى هو المشط عند البعض. عمدة القاري، ١٥/ ١٠٩. والحديث طرفه في كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، برقم ٦٢٤١، وسيأتي شرحه في كتاب الاستئذان، والحديث أخرجه مسلم، في كتاب الآداب باب تحريم النظر في بيت غيره، رقم الحديث ٢١٥٦.

(٤) لسان العرب ٤/١٦٨.

الموضوع الدعوي

يقيم الإسلام للبيوت حرمتها وعدم الاعتداء عليها، وفي هذا الحديث يبين عليه الصلاة والسلام حرمة البيوت، وعدم جواز الإقدام على الدخول فيها أو النظر إليها إلا بإذن أهلها.

وفي هذا يتبين لنا حرص الإسلام على حياة المسلمين حتى داخل بيوتهم، وبهذه الأحكام التي وضعها الإسلام يدخل المسلم بيته آمنًا مطمئنًا على عورته، وعلى أموره الخاصة في بيته التي يُحب ألا يراها أحدٌ دون علمه.

وقد أنكر الرسولﷺ الاطلاع على عورات المسلمين في بيوتهم، بل ختل رجلاً كان يطلع على بعض حجرهﷺ كما في صحيح البخاري، عن أنس بن مالك أن رجلا اطلع من بعض حجر النبيﷺ فقام إليه النبيﷺ بمشقص أو بمشاقص، فكأني أنظر إليه يختل الرجل ليطعنه»[1].

كما أن رسول اللهﷺ أهدر عينَ من اطلع على بيوت المسلمين دون علمهم، وذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة قال: قال أبو القاسمﷺ: «لو أن امرأً اطلع عليك بغير إذنٍ فحذفته بحصاةٍ ففقأتَ عينَه لم يكنْ عليك جناحٌ»[2] وسيأتي مزيد بحث عن هذا الموضوع في كتاب الاستئذان[3].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، ص١٢٠٢، وهو طرف رقم ٦٢٤١ وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الآداب باب تحريم النظر في بيت غيره، ص٨٩٠.

(2) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب من اطلع في بيت قوم ففقؤوا عينه فلا دية له، ص١٣١٦، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره، ٨٩٠.

(3) انظر كتاب الاستئذان، ص٨٠٨.

الفوائد الدعوية :

أولاً : حرص الإسلام على جمال الداعية المسلم ونظافته.

ثانياً : تربية المدعوين على عدم الاعتداء على عورات المسلمين.

ثالثاً : التثبت قبل الإقدام على العقوبة.

رابعاً : تربية المدعوين على حسن الأخلاق وأدب الاستئذان.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً :حرص الإسلام على جمال الداعية المسلم ونظافته .

كان رسول الله ﷺ يربي أصحابه على الاهتمام بحسن شخصيتهم، ومظهرهم، ويكره أن يرى بعض صحابته بشكل غير مقبول، جاء في الموطأ عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، كان رسول الله ﷺ في المسجد، فدخل رجل ثائر الرأس واللحية فأشار اليه رسول الله ﷺ بيده أن اخرج، كأنه يعني اصلاح شعر رأسه ولحيته...،[1] وقد اهتم الإسلام بنظافة المسلم عند أداء العبادة، كما قال تعالى :﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[2] والأمر بذلك في الآية إنما يدل على أهميته حتى يجد المؤمن الراحة في أداء العبادة.

---

(١) موطأ الإمام مالك كتاب الشعر باب اصلاح الشعر ٢/٣٥١.

(٢) الاعراف : ٣١.

ثانيًا : تربية المدعوين على عدم الاعتداء على عورات المسلمين.[1].

ثالثًا : التثبت قبل الإقدام على العقوبة .

في قوله ﷺ :«لو علمت أنك تنظر لطعنت في عينك بها».. مايدل على وجوب التثبت في الأمر قبل الإقدام على عقوبة المخالف ، فما أعظم هذا الخلق من نبي الأمة في حسن تعامله مع المخالفين، فينبغي على الداعية الاقتداء بهذا الهدي النبوي الكريم .

رابعًا : تربية المدعوين على أدب الاستئذان[2] .

---

(1) سيأتي مزيد بحث في كتاب الاستئذان، انظر ص٨١٢.

(2) سيأتي مزيد بحث لهذا في كتاب الاستئذان، انظر ص٨١٥.

باب وصل الشعر[1].

٥٤- عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضِيَ اللّه عنه عنِ النَبِيِّ ﷺ قَالَ : «لَعَنَ اللّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ والْمُسْتَوْشِمَةَ».

رقم الحديث : [٥٩٣٣].

٥٥- عَنْ أَسْمَاء بِنْتْ أَبِي بَكر[2] رضِيَ اللّه عَنْهُمَا أنَّ امرأةً جاءَتْ إلى رَسُولِ اللّه ﷺ فَقَالَتْ : إني أنكحْتُ ابنَتِي ثُمَ أصَابَها شكْوَى فَتمَزَّق رَأسُها، وَزَوْجُها يَسْتَحِثُّنِي بِها، أفأصِلُ شَعْرَها؟ فسَبَّ رسولُ اللّه الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ»[3].

رقم الحديث : [٥٩٣٥].

٥٦- عَنْ ابْن عُمَرَ رضِيَ اللّهُ عَنْهُما أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ والْمُسْتَوْشِمَةَ»[4].

رقم الحديث: [٥٩٣٧].

---

(١) أي : هذا باب في بيان ذم وصل الشعر يعني: الزيادة فيه بشعر آخر : عمدة القاري، ١٥/١١٤.

(٢) سبق ترجمتها ص١٦٨.

(٣) مطابقته للترجمة ظاهرة، عمدة القاري، ١٥/١١٧، وطرف الحديث بنفس الباب رقم ٥٩٣٦ ورقم ٥٩٤١، والحديث أخرجه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة.. رقم الحديث ٢١٢٢.

(٤) مطابقته للترجمة ظاهرة، عمدة القاري، ١٥/١١٨.

باب المستوشمة[(1)]

٥٧- عَنْ أبِي هُريرة رضِي اللّه عنه قالَ : أُتيَ عمرُ بامرأةٍ تشمُّ، فقَالَ : أنشدكم باللّه، منَ سَمِعَ مِنْ النّبيِّ ﷺ في الوَشم؟ فَقَالَ أبو هريرةَ : فقمتُ فقلتُ : ياأمير المؤمنين. أنا سَمِعتُ. قال : ما سمعتَ؟ قَالَ : سمعتَ النّبيﷺ يَقُولُ : «لا تَشمنَ ولا تَسْتَوْشِمَنَ»[(2)].

رقم الحديث : [٥٩٤٦].

غريب الحديث :

الواصلة : هي التي تصل الشعر سواء كان لنفسها أو لغيرها.[(3)]

وفي النهاية : الواصلة : التي تصل شعرها بشعر آخر زوراً.[(4)]

المتسوصلة : هي التي تطلب أن يفعل بها ذلك.[(5)]

الواشمة : فاعلة الوشم، والوشم : أن يغرز الجلد بإبرةٍ ثم يحشى بكحلٍ أو نيل فيزرق أثره أو يخضر.[(6)]

المستوشمة : التي تطلب أن يفعل بها الوشم.[(7)]

---

(1) أي : هذا باب في بيان ذم المرأة المستوشمة أي طالبة الوشم، المرجع السابق،، ص١٢١.

(2) مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله ولا تستوشمن»، المرجع السابق، ص١٢١،

(3) لسان العرب ٧٢٦/١١، وانظر فتح الباري ٣٧٦/١٠.

(4) النهاية في غريب الحديث ١٩٢/٥.

(5) المرجع السابق ١٩٢/٥.

(6) المرجع السابق ١٨٩/٥.

(7) المرجع السابق ١٨٩/٥.

الموضوع الدعوي

في الأحاديث الواردة في البابين يحرم لنا رسول الله ﷺ وصل الشعر وهو ماعليه جمهور الفقهاء، قال ابن قدامة رحمه الله تعالى : «وروي عن النبي ﷺ أنه لعن الواصلة والمستوصلة، والنامصة[1] والمتنمصة، الواشرة والمستوشرة[2]، فهذه الخصال محرمة لأن النبي ﷺ لعن فاعلها، ولا يجوز لعن فاعل المباح»[3].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : «وفي هذه الأحاديث حجة لمن قال : يحرم الوصل في الشعر والوشم والنمص على الفاعل والمفعول به. وهي حجة على من حمل النهي فيه على التنزيه؛ لأن دلالة اللعن على التحريم من أقوى الدلالة، بل عند بعضهم أنه من علامات الكبيرة»[4].

ولعل الحكمة في النهي عن وصل الشعر مافيه من غش وخداع للآخرين، قال الخطابي : «إنما نهي عن ذلك لما فيه من الغش والخداع، ولو رخص في ذلك لاتخذه الناس وسيلةً إلى أنواع من الفساد»[5].

---

(1) النامصة : النمص نتف الشعر ونمص شعره ينمصه نمصًا نتفه، لسان العرب لابن منظور ١٠١/٧.

(2) الواشرة : من الوشر، وهو أن تحد المرأة أسنانها وترققها، والواشرة : الصانعة لذلك، والمستوشرة : المفعول بها ذلك. انظر : جامع الأصول ٧٨٣/٤٤، والقاموس المحيط للفيروز أبادي ص٤٤٣.

(3) المغني ١٢٩/١.

(4) فتح الباري ٣٧٣/١٠.

(5) أعلام الحديث للخطابي، ٢١٦٢/٣.

وقد بين العلماء رحمهم الله أن المقصود بالتحريم في الوصل هو وصل الشعر بالشعر، وقد صرح بذلك ابن قدامة رحمه الله حيث قال: «والظاهر أن المحرم هو وصل الشعر بالشعر؛ لما فيه من التدليس، واستعمال الشعر المختلف في نجاسته، وغير ذلك لا يحرم لعدم هذه المعاني فيها، وحصول المصلحة من تحسين المرأة لزوجها من غير مضرة، والله تعالى أعلم»[1].

قال القاضي عياض رحمه الله: «أما ربط خيوط الحرير الملونة ونحوها مما لا يشبه الشعر فليس من الوصل؛ ولا هو مقصده وانما هو للتجميل والتحسين»[2].

كما نهى الإسلام عن الوشم كما في حديث ابي هريرة وابن عمر حيث لعن الواشمة والمستوشمة.

وقد ذكر الدكتور عبد الرزاق الكيلاني أن «الوشم من بقايا عصور التخلف والجاهلية، ولا تزال تتمسك به الشعوب المتأخرة في مجاهيل أفريقيا، وبعض الأفراد المصابين بلوثة في عقولهم في ديار الغرب، ولا يمكن إزالته إلا بعملية تجميل، كما يعتبر مكان الوشم نجساً لانحباس الدم فيه»[3].

---

(1) المغني ١/١٣١.

(2) اكمال المعلم بفوائد مسلم ٦/٦٥٢.

(3) الحقائق الطبية في الإسلام، ص٢٢٥.

الفوائد الدعوية :

أولاً : جواز اللعن بالوصف لا بالعين.

ثانيًا : تحذير المدعوين من التزوير والغش على الآخرين.

ثالثًا : تذكير المدعوين بأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

رابعًا : حث المدعوين على سؤال أهل العلم عما يشكل عليهم.

خامسًا : رفع المنكرات لولاة الأمر.

سادسًا : على الولاة سؤال أهل العلم عما أشكل عليهم.

سابعًا : الترهيب وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

ثامنًا : حرص الدعاة على تربية المرأة.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : جواز اللعن بالوصف لا بالعين .

في أحاديث باب وصل الشعر بيان لجواز اللعن بالوصف لا بالعين، وأن اللعن ينبغي أن يكون فيما نص عليه كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ؛ وقد لعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه طبقًا لهذا الأمر، وذلك في قصته مع أم يعقوب التي جاءته بعد أن سمعته يلعن الواشمة وغيرها -كما في الصحيح- عن علقمة عن عبد الله : «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، المتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله تعالى»،

مالي لا ألعن من لعن النبيُ ﷺ .[1]

قال الحافظ ابن حجر : «وفي إطلاق ابن مسعود نسبة لعن من فعل ذلك إلى كتاب الله، وفهم أم يعقوب منه أنه أراد بكتاب الله القرآن وتقريره لها على هذا الفهم ومعارضتها له بأنه ليس في القرآن، وجوابه بما أجاب دلالةٌ على جواز نسبة ما يدل عليه الاستنباط إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ نسبة قولية، فكما جاز نسبة لعن الواشمة إلى كونه في القرآن لعموم قوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) مع ثبوت لعنه ﷺ من فعل ذلك، يجوز نسبة من فعل أمرًا يندرج في عموم خبر نبوي ما يدل على منعه إلى القرآن، فيقول القائل مثلاً : لعن الله من غيَّر منار الأرض في القرآن، ويستند في ذلك إلى أنه ﷺ لعن من فعل ذلك»[2].

ثانيًا - تحذير المدعوين من التزوير والغش على الآخرين.

إن الداعية إلى الله يقوم بدور فعال في توجيه المدعوين وتحذيرهم من المخالفات الشرعية.

ومن المخالفات التي قد توجد في مجتمع الدعوة الغش والتزوير على الآخرين، فعن سعيد بن المسيب قال : قدم معاويةُ المدينةَ آخر قدمة قدمها، فخطبنا فأخرج كبةً من

---

(1) صحيح البخاري كتاب اللباس، باب المتفلجات للحسن، ص١١٥٢، وصحيح مسلم مطولاً، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة، ص٨٨.

(2) فتح الباري ١٠/٣٧٣.

شعر قال: ما كنت أرى أحداً يفعل هذا غير اليهود، إن النبيﷺسماه الزور. يعني الواصلة في الشعر[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللهﷺقال: «من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا»[2].

وفي نهيهﷺعن وصل الشعر تربية لأمته على الصدق وعدم إيذاء المسلمين، فإن في الغش والتزوير على المسلمين من الإيذاء مالا يخفى.

ثالثًا - تذكير المدعوين بأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

في حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن امرأةً جاءتْ إلى رسولِ اللهﷺفقالتْ: إني أنكحْتُ ابنتي ثم أصابها شكوى فتمزّق رأسها، وزوجها يستحثني بها، أفأصل شعرها؟ فسبَّ رسولُ الله الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، مايفيد أنه إذا كان المأمور به مخالفا لأمر الله وأمر رسولهﷺ-كما في قصة هذه المرأة مع زوجها- فإنه لا ينفذ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بطاعة رسوله ﷺ، وجعل طاعته مرتبطةً بطاعته جلّ وعلا فقال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ

---

(1) إرشاد الساري ٦١٤/١٢.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ من حمل علينا السلاح فليس منا، ص٦٧.

(3) النساء: ٨٠.

النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾[1].

وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه بابًا قال فيه : [باب لا تطيع المرأةُ زوجَها في معصية] فعن عائشة رضي الله عنها أن امرأةً من الأنصار زوّجتْ ابنتَها فتمعط شعرُ رأسها، فجاءتْ إلى النبيﷺ فذكرتْ ذلك له فقالتْ : إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها. فقال : «لا، إنه قد لُعن الموصلاتُ»[2].

ولاشك أنه في حال الخلاف والتنازع يرجع إلى كتاب الله وسنة رسولهﷺ كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[3] وقد بين أهل العلم أن الرد إليه سبحانه هو إلى كتابه، وأن الرد إلى الرسولﷺ هو الرد إليه في حياته، وإلى سنتهﷺ بعد وفاته»[4].

رابعًا : حث المدعوين على سؤال أهل العلم عما يشكل عليهم.

في حديث أسماء بنت أبي بكر تذكر لنا قصة هذه المرأة التي أتت النبيﷺ تسأله عما أشكل عليها في أمر بنتها التي طلب زوجها وصل شعرها، فنهاها رسول

---

(1) النساء : ٦٩.

(2) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية، ص١٠٣١، وصحيح مسلم بنحو • كتاب اللباس والزينة باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، ص٨٧٩.

(3) النساء : ٥٩.

(4) وجوب العمل بسنة النبي ﷺ للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ص٣٩، ط دار المجتمع، الخبر.

اللهﷺعن ذلك، وفي هذا إرشاد للمسلم إلى سؤال أهل العلم عما يخفى عليه من حكم شرعي في أي مسألة من المسائل.

فعلى الدعاة إلى الله تربية المدعوين على هذا الأمر، وعلى المسارعة إلى سؤال أهل العلم في أي أمر يشكل عليهم حكمه الشرعي تطبيقًا لقوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[1]. وقد أثنت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على نساء الأنصار فقالت رضي الله عنها : «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[2].

ومن غلبه الحياء في السؤال لا يمنع أن يأمر غيره أن يسأل عنه كما فعل عليٌّ رضي الله عنه حيث قال : «كنت رجلاً مذاءً فأمرت المقداد أن يسأل النبيَّ ﷺ ، فسأله فقال : «فيه الوضوء»[3].

وكان صحابة رسول اللهﷺيحرصون على هذا الأمر، ويسألون رسول الله فيما يحلّ بهم من نوازل في حياتهم، فعن عقبة بن الحارث أنه تزوج ابنةً لأبي إهاب بن عزيز فأتته امرأةٌ فقالت : إني قد أرضعت عقبةَ والتي تزوج بها. فقال لها عقبة : ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني. فركب إلى رسول اللهﷺبالمدينة فسأله، فقال رسول اللهﷺ : «كيف وقد قيل !» ففارقها عقبة، ونكحت زوجًا غيره»[4].

---

(1) الأنبياء : ٧.

(2) سبق تخريجه، ص٣٥٤.

(3) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال، ص٥١، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الحيض، باب المذي، ص١٤٢.

(4) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله، ص٤٣.

ولاشك أن وسائل الاتصالات قد توفرت في هذا العصر بحمد الله، حيث يتمكن المسلم من السؤال عبر الهاتف أو الفاكس أو المكاتبة، ومن هنا لا ينبغي له أن يتساهل في الأمر، وعليه استغلال هذه الوسائل المتاحة للسؤال عما أشكل عليه في أمور دينه ودنياه.

خامسًا : رفع المنكرات لولاة الأمر .

إن من النصح لولي الأمر في المجتمع المسلم وإبلاغَه عن كل منكر ومن تسبب فيه.

ففي قول أبي هريرة في حديث الباب : أُتي عمرُ بامرأةٍ تشم.. الخ ما يدل على أنه ينبغي رفع المنكرات إلى ولاة الأمور نصحًا لهم، وتنفيذًا لأمر الله وأمر رسولهﷺالذي حث على النصح لولاة الأمر في حديثه الذي رواه أبو رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبيﷺقال : «الدين النصيحة» قلنا : لمن؟ قال : «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1]

ومن عظم النصح أن يقوم الداعية بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإنكار على المخالفين، وإبلاغ ولي الأمر عن كل مالا يستطيع تغييره امتثالاً لأمر الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ

(1) سبق تخريجه، ص١٠٦.

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] وتنفيذاً لأمر نبيه ﷺ الذي يقول : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[2].

فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يقوموا بهذا الواجب وفق هدي كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ بأي أسلوب مناسب وعبر الوسائل المختلفة، كالمقابلة والمهاتفة والمراسلة، وفي هذا حفظ لمجتمع الدعوة من مزالق الشر والفساد بمشيئة الله تعالى، وهو من التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله تعالى به : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[3].

سادساً : على ولاة الامر سؤال أهل العلم عما أشكل عليهم .

إن العلماء هم مصابيح الدجى ويرجع إليهم -بعد الله- لمعرفة الدليل الشرعي في المسألة إذا اشكل على ولاة الأمر، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرص كل الحرص على سؤال كبار العلماء عما يبدو له في بعض المواقف، كما في حديث أبي هريرة الذي بين فيه أن عمر رضي الله عنه أُتيَ بامرأةٍ تشم، فقال : أنشدكم بالله، من سمع من النبي ﷺ في الوشم؟ فقال أبو هريرة : فقمت فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين. أنا سمعتُ. قال : ماسمعتَ؟ قال : سمعت النبيَّ ﷺ يقول : «لا تَشِمْنَ ولا تَستَوْشِمْنَ».

---

(1) آل عمران : ١٠٤.

(2) سبق تخريجه، ص٢٤٢.

(3) المائدة : ٢.

وقد مرّ معنا في باب ما يذكر في الطاعون قيام عمر بن الخطاب بمشورة كبار الصحابة الذين كانوا معه وهم متوجهون إلى الشام بحثاً عن الرأي الذي فيه مصلحة المسلمين، وقد سار على نهجه من بعده من ولاة الأمر الصالحين، يسألون أهل العلم عما أشكل عليهم.

بل تم إنشاء المجمعات الفقهية والهيئات العلمية التي تضم كبار العلماء للنظر في المسائل العلمية.

سابعًا : الترهيب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله .

في قوله ﷺ : «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ والْمُسْتَوْصِلَةَ، والْوَاشِمَةَ والْمُسْتَوْشِمَةَ» مايفيد أن الإقدام على فعل شيء من ذلك سبب للعن والإبعاد عن رحمة الله.

وفيه من التخويف والترهيب ما يكفي لردع أي مسلم من الإقدام على هذه الأمور، إذ الناس كلهم في أمس الحاجة إلى رحمة الله التي وسعت كل شيء، ولا أحد يريد لنفسه أن يبعد عنها لأي سبب من الأسباب، فهذه من أساليب الدعوة ووسائله الناجحة المناسبة لطبيعة البشر، وهو أسلوب ينبغي على الدعاة الاستفادة منه في دعوتهم.

ثامنًا : حرص الدعاة على تربية المرأة.

إن المرأة المسلمة لها مكانتها في الأسرة، وبصلاحها يحصل الخير الكثير، وفي

أحاديث الباب يحذر رسول الله ﷺ عن بعض المنكرات التي قد تقع فيها المرأة، كوصل الشعر والوشم، وهما من الأمور المخالفة لهديه ﷺ، ومما لا شك فيه أن الجهل إذا وقع بين نساء المسلمين فإنه يؤدي إلى وقوع مفاسد عظيمة في المجتمع، وكثرة المعاصي والمنكرات؛ لذا كان على الدعاة أن يولوا هذا الجانب جلَّ اهتمامهم، وأن يعتنوا بالمرأة تربيةً على أحكام الإسلام، وتوجيهاً إلى مافيه صلاحها وفلاح المجتمع المسلم؛ لأن في تمسكها بهدي نبيها ﷺ حفظًا للأسرة المسلمة، وبصلاحها تصلح الأسرة بمشيئة الله تعالى، وهي مسؤولة عن هذا الأمر أمام الله سبحانه كما قال ﷺ: «...والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها..»[1].

وكثيراً ما كان عليه الصلاة والسلام يذكر ويبين لهن أحكام الإسلام، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك. فوعدهن يومًا لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: «مامنكن امرأةٌ تقدم ثلاثةً من ولدها إلا كان لها حجابًا من النار» فقالت امرأةٌ: واثنتين؟ فقال: «واثنتين»[2].

وما أجمل أن يبادر المسلم داعيةً ومدعواً إلى تعليم أهله ومن تحت يده أحكام الإسلام، فيكسب الأجر عند الله تعالى، كما بين ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل

---

(1) سبق تخريجه، ص١٧٥.

(2) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم، ص٤٥، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، ص١٠٥٦.

الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ ، والعبد المملوك إذا أدى حقَّ الله تعالى وحقَّ مواليه ، ورجل كانت عنده أمةٌ يطأها فأدبها فأحسن تأديبها ، وعلمها وأحسن تعليمَها ، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران»[1].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله، ص٤٤، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، ص٨٥.

باب عذاب المصورين يوم القيامة[1]

٥٨- عن مسلم قال : كنا مع مسروق في دار يسار بن نُمَير فرأى في صُفته تماثيلَ فقال : سمعتُ عبدَ الله قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ الْمُصَوِّرُونَ»[2].

رقم الحديث : [٥٩٥٠].

٥٩- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»[3].

رقم الحديث : [٥٩٥١].

---

(١) أي : هذا باب في بيان عذاب المصورين أي الذين يضعون الصور، ١٥/١٢٣، عمدة القاري، ١٥/١٢٣، والحديث أخرجه مسلم، في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ مافيه صورة غير ممتهنة بالفُرش ونحوه، والحديث رقمه ٢١٠٩.

(٢) مطابقته للترجمة ظاهرة، عمدة القاري ١٥/١٢٣.

(٣) مطابقته للترجمة ظاهرة في عمدة القاري ١٥/١٢٥، وطرفه في كتاب التوحيد باب قوله تعالى «الله خلقكم وما تعلمون..» رقم الحديث ٧٥٥٨ وأخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ مافيه صورة غير ممتهنة بالفُرش ونحوه، والحديث رقمه ٢١٠٨.

باب نقض التصاوير[1]

٦٠- عن عمران بن حطان[2] أن عائشة رضي الله عنها حدثته أن النبيﷺلم يكن يترك في بيته شيئًا من تصاليب إلا نقضه»[3].

رقم الحديث : [٥٩٥٢].

٦١- عن أبي زرعة قال : دخلت مع أبي هريرة دارًا بالمدينة، فرأى أعلاها مصورًا يصور، قال : سمعت رسول اللهﷺيقول :«وَمَنْ أَظْلَمَ مِمَنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فليخلقوا حَبَةً، ولِيَخْلُقُوا ذَرَةً» ثم دعا بتور من ماء فغسل يديه إلى إبطه. فقلت : يا أبا هريرة، أشيء سمعته من رسول الله؟ قال : منتهى الحلية[4].

رقم الحديث [٥٩٥٣].

---

(١) أي : هذا باب في بيان نقض الصور والمراد بالنقض بفتح النون وسكون القاف وبالضاء المعجمة من نقض الشيء، وهو تعبير هنته ونحوه، عمدة القاري، ١٥/١٢٥.

(٢) هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي البصري، من أعيان العلماء، لكنه من رؤوس الخوارج، قال أبو داود: ليس في أهل الأهواء أصح حديثًا من الخوارج ثم ذكر عمران. روى عنه ابن سيرين وقتادة ويحيى بن أبي كثير، مات سنة أربع وثمانين.
سير أعلام النبلاء ٤/٢١٤-٢١٦.

(٣) مطابقته للترجمة ظاهرة عمدة القاري ١٥/١٢٥.

(٤) الحديث طرفه كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: «الله خلقكم وما تعلمون» رقم ٧٥٥٩ والحديث أخرجه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ مافيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، والحديث رقمه ٢١١١ وليس في الحديث تعرض الى النقض ولم تبق المطابقة الا في لفظ : الصورة فقط. عمدة القاري ١٥/١٢٦.

الموضوع الدعوي

يبين رسول الله ﷺ في الأحاديث السابقة حرمةَ التصوير وعقوبةَ المصورين يومَ القيامة، وقد وردت الأحاديث عن النبي ﷺ تبين تحريم تصوير كل ذي روح آدميًا كان أو غيرَه، منها ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صوّر صورةً في الدنيا كلِّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ»[1]

قال ابن قدامة رحمه الله: «وصنعة التصاوير محرمة على فاعلها؛ لما روى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»[2]. وعن مروان قال: دخلنا مع عبد الله بيتًا فيه تماثيل فقال لتمثال منها: تمثال منْ هذا؟ قالوا: تمثال مريم، قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ الْمُصَوِّرُونَ، والأمر بعَمِله محرم كعَمَلِه»[3].

وقال الذهبي رحمه الله تعالى: «وأما الصور فهي كل مصور من ذوات الأرواح، سواء كانت لها أشخاص منتصبة أو كانت منقوشة في سقف أو جدران أو موضوعة في

---

[1] صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ، ص١١٥٦، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ مافيه صورة غير ممتهنة بالفرش، ونحوه، ص٨٧٦.

[2] صحيح البخاري كتاب اللباس باب عذاب المصورين يوم القيامة ص ١١٥٥ وصحيح مسلم كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان، وتحريم اتخاذ مافيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه ص ٨٧٢.

[3] المغني لابن قدامة ١٠/٢٠٢، ط هجر.

نمط، أو منسوجة في ثوب أو مكان، فإن قضية العموم تأتي عليه فلتجتنب»[1].

وقد ورد لفظ «أشد الناس عذابًا عند الله المصوررون» وأشكل على البعض؛ إذ إن الله ذكر في كتابه عن آل فرعون فقال: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[2].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وقد استشكل كون المصور أشدَّ الناس عذابًا من ال فرعون، وأجاب الطبري بأن المراد هنا من يصور مايعبد من دون الله وهو عارف بذلك، قاصد له، فإنه يكفر بذلك، فلا يبعد أن يدخل مدخل آل فرعون، وأما من لا يقصد ذلك فإنه يكون عاصيًا بتصويره فقط. وقال ابن الوليد بن رشد في مختصر مشكل البخاري ما حاصله: «إن الوعيد بهذه الصيغة إن ورد في حق كافر فلا إشكال فيه؛ لأنه يكون مشتركًا في ذلك مع آل فرعون، ويكون فيه دلالة على عظم كفر المذكور، وإن ورد في حق عاصٍ فيكون أشدَّ عذابًا من غيره من العصاة، ويكون ذلك دالاً على عظم المعصية المذكوة»[3].

وفي تحريم صنعة الصور سدٌ لوسائل الشرك، حيث إن الشرك دخل من هذا الطريق، وكانت التماثيل سببًا من الأسباب القوية في رد البشرية إلى الوثنية مرة ثانية بعد أن أنقذها اللهُ منها بإرسال آدم ونوح، وقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا

---

(1) الكبائر للذهبي، ص٢٣٢، ط دار ابن زيدون، بيروت.

(2) غافر: ٤٦.

(3) فتح الباري ٢٨٣/١٠-٢٨٤.

﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً﴾[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت لقوم نوح في العرب بعدُ: أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني قطيف بالجوف عند سبإٍ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسرٌ فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلمُ عبدت»[2].

وإن الناظر إلى واقع العالم الإسلامي اليوم ليعلم خطرَ التساهل في هذا الأمر على عقيدة المسلمين.

الفوائد الدعوية:

أولاً: تذكير المدعوين بشدة العذاب للمصورين يوم القيامة.

ثانيًا: على الداعية تربية أسرته على إزالة المنكرات من البيوت.

ثالثًا: نشر العلم بين المدعوين وتحذيرهم من الوقوع في المخالفات الشرعية.

رابعًا: أنواع التصوير وبيان أحكامه.

---

(١) نوح: ٢٣-٢٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب «ولا تذرن ودًا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق...»، ص٩٧١.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : تذكير المدعوين بشدة العذاب للمصورين يوم القيامة .

إن المسلم بحاجة إلى التذكير بما يقع يوم القيامة من الأمور التي يشيب من هولها الولدان، وقد روى عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ الْمُصَوِّرُونَ». هذا في حق المصور، فكيف بحق من ترك الصلاة ، وأكل الربا ، ومنع الزكاة، وعق والديه، إن الأمر خطير وجد خطير، وقد كان عليه الصلاة والسلام يذكر أصحابه بأحوال الموقف العظيم ليتأهبوا ويجدّوا في العمل ويستعدوا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في دعوة، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة وقال : «أنا سيد القوم يوم القيامة، هل تدرون بم؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه الى ما بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم...»[1].

فعلى الداعية إلى الله أن يذكر المدعوين بشدة عذاب الله للمصورين كما يذكرهم بأهوال يوم القيامة، وما أعده الله لمخالفي أمره تعالى من عقاب أليم وعذاب مقيم، وبما أعده الله للصادقين المخلصين مع الله من ثواب جزيل ونعيم كبير، ويحثهم على الخوف من الله والرجاء فيما عنده من الرحمة والعفو كما قال ﷺ : «لو يعلم المؤمن ماعند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ماعند الله من الرحمة ما

---

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجلّ ولقد ارسلنا نوحًا إلى قومه، ص٦٣٧، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الإيمان، باب ادنى أهل الجنة منزلة فيه، ص١٠٩.

قنط من جنته أحد»[1].

ثانيًا : على الداعية تربية أسرته على إزالة المنكرات من البيوت.

إن الداعية قدوته في هذه الحياة رسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..﴾[2]. لذا عليه أن يقتفي أثر رسول الله ﷺ في جميع أموره، ومن ذلك إزالة المنكر من بيته وتربية أفراد أسرته على ذلك تأسيًا بالرسول ﷺ كما في حديث عمران بن حطان «أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئًا من تصاليب إلا نقضه». وهكذا كان هديه ﷺ في إزالة المنكر من بيته إذا رآه فعن عائشة رضي الله عنها قالت «دخل عليَّ النبي ﷺ وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه وتلون وجهُه وقال : «يا عائشة، أشد الناس عذابًا يومَ القيامةِ الذينَ يُضاهُونَ بخلقِ اللّه» قالت عائشة : فقطعناه فجعلنا منه وسادةً أو وسادتين»[3].

وعن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نمرقة[4] فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخله، فعرفت في وجهه الكراهة. قلت : يارسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله، ما أذنبت؟ قال : «ما بال هذه

---

(1) صحيح مسلم، كتاب التوبة في سعة رحمة الله تعالى وانها سبقت غضبه، ص١١٠٢.

(2) الأحزاب : ٢١.

(3) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ مافيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، ص٨٧٤، ط بيت الأفكار الدولية.

(4) نُمْرقَة : أي : وسادة وهي بضم النون والراء وبكسرها وبغيرها وجمعها نمارق، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١١٨/٥.

النمرقة؟» فقالت: اشتريتها لتقعد عليها وتوسدها. فقال رسول الله ﷺ «إنَّ أصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبونَ فَيُقَالَ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»[1].

إن المتأمل في عصرنا الحاضر يرى بعض البيوت وقد امتلأت بالصور التي نهى الله تعالى عنها، فعلى الداعية إلى الله أن يبذل وسعه في القضاء على هذه الصور، امتثالاً لقوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[2].

ثالثًا: نشر العلم بين المدعوين وتحذيرهم من الوقوع في المخالفات الشرعية.

إن من صفات الداعية إلى الله أنه متزود وملم بالقدر الكافي من العلم الشرعي الذي يؤهله للدعوة إلى الله، وفي تبصير المسلمين بأمور دينهم، وبيان ما خفي عليهم منها، وقد فضل الله العالم على غيره فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3].

وفي حديث الباب نجد مسلمًا يذكر ما رأى من مسروق في دار يسار بن نمير في صفته من تماثيل، فبين ما سمعه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ «إنَّ أشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ الْمُصَوِّرُونَ».

وفي موقف آخر يدخل أبو زرعة مع أبي هريرة دارًا بالمدينة، في أعلاها مصورٌ

---

(1) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء، ص٣٩٧.

(2) سبق تخريجه، ص٢٤٢.

(3) المجادلة: ١١.

يصور فيقول أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ﴾.

إن دور الداعية إلى الله البلاغ والنصح للمسلمين في كل وقت، وفي كل مكان، ولا يكون ذلك إلا بحفظ العلم والحرص على نشره، وقد قال عليه الصلاة والسلام : «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين، وإِنَّما أَنَا قاسِمٌ واللَّهُ يُعْطِي، ولَنْ تَزَالَ هذه الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حتَى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّه»[1].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما قال : قال النبيّ : «لا حسد إلا في اثْنَتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[2].

فعلى الدعاة إلى الله الاهتمام بهذا الأمر الهام الذي به فهم أحكام الإسلام، وسلامة المجتمع من الشر والمخالفات الشرعية؛ إذ بنشر العلم الشرعي يعرف المدعوون الحلال والحرام.

رابعًا : أنواع التصوير وبيان أحكامه.

إن ما يصور على هيكل جسم إنسان أو حيوان قد أجمع العلماء على تحريمه، كذا تصوير صورة ليس لها جسم بل بالتلوين والتخطيط، فهذا أيضًا محرم؛ لقوله ﷺ «ومَنْ أَظْلَمَ مِمَنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حبة وليخلقوا ذرة».

---

(1) سبق تخريجه، الطب، ص١٩٢.

(2) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم، ص٣٩.

أما التصوير الفوتوغرافي، وهو ما يلتقط بأشعة معينة بدون أي تعديل أو تحسين من الملتقط، فهذا محل خلاف بين العلماء المعاصرين، كما ذكر ذلك فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين حيث قال :

القول الأول : أنه تصوير وإن كان كذلك فإن حركة هذا الفاعل للآلة يعد تصويراً؛ إذ لولا تحريكه إياها ما انطبعت هذه الصورة على هذه الورقة، ونحن متفقون على أن هذه صورة، فحركته تعتبر تصويراً، فيكون داخلاً في العموم.

القول الثاني: أنها ليست بتصوير؛ لأن التصوير فعل المصور، وهذا الرجل ما صورها في الحقيقة إنما التقطتها الآلة، والتصوير من صنع الله، ويوضح ذلك مالو أدخلت كتاباً في آلة تصوير ثم خرج من هذه الآلة، فإن رسم الحروف من الكاتب الأول لامن المحرك.

ولكن هل يحل هذا الفعل أم لا؟.

الجواب : إذا كان لغرض محرم صار حراماً، وإذا كان لغرض مباح صار مباحاً؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد، وإذا كان لغرض مباح كما يوجد في التابعية والرخصة والجواز وما أشبهه فهذا يكون مباحاً»[1].

---

(1) القول المفيد على كتاب التوحيد شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. جمع وإخراج د/ سليمان بن عبد الله أبا الخيل، والدكتور خالد بن علي المشيقح ٢٥٣/٣ بتصرف. ط دار ابن الجوزي.

الفصل الثالث

كتاب الأدب

تمهيد :

الأدب في اللغة: ما يتأدب به الأديب من الناس، سمِّي أدبا لأنّه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح.

وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس: مدعاة ومأدبة.

وسمي الأدب أدباً لأنّه يدعو إلى المحامد. [1]

فالأدب في اللغة: يقصد به حمل المدعوين على خصال الخير.

وفي الاصطلاح: هو تعلم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق.[2]

وقال ابن القيم: «الأدب اجتماع خصال الخير في العبد ومنه المأدبة، وهي الطعام الذي يجتمع عليه الناس» .

وقال القسطلاني: «هو الأخذ بمكارم الأخلاق أو استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً وهو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك أو الوقوف مع المستحسنات»[3].

وكان العرب في الجاهلية يهتمون بمكارم الأخلاق من كرم الضيافة وحماية حقوق الجار، ونصرة المظلوم، والصدق في الحديث، والدفاع عن الأعراض. وقد قال

---

(1) لسان العرب ٢٠٦/١ مادة [ادب]

(2) تاج العروس ١٤٤/١

(3) إرشاد الساري للقسطلاني ٣/١٣.

عليه الصلاة والسلام: «تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».[1]

وقد بعث الله نبيَّه عليه الصلاة والسلام ليتمم مكارم الأخلاق فقال ﷺ: «إنّما بعثتُ لأتمم مكارمَ الأخلاق»[2] فرسالته ﷺ امتداد لرسالات الرسل السابقين التي تحث على التحلي بمكارم الأخلاق والابتعاد عن مساوئها، وقد وصف الله نبيَّه بحسن الخلق فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله-: «أي مستقل بالخلق الذي منَّ الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم ما فسرته به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمن سألها عنه فقالت: «كان خلقه القرآن»[4] وذلك نحو قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[6] الآية. وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم

---

(1) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى} ص ٦٧٢، ط، بيت الأفكار الدولية.
وصحيح مسلم بنحوه كتاب فضائل الصحابة باب خيار الناس، ص١٠٢١.

(2) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٣٨١، والحاكم في المستدرك ٢/٦١٣، وصححه على شرط الإمام مسلم.

(3) القلم: ٤

(4) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب جامع صلاة الليل ص ٢٩٣. وانظر مكارم الأخلاق لابن تيمية ص١١.

(5) الأعراف: ١٩٩.

(6) آل عمران: ١٥٩.

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1] وما أشبه ذلك من الآيات الدالات على اتصافه ﷺ بمكارم الأخلاق، والآيات الحاثات على كل خلق جميل، فكان له منها أكملها وأجلّها، وهو في كل خصلة منها في الذروة العليا، فكان ﷺ سهلاً ليناً قريباً من الناس، مجيباً لدعوة من دعاه، قاضيا لحاجة من استقضاه، جابراً لقلب من سأله، لا يحرمه ولا يرده خائباً، وإذا أراد أصحابه منه أمراً وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإذا عزم على أمر لم يستبدّ به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليساً إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة بل يحسن إليه غاية الإحسان، ويتحمله غاية الاحتمال»[2]

وقد جعل الرسول ﷺ التحلي بالخلق المحمود من كمال الإيمان فقال: «أكمل المومنين إيمانا أحسنهم خلقاً»[3] وحثّ عليه الصلاة والسلام أمتَه على الأخذ بمكارم الأخلاق فقال: «إنّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد ولا يبغي أحدٌ على أحد»[4] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبيناً

---

(1) التوبة: ١٢٨.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٨١٤، ط الرسالة.

(3) سنن أبي داود كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ص ٧١٠. وسنن الترمذي بزيادة «وخياركم خياركم لنسائهم» كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ٤/ ١٣٥.

(4) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، ص١١٤٩.

مبادئ أهل السنة والجماعة في هذا الجانب: «ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً» وشبك من أصابعه[1]. وقوله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[2] ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضاء بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً»[3]. ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء، والبغي والاستطالة على الخلق بحقٍ أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفاسفها، وكل ما هم يقولونه ويفعلونه من هذا

---

(1) صحيح البخاري كتاب المظالم باب نصر المظلوم ص ٤٦١ .
وصحيح مسلم كتاب البر والصلة والآدب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ، ص١٠٤١.

(2) صحيح البخاري ، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ، ص١١٦٤ .
وصحيح مسلم بنحوه كتاب البر والصلة والآدب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، ص١٠٤١ .
وسيأتي شرح هذا الحديث مفصلاً في ص٤٩١ من هذه الرسالة.

(3) سبق تخريجه ص٤١٧.

وغيره فإنما هم متبعون للكتاب والسنة» .[1]

وقد نالت أحاديث رسول الله ﷺ المتعلقة بالأخلاق اهتمام علماء السنة، وحرصوا على تدوينها كغيرها من أحاديثه عليه الصلاة والسلام، ومن هؤلاء العلماء الإمام البخاري رحمه الله تعالى، حيث عقد في صحيحه كتاب الأدب، بل أفرد كتاباً مستقلاً سماه الأدب المفرد [2].

---

(1) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية مع شرحها لمعالي الشيخ الدكتور صالح الفوزان ط مكتبة المعارف بالرياض، ٢١٥.

(2) طبع مع شرحه للشيخ فضل الله الجيلاني عام ١٣٧٨ هـ بالمطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

كتـــاب الأدب

باب من أحق الناس بحسن الصحبة[1]

٦٢- عن أبي هريرة [2] رضي الله عنه قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال :«أمُّك» . قال: ثم من ؟ قـــال : «أمُّك» . قـــال : ثم من؟ قـــال :«أمُّك». قـــال : ثم من ؟ قـــال : «ثم أبوك»[3].

رقم الحديث: [٥٩٧١].

(١) أي هذا باب يذكر فيه من أحق الناس أن يصحب بحسن الصحبة ، يقال صحبه يصحبه صحبة بالضم وصحابة بالفتح . انظر : عمدة القاري للعيني ١٤١/١٥ .

(٢) سبق ترجمته، انظر ص ٨٠.

(٣) مطابقة الحديث للترجمة : ظاهرة، عمدة القاري، ١٤١/١٥ .
والحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والأدب ، باب بر الوالدين رقم الحديث : ٢٥٤٨.

الموضـوع الدعـوي

لقد وضع الإسلام الوالدين في مكانة عالية، وجعل لهما حقوقاً وواجبات في مكانة عالية، وجعل لهما حقوقاً وواجبات بينها الله في كتابه وبينها رسول الله ﷺ في سنته وفي حديث الباب يظهر لنا اهتمام الإسلام بحق الوالدين وخصوصاً الأم حيث يبين لنا رسول الله ﷺ أن لها ثلاثةَ حقوق، وقد أوصى الله عبادَه المؤمنين بالإحسان إلى الوالدين. فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا...﴾[1] وبيَّن العلماء سببَ تقديم الأم على الأب بحسن الصحبة في الحديث فقال ابن بطال: «مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، وكان ذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع، فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها، ثم تشارك الأب في التربية، وقد وقعت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ...﴾[2] فسوى بينهما في الوصاية، وخص الأمَّ بالأمور الثلاثة»[3].

وقال الإمام العيني: «إن محبة الأم والشفقة عليها ينبغي أن تكون أمثال محبة الأب ؛ لأنه ﷺ كررها ثلاثاً وذكر الأب في الرابعة فقط، وإذا تؤمل هذا المعنى شهد له العيان، وذلك أن صعوبة الحمل والوضع والرضاع والتربية تنفرد بها الأم وتشقى بها دون الأب، فهذه ثلاث منازل يخلو منها الأب، وحديث أبي هريرة

---

(1) العنكبوت: ٨.

(2) لقمان: ١٤.

(3) فتح الباري ١٠/٤٠٢.

يدل على أن طاعة الأم مقدمة، وهو حجة على من خالفه»[1].

وقال الشيخ فضل الله الجيلاني شارح كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري في سبب تقديم الأم: «والأظهر أن يكون تأكيداً ومبالغةً في رعاية حق الأم، وذلك لتهاون أكثر الناس في حق الأم بالنسبة إلى الأب ؛ لأن أمر الأم كله في البيت تحت السور ولا يطلع عليه الناس، فيجتريء الناس على عقوقها أكثر من عقوق الوالد حياءً من الناس. وكذا قوته تزجر عن الجرأة عليه، وضعفها يحمل الدنيء على الإساءة إليها، ولا يبعد أن الشريعة بالغت في البر بها أكثر من البر بالأب مواساةً لها، ومراعاةً لضعف قلوب النساء، وشفقةً على الولد، مع أن الأب ليس أنقص حقاً من حقوقها ؛ لأن الأم للين طبعها، وضعف بنيتها لا تستطيع أحياناً أن تتحمل إساءة وسوء خلق فتعجل أن تغضب فتسرع بالدعاء عليه»[2].

وثَمَّ سبب آخر وهو جهل الولد بما عانته الأم من تعب وشقاء في سن طفولته حين لا يعقل، ولذلك أكد على أداء حقها حفظاً لكرامتها ؛لأن الطفل ينشأ في الغالب مع أبيه بعد كبره ويتعلق به لتحقيق كل ما يطلب. والله أعلم.

---

(١) عمدة القاري، ١٥/١٤٢.

(٢) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للجيلاني ١/٤٥، ط المطبعة السلفية، القاهرة.

الفوائد الدعوية:

أولاً: أدب المتعلم مع العالم.

ثانياً: فضل بر الوالدين وحسن صحبتهما.

ثالثاً: تلطف الداعية مع المدعوين في تلقي أسئلتهم والإجابة عنها.

رابعاً: على الداعية أن يبدأ بالأهم فالأهم وأثر هذا في مجال الدعوة.

خامساً: حثّ المدعوين على الفقه في الدين.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: أدب المتعلم مع العالم.

في سؤال الصحابي لرسول الله ﷺ وتكريره للسؤال بقوله: «ثم منْ؟» ما يدل على حسن أدب المتعلم مع العالم في السؤال، حيث لم يقل: «لماذا ؟» و «ما السبب؟» بل سأل عن الأحق بالصحبة ورسول الله ﷺ يجيب .

وفي حسن السؤال للمتعلم أثر عظيم في تحصيل العلم، وقد تأدب الصحابة رضوان الله عليهم مع رسول الله ﷺ بأسئلتهم، حتى إذا ما رأوا أمراً غريباً حصل لرسول الله ﷺ تأخروا بطرح السؤال مخافة أن يكونوا أساؤوا لرسول الله ﷺ . فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة رضي الله عنه، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلي

عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟. قال :فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله ﷺ : «قولوا :اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد، والسلام كما قد علمتم» [1].

ولا شك أن لأدب المتعلم مع العالم أثراً كبيراً في تحصيل العلم الشرعي، فليحرص طالب العلم على التحلي بالأدب مع العلماء والدعاة إلى الله[2]. وقد أولى العلماء التأليفَ في آداب المتعلمين أهميةً خاصة وذلك لمكانة هذا الأمر في حياة طالب العلم، وكونه سبباً هاماً في تحصيله العلمي واستفادته.[3]

ثانياً: فضل بر الوالدين وحسن صحبتهما.

إن لبر الوالدين فضلاً عظيماً عند الله، فهو من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله، وفي حديث الباب بيَن الرسول ﷺ أحقَّ الناس بحسن الصحبة في هذه الحياة وهما الوالدان، وفي حديث آخر يذكر رسول الله ﷺ أن بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله تعالى،فعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ : أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على

---

(1) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، ص١٧٤.

(2) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٣٠ - دار ابن الجوزي.

(3) انظر مثلاً كتاب، المجموع للإمام النووي المقدمة. وأدب الدنيا والدين لابن أبي الدنيا، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر وحلية طالب العلم، د. بكر أبو زيد.

وقتها» . قال: ثم أي ؟ قال: «ثم بر الوالدين» . قال: ثم أي ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» [1].

وقد أمر الله ببرهما والإحسان إليهما فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا... ﴾[2] ولبيان فضل الإحسان للوالدين جمع بينه وبين عبادته سبحانه وتعالى فقال: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[3].

و لبر الوالدين وحسن صحبتهما أثر عظيم على المسلم في حياته، فضلاً عما يناله من الأجر العظيم عند الله.

فمن أثر بر الوالدين على المسلم قبولُ الدعاء، وهذا الذي يفيده الحديث الذي رواه أُسَيْر بن عمرو ويقال: ابن جابر قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتى عليه أمداد[4] أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر ؟ حتى أتى على أويس رضي الله عنه فقال له: أنت أويس بن عامر ؟، قال: نعم. قال: من مراد ثم من

---

(١) صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب فضل الصلاة لوقتها ص ١٢١ وصحيح مسلم بنحوه كتاب الإيمان باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، ص٦٢

(٢) العنكبوت: ٨

(٣) الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤

(٤) الأمداد: جمع مدد وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يمدون المسلمين في الجهاد، لسان العرب ٣/ ٣٩٨.

قرن ؟[1]. قال : نعم. قال : فكأن بك بر صاً فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال : نعم. قال : لك والدة؟. قال : نعم . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :«يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر[2] لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت يستغفر لك فافعل» . فاستغفرلي . فاستغفر له. ...»[3]. الحديث

فعلى الدعاة أن يبينوا للمدعوين فضل بر الوالدين وحسن صحبتهما كما حث على ذلك رسول الله ﷺ ، ففي هذا الفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: تلطف الداعية مع المدعوين في تلقي أسئلتهم والإجابة عنها .

في حديث الباب يتبين لنا كيف كان عليه الصلاة والسلام يتلطف مع المدعوين في تلقي أسئلتهم والرد عليها دون تعنيف ولا تشديد، فهذا الصحابي يسأل ويكرر السؤال ورسول الله ﷺ يجيبه برحابة صدر وحسن خلق، وهذا مما تفضل به الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ، فقد وصفه ربه تعالى بقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[4]

---

(1) قرن ومراد اسما قبيلة، وقرن : بطن من مراد، وهو قرن بن ردمان.

(2) أي بالغ في البر والإحسان إليها . وقوله ﷺ : « لو أقسم ..» أي لو حلف على الله بأمر من الأمور...

(3) صحيح مسلم كتاب، فضائل الصحابة، باب: من فضائل أويس القرني، ص ١٠٢٧.

(4) آل عمران : ١٥٩.

وكان ﷺ آية في حسن التعامل مع المدعوين.

إن التلطف مع المدعوين له أثره العظيم في نشر العلم الشرعي والدعوة إليه، فعلى الدعاة إلى الله أن يهتدوا بهدي رسول الله ﷺ في حسن التعامل مع المدعوين امتثالاً لأمر الله تعالى القائل: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[1].

<u>رابعاً: على الداعية أن يبدأ بالأهم فالأهم.</u>

في قوله ﷺ: «أمك» جوابا للسائل عن أحق الناس بحسن الصحبة ما يبين أن المسلم يبدأ في أموره وشؤونه بالأهم فالأهم، فلا شك أن حق الأم عظيم في حسن الصحبة، وأهم من غيرها، فيجب أن يقدم المسلم البر بها والإحسان إليها على البر والإحسان بأي مخلوق من المخلوقين، قال القرطبي: ففائدة تكراره ﷺ للأم ثلاثاً هو المبالغة في القيام بحق الأم، وأن حقها مقدم عند تزاحم حقها وحقه.[2]

<u>خامساً: حثّ المدعوين على الفقه في الدين.</u>

في سؤال الصحابي لرسول الله ﷺ عن أحق الناس بحسن صحابته ما يدل على حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الفقه في الدين. وهذا أمر مهم في

---

(1) النحل: ١٢٥.

(2) المفهم للقرطبي ٦/٥٠٨.

حياة المسلمين عموماً، وقد بين الله فضل العلم وأهله فقال تعالى: ﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿ ... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[2]. قال عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: «. . . من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة»[4].

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين فضل الفقه في الدين والحرص على السؤال عما يشكل عليهم.

---

(1) الزمر: ٩

(2) فاطر: ٢٨.

(3) سبق تخريجه انظر ص ١٩٢.

(4) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ص ١٠٨٢.

باب لا يسب الرجل والديه[1]

٦٣- عن عبد الله[2] بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أكبر الكبائر أن يلعَن الرجلُ والديه» قيل: يا رسولَ الله، وكيفَ يلْعنُ الرجلُ والديه؟ قال: «يَسُبُّ الرجلُ أبا الرجل، فَيسُبُّ أباه، ويَسُبّ أمه»[3].

رقم الحديث: [٥٩٧٣].

---

(١) أي هذا باب يذكر فيه لا يسب الرجل والديه، وهذا الإسناد مجازي لأنه صار سبباً لسب والديه. انظر: عمدة القاري للعيني، ١٤٣/١٥.
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وترجم بلفظ السب، وساقه بلفظ اللعن إشارة إلى ما وقع في بقية الحديث، وقد وقع أيضاً في بعض طرقه، وهو في الأدب المفرد من طريق عروة بن عياض، سمع عبد الله بن عمرو يقول: « من الكبائر عند الله أن يسب الرجل والدَه ......»
انظر: فتح الباري ٤٠٣/١١.
ويضاف إلى ما ذكره الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى أن البخاري أراد بيان فائدة من فوائد الحديث، وهو أنه استنبط من لفظ اللعن عمومَ السب؛ لأن الحديث جاء لضرب المثال على العقوق لا لحصر العقوق بهذا، وهذا من فقه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في تراجم الكتاب، حيث اختار السب ولم يختر اللعن لأنه يفيد المطلوب. والله أعلم.

(٢) هو عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو القرشي السهمي كنيته أبو محمد عند الأكثر أسلم قبل أبيه ويقال لم يكن بين مولدهما إلا اثنتا عشرة سنة. مات بالشام سنة خمس وستين.
الاصابة في تمييز الصحابة ١٩٢/٤-١٩٣.

(٣) مطابقته للترجمة تفهم من معنى الحديث. انظر: عمدة القاري للعيني، ١٤٣/١٥
والحديث أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ص٦٣.

الموضـوع الدعـوي

يبين لنا رسـول الله ﷺ في هذا الحـديث عظم حق الأبوين في الإسـلام، وحرص الإسـلام على سـدّ الأسـباب المؤدية إلى إيذائهـما، حيث قال ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه» وتعجب الصحابة رضوان الله عليهم من هذا الأمر ؛لأن الفطرة السليمة تأبى ذلك، فقيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ فقال:«يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمّه».

«فبين في الجواب أنّه وإن لم يتعاط السب بنفسه في الأغلب الأكثر، لكن قد يقع منه التسبب فيه وهو مما يمكن وقوعه كثيرا»[1].

قال الشيخ محمد أبو جمرة: «فيه العمل بالغالب، لأنّ الذي يسب أبا الرجل يجوز أن يسب الآخر أباه، ويجوز ألا يفعل، لكن الغالب أن يجيبه بنحو قوله»[2].

ولعن الوالدين من الكبائر كما بين الرسول ﷺ في حديث الباب، وهو من الأمور الموجبة لغضب الله تعالى ولعنه كما قال عليه الصلاة والسلام: «لعن الله من لعن والديه...»[3]. ومن الكبائر أن يسلك الطريق الذي يؤدي به إلى لعن والديه بطريق غير مباشر. قال الشيخ أبو جمرة: «فيه إثبات الكبائر»[4].

إن الإسلام ربى المسلمين على تعظيم حقوق الوالدين والبعد عن كل ما يؤدي

---

(1) فتح الباري: ٤٠٤/١٠، وانظر ارشاد الساري ٧/١٣.

(2) فتح الباري: ٤٠٤/١٠.

(3) صحيح مسلم.. كتاب الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، ص٨١٩.

(4) فتح الباري ٤٠٤/١٠.

إلى عقوقهما. وهذا ما أوصى الله به عباده المؤمنين فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[1] ومن الإحسان أن يحفظ كرامتهما في هذه الحياة ويبعد عن كل الأسباب المؤدية إلى النيل من حقوقهما.

الفوائد الدعوية

أولاً: بيان تفاوت الذنوب.

ثانياً: تحذير المدعوين من اللعن.

ثالثاً: بيان أهمية مراجعة المدعو للداعية فيما أشكل عليه من كلامه.

رابعاً: تحذير المدعوين من الجناية على الوالدين.

خامسا: حرص الإسلام على سد الأسباب المؤدية إلى المحرم.

سادساً: الحرص على تعليم الناس الخير.

سابعاً: الترهيب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

---

(1) لقمان: ١٤.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: بيان تفاوت الذنوب.

يدل قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الباب :«إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»، واستخدامه ﷺ لصيغة التفضيل وحرف «من» التي تفيد التبعيض على تفاوت الذنوب التي يرتكبها العبد، وأن خطورتها تختلف من ذنب إلى آخر، كما يدل على تفاوت درجات الكبائر، وأن من أكبرها ما ذكره ﷺ في هذا الحديث، وقد كان رسول الله ﷺ - وهو الرؤوف الرحيم بالمؤمنين - يحذّر أصحابَه من بعض الذنوب التي تشكل خطراً على حياتهم سواء في دينهم أو دنياهم، ومن ذلك ما رواه أبو بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» قلنا: بلى يا رسول الله قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس فقال :«ألا وقول الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت» متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :«اجتنبوا السبع الموبقات[2] قالوا: يا رسول الله وما هن ؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرمها الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» متفق عليه.[3]

---

(1) سبق تخريجه انظر ص ٣٦١.

(2) الموبقات: المهلكات.

(3) سبق تخريجه انظر ص ٢١٩.

فعلى كل مسلم الحذر من الوقوع في الذنوب عامة ومن التي تسبب غضب الرب واللعنة وهلاك العباد والبلاد خاصة.

ثانياً: تحذير المدعوين من اللعن.

في قوله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه..» الخ. ما يدل على حرمة اللعن، وأنه يشتد إذا كان اللعن سيصل إلى الوالدين نسأل الله السلامة والعافية.

واللعن خلق ذميم حذر منه الرسول ﷺ وحرمه على أمته، وقد قال عليه الصلاة والسلام واصفاً المؤمنَ الحقَّ «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» رواه الترمذي (١). وقال عليه الصلاة والسلام: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا»(٢).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم تجد مساغاً(٣) رجعت إلى الذي

---

(١) سنن الترمذي ١٩٧٨، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعن ٦/١٩٩، وقال حديث حسن غريب، ومسند الإمام أحمد ١/٤٠٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ص ١٠٤٤.

(٣) أي مدخلاً وطريقاً.

لعن، فإن كان لذلك أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها»[1]

بل تعدى الأمر في الإسلام إلى التحذير من لعن حتى البهائم، فعن أبي برزة بن عبيد الأسلمي رضي الله عنه قال: بينما جارية على ناقة عليها بعض متاع القوم، إذ بَصُرَتْ بالنبي ﷺ وتضايق بهم الجبل، فقالت: حَلَ اللهم العنها، فقال النبي ﷺ: «لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة»[2].

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين حرمة لعن المسلم، أما لعن أهل المعاصي غير المعينين فلا حرج في ذلك كما قال تعالى: ﴿...ألا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[3] ولعن رسول الله ﷺ أهل المعاصي فقال ﷺ: «لعن الله من لعن والديه»[4] وقال عن المدينة: «من أحدث فيها حدثا أو أوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[5] إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في لعن أهل المعاصي دون تعيين الأشخاص.

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الأدب باب في اللعن، ص٧٤٢، وله شاهد من حديث أبي معدد عند الإمام أحمد في المسند رقم ٣٨٧٦ - ٤٠٣٦.

(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ص ١٠٤٤.

(3) هود: ١٨

(4) سبق تخريجه، انظر ص ٤٣٠.

(5) صحيح البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، ص٣٥٦.
وصحيح مسلم بنحوه كتاب الحج باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، ص٥٣٨.

ثالثاً: بيان أهمية مراجعة المدعو للداعية فيما أشكل عليه من كلامه.

في حديث الباب يتبين لنا حرص الصحابة رضوان الله عليهم على سؤال رسول الله ﷺ عما أشكل عليهم، وفي حديث الباب نجد مثالاً حياً لذلك، حيث بادر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بسؤال الرسول ﷺ عما أشكل عليهم من قوله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه». فقالوا: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه ؟... الحديث.

فعلى طالب العلم أن يسأل شيخه عما أشكل عليه بحثاً عن الحق والصواب.

قال الشيخ محمد أبو جمرة: «وفيه مراجعة الطالب لشيخه فيما يقوله مما يشكل عليه»[1].

وليحذر المسلم من الحياء الذي يمنعه من السؤال عما أشكل فإنه لا ينال العلم مستحٍ ولا مستكبرٌ.

وقد حث العلماء على سؤال العالم تفقهاً في الدين، كما حذروا من التعنت في السؤال.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «إذا جلست إلى عالم فسلْ تفقهاً لا تعنتاً»[2]

وقال أيضا: للعلم ست مراتب:

---

(1) فتح الباري، ٤٠٤/١٠.

(2) نقلاً من كتاب المجموعة العلمية ص ١٨٨ للدكتور بكر أبو زيد، ط دار العاصمة.

أولها: حسن السؤال.

الثانية: حسن الانصات والاستماع.

الثالثة: حسن الفهم.

الرابعة: الحفظ.

الخامسة: التعليم.

السادسة: وهي ثمرته العمل به ومراعاة حدوده.[1]

فعلى المدعو أن يسأل الداعية عما يشكل عليه من كلامه وفي أمور دينه حتى يكون على بينة من أمره، وعلى فهم وعلم لما يقدم عليه من أمور دينه ودنياه.

رابعاً: تحذير المدعوين من الجناية على الوالدين.

في قوله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»، وإجابته على سؤال بعض الصحابة: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ بقوله ﷺ: «يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه» تحذير للمدعوين من الجناية على الوالدين بغير حق، كأن يلعن الرجل أبا رجل آخر فيسب ذاك الرجل أبا اللاعن انتقاماً ورداً بالمثل، والمسلم مطلوب منه أن يحذر من الجناية على الوالدين بطريق مباشر أو غير مباشر حتى لا يقع في كبيرة، وقد لعن رسول الله ﷺ من لعن والديه

(١) مفتاح دار السعادة ص ١٨٤.

بشكل مباشر قال ﷺ : «لعن الله من لعن والديه» [1]وقال تعالى:﴿ ...إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[2].

واللاعن لوالديه مستحق لهذه العقوبة الأليمة ، وأن يكون ملعوناً ومبعداً من رحمة الله تعالى وفضله ، ومرتكباً للكبيرة ، وذلك لكونه قد رد الإحسان إساءةً ، والجميل نكراناً ، وخالف أمرَ ربه في الإحسان إليهما ، إذ إنه تعالى قد حرم نهرهما وقول أفٍ لهما ، فكيف يجرأ الإنسان بعد ذلك فيقدم على ما هو أشد من النهر . إنه بلا شك دليل على إساءة الأدب معهما ، ونكران جميلهما ، فكان المقدم على ذلك مستحقاً للعن والتوبيخ ، فعلى الدعاة إلى الله وتعالى بيان خطورة هذا الأمر للمدعوين ، وتحذير المدعوين من مثل هذا التصرف الممقوت المجلب لغضب الرحمن على العبد .

خامسا :حرص الإسلام على سد الأسباب المؤدية إلى المحرم.

يدل حديث الباب على حرص الإسلام على سد الوسائل المؤدية إلى المحرم ، فالرسول ﷺ ـ وهو المعطى جوامع الكلم ـ يحرم لعنَ الوالدين عن طريق لعن آباء وأمهات الآخرين حتى لا يرد الملعون أبوه بالمثل ، فيكون الأمر أن اللاعن هو المتسبب في لعن أبيه وأمه.

---

(1) سبق تخريجه ، ص٤٣٠ .

(2) الإسراء : ٢٣.

قال ابن بطال رحمه الله تعالى: «وهذا الحديث أصل في سد الذرائع»[1]

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «لما كانت المقاصد لايتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصد الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل، فإذا حرم الرب تعالى شيئا وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقا لتحريمه وتثبيتاً له، ومنعاً أن يقرب حماه. .»[2]

وقد بين الإمام ابن القيم بعض الأمثلة في منع ما يؤدي إلى محرم منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾[3] فحرم الله سبَّ آلهة المشركين– مع كون السب غيظاً وحميةً لله وإهانةً لآلهتهم– لكونه ذريعة إلى سبهم لله تعالى، وكانت مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة مسبتنا لآلهتهم، فهذا كالتنبيه بل كالتصريح على المنع من الجائز لئلا يكون سبباً في فعل ما لا يجوز.

ومنها: أن الله تعالى أمر بغضِّ البصر وإن كان إنما يقع على محاسن الخلقة

---

(1) فتح الباري ١٠/٤٠٤.

(2) أعلام الموقعين ٣/١٣٥ ط دار الجيل.

(3) الأنعام: ١٠٨.

والتفكر في صنع الله، سداً لذريعة الإرادة والشهوة المفضية إلى المحذور.[1]

وهذا كله مما ينبغي للدعاة أن يقفوا عنده ملياً، ويستفيدوا منه في دعوتهم إلى الله تعالى، فإن العمل قد لا يكون محرماً لذاته لكن لكونه مفضياً إلى محرم، وقد يكون محرماً يفضي الوقوع فيه الوقوع في الكبائر، وكذلك ينبغي على الداعية أن يكون زكيا فطناً في دعوته، وفي اختيار موضوعاتها، فلا يثير أمراً يتيقن أن إثارته تفضي إلى مشكلةٍ كبرى، ولا يصحح خطأً يعرف أن تصحيحه موصل إلى اقتراف ما هو أكبر منه، فهذا كله من الحكمة التي أمر الله الدعاة بتوخيها والتزامها في دعواتهم، فعلى الدعاة إلى الله الإلمام الجيد بهذا الأمر، وأن يكونوا ذوي بصيرة نافذة يدركون أبعاد الأمور، وما تفضي إليه من النتائج فيحْذَروا ويحذِّروا المدعوين منها، ويبينوا خطورتها عليهم في دينهم ودنياهم.

سادساً: الحرص على تعليم الناس الخير.

أن الداعية هو أول من يبادر إلى تعليم الناس الخير وفي حديث الباب نجد أن رسول الله ﷺ يعلم أصحابه بر الوالدين والحذر من عقوقهما بأي أسلوب كان. وكان من هديه ﷺ هذا الأمر فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ كان في سفره ومعه معاذ بن جبل رديفه على الراحلة، فقال: «يامعاذ، قلت: لبيك يارسول الله وسعديك ثلاثاً. قال: «ما من أحد يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

---

(1) أعلام الموقعين ٣/١٣٧_١٣٩

صادقاً من قلبه إلا حرم الله عليه النار»[1] لذا ينبغي على الداعية العناية بهذا ونشر الخير بين المسلمين.

سابعاً: الترهيب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

الترهيب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله، وهو مجدٍ كثيراً في حث المدعوين على الابتعاد عن المحرمات. وفي حديث الباب يبين عليه الصلاة والسلام أن من أكبر الكبائر أن يلعن المسلم والديه وفي هذا ترهيب منه عليه الصلاة والسلام من الوقوع في هذا المنكر العظيم.

---

(1) صحيح البخاري كتاب العلم باب من خص بالعلم قوماً دون قوم، ص٥٠ وصحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ص٤٧ ط بيت الأفكار الدولية.

باب إثم القاطع [1]

٦٤- عن أبي شهاب ابن محمد بن جبير بن مطعم قال : إن جبير [2] بن مطعم أخبره أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» [3].

رقم الحديث: [٥٩٨٤].

باب من وصل وصله الله [4]

٦٥- عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ : عن النبي ﷺ قال: الرَّحِمُ شِجْنَةٌ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُه، وَمَنْ قَطَعْهَا قَطَعْتُه» [5].

رقم الحديث: [٥٩٨٩].

---

(١) أي هذا باب في بيان إثم قاطع الرحم . عمدة القاري،١٥/١٥٣.

(٢) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي شيخ قريش في زمانه، ابن عم النبي ﷺ كان من حكماء قريش وساداتهم، وكان لهم عند رسول الله ﷺ يد، حيث أجار رسول الله ﷺ لما قدم من الطائف توفي سنة تسع وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين .
سير أعلام النبلاء ٣/٩٥، وانظر أسد الغابة ١/٥١٦-٥١٧ .

(٣) مطابقته للترجمة ظاهرة ، عمدة القاري ، ٥/١٥٣. والحديث أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم الحديث٢٥٥٦.

(٤) أي هذا باب في بيان من وصل رحمه ، يعني يعطف عليه بفضله إما في عاجل دنياه أو آجل آخرته، والعرب تقول إذا تفضل رجل على رجل آخر بمال أو وهبه هبة : وصل فلان فلاناً كذا. عمدة القاري ، ١٥/١٥٥ .

(٥) مطابقته للترجمة ظاهرة ، عمدة القاري ، ١٥/١٥٧.
والحديث أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها رقم الحديث ٢٥٥٥

باب يَبُلُّ الرَّحم ببِلالها[1]

٦٦- عن عمرو بن العاص[2] رضي الله عنهما قال: سمعت النبيَّ ﷺ جهاراً غير سرٍّ يقول: «أنَّ آل أبي فلان ليسوا بأوليائي إنما ولِّيَ اللهُ وصالِحُ المؤمنين، ولكن لهم رحمٌ أبلُّها ببلالها».

رقم الحديث: [٥٩٩٠].

غريب الحديث:

شِجْنَة: بكسر المعجمة وسكون الجيم بعدها نون، وجاء بضم أوله وفتحه رواية عن قطرب، وهي في الأصل عروق الشجر المتشابكة، والشُّجَن بالتحريك: واحد الشجون، وهي طرق الأودية، ومنه قولهم: «الحديث ذو شجون» أي يدخل بعضُه في بعض.[3]

ابلها ببلالها: أي: أنديها ببلالها، أي: بما يجب أن تندى به ومنه بلوا أرحامكم أي: ندوها أي صلوها، يقال للوصل بلل، لأنه يقتضي الاتصال والقطيعة يُبسْ، لأنه يقتضي الانفصال.[4]

---

(١) مطابقة الحديث للترجمة في قوله «ابلها ببلالها» عمدة القاري١٥/١٥٨، والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم ٢١٥.

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن العاص، أسلم قبل ابيه، كان عالمًا فاضلاً شهد فتح الشام، توفي ٦٣هـ أسد الغابة ٣/٢٤٩.

(٣) انظر: فتح الباري ١٠/٤١٨.

(٤) عمدة القاري ١٥/١٥٩

الموضوع الدعوي

في أحاديث الأبواب الثلاثة يتبين لنا حرص الإسلام على صلة الرحم، وإثم قطيعة الرحم، وأن فعلها سبب لعدم دخول الجنة حيث قال ﷺ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ». وقال ﷺ: «الرَّحِمُ شِجْنَةٌ فمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُه، ومَنْ قَطَعْهَا قَطَعْتُه». قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله: «وفيه كذلك تعظيم أمر صلة الرحم، وأن صلتها مندوبة ومرغب فيها، وأن قطعها من الكبائر لورود الوعيد الشديد فيه»[1] وقد أمر عليه الصلاة والسلام بصلة الأرحام، وبين ذلك في دعوته وحث أمته عليها، فعن أبي نجيح عمرو بن عبسه السُلَمي رضي الله عنه قال: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً، جُرآءُ عليه قومه. فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبي»! فقلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله». فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحَد الله لا يشرك به شيءٌ»، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حر وعبد» قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به...» الحديث[2].

وأخبر عليه الصلاة والسلام أن صلة الرحم سبب لدخول الجنة والبعد عن النار، فعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول

---

(1) فتح الباري ١٠/٤١٩.

(2) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب إسلام عمرو بن عبسة ص ٣٢٣، ط بيت الأفكار الدولية.

الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال: ماله ماله؟ وقال النبيُّ ﷺ: «أربٌ ماله، تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»[1].

إن صلة الرحم خلق عظيم تفخر به أمة الإسلام وتتميز به عن غيرها، وهذا ما بينه أبو سفيان لهرقل عندما قال هرقل له: فماذا يأمركم به؟ -يعني النبيَّ ﷺ- قال أبو سفيان: قلت: يقول: «اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق، والعفاف والصلة...»[2].

ولا أدل على عظم عناية الإسلام بصلة الرحم ومراعاة حق القرابة قريبة كانت أو بعيدة من أن الله سبحانه وتعالى ما نهى عن الشرك وأمر بالوحدانية إلا اقترن بهما الإحسان إلى الأقربين وإلى ذوي القربى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾[3].

وفي حديثي البابين بيان منه ﷺ لعظم أمر الرحم، وقوله: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» أي مع الفائزين الناجين أحدٌ أبداً إن كان مستحلاً للقطيعة مع علمه بتحريمها. «ويحمل الحديث على أنه لا يدخل الجنة في أول الأمر، وإلا فإن المؤمن لا

---

(1) صحيح البخاري كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة ص٢٧٢.
وصحيح مسلم بنحوه كتاب الإيمان باب الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة، ص٣٩.

(2) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، ٢٣/٧.
وصحيح مسلم بنحوه كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ص٧٣٦.

(3) النساء: ٣٦

يكفر بالمعصية، فلا بد من أن يدخل الجنةَ» .[1]

وقال العلقمي في قوله ﷺ : «فمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُه»: قال شيخ شيوخنا: قال ابن أبي جمرة «الوصل من الله كناية عن عظيم إحسانه، وإنما خاطب الناس بما يفهمونه، ولما كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه الوصال، وهو القرب وإسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه، وكانت حقيقة ذلك مستحيلة في حق الله تعالى، عرف أن ذلك كناية عن عظيم إحسانه لعبده. قال: وكذا القول في القطع فهو كناية عن حرمان الإنسان» [2].

وقال القاضي عياض: لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام والسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب، ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لم يسمَّ واصلاً» [3]

حد الرحم:

---

[1] انظر: عمدة القاري ١٥/١٥٣.

[2] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، للشيخ محمد بن علان، ٢/١٢٤، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

[3] إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، ٨/٢٠.

قال القاضي عياض: واختلف في حد الرحم التي تجب صلتها ويحرم قطعها فقيل: هو كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى حرمت مناكحتهما، فعليه لا تدخل أولاد العم والخال، واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ونحوه، وجواز ذلك في بنات الأعمام والأخوال.

وقيل: هو عام في كل ذي رحم من ذوي الأرحام في الميراث يستوي منه المحرم وغيره. ويدل عليه قوله ﷺ: «ثم أدناك أدناك»[1].

قال المصنف: والقول الثاني هو الصواب ومما يدل عليه قوله ﷺ في أهل مصر: «فإن لهم ذمةً ورحماً»[2]. وحديث: «إن أبرَّ البر صلة الولد أهل ودِّ أبيه»[3] مع أنه لا يحرمه[4] والله أعلم.

ومع هذا الوعيد الشديد لقاطع الرحم بعدم دخول الجنة إلا أنه لا يخرج عن دائرة الإيمان، فإن المؤمن لا يكفر بالمعصية كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة، قال الكرماني: ويحمل قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع: إلى من أول وهلة وإلا فإن المؤمن لا يكفر بالمعصية فلا بد أن يدخل الجنة بعفو الله ورحمته»[5].

ومع اهتمام الإسلام بصلة الرحم إلا أن الصلة الحقيقية هي صلة الإيمان التي

---

(1) اكمال المعلم ٢١/٨.

(2) المصدر السابق.

(3) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب فضل صلة أصدقاء الأب والام، ص١٠٣١.

(4) دليل الفالحين لابن علان ١٢٤/٢

(5) انظر صحيح البخاري بشرح الكرماني، ١٥٦/٢١، بتصرف.
وانظر عمدة القاري، ١٥٣/١٥.

لا تنفك عراها ولذلك قال ﷺ في حديث عمران بن حصين: «.... إنما وليَّ الله وصالح المؤمنين»

ولا يمنع من صلة الرحم لغير المسلم كما في قوله ﷺ: «ولكن لهم رحم أبلُّها ببلالها».

قال الطيبي: في قوله ﷺ: إنما وليّ الله ورسوله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحمٌ أبُلُّها ببلالها» المعنى أني لا أوالي أحداً بالقرابة وإنما أحب لله لما له من الحق الواجب على العبادة، وأحب صالح المؤمنين لوجه الله وأوالي من أوالي بلا يمان واالصلاح سواء كانوا من ذوي رحمي أم لا، ولكن أراعي لذوي الرحم حقهم لصلة الرحم»[1]

الفوائد الدعوية:

أولاً: حث المدعوين على صلة الأرحام.

ثانياً: الترهيب أسلوب من أساليب الدعوة.

ثالثاً: نشر العلم الشرعي وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

رابعاً: تحذير المدعوين من قطيعة الرحم.

خامساً: البلاغة والفصاحة في التعبير أسلوب من أساليب الدعوة.

---

[1] عمدة القاري ١٥/١٥٨.

سادساً: بيان أن الجزاء من جنس العمل.

سابعاً: من صفات المؤمنين التبرؤ من المخالفين وموالاة الصالحين.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: حث المدعوين على صلة الأرحام.

في قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع» تحذير من قطيعة الرحم، وأنها سبب للعقوبة من رب العالمين، قد ربى رسول الله ﷺ أصحابه على صلة الرحم والاهتمام بشأنها وبكل ما يقرب إليها، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بَيْرُحاء، وكانت مستقبلة المسجدَ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: «فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[1] قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بَيْرُحاء، وإنها صدقة لله تعالى أرجو برَّها وذخرَها عند الله تعالى، فضعْها يارسول الله حيث أراك اللهُ. قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخٍ ذلك مال رابح ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة: أفعل يا

(١) آل عمران ٩٢

رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه»[1]

وعن كُريب مولى ابن عباس: أن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أخبرته أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبيَّ ﷺ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرتَ يا رسول الله أني أعتقتُ وليدتي؟ قال: «أوَ فعلتِ؟» قالتْ: نعم قال: «أما أنكِ لو أعطيتيها أخوالك كان أعظمَ لأجرِكِ»[2].

قال ابن أبي جمرة: «وصلة الرحم تكون بالمال وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، والدعاء. والمعنى الجامع: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفاراً أو فجاراً فمقاطعتهم في الله هي صلتهم، بشرط بذل الجهد في وعظهم، ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى»[3].

فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر للمدعوين، وحثهم على صلة الرحم، لما في ذلك من الأجر العظيم عند الله، ومنافع كثيرة للعبد في الدنيا والآخرة.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، ص٢٨٤، رقم الحديث ١٤٦١.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، ص ٣٨٨

(2) صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها، ص٤٩٠-٤٩١.
وصحيح مسلم مختصراً كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، ص٣٨٨.

(3) فتح الباري ٤١٨/١٠.

ثانياً: الترهيب أسلوب من أساليب الدعوة.

في قوله ﷺ لا يدخل الجنة قاطع... وقوله عليه الصلاة والسلام: «الرحم شجنة فمن وصلها وصلتهُ ومن قطعها قطعته» ترهيب منه عليه الصلاة والسلام من ارتكاب قطيعة الرحم، وأن مرتكبها معرض للعقوبة من رب العالمين إن لم يتجاوز الله عنه.

ثالثاً: نشر العلم الشرعي وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

إن الداعية دوره عظيم في نشر العلم الشرعي بين المدعوين لسيروا على بصيرة في هذه الحياة. قال تعالى مبيناً المنهجَ الرباني في الدعوة إلى الله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1]. وكان الصحابة رضوان الله عليهم ينشرون العلم الشرعي فيما بينهم، ويحرصون على نقله إلى من سيأتي بعدهم من إخوانهم في الدين؛ لذا نجد محمدَ بنَ جبير يبلغ ما سمعه عن والده من رسول الله ﷺ عن إثم قاطع الرحم.

إن نشر العلم الشرعي بين المسلمين من الوسائل المعينة بعد توفيق الله على حماية المجتمع المسلم من ارتكاب المخالفات الشرعية.

فعلى الدعاة إلى الله الاهتمام بهذا الأمر ،واستخدام كافة الوسائل التي تساعد على تبليغ دين الله، لما في ذلك من الأجر العظيم الذي يحرزه الداعية إذا

---

(١) يوسف: ١٠٨.

أخلص النية لله كما بيّن ذلك ﷺ لأمته. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «... ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا».[1] كما ينال بركة دعوة الرسول ﷺ حيث قال: «نضر الله امرءً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فربّ مبلغٍ أوعى من سامعٍ»[2].

إن التساهل في نشر العلم يؤدي إلى فشو الجهل بين المسلمين، وقد حذر رسول الله ﷺ من كتم العلم، وذكر الوعيد الشديد لمن فعل ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سئل عن علمٍ ثم كتمه أُلجم يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ».[3]

رابعاً: تحذير المدعوين من قطيعة الرحم.

إن قطيعة الرحم سبب من أسباب اللعن والإبعاد من رحمة الله، والحرمان من دخول الجنة. قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنةً حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ص١٠٧، ط بيت الأفكار الدولية.

(٢) سبق تخريجه ص.٢٢.

(٣) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، ٣٠١/٧-٣٠٢ وقال حديث حسن. وسنن أبي داود بنحوه كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، ص٥٦٢-٥٦٣.

(٤) محمد: ٢٢ ـ ٢٣

اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[1] وإنما استحقوا اللعنة لأنهم «لم يصلوا ما بينهم وبين ربهم بالإيمان والعمل الصالح، ولا وصلوا الأرحام، ولا أدوا الحقوق، بل أفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي والصد عن سبيل الله وابتغائها عوجاً، أولئك لهم اللعنة ـ أي البعد والذم ـ من الله وملائكته وعباده المؤمنين، ولهم سوء الدار، هي الجحيم بما فيها من العذاب الأليم»[2].

ولقطيعة الرحم أسباب منها:

١- قلة الخوف من الله.

٢- شرط المكافأة في صلة الرحم، وقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك فقال عليه الصلاة والسلام «ليس الواصل بالمكافئ[3]».

٣- الإساءة من بعض الأقارب مع الإحسان إليهم، فقد يبادل الواصل هذه الإساءة بالقطيعة، وهذا ما حذر منه رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله إن لي قرابةً أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال ﷺ: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»[4].

---

(١) الرعد: ٢٥

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٣٧٢

(٣) صحيح البخاري باب الواصل ليس بالمكافئ وسياتي شرحه قريباً ص٤٦٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ص ١٠٣٣

وقديما قال الشاعر محمد عبد الله الأزدي:

وحسبك من ذل وسوء صيفة ** مناواةُ ذي القربى وإنْ قيل قاطعٌ
ولكن أواسيه وأنسى ذنوبَه ** لترجعه يوماً إليَّ الرواجع
ولا يستوي في الحكم عبدان واصل ** وعبدٌ لأرحام القرابة قاطعٌ[1]

إلى غير ذلك من الأسباب التي تكون سبباً في قطيعة صلة الأرحام، فعلى الدعاة أن يحذروا المدعوين من قطيعة الرحم، ويأمروهم بالبعد عن أسباب القطيعة ومبادلة الإساءة بالإحسان كما قال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2].

خامساً: البلاغة والفصاحة في التعبير أسلوب من أساليب الدعوة.

في قوله ﷺ: «الرحم شجْنةٌ» تشبيه منه للرحم بعروق الشجرة المشتبكة، لذا ينبغي على الداعية أن يستعمل هذا الأسلوب لما فيه من التأثير على المخاطبين، حيث اشتمل على تشبيه الرحم -وهو أمر معنوي- بالمحسوس المشاهد وذلك لتقريب المعنى إلى أذهان السامعين. وهو أسلوب يستعمله رسول الله ﷺ كثيراً مع أصحابه.

---

(1) أدب الدنيا والدين ١٦٩ ط اقرأ.

(2) فصلت: ٣٤.

سادساً: بيان أن الجزاء من جنس العمل.

في قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع» ما يدل على أن الجزاء من جنس العمل، فقاطع الرحم لا يدخل الجنة في أول الأمر لقطعه لرحمه، فكأنه سبحانه وتعالى قطعه من رحمته، و من دخول الجنة لقطيعته لرحمه جزاء وفاقاً، ومثل هذا وارد في كثير من العقوبات الإلهية، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في شارب الخمر: «من شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة»[1] وقوله ﷺ: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»[2]. ونحو ذلك كثير في شريعتنا الغراء. فعلى الدعاة إلى الله تحذير المدعوين من مخالفة أوامر الله، وحثهم على توطين النفس وحملها على طاعة الله، والبعد عن معصيته حتى يفوزوا بخيرات الدنيا والآخرة.

سابعاً: من صفات المؤمنين التبرؤ من المخالفين وموالاة الصالحين.

لقد وصف الله مجتمع الدعوة بالأخوة في الله فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ...﴾[3]، فالموالاة إنما هي بالأيمان لا بالأنساب ولا بالأموال، وهذا ما أكد عليه ﷺ في حديث عمرو بن العاص، حيث قال ﷺ: «إنما ولي الله وصالح المؤمنين».

---

(1) سبق تخريجه ص٣٠٩.

(2) سبق تخريجه، ص٢١٧.

(3) الحجرات: ١٠.

قال القاضي عياض :«أفاد أن أولياءه صالح المؤمنين، وأن بعد نسبهم منه، وأن من ليس بمؤمن ولا صالح ليس له بولي وإن قرب نسبه منه، ودل الحديث أن الولاية في الإسلام إنما هي بالموافقة فيه بخصال الديانة وزمام الشريعة، لا بامتشاج النسب وشُجْنة الرحم»[1].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر للمدعوين وأن يكون خير قدوة لهم إقتداءً بهدي سيدي المرسلين كما قال تعالى :﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً . . . .﴾[2]

---

(1) اكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ١/٦٠٠.
وانظر : صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٩/٣.

(2) الأحزاب : ٢١.

باب من بُسِطَ له في الرزق لصلة الرحم[1]

٦٧- عن أبي هريرة [2] رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ [3] لَهُ فِي رِزْقِهِ وأَنْ يُنْسَأَ[4] لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[5].

رقم الحديث [٥٩٨٥].

---

(١) أي هذا باب في بيان من بسط -على صيغة المجهول - له في الرزق بسبب صلة الرحم. عمدة القاري ،١٥/١٥٤ .

(٢) سبق ترجمته ، انظر ص.٨.

(٣) يُبْسَط : بالبناء للمفعول أي يوسع .
انظر : دليل الفالحين ٢/١٢٧.

(٤) ينسأ له في أثره : من النسء وهو التأخير.
والأثر : الأجل سمي بذلك ، لأنه تابع الحياة المفهم ٥/٥٢٨ .

(٥) مطابقة للترجمة ظاهرة، عمدة القاري ١٥/١٥٤ .
والحديث أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب في وجوب صلة الرحم وثوابها حديث رقم ٢٥٥٧.

الموضوع الدعوي

يبين عليه الصلاة والسلام في حديث الباب فوائد وبركة صلة الرحم، والتي من أعظمها بر الوالدين، وهي البسط في الرزق، والزيادة في العمر أو البركة فيه. فيقول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِه، وأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِه فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» وفي رواية عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِه ويُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِه فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

وقد ورد في بيان أثر صلة الرحم أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «من سره أن يمدّ له في عمره، ويوسع عليه في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء، فليصل رحمه»[1].

وقد يشكل على البعض حديث الباب حيث ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2] وقد أجاب على هذا ابن التين حيث قال: الجمع بينهما من وجهين:

أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك. ومثل هذا ما جاء أن النبي ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلةَ القدر. وحاصله أن صلة الرحم تكون سبباً للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية، فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت. ومن جملة ما

---

(1) المستدرك على الصحيحين، كتاب البر والصلة ٤/١٦٠.

(2) الأعراف: ٣٤.

يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده، والصدقة الجارية عليه، والخلف الصالح.

ثانيهما : أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، وأما الأول الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك مثلا : إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[1] فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة، ويقال له : «القضاء المبرم، ويقال للأول : القضاء المعلق، والوجه الأول أليق بلفظ حديث الباب، فإن الأثر ما يتبع الشيء، فإذا أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور».[2]

وقال الطيبي : الوجه الأول أظهر[3]، وإليه يشير كلام صاحب « الفائق » قال : يجوز أن يكون المعنى أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلاً فلا يضمحل سريعاً كما يضمحل أثر قاطع الرحم.

---

(1) الرعد : ٣٩.

(2) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للإمام الصنعاني، جـ٤ ، ص٢٩٦ ، ط دار الفكر . وانظر الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للحافظ عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي جـ٥، ص٥٠٢، ط دار ابن عفان تحقيق وتعليق أبو الحامد الجويني .

(3) فتح الباري ٤١٦/١١

قلت : والصواب والله أعلم أن الأمر على حقيقته؛ إذ من وفق بصلة الأرحام يبسط الله له الرزق، وأخره إلى أجل مسمى كما قال تعالى على لسان نوح عليه الصلاة والسلام لقومه : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

قال الإمام ابن كثير في تفسيره للآية : « أي يمد في أعماركم، ويدرأ عنكم العذاب الذي إن لم تجتنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم » ثم قال رحمه الله : « وقد يستدل بهذه الآية من يقول : إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد بها العمر حقيقة . . »[2]

الفوائد الدعوية :

أولاً : صلة الرحم وأثرها على حياة المسلم.

ثانياً : حث المدعوين على المسابقة في فعل الخيرات.

ثالثاً : تحصيل المصالح الدنيوية بفعل القربات الأخروية.

رابعاً : الترغيب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

---

(١) نوح : ٢ . ٣ . ٤ .

(٢) تفسير القرآن الكريم العظيم لابن كثير ص١٣٨١ ط دار السلام الرياض .

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : صلة الرحم وأثرها على حياة المسلم.

إن لصلة الرحم أثراً عظيماً على حياة المسلم، وقد ذُكر في حديث الباب بعضٌ من آثارها، فهي سبب لسعة الرزق، وطول العمر أو البركة فيه، ولها آثار أخرى أكدتها النصوص الشرعية، منها أنها تقي مصارع السوء، وتكون سبباً لتفريج الكربات في هذه الحياة بعد توفيق الله وعونه. وقد بين رسول الله ﷺ ذلك لأمته وهو يقص عليهم بعض أخبار الأمم السابقة. فعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « انطلق ثلاثة نفرٍ ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا اللهَ بصالح أعمالكم، قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرح[1] عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما، وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يديَّ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتاضاغون[2] عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً

---

(1) أي لم أرجع إليهما .

(2) يتضاغون : أي يصيحون من الجوع .

لا يستطيع الخروج منه[1].. الخ الحديث الذي بيَّن كلُّ نفرٍ ما قدم من عمل صالح.

والشاهد هنا أثر بر الوالدين «الذي هو من أعظم صلة الرحم» في تفريج الكربات، حيث كان هذا العمل سببا بعد توفيق الله في التفريج عن هذا الرجل ومن معه من الكرب الذي حلّ بهم.

فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر للمدعوين، وحثهم على صلة الرحم؛ لما في ذلك من أجر عظيم وسعادة في حياتهم..

ثانياً: حث المدعوين على المسابقة في فعل الخيرات.

لقد نادى الله عباده المؤمنين للمسابقة في فعل الخيرات فقال تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3] وقال سبحانه وتعالى في وصف المؤمنين الصادقين: ﴿ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾[4] وقد عرف صحابة رسول الله - رضوان الله تعالى عليهم - بالتنافس في الخيرات طلباً للأجر من الله، حيث رباهم الرسول ﷺ على ذلك وحرضهم عليه، فعن أبي هريرة رضي الله

(1) صحيح البخاري كتاب الإجارة باب من استأجر أجيراً فترك أجره، ص٤٢٣.
وصحيح مسلم بنحوه كتاب الذكر والدعاء باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، ص١٠٩٦.

(2) البقرة: ١٤٨

(3) آل عمران: ١٣٣

(4) المؤمنون: ٦١.

عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : «لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه» قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ قال فتساورت[1] لها رجاء أن أدْعَى لها، قال فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه فأعطاه إياها. . . » الحديث[2].

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد : أرأيت إن قتلتُ، فأين أنا ؟ قال : « في الجنة » فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قتل»[3].

وفي حديث الباب بين رسول الله ﷺ فضل صلة الرحم ليتسابق المتسابقون في فعل هذه الطاعة، فعلى الدعاة إلى الله المسابقة في فعل الخيرات وحث المدعوين على فعل الطاعات المقربة إلى دخول الجنات استجابةً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ .

ثالثاً : تحصيل المصالح الدنيوية بفعل القربات الأخروية.

في قوله ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِه وأنْ يُنْسَأَ لَهُ في أثَرِه فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» ما يدل على أن فعل القربات سبب لتحصيل المصالح الدنيوية التي تعود على المسلم بالخير العظيم، ففي هذا الحديث يبين عليه الصلاة والسلام لأمته أن صلة

(1) تساورت : تساورت لها — أي رفعت لها شخصي، لسان العرب جـ٤/٣٨٦ .

(2) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ص ٩٧٩- ٩٨٠.

(3) صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة أحد ص٧٦٩.
وصحيح مسلم كتاب الأمارة باب ثبوت الجنة للشهيد ص٧٨٩.

الرحم سبب لبسط الرزق في هذه الحياة وإطالة العمر، وهو خير ينشده المسلم في حياته ويحصل له الأجر العظيم عند الله يوم القيامة.

رابعاً: الترغيب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

في قوله ﷺ: «من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه» ما يبين ترغيبه ﷺ لأمته بصلة الرحم، والترغيب بما عند الله أسلوب عظيم يستعمله عليه الصلاة والسلام مع أصحابه حثاً منه عليه الصلاة والسلام لأمته على الإقبال على فعل الطاعات.

لذا ينبغي على الداعية إلى الله استخدام هذا الأسلوب المؤثر مع المدعوين إقتداء بهدي سيدي المرسلينﷺ، وقد سبق الإشارة إلى مثل هذه الفائدة في أبواب سابقة.[1]

[1] انظر مثلاً ص ٢٨٢.

باب الواصل ليس بالمكافئ[1]

٦٨- عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ قال : « ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها »[2].

رقم الحديث : [٥٩٩١].-

الموضوع الدعوي

يعالج الإسلام بعض الظواهر التي تقع بين المسلمين، من ذلك ما يفعله بعض المسلمين مع أرحامه، فيشترط في صلة الرحم مبادلته بالمثل، وإلا توقف عن الصلة، وفي حديث الباب يبين ﷺ أن الواصل ليس بالمكافئ. قال الطيبي : المعنى ليست حقيقة الواصل ومن يعتدّ بصلته من يكافئ صاحبه بمثل فعله، ولكنه من يتفضل على صاحبه.[3]

---

(١) أي هذا باب يذكر فيه ليس الواصل بالمكافيء، يعني : ليس حقيقة الواصل من يكافيء صاحبه بمثل فعله؛ إذ ذاك نوع معاوضة. وروى عبد الرزاق عن معمر سمع عكرمة يحدث عن ابن عباس، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ليس الوصل أن تصل من وصلك ذلك القصاص، ولكن الوصل أن تصل من قطعك، وهذا حقيقة الوصل الذي وعد الله عباده عليه جزيلَ الأجر.
انظر : عمدة القاري للعيني، ١٥/١٥٩

(٢) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة. انظر : عمدة القاري ١٥/١٥٩.

(٣) فتح الباري ١٠/٤٢٣.

ولا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع، قال الحافظ بن حجر: «لا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع، فهم ثلاث درجات: مواصل ومكافئ وقاطع، فالواصل من يتفضل ولا يتفضل عليه، والمكافئ الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يتفضل عليه ولا يتفضل، وكما تقع المكافأة بالصلة من الجانبين كذلك تقع بالمقاطعة من الجانبين، فمن بدأ حينئذ فهو الواصل، فإن جوزي سمي من جازاه مكافئاً والله أعلم».[1]

إن من مكارم الأخلاق أن يصل المسلم أخاه المسلم، ويعمل جاهداً في صلة من قطعه من إخوانه المؤمنين، وهو ما أثنى به الله على عباده المؤمنين حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ...﴾[2].

وهذا من أفضل الأخلاق وأعلاها؛ لما فيه من رد الإساءة بالإحسان، وقد أمر الله بذلك في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[3].

إن لصلة الرحم مكانةً عظيمةً في الإسلام، وقد أعدَّ سبحانه لمن حافظ على صلتها الأجر العظيم، فحري بالمسلم أن يكون سباقاً إلى اكتساب ذلك الأجر العظيم، فلا يكتفي بالإحسان إلى من أحسن إليه وصلة من وصله، بل يصل من وصله ومن قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه، وبخاصة من ذوي أرحامه، ولا ينتظر جزاء ولا شكوراً، إنما يفعل ذلك ابتغاء وجه الله، ورغبة فيما عنده من الأجر

---

(١) المصدر السابق ٤٢٣/١٠، وانظر: عون الباري جـ٥، ص٣٠٢.

(٢) الرعد: ٢١.

(٣) المؤمنون: ٩٦.

والثواب كما قال تعالى في وصف المؤمنين الصادقين : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[1]

الفوائد الدعوية :

أولاً : حث المدعوين على مبادلة الإساءة بالإحسان.

ثانياً : بيان حرص الإسلام على تماسك أفراد المجتمع المسلم.

ثالثاً : تميز هذا الدين بأخلاقه العالية على سائر الأديان.

رابعاً : على الدعاة إلى الله أن يكونوا قدوةً صالحةً في صلة الأرحام.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : حث المدعوين على مبادلة الإساءة بالإحسان.

لقد كان عليه الصلاة والسلام يحسن إلى من يسيء إليه ، ويتحمل الأذى من الآخرين ، فعن أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعربي فجذبه جذبةً شديدةً فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال : مر لي من مال الله

---

[1] الإنسان : ٩-١٢ .

الذي عندك. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء »[1].

وقد ربى رسول الله ﷺ أصحابه على صلة الأرحام وتحمل الأذى منهم، فقد سأل رجلٌ النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن لي أقاربَ أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيؤون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ. فقال النبي ﷺ : « إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك »[2] وهذا أبوبكر رضي الله يستجيب لنداء الله :﴿ ...أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] ويعد الصدقة لمسطح بعد ما قال عن عائشة في حادثة الافك... وأي إيذاء أشد من هذا الإيذاء ولكن الاستجابة لأمر الله وأمر رسوله في قلب أبي بكر أكبر من كل شيء.

وفي حديث الباب يبين عليه الصلاة والسلام أن القاطع يوصل، فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا هذا الأمر للمدعوين فيحرصوا على صلة أرحامهم ومبادلة الإساءة بالإحسان لمن أساء منهم فإن الشيطان يحرص على قطع الأواصر بين ذوي الأرحام.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب فرض الخُمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخُمس ونحوه، ص٣٠٦.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، ص ٤٠٤

(2) سبق تخريجه ، ص ٤٥٢ .

(3) النور : ٢٢.

ثانياً : بيان حرص الإسلام على تماسك أفراد المجتمع المسلم.

إن الإسلام بأحكامه العظيمة يسعى إلى ترابط أفراد المجتمع المسلم ليكونوا يداً واحدةً حيث قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ... ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2].

ودعا إلى جمع الكلمة بين أفراد المجتمع على العموم وفي داخل الأسرة الواحدة، على وجه الخصوص لذا نجد أن الخلاف إذا وقع بين الزوجين وجه الله عباده المؤمنين ببذل أسباب الصلح فقال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾[3]

وأمر الله عباده المؤمنين بالإصلاح بين الناس فقال تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[4]

وقال تعالى : ﴿ ... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[5].

---

(1) آل عمران: ١٠٣.

(2) الحجرات : ١٠.

(3) النساء : ٣٥ .

(4) النساء : ١١٤.

(5) الأنفال :١

وكان رسول الله ﷺ يهتم بجمع كلمة المسلمين والإصلاح بينهم، وخصوصاً إذا كان الخلاف بين الأقارب والقبيلة الواحدة، فعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه.. . »[1] الحديث.

ولا شك أن الإسلام يسعى إلى لمّ شمل المجتمع المسلم، ويزداد الاهتمام إلى جمع كلمة الأسرة الواحدة لأنها جزء من المجتمع، فإذا صلحت صلح المجتمع كله بمشيئة الله تعالى.

لذا ينبغي على الداعية إلى الله بيان هذا الجانب للمدعوين وأن الإسلام يحرص على جمع الكلمة والإصلاح بين الأقارب وقطع أسباب العقوق بينهم.

ثالثاً : تميز هذا الدين بأخلاقه العالية على سائر الأديان.

لقد بهر هذا الدين غير المسلمين فيما يتميز به من الدعوة إلى أفضل الأخلاق وأحسنها، ولما يتحلى به أتباعُه من مكارم الأخلاق واتباع هدي النبي ﷺ في كل شيء، وهذا ما تعجب منه الآخرون، فعن سلمان رضي الله قال قيل له : علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة؟. قال : فقال أجل «لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة

---

(1) صحيح البخاري، كتاب السهو، باب الإشارة في الصلاة، ص٢٤٢.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام، ص١٨١.

أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو عظم»[1].

وقد كان هذا التميز العظيم سبباً لدخول غير المسلمين إلى الإسلام كما حصل في بعض دول شرق آسيا مثل اندونسيا وغيرها.

وإنه حق وواجب على المسلمين دعاة ومدعوين أن يعطوا الصورة الحسنة عن أخلاق دينهم؛ ليكونوا بمشيئة الله تعالى سبباً لدخول غير المسلمين إلى الإسلام.

رابعاً : على الدعاة إلى الله أن يكونوا قدوةً صالحةً في صلة الأرحام.

في قوله ﷺ : «ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» ما بين أهمية هذا الأمر في حياة الدعاة إلى الله، فإن الداعية إذا وصل من قطعه كان قدوة لغيره في هذا الخلق العظيم؛ لذا ينبغي على الدعاة إلى الله أن يضربوا أروع المثل في صلة من قطعهم أو أساء إليهم طاعةً لله ورسوله.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، ص١٢٩.

باب رحمة الولد وتقبيله[1]

وقال ثابت [2] عن أنس : أخذ النبيُّ ﷺ إبراهيمَ فقبَّله وشمَّه.

٦٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبَّل رسولُ الله ﷺ الحسنَ بنَ علي وعنده الأقرعُ بنُ حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع : إنَّ لي عشرةً من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً. فنظر إليه رسولُ الله ﷺ ثم قال : « من لا يرحم لا يُرحم[3] »[4].

رقم الحديث: [٥٩٩٧].

---

(١) أي هذا باب في بيان رحمة الولد، وهي شفقته وتعطفه عليه، وجلب المنفعة إليه، ودفع المضرة عنه، والإضافة فيه إضافة الفعل إلى المفعول وطوى قيد ذكر الفاعل، والتقدير: رحمة الوالد ولده وكذلك الإضافة في تقبيله ومعانقته. انظر : عمدة القاري للعيني ١٥/١٦٣.

(٢) ثابت بالمثلثة : هو ابن أسلم البصري أبو محمد البناني بضم الباء الموحدة وتخفيف النون الأولى نسبةً إلى بنانة أمه لسعد بن لؤي بن غالب ، وهذا التعليق أخرجه البخاري موصولاً في الجنائز ، وهو حديث طويل . وإبراهيم : هو إبراهيم بن النبي ﷺ من مارية القبطية . المرجع السابق ، ص١٦٣

(٣) هو بالرفع فيهما على الخبر. وقال عياض: هو للأكثر. وقال أبو البقاء : «منْ» موصولة ويجوز أن تكون شرطية فيقرأ بالجزم فيهما على الخبر، قال السهيلي: جعله على الخبر أشبه بسياق الكلام ؛ لأنه سيق للرد على من قال « إن لي عشرةً من الولد ..الخ » أي الذي يفعل هذا الفعل لا يُرحمْ ، ولو كانت شرطيةً لكان في الكلام بعض انقطاع ؛ لأن الشرط وجوابه كلام مستأنف.

= وكلا القولين صحيحان فيخرج عليهما معاً ، لأنا إذا نظرنا إلى كونه جواباً لكلام الأقرع بن حابس فإنه يكون خبراً ، وإذا لم نلتفت إلى كونه صدر عن رسول الله ﷺ جوابا للأقرع واعتبرناه عاماً ـ كما نعتبر كلامه ﷺ عاماً في الغالب دون البحث عن الأسباب والأحداث المتعلقة بها ـ فإنها تكون شرطية . انظر : فتح الباري ١٠/٤٢٩.

(٤) ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة ، عمدة القاري ، ١٥/١٦٥.
والحديث أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، برقم ٢٣١٨.

٧٠- عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعربي إلى النبي ﷺ فقال : تقبلون الصبيان ؟ فما نُقَبِّلُهم. فقال النبيُّ ﷺ : «أوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»[1].

رقم الحديث: [٥٩٩٨].

٧١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قَدِمَ على النبي ﷺ سبيٌ فإذا امرأةٌ من السبي تَحْلُبُ ثديَها تسقي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقتْه بطنها وأرضعته. فقال لنا النبي ﷺ : «أترَوْنَ هذه طَارِحَة ولدَهَا في النَّار ؟» قلنا : لا وهي تقدر على أن لا تطرَحَه فقال : «اللَّه أرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا».[2]

رقم الحديث: [٥٩٩٩].

---

(١) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، عمدة القاري، ١٦٦/١٥.
والحديث أخرجه مسلم ، في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه ص٩٤٨، رقم ٢٣١٧.

(٢) مطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من معنى الحديث عمدة القاري ، ١٦٦/١٥.
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه رقم الحديث٢٧٥٤، ص:١١٠٢.

الموضوع الدعوي

يولي الإسلام اهتماماً عظيماً في تربية الأولاد والعطف عليهم منذ الصغر، وفي أحاديث الباب يبين لنا ﷺ هديَ الإسلام في العطف على الأولاد خصوصاً في حال الصغر، وقد ضرب عليه الصلاة والسلام لأمته أروع صور العطف على الصبيان، فقبل ابنَه إبراهيمَ وشمَّه كما في حديث أنس، وقبَّل الحسنَ بنَ عليٍّ رضي الله عنهما.

وهذا من عطفه ﷺ عليهم، وليربي أمتَه على هذا الخلق العظيم، وقد أنكر ﷺ على من خالف هذا الهدي النبويَّ، حيث أنكر على الأقرع بن حابس، كما أنكر على الأعرابي الذي قال: تقبِّلون الصبيان فما نقبِّلهم.

وأظهر العطف ﷺ على أبناء الصحابة، فعن أم قيس بنت محصن أنها أتتْ بابنٍ لها صغيرٍ، لم يأكل الطعامَ إلى رسول الله ﷺ، فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره، فبال على ثوبه، فدعا بماء، فنضحه ولم يغسله »[1]. ويقول أسامة بن زيد رضي الله عنهما مبيناً كمالَ خُلقِ الرسولِ ﷺ في العطف على الصبيان: « كان رسول الله ﷺ يأخذني ويقعدني على فخِذه، ويقعد الحسن على فَخِذه الأُخرى، ثم يضمهما، ثم يقول: « اللهم ارحمهما فإني أرحمهما »[2].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب بول الصبيان ص ٦٦.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الطهارة، باب حكم بول الطفل الرضيع وكيفية غسله، ص١٣٧-١٣٨.

(2) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب وضع الصبي على الفخذ ص ١١٦٣

والعطف على الأولاد أمر فطري فطر الله سبحانه الوالدين عليه رحمةً بهم، وهذا ما بيَّنه لأصحابه وهو ينظر إلى المرأة التي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبياً أخذته فألصقتْه في بطنها، وقد سأل ﷺ الصحابة قائلا : « أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ فأجابوا بلا وهي تقدر على أن لا تطرحه، وكان من كمال شفقته ﷺ بالأولاد «يمنع التفريق في السبي بين الوالدة وولدها، وكان يؤتى بالسبي، فيعطي أهل البيت جميعاً كراهية أن يفرق بينهم»[1]

فما أجمل هذا الدين الذي حول أتباعه من وأد البنات وقتل الأولاد ومعاملتهم بالعنف والشدة إلى أحسن خلق في التعامل مع الصبيان، وهو ما تشكو من وجوده الحضارات الزائفة، حيث نسمع بين الفينة والأخرى إقدام أبٍ على قتل أولاده بعضهم أو كلهم، أو إقدام أمٍ على مثل هذا التصرف الشنيع، نسأل الله السلامة والعافية.

---

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد، ص٤٠٦، ط دار ابن حزم، بيروت.

الفوائد الدعوية:

أولاً : حثُّ المدعوين على رحمة الأولاد والشفقة عليهم.

ثانياً : نظر الداعية إلى المخالف أسلوب من أساليب التأنيب غير المباشر.

ثالثاً : القسوة على الأولاد وأثرها في عقوق الوالدين.

رابعاً :حنان الأم وأثره في تربية الطفل.

خامساً : ضرب الأمثلة أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

سادساً : دور الداعية المسلمة في نشر العلم الشرعي.

سابعاً : الترغيب ببيان سعة رحمة الله أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

ثامناً : من صفات الداعية دقة الملاحظة.

تاسعاً: حث المدعوين على التعلق بالله وحده فهو أرحم الراحمين.

عاشراً :حرص الإسلام على الترابط الأسري.

أحد عشر : الاستفادة من المواقف التي تبين بعض صفات الله.

ثاني عشر: عظم نعمة الولد على المسلم.

ثالث عشر :تهذيب الإسلام لجفاء الأعراب.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : حث المدعوين على رحمة الأولاد والشفقة عليهم.

في قول أنس رضي الله عنه : أخذ النبي ﷺ إبراهيمَ فقبَّله وشمَّه، وتقبيله للحسن بن علي، وإنكاره على الأقرع بن حابس بعدم تقبيل الصبيان، وإنكاره على الأعرابي الذي قال :تقبِّلون الصبيانَ ؟ فما نقبِّلهم. فقال له النبي ﷺ : «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ » ما يدل على فضل رحمة الأولاد والشفقة عليهم بتقبيلهم، وحسن العناية بهم، فإن في ذلك أجراً يُدَّخر للمؤمنين والمؤمنات بمشيئة الله تعالى.

وقد بين رسول الله ﷺ ذلك لعائشةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها. قالت : جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامتْ فخرجتْ، فدخل النبيُّ ﷺ فحدثتُه فقال : «من يُبْلَى من هذه البنات شيئا فأحسن إليهن، كنَّ له ستراً من النار »[(1)]

وبلغ من شفقته ﷺ أنه حمل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ في الصلاة :«فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها ». [(2)]

وبلغ من عطفه ﷺ على الصبيان أن تأخر في الرفع من سجوده في الصلاة

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، ص١١٦٢. وصحيح مسلم بنحوه ، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات ، ص١٠٥٥.

(2) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، ص ١١٨. وصحيح مسلم بنحوه ، كتاب المساجد، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة، ص٢١٨.

لتعلق الحسين برقبته، رفقاً بهذا الصبي، روى عبد الله بن شداد قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد، فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته قالوا : أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمرٌ. فقال ﷺ : « إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»[1].

ومن ذلك أيضاً تخفيفه ﷺ الصلاةَ رأفةً بالأم ورحمةً بولدها، يقول ﷺ : «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شِدةِ وجْدِ أمِّه من بكائه». [2] فعلى الدعاة حثُّ المدعوين على هذا الخلق النبيل، وأن يبينوا لهم أن العطف على الصبيان من سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وأن عليهم أن يقتدوا به في ذلك ويتأسوا به؛ تنفيذاً لأمر ربهم سبحانه وتعالى القائل في محكم كتابه : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[3].

ثانياً : نظر الداعية إلى المخالف أسلوب من أساليب التأنيب غير المباشر.

إن الداعية إلى الله دوره هو توجيه المدعوين والإنكار على المخالفين منهم

---

(1) المستدرك للحاكم ١٦٦/٣، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(2) صحيح البخاري كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ص١٤٩-١٥٠.
وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ص١٩٦.

(3) الأحزاب : ٢١.

بأسلوب مناسب محبب إلى القلوب ؛لأن ذلك أدعى لقبول توجيهه وسماع دعوته، وهو من الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى التي أمر الله بها في كتابه، حيث قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[1] وهو داخل في لين الجانب المؤدي بمشيئته تعالى إلى قبول الدعوة، وقد بيّن الله سبحانه فضلَه على نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾[2] وفي تصرفه عليه الصلاة والسلام مع الأقرع بن حابس الذي قال لرسول الله ﷺ: « إن لي عشرةً من الولد ما قبلت منهم أحداً» ما يشعر بحسن التأنيب منه عليه الصلاة والسلام، حيث نظر إليه عليه الصلاة والسلام بوجهه الكريم فقال: « من لا يَرحم لا يُرَحَم ».

إنه أسلوب مؤثر من رسول الله ﷺ، لم يعنف عليه الصلاة والسلام بل قال بعد أن نظر إليه كلمة عظيمة تنبيء عن قدر وعظيم رحمة الولد من قبل أبيه : « من لا يَرحم لا يُرْحم ».

إن النظر للمخالف قد يكون علاجاً مناسباً في تصحيح خطئه، وكذلك حسن الإنكار عليه، قال الحافظ -رحمه الله- في قوله ﷺ :«أوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»، « استفهام إنكاري ومعناه النفي أي : لا أملك أي لا أقدر أن أجعل الرحمة في قلبك بعد أن نزعها الله منه ».[3]

---

(1) النحل : ١٢٥.

(2) آل عمران ١٥٩.

(3) فتح الباري ١٠/٤٣٠. وانظر : عمدة القاري، ١٥/١٦٦.

فعلى الدعاة إلى الله أن يتعلموا هذا الأسلوب النبوي في معالجة بعض أخطاء المدعوين اقتداء بهدي سيد المرسلين ﷺ.

ثالثاً : القسوة على الأولاد وأثرها في عقوق الوالدين.

إن القسوة في التعامل مع الأولاد لها أثرها السيء في تربية النشء؛ ولذا نجد أن من أعظم أسس التربية في الإسلام الرحمة والشفقة على الأولاد منذ الصغر، فرسول الهدى ﷺ يقبّل ويشمّ ابنَه إبراهيمَ، إنه الحب والرحمة التي تحمل الطفل على حب الوالدين وبرِّهما، ومن الأخطاء في التربية أن يُحرمَ الطفلُ حنانَ الوالدين منذ الصغر، وذلك بالعطف عليهم وتقبيلهم مما قد يكون سبباً لحدوث العقوق من الأولاد. فياترى ما هي نظرة صبي تجاه والده الذي لم يقبله يوماً من الأيام؛ لذا ركز عليه الصلاة والسلام على هذا المنهج التربوي لرعاية الأولاد والعطف عليهم من قبل الوالدين ؛ لما له من أثر عظيم على البر بهما بمشيئة الله تعالى.

وأنكر على من علم عنه القسوة على الأولاد. وقال : «من لا يَرحم لا يُرحم» فالرحمة قد تنزع نسأل الله السلامة والعافية حتى من الولد على والده نتيجة القسوة عليه وحرمانه من العطف والحنان، ولا يعني ذلك عدم التأديب المؤدي إلى صلاح الولد، كلا فإن التأديب وفق ما ورد عن المصطفى ﷺ هو عين الصواب، وإن كان فيه شدة أحياناً، ولكن نتائجه حميدة ؛ لذا نجد أن رسول الله ﷺ جعل مجالا لترويض الولد على العبادة سبع سنوات دون عقاب، وبعدها يأتي دور العقاب المضبوط بضوابط الشرع، كما في حثه ﷺ على أمر الأولاد بالصلاة، فعن عمرو

بن شعيب عن أبيه عن جدِّه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع »[1].

إنها أسس تربوية رسمها نبي الهدى محمد ﷺ، من أخذ بها وطبقها سعد في صلاح أولاده، ونال خيرهم في الدنيا والآخرة بحول الله وقوته، وهذا أمر مشاهد إلا ما ندر، والنادر لا حكم له، ومن خالف هذا الهدى فلا يلومنَّ إلا نفسه.

رابعاً :حنان الأم وأثره في تربية الطفل.

إن لحنان الأم على طفلها أثراً عظيماً في تربيته منذ الصغر ،ففي الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبين لنا المشهد الذي حصل من المرأة بين السبي حيث يقول : قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته في بطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ : «أترون هذه طارحة ولدها في النار » الحديث. إن في هذا الحديث ما يبين لنا ما فطر الله الأم عليه من العطف على ابنها وعلى الأولاد الصغار، وخصوصا في الرضاع.

إن من المؤسف أن بعض الأمهات تساهلن بأولادهن حتى سلمنهم للخدم والخادمات، فخرج على هذه الحياة أولاد لا يعرفون إلا اسم الخدم والخادمات، ولم

---

(١) سنن أبي داود كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ، ص٨٤.

يذوقوا قط حنان الأم إلا قليلاً، ناهيك عن تساهل بعض الأمهات في تسليم فلذات أكبادهن لغير المسلمين من النصارى والبوذيين، وأصحاب ملل الكفر الأخرى خاصة إذا عُلم أن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

لذا فإن على الدعاة مسؤولية عظيمة في بيان أثر حنان الأم ورعايتها لطفلها منذ الولادة وحتى البلوغ وبعده في الغذاء الطبعي والحنان والتربية على أخلاق وآداب الإسلام، وأن الإسلام بين أهمية هذا الأمر قبل النظريات الحديثة التي ظهرت في هذا الوقت، وأن هذا الدين الحنيف قد أكمله الله لهذه الأمة بحيث اشتمل على كل مافيه سعادة المسلم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ ...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

خامساً: ضرب الأمثلة أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

في قوله ﷺ: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها» تقريب للصحابة بضرب المثل لما يدرك بالحواس بما لا يدرك بها. قال الحافظ ابن حجر: «وفيه ضرب المثل لما يدرك بالحواس لما لا يدرك بها لتحصيل معرفة الشيء على جهة، وإن كان الذي ضرب به المثل لا يحاط بحقيقته؛ لأن رحمة الله لا تدرك بالعقل، ومع ذلك

---

(1) المائدة: ٣.

فقرَّبــها النبي ﷺ للســامعين بحــال المرأة المذكورة »[1].

سادساً : دور الداعية المسلمة في نشر العلم الشرعي.

في قول عائشة رضي الله عنها : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : تقبِّلون الصبيــان ؟ فما تقبِّلهم فقال النبي ﷺ : « أوَ أَمْلِكُ لَكَ أنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ » ما يدل على حرص عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها على نشر العلم الشرعي وبيانه للناس، وكانت رضي الله عنها وعاء من أوعية العلم، حيث نشرت العلمَ بين المسلمين، وكانت المرجع لصحابة رسول الله ﷺ إذا أشكل عليهم أمر. فازت بالخير العظيم من رب العالمين. قالت عن نفسها رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ يوماً : «يا عائش هذا جبريل يقرئكِ السلام». فقلتُ : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى - تريد الرسول ﷺ[2].

وقال عنها الإمام الزهري : « لو جمع علم الناس كلهم وأمهات المؤمنين لكانت عائشة أوسعهم علماً »[3].

إذا كانت هذه صفة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأنها قضت حياتها في نشر العلم الشرعي حتى فازت بالخير العظيم عند رب العالمين، فإن المرأة المسلمة حرية

---

(1) فتح الباري ١٠/٤٣٠.

(2) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها ص ٧١٧ وصحيح مسلم بنحوه كتاب فضائل الصحابة باب في فضل عائشة، ص٩٩٢.

(3) سير أعلام النبلاء ٢/١٩٩، ط مؤسسة الرسالة.

بأن تكون لها قدوة بعد رسول الله ﷺ في خدمة الإسلام ونشر العلم بين المسلمين، وأن تجعل قدوتها أمهات المؤمنين والصحابيات الصالحات وفي مقدمتهن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد كان لنساء الإسلام جهود عظيمة في خدمة العلم الموروث عن رسول الله ﷺ وما أحوج المجتمع المسلم إلى المرأة الداعية العالمة المعلمة لهدي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.[1]

سابعاً : الترغيب في بيان سعة رحمة الله أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

في قوله ﷺ للصحابة بعد أن سألهم عن المرأة : « أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ » قلنا : لا وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال ﷺ : «الله أرحم بعباده من هذه الأم بولدها» ترغيب منه ﷺ للمؤمنين بما عند الله من الرحمة لعباده، وهذا في القرآن الكريم كثير، حيث يبين الله لعباده هذا الفضل العظيم على عباده كقوله تعالى: : ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[3]وقوله : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾[4]. وقوله : ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[5]. فعلى الدعاة إلى الله أن يرغبوا المؤمنين بما

---

(1) للفائدة انظر كتاب-جهود المرأة في رواية الحديث في القرن الثامن الهجري، تأليف الدكتور صالح بن يوسف معتوق.

(2) الحجر : ٤٩ .

(3) الشعراء : ١٧٥

(4) الشعراء : ٢١٧

(5) النساء : ٩٦

عند الله من الرحمة لعباده، التي بينها الله في كتابه ووضحها رسول الله ﷺ لأمته.

ثامناً : من صفات الداعية دقة الملاحظة.

في حديث عمر رضي الله عنه الذي بين لنا ما شاهده رسول الله ﷺ «من المرأة التي تحلب ثديها تسقي.... الخ » الحديث.

فقال ﷺ : « أترون هذه طارحة ولدها في النار الخ » ما يدل على دقة ملاحظته ﷺ للمشاهد حوله.

وكان عليه الصلاة والسلام يتأثر ببعض المشاهد ويسأل أصحابه عن أسبابها، من ذلك ما ذكره عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال : « من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها». ورأى قرية نمل[1] قد حرقناها فقال : «من حرق هذه؟» قلنا : نحن، قال : « إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار » [2]. وهكذا تربى صحابة الرسول ﷺ على ذلك من ذلك ملاحظة جابر بن عبدالله ما أصاب رسول الله ﷺ وهو مع الصحابة يحفرون الخندق، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال :«لما

---

[1] قرية نمل : موضع النمل مع النمل.

[2] سنن أبي داود . كتاب الجهاد، باب في كراهة حرق العدو بالنار ص ٤١٢ ط دار ابن حزم

حُفِر الخندق رأيتُ رسول الله ﷺ خمصاً فانكفيت إلى امرأتي فقلت هل عندك شيءٌ فأني رأيتُ رسول الله ﷺ خمصاً شديداً...»[١]

قال ابن أبي جمره :«فيه دليل على أن من السنة التشمير للثياب لمن يخدم يؤخذ ذلك من أن جابراً رآه عليه الصلاة والسلام خمص البطن ولولا التشمير ما رأى منه ذلك»[٢]

فعلى الداعية أن يكون دقيق الملاحظة لما يدور حوله، ويربط المدعوين بربِّ العالمين وبيان رحمته بهم، وينهاهم عن كل ما يصدر منهم من مخالفة لأمور الدين اقتداء بخلق سيد المرسلين ﷺ.

تاسعاً :حث المدعوين على التعلق بالله وحده فهو أرحم الراحمين :

في قوله ﷺ : « لله أرحم بعباده من هذه على ولدها » ما يبين عظم رحمة الله التي وسعت كل شيء، وأن على المسلم أن يتعلق بالله وحده، ويرجو ما عنده من الخير العظيم والرحمة بالمؤمنين.

قال الحافظ رحمه الله تعالى : « وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للمرء أن يجعل تعلقه في جميع أموره بالله وحده، وأن كل من فرض أن فيه رحمة ما حتى يقصد

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي. باب غزوة الخندق وهي الأحزاب. رقم الحديث ٤١٠٢، ص ٧٨.

(٢) بهجة النفوس لابن أبي جمره ٦٤/٤، ط دار الكتب العلمية بيروت.

لأجلها فالله سبحانه وتعالى أرحم منه، فليقصد العاقل لحاجته من هو أشد له رحمة».[1]

عاشراً :حرص الإسلام على الترابط الأسري.

في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي يروي به خبر المرأة التي في السبي تحلب ثديها كلما رأتْ صبيا ألصقته ببطنها.. .» الخ ما يدل على حرص الإسلام على الترابط الأسري حتى في أصعب المواقف، فهذه المرأة من السبي تبحث عن الصبيان حتى ترضعهم لم يزجرها الرسول ﷺ ولم يمنعها عن ذلك، بل جعلها مضرب مثل لرحمتها بالصبيان، وبين أن رحمة الله بعباده أرحم من هذه الأم بولدها، ومن حرص الإسلام على الترابط الأسري نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والأطفال الذين لم يحملوا السلاح في المعارك التي تقع بين المسلمين والكفار.

فعن نافع : أن عَبدَ الله رضي الله عنه أخبَره أن امرأةً وُجدتْ في بعض مغازي النبيَّ ﷺ مقتولةً، فأنكر رسولُ اللهِ ﷺ قتلَ النساءِ والصبيانِ »[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : وُجدِتْ امرأةٌ مقتولةً في بعض مغازي

---

(1) فتح الباري ٤٣١/١٠، وانظر : عون الباري٣٠٥/٥

(2) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب ص ٥٧٧.
وصحيح مسلم بلفظه كتاب الجهاد والسير باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، ص٧٢٣.

رسول الله ﷺ فنهى رسولُ الله ﷺ عن قتل النساءِ والصبيانِ»[1]. وفي هذا يتبين لنا عظم هذا الدين الذي هو رحمة للعالمين.

أحد عشر : الاستفادة من المواقف التي تبين بعض صفات الله :

في قوله ﷺ : «لله أرحم بعباده من هذه الأم بولدها» ما يبين حرص رسول الله ﷺ على الاستفادة من المناسبات التي تذكر بأيام الله وصفاته، فالرحمة صفة من صفات الله كما قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴾[2].

وقال عز من قائل : ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.[3]

وسيأتي مزيد تفصيل لهذا الموضوع في باب جعل الله الرحمة في مائة جزء إن شاء الله تعالى.[4]

ثاني عشر : عظم نعمة الولد على المسلم :

في قول أنس رضي الله عنه : أخذ النبي ﷺ إبراهيم فقبله وشمّه، وفي

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب ص ٥٧٧. وصحيح مسلم بلفظه كتاب الجهاد والسير باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، ص٧٢٢.

(2) الكهف : ٥٨

(3) النساء : ١٠٦

(4) انظر : باب جعل الله الرحمة في مائة جزء، ص ٤٩٠ .

تقبيله ﷺ للحسين بن علي رضي الله عنهما ما يبين عظم نعمة الولد على المسلم، فهيّ نعمة يهبها الله لمن يشاء من عباده ويحرمها من يشاء. كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[1].

ومما يبين عظم هذه النعمة وأهميتها على المسلم حرص رسل الله عليهم الصلاة والسلام على طلب الذرية، فهذا زكريا عليه الصلاة والسلام يدعو ربّه تعالى فيقول: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[2]. وأثنى الله على عباده المؤمنين الذين يسألونه الذرية الصالحة فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ...﴾[3].

ومن فضل الله على عباده أن نعمة الولد لا تقتصر على الحياة الدنيا فقط بل يمتد نفعها إلى الآخرة كما قال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أوولد صالح يدعو له»[4] فعلى المسلم أن يحمد الله على هذه النعمة، وأن يجعلها فرصة لخدمة الدين ونصرته.

ثالث عشر: تهذيب الإسلام لجفاء الأعراب.

في قوله صلى الله عليه وسلم للأقرع بن حابس وهو ﷺ ينظر إليه نظر

---

(١) الشورى: ٤٩.

(٢) الأنبياء: ٨٩.

(٣) الفرقان: ٧٤.

(٤) صحيح مسلم كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ص.٦٧.

المنكر لفعله : « من لا يرحم لا يُرحم ». وكذلك قوله للأعرابي الذي قال لرسول الله ﷺ : «تقبلون الصبيان فما نقبلهم. فقال له ﷺ :« أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ» ما يعكس جفاء الأعراب ، وحرص الإسلام على تهذيبهم وعنايته بذلك ، ومن تهذيبه لأخلاق الجفاة من الأعراب ما قاله ﷺ لأشج بن عبد قيس : « إن فيك خلصتين يحبهما الله ورسوله :الحلم والأناة»[1] وكان عليه الصلاة والسلام يهذب أخلاقهم عندمايرى الجفاء منهم في التعامل، حيث أنكر على الأعرابي الذي قال في الصلاة :« اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً » فقال له ﷺ : « لقد حجرت واسعاً »[2]

وقد تأثر صحابة رسول الله ﷺ بهذا الخلق العظيم منه ﷺ ، واتخذوه منهجا في التعامل مع الأعراب .

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله الاهتمام بهذا الأمر وذلك بحسن التعامل مع هذا الصنف وبيان الحق لهم باسلوب مؤثر كما بين رسول الله ﷺ ذلك للأقرع بن حابس وغيره.

---

(1) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ، ص٤١.

(2) سياتي شرح الحديث بعد هذا الباب مباشرة .

باب جعل الله الرحمة في مَائةِ جُزءٍ[1]

٧٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مائةَ جُزءٍ، فأمسك عنده تسعةً وتسعين جُزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرَها[2] عن ولدها خشيةَ أن تصيبَه.[3]

رقم الحديث: [٦٠٠٠].

وفي رواية: «إنَّ خلقَ الرحمةِ يومَ خلقها مائةُ رحمةٍ، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمةً، وأرسل في خلقه كلِّهم رحمةً واحدةً، فلو يعلم الكافرُ بكلِّ الذي عند الله من الرحمة لم ييئس من الجنةِ، ولو يعلم المؤمن بكلِّ الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار».

طرف رقم [٦٤٦٩].

---

(١) أي هذا باب يذكر فيه جعل الله الرحمة مائة جزء، والترجمة ببعض الحديث. عمدة القاري للعيني ١٥/١٦٨.

(٢) حافرها: الحافر للفرس كالظلف للشاة. المرجع السابق، ١٥/١٦٨.

(٣) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة المرجع السابق، ص١٦٧، والحديث أخرجه مسلم في كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه رقم الحديث ٢٧٥٢، ص١١٠١.

باب رحمة الناس بالبهائم [1]

٧٣- عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال: قام رسولُ الله ﷺ في صلاةٍ وقمنا معه، فقال أعرابيٌّ وهو في الصلاة: اللهم ارحمْني ومحمداً ولا ترحمْ معنا أحداً، فلما سلم النبيُّ ﷺ قال للأعرابي: «لقد حجرت واسعاً»[2] يريدُ رحمةَ اللهِ.

رقم الحديث: [٦٠١٠].

الموضوع الدعوي

في حديثي البابين يبين لنا رسولُ الله ﷺ سعةَ رحمةِ الله، وأن اللهَ سبحانه جعل الرحمة في مائة جزء وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، من هذا الجزء يتراحم الخلق، ولذلك أنكر عليه الصلاة والسلام على الأعرابي الذي قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، حيث قال له عليه الصلاة والسلام: «لقد حجرت واسعاً» يريدُ رحمةَ الله سبحانه وتعالى.

والله جل وعلا رحيم بخلقه حيث قال: ﴿... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا

---

(١) أي هذا باب في بيان فضل رحمة الناس، أي الشفقة والعطف من الناس للبهائم. عمدة القاري، ١٥/١٧٣.

(٢) مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله: «ولقد حجرت واسعاً» يعني ضيقها ما هو أوسع من ذلك. عمدة القاري ١٥/١٧٥.

لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي مبيناً مقتضى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جعل الله الرحمة في مائة جزء فأمسك عنده تسعةً وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً.. الحديث: «ومقتضى هذا الحديث أن الله علّم أن أنواع النعمة التي ينعم الله بها على خلقه مائة نوع، فأنعم عليهم في هذه الدنيا بنوع واحد انتظمت به مصالحهم، وحصلت به مرافقهم، فإذا كان يوم القيامة كمل لعباده المؤمنين ما بقي فبلغت مائة، وكلها للمؤمنين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ ...وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[2] فإن رحيماً من أبنية المبالغة التي لا شيء فوقها.[3]

وخص الفرس بالذكر دون غيرها: «لأنها أشد الحيوان المألوف الذي يعايش المخاطبون حركته مع ولده؛ ولما في الفرس من الخفة والسرعة في التنقل، ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها إلى ولدها»[4].

وفي قوله ﷺ: «وأنزل في الأرض جزءاً واحداً...» إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى حيث الإنزال من الأعلى إلى الأسفل[5]

---

(1) الأعراف: ١٥٦

(2) الأحزاب: ٤٣.

(3) فتح الباري ٤٣٢/١٠.

(4) عمدة القاري، ١٦٨/١٥.

(5) لمزيد الفائدة في هذا الموضوع يرجع إلى شرح العقيدة الواسطية للشيخ الدكتور صالح الفوزان ص ١١٣ ط مكتبة المعارف ـ الرياض.

ولعل من رحمة الله تعالى أن الله لم ينزل إلا رحمة واحدة فلو زادت لاختلت الحياة، حيث من الملاحظ أن الرحمة من البشر تزداد من شخص لآخر، فيحصل المحذور من موت مفاجئ، أو إغماء بسبب عدم تحمل الحدث الجلل.

الفوائد الدعوية:

أولاً: ضرب الأمثلة للمدعوين أسلوب من أساليب التوجيه والبيان.

ثانياً: إدخال السرور على المؤمنين.

ثالثاً: تنبيه المدعوين على الأخطاء في أمور الدين.

رابعاً: حسن خلق الداعية في تعليم المخالفين.

خامساً: بيان آداب الدعاء للمدعوين.

سادساً: نشر العلم الشرعي بين المدعوين.

سابعاً: مشروعية صلاة الجماعة.

ثامناً: من عقيدة المسلم أن يكون بين الخوف والرجاء.

تاسعاً: كمال قدرة الرب في تنظيمه لمخلوقاته.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: ضرب الأمثلة للمدعوين أسلوب من أساليب التوجيه والبيان.

في قوله ﷺ: «حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشيةأن تصيبه»، مثال من أمثلة التراحم التي أنزل الله على خلقه، وهي ليست من آدمي إنما من حيوان لا

يعقل، فكيف فيمن أعطاه الله العقل والبصيرة لا شك أنه أشد رحمة من هذا الحيوان. وفي هذا أسلوب من أساليب توجيه المدعوين حيث كان رسول الله ﷺ يستعمله كثيراً.(1)

ثانياً: مشروعية إدخال السرور على المؤمنين.

إن النفس البشرية تتوق إلى المبشرات دائماً، وتأنس بمن يدخل السرور عليها، ولذلك وعد الله المؤمنين المخصلين بجنات النعيم يوم القيامة، وبين لهم أن أولياءه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وبشرهم بأنهم عن النار مبعدون برحمة منه ومغفرة.

فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(3).

وكان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه بما أعده الله لهم من الفضل العظيم

---

(1) انظر على سبيل المثال ص ٤٨١ .

(2) الأنبياء: ١٠٢.

(3) فصلت: ٣٠.

حتى يتنافسوا على الخير، من ذلك قوله ﷺ لأصحابه ذات يوم: «يدخل الجنة من أمتي زمرة هي سبعون ألفا تضيئ وجوههم إضاءة القمر» فقام عكاشة بن محصن الأسدي، يرفع نمرة عليه قال: ادع الله لي يارسول الله أن يجعلني منهم، فقال: «اللهم اجعله منهم» ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. فقال رسول الله: «سبقك عكاشة»[(١)].

وفي حديث الباب يُدخل رسول الله ﷺ السرور على الصالحين من أمته ترغيبا لهم فيما أعده الله من رحمة لعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة. قال الشيخ محمد بن أبي جمرة: «في الحديث إدخال السرور على المؤمنين؛ لأن العادة أن النفس يكمل فرحها بما وهب لها إذا كان معلوماً مما يكون موعوداً»[(٢)] فعلى الدعاة إلى الله أن ينهلوا من هذا المنهج النبوي في إدخال السرور على المدعوين، ويبشروهم بما أعده الله لهم من الرحمة يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ثالثاً: تنبيه المدعوين على أخطائهم في أمور الدين:

في قوله ﷺ للأعرابي: «لقد حجرت واسعاً» عندما قال في صلاته: «اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً» إنكار على هذا الأعرابي الذي دعا بهذا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة ص ١١٣٧. وقد سبق شرحه في كتاب اللباس.

(٢) فتح الباري ١٠/٤٣٣.

الدعاء، لأن رحمة الله واسعة كما قال تعالى: ﴿ .... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

قال ابن بطال: «أنكر رسول الله ﷺ للأعرابي لكونه بخل برحمة الله على خلقه، وقد أثنى الله تعالى على من فعل خلاف ذلك حيث قال: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ... ﴾[2]»[3].

وكثيراً ما كان عليه الصلاة والسلام ينكر على المخالفين من أصحابه بل حتى في داخل بيته ﷺ. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت بقرام[4] لي على سهوة لي فيها تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وقال: «يا عائشة، أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله» قالت: «فقطعناه فجعلناه وسادة أو وسادتين»[5].

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: «أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر حديثا لا أحدث به أحدا، فدخل حائطا فإذا جمل فلما رأى النبي ﷺ

---

(1) الأعراف: ١٥٦

(2) الحشر: ١٠.

(3) فتح الباري ٤٣٩/١٠.

(4) القرام: الستر الرقيق وراء الستر الغليظ. لسان العرب لابن منظور ٤٧٤/٢.

(5) صحيح البخاري كتاب اللباس باب ما وطئ من التصاوير، ص١١٥٥.
وصحيح مسلم كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه، ص٨٧٤.

حنّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فقال: «من رب هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: «ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه» (١).

فعلى الدعاة إلى الله أن يسارعوا إلى تنبيه المدعوين على أخطائهم في أمور الدين، فإن في ذلك أجراً عظيماً عند رب العالمين.

رابعاً: حسن خلق الداعية في تعليم المخالفين.

إن من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى الله حسنَ الخلق؛ لأنه القدوة للآخرين، والمعلم للمخالفين، وخير من يقتدي بخلق سيد المرسلين الذي قال عنه أنس رضي الله عنه: «كان رسول الله أحسن الناس خلقاً» (٢).

ففي إنكاره على الأعرابي الذي قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، ما يدل على حسن خلقه ﷺ في توجيه المخالفين، فلم يعنف ولم يفحش بالقول عليه، بل قال بأسلوب المعلم الرحيم بأمته: «لقد حجرت واسعاً» تنبيهاً له على سعة رحمة الله وفضله على عباده. إنه خلق نبي الرحمة الذي قال

---

(١) سنن البيهقي الكبرى، باب نفقة الدواب ٨/١٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي ص ١١٩٤.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب المساجد، باب جواز الجماعة في النافلة والصلاة على حَصير وخُمرة وثوب وغيرها من الطاهرات، ص ٢٦٠.

عنه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : «لم يكنْ رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان يقول :إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»[1].

هذا الهدي الكريم هو ما عرف عنه ﷺ من حسن الخلق في توجيه المدعوين ، فقد أهدى الصعب بن جثامة رضي الله عنه حماراً وحشياً فرده عليه ، فلما رأى ما في وجهه قال له ﷺ مبينا له سببَ عدم قبول الهدية : «إنا لم نرده عليك إلا أنا حُرُم» [2]. قال الإمام النووي رحمه الله مبيناً بعض آداب المعلم مع المدعوين «وينبغي أن يكون باذلاً وسعه في تفهيمهم ، وتقريب الفائدة إلى أذهانهم ، حريصاً على هدايتهم».[3] لذا ينبغي على الدعاة إلى الله أن يوجهوا المدعوين بحسن خلق ، فإنه أدعى للاستجابة وقبول التوجيه ، وهذا الأسلوب هو الذي رسمه صلى الله عليه وسلم لأمته ، وأمر الله تبارك وتعالى بالإقتداء به : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[4].

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ص ٦٨٢ .
وصحيح مسلم، كتاب الفضائل ، باب كثرة حيائه ﷺ ص ٩٤٩.

(2) سبق تخريجه ، ص ٢٧٨ .

(3) المجموع شرح المهذب للشيرازي للإمام النووي ٥٩/١، ط دار إحياء التراث العربي تحقيق محمد نجيب المطيعي.

(4) الأحزاب : ٢١

خامساً :بيان آداب الدعاء للمدعوين:

إذا كان الله جل وعلا قد أمر عباده بالدعاء كما في قوله تعالى :﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2] فإن للدعاء آداباً عظيمةً منها :حسن الأدب مع الله في الدعاء، ومن الأدب مع الله ألا يضيق الداعي ما وسعه الله لعباده المؤمنين بأن يقصر بالدعوة لنفسه ولشخص من الناس فقط، بل يعم المسلمين في دعوته كما قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ...﴾[3]. ومنه أيضاً ألا يعتدي في دعائه كما قال تعالى :﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[4].

وقد أنكر الرسول ﷺ على هذا الأعرابي الذي دعا لنفسه ولرسول الله ﷺ فقال: «لقد حجرت واسعا» أي ما عند الله من الرحمة لعباده أعظم وأكرم منك أيها الأعرابي. قال العيني :«قوله :«لقد حجرت واسعاً» «يعني ضيقت واسعا وخصصت ما هو عام؛ إذ رحمته وسعت كل شيء». [5]

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمسلمين آداب الدعاء التي إذا امتثلها المسلم

---

(1) غافر : ٦٠.

(2) غافر : ٦٥

(3) الحشر : ١٠.

(4) الأعراف : ٥٥ .

(5) عمدة القاري، ١٥/١٧٥.

تكون بتوفيق الله سبباً للإجابة من رب العالمين، كما أن عليهم تنبيه المخالفين وتعليمَهم، وخصوصا من يعتدي في دعائه بذكر أدعية لم ترد في الشرع جهلا منهم، كما علمّ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ابنه ذلك، فعن ابن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعني أبي وأنا أقول: «اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها، وبهجتها، وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها وكذا وكذا. فقال: يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء» فإياك أن تكون منهم، إنك إن أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها من الخير، وإن أعذت من النار أعذت منها وما فيها من الشر»[1]

سادساً: نشر العلم الشرعي بين المدعوين.

في قوله ﷺ للأعرابي: «لقد حجرت واسعاً» تعليم له بما عند الله من الرحمة التي وسعت كل شيء بفضل الله وكرمه، فعلى الداعية إلى الله أن يحرص على نشر العلم المزيل للجهالة التي تقع بين المدعوين.

فإن في تعليم الناس الخير الأجر العظيم عند الله.[2].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء ص ٢٣٢

(٢) سبق الإشارة إلى مثل هذه الفائدة انظر ص ٤٨٢ .

سابعاً: مشروعية صلاة الجماعة.

في قول أبي هريرة رضي الله عنه: «قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه» ما يدل على حرص صحابة رسول الله ﷺ على صلاة الجماعة، وقد جاءت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوبها مع جماعة المسلمين حيث قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[1].

ومن السنة ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: من سره أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق، معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي[2] بين الرجلين حتى يقام في الصف»[3]. إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على وجوب آداء الصلاة جماعة مع المسلمين وبيان فضل ذلك، وخطورة ترك الصلاة مع الجماعة.

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا أهمية الصلاة للمسلمين ووجوب أدائها

---

(١) البقرة: ٤٣.

(٢) يهادى: يتمايل بين الرجلين.

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب صلاة الجماعة من السنن الهدى، ص ٢٥٧

جماعةً في المسجد، وعدم الالتفات إلى من يهون من أمر الصلاة جماعة مع المسلمين، فإن في أدائها جماعةً إقامةً لسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وتركها عصياناً لله ورسولهﷺ.

ثامناً: من عقيدة المسلم أن يكون بين الخوف والرجاء.

إن المسلم تكون حالته دائماً في هذه الحياة الدنيا بين الخوف والرجاء، فهو يرجو رحمةَ ربه ويخاف عذابه وعقوبته، وإذا كان في حالة المرض لا ييأس ولا يقنط من رحمة ربه الواسعة، وقد دلت الآيات والأحاديث على ذلك. قال تعالى: ﴿...إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿...إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [2]. وقال تعالى: ﴿...وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ [3].

ومن السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد» [4].

---

(١) يوسف: ٨٧

(٢) الأعراف: ١٦٧

(٣) الإسراء: ٥٧

(٤) سبق تخريجه، ص ٤١١ .

وفي قوله ﷺ : «جعل الله الرحمة في مائة جزء فأمسك عنده تسعةً وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً» الحديث . ما يدل على أن المسلم ينبغي له أن يحسن الظنَّ بربه دائماً، وأنه العفو الغفور الرحيم، وأنه يغفر الذنوب جميعاً مهما عظمت فلا ييأس من رحمة الله ومغفرته.

وقد أمر رسول الله ﷺ المسلم أن يحسن الظنَّ بربه، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع النبيَّ ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظنَّ بالله عز وجل»[١].

فعلى الدعاة إلى الله بيان سعة رحمة الله بعباده، وأن رحمته سابقة لغضبه، وأنها وسعت كل شيء، وعليهم كذلك ربطهم بربهم سبحانه وتعالى من هذا الجانب، خاصة العصاة الذين فقدوا الأمل في مغفرة الله ورحمته نتيجة ما اقترفوا من الذنوب الكبيرة الكثيرة، فيحسنوا الظنَّ بربهم وأن يكونوا بين الخوف والرجاء.

تاسعاً: كمال قدرة الرب في تنظيمه لمخلوقاته.

في قوله ﷺ :«جعل الله الرحمة في مائة جزء وأنزل جزءا واحدا» الحديث ما يدل على كمال قدرة الله وتنظيمه لشؤون خلقه، كما بين الله ذلك في كتابه فقال

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة ،باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، ص ١١٥٣.

عزّ من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

«فلولا رحمته وقدرته، لسقطت السماء على الأرض، فتلف ما عليها، وهلك من فيها»[2]، كما بين الله ذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[3] فبرحمته سبحانه نظم الله هذا الكون وسخر لهم الفلك تجري في البحر.

---

(١) الحج: ٦٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. للشيخ عبد الرحمن السعدي، ص٤٩٤، ط مؤسسة الرسالة.

(٣) فاطر: ٤١.

باب رحمة الناس بالبهائم

٧٤- عن النعمان[١] بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِم وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْواً، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» .[٢]

رقم الحديث : [٦٠١١].

٧٥- عن جرير بن[٣] عبد الله عن النبي ﷺ قال: «مَنْ لا يَرْحَم لا يُرْحَم»[٤].

رقم الحديث: [٦٠١٣].

---

(١) النعمان بن البشير : هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبه، الأمير العالم ولد قبل وفاة رسول الله ﷺ بثماني سنين وسبعة أشهر، مسندة مئة وأربعة عشر حديثاً اتفقا له على خمسة، وانفرد البخاري بحديث ، ومسلم بأربعة، وكان كريماً جواداً شاعراً شجاعاً، استعمله معاوية على حمص ثم على الكوفة.

سير أعلام النبلاء ٣/٤١١، أسد الغابة ٥/٣١٠-٣١١.

(٢) مطابقته للترجمة ظاهرة عمدة القاري ١٥/١٧٥.

والحديث أخرجه مسلم أيضاً في صحيحه برقم ٢٥٨٦ ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم بلفظ « مثل المؤمنين ... » .

(٣) جرير بن عبد الله : الصحابي رضي الله عنه روى عن رسول الله ﷺ مائة حديث. قال ابن قتيبة: قدم جرير على النبي ﷺ سنة عشر من الهجرة في شهر رمضان فبايعه وأسلم، قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: جرير يوسف هذه الأمة لحسنه . قال رضي الله عنه عن نفسه: بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم. وقال : « ماحجبني رسول الله منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي » توفي رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين / تهذيب الأسماء واللغات ١/١٤٧.

(٤) مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله : « من لايَرحم لا يُرحم » والحديث طرفه في كتاب التوحيد، بلفظ « لايرحم الله من لا يرحم الناس » ، برقم ٧٣٧٦.

وأخرجه الإمام مسلم أيضاً في صحيحه برقم ٢٣١٩ ، كتاب الفضائل باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك .

غريب الحديث:

عُضو: العُضو بضم العين وكسرها واحد الأعضاء، ويقال: عضى الشاةَ تعضيةً: جزأها أعضاء[1].

تداعى: أي دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في الألم ومنه قولهم تداعت الحيطان أي تساقطت أو كادت أن تتساقط.[2]

السَهر: الأرق، وبابه طرب فهو ساهر وسهران وأسهره غيره، ورجل سُهَرة كهُمَزة، أي كثير السهر، والساهرة: وجه الأرض [3].

الرحمة: الرِقةُ والتعطفُ، و المرحمة مثلهُ، وقد رحمه ـ بالكسر ـ رحمةً ومرحمةً، وترحم عليه، أو تراحم القوم: رحم بعضُهم بعضاً[4].

الموضوع الدعوي

إن المجتمع المسلم يتميز عن غيره من المجتمعات، فهو يد واحدة في التعاون والتعاطف، وهو ما يمليه عليهم إيمانهم. وفي حديثي الباب يبين ﷺ أثرَ الإيمان على

(١) ترتيب المختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي ص ٥٣٣، تحقيق شهاب الدين بن عمر. ط المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز - مكة المكرمة.

(٢) عمدة القاري ١٥/١٧٥.

(٣) ترتيب مختار الصحاح ص٣٩١.

(٤) المصدر السابق ص ٢٩٨ مادة [رحم]

النفوس في هذه الحياة المليئة بالمنغصات والشدائد التي تؤرق المؤمن في حياته، وأن المؤمن الصادق مع ربه هو الذي يتألم بما يحصل لأخيه المسلم من بعض الشدائد المؤلمة ؛لذا قال عليه الصلاة والسلام واصفاً المجتمع الإيماني «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِم وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْواً، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى» إنها ميزةٌ خاصة لأهل الإيمان، وإنها لصفة حقيقية تعكس مدى الترابط الذي بين المؤمنين، وإنها لصورة حية للعلاقة الروحية التي يعيشها مجتمع المؤمنين حتى غدوا كالجسد الواحد. مجتمع وصفه رسول الأمة عليه الصلاة والسلام بهذه الأوصاف المتعددة تصويراً لما عليه المجتمع الإيماني، أو تنبيهاً لما يجب أن يكون عليه من التراحم والتوادد والتعاطف، صفات متقاربة لكن بينها فرق لطيف.

قال الشيخ أبو جمرة: الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة، كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضاً كما يعطف الثوب عليه ليقويه». [1]

إن المؤمن الحقيقي يجب عليه أن يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه، ويكره أن يؤذى أخوه كما يكره أن يؤذى هو نفسه ؛لذا قال عليه الصلاة والسلام: «لا

---

[1] فتح الباري ١٠/٤٣٩. وانظر عمدة القاري، ١٥/١٧٥.

يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيه مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه»[1].

وبين ﷺ أن الرحمة بين العباد سبب لنزول الرحمة من رب العالمين على خلقه، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «من لا يَرحم لا يُرحم».

وإن المسلم عندما يقرأ التاريخ الإسلامي ليَرى أن من أبرز الصفات التي سطرها التاريخ عن السلف الصالح هي صفة التعاون والتراحم والتعاطف.

فما أعظم أن ينهل المسلمون من هذا الهدي النبوي في جميع شؤون حياتهم؛ ليكون مجتمعهم مجتمعاً مترابطاً متراحماً متعاطفاً كالجسد الواحد، ممتثلاً قول الله تعالى: ﴿ ...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ... ﴾[3].

---

(1) سبق تخريجه ص ١٨٩ .

(2) المائدة :٢

(3) الفتح : ٢٩

الفوائد الدعوية:

أولاً: عظم تآخي المؤمنين.

ثانياً: ضرب الأمثلة أسلوب من أساليب البيان.

ثالثاً: التكافل الاجتماعي في الإسلام وأثره في حفظ كيان المجتمع المسلم

رابعاً: أن الجزاء من جنس العمل.

خامساً: حثّ المدعوين على التراحم والتواد والتعاطف فيما بينهم.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: عظم تآخي المؤمنين.

في قوله ﷺ: «تَرَى المُؤْمِنِين فِي تَرَاحُمِهِم وتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْواً، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» ما يبين عظم تآخي المؤمنين فيما بينهم حتى يصيروا كالجسد الواحد الذي إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فإذا حل بمؤمن كربةٌ أو مصيبةٌ قام المؤمنون بنصرته وتفريج همّه، وقلقوا لهذا المصاب، وتأثروا بما أصابه تأثراً كبيراً حتى يصبحوا كأنهم هم المصابون بتلك المصيبة، فيصدق فيهم وصف الرسول ﷺ لهم بالجسد الواحد الذي يصاب عضو منه بالمرض فيتداعى له جميع الجسد بالسهر والحمى.

ولأهمية هذا التآخي بين المسلمين رغب رسول الله ﷺ أمته على ذلك حيث قال عليه الصلاة والسلام: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة....»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه[2]، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلمٍ كربةً من كرب الدنيا فرّج الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة». [3] متفق عليه.

وإن لهذا التآخي بين المؤمنين أثرَه العظيمَ في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا تيسير من الله تعالى لهم، وفي الآخرة سبب للعفو من رب العالمين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسراً قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعل اللهَ أن يتجاوز عنا. فتجاوز الله عنه»[4].

وفي رواية لمسلم عن أبي معدد البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس، فكان موسراً، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر. قا: «قال الله عز

---

(1) سبق تخريجه ص ٣٧٠.

(2) لا يسلمه: أي إلى عدوّه.

(3) سبق تخريجه ص ٢٠٠.

(4) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب من أنظر معسراً ص ٣٩٢
وصحيح مسلم بنحوه كتاب المساقاة باب فضل إنظار المعسر، ص٦٣٩.

وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه». [1]

فما أجمل هذا الدين الذي جعل المجتمع المسلم بأخلاق النبيلة مضربَ المثل للمجتمعات غير الإسلامية التي تشكو من القلق وعدم الرحمة والتعاطف، حتى غلبوا العطف على الحيوان أكثر من عطفهم على بني الإنسان.

إن على الداعية بيانَ أهميةِ هذا الأمر للمدعوين، وأن التآخي بين المؤمنين من الأمور المهمة التي يجب أن يعيروها عنايتهم القصوى، وأن من لا يهتم بأمور المؤمنين، ولا يتألم بما يصيبهم من المصائب فليس منهم.

ثانياً: ضرب الأمثلة أسلوب من أساليب البيان.

في قوله ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِم وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْواً، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» تشبيه للمجتمع المسلم في تألمه بما يحصل لبعض أفراده، وقلقه على ذلك حتى يسكن هذا الألم بالجسد الواحد، وهذا المؤمن يتألم عند حلول المصائب على إخوانه المؤمنين في كل مكان ولا يرتاح له بال، ولا تقر له عين حتى تزول تلك المصائب أو تخف حدتها، وهو أسلوب يستعمله ﷺ مع أصحابه كثيراً، ينبغي للدعاة إلى الله استعماله للتأثير على المدعوين في قبول دعوتهم، وهذا الأسلوب من الأساليب

---

(1) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر ص ٦٣٩.

المؤثرة في توجيه المدعوين وتقريب المعنى إلى أذهانهم . .

قال القاضي عياض :«فتشبيه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح، وفيه تقريب للفهم، وإظهار للمعاني في الصورة المرئية» (١).

وقال الشيخ ابن أبي جمرة :«شبَّه النبيُّ ﷺ الإيمانَ بالجسد وأهلَه بالأعضاء ؛لأن الإيمان أصل وفروعه التكاليف، فإذا أخلّ المرء بشيء من التكاليف شأن ذلك الإخلال الأصل، وكذلك الجسد أصل كالشجرة وأعضاؤه كالأغصان، فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها، كالشجرة إذا ضُرب غصنٌ من أغصانها اهتزتْ الأغصانُ كلُّها بالتحرك والاضطراب» (٢).

فعلى الدعاة إلى الله أن يقتفوا أثرَ رسولهم ﷺ في دعوته، فيختاروا الأسلوب المؤثر الذي يقرب المعنى إلى أذهان المدعوين من غير عناء ولا تكلف، ومن هذا الأسلوب ضرب الأمثلة المؤثرة على المدعوين.

ثالثاً :التكافل الاجتماعي في الإسلام وأثره في حفظ كيان المجتمع المسلم

في قوله ﷺ : «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِم وتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْواً، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» ما يبين

(١) فتح الباري ١٠/٤٣٩.

(٢) المرجع السابق ١٠/٤٣٩ ـ ٤٤٠ .

حرص الإسلام على التكافل الاجتماعي للمجتمع المسلم،وأن المجتمع المسلم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه فرد اشتكى له جميع أفراد المجتمع بالسهر والحمى، وقد رغب الإسلام بهذا الموضوع بصور مختلفة، منها على سبيل المثال: كفالة الأيتام، حيث قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى»[1].

فعلى الدعاة أن يغرسوا حبَّ هذا العمل في نفوس المسلمين، وذلك عبر إنشاء الجمعيات الخيرية التي تساعد المحتاجين، وتغيث المنكوبين، وتخفف الألم على المصابين، فإن في هذا العمل حمايةً لكيان المجتمع المسلم، ومنعاً لدخول الأعداء في مجتمعات المسلمين الذين أنشأوا الجمعيات البراقة باسم مساعدة المحتاجين وإغاثة المنكوبين، وهي تحمل في أولويات عملها نشرَ الكفر والضلال من نصرانية وشيوعية وعلمانية.

والذي يبشر بخير بحمد الله ما تقوم به هذه البلاد بتوجيه من ولاة الأمور- وفقهم الله - من الاهتمام بهذا الجانب المهم عبر مؤسسات الإغاثة التي عمّ خيرها داخل هذه البلاد وخارجها، فأصبحت - ولله الحمد - مضربَ مثلٍ في الإغاثة الإسلامية وفق هدي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، يبتغون الأجرَ من الله ولا يريدون جزاءً ولا شكوراً من الآخرين، أحسبهم كذلك والله حسيبهم ولا أزكي على الله أحداً.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيماً ص ١١٦٣.

رابعاً: أن الجزاء من جنس العمل.

في قوله ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحم». في رواية لمسلم: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»، ما يبين أن الجزاء عند الله من جنس العمل، فمن قسى على عباد الله في هذه الحياة وشق عليهم ولم يرحمهم تعرض لعقوبة عظيمة مقابلةً لعمله، وهي فقدان رحمة الله تعالى، نسأل الله السلامة والعافية.

وقد ورد كثيراً من سنة رسول الله ﷺ مثلُ هذا الأمرِ، حيث بين عليه الصلاة والسلام أن من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة جزاءاً وفاقاً. فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلبسوا الحريرَ فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسْه في الآخرة»[1] متفق عليه. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس الحريرَ في الدنيا لم يلبسْه في الآخرة»[2] متفق عليه.

وقد ذكر القرآن الكريم قصصاً مماثلة لهذا، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[3].

---

(1) سبق تخريجه ص ٣١٧.

(2) سبق تخريجه ص ٣١٧.

(3) الإسراء: ٧٢.

خامساً: حثّ المدعوين على التراحم والتواد والتعاطف فيما بينهم.

إن من أعظم صفات المجتمع المسلم التواددَ والتعاطفَ فيما بينهم، وفي الحديث يثني رسول الله ﷺ على ترابط المسلمين وتعظيم حقوقهم وحض المؤمنين على ذلك. قال العيني في الحديث: «وفيه: تعظيم حقوق المسلمين، والحض على معاونتهم وملاطفة بعضهم بعضاً»[1]

لذا ينبغي للدعاة إلى الله حث المدعوين على هذه الصفات والعمل بها لينطبق عليهم وصف الرسول ﷺ لمجتمع المؤمنين.

---

(1) عمدة القاري ١٥/١٧٦.

باب الوصاء بالجار [1]

وقوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... ﴾ إلى قوله: مختالاً فخوراً. [2]

٧٦- عن عائشة [3] رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» [4].

رقم الحديث: [٦٠١٤].

٧٧- عن ابن عمر [5] رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ

---

(١) أي هذا باب في بيان الوصاء بالجار، بفتح الواو وتخفيف الصاد المهملة بالمد والهمزة، أي الوصية، ويروى الوصاية بالياء آخر الحروف بعد الألف بدل الهمزة، يقال: أوصيت له بشيء، والاسم: الوصاية بالكسر والفتح، وأوصيته ووصيته بمعنى، والاسم: الوصاءة. عمدة القاري ١٥/١٧٧.
قال القرطبي: الجار يطلق ويراد به الداخل في الجوار، ويطلق ويراد به المجاور في الدار، وكل واحد منهما له حق ولابد من الوفاء به - المفهم ٥/٦١٠.
وقال الحافظ ابن حجر: واسم الجار يشمل: المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والقريب والبعيد، والنافع والضار، والقريب والأجنبي، والأقرب الدار والأبعد. انظر: فتح الباري ١٠/٤٤١ - ٤٤٢.

(٢) النساء: ٣٦

(٣) سبق ترجمتها، ص ٢٠٣.

(٤) مطابقته للترجمة ظاهرة عمدة القاري، ١٥/١٧٩.
والحديث أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه. رقم الحديث: ٢٦٢٤.

(٥) سبق ترجمته، ص ٣٤٥.

يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُه». [1]

رقم الحديث [٦٠١٥]

غريب الحديث:

سيورثه : قال الحافظ :«يأمر عبد الله بتوريث الجار من جاره، واختلف في المراد بهذا التوريث :

فقيل : يحصل له مشاركة في المال بفرض سهم يعطاه مع الأقارب.

وقيل : المراد أن ينزل منزلة من يرث بالبر والصلة.

والأول أظهر، فإن الثاني استمرّ والخبر مشعر بأن التوريث لم يقع» [2]

وقال القسطلاني: سيورثه:«أي يأمر بتوريث الجار من جاره بأن يجعله مشاركاً في المال مع الأقارب، يعطاه مسلما كان أو كافراً، عابدا أو فاسقا، صديقا أو عدوا، غريبا أو بلدياً، ضاراً أو نافعاً، قريبا أو أجنبياً، قريب الدار أو بعيدها» [3].

---

(1) مطابقته للترجمة ظاهرة، عمدة القاري ١٧٩/١٥.
والحديث أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، رقم الحديث : ٢٦٢٥.

(2) فتح الباري ٤٤١/١٠.

(3) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٤٢/١٣، وانظر شرح الأدب المفرد للجيلاني ١٩٠/١.

الموضوع الدعوي

إن الإسلام دين الترابط والتكاتف وإن من أهم ميزات هذا الدين اهتمامه بالجيران وإيجابه الإحسان إليهم،وتشديده في هذا الموضوع، وفي حديثي الباب يبين لنا رسول لله ﷺ حرص الإسلام على الجار والإحسان إليه، فهذا جبريل عليه الصلاة والسلام يوصي رسول الله ﷺ بالجار حتى ظنّ رسول الله ﷺ أن الأمر يصل إلى توريثه من كثرة إلحاح جبريل عليه السلام على ذلك وتكراره لذلك.

وقد دلت الآية الكريمة في الترجمة أيضا على الإحسان إلى الجار والاهتمام به حيث قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾ [1]

قال الشيخ السعدي رحمه الله:«والجار ذي القربى أي الجار القريب، الذي له حقان:حق الجوار، وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان، راجع إلى العرف، وكذلك الجار الجنب أي الذي ليس له قرابة، كلما كان الجار أقربَ باباً كان آكدَ حقاً، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل» [2].

وقد جعل رسول الله ﷺ الإحسان إلى الجار من الإيمان. فعن أبي هريرة رضي

---

(1) النساء: ٣٦

(2) تيسير الكريم الرحمن ص ١٤٣، ط مؤسسة الرسالة.

الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره...»[1] والوصية هنا للجار هي من باب المندوبات قال الشيخ محمد أبو جمره: «وحفظ الجار من كمال الايمان...»[2] والإحسان إلى الجار حثَّ عليه ﷺ حتى وإن لم يكن مسلماً، فعن مجاهد قال: كنت عند عبد الله بن عمرو وغلامه يسلخ شاة فقال: يا غلام إذا فرغت فابدأْ بجارنا اليهودي. فقال رجل من القوم: اليهودي ؟، أصلحك الله !، قال: إني سمعت النبيَّ ﷺ يوصي بالجارحتى حسبنا أو رأينا أنه سيورثه.[3]

فما أجمل أخلاق هذا الدين الذي ربى أتباعه على الإحسان إلى الآخرين حتى أصبح المجتمع المسلم ـ بحمد الله ـ مضربَ المثل في حسن التعامل مع المجاورين.

الفوائد الدعوية:

أولاً: حث المدعوين على الوصاء بالجار والإحسان إليه.

ثانياً: الحرص على دعوة الجار وتعليمه.

ثالثاً: بيان مكانة الجار في الإسلام.

---

(1) صحيح البخاري كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخرفلا يؤذ جاره، ص١١٦٥. و صحيح مسلم بنحوه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان ص ٥١

(2) بهجة النفوس لابن أبي جمره ٤/١٦٤، ط دار الكتب العالمية.

(3) الأدب المفرد ١/٢٢١، المطبعة السلفية مع شرحه للجيلاني.

رابعاً: من أساليب الدعوة التكرار في التوجيه.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: حث المدعوين على الوصاء بالجار والإحسان إليه.

في قوله ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُه» ما يدل على اهتمام الإسلام بحق الجار، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عبادَه المؤمنين بالإحسان إلى الجار كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ...﴾[1].

وكان ﷺ يحث على حسن الجوار وحسن التعامل مع الجار حتى في الأمور الدنيوية التي قد يتساهل بها بعض المسلمين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمنع جار جاره أن يغرس خشبةً في جداره»، ثم يقول أبو هريرة: ما لي أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين أكتافكم»[2].

وأثنى عليه الصلاة والسلام على من يحسن الصحبة مع جاره، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله تعالى

---

(1) النساء: ٣٦

(2) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره، ص٤٦٤، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب غرز الخشب في جدار الجار ص ٦٥٦

خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره»[1].

وحث عليه الصلاة والسلام أمته على الإحسان إلى الجار حتى في الطعام، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ : «يا أبا ذر إذا طبخت مرقةً، فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك» [2] رواه مسلم . وفي رواية له عن أبي ذر قال :إن خليلي ﷺ أوصاني : «إذا طبخت مرقةً، فأكثر ماءَه ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف» [3]. «كل ذلك خوفاً من أن يتأذى الجار بسبب هذا الطبخ قال القرطبي :«وقد يتأذى الجار بقتار قدر جاره وعياله وصغار ولده، ولايقدر على التوصل إلى ذلك فتهيج من ضغائنهم، ويعظم على القائم عليهم الألم والكلفة وربما يكون يتيماً أو أرملة ضعيفة فتعظم المشقة ويشتد منهم الألم والحسرة وكل ذلك يندفع بتشريكهم في شيء من الطبيخ يدفع لهم»[4]

لذا ينبغي على الدعاة حث المدعوين على الاحسان إلى الجار، ففي الاهتمام بالجار خير كثير للمجتمع المسلم حيث يكون مترابطاً كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً، ومتبعاً لهدى سيدي المرسلين.

---

(1) سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في حق الجوار ٦/١٨٣.
ومسند الإمام أحمد بلفظه ٢/١٦٨.
والحاكم في المستدرك بلفظهما كتاب البر والصلة ٤/١٦٤.
وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(2) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب الوصية بالجار والإحسان إليه، ص١٠٥٤.

(3) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب الوصية بالجار والإحسان إليه ص ١٠٥٤.

(4) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ٥/٦١١.

ثانياً: الحـــرص على دعوة الجـــار وتعليمه.

في قوله ﷺ : «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُه». ما يبين أهميـة دعوة الجار، فخير وصـية يتواصى بهـا المؤمنون المتجاورون نشر دين الله بالدعوة إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر العلم الشرعي بينهم.

إن هذا الأمرَ مهمٌّ جداً ينبـغي للدعاة والمدعوين عدمُ إغفاله أو التساهلِ فيه؛ لدوره في القضاء على الجهل الذي هو السـبب الرئيس لجميع أنواع الشرور التي تقع بين المسلمين، كما أن دعوة الجار هو من التعاون على البر والتقوى اللذين أمر الله سبحانه بالتعاون عليهما في قوله: ﴿ ...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1]. كما أنه من النصح لكل مسلم ـ أعني دعـوة الجار لجاره ـ وقـد حث الرسـول ﷺ على ذلك كمـا في قـوله عليـه الصـلاة والسـلام: «الدين النصـيحة» قلنا: لمن ؟ قال: «لله، ولرسـوله، ولكـتابه، ولأئمـة المسلمين وعامتهم»[2].

إن دعوة الجار إلى الخير وتعليمه أولى وأعظم من أي أمر آخر.

ونشر الدعوة بين المتجاورين حق واجب على كل داعية بقدر استطاعته، فإن تبليغ رسالة الله مهـمة ومسؤوليـة عظيـمة يقـوم بهـا الدعـاة إلى الله ويبلغونهـا المسلمين عموماً والمجاورين خصوصاً، فوصية الرسول بهم أعظم.

---

(1) المائدة: ٢

(2) سبق تخريجه، ص ١٠٦ .

ثالثاً: بيان مكانة الجار في الإسلام:

في قوله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» ما يدل على مكانة الجار في الإسلام، حتى كاد الأمر أن يصل إلى توريثه؛ لعظم منزلته في الدين الإسلامي؛ لذا ينبغي على الدعاة بيان هذه المنزلة العظيمة للجار في الإسلام. لذا ندب الشرع إلى الاهتمام بهذا الأمر والحرص على بيان مكانة الجار وفي قوله ﷺ: «وتعاهد جيرانك»[1]. «الأمر فيه على جهة الندب، والحض على مكارم الأخلاق، وإرشاد إلى محاسنها لما يترتب عليه من المحبة، وحسن العشرة والإلفة، ولما يحصل به من المنفعة».[2]

رابعاً: التكرار في التوجيه أسلوب من أساليب التأثير على المدعوين.

وقد ورد ما يدل على هذه الفائدة في حديث الباب، وذلك في قوله ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُه»، ففي التكرار في التوجيه تأكيد للمدعوين على التزام الأمر المهم، وتنبيه لهم على أهميته، وكثيرا ما كان ﷺ يكرر على الصحابة بعض التوجيهات بياناً لأهميتها، وحرصاً منه ﷺ على الأخذ بها وتطبيقها، أو الحذر منها والابتعاد عنها إن كانت من الأمور المحرمة، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصيني، قال: «لا

---

(1) سبق تخريجه ص ٥٢٢.

(2) المفهم للقرطبي ٦/٦١١.

تغضب» فردد مراراً قال: «لا تغضب» [(١)].

وكرر رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم خطر قول الزور حتى تأثروا بذلك، فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟» قلنا: بلى يا رسول الله قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت» [(٢)].

ومن ذلك أيضاً ما ذكر ﷺ في التحذير من عقوق الوالدين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف» قيل: من ؟ يارسول الله ! قال: «من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة» [(٣)].

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يكرروا على المدعوين ما يهمهم من أمور الدين ليكونوا على بصيرة من أمرهم، وأن يستفيدوا من هذا المنهج النبوي في جذب نفوس المدعوين وبيان أهمية الأمور لهم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ص ١١٨٠.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٦١. وسيأتي شرحه قريباً ص....

(٣) صحيح مسلم كتاب البر والصلة، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، ص١٠٣١.

باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه[1]

«يوبقهن» الشورى: ٣٤ يهلكن «موبقا» الكهف: ٥٢ مهلكا.

٧٨- عن أبي شريح[2] أن النبي ﷺ قال: «واللَّهِ لا يُؤْمِن واللَّه لا يُؤْمِن واللَّه لا يُؤْمِن» قيل: ومن[3] يا رسول الله؟ قال: «الَّذي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[4].

رقم الحديث: [٦٠١٦].

غريب الحديث:

بوائقه: البوائق بالموحدة والقاف جمع بائقة وهي الداهية والشيء المهلك والأمر الشديد الذي يؤتى بغتة.[5]

---

(١) أي: هذا باب في بيان من لا يأمن جاره بوائقه، عمدة القاري، ١٥/١٨٠.

(٢) أبو شريح: هو أبو شريح الخزاعي الكعبي اختلفوا في اسمه فقيل: خويلد بن عمرو وقيل: عمرو بن خويلد وقيل: كعب بن عمرو، وقيل: هاني بن عمر. أسلم قبل فتح مكه كان من عقلاء الرجال، توفي سنة ٦٨هـ أسد الغابة ٦/١٦١.

(٣) الواو هنا يحتمل أن تكون زائدة، أو استئنافية، أو عاطفة على شيء مقدر، أي: «عرفنا المراد» مثلاً، و «من المحدث عنه». انظر فتح الباري، ١٠/٤٤٣.

(٤) مطابقة الحديث للترجمة في آخر الحديث، انظر عمدة القاري، ١٥/١٨٠.

(٥) القاموس المحيط ص٧٨٣، مادة [بوق]. وانظر عمدة القاري ١٥/١٨٠.

الموضوع الدعوي

يهتم الإسلام بحماية الجار من أذى جاره، وفي حديث الباب يبين عليه الصلاة والسلام خطورة من لا يأمن جاره بوائقه، لأن الأصل في الجار أن يأمن جاره ولا يتصور في يوم من الأيام أن يخونه في شيء، لذا شدد عليه الصلاة والسلام التحذير من خيانة الجار في غير ما حديث.

و المتأمل لحياة العرب في الجاهلية يجد الحرص على حفظ حقوق الجار والبعد عن خيانته، وكانوا يفتخرون بذلك دائماً، قال عنترة:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي * * حتى يواري جارتي مأواها[1]

قال الشيخ أبي جمره: «وهو ماكانت الجاهلية ترعاه وتحافظ عليه وتفتخر بحفظه وتعيب تارك ذلك وتذمه».[2]

فكيف وقد جاء الإسلام وهذّب أخلاقهم أكثرَ مماكانوا عليه من مروءة وحفظ للجار وعدم خيانته.

وخيانة الجار من أخطر الأمور في المجتمع، فإذا كان الرجل يتخوف من جاره أو لا يأمن جاره فإنه لا يقر له قرار، ويعيش في قلق في كل لحظة بسبب هذا

---

(1) ديوان عنترة بن شداد ص ٧٦ .

(2) بهجة النفوس لابي جمره، ٤/١٦٤ .

الهاجس المحزن، ولا يحس بهذا إلا من ذاق مرارة سوء الجوار، وابتلي بجارٍ لا يأمن بوائقه، نسأل الله السلامة والعافية.

لذا حذر عليه الصلاة والسلام من خيانة الجار، وجعل هذا العمل نقصاً في كمال توحيد المؤمن. قال ابن بطال :وفيه نفي الإيمان عمن يؤذي جاره بالقول والفعل، ومراده الإيمان الكامل ولا شك أن العاصي غير كامل الإيمان.[1]

الفوائد الدعوية:

أولاً :بيان خطر خيانة الجار في المجتمع.

ثانياً :الفصاحة والبلاغة أسلوب من أساليب البيان.

ثالثاً :جواز القسم للتأكيد على بيان حكم شرعي.

رابعاً :حرص الإسلام على تهذيب أخلاق المدعوين.

خامساً :حرص الإسلام على استتباب الأمن في المجتمع المسلم.

سادساً :الترهيب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى.

سابعاً :حث المدعوين على التفقه في الدين.

---

(١) فتح الباري ١٠/٤٤٤.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: بيان خطر خيانة الجار في المجتمع الدعوي.

في قوله ﷺ: «واللَّه لا يُؤْمِن واللَّه لا يُؤْمِن واللَّه لا يُؤْمِن» قيل: ومن يا رسول الله ؟ قال: «الَّذي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» ما يدل على خطر خيانة الجار وعظم عقوبته عند الله، وأن من أعظم الذنوب أن يخون الجار جاره بهتك عرضه، وأي بائقة أعظم من هذه، أو يؤذيه بأي إيذاء، روي بإسناد صحيح أن بعض الصحابة قالوا: يا رسول الله: فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها قال: «هي في النار» قالوا: يا رسول الله: فلانة تصلي المكتوبات وتصدق بالأتوار من الإقط ولا تؤذي جيرانها قال: «هي في الجنة»[1][2].

وقد سأل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رسول الله عن أي الذنب أعظم فقال ﷺ: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت ثم أي ؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»[3].

فعلى الدعاة إلى الله أن يعملوا جاهدين في بيان خطورة هذا الأمر

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٤٤٠.

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري ٣/٢٤٢
الأتوار: جمع تور وهي قطعة من الأقط.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه ص١١٦٣.
وصحيح مسلم بنحوه كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح من الذنوب وبيان أعظمها بعده، ص٦٢.

للمدعوين، وبخاصة في هذا الزمن الذي بدأ بعض الناس يتهاونون به لجهل منهم بعظم ذنبه وخطورته عند الله سبحانه وتعالى.

ثانياً :الفصاحة والبلاغة، أسلوب من أساليب البيان.

في قوله صلى اللع عليه وسلم : «واللَّهِ لا يُؤْمِن واللَّه لا يُؤْمِن واللَّه لا يُؤْمِن» قيل :ومن يا رسول الله ؟ قال :«الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» ما يبين فصاحته عليه الصلاة والسلام في الكلام. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :«في المتن جناس بليغ وهو من جناس التحريف وهو قوله : «لا يؤمن» و«لا يأمن» فالأول من الإيمان والثاني من الأمان.»[1]

فعلى الداعية أن يحرص على أن يكون كلامه فصيحاً بليغًا ليصبح أكثرَ تأثيراً على المدعوين.[2]

ثالثاً :جواز القسم للتأكيد على بيان حكم شرعي:

في قوله ﷺ : «واللَّهِ لا يُؤْمِن واللَّه لا يُؤْمِن واللَّه لا يُؤْمِن» ما يدل على جواز القسم وتكراره في التأكيد على بعض الأحكام الشرعية.

---

(1) فتح الباري ٤٤٣/١٠، عمدة القاري ١٨٠/١٥.

(2) سبق الحديث عن هدف الفائدة انظر ص٤٥٣.

وكان ﷺ يستعمل هذا الأسلوب في بعض توجيهاته ومخاطباته لأصحابه، فمن ذلك قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلامَ بينكم»[1].

وقوله ﷺ حين رأى حماراً موسومَ الوجه فأنكر ذلك قال: «فوالله لا أسمه إلا في أقصى شيء من الوجه، فأمر بحمار له فكوي في جاعرتيه، فهو أول من كوى الجاعرتين»[2]، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[3].

رابعاً: حرص الإسلام على تهذيب أخلاق المدعوين.

في حديث الباب ما يدل على اهتمام الإسلام بتحلي المتجاورين بالأخلاق الفاضلة فيما بينهم، ومن أعظم الأخلاق بين الجيران أن يتحلى الجار بالأمانة مع جاره، إذ الأمانة صفة عظيمة من صفات المؤمنين حذر الله من خيانتها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4]

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان، ص ٥٣

(2) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه، ص٨٧٧.

(3) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة ص ١٢١٣

(4) الأنفال: ٢٧.

خامساً: اهتمام الإسلام باستتباب الأمن في المجتمع المسلم.

إن التمسك بدين الله وتحكيم شرع الله سبب لاستتباب الأمن في المجتمع المسلم، ومتى كان المتجاورون متمسكين بدين الله فإن الأمن يسود في المجتمع المسلم، وإذا ضعف الإيمان اختل الأمن في المجتمع المسلم، وكثر الاعتداء على العرض والمال والنفس وفي حديث الباب تربية للمجتمع المسلم، على حفظ الأمن والحذر من أسباب زعزعته واختلاله.

سادساً: الترهيب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى.

في قوله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، من لا يأمن جاره بوائقه» ترهيب منه ﷺ لخيانة الجار، وأن من فعل ذلك فهو يمثل خطراً عظيماً على المجتمع المسلم، وأن فاعل ذلك يكون ناقص الإيمان، والترهيب من أساليب الدعوة النافعة استخدمها الرسول ﷺ كثيراً، فعلى الدعاة الاقتداء برسولهم في استخدام هذا الأسلوب.[1]

سابعاً: حث المدعوين على الفقه في الدين.

في قوله ﷺ «واللهِ لا يُؤْمِن واللّه لا يُؤْمِن .. الخ الحديث، وسؤال

---

[1] سبق الاشارة إلى هذه الفائدة، انظر ص٤٥.

الصحابة عن المقصود ما يدل على حرص صحابة رسول الله ﷺ على تعلم أمور دينهم، وسماع الإجابة منه ﷺ عما أشكل عليهم، حيث أجابهم بأن المقصود هو الرجل الذي لا يأمن جاره بوائقه. وهكذا صفة المسلم الحريص على الفائدة وآداب طالب العلم الحريص على الفقه في الدين قال النووي -رحمه الله تعالى- ومن آداب المتعلم «ألا يسوف في اشتغاله، ولا يؤخر تحصيل فائدة وإن قلت إذا تمكن منها وأن أمن حصولها بعد ساعة، لأن للتأخير آفات».[1]

---

[1] المجموع للإمام النووي ٦٩/١، ط دار إحياء التراث العربي.

بـاب من كـان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جـاره[1]

٧٩- عن أبي شريح[2] العدوي قال: سمعتْ أذنايَ وأبصرتْ عيناي حين تكلم النبي ﷺ فقال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَه، و مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِم ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ قيل: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فقال: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، و مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ»[3].

رقم الحديث: [٦٠١٩].

---

(1) أي هذا باب يذكر فيه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره .... الخ. عمدة القاري ١٨٢/١٥.

(2) سبق ترجمته، ص ٥٢٥.

(3) الحديث أطرافه في كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، بلفظ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يخرجه» رقم الحديث: ٦١٣٥.
وأخرجه أيضا في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان بلفظ: «الضيافة ثلاثة أيام جائزته» قيل: ما جائزته؟ قال: «يوم وليلة، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيراً أو ليسكت» رقم: ٦٤٧٦.
كما أخرجه مسلم مختصراً به زيادة، ونصه: «قال رسول الله ﷺ: «الضيافة ثلاثة أيام، وجائزته يوم وليلة، ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه» قالوا: يا رسول الله وكيف يؤثمه؟ قال: «يقيم عنده ولا شيء له يقربه به». صحيح مسلم، كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها رقم الحديث ١٧٢٦، ص٧١٩.

غريب الحديث:

الضيف: للواحد والجميع، وقد يجمع على أضياف وضيوف وضيفان. وضِفْتُه أضفيه ضيفًا وضِيافة بالكسر، نزلت عليه ضيفًا، والضيفن: من يجيء مع الضيف متطفلاً.[1]

جائزته: «يقال: أجازه بجائزة أي بعطاء»[2].

الموضوع الدعوي

إن الإسلام يغرس في نفوس أصحابه حب الكرم والإحسان، ومن الكرم أن يكرم المسلم جاره وضيفه، وفي حديث الباب يبين عليه الصلاة والسلام فضل إكرام الجار والضيف وأنه من الإيمان، ومن إكرام الجار عدم إيذائه بالقول أو الفعل أو بأي نوع من أنواع الإيذاء، وقد بوّب الإمام البخاري هذا الباب لأهمية هذا الأمر في حياة المسلمين، وقد ساق رحمه الله تعالى في الترجمة حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو هريرةرضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه...» الحديث.

---

(1) القاموس المحيط للفيروز ابادي ص٧٤٧ مادة [ض، ي، ف].

(2) ترتيب مختار الصحاح ص١٥٧.

وفي هذا تربية للمجتمع المسلم على الأخلاق العالية التي ينبغي أن يتحلى بها، فحسن الجوار من الأخلاق الفاضلة التي حرص الإسلام على غرسها وتأصيلها في نفوس أتباعه، حيث اعتبر إيذاء الجار دليلاً على نقصان الإيمان.

كما ذكر عليه الصلاة والسلام مبدأ عظيماً في أخلاق المسلمين وهو إكرام الضيف، وبين مقدار الضيافة الواجبة، وأن ما زاد على ذلك فهو صدقة غير ملزمة.

ولعل في ذكر الجار مع الضيف ما يجعل المسلم ينزل جاره منزلة الضيف في الإكرام وعدم الإيذاء، فهو في يوم من الأيام سيرحل طالت الدنيا أو قصرت، وإذا أخذ بهذا المبدأ فلا شك أن إيذاء الجار سيصعب عليه لأنه عنده بمنزلة الضيف أو أعظم، ويتحمل ما يصدر عنه من أخطاء في التصرف.

وبين عليه الصلاة والسلام أيضا في هذا الحديث أمراً مهماً يجب أن يجعله المسلم بين عينيه وهو حفظ اللسان من الزلل، وأن حفظه من الإيمان أيضا،حيث قال ﷺ :«و مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» . وأقول:لعل من الحكمة في ذكر حفظ اللسان مع نهيه ﷺ عن إيذاء الجار وكذلك الأمر بإكرام الضيف، ما ينبيء بأن اللسان مصدر خطر على الآخرين إذا أطلق له العنان، وأنه من أقرب ما يتأذى منه في الغالب الجار وكذلك الضيف؛ ولذلك نجد أن أغلب مصدر الأذى للجار هو اللسان الذي يؤدي إلى ما هو أكبر من إيذاء وأمور أخرى لا تحمد عقباها بين المتجاورين.

الفوائد الدعوية:

أولاً: الحث على إكرام الجار وعدم إيذائه.

ثانياً: حث المدعوين على فعل ما يؤدي إلى زيادة الإيمان.

ثالثاً: تحذير المدعوين من آفات اللسان.

رابعاً: حث المدعوين على حسن الضيافة وإكرام الضيف.

خامساً: التأكيد في ضبط الحفظ عن ذكر النص.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: الحث على إكرام الجار وعدم إيذائه.

في قوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ» ما يبين أهمية إكرام الجار في الإسلام، وأن حقوق الجار كبيرة، وقبل ما نذكر بعضاً منها، لا بدَّ من معرفة أنواع الجيران ومراتبهم لتتم الفائدة في كيفية أداء الحقوق لهم، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [1].

ففي هذه الآية يأمر الله عز وجل عباده بالإحسان إلى الجار ذي القربى الذي

---

(1) النساء ٣٦.

له مع الجوار قربٌ أو اتصالٌ بنسب .

والجار الجنب :وهو الذي لا قرابة له.

والصاحب بالجنب :هو الرفيق في أمر حسن كتعليم وصناعة وتجارة وسفر .

ومن إكرام الجار ما يلي:

١- إذا استعانك فأعنه.

٢- إذا استقرضك فأقرضه .

٣- إذا مرض عدته.

٤- إذا أصابه خيرٌ هنّأته.

٥- إذا أصابته مصيبةٌ عزيته.

٦- ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه.

٧- ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها.

لذا ينبغي على الدعاة بيان أهمية هذا الأمر للمدعوين، والحرص على إكرام الجار اتباعاً لهدي سيد المرسلين.

ثانيا:حث المدعوين على فعل ما يؤدي إلى زيادة الإيمان.

في قوله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» ما يدل على زيادة الإيمان بالأعمال الصالحة، لذا ينبغي على المسلم المبادرة إلى فعل الأعمال المؤدية إلى زيادة الإيمان، وذلك بالإقبال على الطاعات، والابتعاد عن المحرمات، وأن

يبادر حين يرتكب ذنباً إلى التوبة النصوح التي يكفر الله بسببها السيئات كما قال تعالى: ﴿...إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[1] ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

فعلى الدعاة إلى الله تحريض المدعوين على فعل ما يزيدهم إيمانا، والبعد عما يحدث في إيمانهم نقصاً أو خللا، وتذكيرهم إذا رأوا عليهم مثل هذه المخالفات من إيذاء الجيران، وعدم إكرام الضيف ونحوهما من المخالفات التي نص الشارع على أنها دليل على نقصان الإيمان في نفس مرتكبها، فإن بتذكيرهم عوناً لهم بعد توفيق الله على التوبة من الذنوب. وقد قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] وهذا ما كان يفعله صحابة رسول الله في تذكير المخالفين.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلا يقول: [لا والكعبة]. فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[4].

---

(1) هود: ١١٤.

(2) النساء: ١١٠.

(3) الذاريات: ٥٥.

(4) سنن الترمذي كتاب النذور والإيمان باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، ٢٥٣/٥. وقال حديث حسن.
وسنن أبي داود بنحوه كتاب الإيمان والنذور باب في كراهية الحلف بالآباء، ص٥٠٦.
ومسند الإمام أحمد بنحوه ٣٤/٢.

ثالثاً: تحذير المدعوين من آفات اللسان.

في قوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» ما يدل على حرص الإسلام على تربية المسلمين على حفظ اللسان من النطق بالكلام السيئ، وأن حفظه سبب للسلامة من الأذى في الدين والدنيا، وآفات اللسان كثيرة منها:

١- القول على الله بغير علم.

٢- والغيبة والنميمة.

٣- الكذب.

٤- بذاءة اللسان بقبيح الكلام.

٥- القذف.

وغير ذلك من آفات كثيرة، وهي آفات يمكن اجتنابها بلزوم الصمت، وعدم الإكثار من الكلام.

فعلى الدعاة إلى الله حث المدعوين على لزوم الصمت، وأن يبينوا لهم أن إطلاق اللسان قد يكون سببا لدخول النار كما بين ذلك الصادق الأمين في قوله ﷺ: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» وسيأتي مزيد بحث عن هذا الموضوع عند كلامنا عن نهيه ﷺ عن قيل وقال، وذلك في آخر حديث في كتاب الرقاق.[1]

---

(١) انظر الفصل السادس كتاب الرقاق باب ما يكره من قيل وقال......، ص١١٢٢ .

رابعاً : حث المدعوين على حسن الضيافة وإكرام الضيف.

في قوله ﷺ : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» ما يدل على حرص رسول الله ﷺ على إكرام الضيف، وقد اهتم ﷺ بهذا الأمر، وكان يدعو لذلك ويأمر به أصحابه، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن :ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ : «من يَضُمُّ أو يُضيفُ هذا» فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياننا، قال هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونوّمي صبيانك إذا أرادوا العشاء. فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونوّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، وجعلا يريانه أنهما يأكلان، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال : «ضحك الله تعالى الليلة، أو عجب من فعلكما» فأنزل الله تعالى : ﴿ ...وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

وقد كان صحابة رسول الله يحرصون على إكرام الضيف امتثالا لأمر نبيهم محمد ﷺ. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال : «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟» قالا : الجوع يا رسول الله. قال : «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته

(١) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار باب قول الله تعالى :[ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة] ص٧٢٢. الآية من سورة الحشر : ٩ .
وصحيح مسلم مختصراً كتابه الأشربة باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، ص٨٥٠.

المرأة قالت : مرحباً وأهلاً ! فقال لها رسول الله ﷺ : «أين فلان ؟» قالت : ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال : الحمد لله، ما أحدٌ اليوم أكرم أضيافاً مني. قال : فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب، فقال : كلوا من هذه وأخذ المُدْيَةَ فقال له رسول الله ﷺ : «إياك والحَلُوبَ» فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذْق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما : «والذي نفسي بيده لَتُسْأَلُنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»[1].

فعلى الدعاة إلى الله حث المدعوين على التأسي برسول الله ﷺ وصحابته الكرام في هذا الخلق النبيل من إكرام الضيف والإحسان إليه.

خامساً : التأكيد في ضبط الحفظ عند ذكر النص.

في قول أبي شريح العدوي : «سمعتْ أُذُنَايَ وأبصرتْ عيناي حين تكلم النبي ﷺ فقال : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ......» الحديث.

ما يبين حرص الصحابة رضوان الله عليهم على ضبط حفظ سنته ﷺ، والتوكيد بالسماع منه ﷺ قال العيني في فائدة قول أبي شريح : «سمعت أذناي» «التوكيد»[2].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك وبتحققه تحققا تاما، واستحباب الاجتماع على الطعام ص ٨٤٣

(2) عمدة القاري ١٨٣/١٥. وانظر إرشاد الساري للقسطلاني ٤٥/١٣.

بـاب كـل معروف صدقـة[1]

٨٠- عن جـابر[2] بن عبـد الله رضي الله عنهـمـا عن النبي ﷺ قـال : «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»[3].

رقم الحديث: [٦٠٢١].-

غريب الحديث :

معروف : المعروف :هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وهو من الصفات العالية. [4]

صدقـة: المراد بالصدقة : الثواب. قال ابن بطال : أصل الصدقة ما يخرجه المرء من ماله متطوعاً به، وقد يطلق على الواجب لتحري صاحبه الصدق بفعله، ويقال لكل ما يحابي به المرء من حقه صدقة ؛ لأنه تصدق بذلك على نفسه. [5]

---

(١) أي هذا باب في بيان يذكر فيه كل معروف صدقة . انظر : عمدة القاري ١٥/١٨٤.

(٢) سبق ترجمته ، انظر ص ٩٥ .

(٣) الترجمة عين الحديث والحديث أخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٤) عمدة القاري ، ١٥/١٨٤.

(٥) انظر فتح الباري ١٠/٤٤٨.

الموضوع الدعوي

يحرص الإسلام على تربية المسلمين على فعل المعروف وبيان ثماره، وفي حديث الباب يبين عليه الصلاة والسلام حرص الإسلام على ذلك، وأن فاعله ينال الأجر العظيم إذا احتسب ذلك عند الله، وفي هذا غرس لحب الخير في نفوس المؤمنين، وأن ما يعمله المسلم من معروف يثاب عليه بمشيئة الله تعالى. قال ابن بطال: «دلّ هذا الحديث على أن كل شيء يفعله المرء أو يقوله من الخير يكتب له صدقة» [١].

وقد رغَب ﷺ أمته على فعل المعروف، وبين أنه متعدد الطرق، إذا صعب على المسلم طريق انتقل إلى آخر، ومن ذلك ما رواه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن جده قال: قال النبي ﷺ: «على كل مسلم صدقة». قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق». قالوا: فإن لم يستطيع أو لم يفعل؟. قال: «فيعين ذا الحاجة الملهوّف». قالوا: فإن لم يفعل؟. قال: «فليأمر بالخير أو قال: بالمعروف». قال: فإن لم يفعل؟. قال: «فيمسك عن الشر فإنه له صدقة» [٢].

قال ابن بطال: «في هذا الحديث الحثّ على فعل الخير مهما أمكن، وأن من قصد شيئاً منها فتعسر فلينتقل إلى غيره» [٣].

قال الشيخ محمد أبو جمره في قوله ﷺ: «كل معروف صدقة»: «اشارة لطيفة

---

(١) عمدة القاري، ١٥/١٨٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب باب كل معروف صدقة، ص١١٦٦.
وصحيح مسلم بنحوه كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ص٣٩٠.

(٣) فتح الباري ١٠/٤٤٨، وانظر عمدة القاري، ١٥/١٨٥.

وهي أنه لما خفيت أفعال المعروف لدقة أكثرها اشبهت إخفاء ليلة القدر واخفاء الساعة في يوم الجمعة وليلة القدر ترقب في لياليها المعلومة لها والساعة التي في يوم الجمعة ترقب في جميع يومها فينبغي أن ترقب أفعال المعروف مثلها وكيفية ذلك أن يحضر النية في أول يومه»[1]

الفوائد الدعوية :

أولاً : حث المدعوين على فعل المعروف.

ثانياً : بيان فضل الله على عباده المؤمنين.

ثالثاً : أن الصدقة لا تنحصر في الأمر المحسوس.

رابعاً : الترغيب في فعل المعروف أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : حث المدعوين على فعل المعروف.

في قوله ﷺ : «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» ما يبين أهمية فعل المعروف في الإسلام، وقد أمر الله عباده المؤمنين بذلك فقال تعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ... ﴾[2]. ورغب عليه الصلاة والسلام في صنائع المعروف التي تعين على تفريج كربات المكروبين في هذه الحياة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول

---

(1) بهجة النفوس ٤/ ١٧٠.

(2) لقمان : ١٧.

الله ﷺ : « ... من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» [1].

وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : «من أقال مسلماً أقال الله عثرته» [2]. وقال عليه الصلاة والسلام : «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه» [3].

فعلى الدعاة إلى الله أن يغرسوا حبَّ عمل المعروف في نفوس المدعوين؛ لما في فعل المعروف من الخير العظيم والثواب الجزيل.

ثانياً : بيان فضل الله على عباده المؤمنين.

في قوله ﷺ : «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» ما يبين فضل الله على عباده المؤمنين، حيث يحثهم على أعمال هي من حاجاتهم الأساسية في هذه الحياة، ومع ذلك لا يحرم المسلم أجره العظيم في الدنيا والآخرة. يقول عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبي وقاص مبيناً فضلَ الله على عباده المؤمنين :« ... وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك» الحديث. [4]

---

[1] سبق تخريجه ص ٣٧٠ .

[2] سنن أبي داود ، كتاب البيوع والإجارات ، باب في فضل الإقالة ، ص ٥٣٥ .

[3] صحيح مسلم، كتاب المساقاة ، باب فضل إنظار المعسر ، ص٦٣٩

[4] صحيح البخاري، كتاب الجنائز ، باب رثى النبي ﷺ سعد بن خوله، ص٢٥٢. وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الوصية باب الوصية بالثلث، ص٦٦٧.

ومن فضله سبحانه على عباده أن جعل الإحسان سبباً للمغفرة حتى ولو كان على حيوان فضلاً عن الإنسان، وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «بينا رجل بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى [1] من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني. فنزل البئر فملأ خُفَّه ماءً، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له» قالوا: يا رسول الله: وإن لنا في البهائم لأجراً؟ فقال ﷺ: «في كل ذات كبد رطبة أجر» [2].

وجعل سبحانه وتعالى إماطةَ الأذى عن الطريق صدقةً، والإصلاحَ بين الاثنين صدقةً، كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل في دابته فيحمل عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة» [3].

بل جعل الله سبحانه إحياءَ الأرض التي تعود بالنفع على المسلمين عموما صدقةً

---

(1) الثرى: التراب.

(2) صحيح البخاري، كتاب المظالم باب الآبار على الطرق إذا لم يُتأذ بها، ص٤٦٤-٤٦٥.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، ص٩٢٣.

(3) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالرُكاب ونحوه، ص٥٧٣.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ص٣٩٠.

يؤجر عليها المسلم. أخرج مسلم في صحيحه عن جابر أن النبي ﷺ دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل لها فقال لها النبي ﷺ :« من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر ؟». قالت: بل مسلم فقال: «لا يغرس مسلم غرساً، ولا يزرع زرعاً، فيأكل منه الإنسان ولا دابة ولا شيءإلا كانت له صدقة».[1]

وفي هذا التوجيه من رسول الله ﷺ لأمته، ما يجعلهم يقبلون على فعل الخير في جميع صوره طلباً للأجر العظيم من رب العالمين الذي بينه سيد المرسلين.

ثالثاً : أن الصدقة لا تنحصر في الأمر المحسوس.

في قوله ﷺ :«في كل معروف صدقة» ما يبين أن الصدقة لا تنحصر في الأمر المحسوس، قال الشيخ أبو جمره :«فائدة لطيفة وهي الحظ لك أن ترد بالك إلى باب المعروف فتعلمه وتعمل به لأنه باب واسع كاد أن لا يخلو من وفق إلى علمه والعمل به من دوام الخير ليلاً ونهاراً لئلا تجهل فتقول لا تكون الحسنة إلا بالصدقة بالمحسوس ويفوتك خير كثير وأنت قادر عليه وليس عليك في أكثره شيء من المشقة والصدقة بالمحسوس قد لا يقدر عليها بعض الناس وهذا منه ﷺ من أحسن الإرشاد».[2]

---

(1) صحيح مسلم، كتاب المساقاه، باب فضل الغرس والزرع، ص٦٣٥.

(2) بهجة النفوس لابن جمره ١٧٢/٤.

رابعاً : الترغيب في فعل المعروف أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

في قوله ﷺ : «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» ترغيب لأمته في فعل المعروف، وأن أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله له أثره في حفز المدعوين على الإقبال على فعل الخيرات واجتناب المنكرات. كما أنه استجابة لقوله تعالى :﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [1].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله استعمال هذا الأسلوب في حث المدعوين على الإقبال على فعل الخيرات واجتناب المنكرات.

---

[1] الأنبياء : ٧٣.

باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً (1)

٨١- عن أنس (٢) بن مالك رضي الله عنه قال : لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّاباً وَلا فَحَّاشاً وَلا لَعَّاناً، كَانَ يَقُولُ لأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ : مَا لَهُ ؟ تَرِبَ جَبِينُه» (٣).

رقم الحديث: [٦٠٣١].

٨٢- عن عائشة(٤)رضي الله عنها : أن رجلاً(٥) استأذن على النبي ﷺ فلمّا رآه قال :«بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ» فلما جلس تطلق النبيُّ ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلمّا انطلق الرجل قالتْ له عائشة : يا رسول الله حين رأيت الرجلَ قلت له : كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ : «يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَحاشاً ؟، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ

---

(١) أي هذا باب يذكر فيه لم يكن النبي فاحشاً ولا متفحشاً . عمدة القاري، ١٨٨/١٥.

(٢) سبق ترجمته ص ١٦٠ .

(٣) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، والحديث طرفه في نفس الكتاب، باب ما ينهى عنه من السباب واللعن بتقديم وتأخير رقم الحديث:٦٠٤٦.

(٤) سبق ترجمتها رضي الله عنها ص ٢٠٢ .

(٥) قال ابن بطال : هو عتبةبن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وكان يقال له : الأحمق المطاع، ورجا النبي ﷺ تألفه ليسلم قومه لأنه كان رئيسهم .
الفتح ٤٥٣/١٠، وانظر الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للسيوطي،٥٢٤/٥.

الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ».[1]

رقم الحديث: [٦٠٣٢].

غريب الحديث:

سباباً : السب الشتم، يقال :سبّه يسبّه سبًّا وسبابا والتساب :التشاتم وتسابوا : تشاتموا، وسابه ومسابة وسبابا : شاتمه.[2]

فحاشاً: الفحش والفحشاء والفاحشة : القبيح من القول والفعل،وكل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي.[3]

والمتفحش : الذي يتكلف سب الناس ويعتمده. ورجل فحاش : كثير الفحش.

عند المعتبة :السخط، مصدر عتبت على الرجل اعتب عليه عتباً ومعتبه.[4]

---

(١) مطابقته للترجمة في قوله :« متى عهدتني فحاشاً ». عمدة القاري ١٩١/١٥.
وأطراف الحديث في باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب بلفظ : « استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال : « ائذنوا له بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة »، فلما دخل ألان له الكلام ، قلت : يا رسول الله ، قلت الذي قلت ثم ألنت له الكلام ؟ قال: «أي عائشة إن شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه » برقم : ٦٠٥٤. وفي باب المداراة مع الناس، رقم ٦١٣١.
وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب مداراة من يتقى فحشه، حديث رقم ٢٥٩١.

(٢) لسان العرب ٤٥٦/١ مادة [سبب] ، وانظر: النهاية في غريب الحديث ٣٣٠/٢.

(٣) لسان العرب ٣٢٥/٦ مادة [فحش] ، وانظر : النهاية في غريب الحديث ٤١٧/٣

(٤) أعلام الحديث للخطابي ٢١٨٥/٣.

ما له ترب جبينه: التريب كثرة المال، والتريب قلة المال أيضا، ويقال: تربت يداه وهو على الدعاء، أي لا أصاب خيرا. قال ابن كثير: «قيل: أراد به دعاء له بكثرة السجود»[1].

وقال الخطابي: يحتمل أن يكون معنى ترب جبينه «أي جرع لجنبه فيكون سقوط رأسه على الأرض من ناحية الجبين»[2].

العشيرة : الجماعة والقبيلة.[3]

الموضوع الدعوي

في حديثي الباب يتبين لنا حسن خلق رسول الله ﷺ مع أصحابه وتلطفه ﷺ في عتابه لهم، وقد وصف هذا الخلق من رسول الله ﷺ أنس بن مالك رضي الله عنه بقوله: «لم يكن النبي ﷺ سبابا ولا فحاشا ولا لعانا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: «ما له ؟ ترب جبينه» .

وكان ﷺ يداري الناس مع ما يصدر منهم من بعض الخلق السيئ، كما فعل عليه الصلاة والسلام مع هذا الرجل الذي استأذن عليه، وكان قد عرفه بشيء من الأخلاق والتصرفات السيئة، لكن ذلك لم يزده ﷺ غير الانبساط له، واستقباله

---

(1) النهاية في غريب الحديث ١/١٨٥.

(2) أعلام الحديث للخطابي ٣/٢١٨٥، ط جامعة أم القرى.

(3) عمدة القاري ١٥/١٩٢-

بطلاقة الوجه، والترحيب به، وهو الأمر الذي أثار استغراب وتعجب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت بعدما انطلق الرجل من عند رسول الله ﷺ : يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له : كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه. فأجابها رسول الله ﷺ قائلاً : «يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَاحِشاً؟» الحديث.

هذا الخلق العظيم المتمثل في شخصية سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام هو ما وصفه به ربه بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [1].

ثم بين عليه الصلاة والسلام لعائشة السبب في هذا التعامل منه عليه الصلاة والسلام فقال : «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ». توجيهاً لأمته عليه الصلاة والسلام في حسن التعامل مع مثل هذا الرجل الذي قد لا يخلو مجتمع من مجتمعات المسلمين من وجود مشابه له، وسداً لباب الشر الذي قد يصدر من صاحب هذا الخلق السيئ.

ومما ينبغي التنبيه له أن قوله عليه الصلاة والسلام : «بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ» لا يعد فحشاً منه ﷺ، وحاشاه أن يصدر منه ذلك ﷺ، وإنما هو نصح وتوجيه منه ﷺ لأمته لاتقاء شر من هذا طريقه.

قال الإمام الخطابي في حديث عائشة : «جمع هذا الحديث علماً وأدباً، وليس في قول النبي ﷺ في أمته بالأمور التي يسميهم بها ويضيفها إليهم من المكروه غيبة، وإنما يكون ذلك من بعضهم لبعض، بل الواجب عليه أن يبين ذلك ويفصح به، ويعرف

---

[1] القلم : ٤.

الناس أمره، فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على أمته في اتقاء شر من هذا سبيله، وفي مداراته ليسلموا من شرّه وغائلته» [1].

وفي خلقه ﷺ مع هذا الرجل ما يبيّن مداراة من يتقى فحشه، وجواز غيبة الفاسق المعلن بفسقه، ومن يحتاج الناس إلى التحذير منه، فهذا الحديث أصل في المداراة» [2].

الفوائد الدعوية:

أولاً: تحذير المدعوين من سوء الأخلاق.

ثانياً: من صفات الداعية وطالب العلم السؤال عما يشكل.

ثالثاً: حثُّ المدعوين على حسن التعامل مع سيئي الأخلاق.

رابعاً: الثناء على النفس عند اقتضاء الحال.

خامساً: حسن خلق النبي ﷺ مع أصحابه رضوان الله عليهم.

سادساً: على الدعاة أن يكونوا قدوة في حسن التعامل مع الآخرين.

سابعاً: التلطف في التأديب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

ثامناً: جواز النقد عند الحاجة.

---

(1) أعلام الحديث للإمام الخطابي، ٣/٢١٧٩، ٢١٨٠، ٢١٨٠، ط جامعة أم القرى.

(2) انظر عمدة القاري ١٥/١٩٢.

تاسعاً : مشروعية حضور مجالس العلم.

عاشراً : حسن أدب العالم والداعية مع المتعلمين.

حادي عشر : بيان سوء عاقبة من أساء إلى الناس.

ثاني عشر : بشاشة الوجه للمدعوين أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

ثالث عشر :مشروعية الستر في الإسلام.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : تحذير المدعوين من سوء الأخلاق.

في قول أنس رضي الله عنه : لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّاباً وَلا فَحَّاشاً وَلا لَعَّاناً ، كَانَ يَقُولُ لأَحَدِنَا عِنْدَ المعتبة» الحديث ، ما يبين أهمية حسن الخلق في حياة الأمة ، وضرورة الابتعاد عن مساويء الأخلاق من سبٍ ولعنٍ وفحشٍ في اللسان ؛ لما لها من نتائج سلبية ، وآثار سيئة على الفرد والجماعة في الدنيا ، وعاقبة وخيمة وعقوبة أليمة في الآخرة ، والرسول ﷺ وهو المرسل بمكارم الأخلاق ، قد رغب أمته في حسن الخلق وحذر من سيئه ، وذلك في أحاديثه الكثيرة ، منها ما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وأن الله ليبغض الفاحش البذيء». [1]

---

[1] سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ماجاء في حسن الخلق، ٦/٢١٣.
قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح .

ومظاهر سوء الخلق كثيرة، منها : الغيبة، والنميمة، والتنابز بالألقاب، وعبوس الوجه تجاه الآخرين، والكذب، والظلم، وقد عالج الإسلام جميع هذه المظاهر، وحرص على القضاء عليها في المجتمع المسلم، وحذر المسلمين من الوقوع فيها، فعلى الدعاة أن يحذروا المدعوين من التخلق بالأخلاق السيئة.

ثانياً : من صفات الداعية وطالب العلم السؤال عما يشكل.

في حديث عائشة رضي الله عنها سألت عما أشكل عليها من موقف الرسول ﷺ مع الرجل الذي استأذن عليه، فقالت له مستفسرة عن هذا الأمر :يا رسول الله حين رأيت الرجلَ قلت له : كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ : «يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَاحِشاً ؟، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ».

وقد دل هذا الحديث على فضل السؤال والاستفسار عما أشكل ؛ إذ به يزول ما قد يعلق بالذهن من الخطأ، وما قد يطرأ على النفس من الشكوك والريب، لذا ينبغي على طلبة العلم والدعاة إلى الله السؤال عما يشكل، فيسألوا عن كل ما يشكل عليهم من أمور دينهم خاصةً، ودنياهم عامةً.

ثالثاً : حثُّ المدعوين على حسن التعامل مع سيئي الأخلاق.

في قول أنس رضي الله عنه : «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّاباً وَلا فَحَّاشاً وَلا لَعَّاناً،

كَانَ يَقُولُ لأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ : مَا لَهُ ؟ تَرِبَ جَبِينُه»، وقوله ﷺ لعائشة : «مَتَى عَهِدْتِنِي فَاحِشاً ؟، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ» ما يبين عظيم خلق الرسول ﷺ مع المخالفين، وأنه لا يعنف معهم، بل يبادل الإساءة بالإحسان عليه الصلاة والسلام.

وهذا ما ينبغي أن يسير عليه المسلم في حياته فقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾.[1]

وقد ضرب عليه الصلاة والسلام أروع المثل في حسن التعامل مع سيئي الأخلاق، سواء كانت المخالفة في الكلام الموجه له عليه الصلاة والسلام أم في إيذائه بالفعل، من ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال : مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء»[2].

فما أجمل أن يربي الدعاة إلى الله المدعوين على حسن التعامل مع من سآءت أخلاقهم اقتداء بسنة سيد المرسلين ؛ لما في هذا من جمع للكلمة، وقضاء على أسباب الفرقة والنفرة بين أفراد المجتمع المسلم، وتحمل لأخطاء الآخرين.

---

(1) فصلت : ٣٤

(2) سبق تخريجه، ص ٤٦٧ .

رابعاً : الثناء على النفس عند اقتضاء الحال.

إن المسلم قد يتردد في ذكر أوصافه الحميدة نظراً لما في تزكية النفس من المحذور، ولكن لا مانع من ذلك عند اقتضاء الحال، فيذكر الإنسان ما عنده من الخصال الحميدة من باب إزالة اللبس عند الآخرين، والناس شهود الله في أرضه. وبخاصة في المواقف المحرجة التي تحتاج إلى الصراحة، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ مع أم المؤمنين عائشة حيث قال لها : «يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَاحِشاً ؟» . وفيه تنبيه للدعاة إلى أنه لا حرج في مثل هذا الأمر إذا لم يكن من باب تزكية النفس، وكان لإزالة الشبهة، والتعريف بنعم الله، وقد قال عز من قائل : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [1].

خامساً : حسن خلق النبي ﷺ مع أصحابه رضوان الله عليهم.

في قول أنس رضي الله عنه : « لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّاباً وَلا فَحَّاشاً وَلا لَعَّاناً. . .» وكذلك تعامله مع الرجل الذي استأذن بالدخول فأذن له ما يدل على حسن خلقه ﷺ مع من ظهر شره تأليفاً لقلبه ودعوته إلى الله، وكان أنس رضي الله عنه يصف خلق النبي ﷺ وهو أكثر الصحابة ملازمةً له، حيث كان خادماً له، وغلاماً في بيته عليه الصلاة والسلام.

يقول : رضي الله عنه «ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألينَ من كفِّ رسولِ الله ﷺ ، ولا شممت رائحةً قطُّ أطيبَ من رائحةِ رسولِ الله ﷺ ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ

[1] الضحى : ١١ .

عشرَ سنين فما قال لي قط : أفٍّ، ولا لشيء فعلته : لِمَ فعلتَه ؟ ولا لشيء لَمْ أفعَلْهُ : إلا فعلت كذا»[1].

وكان ﷺ يداري أصحابَه، ويزيل عنهم الوحشة في تعامله معهم، ومن ذلك تعامله ﷺ مع جشامة رضي الله عنه، يقول جشامة يصف الموقف الذي حصل له مع رسول الله ﷺ : «أهديت رسول الله ﷺ حماراً وحشياً فردّه عليّ، فلما رأى ما في وجهي قال : «إنا لمْ نردّه عليك إلا لأنّا حرم» [2]، وقد وصفه ربه بحسن الخلق فقال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [3].

وقال أنس رضي الله عنه :«كان رسول الله صلى الله أحسن الناس خلقاً» [4].

إلى غير ذلك مما روي عنه وعن غيره من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين من صفاته ﷺ في التعامل مع أصحابه، ومن أخلاقه الحميدة التي تفضل بها ربه عليه نعمةً وفضلاً، فعلى الدعاة إلى الله أن يتأسوا برسولهم الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم في هذا الجانب، وأن يتوخوا الأخلاق الحميدة والتصرف اللائق مع المدعوين ؛ لما في ذلك من دور فعال في حسن تقبل ما يدعون إليه، وإقبال الناس عليهم.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ص٦٨٢ .

(2) سبق تخريجه انظر ص ٢٧٨ .

(3) القلم : ٤

(4) سبق تخريجه، انظر ص ٤٩٧ .

سادساً : على الدعاة أن يكونوا قدوة في حسن التعامل مع الآخرين.

إن الدعاة إلى الله هم الموجهون القدوة في المجتمع المسلم، فهم بأمس الحاجة إلى أن يتعاملوا مع الناس بأحسن الأخلاق، وبخاصة مع المخالفين حتى يؤثروا عليهم من الناحيتين معاً، من ناحية ما يشاهده هؤلاء المخالفون فيهم من حسن الخلق، ومن ناحية ما يدعونهم إليه بأقوالهم ودعوتهم، وبذلك يكونوا قد أثروا في هؤلاء بالقول والفعل معاً، فيكونوا قدوة لهم بأقوالهم وبأفعالهم.

وفي حديث الباب يصف أنس حسن خلق الرسول عليه الصلاة والسلام، وتصف عائشة رضي الله عنها كيف كان يتصرف مع المخالفين، قال الإمام الخطابي رحمه الله عن هديه ﷺ مع الرجل الذي تطلق في وجهه :«ولما جبل عليه الصلاة السلام من الكرم والمطيه من حسن الخلق أظهر له من البشاشة ولم يَجْبَهْه بالمكروه لتقتدي به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله»[1]

لذا ينبغي الأخذ بهدي النبي ﷺ في هذا الجانب، وأول من يأخذ به هم الدعاة إلى الله؛ كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[2].

سابعاً :التلطف في التأديب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

في قول أنس رضي الله عنه : « لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّاباً وَلا فَحَّاشاً وَلا لَعَّاناً ،

---

(١) أعلام الحديث للإمام الخطابي، ٢١٨/٣.

(٢) الأحزاب: ٢١ .

كَانَ يَقُولُ لأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ : مَا لَهُ ؟ تَرِبَ جَبِينُه»، ما يبين أن معاتبة المخالفين أسلوب تربوي ناجع في تصحيح بعض الأخطاء.

وكان من حسن خلقه ﷺ أن يوجه أصحابه مباشرة أو بطريق مناسب، من ذلك ما رواه أنس من مالك، أن رجلاً جاء فقعد في مجلس النبي ﷺ وأصحابه وعليه أثر صفرة، فلما قام قال النبي ﷺ : «لوْ أَمَرْتُمْ هَذَا أَنْ يَدَعَ هَذِهِ الصُّفْرَةَ» وكان النبي ﷺ لا يواجه أحداً في وجهه بشيء» [1].

فعلى الدعاة إلى الله أن يحسنوا العتاب للمخالفين بأسلوب غير منفر لهم كما كان يفعل عليه الصلاة والسلام، فإن في ذلك تأليفاً للقلوب وإزالةً للمخالفة بأحسن أسلوب.

ثامناً : جواز النقد عند الحاجة.

في قوله ﷺ للرجل : «بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ» ما يبين جوازَ نقد الرجال، وخصوصاً إذا كان ثمةَ مصلحةٌ شرعيةٌ مترتبةٌ على ذلك، ولا يُعَدُّ هذا من الغيبة التي حرمها الله.

قال الحافظ :«قال العلماء : تباح الغيبة في كل غرض صحيح شرعاً، حيث يتعين طريقاً إلى الوصول إليه بها، كالتظلم، والاستعانة على تغيير المنكر، والاستفتاء، والمحاكمة، والتحذير من الشر، ويدخل فيه تجريح الرواة والشهود، وإعلام من له ولاية

---

(1) مسند الإمام أحمد ٣/١٥٤

عامة لسيرة من هو تحت يده. . .». [1]

وكثيراً ما كان عليه الصلاة والسلام ينقد الرجال لمصلحة شرعية أو دنيوية نصحاً لأمته عليه الصلاة والسلام. فمن ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : إني تزوجت امرأةً من الأنصار، فقال له النبي ﷺ : «هل نظرت إليها، فإن في عيون الأنصار شيئاً»، قال : قد نظرت إليها، قال :«على كم تزوجتها؟» قال : على أربعة أواق، فقال له النبي ﷺ :«على أربعة أواق؟ كأنما تنحتون الفضة من عُرْض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك. . .». [2]

وقال القرطبي رحمه الله تعالى في فقه حديث عائشة رضي الله عنها :«ففي الحديث من الفقه : جواز غيبة : المعلن بفسقه ونفاقه» [3].

وقال الباجي :«في قوله ﷺ :«بئس ابن العشيره» وصفه النبي ﷺ ليعلم بحاله وليس ذلك من باب الغيبة لأنه مأمور بأن يعلم بحاله ليحذر أمره». [4]

تاسعاً : مشروعية حضور مجالس العلم.

في قول عائشة رضي الله عنها :يا رسول الله حين رأيت الرجلَ قلت له : كذا

---

(1) فتح الباري ١٠/٤٧٢.

(2) صحيح مسلم،كتاب النكاح، باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها ص ٥٦٠.

(3) المفهم للقرطبي ٦/٥٧٣

(4) المنتقى شرح الموطا: للإمام الباجي ٩/٢٨٦، ط مكتبة الباز مكه المكرمه.

وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه.. الحديث، ما يدل على مشروعية حضور مجالس العلم، فعائشة رضي الله عنها سمعت ما قاله رسول الله ﷺ لهذا الرجل قبل الدخول عليه، وسمعت أيضا ما قاله عليه الصلاة والسلام للرجل بعد دخوله عليه. هي أم المؤمنين التي تعلمت من رسول الله العلم الكثير لكثرة مجالسها مع رسول الله ﷺ وحرصها على ملازمته والتعلم منه ﷺ، فقد نفع الله بها وبعلمها الكثير الذي نقلته إلى الأمة بأمانة وحسن أداء، جزاها الله عن هذه الأمة خير الجزاء.

ولا شك أن طلب العلم فضله عظيم حيث قال تعالى: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [1].

ورغب عليه الصلاة والسلام في طلب العلم وحضور مجالسه فقال ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة» [2].

ودعا عليه الصلاة والسلام لمن سمع علماً فبلغه كما سمعه فقال ﷺ: «نضر الله امرأً سمع منا شيئًا فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع» [3] وهذا ما يدل على أهمية الحرص على حضور مجالس العلم، وسماع الخبر، وتبليغه الناس، وحثهم على العمل به.

---

(1) الزمر: ٩

(2) سبق تخريجه ،انظر ص٤٢٨ .

(3) سبق تخريجه، انظر ص ٢٢٠ .

عاشراً : حسن أدب العالم والداعية مع المتعلمين.

في قوله ﷺ لعائشة : «يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَاحِشاً ؟»، ما يدل على أنه يجب على الداعية والعالم أن يلتزم حسن الأدب مع المتعلمين، فسؤال عائشة رضي الله عنها كان في محله، حيث تغير حال الرسول ﷺ قبل دخول الرجل عن حاله بعد الدخول. وأجاب أم المؤمنين عن السبب، لكنه مع ذلك لم يعنف رسول الله ﷺ أم المؤمنين بل قال عليه الصلاة والسلام : «يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَاحِشاً ؟» مبيناً بذلك أن قوله عن الرجل قبل دخوله ليس من باب الفحش، وإنما هو حقيقة يعرفها عن الرجل، وأن انبساطه له بعد دخوله واجب يتحتمه عليه ما حمَّله الله إياه من الرسالة، وما بوّأه من منزلة القيادة بين الأمة.

وكان عليه الصلاة والسلام يعطف على المتعلمين، ويحرص على تحقيق مصالحهم الدينية والدنيوية، من ذلك ما ذكره أبو سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال : أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلةً، فظنَّ أنَّا اشتقْنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا، فأخبرناه وكان رفيقاً رحيماً، فقال :«ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ ومُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم».[1]

فما أعظم هذاالخلق العظيم من رسول الله ﷺ مع المتعلمين، فعلى العلماء والدعاة أن ينهلوا من هذا الهدي النبوي الكريم في تعاملهم مع المتعلمين.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ص١١٦٤.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب المساجد، باب من أحق بالإمامة، ص٢٦٤.

حادي عشر : بيان سوء عاقبة سيئي الأخلاق .

في قوله ﷺ : «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»، ما يبين سوء عاقبة سيئ الأخلاق الذي يتقيه الناس لسوء خلقه ويبتعدون عنه، وأن سوء الخلق عاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا كراهة الناس له والحذرمن التعامل معه، وفي الآخرة البعد عن الله، وربما العقاب الأليم. نسأل الله السلامة والعافية.

وقد بين عليه الصلاة والسلام عاقبة سيئ الأخلاق في مواضع مختلفة، منها ما رواه جابر رضي الله عنه أنه ﷺ قال : «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون[1] والمتشدقون[2] والمتفيقهون. قالوا : يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيقهون؟، قال :«المتكبرون»[3].

ثاني عشر : بشاشة الوجه للمدعوين أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

في قول عائشة رضي الله عنها عن الرجل«فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه

---

(١) الثرثارون : الثرثرة كثرة الأكل والكلام في تخليط وترديد، وقد ثرثر الرجل فهو ثرثار مهذار. لسان العرب لابن منظور ١٠٢/٤.

(٢) المتشدقون : تشدق أي لوى شدقه للتفصح . القاموس المحيط ص٨٠٧.

(٣) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، وقال أبو عيسى: حسن غريب من هذا الوجه، ٢٢٣/٦-٢٢٤.

وانبسط إليه. .. الحديث. ما يدل على أن البشاشة في الوجه أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله، لما فيها من ترغيب المدعوين وحثهم للرجوع إلى الحق.

والبشاشة في الوجه من الأمور التي حث عليها رسول الله ﷺ ورغب فيها، وبين أن المسلم مأجور عليها، فقال عليه الصلاة والسلام: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة»[1] وحثَّ على طلاقة الوجه فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[2].

واهتم العلماء بهذا الأمر وحثوا على التحلي به، قال ابن الحنبلي رحمه الله تعالى: «البشر مؤنس للعقول ومن دواعي القبول، والعبوس ضده»[3].

وقال ابن حبان رحمه الله تعالى: البشاشة إدام العلماء، وسجية الحكماء؛ لأن البشر يطفئ نار المعاندة، ويحرق هيجان المباغضة، وفيه تحصين من الباغي، ومنجاة من الساعي، ومن بش للناس وجهاً لم يكن عندهم دون الباذل لهم ما يملك»[4].

وقال محمد بن حازم:

وما اكتسب المحامد حامدوها * * بمثل البشر والوجه الطليق[5]

---

(1) سنن الترمذي، باب ما جاء في صنائع المعروف ٩٥٦.

(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، ص١٠٥٤، ط بيت الأفكار الدولية.

(3) كتاب الضوء لابن عقيل ٦٣٥/٢.

(4) روضة العقلاء ص ٧٥، ط مكتبة السنة المحمدية.

(5) بهجة المجالس ٥٩٨/٢

فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على طلاقة الوجه مع الآخرين، وليحذروا من العبوس في وجوههم، فإن العبوس سبب النفرة من العلماء والدعاة إلى الله.

ثالث عشر: مشروعية الستر على المخالفين:

في قول عائشة رضي الله عنها إن رجلاً استأذن على النبي ﷺ، وفي قوله ﷺ قبل دخوله: «بئس أخو[1] العشيرة وبئس ابن العشيرة ولم يسم عشيرته ما يبين مشروعية الستر على المخالفين من المدعوين، وكان من هديه ﷺ هذا الأمر حيث يقول عن المخالفين: «مابال أقوام» ولا يصرح بالأسماء في الغالب، لذا ينبغي على الدعاة إلى الله الستر على المخالفين وعدم التشهير بأسمائهم وأسماء قبائلهم وعشيرتهم، لما في ذلك من خيرات كثيرة، حيث يحبب الدعاة إلى المدعوين ويجعل دعوتهم مقبولة إن شاء الله، ولأن في ذلك دفعاً للشر، حيث قد يعاند المخالف الذي صرح باسمه أو باسم عشيرته، فيصرَّ على ما هو عليه من المخالفة كبراً وعناداً.

---

[1] ذكر بعض علماء الحديث: أنه عيينه بن حصين الفزاري وكان من عيينه في حياة النبي ﷺ، وبعد موته ما يدل على ضعف إيمانه بل: فيه علم من إعلام النبي ﷺ أنه بئس ابن العشيرة، وقد ظهر ذلك منه، إذ هو من ارتد وجيء به أسيراً إلى أبي بكر -رضي الله عنه- والله أعلم بما ختم له. المفهم للقرطبي ٦/٥٧٢.

باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل [1]

وقال ابن عباس: كان النبي ﷺ أجودَ الناس، وأجود ما يكون في رمضان.

وقال أبو ذر لما بلغه مبعثُ النبي ﷺ قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله. فرجع فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق [2].

٨٣- عن جابر [3] رضي الله عنه قال : ما سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ : لا [4].

رقم الحديث: [٦٠٣٤].

---

(١) أي هذا باب في بيان حسن الخلق ، وفي بيان السخاء ، وفي بيان ما يكره من البخل . عمدة القاري ١٥/١٩٢.
قال الحافظ ابن حجر : جمع في هذه الترجمة بين هذه الأمور الثلاثة لأن السخاء من جملة محاسن الأخلاق ، بل هو من معظمها ، والبخل ضده . فأما الحسن فقال الراغب: هو عبارة عن كل مرغوب فيه إما من جهة العقل وإما من جهة العرض وإما من جهة الحسن، وأكثر ما يقال في عرف العامة فيما يدرك بالبصر، وأكثر ما جاء في الشرع فيما يدرك بالبصيرة ا.هـ ملخصاً، والخُلق بضم اللام وسكونها: الدين والطبع والسجية، قال الراغب : الخُلق والخَلق -يعني بالفتح والضم- في الأصل بمعنى واحد كالشُر والشَر، لكن خُص الخلق الذي بالفتح بالهيئات والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلق الذي بالضم بالسجايا المدركة بالبصيرة. والسخاء، بمعنى الجود، وهو بذل ما يقتنى بغير عوض، وعطفه على حسن الخلق من عطف الخاص على العام وإنما أفرد للتنويه به .
انظر فتح الباري ١٠/٤٥٦.

(٢) هذا التعليق وصله البخاري في قصة إسلام أبي ذر مطولاً .

(٣) سبق ترجمته انظر ص ٩٥ .

(٤) مطابقته للترجمة الجزء الثاني من الحديث عمدة القاري، ١٥/١٩٤.
والحديث أخرجه مسلم، في كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله عن شيئاً قط فقال : لا. رقم الحديث ٢٣١١، ص٩٤٦.

الموضوع الدعوي

لقد كان عليه الصلاة والسلام أكمل الناس خُلقاً وقد بينت السنة خُلقه وسخاءهﷺ وفي حديث جابر رضي الله عنه ما يبين حسن خلق الرسول ﷺ ، وأنه جواد لم يسأل شيئاً قط فقال : لا. وقال أخو أبي ذر رضي الله عنه يصف خلق الرسول ﷺ :«رأيته يأمر بمكارم الأخلاق» .

ومن مكارم الأخلاق حسن التعامل مع الناس، ولين الجانب لهم، والسخاء، والكرم، إن حسن الخلق والسخاء وعدم البخل أمر مهم في حياة المجتمع المسلم، بل هو من الأمور المحمودة والمرغب فيها قبل مجيء الإسلام عند العرب، فكانوا يتفاخرون بالسخاء، ويذمون البخل،وظلوا على هذا الخلق الحميد حتى مبعث رسول الله ﷺ الذي بعثه ربه متمماً لمكارم الأخلاق، ومهذباً لها، حيث قال ﷺ : «إنما بعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق»[1]، فقام عليه الصلاة والسلام بذلك على أتم وجه، ودعا إليه بقوله وفعله، وكان هذا الخلق العظيم من رسول الله ﷺ سبباً في إسلام عدد من صحابته، منهم أبو ذر رضي الله عنه.

ومن هنا يتبين أهمية هذا الأمر في الدعوة إلى الله، وأن الدعوة إلى الله لا بد أن تكون قولاً وعملاً. وقد أدرك ذلك بكل معناه السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ الذين هاجروا من هذه الجزيرة المباركة وانتشروا في جميع أصقاع المعمورة لنشر دعوة الإسلام، ولإخراج البشرية من الجهل وظلامه إلى نور الإيمان والصلاح، فكان أول ما بدأوا به هو

---

(1) سبق تخريجه انظر ص ٤١٦ .

الدعوة إلى الإسلام بحسن تعاملهم وأخلاقهم، فكان من نتائج ذلك أن أقبل الناس على دين الله أفواجاً، كما هو معلوم لكل من تابع تاريخ انتشار هذا الدين الحنيف في أنحاء أرجاء المعمورة. وهو السبب نفسه في إقبال الناس على دين الله أفواجاً في زمن سيد المرسلينﷺ، لما رأوا في شخصيته ﷺ من حسن الخلق والجود والكرم حتى إن الواحد ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فتتغير نيته بعدما يقف على حقيقة رسول الله ﷺ، وأنه رسول من رب العالمين، متصف بالكرم والجود والسخاء ولين الجانب، فعن أنس رضي الله عنه قال: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً إلا أعْطَاهُ، قال فجَاءَ رَجُلٌ فَأعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فرَجَعَ إلَى قَوْمِه فَقَال: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاءً لا يَخْشَى الفَاقَة. وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إلا الدُّنْيَا، فَمَا يُسلِم حَتَّى يَكُونَ الإسْلامُ أحَبَّ إلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»[1]، هذا هو خلق الرسول الذي جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وهذا هو خلقه الذي تمسك به من أتى بعده من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

الفوائد الدعوية :

أولاً : حثّ المدعوين على حسن الخلق.

ثانياً : حثّ المدعوين على السخاء والبذل.

ثالثاً : تحذير المدعوين من البخل .

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال: لا، وكثرة عطائه ص ٩٤٦، ط بيت الأفكار الدولية.

رابعاً :على الدعاة أن يكونوا قدوة في البذل والسخاء.

خامساً : البحث عن الحق سمت العقلاء من الرجال.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : حثّ المدعوين على حسن الخلق.

إن حسن الخلق له أهميته في حياة المسلم، وبه يستقر المجتمع المسلم، ويسود فيه الخير والتعاون والرخاء، وبه تتحقق الأخوة الإيمانية، إذ بدونه تحدث النفرة بين أفراد المجتمع، وتتلاشى بينهم الأخوة إن لم تفتقد نهائياً.

وفي قول ابن عباس وأخي أبي ذر: «رأيته يأمر بمكارم الأخلاق» وفي قول جابر رضي الله عنه : «ما سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ : لا» ما يبين حسن خلقه عليه الصلاة والسلام، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة.

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله حث المدعوين على حسن الخلق والتحلى بمكارم الأخلاق التي أمر رسول الله ﷺ بها وبين فضلها ،وقد قال عليه الصلاة والسلام لأبي ذر: «يا أبا ذر اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُ ما كُنْتَ، واتبع السيئة الحسنة تمحها وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[1].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «أكمل المؤمنين إيماناً

---

[1] سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، ٢٠٤/٦. وقال عنه: حديث حسن صحيح .

أحسنهم خلقاً»[1]، وقال عليه الصلاة والسلام مرغباً في حسن الخلق : «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقاً، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحاً، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :«سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال : تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ. وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار. فقال :الْفَمُ وَالْفَرْجُ»[3].

ثانياً : حثّ المدعوين على السخاء والبذل.

في حديث جابر رضي الله عنه : ما سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ : لا» ما يدل على فضل السخاء والجود بين المسلمين، ولقد حث الإسلام على هذا الأمر ورغب فيه بين المسلمين فقال تعالى : ﴿ ...وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[4]، وقال تعالى : ﴿ ...وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[5]، وقال تعالى : ﴿ ...وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ

---

(1) سبق تخريجه، ص٤١٧ .

(2) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق ، ص٧٢٨.
وسنن الترمذي، باب ما جاء في المراء ٢٠٧/٦، بنحوه قال أبو عيسى وهذا الحديث حديث حسن.

(3) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق، ٢١٤/٦.
وقال عنه حديث صحيح غريب . وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بنحوه، ٢٩١/٢.

(4) البقرة : ٢٧٢

(5) البقرة : ٢٧٣

الرَّازِقِينَ﴾[1].

وحث رسول الله ﷺ أمته على الإنفاق والجود وبذل المال، فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل أتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته في الحق، ورجل أتاه الله حكمةً فهو يقضي بها ويعلّمها»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل»[3].

فعلى الدعاة إلى الله أن يبيّنوا فضلَ الإنفاق، وأن الله سبحانه وتعالى يضاعف للمسلم الأجرَ، ويخلف عليه ما أنفق، فيسعد بسبب إنفاقه في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: تحذير المدعوين من البخل.

إن البخل خلق ذميم نهى الله عنه في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾[4] وقال تعالى: ﴿...وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[5].

---

[1] سبأ: ٣٩.

[2] سبق تخريجه، ص ٤١٣.

[3] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، ص١٠٤٢.

[4] الليل: ٨ ـ ١١

[5] التغابن: ١٦

وأمر رسول الله ﷺ بالإنفاق، وحذر من البخل، وذلك في أحاديث كثيرة، منها ما روته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «لا توكي فيوكى عليكِ» وفي رواية: «ولا تحصي فيحص الله عليك»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين، عليهما جبتان[2] من حديد، من ثديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت، أو وفرت على جلده، حتى تخفي بنانه، وتعفو أثره، وأما البخيل: فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو لا يوسعها ولا تتسع»[3].

إن المجتمع إذا اتصف بالبخل فإن حياته تكون في ضيق، ويحل به الفقر، وينتشر بين أفراده، وقد تحصل الفاقة عند بعضهم، ولا معين لهم سوى رب العالمين، ولا ينجون مما هم فيه إلا إذا غيروا ما في نفوسهم، وبذلوا مما آتاهم الله من الرزق، وواسى غنيهم فقيرَهم، واهتم قويُّهم بضعيفهم، وقد قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾[4]. وليس معنى حفظ المال من الضياع بخلاً؛ لذا أشار الإمام البخاري في الترجمة إلى قوله: ومايكره من البخل، قال الحافظ ابن حجر: وأشار بقوله: وما يكره

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، ص٢٧٩.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الزكاة، باب الحث على الإنفاق، وكراهة الإحصاء، ص٣٩٦.

[2] الجبة: الدرع، ومعناه أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتى تجر وراءه، وتخفي رجليه.

[3] صحيح البخاري، كتاب الزكاة باب مثل المتصدق والبخيل، ص٢٨٠-٢٨١.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الزكاة، باب المنفق والبخيل، ص٣٩٤.

[4] الرعد: ١١.

من البخل إلى أن بعض ما يجوز انطلاق اسم البخل عليه قد لا يكون مذموماً»[1]، ومن ذلك منع الأب إعطاء ولده المال الذي يطلبه تلافياً لصرفه بما لايجوز، أو إن يؤدي به إلى الانحراف والغرور.

فعلى الدعاة إلى الله أن يولوا هذا الأمر جلَّ اهتمامهم، وذلك بالحث على الإنفاق، والتحذير من الشح والبخل الذي حذر منه الإسلام.

رابعاً :على الدعاة أن يكونوا قدوة في البذل والسخاء.

في حديث ابن عباس وجابر رضي الله عنهما ما يبين ما كان عليه الرسول ﷺ في حسن خلقه وكرمه الذي جعل أهل الجاهلية يقرون بهذا الأمر حتى قال أخو أبي ذر : «رأيته يأمر بمكارم الأخلاق»، وأثنى عليه الصحابة في كمال خلقه وسخائه فقال جابر : «ما سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ : لا» . «أي من أقوال الدنيا فقال لا»[2].

وقد أمر الله عباده بالاقتداء به فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[3].

ولاشك أن الداعية إذا بذل من ماله بنفس طيبة يكون له أجر عظيم عند ربه، ويكون في المجتمع قدوة يقتدي به الآخرون، وقد وصف الله عباده المؤمنين بالبذل

---

(1) فتح الباري، ١٠/٤٥٧.

(2) انظر : ارشاد الساري ١٣/٥٧.

(3) الأحزاب : ٢١.

والعطاء بما لا يخل في حياتهم الدينية والدنيوية فقال تعالى :﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾[1].

خامساً : البحث عن الحق سمت العقلاء من الرجال.

إن البحث عن الحق والتقصي في ذلك سمة من سمات العقلاء، ودليل على كمال الرجولة، وأمارة على النضج والكمال، واتباعه بعد تبيُّنه علامة دالة على صفاء الطبع، وسلامة القلب، ورجاحة العقل، وربما دل على التواضع ؛ إذ الكبر بطر الحق ورده بعد ظهوره ووضوحه، وفي قول أبي ذر لما بلغه مبعثُ النبيِّ ﷺ لأخيه :«اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله»، مايدل على رجاحة عقل أبي ذر رضي الله، وأن العاقل يبحث عن الحق أينما كان ويحرص عليه.

وفي إسلام أبي ذر بعد ذلك ما يدل على سلامة طبعه، ورجاحة عقله، واعترافه بالفضل لأهله، وقد أورد الإمام البخاري في باب إسلام أبي ذر القفاري رضي الله عنه تفاصيل إسلامه، وذلك في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما بلغ أبا ذر مبعثُ النبيِّ ﷺ قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي على هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله، ثم ائتني. فانطلق الأخ حتى قدمه، وسمع من قوله ثم رجع إلى أبي ذر فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاما ما هو بالشعر. فقال : ما شفيتني مما أردت، فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم

---

[1] الفرقان : ٦٧.

مكة، فأتى المسجد، فالتمس النبيَّ ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فرآه عليٌّ فعرف أنه غريب....»[1] إلى آخر الحديث الطويل الذي يعكس مدى جديته رضي الله عنه في البحث عن الحق، وكيف تجشم متاعب السفر في سبيل ذلك، إنه دليل حي أنه رجل فذ ذو عقلية ناضية، وشخصية متميزة، كما يدل الحديث على أن البحث عن الحق ديدن الرجال العقلاء.

---

[1] انظر: صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، ص٧٣٢.

باب [1] ما يكره من النميمة [2]

وقوله تعالى : ﴿هماز [3] مشاء بنميم﴾ ﴿وَيْلٌ [4] لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾.

٨٤- عن حذيفة [5] رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يَدْخُلُ

---

(١) أي هذا باب في بيان ما يكره من النميمة ، وكأنه أشار بهذه الترجمة إلى أن نقل بعض القول المنقول من الشخص على جهة الفساد لا يكره ، كما إذا كان المنقول عنه كافراً ، كما يجوز التجسس في بلاد الكفار . انظر : عمدة القاري ٢٠٨/١٥.

(٢) النميمة : من النم ، وهو إظهار الحديث بالوشاية ، وأصل النميمة الهمس والحركة . فتح الباري ٤٧٢/١٠.

قال الحافظ ابن حجر نقلاً عن الغزالي ملخصاً : « النميمة في الأصل : نقل القول إلى المقول فيه ، ولا اختصاص لها بذلك ، بل ضابطها كشف ما يكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه ، أو غيرهما ، وسواء كان المنقول قولاً أو فعلاً ، وسواء عيباً أم لا ، حتى ولو رأى شخصاً يخفي ماله فأفشى كان نميمةً». المصدر السابق ، ص٤٧٣ .

(٣) الهماز : الكثير العيب للناس ، والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء ، وغير ذلك . انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٨١٤. ط مؤسسة الرسالة.

(٤) ويل :أي وعيد ووبال وشدة عذاب لكل همزة لمزة . أي الذي يهمز الناس بفعله ، ويلمزهم بقوله ، فالهماز الذي يعيب الناس ويطعن عليهم بالإشارة والفعل ، واللماز الذي يعيبهم بقوله . انظر : المرجع السابق.

قال الحافظ ابن حجر : الهُمَزة : الذي يكثر منه الهمز . وكذلك اللمزة ، واللمز : تتبع المعايب ، ونقل ابن التين أن اللمز : العيب في الوجه ، والهمز في القفا ، وقيل بالعكس ، وقيل : الهمز : الكسر ، واللمز : الطعن . فعلى هذا هما بمعنى واحد؛ لأن المراد بالكسر : الكسر من الأعراض ، وبالطعن : الطعن فيها. وأسند البيهقي عن ابن جريج قال : الهمز بالعين والشدق واليد ، واللمز باللسان . انظر : فتح الباري ٤٧٣/١٠.

(٥) حذيفة : هو حذيفة بن اليمان ابن جابر العبسي اليماني، من نجباء أصحاب محمد ﷺ وهو صاحب السر، له في الصحيحين اثنا عشر حديثاً، ثمانية في البخاري وسبعة عشر في مسلم، مات بالمدائن بعد عثمان وله عقب.

سير أعلام النبلاء ٣٦١/٢-٣٦٩.

الْجَنَّةَ قَتَّات» [(١)].

رقم الحديث: [٦٠٥٦].

غريب الحديث :

قتات : يقال :قَتَّ الحديثَ يقتُّه، إذا زوَّره وهيَّأه وسوَّاه . القتات : الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون ثم ينم [(٢)].

وقال الحافظ :«الفرق بين القتّات والنمّام أن النمّام الذي يحضر القصة فينقلها. والقتّات الذي يتسمع من حيث لا يعلم به ثم ينقل ما سمعه» . [(٣)]

الموضوع الدعوي

في حديث الباب يحذر الرسول ﷺ من خلق ذميم ينتشر بين بعض أفراد المجتمع المسلم ألا وهو النميمة. فالنميمة من الأخلاق الذميمة التي اتفق الناس جميعاً على أنها مذمومة، لما لها من عواقب سيئة على الفرد والمجتمع، إذ بها تنفصم عرى الصداقة،

---

(١) مطابقته للترجمة في معنى الحديث؛ فإن القتات هو النمام.انظر: عمدة القاري ٢٠٩/١٥.
والحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم النميمة رقم الحديث ١٠٥، ص٦٨ .

(٢) النهاية في غريب الحديث ١١/٤

(٣) فتح الباري ٤٧٣/١٠.

وتفسد العلاقة الزوجية المبنية من أول يوم على المودة والإخلاص، وتشتعل نار العداوة بين أبناء أب واحد، وقد تقوم بسببها حروب لا تضع أوزارها بين القبيلتين المتقاربتين أوالمتجاورتين أو المتباعدتين، و مما يزيدالطين بلة أن تجد النميمة آذانا مصيخة، وأفئدة مصغية، فمن أصاخ السمع وأصغى الفوائد لمن ينم فإنه مشارك له في الإثم، ومن أطاع الوشاة فصدقهم فلن يبقى له صديق أو قريب.

وقد بين عليه الصلاة والسلام مصير القتات وعاقبته فقال: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ»، وفي هذا الوعيد منه عليه الصلاة والسلام تحذير لأمته من أن ينتشر بينهم هذا الخلق الذميم.

ولا شك أن معنى الحديث أنه لا يدخل الجنة من أول وهلة، وقد بينا في مواضع مشابهة لهذا أن عقيدة أهل السنة والجماعة«أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرةً صغيرة أو كبيرة فإنه لا يكفر بها، وإن خرج عن الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله عز وجل، إن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبَه مدة بعذاب النار، وإذا عذبَه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار»[1]. لكن مع هذا كله فإن النميمة تبقى ـ وإلى يوم القيامة ـ خلقاً ذميما محرما شرعاً، فيجب لذلك تجنبها، وتحذير الناس منها، لما فيها من شر على الفرد في الدنيا، وعقوبة يوم القيامة، ولما تسببه للمجتمع من أنواع الشر والآفات التي سبقت الإشارة إليها.

---

[1] عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني، تحقيق الدكتور ناصر الجديع ص٢٧٦.

الفوائد الدعوية :

أولاً : تحذير المدعوين من الوقوع في النميمة.

ثانياً : اهتمام الإسلام بحفظ كيان المجتمع المسلم.

ثالثاً : الترهيب أسلوب من أساليب الدعوة.

رابعاً : الحذر من آفات اللسان المهلكة.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : تحذير المدعوين من الوقوع في النميمة.

في قوله ﷺ : «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ»، ما يبين خطر النميمة على الشخص المسلم، وعلى المجتمع الإسلامي كله، وخطرانتشاره بين صفوف المدعوين، ولخطر هذا الخلق الذميم حذّر عليه الصلاة والسلام منها في أحاديث كثيرة، منها ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ألا أنبئكم ما العضه ؟ ؟ هي النميمة : القالة بين الناس.....».[1]

وبيّن أن مصير النمام خطير في الآخرة إذا لم يتداركه الله برحمته، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ : مر بقبرين فقال :«إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير : أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي

[1] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم النميمة ص ١٠٤٨

بالنميمة....»[1].

وحذر العلماء من هذا الخلق الذميم. قال الإمام النووي : وكل من حملت إليه نميمة وقيل له : فلان يقول فيك أو يفعل فيك كذا فعليه ستة أمور :

الأول : ألا يصدقه ؛ لأن النمام فاسق.

الثاني : أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله.

الثالث : أن يبغضه في الله تعالى، فإنه مبغض عند الله تعالى، ويجب بغض من أبغضه الله تعالى.

الرابع : أن لا يظن بأخيه الغائب السوءَ.

الخامس : أن لا يحمله ما حكي له على التجسس والبحث عن ذلك.

السادس : أن لا يرمي لنفسه ما نهى النمام عنه، فلا يحكي بنميمه عنه فيقول : فلان حكى كذا، فيصير به نمّاماً، ويكون آتياً ما نهى عنه»[2]

وهكذا على الدعاة إلى الله أن يحذروا المدعوين من الوقوع في النميمة، وألا يتقبلوها من قائلها، لما في ذلك من مخالفة لأمر الله ورسوله، ولما تسببه النميمة من خلاف وشقاق في صفوف الأمة، ولأن النمام لا يؤمن شره لفسقه .

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، (ح٢١٨) ، ص٦٥.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ، ص١٣٩.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي، ١١٢/٢، وانظر فتح الباري ٤٧٢/١٠.

ثانياً : اهتمام الإسلام بحفظ كيان المجتمع المسلم.

إن وحدة الأمة الإسلامية مطلوبة ومأمور بها، كما أن تجنب كل ما قد يعوق هذه الوحدة، ويسبب الفرقة والتنافر والتشاجر بل والتحارب بين هذه الأمة مأمور به أيضاً، ومن جملة ما قد يسبب الفرقة بين هذه الأمة أفراداً وجماعات النميمة، تلك الخلق الذميم الذي يسبب العداوة بين الرجل وأبيه، وأمه وإخوته، وفصيلته وأحفاده. وفي تحذيره عليه الصلاة والسلام من الوقوع في النميمة ما يبين اهتمام الإسلام بحفظ كيان المجتمع المسلم من التمزق الذي هو سبب كبير لضعفه وهوانه على المجتمعات الأخرى.

لأن النميمة سبب لاتساع الأمور التي لا أساس لها، ولا تصدر إلا من حاسد أو حاقد يريد تفكيك ما بين الإخوة من المحبة والصفاء، نسأل الله السلامة والعافية. «ومن الغلط الفاحش الخطر قول الناس بعضهم لبعض، ثم يبني عليه السامع حبًّا وبغضًا، ومدحًا وذمًّا، فكم حصل بهذا الغلط من أمور صار عاقبتها الندامة، وكم أشاع الناس عن الناس أموراً لا حقائق لها بالكلية، أولها بعض الحقيقة فنميت بالكذب والزور، وخصوصاً من عرفوا بعدم المبالاة بالنقل، أو عرف منهم الهوى، فالواجب على العاقل التثبت والتحرز وعدم التسرع، وبهذا يعرف دين المرء ورزانته وعقله»[1].

ومن يتتبع نتائج السعي بالنميمة بين أفراد المجتمع يجد أنها سبب من أسباب تمزق الأسر، بل تمزق القبائل في المجتمع الواحد، وقد تشتعل الفتنة بسبب نمام بين مجتمعات متجاورة، فيحصل الضعف والتمزق بين المسلمين الذي حذر منه المولى جل وعلا فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾[2]

---

(1) الرياض الناضرة ص ٢٠٩.

(2) آل عمران: ١٠٣.

ثالثاً : الترهيب أسلوب من أساليب الدعوة.

في قوله عليه الصلاة والسلام :«لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ» إنذار لأمته وترهيب لهم من الوقوع في هذا الخلق الذميم، والترهيب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ينبغي على الدعاة إلى الله ألا يغفلوه لأهميته في توجيه المدعوين والتأثيرعليهم، وتحذيرهم من الوقوع في المحرمات[1].

رابعاً : الحذر من آفات اللسان المهلكة.

إن اللسان مصدر خطر على الإنسان ما لم يستعمله في طاعة الله، واللسان يؤدي بالمسلم إلى المهالك، ولذا حثّ عليه الصلاة والسلام أمته في مواضع كثيرة على حفظ اللسان، فقال عليه الصلاة والسلام : «... ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» [2].

نعم إن الصمت نعمة إذا لم يكن الكلام خيراً، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه بذلك فقال لمعاذ رضي الله عنه في الحديث الطويل: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت: بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه فقال: «كفّ عليك هذا»، قلت : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال: «ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»[3].

ورغّب عليه الصلاة والسلام في حفظ اللسان من الزلل، فعن سهل بن سعد رضي

---

(1) سبق الحديث عن هذه الفائدة، ص٤٥٠.

(2) سبق شرح الحديث بنفس الكتاب، ص ٥٣٢ .

(3) سنن الترمذي ١١/٥ وقال : حديث حسن صحيح .

الله عنه عن النبي ﷺ قال : «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»[1].

وكل ما ينطق به المسلم مسجل عليه إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً، حيث قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[2].

فكل هذه الأدلة توضح خطر اللسان على المرء في حياته وبعد مماته، وأن عليه أن يحفظه، فيستعمله في ما يرضي الله من الخير، والدعوة إلى الله، وتعليم الناس أمور دينهم، وتعريفهم بربهم عز وجل.

وقد خاف صحابة رسول الله ﷺ من ألسنتهم مع ما هم عليه من الخير، بل خاف منه من بشّره رسول الله ﷺ بالجنة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قال عمر رضي الله عنه : دخلت على أبي بكر وهو يجبذ لسانه فقال له عمر : مه غفر الله لك. فقال أبو بكر : إن هذا أوردني الموارد[3].

فما أعظم أن يحرص الدعاة إلى الله على أن يكونوا قدوة في حفظ ألسنتهم ليتأثر بهم بمشيئة الله المدعوون بسبب حرصهم على الأخذ بسنة سيد المرسلين.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: حفظ اللسان، ص ١٢٤٢ .

(2) ق : ١٨

(3) موطأ مالك ٢/٩٨٨ .

باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر[1]

وقوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [2]

٨٥- عن أنس [3] بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :«لا تباغضوا، ولا تحاسدُوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» [4].

رقم الحديث: [٦٠٦٥].

غريب الحديث:

لا تباغضوا: أي لا تتعاطوا أسباب البغض.[5]

---

(١) أي هذا باب في بيان النهي ، وكلمة ما مصدرية . انظر : عمدة القاري ١٥/ ٢١٧

(٢) الفلق : ٥

وأشار بذكر هذه الآية إلى أن النهي عن التحاسد ليس مقصوراً على وقوعه بين اثنين فصاعداً، بل الحسد مذموم ومنهي عنه ولو وقع من جانب واحد ، لأنه إذا ذم مع وقوعه مع المكافأة فهو مذموم مع الأفراد بطريق الأولى . انظر : فتح الباري ١٠/ ٤٨١

(٣) سبق ترجمته رضي الله عنه . انظر ص ١٦٠ .

(٤) ومطابقة الحديث للترجمة في قوله : (ولا تحاسدوا ولا تدابروا) . عمدة القاري ١٥ /٢١٨ .

الحديث طرفه في نفس الكتاب باب الهجرة بلفظ «فوق ثلاث ليال» رقم الحديث ٦٠٧٦ .

(٥) فتح الباري ١٠ /٤٨٢ ، عمدة القاري ١٥ /٢١٨

لا تحاسدوا: الحسد تمني الشخص زوال النعمة عن مستحق لها.[1]

ولا تدابروا: التدابر هو أن يعطي كل واحد من الناس أخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره.[2]

وقال المازري: معنى التدابر المعاداة، يقول: دابرته أي عاديته.[3]

أن يهجر: الهجر هو إظهار العداوة، وقطع الكلام والسلام عنه.[4]

الموضوع الدعوي

اهتم الإسلام بكيان المجتمع المسلم، حيث أمر أفراده بالتحلي بأحسن الأخلاق، والتي هي السبب في خيرية هذه الأمة، وهي الخيرية التي قال الله عنها في كتابه العزيز: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾[5] وقال ﷺ: «...إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً».[6] وبين ﷺ أن حسن الخلق سبب

---

(1) فتح الباري ١٠ /٤٨٣ .

(2) عمدة القاري ١٥ /٢١٧ . وانظر ارشاد الساري ١٣ / ٨٥ .

(3) المعلم بفوائد مسلم للمازري ٣ /١٦٣ ، ط دار الغرب الإسلامي .

(4) مشارق الأنوار على صحيح الآثار للقاضي عياض السبتي المالكي ٢ / ٣٣٢ .ط المكتبة التجارية، مكة المكرمة .

(5) آل عمران : ١١

(6) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ص٦٨٢ .

لرفعة درجة المسلم عند الله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[1]

وفي حديث الباب يحذر عليه الصلاة والسلام من بعض الأخلاق السيئة المؤدية إلى تفكك المجتمع المسلم، وينهى أمته عنها، وهي البغضاء والحسد والتدابر، وما انتشرت هذه المنكرات الأخلاقية بين أفراد المجتمع إلا كانت معول هدم لكيانه الدعوي، سواء كان ذلك على مستوى الأسرة أو الفرد أو المجتمع بأسره.

قال ابن عبد البر: تضمن الحديث تحريم بغض المسلم والإعراض عنه وقطيعته بعد صحبته بغير ذنب شرعي، وحسده على ما أنعم الله به عليه، وأن يعامله معاملة الأخ النسيب، وأن لا يبحث عن معايبه، ولا فرق بين الغائب والحاضر، وقد يشترك الميت مع الحي في كثير من ذلك».[2]

وللوقاية من هذه المنكرات بين عليه الصلاة والسلام العلاج المناسب لها، حيث أمر المؤمنين بالأخوة في الله، فقال ﷺ: «وكونوا عباد الله إخوانا..» قال القرطبي: «المعنى: كونوا كإخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة».[3] وهذا ما أمر الله به عباده المؤمنين، بتذكيره إياهم بنعمة الأخوة في الله

---

(1) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في حسن الخلق، ص٧٢٨.

(2) نقلاً عن عون الباري ٥ / ٢٣٤

(3) المفهم للقرطبي ٦ / ٥٣٢. وانظر: فتح الباري ١٠ / ٤٨٣

التي جعلت المجتمع المسلم مجتمعاً مثالياً أمام المجتمعات الأخرى، حيث قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ... ﴾ [1]

الفوائد الدعوية:

أولا: تحذير المدعوين من التباغض والتدابر.

ثانيا: تحذير المدعوين من الحسد.

ثالثا: حث المدعوين على الأخوة في الله.

رابعا: النهي عن الهجر فوق ثلاث ليال.

خامسا: حرص الإسلام على قوة المسلمين.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا: تحذير المدعوين من التباغض والتدابر.

لقد وصف الله عباده المؤمنين بالتراحم والبعد عن التباغض، فقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ... ﴾ [2]، وفي حديث الباب

---

(١) آل عمران: ١٠٣

(٢) الفتح: ٢٩

يحذر عليه الصلاة والسلام من التباغض والتدابر بقوله ﷺ: «لا تباغضوا... ولا تدابروا...» «أي لا تتعاطوا أسباب البغض؛ لأن البغض لا يكتسب ابتداءً. وقيل: المراد النهي عن الأهواء المضلة المقتضية للتباغض. قلت: - والكلام للحافظ ابن حجر - بل هو لأعم من الأهواء؛ لأن تعاطي الأهواء ضرب من ذلك، وحقيقة التباغض أن يقع بين اثنين، وقد يطلق إذا كان من أحدهما، والمذموم منه ما كان في غير الله تعالى..»[1].

وحذر ﷺ من التدابر، وهوالإعراض؛ لأن من أبغض أعرض، ومن أعرض ولى دبره، والمحب بالعكس.

وبين عليه الصلاة والسلام لأمته خطر البغضاء والتدابر، وأنهما سبب لحرمان العبد من المغفرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تفتح أبواب الجنة يومَ الاثنين والخميس، فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: انظروا هذَيْن حتى يَصْطَلِحا، انظروا هذين حتى يَصْطَلِحا، انظروا هذين حتى يَصْطَلِحا».[2]

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله تحذير المدعوين من الوقوع في هذين الخلقين الذميمين امتثالاً لأمره عليه الصلاة والسلام.

---

(1) فتح الباري ١٠/ ٤٨٣

(2) صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآداب. باب النهي عن الشحناء والتهاجر، ص١٠٣٥.

ثانيا: تحذير المدعوين من الحسد.

الحسد خلق ذميم أنكر الله على من يتصف به بقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ... ﴾[1] وبين عليه الصلاة والسلام آثاره النفسية السيئة على المسلم، وأنه سبب لحرمانه من حسناته، فقال ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار...»[2].

وفي حديث الباب ينهى ﷺ عن الحسد فيقول: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا...» ولا شك أن«الحسد خلق ذميم مع إضراره بالبدن وإفساده للدين، لذا أمر الله بالاستعاذة من شره فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[3] وناهيك بذلك شراً.

وقد تربى أصحاب رسول الله ﷺ على البعد من الحسد، فنالوا خيري الدنيا والآخرة. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث، قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن

---

(1) النساء: ٥٤

(2) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد باب الحسد، ٢/١٤٠٨.

(3) الفلق: ٥

العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. قال: نعم. قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعارّ وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبّر حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله، إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ثمّ ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت، فقال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، و لا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق»[1].

ولاشك أن الحسد أمره عظيم فلا يخلو جسد من حسد كما قيل روي عن الحسن أنه قال: «ليس من ولد آدم أحد إلا وقد خلق معه الحسد! فمن لم يجاوز ذلك بقول ولا فعل لم تتبعه شيء»[2]. فما أجمل أن يتربى المدعون على الهدي النبوي فيبتعدوا عن الحسد، وحريّ بالدعاة إلى الله أن يحذروا المدعوين من الحسد، ويبينوا لهم سوء عاقبته على الفرد والمجتمع.

(١) مسند الإمام أحمد ٣ /١٦٦ .

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي ص٥٤٠، ط دار اليقين، ودار القبلتين- المنصورة-مصر.

ثالثا: حث المدعوين على الأخوة في الله.

وصف الله سبحانه المجتمع المسلم بالترابط والأخوة الإيمانية فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾[1]، وبيّن الله سبحانه فضله على عباده المؤمنين في التأليف بين قلوبهم، واجتماعهم على كلمة التوحيد، فقال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] وكان من هديه عليه الصلاة والسلام إبلاغ أصحابه حبّه لهم، فمن ذلك ما رواه معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ والله إني لأحبك، فقال: «أوصيك يا معاذ، لا تدعنَ في دبرِ كلِ صلاةِ تقولَ: اللهمَ أعنّي علىَ ذِكْرِكَ وشُكرِكَ وحُسنِ عِبادَتَكْ...»[3].

وحث عليه الصلاة والسلام أصحابه على إبلاغ الأخ لأخيه إذا أحبه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا كان عند النبي ﷺ فمر رجل به فقال: يا رسول الله إني لأحب هذا. فقال له النبي ﷺ: «أعلمته»؟ قال: لا. قال: «أعلِمْه» فلحقه فقال: إني أحبك في الله. فقال: أحبك الله الذي أحببتني له»[4].

وفي حديث الباب يحث عليه الصلاة والسلام على الأخوة بقوله: «.. وكونوا عباد الله إخوانا..»، وإن أعظم أواصر الأخوة أن تكون المحبة في الله.

---

(1) الحجرات: ١٠

(2) الأنفال: ٦٣

(3) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، ص٢٣٧.

(4) سنن أبي داود كتاب الأدب، باب إخبار الرجل بمحبته إياه، ص٧٧٣.

رابعا : النهي عن الهجر فوق ثلاث ليال.

في قوله ﷺ :«.. ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام..» ما يبين حرمة هجر المسلم لأخيه المسلم بغير مبررشرعي، وسيأتي مزيد كلام عن هذا الموضوع في باب الهجرة من الكتاب نفسه.[1]

خامسا : حرص الإسلام على قوة المسلمين.

إن أعظم قوة تجمع المسلمين هي الأخوة في الله، وسلامة الأنفس من البغضاء والحسد المؤدي إلى الفرقة والشقاق، وقد حذر الله من ذلك، وبين أن ذلك سبب لذهاب قوة المسلمين وذهاب هيبتهم، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ...﴾[2].

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى أي «لا تنازعوا تنازعاً يوجب تشتيت القلوب وتفرقها فتفشلوا، أي تجبنوا وتذهب ريحكم، أي تنحل عزائمكم، وتفرق قوتكم»[3]

إن أعداء الإسلام ما زالوا منذ أمد بعيد يحاولون القضاء على هذا الدين والنيل

---

(1) انظر ص ٦٠٧ .

(2) الأنفال : ٤٦

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٢٨٣ .

من أهله، وقد وجدوا في دس ونشر البغضاء بين المسلمين سبيلا لتحقيق هدفهم السيء، والتفريق بين هذه الأمة التي جعلها الله سبحانه أمة واحدة، وضرب قدراتها، وتشتيت شملها، فحري بالدعاة إلى الله لفت أنظار المسلمين إلى هذا الأمر المهم، وصد كيد أعداء الإسلام في نحورهم، والقضاء على ما زرعوه من الحقد والحسد بالعودة إلى هذا الدين الذي جعل المسلمين سواسية لافرق بين أبيض وأسود، ولا شريف أو وضيع، الكل سواسية كأسنان المشط.

باب ما يكون من الظن[1]

٨٦- عن عائشة[2] رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ «مَا أَظُنُّ فُلاناً[3] وفُلاناً يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئاً».

رقم الحديث: [٦٠٦٧].

وفي رواية «ياعائشة ما أظن فلاناً وفلاناً يعرفان ديننا الذي نحن عليه».

طرف رقم: [٦٠٦٨].

---

(١) للنسفي (باب ما يجوز من الظن)، ولأبي ذر عن الكشميني وكذا ابن بطال وفي رواية القابسي والجرجاني «ما يكره»، وللباقين «ما يكون» والأول أليق بسياق الحديث. فتح الباري ١٠/ ٤٨٥، وانظر: عمدة القاري ١٥/ ٢٢٠.

قال العيني: قيل: لا مطابقة بين الحديث والترجمة؛ لأن في الترجمة إثبات الظن، وفي الحديث نفي الظن. وأجيب بأن النفي في الحديث لظن النفي لا لنفي الظن، فلا تنافي بينهما». انظر: عمدة القاري ١٥/ ٢٢٠، وفتح الباري ١٠/ ٤٨٥

وحاصل الترجمة أن مثل هذا الذي وقع في الحديث ليس من الظن المنهي عنه؛ لأنه في مقام التحذير من مثل من كان حاله كحال الرجلين، والنهي إنما هو عن الظن السوء بالمسلم السالم في دينه وعرضه». انظر: فتح الباري ١٠/ ٤٨٦

(٢) سبق ترجمتها رضي الله عنها ص ٢٠٣.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على تسميتهما. فتح الباري ١٠/ ٤٨٥

الموضوع الدعوي

إن الدعوة إلى الله واجهت في عهدها الأول أخطاراً عظيمةً ومكائد جسيمة من أعدائها، ولا زالت تواجه هذا الخطر إلى يومنا الحاضر، ومن أخطر الناس وأشدهم عداء للدعوة المنافقون الذين حذر الله نبيه عليه الصلاة والسلام منهم فقال تعالى: ﴿ ...هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1] «أي هم العدو على الحقيقة؛ لأن العدو البارز المتميز أهون من العدو الذي لا يشعر به، وهو مخادع ماكر يزعم أنه ولي وهو العدو المبين»[2].

وفي حديث الباب يبين عليه الصلاة والسلام لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذا الصنف الذي ظهر في صدر الإسلام، حيث قال لها ﷺ: «مَا أَظُنُّ فُلاناً وفُلاناً يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئاً». قال صاحب التوضيح: الظن هنا بمعنى اليقين؛ لأنه كان يعرف المنافقين بإعلام الله له بهم في سورة براءة، قال ابن عباس: «كنا نسمي سورة براءة الفاضحة، غير أن الله لم يأمر بقتلهم، ونحن لا نعلم بالظن مثل ما علمه لأجل نزول الوحي عليه، فلم يجب لنا القطع على الظن».[3] لذا لا يجوز القطع على الشخص بالنفاق المخرج من الإسلام، «غير أنه من ظهر منه فعل منكر فقد عرض نفسه لسوء الظن والتهمة في دينه، فلا حرج على من أساء الظن به، وقد قال ابن عمر: كنا إذا فقدنا

---

(١) المنافقون: ٤

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٨٠١

(٣) عمدة القاري ١٥ / ٢٢٠

الرجل في صلاة العشاء والصبح أسأنا به الظن». [1]

الفوائد الدعوية:

أولاً: على الداعية مواجهة أعداء الدعوة وكشف حالهم للمسلمين.

ثانياً: مشاركة المرأة المسلمة لهموم الدعوة.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: على الداعية مواجهة أعداء الدعوة وكشف حالهم للمسلمين.

إن من واجبات الداعية إلى الله مواجهة أعداء الدعوة وكشف حالهم ليُسْلَم من شرهم، وفي حديث الباب يكشف رسول الله ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حال الرجلين ليحذر منهما، وإذا كنا لا نستطيع كشف من تظاهر بالإسلام ويبطن خلافه، ويسعى في هدم كيان المسلمين خفاءً فإن الله سبحانه قد بين بعض صفات أعداء هذا الدين، وخصوصاً المنافقين منهم، منها: استخدامهم لأساليب الخداع مع المسلمين، كما بين الله سبحانه ذلك في قوله تعالى عن هذه الفئة: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ

---

(1) فتح الباري ١٠ /٤٨٦

﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ...﴾ [1] لكن مع استخدامهم لهذه الأساليب الكاذبة فإن حالهم تنكشف لمن وفقه الله، كما قال تعالى: ﴿...فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [2]. لذا ينبغي للدعاة إلى الله مواجهة من يكيد للدعوة، ويعيق نشرها، ويخذل أصحابها، ويحول بين الدعاة والمدعوين بالوسائل المناسبة ؛ لما في ذلك من الحفاظ على سير الدعوة إلى الله.

ثانيا : مشاركة المرأة المسلمة لهموم الدعوة.

إن مكانة المرأة في الإسلام عظيمة، كما أن دورها في الدعوة إلى الله سبحانه أيضاً عظيم، وفي قول النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «مَا أَظُنُّ فُلاناً وفُلاناً يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئاً» ما يدل على مشاركة المرأة الرجل في هموم الدعوة إلى الله ونشر العلم الشرعي، فهذا سيد المرسلين وإمام الدعاة إلى الله يبين لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حال هذين الرجلين لتكون على علم بذلك، وسيرته ﷺ العطرة مليئة بالمواقف المشرفة للمرأة المسلمة في خدمة دين الله، ومن هذه المواقف موقف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها التي ضربت أروع المثل في الوقوف مع رسول الله ﷺ في أول البعثة، وذلك حين دخل عليه الصلاة والسلام عليها فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب الروع، فقال: «يا خديجة ما لي» فأخبرها الخبر وقال: «قد خشيت على نفسي». فقالت

---

(1) المنافقون : ٤

(2) محمد : ٣٠

له: كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل[1]»[2].

ويتجلى مشاركة المرأة المسلمة لهمّ الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل ما حصل من أم حرام رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ، فعن أنس بن مالك عن خالته أم حرام بنتُ ملحان قالت: نام النبي ﷺ يوماً قريباً مني، ثم استيقظ يتبسم فقلت: ما أضحكك قال: «أناسٌ من أمتي عرضوا عليّ، يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرة». قالت: فادعو الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم نام الثانية، ففعل مثلها، فقالت: مثل قولها، فأجابها مثلها، فقالت: ادعوا الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت من الأولين» فخرجت مع زوجها عباده بن الصامت غازياً، أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية، فلما انصرفوا من غزوهم قافلين فنزلوا الشام، فقرِّبت إليها دابةً لتركبها فصرعتها فماتت»[3]

---

(1) الكل: الذي لا يستقل بأمره.

(2) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، ص١٣٣٤.

وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ص٨٨.

(3) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب فضل من يصرع في سبيل الله فمات فهو منهم، ص٥٤٠. وأخرجه مسلم، باختلاف في كتاب الأمارة، باب فضل الغزو في البحر ص٧٩٣.

باب ستر المؤمن على نفسه [1]

٨٧- عن أبي هريرة [2] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلا الْمُجَاهِرِين، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلِ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِح وَقَدْ سَتَرَه اللَّهُ فَيَقُول: يَا فُلانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَة كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُه رَبُّه، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سَتْرَ اللَّهِ عَنْهُ» [3].

رقم الحديث: [٦٠٦٩].

غريب الحديث:

مُعافى: بضم الميم وفتح الفاء، مقصور: اسم مفعول من العافية التي وُضِعَت موضع المصدر، يقال: عافاه الله عافيةً، والعافية: دفاع الله عن العبد. والمعنى هنا: عفا

---

(١) أي هذا باب في بيان ستر المؤمن على نفسه إذا صدر منه ما يعاب . انظر : عمدة القاري ١٥ / ٢٢٠

(٢) سبق ترجمته .

(٣) مطابقة الحديث للترجمة : قيل : لا مطابقة بين الترجمة وبين الحديث ؛ لأن الترجمة عقدت لستر المؤمن على نفسه ، وفي الحديث ستر الله على المؤمن . وأجيب بأن ستر الله مستلزم لستر المؤمن على نفسه ، فمن قصد إظهار المعصية والمجاهرة فقد أغضب الله تعالى فلم يستره ، ومن قصد التستر بها حياء من ربه ومن الناس منّ الله عليه بستره إياه . انظر : عمدة القاري ١٥ / ٢٢١
والحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه رقم الحديث ٢٩٩٠ ، ط بيت الأفكار الدولية .

منه من أصل النذر المذكور، وإما خوفا من عاقبة ترك الوفاء به. والله أعلم. [1]

الفوائد الدعوية:

أولاً: تحذير المدعوين من التهاجر فوق ثلاث ليال دون مبرر شرعي.

ثانيا: حث المدعوين على المسارعة في إزالة أسباب قطيعة الرحم.

ثالثاً: على الدعاة أن يكونوا قدوة في صلة الأرحام، وإزالة أسباب قطيعتها.

رابعا: من وسائل الإصلاح بين المدعوين التذكير بالله.

خامساً: من وسائل الإصلاح استعمال الحيل الشرعية.

سادساً: مسارعة المؤمنين بالصدقة طمعاً برحمة رب العالمين.

سابعاً: حث المدعوين على المسارعة في فعل الخيرات.

ثامناً: فضل الإصلاح بين المسلمين.

تاسعاً: تعظيم اليمين بالله.

عاشراً: فضل عائشة رضي الله عنها وبيان خشيتها لله تعالى.

أحد عشر: حرص الإسلام على جمع الكلمة بين الأسرة الواحدة.

---

(١) انظر أعلام الحديث للخطابي، ٣/ ٢١٨٨. وفتح الباري، ١٠/ ٤٩٧.

ثاني عشر : الإعلام من أجل المصلحة.

الدراسة الدعوية للفوائد.

أولاً : تحذير المدعوين من التهاجر فوق ثلاث ليال دون مبرر شرعي.

في قوله ﷺ : «لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ ، فَيَعْرِضُ هَذَا وَ يَعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ» ما يدل على عظم إثم التهاجر بين المسلمين فوق ثلاث ليال ، قال الحافظ ابن حجر :«ظاهره إباحة ذلك في ثلاث ، وهو من الرفق ؛ لأن الآدمي في طبعه الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك ، والغالب أن يزول أو يقل في ثلاث».[1]

وقد بين عليه الصلاة والسلام أن الهجر عاقبته وخيمة على المسلم إذا لم يبادر بالصلح مع أخيه المسلم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :«تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله ، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا»[2]

---

(1) فتح الباري ١٠ / ٤٩٥

(2) سبق تخريجه ص ٥٨٩ .

ثانيا : حث المدعوين على المسارعة في إزالة أسباب قطيعة الرحم.

إن صلة الأرحام أمرها عظيم في الإسلام، وقد حرص صحابة رسول الله ﷺ عليها، وعلى تجنب أسباب قطيعة الرحم التي حذر رسول الله ﷺ منها ؛ لذا نجد في قصة عائشة مع عبد الله بن الزبير أن ابن الزبير تأثر من نذر عائشة، وسعى إلى إزالة هذا العارض الذي قد يؤدي إلى قطيعة الرحم، وبذل وسعه في الدخول والسلام عليها إنهاءً وإزالةً لهذه القطيعة.

قال ابن الطفيل :«فلما طال ذلك على ابن الزبير كلّم المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وهما من بني زهرة، وقال لهما : أنشدكما بالله لما أدخلتماني على عائشة، فإنها لا يحل لها قطيعتي. فأقبل المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا : السلام عليكِ ورحمة الله وبركاته أندخل؟ قالت عائشة : ادخلوا . قالوا : كلنا ؟ قالت : نعم ادخلوا كلكم. ولا تعلم أن معهما ابن الزبير، فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة، وطفق يناشدها ويبكي، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا كلمته وقبلت منه، ويقولان : إن النبي ﷺ قد نهى عما قد عملت من الهجرة، وأنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فلما كثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول : إني نذرت والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير....».

هذا الموقف المؤثر يدل دلالة واضحة على حرص عبد الله بن الزبير على صلة الرحم، فقد كانت عائشة رضي الله عنها خالته لأمه...، والرسول ﷺ قد

قال: «...الخالة بمنزلة الأم...»[1] فعلى المسلمين أن يحرصوا على صلة الرحم وإزالة أسباب القطيعة اتباعا لأمر الله وسنة رسوله الكريم، واقتداء بسلف هذه الأمة الصالحين، فإن النفس المسلمة إذا ذكرت بالله تذكرت، وإذا صدق المسلم مع ربه في حسن النية بصلة الرحم والبعد عن الأسباب المؤدية إلى القطيعة وفقه الله لذلك. كما أن على الدعاة إلى الله تنبيه المدعوين على هذا الأمر الهام، وأن عليهم المبادرة إلى إزالة كل ما من شأنه أن يؤثر سلبا في صلة الأرحام، ويبينوا لهم أن المسلم لا ينبغي له هجر أخيه المسلم بأكثر من ثلاث ليال.

ثالثاً: على الدعاة أن يكونوا قدوة في صلة الأرحام، وإزالة أسباب قطيعتهما.

لقد أمر الله سبحانه وتعالى بالصلح بين المسلمين فقال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[2] وقال تعالى: ﴿...فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4] وبين عليه الصلاة والسلام فضل الصلح بين المتخاصمين، وذلك في الحديث الذي رواه أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كل سلامى من الناس عليه صدقة،

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب كيف يُكْتَبُ: هذا ما صالح فلان بن فلان، ص٥١٤، ط بيت الأفكار الدولية.

(2) النساء: ١٢٨

(3) الأنفال: ١

(4) الحجرات: ١٠

كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة...»[1]. وقام عليه الصلاة والسلام بالصلح بين أصحابه، فعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شرٌّ، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناسٍ معه..»[2] حرصاً منه ﷺ على جمع كلمة الأمة، وحسم مادة القطيعة بين المسلمين.

وما قام به المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن يغوث إنما هو امتثال لأمر الله ورسوله ﷺ بالصلح بين المسلمين، وتطبيقاً لما رباهم عليه النبي ﷺ من المسارعة في حسم الخلاف والقضاء عليه قبل ما يتفاقم.

فعلى الدعاة إلى الله أن يبذلوا قصارى جهدهم في الإصلاح بين المسلمين، وبخاصة بين الأقربين، فإن في هذا العمل أجراً عظيماً عند الله، وحفظاً لكيان الأمة من الفرقة والشحناء، وجمعاً لكلمتها، وعلى المدعوين كذلك قبول الصلح، والانصياع للحق ليسعدوا في الدنيا والآخرة.

رابعا: من وسائل الإصلاح بين المدعوين التذكير بالله.

أمر الله عباده المؤمنين بالتذكير، لما يعود على المؤمنين من جراء ذلك من النفع العظيم والفوائد الكثيرة، ويتأكد هذا على الدعاة إلى الله ؛ لما أوتوا من علم وحكمة،

---

(1) سبق تخريجه، ص ٥٤٦ .

(2) سبق تخريجه، ص ٤٦٩ .

فقال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] وفي فعل المسور وعبد الرحمن بن الأسود مع عائشة ما يدل على حرص الصحابة على تذكير المؤمنين، لما فيه من الخير الكثير، ففي نص الحديث أنهم لما«دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة، وطفق يناشدها ويبكي، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا كلمته وقبلت منه، ويقولان: إن النبي ﷺ قد نهى عما قد عملت من الهجرة، وأنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فلما كثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: إني نذرت والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير..» ولقد نفعت الذكرى في الإصلاح بين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبين ابن الزبير، مما يدل على أن التذكير بالله سبحانه وتعالى من الوسائل الناجعة في إصلاح ذات البين، فحري بالدعاة إلى الله أن يستفيدوا من هذا الحدث، وأن يتخذوا من التذكير وسيلة في الإصلاح بين المؤمنين، كما أن عليهم أن يبينوا أهمية ذلك للمدعوين.

خامساً: من وسائل الإصلاح استعمال الحيل الشرعية.

في فعل المسور وعبد الرحمن بن الأسود مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما يبين حكمتهما وحسن تصرفها مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حيث أقبلا مشتملين بأرديتهما حتى دخلا على أم المؤمنين، ولم يشعراها بأن معهما ابن الزبير حتى دخلوا جميعا بعد إذنها لهما، فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة رضي الله عنها... الحديث. وقد تبين بهذا حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم استخدام

(1) الذاريات: ٥٥

الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وفي إصلاح ذات البين ؛ إذ لو علمت عائشة رضي الله عنها أن ابن الزبير معهما قد لا تأذن لهما بالدخول، ولذلك احتاطوا لأنفسهم عند الاستئذان فقالا لها : كلنا ؟ فأجابت : نعم.

إن هذا التصرف الحكيم مطلوب من الدعاة إلى الله في معالجة ما يعرض بين المسلمين من خلاف وقطيعة، وهو من عموم ما أمر الله به عباده في قوله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾[1] وقال عليه الصلاة والسلام مبيناً فضل من منَّ الله عليه بالحكمة في عمله :«لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته[2] في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها».[3] والوقائع شاهدة على أن أكثر الدعاة نجاحاً في مهامه الدعوية هو من يستعمل الحكمة في دعوته، إذ بها يكون موفقاً بإذن الله تعالى في كل ما يدعو إليه، كما يوفق بالإصلاح بين الناس، فهذا ملموس في واقع المجتمعات الإسلامية.

سادساً : مسارعة المؤمنين بالصدقة طمعاً برحمة رب العالمين.

في عتق عائشة رضي الله عنها أربعين رقبة وفاء لنذرها مايدل على فضل مسارعة المؤمن بالصدقة طمعاً برحمة الله وعفوه، خصوصاً إذا كان الأمر من الأمور التي ألزمها

---

(1) النحل : ١٢٥

(2) هلكته : أي ينفقه في الحق والقرب والطاعات .

(3) سبق تخريجه، ص ٤١٣ .

العبد نفسه لله تعالى كالنذر مثلاً، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها :«إني نذرت والنذر شديد».

كيف لا تفعل هذا وقد تربت في بيت النبوة، واهتدت بهدي نبي الأمةﷺ، «فقد كان أعظم الناس صدقة بما ملكت يده... وكان سروره بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذ، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة»[1]

سابعاً: حث المدعوين على المسارعة في فعل الخيرات.

في قوله ﷺ :«لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ، فَيَعْرِضُ هَذَا وَيَعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ» حثٌ لهذه الأمة على المسارعة في فعل الخيرات، فإن الرسول ﷺ جعل الخيرية في من يسرع ويبادر بالسلام بعد الهجر ؛ إذ بالهجر فوق ثلاث ليال يحصل الإثم، فكان المسارعة إلى السلام أولى، والخير كله للأسبق من المتخاصمين إلى ذلك.

وقد أمر الله عباده بالمبادرة والمسارعة إلى فعل الخيرات فقال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[2]، وكان صحابة رسول الله ﷺ أول من استجاب لهذا الأمر الإلهي، فتسابقوا في فعل الخيرات متى وجدوا فرصة لذلك. روى أنس رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ أخذ سيفاً يوم أحد، فقال :«من يأخذ مني هذا ؟» فبسطوا أيديهم كل إنسان

---

(1) انظر : زاد المعاد ص١٩٨ ط دار ابن حزم .

(2) البقرة : ١٤٨

منهم يقول: أنا، أنا . قال: «فمن يأخذه بحقه؟» فأحجم القوم، فقال سِمَاك بنُ خَرَشَه، أبو دجانة رضي الله عنه: أنا آخذه بحقه. قال: فأخذه ففلق به هام المشركين».[1]

وهكذا كان صحابة رسول الله ﷺ، وهكذا كان سلف هذه الأمة في المسارعة في فعل الخيرات، رغبة فيما عند الله من الثواب، فعلى الدعاة إلى الله ترغيب المدعوين في هذا الأمر وبيانه لهم، لما فيه من الأجر العظيم والخير الكثير في الدنيا والآخرة.

ثامناً: على الدعاة أن يكونوا قدوة في المسابقة إلى صلة الأرحام.

في فعل عبد الله بن الزبير وتألمه من قطيعة أم المؤمنين عائشة له ما يبين حرصه رضي الله عنه على صلة رحمه، وهو الأمر الذي ينبغي أن يفعله الداعية إلى الله، وأن يكون قدوة يقتدى به، فيكون أكثر الناس حرصاً على إزالة الأسباب المؤدية إلى القطيعة؛ لما في صلة الأرحام من الأجر العظيم عند الله تعالى، قال جلّ وعلا مثنيا على عباده المؤمنين الواصلين لرحمهم: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾[2] وعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال القوم: ماله ماله؟، فقال النبي ﷺ: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم».[3]

---

(1) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة. باب من فضائل أبي دجانة، ص١٠٠١.

(2) الرعد: ٢١

(3) سبق تخريجه ص ٤٤٤ .

وكان صحابة رسول الله ﷺ وكذلك الصحابيات رضوان الله عليهم جميعاً قد ضربوا في صلة الأرحام أروع المثل، فكان حرياً بالدعاة إلى الله أن يقتفوا أثر أسلافهم، ويسيروا على هذا المنوال، اقتداء بهدي نبيهم، وحرصاً منهم على سلامة المجتمع من القطيعة التي تؤدي إلى التفكك والضياع.

تاسعاً: تعظيم اليمين بالله.

في حرص أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على الوفاء بنذرها، والخوف من الله عند قطعه ما يدل على أن المسلم داعية كان أو مدعواً يجب عليه الوفاء بنذره، وتعظيم أمر النذر، والحذر من التساهل فيه أوعدم الوفاء به. وقد قال جلّ وعلا واصفاً عباده المؤمنين: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [1] أي يوفون «بما ألزموا به أنفسهم من النذور والمعاهدات، وإذا كانوا يوفون بالنذر الذي هو غير واجب في الأصل عليهم، إلا بإيجابه على أنفسهم، كان فعلهم وقيامهم بالفروض الأصلية من باب أولى». [2]

وعدم الوفاء بالنذر صفة سيئة في المجتمع المسلم، وقد بين عليه الصلاة والسلام أنها لا تظهر كثيرا إلا في القرون المتأخرة، فعن عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ـ قال عمران: لا أدري ذكر اثنين أو

---

(1) الإنسان: ٧

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٨٣٤

ثلاثا بعد قرنه ـ ثم يجيء قومٌ ينذرون ولا يفون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، ويظهر فيهم السمن»[1].

فعلى الدعاة إلى الله حث المدعوين على الوفاء بنذرهم ما لم يكن إثما أو قطيعة رحم.

عاشراً: فضل عائشة رضي الله عنها وبيان خشيتها لله تعالى:

في الحديث.. «وكانت تذكر نذرها بعد ذلك، فتبكي حتى تَبلَّ دموعُها خمارها...» ما يدل على فضل أم المؤمنين عائشة رضي اللع عنها وشدة خشيتها لله سبحانه وتعالى، وقد بين النبي ﷺ فضلها الكبير في قوله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: «يا عائش، هذا جبريل يقرئكِ السلام» فقلت: عليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى. تريد رسول الله ﷺ»[3].

وقال عليه الصلاة والسلام لأم سلمة: «....يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة،

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب إثم من لا يفي بالنذر ص ١٤٠٧ ط دار السلام

(2) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها ص ٧٧٢

(3) سبق تخريجه ص ٢٠٣.

فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها».[1]

أحد عشر: حرص الإسلام على جمع الكلمة بين الأسرة الواحدة.

إن فعل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وحرصه على عدم قطيعة أم المؤمنين عائشة له، وبذله الجهد في رأب ذلك الصدع بينهما، لدليل حي على حرص هذا الدين الحنيف على جمع الكلمة بين الأسرة الواحدة، وأنه مهما حصل الخلاف في أمر من الأمور فإنه لا يعني أن تنقطع أواصر المحبة بين الأسرة، وأنه يجب السعي، وجمع كلمتها، وقد حث الإسلام على الإصلاح ونبذ الشقاق، سواء بين الأخ وأخيه، أو بين الزوج وزوجه، وفي ذللك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[2] وقال جلَّ وعلا فيما يتعلق بالإصلاح بين الزوجين: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ...** ﴾[3].

إنه الدين القيم الذي رغب في الألفة والوحدة والمحبة، بين الأسرة، وحذر من الانشقاق والعداوة، فحري بالدعاة إلى الله أن يكونوا أول من يسعى إلى لمّ شعث المسلمين والإصلاح بين المتخاصمين، كما قال تعالى: ﴿ **...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا**

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، ص٧١٨.
(٢) الحجرات: ١٠.
(٣) النساء: ٣٥.

تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]

ثاني عشر: الإعلام من أجل المصلحة.

إذا وقع المسلم في أمر وطلب منه العدول عنه فلا بأس أن يذكر سبب وقوع ذلك الأمر، وفي حديث الطفيل عن عائشة: «فلما كثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: إني نذرت والنذر شديد» فبينت رضي الله عنها أن سبب امتناعها من كلام ابن الزبير للمصلحة الشرعية، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير.

وهكذا على الداعية بيان مايمكن بيانه من سبب شرعي عند حدوث قطيعة ما من أجل المصلحة الشرعية لكي يرفع الداعية الحرج عن نفسه أمام الآخرين.

(١) المائدة: ٢.

باب الحذر من الغضب [1]

يقول تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾[2] وقوله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ... ﴾[3]

٩٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «لا تَغْضَبْ». فردد مراراً قال: «لا تَغْضَبْ».[4]

رقم الحديث: [٦١١٦].

---

(١) أي هذا باب في بيان الحذر من أجل الغضب، وهو غليان دم القلب لإرادة الانتقام. انظر: عمدة القاري ٢٥٤/١٥.
والغضب: نقيض الرضا، وقد غضب عليه غضباً ومغضبة، وأغضبته أنا فتغضب. انظر: لسان العرب [غضب] ٦٤٨/١، القاموس المحيط ص ١١١

(٢) الشورى: ٣٧

(٣) آل عمران: ١٣٤
وقال الحافظ ابن حجر: ليس في الآيتين دلالة على التحذير من الغضب إلا أنه لما ضم من يكظم الغيظ إلى من يجتنب الفواحش، كان ذلك إشارة إلى المقصود. انظر: فتح الباري ٥١٩/١٠.

(٤) مطابقته للترجمة من حيث إنه صلى الله عليه وسلم حذره من الغضب، بقوله: «لاتغضب». عمدة القاري، ٢٥٥/١٥.

الموضوع الدعوي

إن الإسلام يحرص كل الحرص على تهذيب أخلاق أتباعه، وعلى حفظ كيان المجتمع الإسلامي من كل ما قد يؤدي به إلى التوتر النفسي، وإثارة المشاكل والفوضى، ومن أخطر الأمور المسببة للمشاكل والقلاقل وأكثرها تأثيرا على الفرد والمجتمع الغضب، لذا حذر منه الرسول ﷺ؛ لما يترتب عليه من آثار سيئة لا تحمد عقباها.

قال ابن التين: «جمع ﷺ في قوله: «لا تَغْضَبْ» خير الدنيا والآخرة؛ لأن الغضب يؤدي إلى التقاطع ومنع الرفق، وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين».[1] وقال بعض العلماء عن الغضب: «خلقه الله من النار، وجعله غريزة في الإنسان، فمهما قصد أو نوزع في غرض ما اشتعلت نار الغضب، وثارت حتى يحمر الوجه والعينان من الدم؛ لأن البشرة يحكي لون ما وراءها، وهذا إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه، وإن كان ممن فوقه تولد منه انقباض وانبساط فيحمر ويصفر، ويترتب على الغضب تغير الظاهر والباطن، كتغير اللون والرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال من غير ترتيب واستحاله...»[2]

هذا كله في الظاهر، وأما الباطن فهو أشد؛ لأنه يولد الحقد في القلب والحسد وإضمار السوء على اختلاف أنواعه، ويظهر أثر الغضب أيضا في الفعل بالضرب أوالقتل، وإن فات ذلك بهرب المغضوب عليه رجع إلى نفسه فيمزق ثوب نفسه ويلطم

---

(١) فتح الباري ١٠/٥٢٠.

(٢) المصدر السابق.

خدّه، وربما سقط صريعا، وربما أغمي عليه، وربما كسر الآنية، وضرب من ليس له في ذلك جريحة. ومن تأمل هذه المفاسد عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ «لا تغضبْ» من الحمكة، واسجلاب المصلحة في درء المفسدة، مما يتعذر إحصاؤه والوقوف على نهايته»[1]. لذا قال عليه الصلاة والسلام: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب». قال الباجي: «ندب بهذا إلى ملك الرجل نفسه عند الغضب عن إمضاء ما يقتضيه الغضب من أذى من يملك أذاه أو منازعة من ينازعه»[2].

وما انتشر الغضب في مجتمع من المجتمعات إلا انتشر معه الشقاق والخلاف، لذا حذر منه ﷺ ليبقى المجتمع المسلم سليماً معافى من هذه الآفات.

الفوائد الدعوية:

أولا: الحرص على التعليم وإجابة السائل بما يناسب.

ثانيا: التكرار في السؤال طلباً للفائدة.

ثالثاً: حسن خلق رسول الله ﷺ.

رابعاً: تحذير المدعوين من الغضب وبيان الوسائل المعينة على إزالته.

خامساً: من صفات الداعية الحلم والأناة.

---

(١) فتح الباري ١٠/ ٥٢٠ ـ ٥٢١

(٢) المنتقى شرح موطأ مالك للباجي ٩/ ٢٩٣.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا: الحرص على التعليم وإجابة السائل بما يناسب.

إن تعليم الناس الخير فضله عند الله عظيم، وقد حث عليه الصلاة والسلام على ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: «.. إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملةُ في جُحرها، وحتى الحوتُ ليصلون على معلمي الناس الخيرَ».

والرسول عليه الصلاة والسلام يجيب السائل بعد طلبه الوصية، فأوصاه عليه الصلاة والسلام بعدم الغضب، ولعل السائل كان كثير الغضب، ولذلك كانت وصية رسول الله ﷺ له منصبة على هذه الناحية.

قال العيني: «قوله: «لا تغضبْ» إنما قال ﷺ ذلك لأنه ﷺ كان مكاشفا لأوضاع الخلق، فيأمرهم بما هو الأوصى بهم، ولعل الرجل كان غضوبا فأوصاه بتركه».[1] وهذا أسلوبه عليه الصلاة والسلام في إجابة السائل، حيث يجيبه بما يناسب حاله، وكثيرا ما يستعمل ﷺ هذا الأسلوب مع أصحابه، من ذلك ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلاما أقوله، قال: «قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيراً، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم» قال: فهؤلاء لربي، فما لي ؟ قال: «قل: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني».[2]

---

(١) عمدة القاري ١٥/٢٥٥، فتح الباري ١٠/٥٢٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ص١٠٨١.

ومن ذلك أيضا ما رواه عبد الله بن بسر قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فأخبرني بشيء أتشبث به ؟ قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»[1]. لذا ينبغي على الدعاة إجابة المدعوين بما يناسبهم اقتداء بنبي الأمة إمام الدعاة ﷺ في تعامله مع أصحابه رضوان الله تعالى عليهم.

كما ينبغي على الدعاة إلى الله الحرص على تعليم الناس الخير وما يفيدهم في أمر الدين والدنيا لينالوا الأجر العظيم من الله ويرتفع الجهل عن المسلمين.

ثانيا: التكرار في السؤال طلباً للفائدة.

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ أكثر الناس حرصا على سؤال رسول الله ﷺ وتكرار السؤال له، رغبة منهم في الحصول على الخير وتحصيل العلم، لذا نجد أن الرجل قال للنبي ﷺ : أوصني. فقال له ﷺ : «لا تغْضَبْ». فردد مرارا قال: «لا تَغْضَبْ». أي ردد السؤال يلتمس النفع من ذلك أو أبلغ أو أعم، فلم يزده على ذلك.[2]

وأمثلة هذا كثيرة في السنة تبين حرص الصحابة على تكرار السؤال طلباً للفائدة، من ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ : أي

---

(1) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل الذكر، ٩٤/٩، وقال عنه: حديث حسن غريب من هذا الوجه.
وسنن ابن ماجه بلفظه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، ١٢٤٦/٢.
ومسند الإمام أحمد بنحوه، ١٨٨/٤.

(2) فتح الباري، ٥١٩/١٠.

العمل أحبّ إلى الله تعالى ؟ قال: «الصلاة على وقتها» قال: ثم أيّ ؟ قال: «ثم بر الوالدين». قال: ثم أيّ ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».[1]

ومن ذلك أيضا ما رواه المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: يارسول الله إني لقيت كافراً فاقتتلنا فضرب يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذَ منّي بشجرة وقال: أسلمت لله. آقتله بعد أن قالها ؟ فقال: «لا تقتله» قال: يا رسول الله فإنه طرح إحدى يدي، ثم قال ذلك بعدما قطعها آقتله؟ قال: «لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»[2].

ثالثاً: حسن خلق رسول الله ﷺ.

إن رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وقد وصفه ربه بذلك في كتابه العزيز فقال عز وجلّ: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وسئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن».[3] تعني أنه تأدب بآدابه، وتخلق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه»[4].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة في وقتها، ص١٢١.
وصحيح مسلم بلفظه، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، ص٦٢.

[2] صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى: {ومن يقتل مؤمناً متعمداً...}.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، ص٦٥

[3] سبق تخريجه ص٤١٦ .

[4] جامع العلوم والحكم ص ٣٧.

وفي حديث الباب نجد أن رسول الله ﷺ يجيب السائل بحسن الخلق، فلا يزيد على أن يقول له: «لا تَغْضَبْ» رحمة منه ﷺ وشفقة على هذا السائل، فعلى الدعاة إلى الله أن يتحلوا بحسن الخلق في تعاملهم مع المدعوين، وخصوصاً أثناء تعليمهم ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، فإن في ذلك الخير الكثير والأجر العظيم لهم من رب العالمين.[1]

رابعاً: تحذير المدعوين من الغضب وبيان الوسائل المعينة على إزالته.

في قوله ﷺ: «لا تَغْضَبْ» وتكراره لهذا النهي ما يدل على حرصه ﷺ على تحذير أمته من الغضب، قال الخطابي: «معنى قوله: «لا تغضبْ» اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه».[2] وأثنى الله على عباده الذين يملكون أنفسهم عند الغضب فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[3].

ورغب ﷺ في كظم الغيظ فقال: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما يشاء»[4].

---

(1) سبق الإشارة إلى مثل هذه الفائدة، انظر ص٥٥٧.

(2) فتح الباري ٥٢٠/١٠.

(3) الشورى: ٣٧

(4) سنن أبي داود، كتاب الادب باب من كظم غيظاً، ص٧٢٦.
وسنن الترمذي بنحوه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في كظم الغيظ، ٢٢٥/٦ وقال عنه حسن غريب، وسنن ابن ماجه بنحوه، كتاب الزهد، باب الحلم، ١٤٠٠/٢.

ولإزالة الغضب وسائل منها:

أ- استحضار فضل ما في كظم الغيظ.

ب- أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم؛ لما ورد في الحديث الصحيح عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان وأحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه[1]، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب منه ما يجد» فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان، فقال: وهل بي جنون؟[2].

قال الطوفي: «أقوى الأشياء في دفع الغضب استحضار التوحيد الحقيقي، وهو أن لا فاعل إلا الله، وكل فاعل غيره فهو آلة له، فمن توجه إليه بمكروه من جهة غيره فاستحضر أن الله لوشاء لم يمكّن ذلك الغير منه اندفع غضبه؛ لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه جلّ وعلا وهو خلاف العبودية».[3] قال الحافظ: «وبهذا يظهر السر في أمره ﷺ الذي غضب بأن يستعيذ من الشيطان؛ لأنه إذا توجه إلى الله في تلك الحالة بالاستعاذة من الشيطان أمكنه استحضار ما

---

(1) الأوداج: ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح.

(2) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ص٦٢٨.
وصحيح مسلم بلفظه، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، ص١٠٤٩.

(3) فتح الباري ٥٢١/١٠.

ذكر، وإذا استمر الشيطان متلبساً متمكناً من الوسوسة لم يمكنه استحضار شيء من ذلك».[1]

جـ- الوضوء، كما في حديث عطية الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الغضبَ من الشيطانِ، وإن الشيطانَ خُلِقَ مِنْ النَار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[2].

د- أن يغير حاله التي هو عليها قال القاضي: «ويستحب لمن غضب إن كان قائماً جلس وإذا كان جالساً إضطجع»[3].

فعلى الدعاة إلى الله تحذير المدعوين من الغضب وبيان خطورته لهم، وتوضيح الوسائل المعينة في القضاء عليه.

خامساً: من صفات الداعية الحلم والأناة.

في وصيته ﷺ للرجل بعدم الغضب وتكرار ذلك توجيه نبوي يجب أن يتحلى به الداعية، وإن من أعظم الصفات للداعية إلى الله في المجتمع المسلم الحلم والأناة والبعد عن الغضب اقتداء بهدي سيد المرسلين. ولذلك أثنى الله على عباده بذلك فقال:

---

(1) فتح الباري ١٠/٥٢١.

(2) مسند الإمام أحمد ٤/٢٢٦.

(3) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٢٦٠.

﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2]، وقد اهتم علماء السلف بالأخذ بهذه الصفة لأثرها في حياة الداعية قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى: «ما قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قُدرة».[3]

---

(1) الشورى: ٣٧.

(2) آل عمران: ١٣٤.

(3) الآداب الشرعية ٢٠٩/٢، ط مؤسسة الرسالة

باب من لم يواجه الناس بالعتاب[1]

٩٢- عن عائشة رضي اللهُ عنها قالتْ: صنَعَ النبيُّ ﷺ شيئاً فرخَص فيه فتنزَّه عنْهُ قومٌ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فخَطَبَ فحَمَدَ اللهَ ثم قال: «ما بالُ أقوامٍ يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فواللهِ إني لأعلمُهم باللهِ وأشدَّهم له خشيةً».[2]

رقم الحديث: [٦١٠١].

غريب الحديث:

تنزه: تباعد، والمراد بقوله في الحديث: «فتنزه عنه قومٌ» أي تركوه وابتعدوا عنه، ولم يعملوا بالرخصة فيه، يقال: نزه نزاهةً، وتنزه تنزُّهاً: إذا بَعُد.[3]

الموضوع الدعوي

يحرص الإسلام على تربية المسلمين على الواسطية في هذه الحياة، فلا إفراط

---

(١) أي هذا باب في بيان من لم يواجه الناس بالعتاب حياءً منهم. انظر: عمدة القاري ١٥/٢٤٤

(٢) وجه المطابقة بين الحديث والترجمة هي أن الترجمة في عدم مواجهة الناس بالعتاب، وكذلك الحديث في عتاب قوم من غير مواجهتهم، المصدر السابق، ص٢٤٤.
والحديث أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع، رقم (٧٣٠١)، وأخرجه الإمام مسلم ٢٣٥٦ في كتاب الفضائل، باب علمه بالله وشدة خشيته بلفظ: «صنع رسول الله ﷺ أمرا فترخص فيه، فبلغ ذلك ناساً من أصحابه فكأنهم كرهوه وتنزهوا عنه، فبلغه ذلك، فقام خطيباً فقال: «ما بالُ رجال بلغهم عني أمرٌ ترخصت فيه فكرهوه وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية» رقم الحديث ٢٣٥٦.

(٣) لسان العرب مادة [نزه] ١٣/٥٤٨

ولا تفريط، وفي حديث الباب يتبين حرصه ﷺ على سلامة المنهج الدعوي في الدعوة إلى الله، «والحث على الاقتداء به، وذم التعمق والتنزه عن المباح».[1] وبين الحافظ ابن حجر -رحمه الله- الشيء الذي ترخص فيه النبي ﷺ وتنزه عنه قوم فقال: «لم أعرف أعيان القوم المشار إليهم في هذا الحديث، ولا الشيء الذي ترخص فيه النبي ﷺ، ثم وجدت ما يمكن أن يعرف به ذلك، وهو ما أخرجه مسلم في كتاب الصيام من وجه آخر عن عائشة رضي الله عنها «أن رجلاً قال: يا رسول الله تدركني الصلاة وأنا جنب أفأصوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «وأنا تدركني الصلاةُ وأنا جُنب فأصوم» فقال: لستَ مثلنا يارسول الله، قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي»[2].

ونحو هذا في حديث أنس المذكور في كتاب النكاح «أن ثلاث رهط سألوا عن عمل رسول الله ﷺ في السر... الحديث، وفيه قولهم: «وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».. فقال ﷺ: «... والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء...»[3][4]. فهذه الأحاديث وما شابهها تدل على يسر هذا الدين، وعلى وجوب الأخذ بسنته ﷺ في الدعوة إلى الله؛ لذا ينبغي للدعاة إلى الله الاهتمام بسلامة المنهج الدعوي من الانحراف، فإن من

---

(1) فتح الباري ٥١٤/١٠، وانظر: عمدة القاري ٢٤٥/١٥.

(2) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ص ٤٣٠.

(3) صحيح البخاري، كتاب النكاح باب الرغيب في النكاح ص١٠٠٥، وصحيح مسلم كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ص٥٤٩.

(4) فتح الباري ٥١٤/١٠.

الأسباب التي تعيق سير الدعوة إلى الله على الوجه الصحيح انحرافَ منهجِها عن الهدي النبوي كالتشدد والغلو في الدين.

الفوائد الدعوية:

أولاً: فضل النبي ﷺ على غيره وشفقته على أمته.

ثانياً: تنبيه الداعية للمدعوين على أخطائهم.

ثالثاً: الخطبة وسيلة من وسائل الدعوة.

رابعا: بيان بعض آداب الخطبة.

خامساً: مشروعية الأخذ بالرخص.

سادساً: الأصل في النقد الستر دون التصريح.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: فضل النبي على غيره وشفقته على أمته.

في قوله ﷺ: «..فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية» ما يدل على فضله ﷺ على أمته، وفضله على جميع الخلق قاطبة،، فهو سيد الخلق أجمعين، واختصه الله من بين إخوانه المرسلين بخصائص تفوق التعداد، فله الوسيلة والفضيلة

والمقام المحمود ولواء الحمد الذي تحته كلُّ حَمَّاد»[1] وقد صرح بذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع»[2]. ومن شفقته على أمته حرصه ﷺ على سير أصحابه على الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الله ورحمته، يقول ﷺ واصفاً وموضحاً شفقته على أمته: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذا الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعُهُنَّ ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحُجَزِكُمْ عن النار وهم يقتحمون فيها»[3]. فجزى الله نبينا ﷺ عنا خير ما يجازي نبياً عن أمته، وأوردنا حوضه، وجمعنا به في الفردوس الأعلى، إنه سميع مجيب.

ثانياً: تنبيه الداعية للمدعوين على أخطائهم.

في قوله ﷺ: «.. ما بال أقوام يتنزهون عن شيء أصنعه.. الحديث. ما يبين حرص رسول الله ﷺ على تنبيه أصحابه على الأخطاء التي يقعون فيها، ليقلعوا عنها، ويحذروا من الوقوع فيها مرة أخرى، وكان كثيرا ما ينبه الرسول عليه الصلاة والسلام صحابته على الأخطاء، ويبين لهم الصواب في الأمر حتى لا يقعوا فيه مرةً أخرى، من

---

(1) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيميه ص٢، ط مكتبة تابع بطنطا.

(2) صحيح مسلم، كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، ص٩٣٥.

(3) سبق تخريجه، انظر ص ٢.

ذلك ما أنكره ﷺ على أسامة بن زيد حين قتل رجلاً قال: لا إله إلا الله، وذلك في الحديث الذي رواه أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «بعثنا رسولُ اللهِ ﷺ إلى الْحُرَقة من جهينة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه فطعنته برمحي حتى قَتلتَهُ، فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «يا أسامة أقَتَلْتَهُ بعْدَما قال: لا إله إلا الله !؟ قلت: كان متعوذاً، فما زال يكررها عليّ حتى تمنيتُ أني لم أكن أسلمتُ قبلَ ذلك اليوم»[1].

كما بين ﷺ خطأ من أطال الصلاة في الفريضة حتى نفَر الناس من المبادرة إلى الصلاة، فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: «يارسول الله إني والله لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فيها، قال: فما رأيت النبي ﷺ قط أشد غضباً في موعظة يومئذ ثم قال: «يا أيها الناس إن منكم مُنفرين، فأيكم صلى بالناس فليوجز، فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة»[2].

فعلى الدعاة إلى الله الحرص على بيان الأخطاء التي يقع فيها بعض المدعوين، ويوضحوا لهم الصواب؛ إذ الدعاة إلى الله خير من يبين للمدعوين ما ينفعهم في أمور الدين والدنيا.

ثالثاً: الخطبة وسيلة من وسائل الدعوة.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد ص٨٠٧ .
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله . ص ٦٦

(2) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، ص١٣٦٥.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ص١٩٥.

في قول عائشة رضي الله عنها: «فبلغ ذلك النبيَّ، فخطَب فحَمدَ اللهَ...» الحديث ما يدل على أهمية الخطبة في توجيه المدعوين، فهي وسيلة ناجحة في تبليغ الدعوة إلى الله، وكان رسول الله ﷺ يستعمل هذا الأسلوب متى دعت الحاجة إلى ذلك.

رابعا: بيان بعض آداب الخطبة.

في قول عائشة رضي الله عنها: «.. فخطب فحمد الله وأثنى عليه...» الحديث ما يبين بعض آداب الخطبة، وهو الحمد والثناء على الله في بداية الكلام، وقد حثَّ ﷺ على ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «كلُّ كلامٍ لا يُبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم»[1].

وقد اهتم علماء الإسلام بآداب الخطبة، وحرصوا على الأخذ بها؛ لأهميتها في التأثير على المدعوين، ولدورها في تصحيح أخطائهم. فعلى الداعية أن يأخذ بهديه ﷺ في الخُطبة، لتكون خطبته أكثر تأثيرا على المدعوين، متبعاً لهدي سنة سيد المرسلين.

---

(1) سنن أبي داود كتاب الأدب، باب التهدي في الكلام، ص٧٣٣، ط دار ابن حزم. وسنن ابن ماجه بنحوه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، ٦١٠/١. ومسند الإمام أحمد بنحوهما، ٣٥٩/٢.

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله أن يأخذوا بهذا الهدي النبوي عند نقد الآخرين، وأن يتوخوا الحكمة في دعوتهم وذلك بعدم تشهيرهم، وبخاصة عند تصحيح الأخطاء، امتثالا لأمر ربهم القائل: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1].

---

(1) النحل: ١٢٥

بـاب الهدي الصـالح [1]

٩٣- حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة عن مخارق قال: سمعت طارقاً قال: قال عبد الله[2]: إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ».[3]

رقم الحديث: [٦٠٩٨].

وفي رواية: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدَثاتها. و «إنما توعدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين».

طرف الحديث رقم: [٧٢٧٧].

غريب الحديث:

الهدي: بفتح الهاء وسكون الدال المهملة السيرة والهيئة والطريقة، يقال: هدى هدي فلان، إذا سار مسيرته.[4]

---

[1] أي هذا باب في بيان الهدي الصالح، وهذه الترجمة لفظ حديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد من طريق قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه عن ابن عباس رفعه «الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة».

انظر: عمدة القاري ٢٤١/١٥

[2] عبد الله: هو عبد الله بن مسعود، وقد سبق ترجمته، وجزم ابن بطال بأنه عبد الله بن عمر، فوهم في ذلك. انظر: فتح الباري ٥١١/١٠.

[3] مطابقته للترجمة ظاهرة، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ رقم الحديث ٧٢٧٧

[4] النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٥٣/٥.

الموضوع الدعوي

لقد قام رسول الله ﷺ بتبليغ رسالة ربه حتى أكمل الله به دينه كما قال تعالى: ﴿ ...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ... ﴾[1].

وحديث الباب يبين مشروعية مدح الإسلام والثناء عليه، وذلك ببيان الحكم التشريعي لأحكامه من واجب وحرام ومستحب ومكروه، وقد امتدح الله حاملي رسالة الإسلام ودعا إليه فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[2]. وكان عليه الصلاة والسلام يبعث لملوك الأمم لدعوتهم إلى الإسلام وبيان محاسنه، كما في كتابه عليه الصلاة والسلام إلى هرقل مع دحية بن خليفة الكلبي، جاء فيه «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين[3]، «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ».[4]

فعلى الداعية أن يبين للمدعوين محاسن الإسلام، وأنه سبب للسعادة في الدنيا

---

(1) المائدة: ٣.

(2) فصلت: ٣٣

(3) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ، ص٦٥٦.
وصحيح مسلم بلفظه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ص٧٣٧.

(4) آل عمران: ٦٤

والآخرة، كما يبين لغير المسلمين أيضاً رسالة الإسلام التي بعث بها محمد ﷺ.

الفوائد الدعوية:

أولاً: بيان فضل القرآن الكريم.

ثانياً: وجوب التأسي بهدي الرسول ﷺ.

ثالثاً: تحديد مصادر الإسلام التشريعية ووجوب الأنقياد إليها.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: بيان فضل القرآن الكريم.

إن القرآن الكريم هو مصدر الهدي، ومشع العلم، وأحسن الحديث أنزله الله على رسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[1]. «وسماه حديثا ـ أعني القرآن ـ لأن النبي ﷺ كان يحدث به قومه، ويخبرهم بما ينزل عليه منه»[2].

---

(1) الزمر: ٢٣

(2) فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية من علم التفسير للشيخ محمد بن علي بن محمد الشوكاني ٤٥٨/٤، ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

ومعنى قوله تعالى: ﴿مُتَشَابِهاً﴾ «أي يشبه بعضه بعضاً في الحسن والأحكام، وصحة المعاني وقوة المباني، وبلوغه إلى أعلى درجات البلاغة»[1].

وفي حديث الباب ما يبين فضل هذا الكتاب العظيم الذي هو مصدر عز المسلمين، والذي يرفع الله به أقواماً ويضع به آخرين، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إن اللهَ يرفعُ بهذا الكتابِ أقواماً ويضعُ بهِ آخرين»[2].

فعلى الدعاة إلى الله بيان مكانة هذا الكتاب العزيز للمدعوين، وحثهم على إنفاذ أوامره واجتناب نواهيه، وحفظه وتعلمه وتعليمه ليفوزوا بالخيرية التي وصفها رسول الله ﷺ لمن تعلّم وعلّم القرآن بقوله: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[3].

ثانياً: وجوب التأسي بهدي الرسول ﷺ.

إن قدوة المسلم في هذه الحياة هو الرسول ﷺ، كما بين الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[4] «فهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عزّ وجلّ

(1) المصدر السابق.

(2) سبق تخريجه ص ٣١٤.

(3) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ص ٩٩٨

(4) الأحزاب: ٢١

صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلقلوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... ﴾ أي هلا اقتديتم وتأسيتم بشمائله ﷺ »[1].

وفي حديث الباب حثٌ على التأسي بهديه ﷺ الذي هو أحسن الهدي وأكمله.

ثالثاً : تحديد مصادر الإسلام التشريعية ووجوب الانقياد إليها.

في حديث الباب يتبين لنا أن الكتاب والسنة هما المصدران الأساسان في التشريع الإسلامي، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالرد إليهما في أمورهم فقال تعالى : ﴿ ...فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2]. وقا تعالى :﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3]. وجعل الله سبحانه وتعالى الانقياد لكتابه وسنة رسوله سبباً للفلاح في الدنيا والآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في هذه الآية :«بين الله سبحانه وتعالى أن المؤمن هو الذي يقول : سمعنا وأطعنا»[4]

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ص ١٠٥٦ ط دار السلام - الرياض.

(2) النساء : ٥٩ .

(3) النور : ٥١

(4) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيميه، ص٣٨.

باب الصبر على الأذى[1]

وقوله تعالى: ﴿ ...إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]

٩٤- عن أبي موسى[3] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ أَحَدٌ أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَداً، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»[4].

رقم الحديث: [٦٠٩٩].

---

(١) أي هذا باب في بيان فضيلة الصبر على الأذى، أي أذى الناس.
والصبر: حبس النفس على المطلوب حتى يدرك. وأصل الصبر الحبس، ومنه سمي الصوم صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح، ومنه نهى النبي ﷺ من صبر البهائم، يعني من حبسها للتمثيل بها ورميها كما ترمى الأغراض. والصبر على الأذى من باب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها ومنعها عن تطاولها، وهو من أخلاق الأنبياء والصالحين، وإن كان الله قد جعل النفوس مجبولة على تألمها من الأذى ومشقته» انظر: عمدة القاري للعيني ١٥/٢٤٣.

(٢) الزمر: ١٠.

(٣) هو عبد الله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعري، الإمام الكبير الفقيه المقري، صاحب رسول الله ﷺ، وهو من علماء الصحابة، عرف بالشجاعة والاجتهاد في طلب الخير، وهبه الله صوتا جميلا حتى قال فيه ﷺ: «لقد أعطي مزمارا من مزامير آل داود». كان عامل رسول الله ﷺ على زبيد وعدن، واستعمله عمر رضي الله عنه على البصرة. توفي سنة ٤٢هـ. انظر: الإصابة ٦/١٩٤، أسد الغابة ٢/٣٨٠، ٣/٣٦٤، سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٠.

(٤) مطابقة الحديث للترجمة في قوله «ليس أصبر على أذى» عمدة القاري، ١٥/٢٤٣.
الحديث طرفه في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: {إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} (الذاريات:٥٨) بلفظ «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم» برقم (٧٣٧٨).
وأخرجه الإمام مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عزّ وجلّ بلفظ «لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عزّ وجلّ، إنه يشرك به ويجعل له الولد ثم هو يعافيهم ويرزقهم» رقم ٢٨٠٤.

الموضوع الدعوي

يهتم الإسلام بتربية الدعاة إلى الله على الصبر على الأذى الذي قد يعترضهم في طريق دعوتهم ؛ لذا أمر الله نبيه بالصبر فقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ... ﴾[1] وفي حديث الباب يسلي رسول الله ﷺ الدعاة من أمته بأن الأذى قد نال الرب جلّ وعلا، فيقول ﷺ : «لَيْسَ أَحَدٌ أو لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَداً، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ». ومعنى الحديث كما ذكره الإمام النووي رحمه الله تعالى: «أن الله تعالى واسع الحلم حتى على الكافر الذي ينسب إليه الولد والندّ»[2] فيقابل جلّ وعلا إساءتهم بالإحسان بشفائهم من أسقامهم ويرزقهم، وفي هذا غاية الإحسان والحلم والصبر من رب العالمين.

وقال العيني رحمه الله «إطلاق الصبر على الله بمعنى الحلم يعني حبس العقوبة عن مستحقها إلى زمن آخر أو تأخيرها»[3]

فعلى الدعاة إلى الله أن ينهلوا من هدي سنة رسول الله ﷺ ليكون لهم خير زاد ونوراً يستضيئون به في طريق دعوتهم إلى الله جلّ وعلا.

---

(1) الأحقاف. ٣٥ وأولو العزم من الرسل هم نوح وهود وإبراهيم. وقال السدي: هم ستة: إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد ﷺ. انظر: فتح القدير للشوكاني ٢٧/٥، ط مصطفى البابي الحلبي.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٦/١٧

(3) عمدة القاري، ٢٤٣/١٥.

الفوائد الدعوية:

أولا : بيان سعة حلم الله على خلقه.

ثانياً: حث المدعوين على الصبر.

ثالثاً: الصبر على الأذى من صفات الداعية المسلم.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا : بيان سعة حلم الله على خلقه.

في قوله ﷺ : «لَيْسَ أَحَدٌ أو لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَداً، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ ويَرْزُقُهُمْ» ما يدل على سعة رحمة الله وحلمه على عباده ؛ إذ لم يعجل لهم العقوبة رغم تقصيرهم في حقه سبحانه، ونطقهم في حقه تعالى بكلام تكاد السموات تتفطر منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدا، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾[1]، بل أعطاهم العافية والرزق، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن

---

(١) مريم ٨٨ ـ ٩٢

﴿يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾[1] وقال تعالى مبينا بعض نعمه على خلقه: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2] وبين جل وعلا حلمه على الناس مع ظلمهم، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3] فبحلمه يؤخر هؤلاء الظلمة فلا يعاجلهم بالعقوبة[4].

ثانياً: حث المدعوين على الصبر.

الصبر أمره عظيم في حياة المسلم، وقد ذكره الله في آيات كثيرة في كتابه العزيز، ونادى عباده المؤمنين بالتحلي به، وجعله سبباً للفلاح في الدارين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5]. وقال جلّ وعلا: ﴿...إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[6] وقال أيضاً مبينا أن من صفات المؤمنين التواصي بالصبر: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

---

(1) لقمان: ٢٠.

(2) القصص: ٧٣

(3) النحل: ٦١

(4) انظر: تفسير جامع البيان للطبري ١٤/١٢٥

(5) آل عمران: ٢٠٠

(6) الزمر: ١٠

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1].

وبين عليه الصلاة والسلام فضل الصبر لأمته، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل قال: «إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة» يريد عينيه، رواه البخاري.[2]

وحثّ ﷺ أمته على الصبر، كما في الحديث الذي رواه أبو سعيد سعد بن مالك الخدري رضي الله عنهما أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده، فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحدٌ عطاء خيراً وأوسعَ من الصبر»[3]. والصبر سعادة للمؤمن في هذه الحياة، فعن أبي يحي صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[4].

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين أهمية الصبر في حياتهم، وأنه سبب للراحة والسعادة والثواب العظيم من رب العالمين.

---

(1) العصر: ١ ـ ٣

(2) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب فضل من ذهب بصره ص ١١١٠.

(3) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة ص ٢٨٦.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر ص ٤٠٤.

(4) سبق تخريجه، ص ٥٠.

ثالثاً: الصبر على الأذى من صفات الداعية المسلم.

إن الصبر على الأذى من أهم الصفات التي يتميز بها الداعية المسلم في حياته ؛ لأن الدعوة إلى الله في حاجة ماسة إلى الصبر، فتحويل الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة رب العباد، ومن الانحراف إلى الاستقامة يتطلب من الداعية جهوداً مضنية، وصبراً وحلماً وتحمل أذى، ولذلك كان من أهم ما تزود به سيد الدعاة وإمام المرسلين الصبر والحلم، فقد اتهموه بالجنون، وتعدى الأمر إلى الإيذاء لجسده الشريف، فوضعوا عليه سلا الجزور وهو يصلي، ورموه بالحجار حتى أدموا قدميه، إلى غير ذلك من أصناف الأذى.[1] فصبر ﷺ رجاء هدايتهم وابتغاء الثواب من عند الله سبحانه وتعالى، وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين بالاستعانة بالصبر في كل أمورهم فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2] وفي هذا تنبيه للدعاة إلى الله على أنه ينبغي لهم الاستعانة والتزود بالصبر في دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى.

وحث ﷺ على الصبر، وكان يسلي أصحابه بذكر أخبار بعض من سبقه ممن أوذي في سبيل نشر دين الله من الأنبياء، فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظرُ إلى النبي ﷺ يُحكي نبياً من الأنبياء صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم ضربه قومه فأدموهُ وهو يَمسَحُ الدَمَ عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يَعلَمُون»[3].

---

(1) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية ٣/١٣ ـ ١٨

(2) البقرة: ١٥٣

(3) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء (ح٣٤٧٧)، ص ٦٧٠، صحيح مسلم بلفظه، كتاب=

ويشتكي أصحابه ما أصابهم من الأذى في سبيل نشر الإسلام فيواسيهم بذكر قصص من سبقهم من المؤمنين، فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيُجاءُ بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئبَ على غنمه، ولكنكم تستَعجِلُون»[1].وفي رواية «وهو متوسد بردة وقد لقينا من المشركين شدة»[2].

لذا ينبغي للداعية إلى الله أن يصبر نفسه في سبيل نشر الدعوة وتبليغها، مقتديا في ذلك برسول الله ﷺ، فهو عليه الصلاة والسلام الأسوة الحسنة للدعاة في هذه الحياة الدنيا، كما بين الله ذلك في كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[3].

=الجهاد والسير، باب غزوة أحد ص ٧٤٥

(١) صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ص ١٣٢٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين في مكه، ص٧٣٠.

(٣) الأحزاب: ٢١

باب[1] قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[2] وما ينهى عن الكذب

٩٥- عن عبد الله[3] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقاً، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّاباً».[4]

رقم الحديث: [٦٠٩٤].

غريب الحديث:

الصدق: نقيض الكذب، من: صَدَقَ يَصْدُقُ صِدْقاً وتصْداقاً. وصدَّقه: قبل قوله، وصدقه الحديث: أنبأه بالصدق، ويقال: صدقتُ القومَ: أي قلت لهم صدقاً[5].

---

(١) أي: هذا باب في ذكر قول الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا ...} الآية. قوله وكونوا مع الصادقين، أي: مثلهم أو منهم ...وقوله {وما ينهى..} أي: الباب أيضاً في باب ما ينهى عن الكذب. عمدة القاري، ١٥/٢٣٩.

(٢) التوبة: ١١٩

(٣) سبق ترجمته.

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب البر والصلة والآداب، باب من قبح الكذب وحسن الصدق وفضله بلفظه، حديث رقم ٢٦٠٧.
ووجه مطابقة الحديث للآية ظاهرة، وهو أن الصدق يهدي إلى الجنة، والآية فيها أيضاً الأمر بالكون مع الصادقين، والكون معهم أيضا يهدي إلى الجنة. انظر: عمدة القاري ١٥/٢٤٠.

(٥) لسان العرب [صدق] ١٠/١٩٣.

البر: الصدق والطاعة، وفي التنزيل: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ... ﴾[1]، والبر ضد العقوق والمبرة مثله [2].

الكذب: الكذب نقيض الصدق، من: كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِباً وكَذْباً وكِذْبَةً وكَذْبَةً[3]. وحقيقة الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلافه الواقع، وليس الإخبار مقصوراً على القول، بل يكون بالفعل كالإشارة باليد، أو هز الرأس، وقد يكون بالسكوت»[4].

الفجور: الريبة والكذب من الفجور [5]، وفجَرَ الإنْسَانُ يَفْجُرُ فَجْراً وفُجُوراً: انبعث في المعاصي.[6] وقال القرطبي: الفجور الأعمال السيئة.[7]

---

(1) البقرة: ١٧٧

(2) لسان العرب مادة [برر] ٥١/٤

(3) لسان العرب [كذب] ٧٠٤/١

(4) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٢٦٢ .

(5) لسان العرب [فجر] ٤٨/٥

(6) المصدر السابق ٥/ ٤٦

(7) المفهم للقرطبي ٥٩١/٦.

الموضوع الدعوي

يحرص الإسلام على أن يكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً متصفاً بالصدق الذي هو طريق السعادة للعبد في الدنيا والآخرة، ففي حديث الباب يبين عليه الصلاة والسلام منزلة الصدق، وأنه يهدي إلى البر، وأن البر يهدي إلى الجنة. فقد أثنى الله على رسله لصدقهم فقال تعالى عن إسماعيل عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا ﴾[1] وأمر الله عباده المؤمنين بالتحلي بهذا الخلق العظيم فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[2]. أي أمرهم بأن يكونوا «في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم مع الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقاً خاليةً من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة»[3].

وكما حرص الإسلام على أن يكون مجتمع الدعوة متصفاً بالصدق، فقد اهتم بإبعاده عن الكذب الذي يهدي إلى الفجور، ومن ثَمَّ إلى النار، نسأل الله تعالى العافية والسلامة؛ لأن «الكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم؛ لسوء عواقبه، وخبث نتائجه؛ لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس من العداوة أمن ولا راحة، ولذلك قيل: «من قلَّ صدقه قلَّ صديقه»[4].

---

(١) مريم: ٥٤

(٢) التوبة: ١١٩

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٣١٢

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٢٧١ ط دار اقرأ - بيروت.

ومع أن الأصل تحريم الكذب مطلقاً فقد أجازه العلماء في مواضع معينة، قال الإمام النووي: «إن الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب، ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً كان الكذب مباحاً، وإن كان واجبا كان الكذب واجباً: فإذا اختفى المسلم من ظالم يريد قتلَه أو أخْذَ ماله وسئل إنسان عنه وجب الكذب بإخفائه، وكذا لو كان عنده وديعة وأراد ظالمٌ أخْذَها وجب الكذب بإخفائها، والأحوط في هذا كله أن يوري، ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليه، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ بالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب، ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا الحال، واستدل العلماء بجواز الكذب في هذا الحال بحديث أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أنها سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيرا».[1] زاد مسلم في رواية: قالت أم كلثوم: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: تعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها».

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، ص٥١٣. وصحيح مسلم بنحوه، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه، ص١٠٤٧.

الفوائد الدعوية:

أولا: حث المدعوين على التحلي بالصدق.

ثانياً: تحذير المدعوين من الكذب.

ثالثاً: الترغيب والترهيب أسلوب من أساليب الدعوة.

رابعاً: حرص الإسلام على حفظ شخصية المسلم.

خامساً: من صفات الداعية الصدق.

سادساً: بيان ثمار الصدق.

سابعاً: الصدق وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

ثامناً: الفصاحة والبلاغة أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا: حث المدعوين على التحلي بالصدق.

إن الصدق صفة من صفات المؤمنين، وقد حث الله عباده على التحلي بها فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1] وكان ﷺ يأمر بالصدق كما بين ذلك أبو سفيان بن صخرة بن حرب رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصة هرقل،

---

(1) التوبة ١١٩

وفيه قال هرقل: فماذا يأمركم ؟ ـ يعني النبيَّ ﷺ ـ قال أبو سفيان: قلت: يقول: «اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة»[1].

وحث رسول الله ﷺ على الصدق في أحاديث كثيرة، بل يعتبر الصدق من أهم الأمور التي أمر بها وحث عليها، فعن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال: «حفظت من رسول الله ﷺ «دعْ ما يريبك[2] إلى ما لا يُريبُك، فإن الصدقَ طمأنينة وأن الكذب ريبة».[3]

وفي رواية مسلم «عليكم بالصدق... الحديث» قال القرطبي: «عليكم من الفاظ الإغراء المصرّحه بالإلزام، فحق على كل من فهم عن الله أن يلازم الصدق في الأقوال والإخلاص في الأعمال فمن كان كذلك لحق بالأبرار، ووصل إلى رضا الغفار»[4]

فعلى الدعاة إلى الله أن يحثوا المدعوين على التحلي بمكارم الأخلاق التي في مقدمتها كلها الصدق، وأفضل وأعظم الصدق الصدق مع الله تعالى، فإن من صدق مع الله في جميع الأمور فاز في الدارين. لذا نادى الله عباده فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[5]

---

(1) سبق تخريجه ص ٤٤٤ .

(2) يُريبك: بفتح الياء وضمها، ومعناه: اتركْ ما تشك في حلّه واعدلْ إلى ما لا تشك فيه .

(3) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب اعقلْها وتوكّلْ ٢٠٥/٧ .
وسنن النسائي مختصراً كتاب الأشربة، باب الحث على ترك الشبهات ٧٣٢/٨.

(4) المفهم للقرطبي ٥٩١/٦.

(5) التوبة: ١١٩.

ثانياً: تحذير المدعوين من الكذب.

في قوله ﷺ: «وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ» ما يدل على حرمة الكذب وأنه أساس الفجور، وقد نهى الله عنه في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ...﴾[1] وقال عزّ من قائل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2] وحذر ﷺ أمته من الكذب، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «أفرى الفِرى أن يريَ الرجلُ عينيه ما لم تريا»[3]. ومن أعظم الكذب الكذب على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام، وقد حذر الله من ذلك فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[4] وتوعد رسول الله ﷺ من كذب عليه فقال: «... ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعدَه من النار»[5].

والكذب دليل على وجود خلل في إيمان الشخص، وقد يؤدي به إلى النفاق - نسأل الله السلامة والعافية - وهذا ما بينه عليه الصلاة والسلام لأمته في الحديث الذي رواه عنه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خلصة من النفاق حتى

---

(1) الإسراء: ٣٦

(2) ق: ١٨

(3) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، ص١٣٤٥.

(4) النحل: ١١٦

(5) سبق تخريجه ص ٢٩٣.

يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».[1] وفي حديث الباب، يقول ﷺ: «وإن الرجل ليكذ حتى يكتب عند الله كذابا» ما يبين خطورة الكذب على المسلم فهو يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار قال الباجي: معناه «يدعو إلى سبيلها ويوصل إليها»[2].

فعلى الدعاة إلى الله تحذير المدعوين من الوقوع في هذه الصفة الذميمة، والتي عاقبتها وخيمة في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: الترغيب والترهيب أسلوب من أساليب الدعوة.

في قوله ﷺ: «... إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ... وقوله أيضاً: «.... وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ..» ترغيب للمدعوين في التحلي بالصدق، وترهيب لهم عن قول الكذب، وفيه دلالة على أهمية الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى، فإن رسول الله ﷺ رغّب في الصدق، وبين مصير الصادقين، ورهّب وحذّر من الكذب وبين مصير الكاذبين؛ ليعرف المسلم أي المصيرين خير وأحسن سلوكا. وهكذا على الداعية إلى الله أن يستخدم هذا الأسلوب النبوي في دعوته ترغيباً للمدعوين في فعل الخير، وترهيباً لهم عن الوقوع في المحرمات؛ لسوء عاقبتها في الدنيا والآخرة.[3]

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ص٣.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق ص ٥٥-٥٦.

(2) المنتقى شرح موطأ مالك للباجي ٤٩٣/٩.

(3) سبق الإشارة لهذه الفائدة، انظر مثلا ص ٢٨٢ من هذه الرسالة.

رابعاً: حرص الإسلام على حفظ شخصية المسلم.

اهتم الإسلام بحفظ شخصية المسلم من الخلل والانتقاد من الآخرين، فضلاً عن تعرضه للعقوبة من رب العالمين، وذلك بترغيبه في فعل كل ما يزينه، وتحذيره عن كل ما يشينه، ومما يزين المسلم بين مجتمعه تحليه بالصدق، فبه يكون محبوبا بين الناس، وإنما حث الإسلام على الصدق لأنه من الأخلاق المحمودة الجميلة التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم، قال الشيخ السعدي رحمه الله: «لا نرى في المجتمع صادقا إلا كان مرموقاً بين الناس، ولا نرى كاذبا إلا كان ممقوتا بهذا الخلق الأثيم؛ لأنه بكذبه لا يطمئن ولا يثق به الغريب والصديق»[1].

إن اهتمام الإسلام بحفظ شخصية أتباعه واضح بين في نصوص الكتاب والسنة التي تأمر بكل ما فيه خير للمسلم، وتنهى عن كل ما فيه شر له في دنياه وآخرته، ولم يبق للمسلم إلا اتباعُ تلك الأوامر، واجتنابُ تلك النواهي؛ لتبقى شخصيته محفوظة محترمة بعيدة عن الازدراء والاحتقار أمام الآخرين، وليكون من المفلحين باتباع أمر الله وأمر رسوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

خامساً: من صفات الداعية الصدق.

---

(1) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن السعدي ١/٣٨٩-٣٩٠.

(2) الأعراف: ١٥٧

إن الداعيـة إلى الله هو القدوة في مجتمعه وبين أفراد المدعوين، ومن عوامل وصفات نجاحه في عمله الدعوي الصدق، إذ الصدق «علامة على كمال المتصف به، وأن له المقام الأعلى في الدين والدنيا، وهو صريح الإخلاص، فإن المخلص قد استوى ظاهره وباطنه، والصادق كذلك، وبالصدق يصل العبد إلى منازل الأبرار، وبه تحصل النجاة من جميع الشرور..»[1]. ولقد ضرب صحابة رسول الله أروع المثل في التحلي بالصدق، فمن ذلك قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فقد أنزل الله بهم قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، حيث قال تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2]

ولا شك أن مما يدعو به الداعيـة إلى الله معاملته وأخلاقه مع الآخرين، فإن كان صادقا خلوقا في تعامله للمدعوين وجد منهم استجابةً وإقبالاً، فكان ذلك عوناً له على نشر دين الله كما فعل السلف الصالح الذين هاجروا إلى بلدان مختلفة، وساروا في الأرض لنشر دين الله، فكان لحسن أخلاقهم وصدقهم في تعاملهم مع المدعوين دور كبير في دخول عدد كبير في دين الله.

فعلى الداعيـة أن يحرص على التحلي بالصدق مع ربه أولاً، ثم مع الخلق ثانياً،

---

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١/٣٨٩ ـ ٣٩٠.

(٢) التوبة ١١٧ ـ ١١٨

استجابة لربه القائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[1]

سادساً: بيان ثمار الصدق.

إن للصدق ثماراً عظيمةً في الدنيا والآخرة، فمن ثماره أنه يهدي إلى البر الذي يكون ـ بمشيئة الله ـ سبباً لدخول الجنة، وقد بين عليه الصلاة والسلام ثمار الصدق، وذلك في الحديث الذي رواه سهل بن حنيف ـ وهو بدري ـ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من سأل اللهَ تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإنْ مات على فراشه».[2] كما أن من ثمار الصدق أنه سبب للبركة في البيع والشراء، فعن أبي خالد حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما».[3]

ومن ثمار الصدق أنه سبب للنجاة من غضب الله في الدنيا والآخرة، وقبول توبة العبد إذا تاب وأناب إلى ربه، كما في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه ومن معه عند تخلفهم عن غزوة تبوك.

ومن ثمار الصدق دوام النعم من الله على صاحبها، فعن أبي هريرة رضي الله

(1) التوبة: ١١٩

(2) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى ص ٧٩٢.

(3) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ص ٣٩٨. وصحيح مسلم بلفظه، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان ص ٦٢١

تعالى عنه حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، قد قذرني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً. فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال: البقر -هو شك في ذلك أن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر- فأعطي ناقة عشراء فقال يبارك لك فيها. وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا قد قذرني الناس. قال: فمسحه فذهب وأعطي شعراً حسناً. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر. قال: فأعطاه بقرة حاملاً وقال: يبارك لك فيها. وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس. قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ عليه في سفري. فقال له: إن الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقراً فأعطاك الله. فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصري، وفقيراً فقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم

بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك.[1]

سابعاً: الصدق وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

بينا فيما سبق أن الإسلام يحرص على حفظ شخصية المسلم من الزلل والخطأ، ومن ذلك حرص الإسلام على أن يتحلى المؤمن بالصدق في تعامله، مما يعطيه سمعة طيبة بين أفراد المجتمع المسلم، كما يكون صدقه - بتوفيق الله - سبباً لنشر الإسلام عند غير المسلمين، مما يكون له الأثر الأكبر في تقديرهم لهذا الخلق الكريم الذي يتحلى به المسلمون، فكان نتيجة ذلك أن أصبح كثير من الدول الآسوية والأفريقية دولاً مسلمة تؤمن بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولاً حيث انتشر الإسلام بسبب تمسك المسلمين بهذا الخلق الكريم. فحري بالدعاة الصالحين أن يستفيدوا من تاريخ سلفهم الصالح، وأن يكونوا خير من يتصف بالصدق في تعاملهم مع الناس ؛ ليكون ذلك وسيلة لدخولهم في دين الله أفواجاً بمشيئة الله تعالى.

(1) صحيح الإمام البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل، ص٦٦٦، رقم الحديث (٣٤٦٤).
وصحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب ما بين النفختين، ص١١٨٩، رقم الحديث (٢٩٦٤).

ثامناً :الفصاحة والبلاغة أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

في قوله ﷺ : « ... وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقاً .....» ما يبين بلاغته وفصاحته في الكلام، وأنه ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، فالصديق « بكسر الصاد والدال المشددة، هو من أبنية المبالغة. ونظيره الضحيك، والمراد : فرط صدقه حتى يصدق قوله العمل، فالتنكير للتعظيم والتفخيم، أي بلغ في الصدق إلى غايته ونهايته حتى دخل زمرتهم واستحق ثوابهم»[1]. وكان عليه الصلاة والسلام يخاطب أصحابه بأفصح عبارة كما في حديث جابر ابن أبي الطويل في حفر الخندق «فصاح النبيُّ ﷺ فقال : يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سوراً فحيهلابكم...»[2] الحديث.

قال الشيخ ابن أبي جمره «فيه دليل على فصحاته ﷺ وعذوبة لفظه لما في قوله ﷺ فحيهلابكم- من البلاغة والاختصار»[3]

وهكذا فإن على الداعية أن يختار في كلامه مع المدعوين أفضل العبارات المؤثرة، وأجمل الأساليب المعبرة ؛ ليكون بذلك أكثر تأثيرا على المدعوين، فإن البيان في الكلام يؤثر على المخاطبين كما قال ﷺ : «إن من البيان لسحرا»[4].

---

(1) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٠٩/١٣ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان .

(2) سبق تخريجه، ص ٨.

(3) بهجة النفوس لابن أبي جمره، ٦٧/٤، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(4) صحيح البخاري ، كتاب النكاح، باب الخطبة، ص١٠٢.

باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال [1]

٩٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا» .

رقم الحديث [٦١٠٣].

٩٧- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ : يَا كَافِر، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»[2] .

رقم الحديث: [٦١٠٤].-

غريب الحديث

الكفر : نقيض الإيمان [3].

---

(١) أي هذا باب في بيان من كفّر أخاه ، أي دعاه كافراً ، أو نسب إليه الكفر . وقوله : « بغير تأويل » : يعني في تكفيره ؛ قيده به لأنه إذا تأول في تكفيره يكون معذوراً غير آثم ، ولذلك عذر النبي ﷺ عمر رضي الله عنه في نسبة النفاق إلى حاطب بن أبي بلتعة لتأويله ، وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ظنّ أنه صار منافقاً بسبب أنه كاتب المشركين كتاباً فيه بيان أحوال عسكر رسول الله ﷺ. انظر : عمدة القاري ١٥/٢٤٥.
إرشاد الساري ١٣/١١٤

وقوله « فهو كما قال » جواب كلمة (مَنْ) المتضمنة معنى الشرط ، يعني أن ما قاله يرجع إليه ، وكفر نفسه لأن الذي كفّره صحيح الإيمان ، ولم يتأول فيه بشيء يخرجه من الإيمان ، فظهر أنه أراد برميه له بالكفر فقد كفر نفسه » .
انظر : عمدة القاري ١٥/٢٤٦.

(٢) مطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من معنى الحديث. المصدر السابق والحديث أخرجه مسلم في كتاب الايمان باب:بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم ياكافر، رقم [٦٠]

(٣) لسان العرب [كفر] ٥/١٤٤ ، وانظر القاموس المحيط ص ٤٢٤ ، ط دار الفكر .
وفتح الباري ١٠/٤٦٦ ، إرشاد الساري ١٣/١١٥ ، ط دار الكتب العلمية .

الموضوع الدعوي

يهتم الإسلام بحفظ كيان المجتمع الدعوي مما يؤدي إلى تكفير أفراده بعضهم لبعض دون دليل واضح وصريح، كما قرر ذلك علماء الإسلام رحمهم الله تعالى، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، قال الطحاوي: «لا يشهد لشخص معين أنه من أهل النار وأنه كافر إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه، بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت، ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدا مخطئاً مغفورا له، أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله تعالى ...».[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «إني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارةً وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد، لا بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصية».[2]

والمراد بقوله ﷺ: «فقد باء به أحدهما» قال ابن بطال: أي «باء بإثم رميه

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية ص٣١٨، ط المكتب الإسلامي.

(2) فتاوي ابن تيمية ٢٩٩/٣، ط الرئاسة العامة لشؤون الحرمين.

لأخيه بالكفر، أي رجع وزر ذلك عليه إن كان كاذباً، وقيل: يرجع عليه إثم الكفر؛ لأنه إذا لم يكن كافراً فهو مثله في الدين، فيلزم من تكفيره تكفير نفسه لأنه مساويه في الإيمان، فإن كان ما هو فيه كفراً فهو أيضا فيه ذلك، وإن كان استحق المرمي به بذلك كفراً فيستحق الرامي أيضاً»[1]. وقال القسطلاني: «حمله البخاري على تحقق الكفر على أحدهما بمقتضى الترجمة، ولذا ترجم عليه مقيداً بغير تأويل ... وحمله بعضهم على الزجر والتغليظ، فيكون ظاهره غير مراد ..... وحمله بعضهم على المستحل لذلك؛ إذ المسلم لا يُكَفَّر بالمعصية .. . أو المراد: أن ذلك يؤول إلى الكفر؛ لأن المعاصي بريد الكفر، ويخاف على المكثر منها أن تكون عاقبة شؤمها المصير إليه».[2]

الفوائد الدعوية:

أولا: أن الجزاء من جنس العمل.

ثانياً: اهتمام الإسلام بصون اللسان.

ثالثاً: بيان شدة حرمة المسلم.

رابعاً: التنفير من بعض الأعمال ببيان سوء عاقبتها أسلوب من أساليب الدعوة.

---

(1) عمدة القاري ١٥/٢٤٦.

(2) إرشاد الساري للقسطلاني ١٣/١١٥

خامسا : تحذير المدعوين من التكفير .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا : أن الجزاء من جنس العمل .

في قوله ﷺ : «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ : يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا» ما يبين أن الجزاء من جنس العمل، فمن رمى أخاه المسلم بالكفر وهو ليس كذلك فإن الأمر يرجع إليه. وكثيرا ما يبين الرسول عليه الصلاة والسلام لأمته نتيجة الإحسان أو الإساءة إلى المسلين، يكون ذلك أحيانا على سبيل الثناء على بعض الأعمال النافعة، كما في قوله ﷺ : «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»[1]، وهذا يرجع إلى أن الجزاء من جنس العمل، وقد تكاثرت النصوص بهذا المعنى كقوله ﷺ : «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»[2] «إن الله يعذب الذين يُعَذبُون في الدنيا».[3] وهكذا من كفّر أخاه في الدنيا بغير تأويل من الله يجازيه برجوع ذلك الأمر إليه جزاءً وفاقاً .

---

(1) سبق تخريجه ص ٣٦٩ .

(2) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه»، ص٢٥١.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ص٣٥٨.

(3) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، ص١٠٥٠.

ثانياً : اهتمام الإسلام بصون اللسان .

في قوله ﷺ : «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ : يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا» ما يدل على اهتمام الإسلام بصون اللسان من الكلمات التي تؤدي بصاحبها إلى الهلاك في الدنيا والآخرة ، وقد حذر الله سبحانه من إيذاء المؤمنين فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾[1] .

وكان عليه الصلاة والسلام يحذر أصحابه من آفات اللسان ، من ذلك ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «أَيُّمَا امرئٍ قَالَ لأَخِيه : يَا كَافِر ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، وَإِلا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»[2] . وبين عليه الصلاة والسلام أن من صفات المؤمن الحق البعد عن الفحش ، وصون اللسان من البذاءة ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء»[3] . وقال ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» .[4]

وحذر عليه الصلاة والسلام من إيذاء أصحابه بعيبهم وتنقصهم كما في مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال : قال رسول

---

(1) الأحزاب : ٥٨

(2) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم : يا كافر . ص ٥٦

(3) سبق تخريجه ص ٤٣٣ .

(4) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ص٢٦.
وصحيح الإمام مسلم بنحوه، كتاب الإيمان ، باب تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل ص ٤٩.

الله ﷺ : «أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فبغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه»[1] .

فعلى الدعاة إلى الله بيان اهتمام الإسلام بصون اللسان من البذاءة وإيذاء الآخرين، وما أعده الله للمتجريء على ذلك من العقاب الأليم، تنفيرا للمدعوين من الإقدام على مثل هذا التصرف المشين .

رابعاً : التنفير من بعض الأعمال ببيان سوء عاقبتها أسلوب من أساليب الدعوة .

في قوله ﷺ : «إذَا قَالَ الرَّجُلُ لأخيهِ : يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا» تحذير من الوقوع في مثل هذا العمل ببيان سوء عاقبته، وفيه كذلك تنفير للمسلم من الإقدام على تكفير أخيه من دون مبرر ولا سلطان ، وهو أسلوب ناجع مؤثر في المدعوين استخدمه الرسول ﷺ كثيرا مع أصحابه، من ذلك تحذيره ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه من الظلم عندما بعثه إلى اليمن، حيث قال له ﷺ : «... واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[2] . فهذا تحذير منه من الوقوع في الظلم، وترهيب من عاقبة مرتكب الظلم بأن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله

---

(1) مسند الإمام أحمد ٨٧/٤

(2) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى، ص٨٢١.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين والشرائع، ص٤٢.

حجاب . فعلى الدعاة إلى الله الاستفادة من هذا الأسلوب النبوي في أعمالهم الدعوية بذكر العقاب الوارد في المخالفة ، فلعل ذلك يكون سبباً في إبعاد المدعوين من الوقوع في المخالفات الشرعية .

خامساً : تحذير المدعوين من التكفير :

إن باب التكفير باب عظمت الفتنة فيه في مجتمعات المسلمين وتساهل البعض بهذا الأمر وانحرفوا عن منهج أهل السنة والجماعة فأطلقوا العنان لأنفسهم بالتكفير لمن يشاؤون دون دليل واضح مثل الشمس في رابعة النهار ولخطورته على المجتمع المسلم بين عليه الصلاة والسلام مصير من يسلك هذا الطريق فقال ﷺ :«إذا قال الرجل لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما»

والتكفير من عيوب أهل البدع كما قال الإمام الطحاوي رحمه الله :«فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً ، ومن ممادح أهل العلم أنهم يُخطِّئون ولا يكفرون»[1]

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية ص٢٩٤، توزيع مكتبة المؤيد ، الطائف.

باب الحياء[1]

٩٨- عن عمران[2] بن الحصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الْحَيَاءُ لا يَأْتِي إلا بِخَيْرٍ» . فقال بُشَيْرُ بن[3] كعب : مكتوب في الحكمة : إن من الحكمة وقاراً، وإن من الحياء سكينةً . فقال عمران : أحدّثك عن رسول الله ﷺ وتحدّثني عن صحيفتك !».[4]

رقم الحديث: [٦١١٧].-

غريب الحديث:

الحياءُ: بالمد، وهو في اللغة : تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ، وقد يطلق على ترك الشيء بسبب ، والترك إنما هو من لوازمه . وفي

---

(١) أي هذا باب في بيان فضل الحياء . انظر : عمدة القاري ٢٥٦/١٥

(٢) عمران بن حصين : هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الإمام القدوة، يكنى أبا نُجيد بعثه عمر إلى البصرة ليفقههم فكان الحسن يحلف ما قدم عليهم البصرة خيراً لهم من عمران بن الحصين، روى عنه الحسن وابن سيرين وغيرهما، توفي بالبصرة سنة اثنتين وخمسين .
سير أعلام النبلاء ٥٠٨/٢-٥١١، وانظر أسد الغابة٢٦٩/٤-٢٧٠.

(٣) بُشَيْرُ بن كعب بضم الباء وفتح الشين المعجمة ، ابن كعب العدوي البصري التابعي الجليل. انظر : عمدة القاري ٢٥٦/١٥

(٤) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، انظر عمدة القاري ، ٢٥٦/١٥.
والحديث أخرجه الإمام مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان رقم الحديث ٣٧

فلذلك كان من الايمان»[1]

ومع حث الإسلام على التحلي بالحياء إلا أن السكوت عن قول الحق حياءً يعدّ عجزاً ـ كما قال العلماء ـ قال الكرماني : «فإن قلت : صاحب الحياء قد يستحيي أن يواجه بالحق من يعظمه ، أو يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق. قلت : هذا عجز».[2] وقال الحافظ ابن حجر : «... والحياء الذي ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس حياء شرعياً، بل هو عجز ومهانة، وإنما يطلق عليه حياء لمشابهته للحياء الشرعي ...» .[3]

الفوائد الدعوية:

أولاً : حث المدعوين على التحلي بالحياء .

ثانياً : وجوب التمسك بسنة الرسول ﷺ .

ثالثاً : بيان ثمرة الحياء .

رابعاً : من صفات الداعية إلى الله الحياء .

خامساً : الحياء من صفات الكمال .

---

(1) سُبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني، ٢٧٦/٤ ط دار الفكر.

(2) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢٣٤/٢١

(3) فتح الباري ٥٣٩/١٠.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : حث المدعوين على التحلي بالحياء .

في قوله ﷺ : «الْحَيَاءُ لا يَأْتِي إلا بِخَيْرٍ» ما يدل على أهمية تحلي المسلم بهذا الخلق العظيم، وقد أمر عليه الصلاة والسلام أصحابه بذلك في أحاديث كثيرة، منها ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : مرّ النبي ﷺ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء، يقول: إنك لتستحي -حتى كأنه يقول : قد أضرَّبك- فقال ﷺ : «دعه فإن الحياء من الإيمان»[1].

قال الباجي قوله ﷺ «دعه» يريد الامساك عن وعظه في ذلك «فإن الحياء من الايمان» يريد والله أعلم من شرائع الايمان».[2]

ومع أن الأصل التحلي بالحياء إلا أنه يجب على الدعاة أن يبينوا للمدعوين أن الحياء الذي يمنعهم من التفقه في الدين أمر غير مرغوب، وأن ذلك ليس من الحياء في شيء، فقد كان صحابة رسول الله ﷺ يسألونه عن جميع الأمور وحتى ما قد يستحيا منها ، فيجيب عليه الصلاة والسلام عليها ، من ذلك ما روته أم سلمة رضي الله عنها قالت : جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت ؟ فقال : «نعم،

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء، ص.١١٨.

(2) المنتقى شرح موطأ مالك للباجي، ٢٩٠/٩.

إذا رأت الماء»[1]. وقالت عائشة رضي الله عنها : نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء من التفقه في الدين»[2]. فينبغي على الدعاة حث المدعوين على التحلي بالحياء واكتسابه ؛ لكونه من الإيمان، ولأنه سبب لسعادة المسلم في حياته وبعد مماته ؛ لما في التخلق به من الخير العظيم، والاقتداء بسيد المرسلين .

ثانياً : وجوب التمسك بسنة الرسول ﷺ .

أمر الله عباده المؤمنين بالامتثال لأمره وأمر رسوله فقال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3]. «وفي هذا النهي الشديد عن تقديم قول غير رسول الله على قوله، فإنه متى استبانت سنة رسول الله ﷺ وجب اتباعها وتقديمها على غيرها كائناً من كان»[4].

والسنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام، وقد قال عليه الصلاة والسلام : «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً : كتاب الله وسنتي»[5]. وبين عليه الصلاة والسلام لأمته كل ما فيه صلاح الدنيا والدين، وأكمل الله سبحانه على يديه الرسالة وأتم الدين، كما قال تعالى :

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما لا يستحي من الحق للتفقه في الدين، ص١١٨١.

(2) المنتقى شرح موطأ مالك للباجي، ٢٩٠/٩.

(3) الحجرات ١

(4) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٧٤٣

(5) الحاكم في المستدرك ١٧٢/١، وقال صحيح على شرط مسلم.

﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] ؛ لذا أقبل الصحابة على الأخذ بهذه السنة وترك ما سواها من أقوال الحكماء الذين يعتري كلامهم النقص والخطأ، فهذا عمران بن الحصين رضي الله عنه ينكر على بُشَيْر سياقه كلام الحكماء بمعرض سياق عمران بن الحصين لحديث رسول الله ﷺ قائلا : «أحدّثك عن رسول الله ﷺ وتحدّثني عن صحيفتك !»، «وإنما قال عمران ذلك مغضباً لأن الحجة إنما هي في سنة رسول الله ﷺ لا فيما يروى عن كتب الحكمة ؛ لأنه لا يدرى ما في حقيقتها، ولا يعرف صدقها»[2].

فعلى الدعاة إلى الله حثُّ المدعوين على التمسك بسنة رسول الله ﷺ وتقديمها على ما دونها من كلام البشر، فإن في التمسك بها خيراً لهم في الدنيا والآخرة .

ثالثاً : بيان ثمرة الحياء .

في قوله ﷺ في حديث الباب : ما يدل على آثار الحياء الحسنة، وحصول الخيرية لمن تحلى به، وقد بين عليه الصلاة والسلام بعض آثار الحياء الحسنة على من تحلى به مما يكون سبباً في حصول الخير والأجر عند الله، من ذلك ما رواه أبو واقد الحارث بن عوف الليثي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في

---

(1) المائدة : ٣

(2) عمدة القاري ١٥/٢٥٦

المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد فقال: فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسولُ الله ﷺ قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة، أما أحدهم فأوى[1] إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»[2].

قال الحافظ ابن حجر: «في الحديث الثناء على المستحي»[3] ومن ثمار الحياء أنه يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي قال الصنعاني: «ومعنى كونه من الايمان أن المستحي ينقطع بحياته عن المعاصي فيصير كالايمان القاطع بينه وبين المعاصي»[4]، فعلى الدعاة إلى الله ببيان ثمار الحياء ليتحلوا به فتحصل لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

رابعاً: من صفات الداعية إلى الله الحياء.

إن من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى الله صفة الحياء التي حث عليها رسول الله ﷺ وبين فضله لأمته كما في حديث الباب وغيره من

---

(1) أوى إلى الله: لجأ إليه. فتح الباري ١٠/١٥٧.

(2) صحيح البخاري رقم ٦٦، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ص ٢٨، وصحيح مسلم بلفظه، كتاب السلام، باب من أتى مجلساً فوجد فرجةً فجلس فيها وإلا وراءهم، ص٨٩٧.

(3) فتح الباري ١٠/١٥٧.

(4) سُبُل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني ٤/٢٧٦، ط دار الفكر.

أحاديثه ﷺ ، والداعية قدوته في هذه الحياة في عمله الدعوي هو إمام المتقين وسيد المرسلين رسول الله ﷺ الذي أمر الله سبحانه وتعالى كل من يرجو اللهَ واليوم الآخر بالتأسي به، حيث قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[1] .

والحياء من شمائله ﷺ ، فكان عليه الصلاة والسلام شديد الحياء ، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : «كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً من العذراءِ[2] في خِدْرِهَا ، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه» [3] قال القاضي عياض في قول أبي سعيد الخدري «كان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه» أي لا يبدي الكراهة بالكلام ولا يؤاخذ أحداً بما يكره، وإن تغيّر لذلك وعرف في وجهه»[4]. لذا ينبغي على الدعاة إلى الله التحلي بهذا الخلق العظيم الذي هو خلق سيد المرسلين، وخصوصاً مع علماء الإسلام، وأهل الفضل والإحسان.

---

(١) الأحزاب : ٢١

(٢) العذراء : البكر ، والخِدْر : هو الستر الذي يجعل للبكر في جنب البيت حتى تصان عن الأعين.

(٣) صحيح البخاري كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ص١١٧٨.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الفضائل باب كثرة حيائه ﷺ، ص٩٤٩.
وانظر الشمائل النبوية، باب ما جاء في حياء رسول الله ﷺ ص٢٩٧ ، ط المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة.

(٤) إكمال المعلم بفوائد المسلم للقاضي عياض اليحصبي ٧/٢٨٤.

خامساً : الحياء من صفات الكمال .

الحياء من صفات الكمال للمسلم ؛ لأنه ـ كما قال عليه الصلاة والسلام ـ لا يأتي إلا بخير ، حيث يحمل صاحبه على فعل الخيرات ، ويقيه من الوقوع في المحرمات والمنكرات، فمتى قلّ حياء المرء فإن شخصيته تخفق عن بلوغ درجة الكمال في الأخلاق ، وفي امتثال أوامر الله سبحانه ، ويرتكب ما شاء من المعاصي كما بين ذلك رسول الله ﷺ ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن مما أدرك الناسُ في كلام النبوة الأولى[1] : إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[2] .أي «إذا نزع الحياء فافعل ما شئت ، فإن الله مجازيك عليه . وفيه إشارة إلى تعظيم أمر الحياء . وقيل : هو أمر بمعنى الخبر ، أي من لا يستحي يصنع ما أراد» .[3]

وقال الحسن : أربع من كن فيه كان كاملاً ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالحي قومه : دينٌ يرشده ، وعقل يسدده ، وحسبٌ يصونه ، وحياءٌ يقوده» .[4]

(١) النبوة الأولى : قال الخطابي : معناها : أن الحياء لم ينزل معدوحا على ألسن الأنبياء الأولين ومأمورا به ثم نسخ فيما نسخ من الشرائع . فالأولون والآخرون فيه على منهاج واحد » . انظر الخطابي ٢١٩٨/٣

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت ص ١١٨١

(٣) فتح الباري ٥٢٣/١٠.

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢١٩/٢.

وقال حبيب :

فـــلا والله مـــا في العـــيش خـــيرٌ
ولا الـدنـيـــــا إذا ذهـب الحـــــيـــــاء

يعـــيش المرءُ مـــا اســتــحـــيـــا بخـــير
ويبـــقى العـــودُ مـــابقي اللّحـــاءُ[1]

فحري بالمسلم أن يحرص على هذا الخلق الكريم الذي هو سبب من أسباب السعادة في الدارين، وأن يحذر قلة الحياء، فإنها سبب لكل شقاء .

---

[1] المصدر السابق، ص ٢٢.

باب الانبساط إلى الناس[1]

وقال ابن مسعود : خالط الناس ودِينَكَ لا تَكْلِمَنَّه والدُّعابةِ مع الأهل[2] .

٩٩- عن أنس بن[3] مالك رضي الله عنه قال : إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير : «يا أَبَا عُمَيْر[4] مَا فَعَلَ النُّغَيْر»[5] .

رقم الحديث: [٦١٢٩].

غريب الحديث:

يخالطنا : أي يلاطفنا بطلاقة الوجه والمزح[6] .

---

(١) أي هذا باب في بيان جواز الانبساط إلى الناس . انظر : عمدة القاري للعيني ١٥/٢٦٢

(٢) ذكر هذا التعليق عن عبد الله بن مسعود إشارة إلى أن الانبساط مع الناس والمخالطة بهم مشروع ، ولكن يشترط أن لا يحصل في دينه خلل ويبقى صحيحاً . وهو معنى قوله: «ودينك لا تكلمنّه» من الكَلم بفتح الكاف وسكون اللام وهو الجرح ، ويجوز في «دينك» الرفع والنصب ، أما الرفع فعلى أنه مبتدأ ، و « لا تكلمنّه » خبره ، وأما النصب فعلى فعل شريطة التفسير ، والتقدير : لا تكلمن دينك ، وفسر المذكور المقدر . المصدر السابق ص٢٦٣ .

(٣) سبق ترجمته .

(٤) عمير : تصغير عمر ، وهو ابن أبي طلحة الأنصاري ، واسمه زيد بن سهل ، وهو أخو أنس ابن مالك لأمه . انظر : عمدة القاري للعيني ١٥/٢٦٣

(٥) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة ، عمدة القاري، ١٥/٢٦٣.
والحديث أخرجه الإمام البخاري في الكتاب نفسه ، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل. رقم ٦٢٠٣ .
وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الآداب ، باب استحباب تحنيك المولود رقم ٢١٥٠.

(٦) انظر : عمدة القاري للعيني ١٥/٢٦٣

النُغَير : بضم النون وفتح العين المعجمة ـ مصغر النغر ـ بضم النون وفتح العين، وهو جمع نُغْرة، طير كالعصفور محمر المنقار[1]، قال القسطلاني : وأهل المدينة يسمونه البلبل[2].

الموضوع الدعوي

الإسلام دين يربي أتباعه على الألفة والانبساط إلى الناس، لما فيه من الخير العظيم والفضل والأجر الكبير، وقد جعل الرسول المنبسطَ مع الناس أحبّ الناس إليه، ومن أقربهم إليه منزلا يوم القيامة، قال ﷺ : «ألا أنبئكم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»[3]. وجعل ﷺ طلاقة الوجه أمام الأخ المسلم من المعروف الذي يثاب عليه فاعله، وحث أصحابه على هذا الخلق ورغبهم فيه فقال ﷺ : «لا تحقرنَ من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[4].

وفي حديث الباب يتبين لنا مدى انبساطه ﷺ إلى الناس واهتمامه ﷺ بهذا الأمر، تواضعاً منه عليه الصلاة والسلام وتربيةً لأمته على هذا الخلق الفاضل . قال

---

(١) فتح الباري ٥٨٣/١٠ ـ ٥٨٤

(٢) إرشاد الساري ١٣٥/١٣ ، وانظر : عون الباري ٣٤٥/٥

(٣) سبق تخريجه ص ٥٦٤ .

(٤) سبق تخريجه ص ٥٦٥ .

الطيبي: «حتى» غاية قوله «يخالطنا»، وضمير الجمع لأنس وأهل بيته، أي انتهت مخالطته لأهلنا كلهم حتى الصبي، وحتى المداعبة معهم، وحتى السؤال عن فعل النغير»[1] ولا شك أن الانبساط إلى الناس فرصة كبيرة لنشر الخير بينهم من دعوة ونصح وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وتسلية مصاب، وسؤال عن حال مريض أو حزين، وكل ذلك من التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله سبحانه به في قوله تعالى: ﴿ ...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[2].

ولا شك أن المجتمع الدعوي بهذه الأخلاق العالية من الدعاة يعيش صورة مشرقة أمام المجتمعات الأخرى غير المسلمة التي حرمت هذا الخلق العظيم، فحق لأهل الإسلام أن يفخروا بدينهم الذي أسعد البشرية بمبادئه السامية.

الفوائد الدعوية:[3]

أولاً: حسن خلقه ﷺ مع الصغير والكبير.

---

(1) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٦/١٠٧، ط دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

(2) المائدة ٢.

(3) الفوائد في هذا الحديث كثيرة جداً، وقد سبق إلى التنبيه على تلك الفوائد من علماء السلف مثل أبو حامد الرازي أحد أئمة الحديث وشيوخ أصحاب السنن، ثم تلاه الترمذي في الشمائل، ثم تلاه الخطابي، وجميع ما ذكروه يقرب من عشر فوائد فقط. واستخرج ابن القاص من جميع طرقه ستين فائدة، وقد ساقها الإمام الترمذي في شرحه بتمامها ثم قال: ومن هذه الأوجه ما هو واضح، ومنها الخفي، ومنها المتعسف. انظر فتح الباري ١٠/٥٨٥

ثانياً : على الدعاة إلى الله الاهتمام بالأطفال وإظهار الحب لهم .

ثالثاً : اهتمام الإسلام بتربية الطفل على المخاطبة .

رابعاً : جواز الكنية للصغير .

خامساً : جواز استعمال السجع للتأنيس .

سادساً : من وسائل الدعوة إلى الله إكرام أقارب الخادم وإظهار المحبة لهم وزيارتهم .

سابعاً : جواز تخصيص الإمام بعض الرعية بالزيارة .

ثامناً : جواز إحضار وسائل الترفيه للطفل ليتلهى بها .

تاسعاً : فراسة الداعية في معرفة أحوال المدعوين .

عاشراً: حث المدعوين على ملاطفة الصبيان والمزاح معهم.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : حسن خلقه ﷺ مع الصغير والكبير .

في حديث الباب يتبين لنا حسن خلق الرسول ﷺ مع الأطفال، وكان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس خُلقاً، كما وصفه ربه بذلك فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] فكان عليه الصلاة والسلام يوقر الكبير، ويعطي الصغير حقَّه،

---

[1] القلم ٤

ويمزح مع الأطفال ويداعبهم، ويأمر أصحابه بذلك، بل جعل إعطاء كل الناس كبيرهم وصغيرهم حقه من الاحترام والتوقير من الإيمان فقال ﷺ : «من لم يرحم صغير ويعرف حق كبيرنا فليس منا»[1] . ويأتيه بعض أصحابه بأطفالهم فيأخذهم ويقبلهم ويشمهم، وربما أجلسهم على فخذه .

قال القاضي في فقه حديث أنس :«وفيه ما كان عليه ﷺ من الخلق الحسن والعشرة الطيبة مع الصغير والكبير والإنبساط إلى الناس» .[2]

فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الخلق منه ﷺ في حسن التعامل مع الصغار .

ثانياً : على الدعاة إلى الله الاهتمام بالأطفال وإظهار الحب لهم :

إن الداعية يخاطب جميع فئات المدعوين في المجتمع ، ومن هذه الفئة الأطفال ، فينبغي له الاهتمام بهم وإظهار المحبة لهم، ومن وسائل ذلك المزح معهم، وفي حديث الباب نجد كيف اهتم إمام الدعاة المخلصين بالأطفال، حيث يقول ﷺ لأخ لأنس صغير : «يا أبَا عُمَيْر مَا فَعَلَ النُّغَيْر» فما أعظم هذا الاهتمام بهذا الطفل من رسول الله ﷺ حتى يقف أمامه ويخاطبه بهذه العبارة ، فهذا هو هديه ﷺ في تعامل مع أطفال الأمة، الذي ينبغي للدعاة إلى الله الاستفادة منه حتى يجذبوا

---

(1) الحاكم في المستدرك كتاب اللباس ١٧٨/٤.
وسنن أبي داود بلفظه، كتاب الأدب، باب في الرحمة، ص٧٤٧.

(2) إكمال المعلم بفوائد المسلم ٢٦/٧.

الأطفال ويكسبوا مودتهم، وهو الأمر الذي سيكون له دور في حياتهم المستقبلية، إذ الطفل إذا نشأ على محبة أهل الفضل والدعاة إلى الله فإنه يتوقع أن يكون مثلهم أو أفضل منهم إن شاء الله، فالمحبة سبب رئيس لكل ما يميل الإنسان إليه في حياته ويتخذه منهجاً.

ثالثاً: اهتمام الإسلام بتربية الطفل على المخاطبة.

إن الطفل ينشأ على ما عوّده المربي، ولهذا تختلف النجابة من طفل لآخر باختلاف أساليب التربية من قبل المربي، وفي هذا الحديث يخاطب النبي ﷺ هذا الطفل الصغير فيقول له ممازحاً: «يا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ». ولا شك أن هذا من الأساليب التربوية الناجحة حتى وإن كان الطفل لم يميز بعد، فإنه لا مانع من «مواجهته بالخطاب إذا فهم الخطاب، فكان في ذلك فائدة ولو بالتأنيس له، وكذا في تعليمه الحكم الشرعي عند قصد تمرينه عليه من الصغر، كما في قصة الحسن بن علي لما وضع التمرة في فيه قال ﷺ له: «كخ كخ أما علمت أنا لا نأكل الصدقة»، ويجوز أيضا مطلقاً إذا كان القصد بذلك خطاب من حضر أو استفهامه ممن يعقل، وكثيرا ما يقال للصغير الذي لا يفهم أصلاً إذا كان ظاهر الوعك: كيف أنت، والمراد سؤال كافله أو حامله».[1] وكم من طفل نشأ ولم يستطع مخاطبة الناس كما يفعل رفقاؤه بسبب سوء تربية والديه له، وعدم تعويده على المخاطبة

(١) فتح الباري ٥٨٥/١٠.

منذ الصغر ، وكم اشتكى رجال التعليم من أمثال أولئك الأطفال ، فلو أخذوا بهدي نبيهم ﷺ في تمرين الطفل على المخاطبة ما وقع أطفالهم في ذلك ، لذا ينبغي للدعاة إلى الله بيان الهدي النبوي في هذا الأمر المهم الذي طالما تهاون به الناس جهلاً .

رابعاً : جواز الكنية للصغير .

في قوله ﷺ : «يا أَبَا عُمَيْر» ما يبين جواز الكنية للصغير وقبل أن يولد له ولد ، وقد أخرج ابن ماجه وأحمد والطحاوي وصححه الحاكم من حديث صهيب «أن عمر رضي الله عنه قال له : ما لك تكنى أبا يحي وليس لك ولد ؟ قال : إن النبي ﷺ كناني»[1] قال ابن بطال : «وفيه أن أسماء الأعلام لا يقصد معانيها ، وأن إطلاقها على المسمى لا يستلزم الكذب ؛ لأن الصبي ... لم يكن أبا وقد دعي أبا عمير» .

وقال الحافظ ابن حجر : «قال العلماء : كانوا يكنون الصبي تفاؤلاً بأنه سيعيش حتى يولد له ، وللأمن من التلقيب ؛ لأن الغالب أن من يذكر شخصاً فيعظمه أنه لا يذكره باسمه الخاص به ، فإذا كانت له كنية أمن من تلقيبه ؛ ولهذا قال قائلهم : بادروا أبناءكم بالكنى قبل أن تغلب عليها الألقاب»[2] .

---

(١) سنن ابن ماجه ١٢٣١/٢ ، ومسند الإمام أحمد ١٦/٦ .

(٢) فتح الباري ٥٨٥/١٠ .

خامساً : جواز استعمال السجع للتأنيس :

في قوله ﷺ : «يا أبَا عُمَيْر مَا فَعَلَ النُّغَيْر» ما يفيد جواز السجع في بعض الأحيان، قال ابن بطال :«وفيه جواز السجع في الكلام إذا لم يكن متكلفاً، وأن ذلك لا يمتنع من النبي كما امتنع من إنشاء الشعر»[١].

وقال القاضي عياض :«وفيه من الفقه استعمال السجع بعض الأحايين».[٢]

سادساً : من وسائل الدعوة إلى الله إكرام أقارب الخادم وإظهار المحبة لهم وزيارتهم

إن من الوسائل المعينة على نشر الدعوة إلى الله الزيارة من الداعية للمدعوين، ومن العالم للمتعلمين، ومن الإمام للرعية، وفي حديث الباب يتبين لنا عناية رسول الله ﷺ بهذا الأمر، فيزور أم سليم لمكانة أنس رضي الله عنه عنده ﷺ، قال ابن القاص : «وفيه إكرام أقارب الخادم وإظهار المحبة لهم ؛ لأن جميع ما ذكر من صنيع النبي ﷺ مع أم سليم وذويها كان غالبه بواسطة خدمة أنس له»[٣]. وقد كان من هديه عليه الصلاة والسلام زيارة من يخدمه ومن تحته من الخدم ودعوتهم إلى الخير، فعن أنس رضي الله عنه قال : كان غلام يهودي يخدم رسول الله ﷺ فَمَرِضَ فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له : «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال : أطعْ أبا القاسم، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول : «الحمد لله الذي

---

(١) فتح الباري ١٠/٥٨٥، وانظر المعلم بفوائد مسلم للمازري ٣/٨٥ ط دار الغرب الإسلامي

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٧/٢٦.

(٣) فتح الباري ١٠/٥٨٦

أنقذه من النار»[1].

سابعاً : جواز تخصيص الإمام بعض الرعية بالزيارة .

في حديث الباب ما يظهر لنا أهمية زيارة الإمام لرعيته ، وأن تخصيص بعضهم بذلك جائز ، قال ابن القاص : «وكان من هديه عليه الصلاة والسلام هذا الأمر ، وسار على ذلك خلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن[2] رضي الله عنها نزورها ، كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما انتهينا إليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ، ما عند الله خير لرسوله ﷺ ، فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله تعالى خيرٌ لرسوله ﷺ ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء . فهيجتهما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها».[3]

ثامناً : جواز إحضار وسائل الترفيه للطفل ليتلهى بها .

إن الطفل بأمس الحاجة إلى وسائل الترفيه في صغره وهي وسيلة نافعة في تربية الطفل وفي قوله ﷺ : «يا أبا عمير ما فعل النغير» ما يدل على جواز لعب

---

(1) سبق تخريجه ص ٣٢٢ .

(2) أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ وخادمته في طفولته ، أعتقها النبي ﷺ حين كبر ، وزوجها زيد بن حارثة ، وكان رسول الله ﷺ يكرمها ويقول : «أم أيمن أمي» ، أسد الغابة ٤٢٤/٥ .

(3) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم أيمن، ص٩٩٦.

الصبي بالطير الصغير، قال القاضي : «وفيه جواز لعب الصبي بالطير الصغير ومعنى هذا اللعب عند العلماء إمساكه له وتلهيته بحبسه لا بتعذيبه والعبث به»[1].

تاسعاً : من صفات الداعية دقة الملاحظة .

إن الداعية ينبغي أن يكون ذا فراسة في معرفة أحوال المدعوين وتحسس أخبارهم وفي قوله ﷺ :«يا أبا عمير ما فعل النغير» ما يدل على دقة ملاحظته ﷺ لحال هذا الصبي حيث ورد في بعض الروايات «كان نغيراً يلعب به فمات»[2] فأخذ يلاطفه ﷺ لما رأى على وجهه التأثر بعد موت الطير.[3]

عاشراً: حث المدعوين على ملاطفة الصبيان والمزاح معهم .

لقد كان عليه الصلاة والسلام أكمل الناس خلقاً في تعامله مع الأطفال والعطف عليهم والمزاح معهم. فكان يسلم عليهم وكان ﷺ يخفف الصلاة عند سماع بكاء الصبي وفي حديث الباب يتبين لنا هديه ﷺ في ملاحظة الصبي والمزاح

---

(1) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٢٦/٧.

(2) المصدر السابق

(3) سبق الاشارة إلى هذه الفائدة، انظر ص ٤٨٤ .

معه، قال الحافظ: «وفيه أن ممازحة الصبي الذي لم يبلغ جائزة»[1] لذا ينبغي على الدعاه إلى الله حث المدعوين على ملاطفة الصغار والمزاح معهم فيما ليس فيه إثم فإن في ذلك الخير الكثير لهم ولأبنائهم من حسن العشرة ودوام المحبة.

---

(1) فتح الباري ١٠/٥٨٦.

باب الانبساط إلى الناس والدُعابة مع الأهل[1]

١٠٠- عن عائشة[2] رضي الله عنها قالت : كنت ألعب بالبنات[3] عند رسول الله ﷺ ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن إليَّ يلعبن معي .[4]

رقم الحديث : [٦١٣٠].-

غريب الحديث:

صواحب : جمعُ صاحبةٍ، وهنَّ الجواريُ من أقرانها .[5]

يتقمعن منه: أي يتغيَّبن منه ويدخُلنَ من وراءِ الستر، وأصله من قمع الثمرة، أي يدخلن في الستر كما يدخلن الثمرة في قمعها .[6]

---

(١) والدعابة بالجر عطفاً على الإنبساط . وهي من بقية الترجمة وهي بضم الدال وتخفيف العين المهملة وبعد الألف باء موحده وهي الملاطفة في القول بالمزاح.
انظر عمدة القاري ٢٦٣/١٥.

(٢) سبق ترجمتها رضي الله عنها .

(٣) بالبنات : أي بالتماثيل واللعب . انظر : شرح الكرماني على صحيح البخاري ٥/٢٢.

(٤) مطابقة الحديث للترجمة من حيث إن رسول الله ﷺ كان ينبسط إلى عائشة حيث يرضى بلعبها بالبنات ويرسل إليها صواحبها حتى يلعبن معها ... » . عمدة القاري ٢٦٤/١٥. والحديث أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة حديث رقم ٢٤٤٠.

(٥) انظر : عمدة القاري ٢٦٤/١٥

(٦) فتح الباري ٥٢٧/١٠ ، إرشاد الساري ١٣٦/١٣

فيسربهنَّ إليَّ: بالسين المهملة أي يرسلهنّ، من التسريب: وهو الإرسال والتسريح، والسارب: الذاهب، يقال: سرب عليه الخيل، وهو أن يبعث عليه الخيل قطعة بعد قطعة.[1]

الموضوع الدعوي

يهتم الإسلام بحسن العشرة الزوجية اهتماماً بالغاً لكونه من أسباب السعادة ــ بعد توفيق الله ــ بين الزوجين، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بذلك فقال تعالى: ﴿...وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2] «أي على ما أمر الله به من حسن المعاشرة، والخطاب للجميع؛ إذ لكل أحد عشرة، زوجاً كان أو ولياً، ولكن المراد بهذا الأمر في الأغلب النساء، وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾[3] وذلك توفية حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون منطلقاً في القول لا فظاً ولا غليظاً»[4].

---

(1) انظر: صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢٢/٦

(2) النساء: ١٩

(3) البقرة: ٢٢٩.

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٧/٥، طبعة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة. وللفائدة انظر: المغني لابن قدامة، كتاب عشرة النساء والخلع ٢٢٠/١٠، وزاد المعاد، فصل في هديه في النكاح ومعاشرة أهله، ص٥٦، ط ابن حزم

وفي حديث الباب يتبين لنا هدي النبي ﷺ في عشرة النساء، وذلك من خلال حسن عشرته ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

وتصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها موقفاً آخر في حسن عشرته عليه الصلاة والسلام لها فتقول : «كان الحبش يلعبون بحرابهم، فسترني رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف ...»[١] وقد سئلت عائشة رضي الله عنها : ما كان يصنع النبي ﷺ في بيته ؟ فقالت : «كان يكون في مهنة أهله – تعني خدمة أهله – فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»[٢].

وأوصى ﷺ أمته بالنساء خيراً فقال : «..... واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»[٣] . «والمعنى : أي أوصيكم بهن خيرا، أو المعنى : يوصي بعضكم بعضاً بهن خيراً»[٤].

بهذا يتبين أن حسن عشرة الزوج مع زوجته وفق الهدي النبوي سبب لاستقرار الأسرة وسعادة للمجتمع الدعوي، وهو الأمر الذي له دوره الإيجابي في سير العمل الدعوي وتأثيره على المدعوين ؛ إذ الحياة الزوجية إذا اختلت، وغلب

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح ، باب حسن المعاشرة مع الأهل ص ١٠٢٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كان في حاجة أهله فاقيمت الصلاة فخرج، ص١٤٣.

(٣) صحيح البخاري كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء ص١٠٢٦ رقم الحديث (٥١٨٦)
صحيح مسلم كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، ص٥٨٥، رقم الحديث(١٤٦٨)

(٤) سبل السلام ٢٦٧/٣ ، طبعة دار الفكر

عليها الشقاق وعدم الاحترام، فإن ذلك سيكون له الأثر السيء على الأولاد ، وبخاصة من حيث تربيتهم على أحكام هذا الدين الحنيف .

الفوائد الدعوية:

أولاً : حسن خلق الرسول ﷺ مع أهله .

ثانياً : اهتمام الإسلام بتربية المرأة على خدمة بيتها .

ثالثاً : الترفيه أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى .

رابعاً : أن يكون الداعية قدوة في العشرة الزوجية .

خامساً: حث المدعوين على حسن العشرة الزوجية.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : حسن خلق الرسول ﷺ مع أهله .

إن رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ، فقد وصفه ربه بذلك فقال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ويصف أنس رضي الله عنه خلقه ﷺ فيقول : ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كفِّ رسول الله ﷺ ، ولا شممت رائحة قط

---

[1] القلم ٤

أطيب من رائحة رسول الله ﷺ ، ولقد خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي قط : «أف»، ولا قال لشيء فعلته : «لِمَ فعلتَه» ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلت كذا». [1]

وفي حديث الباب يظهر حسن خلقه ﷺ مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث يرى صواحبها حيث يتقمعن عنه حين يدخل، فيسربهن ﷺ إلى عائشة ليلعبن معها . قال ابن بطال شارحاً هذا الحديث : «وكان النبي ﷺ أحسن الأمة أخلاقاً، وكان ينبسط إلى النساء والصبيان ويمازحهم»[2].

قال الإمام ابن القيم :«كانت سيرته مع أزواجه حسن المعاشرة، وحسن الخلق وكان يسرب إلى عائشة بنات الأنصار يلعبن معها ... وكان من لطفه وحسن خلقه مع أهله أنه يمكّنها من اللعب ... وسابقها في السفر على الأقدام مرتين، وتدافعا في خروجهما من المنزل مرة»[3].

فعلى الدعاة إلى الله والمدعوين كذلك أن يتأسوا بزسول الله في حسن خلقه مع أهله.

ثانياً : اهتمام الإسلام بتربية المرأة على خدمة بيتها .

في حديث الباب ما يدل على اهتمام الإسلام بتربية المرأة على خدمة بيتها

---

(1) سبق تخريجه انظر ص ٥٥٨ .

(2) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٦/٢٢

(3) زاد المعاد لابن القيم ص٥٦ ط دار ابن حزم.

منذ الصغر، فجعل البنات من الخشب تلعب بها البنت تدريب لها على التأهل لخدمة أولادها.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريبهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن»[1]، وقال القرطبي: «وأن ذلك من باب تدريب النساء من صغرهن على النظر لأنفسهن وبيوتهن»[2]، لذا ينبغي الاهتمام بهذا لما له من أثر كبير في تربية المرأة المسلمة منذ صغرها على تدبير شؤون منزلها وهو ما فطرن عليه منذ الصغر.

ثالثاً: الترفيه أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى.

في قول عائشة رضي الله عنها: «وكان لي صواحبُ يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيُسَرِّبهنَ إلي فيلعبن معي».

ما يبين أهمية أسلوب الترفيه للأسرة المسلمة، وأثره في الدعوة إلى الله، فإن هؤلاء الفتيات اللاتي يأتين لعائشة رضي الله عنها ليلعبن معها لا شك أنهن سيتأثرن بأخلاق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبخلق رسول الله ﷺ.

قال العيني رحمه الله: واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور اللعب

---

(1) فتح الباري، ٥٢٧/١٠.

(2) المفهم للقرطبي، ٣٢٣/٦.

من أجل لعب البنات بهن وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور»[1]

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر للمدعوين وأثره في الحياة الأسرية.

رابعاً : أن يكون الداعية قدوة في العشرة الزوجية .

إن الداعية إلى الله هو خير من يقتدى به في المجتمع الدعوي؛ لأنه أول من يأخذ بهدي النبي ﷺ، ويدعو إلى الله على بصيرة، كما بين الله سبحانه ذلك في كتابه الحكيم فقال : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2] وإذا كان الأمر كذلك فإن على الداعية أن يكون قدوةً في حسن المعاملة مع أهله في بيته، ممتثلاً بذلك أمر إمام الدعاة وسيد المرسلين ﷺ القائل : «استوصوا بالنساء خيراً ....»[3] وفي تحلي الداعية بهذا الخلق العظيم في معاملة أهله مقتدياً برسول الكريم ﷺ دعوةٌ بحد ذاته ؛ لأن الناس يقتدون بمن يثقون به من الدعاة إلى الله وطلاب العلم المصلحين.

(١) عمدة القاري، ١٥/٢٦٤.

(٢) يوسف ١٠٨.

(٣) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته ص٦٣٥.
وصحيح مسلم . كتاب الرضاع . باب الوصيه بالنساء، ص٥٨٦.

خامساً : حث المدعوين على حسن العشرة الزوجية .

إن الإسلام يولي ترابط الأسرة المسلمة اهتماماً بالغاً ومن أعظم الوسائل المؤدية إلى ذلك حسن العشرة مع الزوجة كما في حديث الباب حيث تبين لنا هديهﷺ في معاملته مع أهله وحسن عشرته ومن حسن العشرة تحمل بعض ما يصدر من المرأة من تقصير كما هو هديه ﷺ مع أهله : قالت عائشة رضي الله عنها : قال لي رسول الله ﷺ : «إني لا أعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت عليَّ غضبى» قالت : فقلت ومن أين تعرف ذلك؟ قال :«أمَّا إذا كنت عني راضية فإنك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنتِ غضبى ، قلتِ : لا وربّ إبراهيم» قالت : قلت أجل ، والله يارسول الله ما أهجر إلا اسمك»[1] .

قال القرطبي : أجل يعني نعم وتعني بذلك أنها ، وإن أعرضت عن ذكر اسمه في حالة غضبها فقلبها مغمور بمحبته ﷺ لم يتغير منها شيء ، وفي هذا ما يدل على ما كان عليه من صفا المحبة وحسن العشرة»[2].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله حث المدعوين على حسن العشرة مع أزواجهم لما في ذلك من السعادة ودوام المحبة بين الزوجين.

---

(١) صحيح مسلم كتاب النبوات باب فضائل عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث ٢٣٤٧.

(٢) المفهم للقرطبي ٦/٣٢٣.

باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين[1]

وقال معاوية: لا حكيم إلا ذو تجربة[2].

١٠١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يلدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ واحِدٍ مرَّتَيْنِ»[3].

رقم الحديث: [٦١٣٣].

غريب الحديث:

اللدغ: بالدال المهملة والغين المعجمة ما يكون من ذات السموم، واللذع بالذال المعجمة والعين المهملة ما يكون من النار.[4]

الجُحر: بضم الميم وسكون المهملة كلُّ شيء يحتفره الهوام والسباع لأنفسها.[5]

---

(١) أي هذا باب في ذكر قول النبي ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين» غير أن في الحديث «من جحر واحد». انظر: عمدة القاري ٢٦٧/١٥

(٢) قوله: «لا حكيم» هو عبارة عن التاني في الأمور المقلقة. وقوله «تجربة» معناه أن المرء لا يوصف بالحلم حتى يجرب المرء. وقيل: إن من جرب الأمور وعرف عواقبها آثر الحلم وصبر على قليل الأذى ليدفع به ما هو أكثر منه. انظر صحيح البخاري بشرح الكرماني ٨/٢٢

(٣) مطابقة الحديث للترجمة: الحديث هو عين الترجمة عمدة القاري، ٢٦٧/١٥.
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. رقم الحديث: ٢٩٩٨.

(٤) فتح الباري ٥٢٩/١٠، وانظر: عون الباري ٣٤٦/٥.

(٥) القاموس المحيط لفيروز أبادي ص٣٢٦. مادة [جحر].

الموضوع الدعوي

يهتم الإسلام ببناء شخصية المسلم ليكون المجتمع الدعوي ذا طابع متميز عن غيره من المجتمعات، حيث يربي الإسلام أبناءه على الفطنة والذكاء ؛ لذا قال عليه الصلاة والسلام في حديث الباب : «لا يلدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحرٍ واحِدٍ مَرَّتَيْنِ». ومعناه : لا ينبغي للمؤمن إذا نكب في وجه أن يعود إليه»[1] قال الخطابي : «هذا لفظه خبر ومعناه أمر، أي ليكنِ المؤمنُ حازماً حذِراً لا يؤتى من ناحية الغفلة فينخدع مرة بعد أخرى، وقد يكون ذلك في أمر الدين كما يكون في أمر الدنيا».[2]

والمراد بالمؤمن في هذا الحديث : «الكامل الذي قد وقفته معرفته على غوامض الأمور حتى صار يحذر مما سيقع، وأما المؤمن المغفل فقد يلدغ مراراً، وهذا الكلام مما لم يسبق إليه ﷺ »[3]. وقد بين علماء الحديث أن سبب الحديث «هو أنه ﷺ أسر أبا عزة الشاعر يوم بدر، فسأله المن، وعاهده ألا يحرض عليه ولا يهجوه، فأطلقه فلحق بقومه، ثم رجع إلى التحريض والهجاء، ثم أسر يومَ أحد فسأله المن، فقال ﷺ : «لا يلدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحرٍ واحِد مرتين». فأمر بضرب عنقه»[4].

---

(1) فتح الباري ٥٣٠/١٠.

(2) أعلام الحديث في صحيح البخاري ٢٢٠٢/٣، تحقيق الدكتور محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود. وانظر : عون الباري ٣٤٦/٥

(3) فتح الباري ٥٣٠/١٠، وانظر : عمدة القاري ٢٦٨/١٥ .

(4) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٤٧/٨. وانظر : عون الباري ٣٤٦/٥

الفوائد الدعوية:

أولاً : الفصاحة والبلاغة في البيان أسلوب من أساليب الدعوة .

ثانيا : تربية المدعوين على الفطنة والحذر من الغفلة .

ثالثاً : من صفات الداعية الدهاء والفطنة .

رابعاً : ضرب الأمثلة أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : الفصاحة والبلاغة في البيان أسلوب من أساليب الدعوة .

ذكر السفاقسي وابن التين بأن قوله ﷺ : «لا يلدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ» مثل قديم ، فتمثل به ﷺ ؛ إذ كان كثيرا ما يتمثل بالأمثال القديمة ، وأصل ذلك أن رجلاً أدخل يده في جحر لصيد أو غيره فلذعته حية في يده، فضربته العرب مثلاً فقالوا : لا يدخل الرجل يده في جحر فيلدغ منه ثانية»، فتقصاه في المصابيح بأنه إذا كان المثل العربي على الصورة التي حكاها، فالنبي ﷺ لم يورده كذلك حتى يقال إنه تمثل به . نعم أورده كلاماً بمعناه، وانظر فرق ما بين كلامه ﷺ وبين لفظ المثل المذكور، فطلاوة البلاغة على لفظه ﷺ وحلاوة العبارة فيه بادية يدركها ذو الذوق السليم، عليه أفضل صلاة وأزكى التسليم .[1]

---

(1) عون الباري ٥/٣٤٧

قلت : وما ذكره صاحب المصابيح هو الحق ؛ ذلك أنه ﷺ قد أعطي جوامع الكلم، ولأنه ﷺ أفصح العرب، فلا يتوقع منه إلا أجزل العبارة وأقواها، وأبلغها.[1]

ثانيا : تربية المدعوين على الفطنة والحذر من الغفلة .

في قوله ﷺ : «لا يلدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ» ما يدل على اهتمامه ﷺ بأمته، وتربيته لها على الفطنة والحذر من الغفلة ، وقد أشار علماء الحديث إلى هذا الأمر ، حيث قال ابن بطال : «فيه أدب شريف أدب به النبي ﷺ أمته، ونبههم كيف يحذرون مما يخافون سوء عاقبته»[2] .

إن تربية المدعوين على الفطنة والنجابة أمر مهم جداً في مسيرة الدعوة، وكان عليه الصلاة والسلام يربي أصحابه على ذلك حتى يكونوا على حذر شديد مِنْ مَنْ قد يستغفلهم، من ذلك ما رواه عبدالله بن عمر أن رجلاً ذكر للنبي ﷺ أنه يخدع في البيوع فقال :«إذا بايعت فقل : لا خلابة»[3] . فينبغي على الدعاة تربية المدعوين على الفطنة والذكاء، والحذر من الغفلة التي تضر بالمسلم في جميع أموره، ولعل في ذلك النصح الذي أمر به رسول الله ﷺ للمسلم، حيث قال ﷺ :

---

(1) سبق الإشارة إلى مثل هذه الفائدة، انظر ص ٥٢٩ .

(2) فتح الباري ٥٣٠/١٠ ، وانظر :عون الباري ٣٤٧/٥

(3) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما يكره من الخداع في البيع، ص٣٩٩. وصحيح مسلم بنحوه، كتاب البيوع، باب من يخدع في البيع، ص٦٢١.

«الدين النصيحة» قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

ثالثاً : من صفات الداعية الدهاء والفطنة .

إن من صفات الداعية إلى الله الفطنة والدهاء بحيث لا يخدعه الآخرون، ولا شك أن الفطنة والدهاء في التعامل مع الآخرين تعطي الداعية مكانةً وشخصيةً في المجتمع الدعوي، وتكسبه الهيبة أمام كل من في قلبه مرض على الإسلام والمسلمين؛ ولهذا السبب اتخذ رسول الله ﷺ موقفاً حازماً مع أبي عزة لما ظفر به بأحد، حيث طلب من رسول الله ﷺ العفو مرة ثانية، وقال : من علي، وذكر فقره وعياله . فقال رسول الله ﷺ : «لا تمسح عارضك بمكة، وتقول : سخرت من محمد مرتين» فأمر به فقتل»[2]. وإنما كان ذلك كذلك «لأنه ليس من شيمة المؤمن الحازم الذي يغضب لله أن ينخدع من الغادر المتمرد، فلا يستعمل الحلم في حقه بل ينتقم منه»[3]، كما فعل رسول الله ﷺ مع أبي عزة».

قال الحافظ : «فيه تحذير من التغفيل، وإشارة إلى استعمال الفطنة»[4].

---

(1) سبق تخريجه ص ١٠٦ .

(2) عمدة القاري ٢٦٨/١٥

(3) فتح الباري ٥٣١/١٠

(4) المرجع السابق ٥٣٠/١٠.

والفطنة من الصفات التي عرف بها السلف الصالح، فكانوا يقدرون كل من اتصف بها ويعظمونه، ولعلها هي الصفة التي أهلت أنس بن مالك لخدمة رسول الله ﷺ في الحضر والسفر مدة عشر سنين، وقد أثنى على أنس بذلك أبو طلحة حين رشحه لخدمة رسول الله ﷺ ؛ لما توسم فيه من الفطنة والكياسة، فعن أنس رضي الله عنه قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أنساً غلامٌ كيّسٌ فليخدمك. قال: فخدمته في الحضر والسفر...» الحديث[1]

وفي حديث الباب تنبيه الغافل من غفلته وتأديب للعاقل الذي قد يتساهل في بعض الأمور فيقع في الخطأ مرة أخرى قال القاضي عياض في حديث الباب «فيه تنبيه عظيم للغافل وتأديب للعاقل، وأن المراد إذا جرب الأذى من موضع أوجة ما تنبه حتى لا يعود إليه ثانية منه»[2].

فما أجمل أن يكون الداعية كيسًا فطنًا في طريق دعوته إلى الله تعالى وفق هدي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب من استعان عبداً أو صبياً، ص١٣١٧.
وصحيح مسلم بلفظه، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، ص٩٤٥.

(2) اكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٤٧/٨.

باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال [1]

١٠٢-١٠٣ عن بُشَير بن يَسار[2] مولى الأنصار، عن رافع بن خديج وسهل بن أبي خثمة أنهما حدثاه أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود أتيا خيبر فتفرقا في النخل، فقتل عبد الله بن سهل، فجاء عبد الرحمن بن سهل وحويصة ومحيصة ابنا مسعود إلى النبي ﷺ، فتكلموا في أمر صاحبهم، فبدأ عبد الرحمن وكان أصغر القوم، فقال النبي ﷺ: «كَبِّرْ الْكُبْرَ». ــ قال يحي: ليلي الكلام الأكبر. ــ فتكلموا في أمر صاحبهم، فقال النبي ﷺ: «أتستحقون قتيلكم ــ أو قال: صاحبكم ــ بأيمان خمسين منكم ؟» قالوا: يا رسول الله أمر لم نره ! قال: «فتبرئكم يهودُ في أيمانِ خمسين منهم». قالوا: يا رسول الله قوم كفار ! فوداهم رسول الله من قبله.

رقم الحديث: [٦١٤٢-٦١٤٣].

---

(١) أي هذا باب في بيان إكرام الكبير. انظر: عمدة القاري ٢٧٥/١٥.

(٢) بشير بن يسار: هو بشير بن يسار مولى بني حارثه وكان شيخاً كبيراً فقيها، أدرك عامة أصحاب رسول الله ﷺ وقد روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري وكان قليل الحديث. الطبقات الكبرى للهاشمي ٣٢٢/٥.

قال سهل: ما أدركت ناقةً من تلك الإبل، فدخلت مربداً لهم فركضتني برجلها.[1]

غريب الحديث:

فواداهم: أي أعطى لهم الدية[2].

مِرْبَداً: بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة، أي الموضع الذي يجتمع فيه الإبل[3].

فركضتني: الركض: تحريك الرجل، والركضة: الدفعة، والحركة.[4]

---

(1) مطابقته للترجمة: في قوله: «كبر الكُبر» وفي قوله: «ليلي الكلام الأكبر».
أخرج البخاري هذا الحديث أيضاً في صحيحه، كتاب الصلح، باب الصلح مع المشركين برقم (٢٧٠٢)، وبرقم (٣١٧٣) كتاب الجزية والموادعة، باب الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال، وبرقم (٦٨٩٨) كتاب الديات، باب القسامة، وبرقم (٧١٩٢) كتاب الأحكام.
باب كتاب الحاكم إلى عماله والقاضي إلى أمنائه. والحديث أخرجه الإمام مسلم مطولاً في كتاب القسامه والمحاربين، باب القسامه، رقم الحديث ١٦٦٩.

(2) عمدة القاري ٢٧٧/١٥

(3) انظر: إرشاد الساري ١٥٢/١٣

(4) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص٥٧٨ مادة [ركض]

الموضوع الدعوي

لقد اهتم الإسلام بالمجتمع الدعوي تربية وتوجيهاً، حرصاً منه أن يكون آية في حسن التعامل بين أفراده، بحيث يكون ذلك التعامل، وفق ما أمر به الله ورسوله ﷺ، فيحترم الصغير الكبير، ولا يبخس الكبيرُ الصغير ما يستحقه من التوقير والرحمة، وفي حديث الباب يبين لنا رسول الله ﷺ أدباً من آداب الإسلام، وهو إكرام الكبير، وتقديمه على غيره في الحديث، وهذا خلق عظيم حثَّ رسول الله ﷺ أمتَه عليه. روى الحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا فليس منا».[1]

وإذا كان الأكبر هو الأنسب والأفضل في البدء بالكلام ؛ فليس هذا على العموم «لأنه إنما يبدأ الأكبر به فيما إذا استوى فيه علم الصغير والكبير، وإذا علم الصغير ما يجهل الكبير فالصغير يقدم حينئذٍ ولا يكون هذا سوء أدب ولا نقص في حق الكبير»[2]، ويؤيد ذلك ما قاله عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ولا تحت ورقها» فوقع في نفسي أنها النخلة، فكرهت أن أتكلم وثَمَّ أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما قال النبي ﷺ: «هي النخلة» فلما خرجت مع أبي قلت: يا أبتاه، وقع في نفسي أنها النخلة. قال: ما منعك أن تقولها ؟، لو كنت قلتها كان أحب إليَّ من كذا وكذا. قال:

---

(1) سبق تخريجه ص ٦٩٠.

(2) عمدة القاري ١٥/٢٧٥.

ما منعني إلا أنني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت»[1].

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: «وكأنه أشار بإيراده في هذا الباب إلى أن تقديم الكبير حيث يقع التساوي، أما لو كان عند الصغير ما ليس عند الكبير فلا يمنع من الكلام بحضرة الكبير ؛ لأن عمر تأسف حيث لم يتكلم ولده مع أنه اعتذر له بكونه بحضوره وحضور أبي بكر، ومع ذلك تأسف على كونه لم يتكلم».[2]

وبهذا يتبين لنا هدى الاسلام في أدب الحديث بين المسلمين.

الفوائد الدعوية:

أولاً: أخذ الحيطة والحذر في مكان العدو.

ثانياً: اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بحفظ الحديث.

ثالثاً: اهتمام ولي الأمر بمصالح الرعية وجمع كلمتهم.

رابعاً: إثبات القسامة.

خامساً: على الداعية أن يكون قدوة في حديثه مع الآخرين.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال، ص١١٨٥. وصحيح مسلم بنحوه، كتاب صفة القيامة، باب مثل المؤمن مثل النخلة، ص١١٣٠.

(2) فتح الباري ٥٣٦/١٠.

الفوائد الدعوية:

أولاً: أخذ الحيطة والحذر في مكان العدو.

إن المسلم مطالب بأخذ الحيطة والحذر في الأماكن التي قد يتعرض فيها للخطر، خاصة في أماكن أعدائه وأعداء الإسلام، إذ الأصل فيهم الشر، ولأنهم يترصدون للمسلم و يتهيون الفرصة لإيقاع الأذى به، لذا عليه أن يكون حذِراً محتاطاً عندما يكون في مكانهم. وفي حديث الباب نجد أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود أتيا خيبر – وهي منطقة اليهود في المدينة – فتفرقا في النخل، فقُتل عبدُ الله بنُ سهل، ولم يعرف القاتل، وانتهى الأمر بعد أن أعطاهم النبي ﷺ عدَّةَ خيارات إلى أن وداهم رسولُ الله ﷺ من قبله كما في حديث الباب. وهو الأمر الذي يدل على أن على المسلم أن يتوخى الحذر عندما يكون في منطقة العدو، فإن أعداء الله لا يزالون يتحينون فرصة لقتله أو النيل منه بأي طريقة. وقد أمر الله عباده بذلك فقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ... ﴾[1]

وقد كان عليه الصلاة والسلام ينبه أصحابه على هذا الأمر، ويحذرهم من الغفلة.

ثانياً: اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بحفظ الحديث.

اهتم الصحابة رضوان الله عليهم بسنة رسول الله ﷺ حفظاً وتبليغاً إلى

---

(١) الأنفال. ٦٠.

غيرهم، ممتثلين بذلك أمر رسول الله ﷺ القائل: «نضر اللهُ امرءا سَمعَ منا حديثاً فحفظَهُ حَتىٰ بَلغَهُ، فَرُبَّ مبلغٍ أحفظَ له من سامع»[1]. لذا نجد أن الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - يذكرون في سياق حديثهم عن رسول الله ﷺ القرائن التي تبين حرصهم واهتمامهم بحفظ حديث رسول الله ﷺ كما في حديث الباب، حيث ورد في آخره قول سهل: «ما أدركت ناقةً من تلك الإبل، فدخلت مربداً لهم فركضتني برجلها».

وجاء في صحيح الإمام مسلم: «... فبعث إليهم رسول الله ﷺ مائة ناقة حتى أدخلت عليهم الدار، فقال سهل: فلقد ركضتني منه ناقة حمراء»[2].

لذا ينبغي على الدعاة وطلبة العلم الاهتمام بحفظ سنة سيد المرسلين كما اهتم السلف الصالح حتىٰ وصلت إلينا نقية من النقص أو التحريف.

ثالثاً: اهتمام ولي الأمر بمصالح الرعية وجمع كلمتهم.

إن من مهام ولي الأمر في بلد الإسلام جمع المسلمين على الكلمة الواحدة، وتوحيد صفوفهم، وإصلاح ذات البين، ونبذ كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الفرقة، وقد بين عليه الصلاة والسلام عظم المسؤولية الملقاة على كاهل الراعي فقال ﷺ: «كُلكُم راعٍ

---

(1) سبق تخريجه ص ٢٢٠.

(2) صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين، باب القسامة ص ٦٩٠.

وكُلكُم مسؤولٌ عَن رعيتهِ، الإمامُ راعٍ ومسؤولٌ عن رعيتهِ...» الحديث [1] وفي حديث الباب نجد أن رسول الله ﷺ أولى القضية التي رفعت إليه العناية المستحقة، إذ هو نبي الأمة وراعيها الأول، فقد وقف مع القضية حتى حسمها حسماً نهائيا، وحتى رضي أولياء القتيل، حيث قال لهم ﷺ: «أتستحقون قتيلكم ـ أو قال: صا حبكم ـ بأيمان خمسين منكم؟» قالوا: يا رسول الله أمر لم نرَه! قال: «فتبرئكم يهود في أيمان خمسين منهم». قالوا: يا رسول الله قوم كفار! فوداهم رسول الله من قبله»...الحديث.

قال العيني: «ولما لم يرضوا بأيمانهم من جهة أنهم كفار لا يبالون بذلك عقله من عنده لأنه عاقلة المسلمين، وإنما عقله قطعاً للنزاع، وجبراً لخاطرهم، وإلا فاستحقاقهم لم يثبت». [2]

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا لولاة الأمور عظم المسؤولية التي خولهم الله وحملهم إياها، وأن يوضحوا لهم منهج الرسول ﷺ في التعامل مع رعيته، وكيفية قضائه بينهم، ومدى اهتمامه ﷺ بمصالح المسلمين، وحرصه ﷺ الشديد على جمع كلمتهم، وأن يحثوا ولاة الأمر ـ متى وجدوا فرصة ـ على الاقتداء برسول الأمة ﷺ، وعلى أداء المهام التي حملهم الله إياها على أكمل وجه، ووفق منهج النبي المصطفى ﷺ.

---

(1) سبق تخريجه ص ١٧٥.

(2) عمدة القاري ٢٧٧/١٥، وانظر: صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٧/٢٢. وصحيح مسلم بشرح النووي ٢١١/١١.

رابعاً: إثبات القسامة.

في قوله ﷺ: «فتبرئكم يهودُ بأيمان خمسين» فقالوا: يارسول الله قوم كفار! فوداهم رسول الله ﷺ من قبله»، ما يدل على إثبات القسامة في الإسلام. قال الإمام ابن القيم رحمه الله في حديث الباب «الحكم بالقسامة، وأنها من دين الله وشرعه»[1].

قال القاضي: «حديث القسامه أصل من أصول الشرع، وقاعدة من قواعد الأحكام، وركن من أركان مصالح العباد، وبه أخذ العلماء كافة من الصحابة والتابعين وإن اختلفوا في كيفية الأخذ به»[2]

خامساً: على الداعية أن يكون قدوة في حديثه مع الآخرين.

إن الداعية إلى الله هو القدوة بين المدعوين، فلا بد له أن يتحلى بأدب الحديث في مواطن كثيرة، منها:

١- أدبه مع شيخه كما تأدب الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - مع رسول الله ﷺ، فلا يتحدث بحضرته بدون إذنه.

٢- أدبه مع زملائه، فلا يترفع عليهم، ولا يكثر الحديث بحضرتهم.

٣- أن يكون قدوة أمام المدعوين في حسن السمت والأدب، إذ في ذلك دعوة لهم إلى الخير وحسن الأدب.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ص٨٢٦، ط دار ابن حزم.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١١/٢٠٧.

قال الحسين بن إسماعيل: «سمعت أبي يقول: كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقي يتعلمون منه حسن الأدب وحسن السمت».[1]

---

(1) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/١٤.

باب [1] ما يجوز من الشعر [2] والرّجز [3] والحداء [4] وما يكره منه.

وقوله تعالى: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [5].

قال ابن عباس: في كل لغو يخوضون» [6].

١٠٣- عن أبي بن كعب [7] أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً» [8].

---

(١) أي هذا باب في بيان ما يجوز أن ينشد من الشعر.

(٢) الشعر: هو كلام موزون مقفى بالقصد. عمدة القاري، ٢٧٨/١٥.

(٣) الرجز بفتح الراء والجيم والزاي: هو نوع من الشعر عند الأكثرين. وقيل: ليس بشعر لأنه يقال: راجز، ولا يقال: شاعر؛ وسمي به لتقارب أجزائه وقلة حروفه. انظر: المرجع السابق.

(٤) الحُداء بضم الحاء وتخفيف الدال المهملتين، يمد ويقصر، وهو سوق الإبل بضرب مخصوص من الغناء والحداء في الغالب إنما يكون بالرجز، وقد يكون بغيره من الشعر»، ولذلك عطفه على الشعر والرجز، وقد حدت عادت الإبل أنها تُسرع السير إذا حُدي بها. الفتح، ٥٣٨/١٠.

(٥) الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧

(٦) يعني قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: {فِي كُلِّ وَادٍ يهيمون} في كل لغو يخوضون، ووصل هذا التعليق ابن أبي حاتم والطبراني من طريق معاوية بن صالح عن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله {فِي كُلِّ وَادٍ يهيمون} قال: في كل لغو. وفي قوله {يهيمون} قال: يخوضون. انظر عمدة القاري للعيني، ٢٧٩/١٥.

(٧) أبي بن كعب الأنصاري بن قيس بن عبيد، سيد القراء، شهد العقبة وبدراً وغيرها من المشاهد، وجمع القرآن في حياة الرسول ﷺ، روى عن رسول الله ﷺ ١٦٤ حديثاً، وتوفي بالمدينة سنة ثلاثين من الهجرة.
سير اعلام النبلاء، ٣٨٩/١، وانظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١٠٨/١، أسد الغابة ٦١/١.

(٨) مطابقة الحديث للترجمة من حيث إن الشعر فيه حكمة، فالحكمة إذا كانت في شعر من الأشعار يجوز إنشاده. انظر المرجع السابق.

رقم الحديث: [٦١٤٥].

١٠٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ على بعض نسائه ومعهن أم سليم فقال: «ويحك يا أنجشة رويدك سوقاً بالقوارير».

رقم الحديث: [٦١٤٩].

قال أبو قلابة: فتكلم النبي ﷺ بكلمة لو تكلم بعضكم لعبتموه عليه. قوله: «سوقك بالقوارير».[1]

وفي رواية «فقال له النبي ﷺ: رويدك يا أنجشة لا تكسر القوارير».

طرف رقم: [٦٢١١].

غريب الحديث:

رويدك: وقال السهيلي: رويداً أي ارفقْ، جاء بلفظ التصغير لأن المراد التقليل أي ارفقْ قليلاً[2].

القوارير: جمع قارورة وهي الزجاجة، سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها.

---

[1] مطابقته للترجمة من حيث إن فيه حدو أنجشة بالنساء. وأطراف الحديث في باب ما جاء في قول الرجل: ويلك برقم (٦١٦١)، وكذا في باب من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفاً برقم (٦٢٠٢)، وفي باب المعاريض مندوحة عن الكذب برقم (٦٢٠٩).
وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالنساء وأمره بالرفق بهن، برقم (٢٣٢٣).

[2] فتح الباري ٥٤٤/١٠.

وقال الرامهرمزي: كنى عن النساء بالقوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة، والنساء يشبهن القوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية [1].

الموضوع الدعوي

لقد كان للشعر دور عظيم في نصرة دين الإسلام، سواء في بيان محاسنه، وذكر آدابه وعقائده وأحكامه، أو في الذب عنه وعن علماء الإسلام، وضرب بعض أصحاب رسول الله ﷺ أروع المثل في ذلك، وفي الذود عن النبي ﷺ وعن رسالة الإسلام، وعلى رأسهم شاعر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت رضي الله عنه. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «كان من شعرائه الذين يذبون عن الإسلام: كعبُ بن مالك، وعبدالله بنُ رواحة، وحسان بن ثابت، وكان أشدهم على الكفار حسان بن ثابت وكعب بن مالك يُعيّرهم بالكفر والشرك... ومن حداته الذين كانوا يحدون بين يديه ﷺ في السفر عبدالله بن رواحة، وأنجشه وعامر بن الأكوع وعمه سلمة بن الأكوع» [2]

وفي حديث الباب يبين رسول الله ﷺ أن من الشعر حكمةً، «أي قولا صادقا مطابقاً للحق» [3]، كما أقر ﷺ أصحابَه على الشعر والحداء به، وكان عليه الصلاة والسلام يستنشد أصحابه في بعض الأحيان ترويحا للنفس، ودلالة على أن الإسلام لا يحرم الشعر بجملته، وإبرازاً لما في بعض الأشعار من الحكمة. وعن جابر بن سمرة

---

(1) المرجع السابق ١٠/٥٤٥. وانظر: ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ١٣/١٦٠.

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد، ص٤٨، ط ابن حزم، بيروت.

(3) فتح الباري ١٠/٥٤٠.

قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يتذاكرون الشعر وحديث الجاهلية عند رسول الله ﷺ فلا ينهاهم، وربما يتبسم» .[1] و لما نزلت ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ جاء عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وهم يبكون فقالوا: يا رسول الله أنزل الله هذه الاية وهو يعلم أنا شعراء!، فقال: «اقرءوا ما بعدها ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أنتم ﴿وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ أنتم.ونقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء[2]، وقال أبو موسى الهاشمي:«ولا بأس بإنشاد الشعر مما فيه مديح النبي ﷺ والمسلمين والهجاء للكفار والرد عليهم»[3].

ومع أن الأصل في الشعر الإباحة إلا أن الإسلام حرمه في حالة خروجه عن الهدف المنشود منه. قال ابن بطال: «ما كان في الشعر والرجز ذكر الله تعالى وتعظيمه له ووحدانيته وإيثار طاعته والاستسلام له فهو حسن مرغب فيه، وهو المراد في الحديث بأنه حكمة، وما كان كذباً وفحشاً فهو مذموم» [4].

الفوائد الدعوية:

أولاً: اهتمام الإسلام بالشعر.

---

(1) مسند الإمام أحمد ٩١/٥، وسنن الترمذي، كتاب الآداب باب ما جاء في إنشاد الشعر ٦٥/٨-٦٦ وقال حديث حسن صحيح.

(2) فتح الباري ٥٤٠/١٠.

(3) الإرشاد إلى سبيل الرشاد للشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن موسى الهاشمي، المتوفي سنة ٤٢٨هـ تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة.

(4) فتح الباري ٥٣٩/١٠.

ثانياً : رحمته ﷺ بالنساء وأمره بالرفق بهن.

ثالثاً : الشعر وسيلة من وسائل الترفيه والحماس.

رابعاً : الفصاحة والبلاغة أسلوب من أساليب الدعوة.

خامساً : من صفات الداعية الرفق بالمدعوين.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : اهتمام الإسلام بالشعر.

في قوله ﷺ :«إن من الشعر لحكمة»، مابين اهتمام الإسلام بالشعر ؛ لأنه يخدم الدعوة إلى الله، سواء في بيان أهدافها وذكر محاسنها أو الدفاع عن أهلها أمام طعن الطاعنين. وقد سئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أكان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : «كان يتمثل من شعر ابن رواحه : ويأتيك بالأخبار من لم تزود»[1].

وقال الحافظ ابن حجر :«وقد اختلف في جواز تمثل النبي ﷺ بشيء من الشعر وإنشاده حاكياً عن غيره فالصحيح جوازه»[2]

(1) فتح الباري ٥٤١/١.

(2) المصدر السابق، ص٥٤١. وانظر : ارشاد الساري ١٦١/١٣.

ثانياً: رحمته ﷺ بالنساء وأمره بالرفق بهن.

في قوله ﷺ: «ويحك يا أنجشة! رويدك سوقاً بالقوارير» ما يدل على رحمته وعطفه على نساء المؤمنين، ومراعاته لطبيعتهن، وما جبلهن الله تعالى عليه من الرقة، وأمره ﷺ بالرفق بهن. وهذا دليل على مراعاته ﷺ لطبيعة الناس، ورعايته الكريمة لأمته، ورحمته ورأفته بهم، وقد وصفه ربه بذلك فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله الأخذ بهدي النبي ﷺ والرفق بنساء المؤمنين وحث المدعوين على ذلك اقتداءً بهدي سنة سيد المرسلين.

ثالثاً: الشعر وسيلة من وسائل الترفيه والحماس.

إن النفس البشرية بحاجة ماسة إلى الترفيه في بعض الأحيان، وخصوصاً في السفر، وذلك للتخفيف من حد السآمة الذي ينتاب الإنسان غالباً في السفر، وفي حديث الباب نجد أنجشة يحدو بالشعر للأنس به، ولترويح من معه من جماعة المؤمنين في السفر، وفي مقدمتهم الرسول ﷺ، ولم ينكر عليه ﷺ وإنما قال له: «ويحك يا أنجشة رويدك سوقاً بالقوارير». وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يطلبون من شعراء الصحابة إسماعهم الشعر للأنس به في السفر، من ذلك ما رواه سلمة بن الأكوع قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتك؟. قال: وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو بالقوم

---

(١) التوبة: ١٢٨.

يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ** ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداءٌ لك ما اقتفينا ** وثبت الأقدام إن لاقينا

وألقين سكينة علينا

إنا إذا صيح بنا أتينا ** وبالصياح عولوا علينا

فقال رسولُ الله ﷺ: «من هذا السائقُ؟» قالوا: عامر بن الأكوع. فقال: «يرحمهُ اللهُ». فقال رجلٌ من القومِ: وجبت يا نبيَّ الله، لولا أمتعتنا به....»[1].

إذا كان الأمر كذلك فإن على الدعاة إلى الله أن يقتفوا أثر أسلافهم، وأن يولوا هذا الجانب قدراً من الاهتمام في مسيرة دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى، مع الحذر أن يدخل في الأشعار ما يخل بها من كلمات مخالفة، أو يستعمل معها الآلات المنهي عنها.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحُدَاء وما يكره منه، ص١١٨٦.

وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، ص.٧٥.

وقول الرجل: «وجبت» أي وجبت له الشهادة. وفي آخر الحديث «... فلما تصاف القوم كان سيف عامر فيه قصَرٌ فتناول به يهودياً ليضربه، ويرجع ذباب سيفه فأصاب ركبة عامر فمات منه، فلما قفلوا قال سلمة: رآني رسول الله ﷺ شاحبا فقال لي: «ما لك» فقلت: فدى لك أبي وأمي، زعموا أن عامراً حبط عمله، قال: «من قاله»؟ قلت: فلان وفلان وأُسيد بن الحُضير الأنصاري. فقال رسول الله ﷺ: «كذب من قاله، إن له لأجرين - وجمع بين أصبعيه - إنه لجاهد مجاهد قل عربي نشأ بها مثله».

رابعاً: الفصـــاحة والبلاغة أسلوب من أساليب الدعوة.

في قوله ﷺ لأنجشة رضي الله عنه: «ويحك يا أنجشة رويدك سوقاً بالقوارير» ما يبيّن عن فصاحته ﷺ وبلاغته، فقد شبه ﷺ في هذه العبارة القصيرة المقتصبة النساءَ بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية، قال ابن بطال: القوارير كناية عن النساء اللاتي كنّ على الإبل تساق حينئذ، فأمر بالرفق في الحداء لأنه يحث الإبل حتى تسرع، فإذا أسرعت لم يؤمن على النساء السقوط. قال: وهذا من الاستعارة البديعية؛ لأن القوارير أسرع شيء تكسيراً، فأفادت الكناية من الحضّ على الرفق بالنساء في السير ما لم تفده الحقيقة لو قال: ارفق بالنساء» .[1]

خامساً: من صفات الداعية الرفق بالمدعوين.

إن الداعية إلى الله أن يكون جادا حازما في عمله الدعوي، حيث قد يؤدي به عدم الجد إلى أن يتهاون الناس به، ولا يعيرون كلامه العناية المستحقة، وهذا بلا شك يؤثر سلبا على مسيرة دعوته، ومن هنا كان لا بد لنجاح عمله الدعوي أن يكون جادا حازما في تعامله مع المدعوين.

لكن مع كون الحزم والجد أمرا مطلوبا منه فإنه لا بد أن يرفق بالمدعوين، فهذا رسول الله عليه الصلاة والسلام ويقول لأنجشة: «ويحك يا أنجشة رويدك سوقاً بالقوارير». ويقول أبو قلابة تعليقاً على هذا الحديث: فتكلم النبي ﷺ بكلمة لو تكلم

---

[1] فتح الباري ١٠/٥٤٥ . وقد سبق الإشارة إلى مثل هذه الفائدة انظر ص ٥٢٩ .

بعضكم لعيبتموه عليه. قوله: «سوقك بالقوارير» .رفقاً منه ﷺ بالنساء وخصوصاً الضعيفة منهن، وهكذا الداعية ينبغي أن يكون كذلك مع المدعوين.

باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصدّه عن ذكر الله والعلم والقرآن (1)

١٠٦- عن ابن عمر رضي اللع عنهما عن النبي ﷺ قال: «لأَنْ يَمْتَلِيءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحاً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْراً» (2).

رقم الحديث: [٦١٥٤].

١٠٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَمْتَلِيءَ جَوْفُ الرَّجُلِ قَيْحاً حَتَّى يُرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْراً».

رقم الحديث: [٦١٥٥].

غريب الحديث:

جوف أحدكم: قال ابن أبي جمرة: ظاهره الجوف مطلقاً بما فيه القلب وغيره، ويحتمل أن يراد به القلب خاصة، وهذا هو الأظهر ؛ لأن القلب إذا وصل إليه شيء منه وإن كان يسيراً فإنه يموت لا محالة بخلاف غير القلب مما في الجوف من الكبد والرئة(3).

---

(1) أي هذا باب في بيان كراهة كون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصدّه أي يمنعه عن ذكر الله ومذاكرة العلم وقراءة القرآن. عمدة القاري، ١٥/٢٨٨.

(2) مطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من معناه ؛ لأن امتلاء الجوف بالشعر كناية عن كثرة الاشتغال به حتى يكون رقية مستغرق بها، فلا يتفرغ لذكر الله عزّ وجلّ، ولا لقراءة القرآن وتحصل العلم، وهذا هو المذموم. المصدر السابق. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر رقم ٢٢٥٧.

(3) فتح الباري، ١٠/٥٤٨.

قيحاً: القيحُ: المِدَّةُ لا يخالطها الدم.[1]

يَرِيَهُ: من الورى وهو الداء يقال: ورى يري فهو موري إذا أصاب جوفه الداء.[2]

الموضوع الدعوي

ذكرنا في الباب السابق اهتمام الإسلام بالشعر، وعن دوره في نشر الدعوة إلى الله، والذب عن الدين الإسلامي والذود عن حياضه، وتكلمنا كيف استخدمه صحابة رسول الله في هذا الشأن خير استخدام، ويشير حديثنا هذا الباب إلى أنه مع هذا الاهتمام المذكور فإن رسول الله ﷺ نهى عن المبالغة في الإقبال عليه، وشدة الاغراق فيه، مما قد يكون سبباً في الغفلة عن ذكر الله وقراءة القرآن وطلب العلم؛ ولذا قال ﷺ منفراً عن الإقبال الشديد عليه: «لأَنْ يَمْتَلِيءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحاً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْراً».

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: «مناسبة هذه المبالغة في ذم الشعر أن الذين خوطبوا بذلك كانوا في غاية الإقبال عليه والاشتغال به، فزجرهم عنه ليقبلوا على القرآن وعلى ذكر الله تعالى وعبادته، فمن أخذ من ذلك ما أمر به لم يضره ما بقي عنده مما سوى ذلك».[3]

---

(1) القاموس المحيط ٢١٦ مادة [ق ي ح]

(2) عمدة القاري ١٥/٢٩٠.

(3) فتح الباري ١٠/٥٥٠.

وقال العيني: ظاهره العموم، لكنه مخصوص مما لم يكن مدحا لرسول اللهﷺ، وما يشتمل على الذكر والزهد وسائر المواعظ مما لا إفراط فيه» .[1]

وبهذا يتبين لنا هدي الإسلام في استخدام الشعر لخدمة الدعوة إلى الله فلا إفراط ولا تفريط.

الفوائد الدعوية:

أولاً: اهتمام الإسلام بقدرات المسلم.

ثانياً: التنفير من المستكره شرعاً بذكر المستكره طبعاً.

ثالثًا: تحذير المدعوين من أسباب الصد عن ذكر الله.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: اهتمام الإسلام بقدرات المسلم:

لقد اهتم الإسلام بقدرات المسلم، وبين أنه مسؤول عنها يوم القيامة، وعن الوسائل التي تنمي قدراته كما في حديث رسول الله ﷺ: «لن تزل قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من

(1) عمدة القاري ١٥/ ٢٩٠.

أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه» [1].

فإذا رزق المسلم حفظاً وملكةً شعرية فإنه ينبغي له أن يستعمله فيما يعينه على طاعة الله ورسوله، من حفظٍ للقرآن، وطلبٍ للعلم، وألا يجعل هذه الملكة والحفظ التي حباه الله إياها سبباً لتضييع ما هو أهم، ومن هنا نجد أن رسول الله ﷺ يحذر من ذلك في حديث الباب فيقول: «لأَنْ يَمْتَلِيءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحاً خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شِعْراً». ذلك أن الشعر حفظاً وإنشاداً وقرضاً موهبةٌ من الله تعالى، لكن مع ذلك يجب على الإنسان المسلم أن لا ينشغل به انشغالاً يصرفه مما هو أهم منه في أمور دينه.

فما أعظم أن يهتم المسلم بما وهبه الله من قدرات فيستثمرها بما يعود عليه وعلى الإسلام والمسلمين بالنفع العظيم، ومن يطلع على سير علماء الإسلام يجد أنهم يقرضون الشعر وينشرونه، لكن ذلك لم يمنعهم من الاهتمام بما هو أهم منه من التفقه في الدين والدعوة إلى الله، ومن هؤلاء الإمام الشافعي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم الذين ضربوا أروع المثل في تسخير الشعر لخدمة الدين ونصرة الإسلام، وبلغ علمهم في العقيدة والفقه والحديث مبلغاً لم يصل إلى مصافهم إلا من وفقه الله إلى ذلك.

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين مدى اهتمام الإسلام بقدرات المسلم، وأنه دين وسط لا إفراط فيه ولا تفريط، ولذلك فإنه ينبغي عليهم التوسط في كل أمورهم، وفي استخدام مواهبهم؛ ليحصل لهم الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

---

(1) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة ٧/١٣٦، حديث رقم (٢٤١٩) وقال حديث حسن صحيح.

ثانياً: التنفير من المستكره شرعاً بذكر المستكره طبعاً.

إن التنفير من المنهيات شرعاً، وتحذير الناس من الوقوع فيها له أساليب مختلفة وضعها الإسلام، وفي حديثي الباب يشبه عليه الصلاة والسلام المبالغ في الاهتمام بالشعر حتى يصده عن ذكر الله وطلب العلم بمن امتلأ جوفه قيحا وهو الصديد، ومن المعلوم أن الصديد مما يستقززه الناس، ويستكرهون ذكره بألسنتهم لبشاعته وقذارته، لكنه عليه الصلاة والسلام ذكره في حديثي الباب تنفيراً للمسلمين من الوقوع في المحذور. وقد ورد في السنة النبوية ما يشبه هذا، منه قوله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب» رواه الترمذي[1].

وعن عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة»[2]. بل إن بعض الآيات القرآنية أتت بأسلوب التنفير من بعض المحرمات بذكر ما تكرهه النفوس غاية الكراهة، من ذلك قوله تعالى: ﴿...أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، فشبه أكل لحمه ميتاً المكروه للنفوس غاية الكراهة باغتيابه»[4].

---

(1) سنن الترمذي، كتاب ثواب القرآن، باب الذي ليس في جوفه قرآن كالبيت الخرب ١١٧/٨.
وقال حديث حسن صحيح

(2) سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في الفصاحة والبيان ٦٧/٨.
وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه.
وسنن أبي داود بنحوه، كتاب الأدب، باب ماجاء في المتشدق في الكلام وأخرجه الإمام أحمد بالمسند ١٦٥/٢.

(3) الحجرات: ١٢

(4) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٧٤٠.

لذا فإن على الداعية أن يستعمل هذا الأسلوب عند الحاجة للتنفير من الوقوع في المحذور.

ثالثًا: تحذير المدعوين من أسباب الصد عن ذكر الله.

في قوله ﷺ: «لأن يمتلئ جوفُ أحدِكُم قيحاً، خيرٌ من أن يمتليء شعْرا»، ما يبين أن الشعر إذا لم يُستعمل وفق الضوابط الشرعية فإنه يكون سبباً للصد عن ذكر الله وتلاوة القرآن وطلب لعلم الذي تحيا به قلوب العباد. قال القسطلاني: «وهذا الزجر إنما هو لمن أقبل على الشعر وتشاغل له عن تلاوة القرآن والذكر والعبادة»[1]

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله تحذير المدعوين من أن يكون الشعر سبباً للصد عن ذكر الله وتلاوة القرآن أناء الليل وأناء النهار.

(1) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٣/١٦٦.

باب علامة الحب في الله[1] لقوله تعالى:

لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ... ﴾ آل عمران: ٣١

١٠٨- عن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[2].

رقم الحديث: [٦١٦٨].

---

(١) أي هذا باب في بيان علامة حب الله عزّ وجلّ، وفي بعض النسخ: هذا باب علامة الحب في الله. قال الكرماني: هذا اللفظ يحتمل أن يراد به محبة الله تعالى للعبد، فهو المحبُّ، وأن يراد به محبة العبد لله تعالى، فهو المحبوب. قلت: ـ والكلام للعيني ـ هذا الترديد ينشأ من إضافة حب الله، فإن كانت الإضافة للفاعل والمفعول مطوي فهو المراد الأول، وإن كانت إلى المفعول، وذكر الفاعل مطوي، فهو المراد الثاني. والمحبة من الله إرادة الثواب، ومن العبد إرادة الطاعة. وهنا وجهٌ آخر على ما ذكره الكرماني، وهو أن يراد المحبة من العباد في ذات الله تعالى وجهته، لا يشوبه الرياء والهوى انظر عمدة القاري ١٥/٣٠٠، فتح الباري ١٠/٥٥٨، إرشاد الساري١٣/١٧٧.

(٢) مطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من معنى الحديث: لأن قوله «مع من أحبَّ» أعمّ أن يحب الله ورسوله، وأن يحبَّ عبداً في ذات الله تعالى بالإخلاص، فكما أن الترجمة تحتمل العموم على ما ذكرنا من الأوجه الثلاثة، فكذلك لفظ الحديث يحتمل تلك الأوجه المذكورة، فتحصل المطابقة بينهما. والدليل على عمومه كلمة (منْ) فإنها تقتضي العموم، وضمير المفعول في (أحبّ) محذوف تقديره: من أحبه، وهو يرجع إلى كلمة (من) فيكتسب العموم منها. انظر: عمدة القاري ١٥/٣٠٠ والحديث طرفه بنفس الباب رقم ٦١٦٩ وأخرجه الإمام مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، رقم ٢٦٤٠.

١٠٧- عن أبي موسى[١] قال: قيل للنبي ﷺ: الرجل يحبُّ القومَ ولَمَّا يلحق بهم ؟ قال: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[٢].

رقم الحديث: [٦١٧٠].

الموضوع الدعوي

إن المحبة في الله بين المسلمين لها مكانتها في الإسلام وقد بيَّن عليه الصلاة والسلام في حديثي الباب فضل المحبة في الله، وأنها من أهم صفات المؤمن كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾[٣]، وقال تعالى مبينا فضله على عباده المؤمنين: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[٤] وقال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ وأثنى سبحانه على المتحابين في الله فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ...﴾[٥]، وبين عليه الصلاة والسلام أن المحبة في الله من الإيمان، وذلك في أحاديث كثيرة، منها ما

---

(١) أبو موسى هو عبد الله بن قيس، أسلم بمكه وهاجر إلى الحبشة، استعمله عمر بن الخطاب على البصرة، مات بالكوفة سنة ٤٢ وقيل ٤٤.
أسد الغابه ٣٠١/٦.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، برقم: ٢٦٤١.

(٣) الحجرات: ١٠.

(٤) آل عمران ١٠٣

(٥) الحشر: ٩

رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[1]. أي «لا يتم إيمانكم ولا يكمل ولا تصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب والألفة»[2].

وبين عليه الصلاة والسلام أن المتحابين في الله لهم الأجر العظيم عند الله، ويغبطهم النبيون والشهداء يوم القيامة، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عزّ وجلّ: «المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء»[3].

فما أحسن هذا الفضل من الله، حيث تكون المحبة في الله سبباً لسعادة المؤمنين في الدنيا والآخرة، فحري بالمؤمنين أن يكونوا متحابين في الله، وأن يحافظوا على ما بينهم من الأخوة والمحبة الصادقة حتى يفوزوا بسعادة الدارين.

الفوائد الدعوية:

أولاً: علوّ الهمة صفة من صفات الدعاة المخلصين.

ثانياً: بيان ثمرة المحبة في الله.

---

(1) سبق تخريجه ص ٥٣٠.

(2) إكمال المعلم ١/٣٠٤ طبعة دار الوفاء.

(3) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله ٧/١١٩. وقال: حديث حسن صحيح.

ثالثاً: أهمية سؤال أهل العلم.

رابعاً: تميز المجتمع المسلم عن غيره.

خامساً: البشارة للمدعوين أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى.

سادساً: تساوي المؤمنين والمؤمنات في الأجر على فعل الخيرات.

سابعاً: حث المدعوين على المحبة في الله فيما بينهم.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: علوّ الهمة صفة من صفات الدعاة المخلصين.

الهمة العالية في طلب الخير صفة حميدة من صفات المؤمنين، فقد يبلغ بها ما لم يعمل له من المنازل، يصدق ذلك قوله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[1]. وقال ﷺ في حق المتخلفين عن غزوة تبوك، من الحريصين على الخروج معه: «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، حبسهم المرض»[2].

وفي حديث الباب يُسألُ رسولُ الله ﷺ عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فيجيب عليه الصلاة والسلام قائلا: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»، قال الكرماني: «في كلمة

---

(1) سبق تخريجه، ص ٦٦٥ .

(2) صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، ص ٧٩٣.

لما» إشعار بأنه يتوقع اللحوق، يعني هو قاصد لذلك، ساغ في تحصيل تلك المرتبة له، ولهذا كان معه ؛ إذ لكل امريء ما نوى» [1].

وهكذا كان علماء الإسلام أصحاب همم عالية في العبادة وفي طلب العلم، قال ابن الجوزي عن نفسه :«لو قلت :إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في طلب العلم» فاستفدت بالنظر فيها. من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم وحفظهم وعباداتهم، وغرائب علومهم ما لايعرفه من لم يطالع.[2]

ثانياً: بيان ثمرة المحبة في الله.

إن ثمرة المحبة في الله عظيمة للمؤمنين، لا يجنيها إلا من أخلص لله سبحانه في محبته لعباده المؤمنين، وقد بين عليه الصلاة والسلام بعضاً منها لأمته، من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.... منهم « رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه» [3]. كما بين عليه الصلاة والسلام أن من ثمرة المحبة في الله أن المسلم يجد حلاوة الإيمان بهذا العمل الجليل، فعن أنس رضي الله عنه قال: ثلاثة من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، أن يحب المرء لا يحبه إلا لله...».[4]

---

(1) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢٥/٢٢، وانظر: عمدة القاري ٣٠٢/١٥

(2) صيد الخاطر لابن الجوزي ص٥٦.

(3) سبق تخريجه، ص ٣٣٠.

(4) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان ص٢٦ ط بيت الأفكار.

ومن ثمار محبة المرء لأخيه محبة الله له إن كان صادقاً في محبته، يؤيد ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أن رجلاً زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد اللهُ تعالى له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد ؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه» [1].كما أن الله يباهي يوم القيامة بالمتحابين في الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون لجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» قال الباجي :«يحتمل أنه يريد والله أعلم، أن الناس يضجون يوم القيامة، وتدنوا الشمس منهم فيشتد عليهم الحر، ولا ظل ذلك اليوم إلا ظله عز وجل، فمن أظله ذلك اليوم فقد رحمه الله وفاز» [2].

وفي حديث الباب بين عليه الصلاة والسلام ثمرةَ المحبة في الله بأن الله تعالى يجمع المحب مع من أحبهم من القوم ويلحقه بهم، جزاء صدقه وإخلاصه في محبته لهم في الله، فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين فضل المحبة في الله، وما فيها من الثمار والخيرات العظيمة لكل من أخلص في محبته لأخيه المسلم.

ثالثاً: أهمية سؤال أهل العلم.

أمر الله عباده المؤمنين بسؤال أهل العلم عما يجهلونه في أمور دينهم فقال

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآدب، باب في فضل الحب في الله، ص١٠٣٦.

(2) المنتقى شرح موطأ مالك ٤٠٨/٩.

تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1] فأمر الله سبحانه «من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم، حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله......»[2].

ونرى في حديث الباب مثالاً لحرص الصحابة على سؤال رسول الله ﷺ عما يشكل عليهم في أمر دينهم ودنياهم، والصحابة هم القدوة الصالحة التي يقتدى بها بعد رسول الله ﷺ، فعلى الدعاة إلى الله حث المدعوين على سؤال أهل العلم عما يشكل عليهم، وعلى التفقه في دينهم.

رابعاً: تميز المجتمع المسلم عن غيره.

إن من أعظم ما يميز أبناء المجتمع المسلم عن غيرهم من أبناء المجتمعات الأخرى هو أن العلاقة الاجتماعية في المجتمع المسلم قائمة على الصدق والإخلاص، وأن المحبة بين أفراده لله وحده، لا لطمع دنيوي تقوم عليه، وتقطع وتزول بانقطاعه أو عدم تحققه، فقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بالتراحم فيما بينهم فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

(1) النحل: ٤٣

(2) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩٤

الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] أي «متحابون، متراحمون، متعاطفون كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق»[2] وبها تميزوا عن غيرهم، وبها عرف المجتمع الإسلامي أنه مجتمع متحاب مترابط، فعلى الدعاة إلى الله إعطاء هذا الأمر ما يستحقه من البسط والتوضيح عند بيانهم لما يتميز به المجتمع الإسلامي، وتحريض المدعوين على المحافظة على هذه الميزة العظيمة التي يغبطهم عليها الصديق، ويحسدهم عليها العدو.

خامساً: البشارة للمدعوين أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى.

إن النفس البشرية مجبولة على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، ومن الإحسان إلى النفوس تقديم البشارات لها، وإشعارها بالخير دائماً، فقد بشر الله عباده المؤمنين في عدة مواضع من كتابه، وحث نبيه ﷺ على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾[3] «فذكر في هذه الجملة المبشرين، وهم المؤمنون، وعند ذكر الإيمان بمفرده تدخل فيه الأعمال الصالحة، فذكر المبشَّر به، وهو الفضل الكبير، أي العظيم الجليل الذي لا يقادر قدرة، من النصر في الدنيا، وهداية القلوب، وغفران الذنوب، وكشف الكروب، وكثرة الأرزاق الدارة، وحصول النعم السارة، والفوز برضا ربهم وثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه، وهذا مما ينشط العاملين أن يذكر

---

(1) الفتح: ٢٩

(2) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٣٩

(3) الأحزاب: ٤٧

لهم من ثواب الله على أعمالهم ما به يستعينون على سلوك الصراط المستقيم» [1].

وكان من هديه ﷺ تبشير أصحابه بما أعد الله لهم من الجزاء والثواب إذا أقدموا على عمل شيء معين مما يحبه الله ورسوله، أو توقفوا عن شيء مما يكرهه الله ورسوله ﷺ، من ذلك قوله ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين فخذيه أضمن له الجنة» [2].

فعلى الدعاة إلى الله استخدام هذا الأسلوب في دعوتهم ؛ لما فيه من شحذ همم المدعوين في المسارعة إلى فعل الخيرات، والمسابقة على ذلك ؛ استجابة لله ولرسوله، وطمعاً فيما عند الله من الأجر العظيم، والفضل الكبير.

سادساً: تساوي المؤمنين والمؤمنات في نيل الأجر على فعل الخيرات.

في قوله ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» عموم يشمل الذكر والأنثى، وقد بين الله ذلك في مواضع كثيرة من كتابه، منها قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ...﴾ [3] «فالجميع سيلقون ثواب أعمالهم كاملاً موفراً، أي: كلكم على حدّ السواء في الثواب والعقاب» [4]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ

---

(1) تيسير الكريم الرحمن ص ٦١٥

(2) سبق تخريجه ص ٥٨٤ .

(3) آل عمران : ١٩٥

(4) تيسير الكريم الرحمن ص ١٢٨

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾[1].

فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر للمدعوين، وأن الله يجازي عباده ذكوراً وإناثاً على أعمالهم على حد سواء.

سابعاً: حث المدعوين على المحبة في الله فيما بينهم.

إن على الدعاة إلى الله الاهتمام بغرس المحبة في الله بين أفراد المجتمع المسلم لأنها هي الأساس في ترابط المجتمع المسلم وحث الإسلامُ عليها قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: «إن الحبَّ في الله والتَّزاور فيه من أفضل الأعمال، وأعظم القُرب إذا تجرد ذلك من أغراض الدنيا وأهواء النفوس»[2]

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله حث المدعوين على التحاب في الله والتَّزاور فيه بنية خالصة لا يشوبها طمع دنيوي لينالوا خيريَ الدنيا والآخرة.

---

(1) الأحزاب: ٣٥

(2) المفهم للقرطبي ٦/٥٤٣.

باب قول الرجل للرجل: اخسأ[1]

١١٠- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ لابنِ صياد: «قد خبأتُ لك خبيئاً، فما هو؟». قال: «الدُّخّ» قال: «اخْسَأْ».[2]

رقم الحديث: [٦١٧٢].

غريب الحديث:

اخسأ: قال ابن بطال. وهي زجر للكلب، وإبعاد له، هذا أصل هذه الكلمة، واستعملتها العرب في كل من قال أو فعل ما لا ينبغي له مما يسخط الله.[3]

الدخ: قيل: هي لغة في الدخان، ويقال بفتح الدال أيضاً. وقيل: أراد أن يقول: الدخان، فزجره النبي ﷺ فلم يستطع تمامه. وقيل: هو نبت موجود بين النخيل. ورجح هذا الخطابي وقال: لا معنى للدخان هنا؛ إذ ليس مما يخبأ إلا أن يريد بخبأت: أضمرت. قال القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ: بل الأصح والأليق بالمعنى أنه هنا الدخان، وأن النبي ﷺ ـ كما روي ـ كان أضمر له ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾[4]، فلم يهتد من الآية إلا لهذين الحرفين من كلمة ناقصة لم يتمها على عادة الكهان من اختطاف أوليائهم من

---

(١) أي: هذا باب في بيان قول الرجل لآخر أخساء. عمدة القاري، ١٥/٣٠٢.

(٢) مطابقته للترجمة في قوله: «قال: إخسأ» المصدر السابق.

(٣) فتح الباري ١٠/٥٦١، وانظر: إرشاد الساري ١٣/ ١٨٠.

(٤) الدخان: ١٠.

الشياطين بعض الكلمة عند استراق السمع، أو من هاجس النفس، وإلقائها إليهم؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «اخسأ فلن تعدو قدرك» أي ابعد كاهنا متحرضاً فلن تعدو قدر إدراك الكهان مما لا يصل إلى حقيقة البيان والإيضاح.[1]

الموضوع الدعوي

في حديث الباب يتبين لنا معجزة من معجزات رسول الله ﷺ العظيمة حيث كشف أمر أن العباد وعقيدة أهل السنة هي الإيمان بمعجزاته ﷺ والتصديق بها قال السفاريني رحمه الله تعالى: «ومعجزاتُ» خاتَم الأنبياء كثيرة تجلُّ عن إحصائي[2].

قال ابن حمدان: «المعجزة هي ما خرق العادة من قولٍ أو فعلٍ إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتداءً بحيث لا يقدر أحد عليها ولا على مثلها وعلى ما يقاربها»[3].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك: «أن أهل مكه سألوا رسول الله ﷺ أيريهم

(1) مشارك الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ٣١٨/١، ط. المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز ١٤١٨هـ.

(2) انظر شرح العقيدة السفارينيه تأليف العلامة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع ص٢٨، ط أضواء السلف، الرياض.

(3) لوامع الأنوار ٢٩٠/٢، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص١٠٠، توزيع مكتبة المؤيد، الطائف.

آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما»[1]

الفوائد الدعوية:

أولاً: توبيخ المخالفين أسلوب من أساليب الدعوة.

ثانيا: جواز التجسس على أهل الريب.

ثالثاً: اهتمام الإمام بالأمور التي يخشى منها الفساد.

رابعاً: جواز امتحان المدعي للباطل وإظهار كذبه.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: توبيخ المخالفين أسلوب من أساليب الدعوة.

في قوله ﷺ لابن صائد: «اخسأ» ما يدل على جواز استعمال الكلمات المؤلمة عقاباً وتوبيخاً للمخالف، وقد خاطب الله بني إسرائيل فقال تعالى لهم: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[2] أي قاصين مبعدين[3]، وفي يوم القيامة يطلب

---

(1) صحيح البخاري كتاب المناقب باب سؤال المشركين أيريهم النبي آية ص٦٩٤. وصحيح مسلم كتاب صفة القيامة، باب انشقاق القمر ص١١٢٧.

(2) الأعراف: ١٦٦

(3) فتح الباري ٥٦١/١٠

أهل النار من ربهم إخراجهم من النار فيجيبهم تعالى بأن يخسئوا فيها، كما قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[1]، «وهذا القول -نسأل الله تعالى العافية- أعظم قول على الإطلاق يسمعه المجرمون في التخييب والتوبيخ والذل والخسار والتأييس من كل خير، والبشرى بكل شر»[2].

ولا حرج على الداعية من استعمال مثل هذه الكلمة مع المخالفين، وتوبيخهم بها إذا اقتضى المقام ذلك، زجراً لهم عن التمادي في الغي، وإيقافاً لهم عند حدّهم.

ثانيا: جواز التجسس على أهل الريب.

أخرج البخاري قصة ابن صياد عن عبد الله بن عمر، أن عمر بن الخطاب انطلق في رهط مع النبي ﷺ قبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الغلمان عند أُطُم بني مغالة، وقد قارب ابن صياد يومئذ يحتلم، فلم يشعر بشيء حتى ضرب[3] رسول الله ﷺ ظهره بيده، ثم قال: «أتشهد أني رسول الله؟» فنظر إليه ابن الصياد فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد للنبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ قال له النبي ﷺ: آمنت بالله ورسوله»[4].

---

(1) المؤمنون: ١٠٧ ـ ١٠٨

(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٥٠٩

(3) قال الخطابي: وقع هنا بالضاد المعجمة، وهو غلط، والصواب بالصاد المهملة (فرصه)، أي قبض عليه بثوبه بضم بعضه إلى بعض، ومن رواه بالمعجمة فمعناه: دفعه حتى وقع فتكسر، يقال: رض الشيء فهو رضيض ومرضوض إذا انكسر. أعلام الحديث للخطابي ٣/ ٢٢٠٨.

(4) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب كيف يعرض الإسلام على الصغير، ص٥٨٥. وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد ص١١٧٣.

قال الحافظ ابن حجر مبينا بعض فوائد قصة ابن صياد: وفيها «التجسس على أهل الريب» [1]، وقد تبين من هذه القصة وموقف النبي ﷺ مع ابن صياد جواز التجسس على أهل الباطل، وكشف زيفهم وخطرهم ليحذر الناس منهم، ويسلموا من شرهم.

ثالثاً: اهتمام الإمام بالأمور التي يخشى منها الفساد.

إن حفظ كيان المجتمع الدعوي من الفساد مسؤولية عظيمة أمام المجتمع المسلم، وفي مقدمتهم إمام المسلمين؛ لأنه سيسأل عما استرعاه الله، فإن من مسؤوليته متابعة الأمور التي يخشى منها الفساد، والمسارعة في القضاء عليها، درءا للشر والفساد عن المسلمين.

وفي موقف الرسول ﷺ من ابن صياد كشف لشره ليحذره الناس، «... قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، ائذن لي فيه أضرب عنقه، فقال النبي ﷺ «إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله» [2].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في بيان فوائد قصة الرسول ﷺ مع ابن صياد: «وفي قصة ابن صياد اهتمام الإمام بالأمور التي يخشى منها الفساد والتنقيب عليها» [3].

---

(1) فتح الباري ٦/١٧٤

(2) صحيح البخاري، كتاب الادب، باب: قول الرجل للرجل: إخسأ برقم ٦١٧٣ .

(3) فتح الباري ٦/١٧٤ .

فعلى الدعاة إلى الله تذكير ولاة الأمر بأهمية كشف أهل الزيغ والفساد، والأخذ على أيدي المفسدين في الأرض، حمايةً لمجتمع الدعوة من الانحراف وانتشار الفساد.

رابعاً: جواز امتحان المدعي للباطل وإظهار كذبه.

إن امتحان مدعي الباطل لبيان كذبه، أمر له دوره المهم في القضاء على الباطل، وإظهاره للمجتمع الدعوي بوضوح، وفي حديث الباب نجد الرسول ﷺ يمتحن ابن صياد فيقول له: «قد خبأت لك خبيئا فما هو ؟ قال: «الدُّخُّ» قال: «اخسأ».وفي رواية عبد الله بن عمر قال له النبي ﷺ: «اخسأ فلن تعدو قدرك» .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وفي قصة ابن صياد إظهار كذب المدعي الباطل، وامتحانه بما يكشف حاله» [1].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله امتحان أهل الباطل وكشف زيفهم وكذبهم ليحذر المسلمون من شرهم.

[1] فتح الباري ٦/١٧٤

-باب الكِبْرِ [1]

وقال مجاهد: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ...﴾ [2] مستكبرا في عطفه: رقبته.

١١١- عن أنس[3] بن مالك رضي الله عنه قال: «كانت الأمةُ من إماء أهل المدينة لَتَأخُذُ بيد رسول الله ﷺ فَتَنْطَلِقُ به حيث شاءت».

رقم الحديث: [٦٠٧٢].

---

(١) أي هذا باب في بيان ذم الكبر، بكسر الباء الموحدة، وهو ثمرة العجب. انظر: عمدة القاري ٢٢٢/١٥، والكبر والتكبر والاستكبار متقارب، فالكبر: الحالة التي يختص بالإنسان من إعجاب بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره، وأعظم من ذلك أن يتكبر على ربه، بان يمتنع من قبول الحق والإذعان له بالتوحيد والطاعة. انظر: فتح الباري ٤٨٩/١٠.

(٢) الحج: ٩.

(٣) سبقت ترجمته انظر ص ١٦٠.

الموضوع الدعوي

إن من شمائل رسول الله ﷺ حُسنَ الخُلق مع المسلمين رجالاً ونساء وتواضعه معهم، ولقد بين الله جل وعلا فضله على نبيه بحسن خلقه مع أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، فقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ... ﴾[1]، وأثنى عليه ربه تعالى بالخلق العظيم، فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]. وفي حديث الباب يصف أنس بن مالك رضي الله عنه، -وهو الذي خدم رسول الله عشر سنين- هذا الخلق من رسول الله ﷺ فيقول: «كانت الأمة من إماء المدينة لَتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت».

والمراد من الأخذ باليد لازمه، وهو الرفق والانقياد»[3]. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع؛ لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمم بلفظ الإماء، أي أمة كانت، وبقوله: «حيث شاءت» أي من الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعد على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ».[4]

وفي هذا الخلق منه ﷺ رسم للمنهج الدعوي الذي ينبغي أن يسير عليه الدعاة

---

(1) آل عمران: ١٥٩

(2) القلم: ٤

(3) عمدة القاري ١٥/٢٢٤.

(4) فتح الباري ١٠/٤٩٠، وانظر: ارشاد الساري للقسطلاني ١٣/٩١.

إلى الله في المجتمع المسلم، حيث البعد عن الكِبْر، والرأفة بالضعفة والمساكين من المسلمين.

الفوائد الدعوية :

أولاً : اهتمام الإمام برعيته .

ثانياً : أن يكون الداعية إلى الله قدوة في التعامل مع الآخرين .

ثالثاً : اهتمام الإسلام بالمرأة وإعطائها حقها .

رابعاً : المساواة في الإسلام بين المدعوين .

خامساً : خدمة المجتمع الدعوي وسيلة من وسائل نشر الدعوة .

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : اهتمام الإمام برعيته .

إن على إمام المسلمين مسؤولية عظيمة تجاه ما استرعاه الله من شؤون المسلمين كما بين عليه الصلاة والسلام ذلك بقوله : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته...» الحديث[1]، وبين

---

[1] سبق تخريجه ص ١٧٥ .

عليه الصلاة والسلام فضل العدل بين الرعية، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا». رواه مسلم [1].

وفي حديث الباب يتبين لنا هدي رسول الله ﷺ في قضاء حوائج المسلمين والعناية بها، فما أعظم أن يكون ولي أمر المسلمين آية في حسن الخلق، وغاية في حسن التعامل مع رعيته، امتثالاً لأمر رب العالمين، واقتداء بهدي سيد الأنبياء والمرسلين.

<u>ثانياً : أن يكون الداعية إلى الله قدوة في التعامل مع الآخرين .</u>

أثنى الله سبحانه على الدعاة إلى سبيله فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[2]. وجعل عليه الصلاة والسلام حسن الخلق من كمال الإيمان فقال ﷺ : «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم» رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح.[3]

وفي حديث الباب يظهر لنا جليا حسن خلق الرسول ﷺ في تعامله مع المدعوين؛ لذا ينبغي على الدعاة أن يحسنوا التعامل مع المدعوين، من إجابة على

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، ص٧٦٣.

(2) فصلت : ٣٣

(3) سبق تخريجه ص ٤١٧ .

أسئلتهم، وقضاء حوائجهم، وتوجيههم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة[1]، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «أنكم لا تسعُون الناس بأموالكم، ولكن ليَسَعْهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق» قال الصنعاني: «أي لا يتم لكم شمول الناس بإعطاء المال لكثرة الناس وقلة المال فهو غير داخل بمقدور البشر ولكن عليكم أن تسعوهم ببسط الوجه والطلاقة ولين الجانب وخفض الجناح»[2]

ثالثاً: اهتمام الإسلام بالمرأة وإعطائها حقها.

لقد أكرم الإسلام المرأة، وجعل لها مكاناً علياً في مجتمعها، ونالت حظا وافراً من التوجيه والثناء، وكان من هديه ﷺ تلمس حاجة المرأة وسماع ما لديها، بل نزل الوحي من السماء في شأنها، لفتاً لأنظار المسلمين بعناية الإسلام بها، قال تعالى في قصة المجادلة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[3].

ومن اهتمامه ﷺ بالمرأة أن جعل لهن يوما خاصاً لتعليمهن أمر الدين، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك. فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن...»[4] الحديث.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/١٢٤.

(2) سبل السلام شرح بلوغ المرام ٤/٣٨٦.

(3) المجادلة: ١

(4) سبق تخريجه ص ٣١٨.

وفي حديث الباب يظهر لنا صورة من صور الاهتمام بالمرأة من سيد المرسلين، وإمام الدعاة المخلصين، حيث تأخذ الأمة بيده فتنطلق به حيث شاءت تواضعاً منه عليه الصلاة والسلام، وقضاء لحوائج المؤمنات، ومن هذا المنهج النبوي الكريم ينبغي للدعاة إلى الله أن يولوا أمر المرأة عنايتهم دعوةً وتعليما وقضاء لحوائجها وفق الضوابط الشرعية، وتحذيرا من مزالق الشر والفساد والانخداع بحضارة الغرب ؛ لأن المرأة دورها عظيم في المجتمع الدعوي إذا وفقها الله إلى العمل الصالح ونشر دين الإسلام.

رابعاً : المساواة في الإسلام بين المدعوين.

إن من خصائص هذه الدعوة أنها تدعو إلى العدل بين المدعوين، فهذا من الأسس التي قامت عليها، فلا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى، كما بين ذلك الله تعالى في كتابه، حيث قال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1]. وبين عليه الصلاة والسلام لأمته هذه الميزة التي لا توجد إلا في المجتمع الإسلامي.

وكان من أوائل أعماله بعد دخوله المدينة أن ساوى ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وجعل مؤذنه بلال الحبشي رضي الله تعالى عنه، فهذا كله أدلة واضحة على تسويته ﷺ بين أصحابه وأتباعه، وأن مدار الفضل في الإسلام هو التقوى، لا لون، ولا جنس، ولا حسب، ولا نسب.

---

(1) الحجرات : ١٣

وفي حديث الباب يتبين عظم هذا الدين، وأنه دين العدل والمساواة بين الناس، حيث يقف إمام المرسلين لهذه الأمة، ويسمع منها، ويلبي طلبها تواضعاً منه ﷺ وكرماً، وليعلم الناس أن هذا هو خلق الإسلام في معاملة الخلق ؛ لذا ينبغي على الدعاة إلى الله إيلاء هذا الأمر عنايتهم، وأن يهتموا بأمر المجتمع الدعوي على السواء، من دون تفريق بين الغني والفقير، ولا الشريف والوضيع.

خامساً : خدمة المجتمع الدعوي وسيلة من وسائل نشر الدعوة.

إن النفس البشرية مجبولة على حب من أحسن إليها، فهي تقبل منه كثيراً، وتتقبل ما يوجهها إليه ؛ لذا فإن الدعاة إلى الله هم خير من يقوم بهذه الوسيلة العظيمة، من قضاء لحوائج الناس، واستجابة لطلباتهم ودعواتهم، والإجابة على أسئلتهم، والسعي في تفريج كرباتهم بعد توفيق الله تعالى.

وقد سار السلف على هذا الهدى النبوي وبينوا مكانة هذه الوسيلة في الإسلام «جاء رجل إلى الحسن بن سهل يستشفعُ به في حاجةٍ فقضاها، فأقبل الرجل يشكره فقال له الحسن بن سهل: علام تشكرنا ونحن نرى أن للجاه زكاة كما أن للمال زكاة. ثم أنشأ يقول:

فُرضت علي زكاة ما ملكت يدي
وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا

فـــــإذا ملكت نجــــد فــــإن تســـــتطع

فـــاجـــهـــد بوســـعك كلّه أن تنفـــعـــا[1]

وفي حديث الباب نجد أن رسول الله ﷺ يقف مع هذه الأمة ويقضي حاجتها، فقد كان من هديه ﷺ قضاء حوائج الناس.

[1] الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/١٦٧.

باب لا يقل : خبثت نفسي [1]

١١٢- عن عائشة رضي اللهُ عنها عن النبي ﷺ قال : لا يقولنَ أحدُكم : خَبُثَتَ نفسي، ولكن ليقل : لقِسَتَ نفْسي» .[2]

رقم الحديث: [٦١٧٩].

١١٣- عن أبي أمامة[3] بن سهل، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال : «لا يقولن أحدُكم : خبثت نفسي، ولكن ليقل : لقست نفسي» [4].

رقم الحديث: [٦١٨٠].

---

(١) أي هذا باب في بيان أن الأدب أن لا يقول أحد : خبثتْ نفسي ؛ لأجل كراهة لفظ الخبث حرام على المؤمنين. عمدة القاري ٣٠٧/١٥.
وقد أخرج الإمام مسلم حديثي الباب في كتاب الألفاظ من الأدب باب كراهة قول الانسان خبثت نفسي رقم الحديث ٢٢٥١،٢٢٥٠.

(٢) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة . انظر : المرجع السابق.

(٣) أبو أمامة : هو أمامة بن سهل بن حنيف. تقدم نسبه عند أبيه، وهو أنصاري أوسي، واسمه أسعد، سماه رسول الله ﷺ باسم جده لأمه أسعد بن زراره ، وكنا بكنيته، ودعا له وبرك عليه. أسد الغابة ١٦/٦.

(٤) مطابقته للترجمة ظاهرة عمدة القاري ٣٠٧/١٥.

غريب الحديث :

خَبُثَت نفسي : خبث بفتح الخاء المعجمة، وضم الباء : الخبيثُ يطلق على الباطلِ في الاعتقادِ، والكَذِب في المقالةِ، والقبيحِ في الفعالِ.[1]

لقِستْ : أي خَبُثت، وقيل : ساءت خُلُقاً.[2]

الموضوع الدعوي

اهتم رسول الله عليه الصلاة والسلام بتربية أصحابه على حسن المنطق، والبعد عن الكلمات المستكرهة التي تحمل معاني غير مناسبة، فقد كان ﷺ «يتخيرُ في خطابه، ويختارُ لأمته أحسنَ الألفاظِ وأجملَها وألطفَها وأبعدَها من ألفاظ الجَفاء والغِلظة والفَحش»[3].

وفي حديث الباب ينهى عليه الصلاة والسلام أمته عن التلفظ بكلمة «خبثت نفسي»، ويأمرهم باستبدالها بكلمة «لقست نفسي» ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : «إنما كره من ذلك اسم الخبث. فاختار اللفظ البريئة من البشاعة، السليمة منها، وكان من سنته تبديل الاسم القبيح بالحسن»[4]. وقال القاضي : قال أبو عبيد وغيره :

---

(1) فتح الباري ١٠/٥٦٣-٥٦٤.

(2) تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٢٠٧ ، وانظر : أعلام الحديث ٣/٢٢٠٩

(3) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢/٣٥٢

(4) فتح الباري ١٠/٥٦٤ ، وانظر : أعلام الحديث ٣/٢٤٠٩.

لقست نفسي وخبثت بمعنى، ولكنه كره عليه الصلاة والسلام لفظ الخبث وبشاعة الاسم، وعلمهم الأدب في المنطق، واستعمال الحسن منه، وهجران القبيح»[1].

وهذا الاهتمام منه عليه الصلاة والسلام من كمال شفقته عليه الصلاة والسلام بأمته، وقد وصفه ربه بذلك فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2] «حيث إن الأخذ بهذا الهدي النبوي فيه دفع للشر عن النفس مهما أمكن، وطلب للخير حتى بالفأل الحسن، وقطع للصلة بينه وبين أهل الشر».[3]

والنهي في الحديث ليس على سبيل الايجاب إنما هو من باب الأدب قال ابن بطال: «ليس النهي على سبيل الايجاب، وإنما هو من باب الأدب».[4]

الفوائد الدعوية :

أولا : استحباب تغيير الكلمات المستكرهة لفظاً .

ثانياً : جواز الإخبار عما يعترض المسلم في بدنه .

ثالثاً : من صفات الداعية إلى الله النصح للمدعوين وتعليمهم الخير :

---

(1) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٩١/٧

(2) التوبة : ١٢٨

(3) فتح الباري ٥٦٤/١٠.

(4) عمدة القاري ٣٠٧/١٥.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولا : استحباب تغيير الكلمات المستكرهة لفظاً .

في قوله ﷺ :«لا يقولَنَّ أحدكم خَبُثت نفسي، ولكن ليقل، لَقِستَ نفسي»، ما يبين مشروعية تغيير الكلمات المستكرهة لفظاً إلى كلمات أنسب وأفضل منها.

قال ابن بطال : ويؤخذ من الحديث : «استحباب مجانبة الألفاظ القبيحة، والأسماء، والعدول إلى ما لا قبح فيه، والخبث واللقس وإن كان المعنى المراد يتأدى بكل منهما لكن لفظ الخبث قبيح ويجمع أموراً زائدة على المراد بخلاف اللقس فإنه يختص بامتلاء المعدة»[1]

وفي القرآن الكريم وجه الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين إلى ترك قول :«راعنا» واستبدلها بلفظ «انظرنا» فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا...﴾[2]، وذلك لما للفظ «راعنا» من دلالة سيئة لا ينبغي أن يُتوجه بمثلها إلى الرسول ﷺ.

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله بيان استحباب مجانبة الألفاظ القبيحة إلى ما لا إشكال فيه.

---

(1) المصدر السابق ١٠/٥٦٤.

(2) البقرة : ١٠٤.

ثانياً : جواز الإخبار عما يعترض المسلم في بدنه .

إن المسلم قد يتعرض لبعض الأمراض في هذه الحياة فيخبر عما به من مرض للآخرين إخباراً لا شكوى. وهو ما يفهم من قوله ﷺ :« ... لايقولن أحدكم خَبُثت نفسي ولكن ليقل لقست نفسي»، وكان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يخبرونه عليه الصلاة والسلام عما يحصل لهم من أمراض، فقد أتى رجل النبيَّ ﷺ :«فقال أخي يشتكي من بطنه، فقال : اسقه عسلا ...» الحديث.[1]

قال الشيخ مجد الدين في «شرح الهداية» : ولا بأس أن يخبر بما يجده من ألم ووجع لغرض صحيح لا لقصد الشكوى».[2]

ثالثاً : من صفات الداعية إلى الله النصح للمدعوين وتعليمهم الخير :

إن للداعية دوره العظيم في نصح المدعوين وتوجيههم وتعليمهم الخير، فمتى ما وجد أمراً لا يناسب المدعوين حثهم إلى العدول إلى ما هو خير. لذا نجد أن رسول الله ﷺ يأمر أصحابه بانتقاء الألفاظ الطيبة؛ لذا ينبغي على الدعاة إلى الله السير وفق هدي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ واقتفاء أثره، والحرص على تعلم الناس الخير قال معاذ رضي الله عنه :«تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهل قربة».[3].

---

(1) الحديث سبق شرحه في كتاب الطب، باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى {فيه شفاء للناس}.

(2) الآداب الشرعية لابن مفلح ١٧٤/٢.

(3) المجموع شرح المهذب للنووي ٤١/١. ط دار إحياء التراث العربي.

باب لا تسبوا الدهر [1]

١١٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تسموا العنبَ الكرمَ، ولا تقولوا: خَيْبَةَ الدَّهر، فإن اللهَ هو الدَّهْرُ». [2]

رقم الحديث: [٦١٨٢].

غريب الحديث:

الكرم: قال الأزهري: سمي به العنب لكرمه؛ لأنه ذل لقاطفه، وليس عليه شوك يؤذي جانيه، ويحمل الأصل منه ما يحمل النخلة أو أكثر، وكل شيء كثر نفعه فقد كرم.

وأصل الكرم: الكثرة والنفع، فالكريم من كثر نفعه وكثرت فضائله، ومنه نخلة كريمة: الكبيرة الحمل، وناقة كريمة: الكثيرة اللبن، وأرض كريمة: الكثيرة النبات. وقد يسمى بالكرم الرفيع القدر؛ لأن من كثر نفعه عظم قدره». [3]

---

(١) قال العيني: أي هذا باب فيه المنع عن سب الدهر. عمدة القاري ١٥/٢٠٧

(٢) أخرجه البخاري في نفس كتاب الأدب، باب إنما الكرم قلب المؤمن، بلفظ: « ويقولون الكرم، إنما الكرم قلب المؤمن » حديث رقم (٦١٨٣) وأخرجه أيضاً في كتاب التفسير، باب وما يهلكنا إلا الدهر الآية، بلفظ « قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب بنحوه ص٢٢٤٧.

(٣) تهذيب اللغة ٨/٢٣٥. وانظر: إكمال المعلم ٧/١٨٥ ـ ١٨٦

خيبة الدهر : بالخاء المعجمة والموحدة المفتوحة بينهما تحتية ساكنة نصب على الندبه كأنه فقد الدهر لما يصدر عنه مما يكرهه فندبه متفجعاً عليه أو متوجعاً منه أو هو دعاء عليه بالخيبة»[1]

الموضوع الدعوي

لقد اهتم الرسول عليه الصلاة والسلام بترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس أصحابه، وحذرهم من أسباب الوقوع في قوادح العقيدة، وبين وسائل السلامة منها لكونها أساس منطلق الدعوة إلى الله ؛ لذا نهى ﷺ عن سب الدهر كما في حديث الباب، حيث قال ﷺ : «لا تقولوا : خيبة الدهر، فإن اللهَ هو الدهر» .

قال الداودي : هو دعاء على الدهر بالخيبة، وهو كقوله : قحط الله نوءها، يدعو على الأرض بالقحط»[2]. وقد نهى ﷺ عن سب الدهر في أحاديث كثيرة، منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «قال الله : يسب بنو آدم الدهر، وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار» .[3]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله ﷺ : «يسب بنو آدم الدهر... الحديث»: «للناس في هذا الحديث قولان معروفان لأصحاب أحمد وغيرهم :

---

(1) إرشاد الساري للقسطلاني ١٨٧/١٣ .

(2) فتح الباري ٥٦٦/١٠ . وانظر عمدة القاري ٣٠٧/١٥.

(3) صحيح البخاري ، كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدهر، ص١١٩١. وصحيح مسلم بلفظه، كتاب الألفاظ من الأدب ، ص٩٢٤.

أحدهما : قول ابن عيينة وأكثر العلماء أنه خرج الكلام فيه لرد ما يقوله أهل الجاهلية ومن أشبههم، فإنهم إذا أصابتهم مصيبة، أو نسفوا أغراضهم، أخذو يسبون الدهر والزمان، يقول أحدهم : قبح الله الدهر الذي شتت شملنا، ولعن الله الزمان الذي جرى فيه كذا وكذا، وكثير ما جرى من كلام الشعراء وأمثالهم نحو هذا كقولهم : يا الدهر فعلت كذا، وهم يقصدون سب من فعل تلك الأمور ويضيفونها إلى الدهر، فيقع السب على الله تعالى وتقدس ؛ لأنه هو الذي فعل تلك الأمور، والدهر مخلوق له، هو الذي يقلبه ويصرفه، والتقدير : أن ابن آدم يسب من فعل هذه الأمور وأنا فعلتها، فإذا سب الدهر فمقصوده سب الفاعل وإن أضاف الفعل إلى الدهر، فالدهر لا فعل له، وإنما الفاعل هو الله وحده، وهذا كرجل قضى عليه قاض بحق، أو أفتاه مفت بحق، فجعل يقول : لعن الله من قضى بهذا، أو أفتى بهذا، ويكون ذلك من قضاء النبي ﷺ وفتياه، فيقع السب عليه وإن كان الساب - لجهله - أضاف الأمر إلى المبلغ في الحقيقة، والمبلغ له فعل من التبليغ بخلاف الزمان، فإن الله يقلبه ويصرفه.

القول الثاني : قول نعيم بن حماد وطائفة معه من أهل الحديث : أن الدهر من أسماء الله، ومعناه : القديم الأزلي.

وهذا المعنى صحيح، إنما النزاع في كونه يسمى دهراً بكل حال، فقد أجمع المسلمون - وهو مما علم بالعقل الصريح - أن الله سبحانه وتعالى ليس هو الدهر الذي هو الزمان أو ما يجري مجرى الزمان.....»[1].

---

(1) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٩٣/٢ - ٤٩٤، وانظر: فتح الباري ٥٦٦/١٠.

وفي الحديث نهي منه ﷺ عن تسمية العنب الكَرْم.

قال القاضي عياض وقد بين العلماء من نهيه ﷺ عن تسميه العنب الكرم: «أنه لما حرم الخمر عليهم، وكانت طباعهم تحثهم على الكرم، ونفوسهم مجبولة عليه، فكره عليه الصلاة والسلام أن يسمى هذا المحرم باسم وضع لمعنى يهيج طباعهم إليه عند ذكره، وتهش نفوسهم نحوه عند سماعه، فيكون ذلك كالمحرك على الوقوع في المحرمات، ولهذا احتج - عليه الصلاة والسلام - كما في صحيح مسلم - بقوله: «وإنما الكرم قلب المؤمن». يعنى أن الكرم حبس النفس عن شهواتها، وإمساكها عن المحرمات عليها، فهذه الحالة أحق بأن يسمى كرماً».[1]

الفوائد الدعوية:

أولاً: وجوب تعظيم الله عز وجل، وشكره على نعمه.

ثانياً: اهتمام الإسلام بحماية جناب التوحيد.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: وجوب تعظيم الله عز وجل، وشكره على نعمه.

أمر الله سبحانه عباده المؤمنين بشكر نعمه عليهم، وحذرهم من كفرها فقال

---

[1] إكمال المعلم بفوائد مسلم ٧/١٨٥

تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[1] فالشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله، والثناء على الله بها، وصرفها في مرضاة الله تعالى، وكفر النعم ضد ذلك»[2]. ومن أعظم كفر النعم سبها ؛ لأنه يعود على منعمها، وهو الله سبحانه وتعالى، وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أن مفاسد سب الدهر عظيمة، منها: سبه من ليس بأهل أن يسب، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله، منقاد لأمره، مذلل لتسخيره، فسابه أولى بالذم والسب منه» .[3] فعلى الدعاة إلى الله غرس شكر النعم في نفوس المدعوين، والحذر من سب نعم الله التي سخرها الله لخلقه، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[4].

ثانياً: اهتمام الإسلام بحماية جناب التوحيد.

إن سب الدهر من الأمور التي قد توقع المسلم في الشرك بالله، إن اعتقد أن الفاعل للأمور هو الدهر ؛ لذا بين العلماء مدخل الشرك في هذا الفعل، قال صاحب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: «والظاهر أن المشركين نوعان:

أحدهما: يعتقد أن الدهر هو الفاعل ينسبه لذلك، فهؤلاء هم الدهرية.

---

(1) إبراهيم: ٧

(2) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٧٦

(3) زاد المعاد ٢/٣٥٤ ـ ٣٥٥

(4) الروم: ٢٣

والثاني : من يعتقد أن المدبر للأمور هو الله وحده لا شريك له، ولكن يسبون الدهر بما يجري عليهم فيه من المصائب والحوادث، فيضيفون ذلك إليه من إضافة الشيء إلى محله، لا لأنه عندهم فاعل لذلك» .[1]، ولقد اهتم عليه الصلاة والسلام بهذا الأمر فمن اهتمامه عليه الصلاة والسلام بحمايه جناب التوحيد ما رواه ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانه[2]، فقال النبي ﷺ :«هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟» قالوا :.لا. قال : «فهل كان فيها عيد من أعيادهم» قالوا : لا. فقال رسول الله ﷺ :«أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم»[3]

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله إعطاء هذا الأمر أهميته اللائقة به، وتحذير المدعوين من الوقوع في قوادح العقيدة والحرص على حماية جناب التوحيد كما اهتم سيد المرسلين وسار على هذا النهج السلف الصالحون.

---

(1) انظر : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ٦٠٩ ، ط المكتب الإسلامي .

(2) هضبة من وراء ينبع، قريبة من ساحب البحر. انظر حاشيه كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن قاسم ص١٠٤.

(3) سنن أبي داود كتاب الايمان والنذور باب ما يؤمر فيه من الوفاء بالنذر، ص٥١٤.
وسنن البيهقي ١٠/٨٣ برقم ١٩٩١١.

باب اسم الحزن [1]

١١٥- عن ابن المسيَّب[2]، عن أبيه : أن أباه جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فقَال : «ما اسْمُكَ ؟» قال : حَزْنٌ ، قال : «أنتَ سَهْلٌ» . قال : لا أغير اسماً سمانيه أبي . قال ابن المسيَّب : فما زالت الحزونة فينا بعد[3].

رقم الحديث : [٦١٩٠].

الموضوع الدعوي

يهتم الإسلام باختيار الأسماء الحسنة، حيث حث عليه الصلاة والسلام على التسمية الحسنة، وغيَّر عليه الصلاة والسلام أسماء بعض الصحابة لعدم مناسبتها لهم، وفي حديث الباب يسمي رسولُ الله ﷺ هذا الصحابي باسم حسن، إلا أنه رغب البقاء على ما سماه به أبوه وهو الحَزْن ، قال في الكواكب : «الأمر بتغيير الاسم من حزن إلى سهل لم يكن على وجه الوجوب؛ لأن الأسماء لم يسم بها لوجود معانيها في المسمى، وإنما هي للتمييز، ولو كان للوجوب لم يسغ له أن يثبت عليه، وأن لا يغير. نعم، الأولى

---

(١) أي هذا باب في ذكر من اسمه الحزن بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي ، وهو في الأصل ما غلظ من الأرض ـ ضد السهل ـ واستعمل في الخلق ، يقال : فلان في حزونة ، أي في خلقه غلظ وقساوة . والحُزن بالضم الهم . عمدة القاري ، ١٥/٢١٥.

(٢) ابن المسيَّب : سعيد التابعي أبوه المسيب ممن بايع تحت الشجرة، روى عنه أنه قال: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد. نزهة الفضلاء ١/٣٧٠.

(٣) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة . انظر : عمدة القاري ١٥/٢١٥
والحديث طرفه في نفس الكتاب، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه، حديث رقم (٦١٩٣).

التسمية بالاسم الحسن وتغيير القبيح إليه، كذلك الأولى أن لا يسمى بما معناه التزكية والمذمة، بل يسمى بما كان صدقا وحقاً كعبد الله ونحوه»[1].

وقال الحافظ رحمه الله نقلاً عن الطبري : «أجاز المسلمون أن يسمى الرجل القبيح بحسن، والفاسد بالصالح، ويدل عليه أنه ﷺ لم يلزم حزنا لما امتنع من تحويل اسمه إلى سهل بذلك، ولو كان ذلك لازماً لما أقره على قوله : «لا أغير اسماً سمانيه أبي» [2].

قلت : وهذا هو الذي يظهر من سياق الحديث، إذ لو كان الأمر للوجوب لما ساغ لصاحب رسول الله ﷺ عدم امتثال أمره ﷺ ، فالمعروف أنهم يتسابقون إلى طاعة الله ورسوله ﷺ .

والحكمة في تغيير الاسم القبيح - والله أعلم - أنه من باب التفاؤل بالخير، وكان عليه الصلاة والسلام يتفاءل بالاسم الحسن، أخرج الإمام مالك في الموطأ، عن يحيى بن سعيد ، أن رسول الله ﷺ قال للقحة تحلب :«من يحلب هذه ؟» فقام رجل، فقال له رسول الله ﷺ : «ما اسمك ؟» فقال الرجل : مرة، فقال له الرسول ﷺ : «اجلس»، ثم قال : «من يحلب هذه ؟» فقام رجل، فقال له رسول الله ﷺ : «ما اسمك» ؟، فقال : حرب، فقال له الرسول ﷺ : «اجلس» ، ثم قال : «من يحلب هذه؟» فقام رجل، فقال له رسول الله ﷺ : «ما اسمُك» ؟، فقال :يَعيشُ، فقال له

---

(1) انظر : إرشاد الساري ١٣/١٩٤

(2) فتح الباري ١٠/٥٧٧

رسولُ الله ﷺ : «احلُبْ».[1]

فما أجمل هذا الدين الذي جعله الله تعالى سعادة للبشرية في دينها ودنياها.

الفوائد الدعوية :

أولا : توجيه المدعوين إلى اختيار الأسماء الحسنة لأولادهم .

ثانياً : حث المدعوين على الأخذ بالسنة النبوية وبيان ثمار ذلك على المسلم .

ثالثاً : التزام الحكمة في الدعوة إلى الله .

رابعاً : عناية الداعية بالمدعوين .

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولا : توجيه المدعوين إلى اختيار الأسماء الحسنة لأولادهم .

في توجيه الرسول ﷺ لحزن رضي الله عنه بتغيير اسمه إلى سهل ما يبين اهتمامه عليه الصلاة والسلام باختيار الاسم الحسن، وقد بين عليه الصلاة والسلام أفضل الأسماء وأحبها إلى الله تعالى لأمته، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : «إن أحبَّ أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن»[2]. وأقر عليه الصلاة والسلام أصحابه

---

[1] موطأ الإمام مالك، كتاب الاستئذان، باب ما يكره من الأسماء ص ٣٦٦، توزيع دار العاصمة ونشر جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، وانظر زاد المعاد ٢/٣٣٧.

[2] صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، ص٨٨٢.

على التسمي بالاسم الحسن، كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : ولد لرجل منا غلامٌ، فسماه القاسم فقالت الأنصار لانكنيك أبا القاسم ولا نُنعمك عينا. فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، ولد لي غلام فسميته القاسم فقالت الأنصار: لانكنيك أبا القاسم ولا ننعمك عينا، فقال رسول الله ﷺ : «أحسنت الأنصار تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي ، فإنما أنا قاسم»[1].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله توجيه المدعوين إلى اختيار أحسن الأسماء لأولادهم، إقتداءً بهدي سيد المرسلين.

ثانياً : حث المدعوين على الأخذ بالسنة النبوية وبيان ثمار ذلك على المسلم .

إن من علامة محبة المسلم لرسول الله ﷺ أن يأخذ بهديه عليه الصلاة والسلام، فإنها الموصلة لمحبة الله تعالى للعبد، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]. ومن الأمور التي ينبغي للمسلم الأخذ بها امتثال أمره ﷺ في تسمية المولود، والحذر من مخالفة ذلك ؛ لما يترتب عليه من عدم راحة نفسية لصاحب الاسم.

وفي حديث الباب نجد أن حزناً قال : «وما زالت الحزونة فينا بَعْدُ» . قال الداودي

---

(1) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى فإن لله خمسة وللرسول، ص٥٩٦. وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، ص٨٨٣.

(2) آل عمران : ٣١

: «يريد العقوبة في أخلاقهم» . وقال غيره : «يشير إلى الشدة التي بقيت في أخلاقهم، فقد ذكر أهل النسب أن في ولده سوءَ خلق معروف فيهم، لا يكاد يعدم منهم» [1]. ولا شك أن الحرص على التمسك بهدي المصطفى عليه الصلاة والسلام سبب للفلاح في الدنيا والآخرة.

ثالثاً : التزام الحكمة في الدعوة إلى الله .

أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[2] «أي ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم، المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح بالحمكة، أي كل أحد على حسب حاله وفهمه، وقبوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبدأة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فلينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب ، إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح ومقدارها، والنواهي من المضار ومقدارها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقم به» [3].

---

(1) فتح الباري ١٠/٥٧٥.

(2) النحل : ١٢٥

(3) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٠٤

وفي حديث الباب يظهر لنا جلياً الحكمة التي استعملها عليه الصلاة والسلام مع هذا الصحابي، ومع اعتراضه على تغيير اسمه بعد توجيه رسول الله ﷺ له ، فإن رسول الله ﷺ لم يعنف هذا الرجل،بل بين له الأصلح والأنسب في الاسم، وهكذا كان هديه عليه الصلاة والسلام مع أصحابه في التوجيه لهم، من ذلك شفاعته عليه الصلاة والسلام في زوج بريرة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مُغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي، ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس : «يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثاً» فقال النبي ﷺ : «لو راجعته» قالت : يا رسول الله تأمرني ؟ قال : «إنما أنا أشفع» قالت : لا حاجة لي فيه»[1]. فلم يعنف على بريرة، بل تركها وشأنها، لذا ينبغي على الدعاة استعمال الحكمة في الدعوة، ومراعاة أحوال المدعوين، وتقدير ظروفهم.

رابعاً : عناية الداعية بالمدعوين.

إن المجتمع الدعوي يقوم على المحبة، فيكنُّ كل فرد فيه لأخيه المسلم الخيرَ والنصحَ ؛ لأن عقيدته تملي عليه هذا الخلقَ العظيمَ، كما قال عليه الصلاة والسلام : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [2]. كما أنه يقوم على التناصح الذي حث عليه رسول الله ﷺ في قوله : «الدين النصيحة» قلنا : لمن ؟ قال : «لله، ولكتابه،

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة ص١٠٤٥.

[2] سبق تخريجه، ص ١٨٩ .

ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

ومن هذا المنطلق ينبغي على الداعية العناية بالمدعوين، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وأن ينصح لهم في أمور دينهم ودنياهم، فمتى رأى على مسلم خللا بدينه دلّه على الصواب ؛ لأن المسلم مرآة أخيه المسلم، والداعية إلى الله تعالى هو الموجه للمدعوين، وفي حديث الباب تظهر لنا عناية رسول الله ﷺ بأصحابه، وحرصه عليه الصلاة والسلام على نفعهم في أمر دينهم ودنياهم، وهكذا الداعية يسير على هذا الطريق اقتداء بهدي سيد المرسلين، وإمام الدعاة المخلصين الذي أمرنا الله تعالى بالاقتداء به، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

---

(1) سبق تخريجه، ص١٠٦ .

(2) الأحزاب : ٢١

باب تحويل الاسم إلى اسم أحْسَنَ منه[1]

١١٦- عن سهل[2] قال : أتي بالمنذر بن أبي أسيد إلى النبي ﷺ حين ولد، فوضعه على فَخِذِهِ وأبو أسيد جالس، فلها النبي ﷺ بشيء بين يديه، فأمر أبو أسيد بابنه، فاحتمل من فَخِذِ النبي ﷺ، فاستفاق النبيُ ﷺ فقال :«أين الصبي؟» فقال أبو أسيد : قلبناه يا رسول الله. قال : «ما اسمه؟» قال : فلان. قال : «ولكن اسمه المنذر» . فسماه يومئذ المُنذر.[3]

رقم الحديث : [٦١٩١].

١١٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن زينب كان اسمها بَرَّة، فقيل : تزكي نفسها، فسماها رسول الله ﷺ زينب»[4]

رقم الحديث : [٦١٩٢].

---

(١) أي هذا باب في بيان تحويل الاسم القبيح إلى اسم أحسن منه . عمدة القاري ، ٣١٦/١٥.

(٢) سبق ترجمته، ص ٣٨٧ .

(٣) مطابقة الحديث للترجمة تؤخذ من قوله : « ولكن اسمه المنذر » ؛ وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لما سأل عن اسمه قال أبو أسيد : فلان ، قال : « ولكن اسمه المنذر » . انظر : عمدة القاري ٣١٦/١٥

(٤) مطابقة الحديث للترجمة من حيث إن فيه تحويل اسم برة إلى زينب . انظر : المصدر السابق ٣١٧/١٥
والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الاستئذان، رقم ٢١٤١.

غريب الحديث:

لهى : أي اشتغل، وكل ما شغلك عن شيء فقد ألهاك عن غيرك [1].

استفاق: أي انقضى ما كان مشتغولا به فأفاق من ذلك فلم ير الصبي، فسأل عنه، يقال: أفاق من نومه، ومن مرضه، واستفاق بمعنى.[2]

قلبناه: أي رددناه إلى المنزل[3].

الموضوع الدعوي

يهتم الإسلام بحماية شخصية المسلم من التنقص أمام الآخرين، وذلك بالبعد عن الأمور المسببة لذلك، والتي منها التسمي بأسماء غير حسنة، كما يحرص الإسلام على إبعاد النفس عن الزهو والإعجاب الذي هو سبب لنقد الآخرين أيضا، وفي حديث سهل حديثي الباب يسأل ﷺ عن اسم الصبي، فيقال له : فلان، فيقول ﷺ : «ولكنه المنذر» اسم جميل لا تنقيص فيه ولا خلل.

وفي حديث أبي هريره يأمر عليه الصلاة والسلام بتغيير اسم برة إلى زينب تلافياً لما فيه من تزكية النفس وتعظيمها، وقد حرص ﷺ على تغيير مثل هذه الأسماء حفظا للمسلم من أن يعتقد المسمى في نفسه أنه كذلك، قال العلامة ابن القيم : «فيقع في

(1) انظر : فتح الباري ١٠/٥٧٦ .

(2) انظر: عمدة القاري ١٥/٢١٧، وانظر إرشاد الساري، ١٣/١٩٥.

(3) إرشاد الساري، ١٣/١٩٥.

تزكية نفسه وتعظيمها وترفعها على غيره، وهذا هو المعنى الذي نهى النبي ﷺ لأجله أن تسمى برة[1].

إن هذا المنهج النبوي في حسن اختيار الاسم، يجعل المسلم يعيش بين أفراد مجتمعه وهو محل عناية وإكرام وإجلال، فكم عانى صاحب الاسم القبيح من الآلام النفسية بسبب تسميته باسم غير مناسب !، وكم يشعر صاحب الاسم الذي فيه تزكية للنفس بالغرور والتطاول على الآخرين، ناهيك أن يكون المسمى بهذا الاسم ليس له من معنى اسمه حظٌ ولا نصيب كما قال الشاعر :

سَمَّوك من جَهْلهم سديداً		والله ما فيك من سدد

أنت الذي كونه فسادا		في عالم الكون والفساد[2]

بهذا يتبين لنا كمال هذا الدين في حفظ شخصية المسلم من صغره.

---

(1) زاد المعاد ٢/٢٤٤.

(2) زاد المعاد ٢/٢٤٣ .

الفوائد الدعوية:

أولاً : مشروعية تغيير الأسماء التي تحمل أوصافاً نهى عنها الشرع .

ثانياً : حسن خلق رسول الله ﷺ .

ثالثاً : الشفقة على أطفال المدعوين وسيلة من وسائل الدعوة .

رابعاً :حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على طلب الخير لأبنائهم .

خامساً : مشروعية درء المسلم عن عرض أخيه .

سادساً : من صفات الداعية المبادرة إلى ترك المخالفات.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : مشروعية تغيير الأسماء التي تحمل أوصافاً نهى عنها الشرع .

. وجه رسول الله ﷺ أمته إلى تحسين الأسماء. ويتبين في حديث الباب مشروعية تغيير الأسماء التي تحمل أوصافا نهى عنه الشارع الحكيم، فقد سما المنذر بعد ما قيل: إن اسمه فلان، «فكأن الذي سماه أبوه قبيحٌ، فغيره ﷺ إلى المنذر [1]. كما غيّر عليه الصلاة والسلام اسم برة إلى زينب لما قيل : إنها تزكي نفسها، روى مسلم عن زينب بنت أم سلمة قالت إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم : وسميت برة، فقال

---

(1) عمدة القاري ٣١٦/١٥

النبيﷺ : «لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم» قالوا : بم نسميها ؟، قال : «سموها زينب»[1].

ثانياً : حسن خلق رسول الله ﷺ .

إن رسول الله ﷺ هو أكمل الخلق خلقاً،كما وصفه بذلك ربه جل وعلا، فقال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]. وفي حديث الباب يتبين لنا حسن خلقه عليه الصلاة والسلام مع أصحابه، حيث يأخذ الصبي، ويضعه على فخذه ﷺ ، فهذا من حسن خلقه وتواضعه عليه الصلاة والسلام.

وهكذا ينبغي على ا لدعاة إلى الله الأخذ بهذا الهدي النبوي فإه احرى بقبول دعوتهم وتأثرالمدعوين بهم[3].

ثالثاً : الشفقة على أطفال المدعوين وسيلة من وسائل الدعوة .

اهتم الإسلام بالطفل منذ ولادته وخروجه إلى هذه الدنيا، وذلك باعتباره طفل اليوم ورجل المستقبل الذي يعبد الله حق عبادته، وينفع الإسلام والمسلمين، وفي حديث

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم بره إلى زينب وجويرية ونحوهما، ص٨٨٤.

(٢) القلم : ٤

(٣) سبق الاشارة لمثل هذه الفائدة انظر ص ٦٨٩ .

الباب يخبر سهل عن هدي الرسول ﷺ في التعامل مع الأطفال، حيث أخذ ﷺ المنذر ووضعه على فخذه الطاهر، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل سأل عنه بعد فراغه من شغله فقال: «أين الصبي» مما يدل دلالة قاطعة على شفقته وعطفه على أبناء صحابته الكرام عليهم رضوان الله تعالى. فحري بالدعاة إلى الله أن ينهلوا من هذا الهدي النبوي الكريم، فيضربوا في مجتمعهم الدعوي أروع المثل في العطف والشفقة على أطفال المسلمين، اقتداء بهدي سيد المرسلين، عليه أزكى الصلاة، وأفضل التسليم. فهي من الوسائل المفيدة في الدعوة إلى الله بين أفراد المجتمع المسلم.

رابعاً: حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على طلب الخير لأبنائهم.

إن الأولاد أمانة في أعناق الآباء، يسألون عنها يوم القيامة، كما بين ذلك ﷺ في قوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها...» الحديث[1].

ومن هذا الهدي النبوي حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على طلب الخير لأولادهم، فهذا أبو أسيد رضي الله عنه يأتي بابنه إلى رسول الله ﷺ ليحنكه ويبارك عليه، وكذا غيره من «الصحابة إذا ولد لأحدهم الولد أتي به النبي ﷺ ليحنكه ويبارك

---

(1) سبق تخريجه، ص ١٧٥ .

عليه»[1]. لذا ينبغي على الدعاة والمدعوين الحرص على تحصيل الخير لأولادهم منذ الصغر؛ لينالوا السعادة في الدنيا والآخرة.

خامساً : مشروعية درء المسلم عن عرض أخيه :

إن المؤمنين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، كما وصفهم النبي ﷺ بذلك في قوله : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وشبك بين أصابعه»[2].

قال القرطبي عن هذا الحديث : «هذا تمثيل يفيد الحض على معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأن ذلك أمر متأكد لا بد منه، فإن البناء لا يتم ، ولا تحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضاً ويقويه، وإن لم يكن ذلك انحلت أجزاؤه، وخرب بناؤه، وكذلك المؤمن لا يستقل بأمر دنياه ودينه إلا بمعاونة أخيه ومعاضدته ومناصرته، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه، وعن مقاومة مضاره، فحينئذ لا يتم له نظام دنياه ولا دينه، ويلحق بالهالكين»[3].

وإن درء المسلم عن عرض أخيه من أعظم الأسباب المعينة على تماسك المجتمع المسلم. وفي حديث الباب نجد أن رسول الله ﷺ لما علم بالمقولة عن برة بين الناس أنها تزكي نفسها أمر بتغيير اسمها درءا لعرضها، وحماية لها من الألسن، وهذا ما تربى عليه صحابة رسول الله ﷺ من الدرء عن أعراض إخوانهم، من ذلك درء معاذ بن جبل

---

(1) فتح الباري ١٠/٥٦٦.
(2) سبق تخريجه ص ٤١٨.
(3) المفهم للقرطبي ٦/٥٦٤.

رضي الله عنه عرض كعب بن مالك، قال كعب بن مالك يحدث عن نفسه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: «.... ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال - وهو جالس في القوم بتبوك -: «ما فعل كعب بن مالك» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه ونظرُه في عِطفه. فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله ﷺ.....»[1].

وفي حديث أبي هريرة يتبين لنا كيف حرص عليه الصلاة والسلام على درء عرض بره من أن يتحدث الناس بأنها تزكي نفسها..

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله حث المدعوين على الدرء عن أعراض إخوانهم المسلمين لينالوا الأجر من رب العالمين.

سادساً: من صفات الداعية المبادرة إلى ترك المخالفات.

إن الداعية إلى الله هو أول من يبادر إلى ترك المخالفات الشرعية، اقتداء برسول الله ﷺ الذي هو قدوة الدعاة المخلصين، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[2]. ولا شك أن مبادرة الدعاة إلى الله في فعل الخيرات، وترك المنكرات،لها تأثيرها الفعال على المدعوين، وذلك لاعتقادهم بأن ما يفعله الداعية هو عين الصواب ؛ لما يحمله من علم شرعي.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، ص٨٣٥.

(2) الأحزاب: ٢١

لذا نجد أن رسول الله ﷺ قد بادر إلى تغيير اسم برة إلى زينب لما قيل : إنها تزكي نفسها.

باب من سمى بأسماء الأنبياء[1]

وقال أنس: قبل النبيَّ ﷺ إبراهيمَ . يعني ابنه .

١١٨- حدثنا ابن نمير، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا إسماعيل، قلت لأبي أوفى[2] : رأيت إبراهيم ابن النبي ﷺ ؟ . قال : مات صغيراً [3]، ولو قُضِيَ أن يكون بعد محمد ﷺ نبي عاش ابنه، ولكن لا نبي بعده.[4]

رقم الحديث: [٦١٩٤].

الموضوع الدعوي

إن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وفي حديث الباب يؤكد هذا الأمر ابن أبي أوفى فيقول : «ولو قُضِيَ أن يكون بعد محمد ﷺ نبي عاش ابنه، ولكن لا نبي بعده» .

---

(١) أي هذا باب في بيان من سمى ابنه أو أحدا من جهته باسم نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. عمدة القاري ٣١٨/١٥.

(٢) هو عبد الله بن أبي أوفى، شهد الحديبية وخيبر وبايع الرضوان، روى عنه إسماعيل خالد، والشعبي، وعبد الملك بن عمير، وغيرهم، توفي سنة ٨٧هـ أسد الغابة ١٨١/٣.

(٣) كان عمره حين مات ثمانية عشر شهراً ، وكان موته في ذي الحجة سنة عشر ، ودفن في البقيع . انظر عمدة القاري ٣١٨/١٥ قال الكرماني في قوله : « مات صغيراً » : « المفهوم من جوابه أن ظاهره لا يطابق السؤال ؛ لأنه قال رأيت إبراهيم ؟ يعني : هل رأيته؟ . فقال : «مات صغيراً» ، فهذا ليس بجوابه ، ثم أجاب بقوله : الظاهر أنه رآه مات صغيرا ....

(٤) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، عمدة القاري، ٣١٨/١٥.

وعن أنس قال : «كان إبراهيم قد ملأ المهد، ولو بقي لكان نبياً، لكنه لم يكن ليبقى، فإن نبيكم آخر الأنبياء»[1]. وقد بين الله تعالى ذلك في كتابه، فقال تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[2]، كما بين رسول الله ﷺ ذلك أيضاً لأمته فقال ﷺ : «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة !. قال : فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[3].

قال القاضي عياض : «المراد بهذاالمثل، أن الأمرَ به تم والانذار به ختم»[4].

وعن مصعب بن سعد عن أبيه : أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً فقال : أتُخَلِّفُني في الصبيان والنساء ؟! قال ﷺ : «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي»[5].

وقد أنكر بعض العلماء هذا الأثر، كالإمام النووي، والإمام ابن عبد البر، قال الحافظ ابن حجر : «فلا أدري ما الذي حمل النووي إبراهيم المذكور من كتاب تهذيب

---

(1) انظر : إرشاد الساري ١٣/١٩٧

(2) الاحزاب : ٤٠

(3) صحيح البخاري، كتاب المناقب باب خاتم النبيين ﷺ ، ص٦٧٩.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ، ص٩٣٩.

(4) اكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٧/٢٥٥.

(5) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة تبوك ص ٩٠٩.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، ص٩٧٩.

الأسماء واللغات على استنكار ذلك ومبالغته، حيث قال : هو باطل، وجسارة في الكلام على المغيبات، ومجازفة وهجوم على عظيم من الزلل»[1]. ويحتمل أن يكون استحضر ذلك عن الصحابة المذكورين فرواه عن غيرهم ممن تأخر عنهم فقال ذلك»[2].

ثم قال الحافظ رحمه الله تعالى : وقد استنكر قبله ابن عبد البر في الاستيعاب فقال : «هذا لا أدري ما هو، وقد ولد نوح من ليس بنبي، وكما يلد غير النبي نبياً، فكذا يجوز عكسه، حتى نسب قائله إلى المجازفة والخوض في الأمور المغيبة بغير علم، إلى غير ذلك، مع أن الذي نقل عن الصحابة المذكورين إنما أتوا فيه بقضية شرطية»[3].

الفوائد الدعوية:

أولاً : فضل إبراهيم ابن النبي عليه الصلاة والسلام.

ثانياً : مشروعية التسمي بأسماء الأنبياء.

---

(1) قال في إرشاد الساري : قال الحافظ ابن حجر في الإصابة وغيرها : «وهو عجيب مع وروده عن الثلاثة من الصحابة، فكأنه لم يظهر له وجه تأويله فأنكره» . إرشاد الساري ١٣/١٩٧

(2) فتح الباري ١٠/٥٧٩ وقال في إرشاد الساري : «ويحتمل ألا يكون استحضر ذلك» ١٣/١٩٨

(3) فتح الباري ١٠/٥٧٩ قال في إرشاد الساري : «إن القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع، ولا يظن بالصحابي أن يهجم على مثل هذا بظنه» ١٣/١٩٨

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : فضل إبراهيم ابن النبي عليه الصلاة والسلام .

يتبين في حديث الباب فضل إبراهيم ابن النبي عليه السلام، وقد ذكر ﷺ بعضاً من فضائله، فعن البراء قال : لما مات إبراهيم عليه السلام قال رسول الله ﷺ : «إن له مرضعاً في الجنة» [1]. وقد حزن رسول الله ﷺ على فراقه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين، وكان ظئرا لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : وأنت يا رسول الله ؟. فقال : «يا ابن عوف، إنها رحمة» ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ : «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» [2].

ثانياً : مشروعية التسمي بأسماء الأنبياء .

في حديث الباب ما يدل على مشروعية التسمي بأسماء الأنبياء، حيث سمى النبي ﷺ ابنه إبراهيم على اسم أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكان من هديه

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من سمى بأسماء الأنبياء، ص١١٩٣.

(2) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ «أنا بك لمحزون»، ص٢٥٤.
وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، ص٩٤٧.

عليه الصلاة والسلام التسمية بأسماء الأنبياء، من ذلك ما أخرجه البخاري، عن أبي موسى قال: ولد لي غلام، فأتيت به النبي ﷺ، فسماه إبراهيم، فحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إليّ، وكان أكبر ولد أبي موسى»[1].

وأخرج البخاري في الأدب المفرد من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام قال: سماني النبي ﷺ يوسف، وأقعدني في حجره، ومسح على رأسي»[2].

وأمر عليه الصلاة والسلام أصحابه بالتسمي باسمه فقال ﷺ: «تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي، فإنما بعثت قاسما أقسم بينكم»[3]. لذا ينبغي على الدعاة إلى الله حث المدعوين على تسمية أبنائهم بأسماء الأنبياء، أخذاً بهدي النبي ﷺ.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من سمى بأسماء الأنبياء، ص١١٩٣.
وصحيح مسلم مختصراً، كتاب الأدب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، ص٨٨٦.

(2) الترمذي في الشمائل المحمدية، تحقيق سيد بن عباس الجليمي، ص٢٨١ وأخرجه الإمام احمد في مسنده ٣٥/٤.

(3) سبق تخريجه، ص ٧٧٣.

باب أبغض الأسماء إلى الله(1)

١١٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ :«أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله رجلٌ تسمى مَلِك الأملاك».(2)

رقم الحديث: [٦٢٠٥].

الموضوع الدعوي

لقد اهتم عليه الصلاة والسلام بسلامة عقيدة الأمة من أن يشوبها شائب يخل بها ويقدح بكمالها . وإن من الأمور التي تقدح عقيدة المسلم بمشاركة الخالق بالمخلوق كملك الأملاك.

وفي حديث الباب يحذر ﷺ من ذلك لأنها أبغض الأسماء إلى الله قال العيني : «إنما كان: "ملك الأملاك" أبغض إلى الله تعالى وأكره إليه أن يسمى به مخلوق لأنه صفة الله ولا يليق بمخلوق صفات الله وأسماؤه، لأن العباد لا يوصفون إلا بالذل والخضوع

---

(1) أي: هذا باب يذكر فيه أبغضُ الأسماء إلى الله عزّ وجل ولم يبين ما هو أبغض الأسماء اكتفاء بما بينه في حديث الباب.
عمدة القاري ١٥/٣٢٥.

(2) مطابقة الحديث للترجمة: تؤخذ من قوله «أخنى الأسماء»
لأن أخنى أفعل من الخنى وهو الفحش من القول وكل فحش قبيح وكل قبيح مبغوض» المصدر السابق، ص٣٢٥. وطرق الحديث بنفس الباب رقم [٦٢٠٦]
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الآداب باب تحريم التسمي بملك الأملاك ، وبملك الملوك، رقم الحديث [٢١٤٣].

والعبـودية»[1]، وكان هديهﷺ حماية حمى التوحيد وذلك بحفظه عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص [2].

لذا فقد حرم الإسلام التسمي بهذه الأسماء حرصاً على سلامة عقيدة الإسلام.

قال الإمام النووي :«واعلم أن التسمي بهذا الاسم حرام وكذلك التسمي باسماء الله تعالى المختصة به كالرحمن والقدوس والمهيمن وخالق الخلق ونحوها»[3]

وبحماية عقيدة الإسلام من الخلل وحفظها من كل ما قد يخدش بكمالها يكون المجتمع المسلم إلى عز وتمكين وبالتساهل بتوحيد الله يضعف المجتمع المسلم ويكون مرتعاً لأصحاب العقائد المنحرفة نسأل الله السلامة والعافية في الدين والدنيا.

الفوائد الدعوية :

أولاً : المعاقبة بنقيض القصد.

ثانياً : تحذير المدعوين من أسباب الغرور والكبرياء وبيان عاقبتهما.

ثالثاً : الترهيب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.

رابعاً : حسن علاقة المسلم مع ربه.

---

(١) عمدة القاري ٣٢٥/١٥. وانظر ارشاد الساري ٢٠٥/١٣.

(٢) انظر حاشية كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن قاسم ص٢٩٣.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٣/١٤

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : المعاقبة بنقيض القصد.

لما كان قصد المتسمي بملك الأملاك الفخر والكبرياء بين عليه الصلاة والسلام إن أخنى اسم أي أوضع اسم عند الله من تسمى بملك الأملاك «لأنه جعل نفسه في مرتبة عليا فالملوك أعلى طبقات البشر من حيث السلطة فجعل مرتبته فوق مرتبتهم وهذا لا يكون إلا لله -عز وجل- ولهذا عوقب بنقيض قصده فصار أوضع اسم عند الله إذ قصده أن يتعاظم حتى على الملوك»[1].

قال القرطبي : «إن المسمى بهذا الاسم قد تعاطى ما هو خاص بالإله الحق، إذ لا يصدق هذا الاسم بالحقيقة إلا على الله تعالى، فعوقب على ذلك من الإذلال، والإخساس والاسترذال بما لم يعاقب به أحد من المخلوقين»[2]

فعلى الدعاة إلى الله بيان خطورات التسمي بهذه الاسماء، وأن من فعل ذلك فعاقبته عند الله الذل والهوان.

ثانياً: تحذير المدعوين من أسباب الغرور والكبرياء وبيان عاقبتهما.

لقد أمر الله نبيه بالتواضع وخفض الجناح للمؤمنين فقال تعالى :﴿ لا تَمُدَّنَّ

---

(1) القول المفيد على كتاب التوحيد لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٩/٣.

(2) المفهم للقرطبي ٤٥٥/١٥.

عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وربى ﷺ أصحابه على عدم رفعه عن منزلته التي أنزله الله إياها، فعن أنس رضي الله عنه أن ناساً قالوا يا رسول الله ياخيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. فقال: «يا أيها الناس قولوا لقلوكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل»[2]، فأرشدهم أن يصفوه بصفتين هما أعلى مراتب العبد وقد وصفه الله بهما في مواضع من كتابه، وهما قوله عبدالله ورسوله ولم يحب أن يرفعوه فوق ما أنزله الله عزّ وجل من المنزلة التي وضعها له، ومع هذا التواضع أجمع أهل العلم على أنه أشرف الخلق وأفضلهم على الاطلاق»[3].

وقد بين العلماء أن من تسمى باسم ملك الأملاك فقد نازع الله في رداء كبريائه. قال القسطلاني: «من تسمى بهذا الاسم نازع الله في رداء كبريائه واستنكف أن يكون عبدالله فيكون له الخزي والنكال»[4].

بهذا يتبين عاقبة الغرور والكبرياء من التسمي باسم ليس له لذا ينبغي على الدعاة إلى الله، حث المدعوين على البعد عن كل ما يؤدي إلى غضب الله وسخطه ليفوزوا بالدنيا والآخرة.

---

(1) الحجر: ٨٨.

(2) مسند الإمام أحمد ١٥٣/٣.

(3) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص٢٩٥.

(4) ارشاد الساري للقسطلاني ٢٠٦/١٣.

ثالثاً : الترهيب أسلوب من أساليب الدعوة.

إن الترهيب أسلوب من أساليب التأثير على المدعوين وتحذيرهم من الوقوع في المحرمات. وفي حديث الباب يبين رسول الله ﷺ ذل وهوان من تسمى بملك الأملاك على الله وأنه أبغض العباد إليه.

وقد كان هديه عليه الصلاة والسلام استعمال هذا الأسلوب مع أصحابه وفي دعوته إلى سبل القرآن الكريم مليء بهذا الاسلوب المؤثر لمن كان له قلب أو القى السلمع وهو شهيد.[1]

رابعاً : حسن علاقة المسلم بربه.

يربي الاسلام أتباعه على حسن العلاقة مع خالقهم وعدم التجاوز على حقوقه سبحانه وتعالى كما في حديث الباب.

فعلى كل مسلم أن يحسن العلاقة مع ربه ويحذر من التعدي على ما اختص الله بها، وهذا ما ربى عليه الرسول ﷺ أصحابه، فقد قال أحد الصحابة له عليه الصلاة والسلام ما شاء الله وشئت، فنهاه ﷺ عن ذلك وقال له :«أجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده».

قال الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالوهاب :«فلا يجوز أن يجعل المخلوق

(1) سبق الحديث عن مثل هذه الفائدة انظر ص ٢٨٢ .

مثل الخالق في شيء من الإلهية والربوبية ولو في أقل شيء»[1].

وهكذا ينبغي على الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر وأن يحسن المسلم العلاقة مع ربه ولا ينزل أحداً من المخلوقين منزلة الخالق ولو كان شيئاً يسيراً.

---

(1) قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين للشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالوهاب، ص٢٥١، ط مكتبة الرياض الحديثة.

غريب الحديث :

شمت : التشميت للعاطس هو الدعاء له بالخير.[1]

الموضوع الدعوي

في حديثي البابين يتبين لنا مشروعية تشميت العاطس بعد حمده لله وهو ما بينه عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة حيث قال :«إذا عطس أحدكم فليقل الحمدلله، ولقيل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله، فليقل : يهديكم الله ويصلحَ بالكم».

وتشميت العاطس حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم كما في الصحيحين عن أبي عمارة البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع، أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإبرار المتسمم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام....»[2] الحديث. وقد بين العلماء الحكمة من مشروعية الحمدَ للعاطس.

قال الحلبي : الحكمة في مشروعية الحمد للعاطس أن العاطس يدفع الأذى من

---

(1) المفهم للقرطبي ٦/٦٢٢.

(2) صحيح البخاري ، كتاب الادب، باب تشميت العاطس إذا حمد الله ص١١٩٨.
وصحيح مسلم كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم إناء الذهب والفضة، ص٨٥٦، ط الابتكار الدولية.

الدماغ الذي فيه قوة الفكر ومنه ينشأ الأعصاب التي هي معدن الحس وبسلامته تسلم الأعضاء ويظهر بهذا أنها نعمة جليلة فناسب أن تقابل بالحمد لله لما فيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة وإضافة الخلق إليه لا إلى الطبائع»[1].

قال الحافظ : ظاهر حديث أنس «يقتضي الوجوب لثبوت الأمر الصريح به ولكن نقل النووي الاتفاق على استحبابه»[2].

هذا وللعاطس آداب بينها رسول الله ﷺ منها ما ذكره أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا عطس ، وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض أو غضَ به صوته». [3]

الفوائد الدعوية :

أولاً : تأديب من ترك مندوباً أسلوب من أساليب التوجيه للمدعوين.

ثانياً: حرص الإسلام على نشر المودة والألفة بين المسلمين.

ثالثاً: حث المدعوين على تشميت العاطس.

رابعاً: التعليم وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

---

(1) الفتح، ٦٠٢/١٠.

(2) الفتح، ٦٠٠/١٠.

(3) سنن الترمذي، أبواب الأدب ، باب ما جاء في خفض الصوت، رقم ٢٧٤٦.
وسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في العطاس، رقم ٥٠٢٩.

خامساً: جواز السؤال عن علة الحكم وبيانها للسائل.

سادساً: الحمد لرب العالمين من صفات المؤمنين الشاكرين.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: تأديب من ترك مندوباً أسلوب من أساليب التوجيه للمدعوين.

إن تأديب المخالف بترك سنة من السنن أسلوب من أساليب التوجيه للمدعوين، وفي حديث أنس نجد أن رسول الله ﷺ شمت الذي حمد الله وسكت عن الآخر لتركه الحمد الذي حث عليه ﷺ، قال ابن بطال: «أراد تأديبه على ترك الحمد بترك تشميته ثم عرفه الحكم وأن الذي يترك الحمد لا يستحق التشميت»[1].

قال القرطبي: «قال بعض شيوخنا، ولا خلاف أعلمه أن من لم يحمد الله لا يشمت، وقد ترك النبي ﷺ تشميت العاطس الذي لم يحمده، ونص على أن ترك الحمد هو المانع من ذلك»[2].

وكان عليه الصلاة والسلام يستعمل هذا الأسلوب في بعض المواقف توجيهاً لأصحابه رضوان الله عليهم، ولعل من ذلك تركه رد السلام على كعب بن مالك رضي الله عنه لتخلفه عن غزوة تبوك، وقد بين العلماء أن النهي في ترك التشميت للتنزيه،

---

(1) الفتح ، ٦١١/١٠.

(2) المفهم للقرطبي ٦٢٣/٦.

قال النووي : مقتضى هذا الحديث أن من لم يحمد الله لم يشمت»[1]، قال الحافظ قلت : «هو منطوقة لكن هل النهي فيه للتحريم أو التنزيه، الجمهور على الثاني»[2].

ثانياً: حرص الاسلام على نشر المودة والألفة بين المسلمين.

اهتم الاسلام بالتأليف بين المسلمين وحث على فعل الأسباب المؤدية إلى ذلك كما بينه عليه الصلاة والسلام في فعل المحبة في الله وبين أن من أسباب المحبة إفشاء السلام فعن أبي هريرة رضي الله قال : قال رسول الله ﷺ : «ولا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[3].

وفي حديث أبي هريرة يحث عليه الصلاة والسلام على ما يؤدي إلى الألفة بين المسلمين وهو تشميت العاطس، وذلك بالدعاء له بالرحمة، ويجيب المشمت بقوله : يهديكم الله ويصلح بالكم دعوات مباركات بسبب لجلب الخير للمسلم في الدنيا والآخرة.

قال ابن دقيق العيد : «ومن فوائد التشميت تحصيل المودة والتأليف بين المسلمين وتأديب العاطس بكسر النفس عن الكبر والحمل على التواضع لما في ذكر الرحمة من

---

(1) مسلم بشرح النووي ١٨/ ١٦٣

(2) فتح الباري ١٠/ ٦١١، وانظر ارشاد الساري ١٣/ ٢٢٦

(3) سبق تخريجه ص ٥٣.

الإشعار بالذنب الذي لا يعرف عنه أكثر المكلفين»[1].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله الحرص على فعل الأسباب المؤدية إلى التأليف بين أفراد المجتمع المسلم ليكون بعد توفيق الله سبباً في توحيد كيان المجتمع المسلم وحصول العطف والرحمة فيما بينهم.

ثالثاً: حث المدعوين على تشميت العاطس.

قد يتساهل بعض المدعوين بهذه السنة وترك تشميت العاطس جهلاً بالحكم وما يترتب على التشميت من الدعاء والمغفرة أو تساهلاً في هذا الأمر.

لذا استحب بعض العلماء تذكير من لم يحمد الله بالحمد قال الإمام النووي: «يستحب لمن حضر من عطس فلم يحمد الله أن يذكره بالحمد وقد ثبت ذلك عن إبراهيم النخعي وهو من باب النصيحة والأمر بالمعروف»[2]

وفي حديث أبي هريرة حث منه ﷺ على تشميت العاطس حيث قال ﷺ: «فليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله».

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله حث المدعوين على تشميت العاطسين اتباعاً لسنة سيد المرسلين.

---

(1) نقلاً عن فتح الباري ٦٠٢/١٠.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٣/١٨، حديث رقم [٢٩٩١] وانظر فتح الباري ٦١١/١٠.

رابعاً: التعليم وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

إن تعليم المدعوين من وسائل نشر الدعوة إلى الله بل ومن وسائل حفظ العلم وبيّن عليه الصلاة والسلام أن الخيرية تحصل للمعلم كمن يعلم القرآن الكريم، حيث قال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1]. وبين الأجر العظيم لمن دعا إلى هدى فقال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً...»[2] الحديث.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يتبين لنا كيف يعلم الرسول ﷺ أصحابه، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه، يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم».

فما أعظم أن يهتم الدعاة إلى الله تعالى بتعليم الناس الخير لينالوا الأجر العظيم من رب العالمين. وقد سبق الحديث عن بيان فضل التعليم وأثره في حياة المجتمع الدعوي بما يغني عن الإطالة في هذا المقام.[3]

---

[1] صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه. ص٩٩٨

[2] صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدي أو ضلالة. ص١٠٠٤

[3] انظر مثلاً ص٤٠٥.

خامساً: جواز السؤال عن علة الحكم وبيانها للسائل.

في سؤال الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله ﷺ عن عدم التشميت للرجل أجاب عليه الصلاة والسلام بقوله: «هذا حمد الله. وهذا لم يحمد الله»، ما بين جواز السؤال عن علة الحكم وإجابة السائل لا سيما إذا كان في ذلك مصلحة.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «فيه جواز السؤال عن علة الحكم وبيانها للسائل ولا سيما إذا كان له في ذلك منفعة».[1]

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يسألونه ويجيبهم عليه الصلاة والسلام بما يفيد السائل، كما في تركه ﷺ لصلاة التراويح وعندما سأله الصحابة عن السبب بيّن ﷺ ذلك وهو خشية أن تفرض عليهم وتوفي ﷺ والأمر على ذلك.[2]

فعلى الدعاة الاقتداء بهدي سيد المرسلين في تعليم المدعوين وإجابتهم عن علة الحكم إذا كان في ذلك منفعة.

سادساً: الحمد لرب العالمين من صفات المؤمنين الشاكرين.

إن شكر النعم أمره عظيم وهو سبب للزيادة فيها كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ

---

(١) الفتح، ١٠/٦٠٢.

(٢) انظر الحديث مطولاً في صحيح البخاري كتاب صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان. ص٣٨٠.

ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾[1]. وقوله ﷺ :«إذا عطس أحدكم فليقل الحمد» ما يبين مشروعية الحمد والثناء عنه تجدد النعم. قال الشيخ محمد بن أبي جمره: «وفيه إشارة إلى عظم فضل الله على عبده فإنه أذهب عنه الضرر بنعمة العطاس ثم شرع له الحمد الذي يثاب عليه».[2]

وقال الإمام ابن القيم: ولما كان العاطس قد حصلت له بالعطاس نعمة ومنفعة بخروج الأبخرة المحتقنة في دماغه التي لو بقيت فيه أحدثت له أدواءً عسيرة شرع له حمد الله على هذه النعمة مع بقاء أعضائه على التئامها بعد هذه الزلزلة التي هي للبدن كزلزلة الأرض لها»[3].

ولا شك أن العطاس نعمة عظيمة من الله حيث يخرج بسببه ما يضر بالجسم من جراثيم وهذا مابينه الدكتور الكيلاني بقوله :«العطاس هو زفير قوي مفاجيء ، يخرج مع الهواء بقوة من الرئتين عن طريق الأنف والفم فيجرف معه طريقه من الغبار والهوام والجراثيم التي تسربت سابقاً إلى جهاز التنفس... فحق على المرء أن يحمد الله على العطاس»[4].

لذا ينبغي على الدعاة والمدعوين الحمد والثناء لرب العالمين على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

---

(1) إبراهيم: ٧.

(2) الفتح، ١٠/٦٠٩.

(3) زاد المعاد، ٢/٤٣٨.

(4) الحقائق الطبيه، ص١٥٥.

الفصل الرابع

كتاب الاستئذان

تمهيد :

يقيم الإسلام للعلاقة الاجتماعية بين الناس حرمتها، ويتولى تنظيم هذه العلاقة حباً للخير والألفة بين الناس ، ودفعاً لما يكون سبباً للفرقة والتنافر والتعدي على حقوق الآخرين، ومما يختص به المرء وحده دون غيره منزله الذي يسكن فيه ، وبيته الذي يأوى إليه، فقد حرم الإسلام تسور البيوت والاعتداء عليها ، والاطلاع على ما فيها من غير رضا صاحبها؛ ولذا جاءت الآيات المنظمة والأحاديث الموضحة لكيفية الاستئذان، وطلب الدخول في البيوت، والنظر إلى ما فيها، وتناولت ما يشمله ذلك من الأطعمة الخاصة بأصحابها، كما اعتنى الإسلام بشأن الاستئذان تلافياً لمفاجأة الناس في منازلهم حين استراحتهم، والتخفيف من ملابسهم وما يستر أبدانهم ، ومنعاً لذلك القادم من أن يفاجأهم وهم في حالة لا يريدون أحداً يشاهدهم عليها .

وقد ربى القرآن أمة الإسلام على ذلك فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) ﴾[1] وفي هذا حفظ عظيم لعورات المسلمين ، ومنع لاختلاط الرجال بالنساء ، ولكل ما يؤدي إلى المفاسد العظيمة .

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسير هذه الآية : « لما فرغ الله سبحانه من ذكر الزجر عن الزنا والقذف ، شرع في ذكر الزجر عن دخول البيوت بغير استئذان ؛ لما

(١) النور : ٢٧-٢٨.

في ذلك من مخالطة الرجال بالنساء ، فربما يؤدي إلى أحد الأمرين المذكورين[١] ، وأيضاً أن الإنسان يكون في بيته ومكان خلوته على حالة قد لا يحب أن يراه عليها غيره ، فنهى الله سبحانه عن دخول بيوت الغير إلى غاية هو قوله: ﴿حتى تستأنسوا﴾ ، والاستئناس : الاستعلام والاستخبار، أي حتى تستعلموا من في البيوت . والمعنى : حتى تعلموا أن صاحب البيت قد علم بكم، وتعلموا أنه قد أذن بدخولكم » .[٢]

وقد قرن السلام مع الاستئذان لما يبعثه من طمأنينة لصاحب الدار . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « وإنما ترجم للسلام مع الاستئذان للإشارة إلى أنه لا يؤذن لمن لم يسلم »[٣].

وقد اهتم علماء التفسير ببيان الاستئذان عندما تعرضوا لبيان الآيات المتعلقة به، كما اهتم علماء الحديث بذلك أيضاً، وببيان ما ورد في السنة من الأحاديث المتعلقة بهذا الأمر، وقد أولى الإمام البخاري رحمه الله تعالى هذا الجانب اهتماما كبيراً ، فعقد الكتاب مبوباً تحته الأبواب كعادته رحمه الله تعالى ، ورتب التراجم ترتيباً علمياً يدل على كمال الإسلام.

(١) أي : القذف والزنا.
(٢) فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ٤/١٩ ، ط دار الفكر.
(٣) فتح الباري ١١/٣ : انظر التمهيد لابن عبد البر، ١٠/٢٦٦، ترتيب الشيخ/ محمد بن عبد الرحمن المغراوي.

-كتاب الاستئذان-[1]

باب الاستئذان من أجل البصر[2]

١٢٢- عن أنس[3] بن مالك أنَّ رجلاً اطَّلَعَ مِنْ بعْضِ حُجَرِ النبيِّ [فقامَ إليه النبيُّ] بمِشْقَصٍ أو بِمشاقِصَ، فكأني أنْظرُ إليه يختِلُ الرَّجُلَ ليطْعَنهُ.[4]

رقم الحديث : [٦٢٤٢].

غريب الحديث :

اطَّلع : طلعت الشمس والقمر طلوعًا ومطْلَعًا فهي طالعة، ويقال: اطلعت الفجر اطلاعا أي: نظرت إليه حين طلع. وطلعَ فلان علينا من بعيد، وطلعته رؤيته[5]

حُجَر : جمع حجرة، الحُجرة للغرفة[6].

---

(١) الاستئذان: هو طلب الإذن في الدخول في محل لا يملكه المستأذن. فتح الباري، ٣/١١.

(٢) أي: هذا باب في بيان مشروعية الاستئذان لأجل البصر' أي شرع من أجله لأن المستأذن لو دخل بغير إذن لرأى بعض مايكره من يدخل إليه أن يطلع عليه. عمدة القاري، ٣٥٨/١٥، فتح الباري ٢٤/١١.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) مطابقته للترجمة ظاهرة. انظر عمدة القاري ٣٥٩/١٥، والحديث طرفه في كتاب الديات، باب من أخذ حقه أو اقتص دون السلطان ٦٨٨٩، وفي باب من اطلع في بيت قوم ففقأوا عينه فلا دية له رقم ٦٩٠٠، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الأدب، باب تحريم النظر في بيت غيره، رقم الحديث ٢١٥٧.

(٥) لسان العرب ٢٣٥/٨.

(٦) القاموس المحيط، ص٣٣٦، ط دار الفكر.

مشقص : المشقص نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض ، فإذا كان عريضًا فهو المعلة[1].

يختل : الختل : تخادع عن غفلة، ويختل الرجل : يداوره ويطلبه من حيث لا يشعر[2].

الموضوع الدعوي

في حديث الباب يبين لنا النبي ﷺ حرمةَ النظر إلى بيوت الآخرين دون علمهم ، ولخطورة هذا الأمر همَّ عليه الصلاة والسلام أن يطعن هذا الرجل الذي اطلع عليه من بعض حجره ﷺ ، وفي هذا تأكيد منه عليه الصلاة والسلام على عظم هذا المنكر الذي يتساهل فيه بعض الناس .

وقد ذكر الفقهاء رحمهم الله حكمَ من يقدم على مثل هذا العمل ، قال العلامة السفاريني رحمه الله تعالى : « ظاهر الحديث أن من اطلع في بيت غيره من خلل الباب أو من حجر أو ثقب فلرب الدار أن يفقأ عينه وتذهب هدراً، وهو مخصوص بمن تعمد النظر ، لا إذا وقع ذلك عن غير قصد ؛ لما في صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله قال : سألتُ رسولَ الله ﷺ عن نظر الفُجَاءة ، فأمرني أن أصرف بصري»[3].

---

(1) النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٩٠.

(2) لسان العرب ١١/١٩٩ مادة [ختل]

(3) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب : نظر الفُجاءة، ص٨٩١.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «لو اطلع في بيتك أحد ولم تأذن له، فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح»[1]. وفيهما عنه أيضاً : أن رسول الله [قال : « لو أن امرءاً اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح »[2]. فهذه الأحاديث كلها تدل على حرمة البيوت ، وأنه لا ينبغي التعدي عليها بالنظر ولا بالدخول إلا بإذن أصحابها .

قال العيني :« ويستدل به من لا يرى القصاص على من فقأ عين مثل هذا الناظر ويجعلها هدراً.

وقيل : الحديث يدل على هدر المفعول به وجواز رميه بشيء خفيف.

وقيل :هذا على وجه التهديد والتغليظ.

وقيل : هل يجوز الرمي قبل الإنذار؟ فيه وجهان : أصحهما نعم [3].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : «فذهب إلى القول بهذه الحكومة فقهاء الحديث، منهم : الإمام أحمد، والشافعي، ولم يقل بهاأبو حنيفة ومالك»[4].

ويشرع الاستئذان على كل أحد حتى على المحارم ، قال الحافظ ابن حجر : «ويؤخذ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب من أخذ حقه أو اقتص دون السلطان، ص١٣١٣، وصحيح مسلم بنحوه كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره، ص٨٩٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب من اطلع في بيت قوم ففقؤوا عينه فلا دية له، ص١٣١٦، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره، ص٨٩٠.

(٣) عمدة القاري ٣٥٩/١٥.

(٤) زاد المعاد، ص٨٣١، ط دار ابن حزم، بيروت، وانظر : نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، للشيخ محمد بن علي الشوكاني، ٣٠/٧، ط شركة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

منه أنه يشرع الاستئذان على كل أحد حتى على المحارم؛ لئلا تكون منكشفة العورة ، واستدل به على أن المرأ لا يحتاج في دخول منزله إلى الاستئذان؛ لفقد العلة التي شرع لأجلها الاستئذان، نعم ، لو احتمل أن يتجدد فيه ما يحتاج معه إليه شرع له ».[1]

وقد اتضح من كل ما تقدم اهتمام الإسلام بحرمة البيوت ، وكيف وضع عليها سياجًا من الحرمة، فحرم النظرة المختلسة الخفية ، وذلك ليعيش الإنسان آمنا داخل بيته متحررا، لا يخاف أن يطلع أحد على عورته ولا على أسراره الخاصة ، وشرع الاستئذان قبل دخول لتحقيق هذا الغرض على أتم الوجه ، فإن الإنسان يكره بطبعه أن يطلع عليه أحد سواء بشكل فجائي أو بالنظر من خلال ثقب بيته، وبهذا يظهر تقدم الإسلام وتفوقه على جميع الحضارات البشرية من جميع النواحي، ومنها تنظيمه للعلاقات الإنسانية الاجتماعية.

الفوائد الدعوية :

أولاً : على الدعاة أن يبينوا للمدعوين حرمةَ النظر إلى البيوت .

ثانياً : حث المدعوين على غض البصر .

ثالثاً : حرص الإسلام على حفظ مجتمع الدعوة واستقراره .

رابعاً : تربية المدعوين على الاستئذان .

---

(١) فتح الباري ١١/٢٥

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : على الدعاة أن يبينوا للمدعوين حرمةَ النظر إلى البيوت .

قال تعالى مثنياً على من قام بالدعوة إليه سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1] وإن الداعية في مجتمعه يقوم بتوجيه المدعوين إلى ما فيه صلاحهم في الدين والدنيا ، وبنشر العلم بينهم ، فإن الجهل سبب لكثرة الأخطاء في المجتمع المسلم ؛ لذا فإن على الداعية أن يبين للمدعوين حرمة البيوت وخطر انتهاكها ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمانُ قلبَه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته »[2].

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة ، فيأخذ من عمله ما شاء ، فما ظنكم »[3].

لذا ينبغي على الداعية الاهتمام بهذا الجانب وتحذير المدعوين من النظر إلى بيوت الآخرين ، وكشف أستارهم في بيوتهم التي ستر الله بها عليهم .

---

(١) فصلت ٣٣.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ص٧٣٨، وقال ﷺ « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم » سنن ابي داود كتاب الأدب، باب في التجسس، ص٧٣٩.

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة، باب حرمة نساء المجاهدين وإثم من خانهم فيهن، ص٧٨٨ .أي : تحريم التعرض لهن بريبة ، من نظر محرم ، وخلوة ، وحديث محرم وغير ذلك .

ثانياً : حث المدعوين على غض البصر.

يظهر لنا في هذا الحديث خطورة النظر إلى عورات المسلمين ، وقدحذر الإسلام من ذلك في الأماكن العامة، فكيف إذا نفذ البصر إلى داخل البيوت على غفلة من أهلها، فإنه لا شك أن ذلك أشد وأعظم؛ لذا نادى الله سبحانه عباده المؤمنين حاثًا لهم على غض البصر فقال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[1].

وما شرع الاستئذان إلا من أجل حفظ البصر عن بيوت ومحارم الناس؛ لأن من نظر فقد دخل، كما ورد التصريح بذلك فيما أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي وحسنه من حديث ثوبان رفعه : «لا يحل لامرىء مسلم أن ينظر في جوف بيت امرىء حتى يستأذن، فإن نظر فقد دخل...»[2] أي صار في حكم الداخل .[3]

وحرص عليه الصلاة والسلام على تربية أمته على حفظ أبصارهم عن ما حرم الله، وأوصاهم بذلك، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إياكم والجلوس في الطرقات». فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بدٌّ، نتحدث فيها. فقال : «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه» . قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غض البصر، وكفّ الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) النور : ٣٠ ـ ٣١

(٢) سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يخص الإمام نفسه بالدعاء، قال أبوعيسى حديث حسن، ٢/٣٠.

(٣) فتح الباري ١١/٢٤

المنكر » متفق عليه [1].

ففي هذا الحديث الشريف قدم ﷺ غض البصر على بقية حقوق الطريق المذكورة، فدل هذا على أهميته، ولأن ما يترتب على إطلاق البصر من المفاسد أكثر وأشد وأعظم ، فإن النار من مستصغر الشرر.

فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يحثوا المدعوين على غض البصر، ويبينوا لهم المفاسد والمخاطر المترتبة على إطلاقه.

ثالثاً : حرص الإسلام على حفظ مجتمع الدعوة واستقراره .

إن في إيقاع العقوبة على من يعتدي على عورات المسلمين سبباً لاستقرار المجتمع المسلم، حيث يأمن المسلم على نفسه داخل بيته، وقد أنكر الإسلام على من يهتك ستر عورات المسلمين داخل بيوتهم كما في حديث الباب. وهدده بالعقوبة جزاء على عمله المشين.

وعلى كل مسلم الحرص على هذا الجانب ؛ لأن المسلم إذا لم يأمن على عورته يكون قلقاً ، فإذا علم أن شخصاً يترصد لرؤيته من داخل منزله لا يطمئن، ولا يهدأ له بال حتى يعلم يقيناً زوال هذا الأمر . ويجب الإنكار على كل من عرف بهذا العمل المحرم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب قول الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً »، ص١١٩٩، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، ص٨٧٨.

ولمزيد فائدة انظر : النظر في أحكام النظر بحاسة البصر لابن القطان الفاسي، ط دار الصحابة للتراث، بطنطا.

الحرم، لأن المجتمع المسلم يد واحدة، وصفهم الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد السفيه كما قال الله سبحانه: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .[1]

إن المجتمع المسلم يعيش الأمن والاستقرار في حياته الإسلامية ما يفوق أصحاب الحضارات المادية الذين بلغوا في تقدمهم العلمي شأواً بعيداً، لكنهم أعرضوا عن الصراط المستقيم، فدب فيهم الرعب، وانتشرت في مجتمعاتهم الجرائم، فلا يبالي أحدهم أن يكشف عورة جاره أو يعتدي على عرضه أحياناً .

والحمد لله على نعمة الإسلام الذي أسعد البشرية، ونظم حياتها الاجتماعية، حتى أصبح المسلم ينام في بيته قرير العين على نفسه وعرضه.

رابعاً : تربية المدعوين على الاستئذان .

إن من الأمور المعينة على تقليل المنكرات في المجتمع المسلم التربية على الأخلاق الفاضلة، أخلاق الإسلام؛ لذا اهتم عليه الصلاة والسلام بهذا الأمر اهتماماً عظيماً، وامتثل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لهذا الأمر وتربوا عليه. روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: استأذن عمرُ على النبي ﷺ فقال: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أيدخل عمر؟»[2].

وعن الربعي بن عامر رضي الله عنه أن رجلاً استأذن على رسول ﷺ وهو في بيت

(١) التوبة ٧١.
(٢) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، للجيلاني ٢/٥٢١، ط المطبعة السلفية ومكتبتها.

فقال: ألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له: قل: السلام عليكم أأدخل؟». فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أأدخل؟. فأذن له النبي ﷺ فدخل»[1].

ومن أدب الاستئذان أن يعيد المستأذن السلام ثلاثاً إن لم يرد عليه، وكان هذا من هديه ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه «إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً»[2].

ومن أدب الاستئذان أنه إذا لم يؤذن له يرجع بطيب قلب وعدم قلق نفسي، فقد رجع إمام الأمة وقدوتنا عليه الصلاة والسلام، روى قيس بن سعد قال: «زارنا رسولُ الله ﷺ في منزِلنا فقالَ: السلامُ عليكُم ورحمةُ الله. فرد سعدٌ ردًا خفيًا، قال قيسُ: فقلتُ: ألا تأذنَ لرسولِ الله ﷺ؟ فقال: ذره يُكْثِر علينا من السلام! فقالَ رسول الله ﷺ: السلام عليكم ورحمة الله. فرد سعد ردًا خفيًا، ثم قال رسول الله: السلامُ عليكُم ورحمةُ الله. ثم رجعَ رسولُ الله ﷺ واتبعه سعد فقال: يارسول الله إني كنت أسمعُ تسليمك وأرد عليك ردًا خفيًا لتكثر علينا من السلام. قال: فانصرف معه رسول الله ﷺ، فأمر له سعد بغسل فاغتسل، ثم ناوله ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها، ثم رفع رسول الله ﷺ يديه وهو يقول: «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة»...[3].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان، ص٧٨٠.
(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، ص٤٤.
(٣) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان، ص٧٨١.

وسار على هذا الهدي صحابة رسول الله ﷺ : فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاء أبو موسى فاستأذن على عمر ثلاثا، فلم يؤذن له، فرجع، فقال عمر : لئن لم تأتني ببينة، أو لأ فعلن بك، فأتى الأنصار فقال : ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع، قال : فقالوا : لا يشهد لك إلا أصغرنا، قال أبو سعيد : فأتيت فشهدت له»[1].

ولا شك أن الرجوع عند عدم إذن صاحب الدار بالدخول من الأخلاق الإسلامية العالية التي ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم، فعلى الدعاة تربية المدعوين على هذا الخلق الكريم الذي أمر به ديننا الإسلامي، وطبقه نبينا محمد ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم تطبيقاً عملياً.

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثا، ص١٢٠٢، وصحيح مسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان، ص٨٨٨.

باب زنا الجوارح دون الفرج[1]

١٢٣ ـ عن ابن عباس[2] رضي الله عنهما قال : ما رأيت شيئاً أشْبَهَ باللَّمم[3] مما قال أبُو هُرَيْرة عن النبيِّ ﷺ : إنَّ اللَّهَ كَتَبَ على ابْنِ آدمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنا أدْرَكَ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ: النَّظَر، وَزِنَا اللِّسَان : المَنْطِق، والنَّفْسُ تَتَمَنَّى وتَشْتَهِي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّه ويُكَذِّبُه»[4].

رقم الحديث : [٦٢٤٣].

الموضوع الدعوي

في حديث الباب يبين لنا رسول الله ﷺ عظم أثر هذه الحواس - العين واللسان- في جر ابن آدم إلى المعصية ، وأنه لا محالة يرتكب بعض الآثام الصغار من هذه الجوارح، وأن الزنا لا يختص بالفرج فقط كما في الحديث فَزِنَا العَيْنِ :النَّظَر ، وَزِنَا اللِّسَان : المَنْطِقُ . . .

---

(١) أي : هذا باب في بيان زنى الجوارح دون الفرج، وهي جمع جارحة، وجوارح الإنسان أعضاؤه التي يكتسب بها، وأشار بهذه الترجمة إلى أن الزنى لا يختص إطلاقه بالفرج بل يطلق على مادون الفرج،عمدة القاري، ١٥/٣٥٩

(٢) سبق ترجمته .

(٣) اللَّمم بفتح اللام والميم هو مقاربة المعصية ويقربه عن الصغيرة، انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص٤٥٤، وانظر النهاية في غريب الحديث،٤/٢٢٧.

(٤) مطابقته للترجمة في قوله « فَزِنَا العَيْنِ :النَّظَر ... »الخ ». انظر : عمدة القاري ١٥/ ٣٦٠. وقال الحافظ ابن حجر قوله « أدْرَكَ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ » أي : لا بد له من عمل ما قدر عليه أن يعمله . وبهذا تظهر مطابقة الحديث للترجمة . انظر : فتح الباري ١١/ ٥٠٤
والحديث طرفه في كتاب القدر، باب (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون)، وأخرجه مسلم في كتاب القدر، باب قُدِّر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، رقم الحديث٢٦٥٧.

قال ابن بطال: «أطلق عليها زنا لأنها من دواعيه، فهو من إطلاق المسبب على السبب مجازاً»[1]

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بحفظ هذه الحواس من الزلل، وخصوصاً ما يؤدي بها إلى الزنا فقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ..... ﴾[2].

قال الإمام الشوكاني في تفسيره: «ومعنى غض البصر: إطباق الجفن على العين بحيث تمتنع الرؤية، ومنه قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير　**　فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وقال أيضاً ـ أعني الشوكاني ـ: «وفي الآية دليل على تحريم النظر إلى غير من يحل النظر إليه»[3].

ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى لما نهى عن الزنا بأمره بحفظ الفروج أمر أولاً بغض البصر، وذلك لكون البصر من أقوى أسباب الزنا.

وقد بين الله جلَّ ذكره أن هذه الحواس تسأل يوم القيامة عما عملت فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[4]

ومعنى قوله: «أدرك ذلك لا محالة» ﷺ أي لا بد له من عمل ما قدر له أن يعمله.

---

(١) فتح الباري ١١/٥٠٤.

(٢) النور ٣٠ ـ ٣١

(٣) فتح القدير ٤/٢٢

(٤) الاسراء: ٣٦.

قال ابن بطال : « كل ما كتبه الله على الآدمي فهو قد سبق في علم الله وإلا فلا بد له أن يدركه المكتوب عليه ، وإن الإنسان لا يستطيع أن يدفع عن نفسه إلا أنه يلام إذا واقع ما نهي عنه بحجب ذلك عنه وتمكينه من التمسك بالطاعة ، فبذلك يندفع قول القدرية والجبرة ، ويؤيده قوله : « والنَّفْسُ تَتَمَنَّى وتَشْتَهِي » ؛ لأن المشتهي بخلاف المُلَجأ »[1].

إن الإسلام حرص على حفظ هذه الحواس لأن بحفظها يسلم المسلم من الآثام القولية والفعلية إلا اللمم ، ويبقى المسلم -بتوفيق الله - بعيدا من الآثام القولية والفعلية ، ويسلم من مكائد الشيطان الرجيم الذي يتربص بالمسلم الصادق ليوقعه في المعاصي والذنوب ، ويفسد علاقته بربه تعالى ، نسأل الله الهداية والتوفيق .

الفوائد الدعوية :

أولاً :حث المدعوين على حفظ جوارحهم من مقدمات الزنا .

ثانياً :تحذير المدعوين من احتقار صغائر الذنوب .

ثالثاً :بيـــان سـعة رحمة الله بعبـاده المؤمنين .

رابعاً : حرص الإسلام على حفظ المجتمع المسلم من الانحراف الأخلاقي

خامساً :حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على نشر العلم .

---

(١) فتح الباري ٥٠٤/١١.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : حث المدعوين على حفظ جوارحهم من مقدمات الزنا .

في حديث الباب بين لنا ابن عباس رضي الله عنهما صغائر الذنوب فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ، وأن المسلم يقع فيها لا محالة ، ومع ذلك فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالابتعاد عن مقدمات الزنا التي قد تؤدي بهم إلى الوقوع في الجريمة ، ومن أخطر الوسائل المؤدية إلى جريمة الزنا :

١ ـ النظر المحرم.

٢ـ اللسان.

٣ـ النفس الأمارة بالسوء.

وقد أمر الله المؤمنين والمؤمنات بغض البصر كما أسلفنا ، فقال جل وعلا : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ .... ﴾[1] . وحرض رسول الله ﷺ أمته على حفظ أبصارهم ، وحذرهم من إطلاقها في المحرمات ، فعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والجلوس في الطرقات » قالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بدٌ ، نتحدثُ فيها . فقال رسولُ الله ﷺ : « فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقَّه » . قالوا : وما حق الطريق يا رسولَ الله ؟ قال : « غض البصر ، وكفّ

---

(١) النور : ٣٠ ـ ٣١

الأذى ، وردّ السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » متفق عليه[1].

وأمر ﷺ بحفظ اللسان من كلام الفحش والخنا الذي قد يؤدي إلى الزنا فقال عليه الصلاة والسلام : « منْ يضْمنُ لي ما بيْن لحْييْه وما بيْنَ رِجْلَيْه أضْمنُ لَه الجَنَّة »[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من وقاه الله شرَّ ما بيْن لحْيَيْه وشرَّ ما بيْنَ رِجْلَيْه دَخَلَ الجَنَّةَ »[3].

وذكر سبحانه وتعالى أن النفس أمارة بالسوء إلا من رحم الله فقال تعالى : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي﴾[4] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى :« أي لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء ، أي الفاحشة وسائر الذنوب ، فإنها مركب الشيطان ، ومنها يدخل على الإنسان ﴿إلا من رحم ربي ﴾، فنجاه من نفسه الأمارة حتى صارت نفسُه مطمئنة إلى ربها ، منقادة لداعي الهدى ، متعاصية عن داعي الردى ، فذلك ليس من النفس بل من فضل الله ورحمته بعبده » .[5]

فعلى الدعاة إلى الله حث المدعوين على حفظ جوارحهم من مزالق الشر ، ففي ذلك النجاة بمشيئة الله تعالى من عقوبة الدنيا والآخرة .

---

(١) سبق تخريجه ص ٨١٥.

(٢) سبق تخريجه ص ٥٨٤ .

(٣) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب: حفظ اللسان، وقال حديث حسن غريب ١٢٩/٧ .

(٤) يوسف : ٥٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٣٥٦.

ثانياً : تحذير المدعوين من احتقار صغائر الذنوب .

حذر الإسلام من صغائر الذنوب حمايةً من الوقوع في كبارها ، فإن لكل كبيرةٍ مقدمات ، ومقدماتها صغائر الذنوب ، فإذا امتنع المسلم من الوقوع في مقدمات الكبائر سلم من الوقوع في الكبائر ، وقد ضرب رسول الله ﷺ لأمته في ذلك أروع مثال وأبينه ، حيث شبه المحتقر للصغائر غير آبه بها ولا مكترث بالابتعاد عنها بالراعي يرعى حول الحمى ، فعن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المُشَبَّهَات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشُّبُهَات : كراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه....»[1]

فمن بعد في رعيه عن حمى الآخرين يكون في أمن من الوقوع فيه ، وفي هذا تنزيه للنفس البشرية، وحماية للمجتمع من الوقوع في الجرائم . وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه باباً قال فيه : باب ما يتقى من محتقرات الذنوب ، عن غيلان، عن أنس رضي الله عنه قال : إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات. قال أبو عبد الله: يعني بذلك المهلكات[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ص٣٤، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب المساقاه، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ص٦٥١.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق، باب مايتقى من محقرات الذنوب، ص١٢٤٥.

ثالثاً : بيان سعة رحمة الله بعباده المؤمنين .

في حديث الباب يتبين لنا سعة رحمة الله بعباده المؤمنين ، حيث لم يؤاخذهم على أخطائهم الواقعة من دون قصد وحب لارتكاب المعاصي ، وهذا من فضل الله تعالى على عباده . قال المهلب : « كل ما كتبه الله عزّ وجلّ على ابن آدم فهو سابق في علمه لا بد أن يدركه المكتوب ، وإن الإنسان لا يملك دفع ذلك عن نفسه ، غير أن الله تعالى تفضل على عباده ، وجعل ذلك لمماً وصغائر لا يطالب بها عباده إذا لم يكن للفَرْجِ تصديق لها ، فإذا صدق الفرْجُ كان ذلك من الكبائر ».(١)

ومن رحمته تعالى بعباده المؤمنين أن من همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنةً كاملةً ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عزَّ وجلَّ قال : قال : إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملةً ،فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنةً كاملةً ، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئةً واحدةً » .(٢)

وقد بين الله تعالى رحمته بعباده المسرفين على أنفسهم بارتكاب المعاصي ، وحذرهم من القنوط من رحمته تعالى فقال : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٣)

---

(١) عمدة القاري، ١٥/٣٦٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة، ص١٢٤٤-١٢٤٥، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذاهم بسيئة لم تكتب، ص٧٧.

(٣) الزمر : ٥٣.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : « هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، فإن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت ، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر ».(1)

رابعاً : حرص الإسلام على حفظ المجتمع المسلم من الانحراف الأخلاقي

أتى الإسلام بأحكامه العظيمة ليحفظ المجتمع المسلم من الانحرافات الأخلاقية ، والتي من أخطرها جريمة الزنا التي تسبب هتك الأعراض واختلاط الأنساب ، وحذر منها عزَ وجلَ فقال :﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ (2) .

وقد بين الله سبحانه أن من صفات عباد الرحمن الابتعاد عن هذه الجريمة، فقال تعالى في وصفه لهم : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾(3)

وإذا كان الإنسان يعذر باللمم من الذنوب فإن النفس أمارة بالسوء ؛ لذا قال عليه الصلاة والسلام في حديث الباب : « والنَفْسُ تَتَمَنَى وتَشْتَهِي ، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلك كُلَه أَوْ يُكَذِّبُه ».

وفي عصرنا الحاضر كثرت المغريات التي من أخطرها وأشدها إثارة للشهوات

(1) تفسير القرآن العظيم ٦٣/٤
(2) الاسراء ٣٢.
(3) الفرقان : ٦٨-٦٩.

وسائل الإعلام الحديثة ، كالقنوات الفضائية التي تبث الأفلام الجنسية ، والمجلات التي تنشر الصور العارية ، والإذاعات التي تبث الأغاني الماجنة والتي تثير الغرئز الجنسية عند بعض المسلمين ، وهذا الأمر يتطلب من الدعاة بذل مزيد من الجهد في حفظ المجتمع المسلم من الانحراف الأخلاقي ، وذلك بتوعية الناس وإرشادهم وتحذيرهم من الأسباب التي قد تؤدي بهم إلى الوقوع في الزنا ، والحرص على شغل فراغهم بما ينفع ويفيد.

وقد مر معنا فيما سبق ما قام به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من نفي لنصر بن حجاج[1] عندما تغنت به بعض النساء ، وفتن النساء بحركاته ، ولا شك أن هذا التصرف من أمير المؤمنين نابع عن حرصه الشديد على حفظ مجتمع الدعوة من الانحراف الأخلاقي ، فحري بالمسلمين أمراء وعلماء أن يحرصوا على حفظ مجتمعهم من كل أسباب الفساد وانحراف الأخلاق.

خامساً :حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على نشر العلم .

في قول ابن عباس رضي الله عنهما : «ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ» ما يدل على حرص صحابة رسول الله في نشر العلم بين المسلمين وتبليغ سنة سيد المرسلين امتثالاً لأمره ﷺ حيث قال : «بلغوا عني ولو آية...»[2]، وفي هذا من النفع للمسلمين مالا يحصى ، فبنشر العلم يكون المجتمع المسلم على بصيرة من أمره وفقه في دينه ، لذا ينبغي على الدعاة الحرص على نشر العلم الشرعي بين المسلمين.

(١) انظر الفصل الثاني : كتاب اللباس ، باب لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، ص ٣٥٧ .

(٢) سبق تخريجه ص ٢٩٣ .

باب التسليم على الصبيان [1]

١٢٤ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم وقال : كان النبي ﷺ يفعله .[2]

رقم الحديث : [٦٢٤٧].

باب تسليم الكثير علي القليل

١٢٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد والقليل على الكثير»[3].

رقم الحديث : [٦٢٣١]

الموضوع الدعوي

في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه يتبين لنا أدب من آداب الإسلام الفاضلة التي أمر الله ورسوله ﷺ بها، وحث على تطبيقها، إنها تحية الإسلام الخالدة، تحية السلام التي بين الله سبحانه أهميتها في حياة المسلمين فقال جلَّ وعلا : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا

(١) أي : هذا باب في بيان مشروعية التسليم على الصبيان، عمدة القاري، ١٥/٣٦٤.
(٢) مطابقته للترجمة ظاهرة، المصدر السابق، ١٥/٣٦٤.
(٣) مطابقته للترجمة ظاهرة، والحديث طرفه بنفس الكتاب برقم ٦٢٣٢، ٦٢٣٣، ٦٢٣٤.

﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، قال قتادة : إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنا كنا نؤمر بذلك، وحُدثنا ان الملائكة ترد عليه. وقال عطاء: «ولا أثر وجوبه عن أحد ولكن هو أحبّ إلي وما أدعه إلا ناسيا»[2]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[3]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله تعالى آدم -عليه السلام- قال : اذهب فسلم على أولئك ـ نفرمن الملائكة جلوس ـ فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك . فقال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليك ورحمة الله . فزادوه ورحمة الله » متفق عليه[4].

وسأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ : أي الإسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »[5].

إن لإفشاء السلام أثرَه العظيم في مجتمع الدعوة ، وهو سبب لغرس المحبة بين المسلمين ودخول جنة رب العالمين ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله

---

(١) النور ٦١

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص١٢٢٨، ط بيت الأفكار الدولية.

(٣) النساء ٨٦

(٤) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، ص١١٩٩، وصحيح مسلم، كتاب الجنة باب يدخل أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، ص١١٤١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، ص٢٦، ط بيت الأفكار الدولية، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، ص٤٩، ط بيت الأفكار الدولية.

ﷺ : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلامَ بينكم »[1].

وفي الحديث أيضا مشروعية السلام على الصبيان ، قال النووي : « وأما الصبيان فالسنة أن يسلم عليهم »[2].

هذه أخلاق الإسلام العظيمة التي غرسها في نفوس أتباعه ، وكم يحس المسلم بالراحة والسعادة وهو يرى هذه السنة تنتشر بين المسلمين ويهتمون بها ؛ لما لها من الأجر العظيم عند الله سبحانه وتعالى ، روى عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : السلام عليكم . فرد عليه ثم جلس ، فقال النبي ﷺ : « عشر » . ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله . فرد عليه فجلس ، فقال : « عشرون » . ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فرد عليه فجلس ، فقال : « ثلاثون »[3] .

الفوائد الدعوية :

أولا : من صفات الداعية اقتفاء أثر رسول الله ﷺ وحث الناس على ذلك.

ثانياً : من صفات الداعية التواضع مع الصبيان.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، ص٥٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/١٤٩

(٣) سنن الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما ذكر في فضل السلام قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، ٧/٢٣١، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كيف السلام، ص٧٨٢، ط دار ابن حزم.

ثالثاً : حث المدعوين على تربية وتدريب صبيانهم على آداب الشريعة .

رابعاً : مراعاة الجانب النفسي في شخصية الصبي .

خامساً : بيان آداب السلام للمدعوين.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولا : من صفات الداعية اقتفاء أثر رسول الله ﷺ وحث الناس على ذلك.

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ أحرص الناس على الأخذ بهديه ﷺ وتعليمه الناسَ ، فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يمرّ على الصبيان فيسلم عليهم ويقول : «كان النبي ﷺ يفعله». إن هذا التطبيق العملي لهديه ﷺ ، هو ما عرف به صحابة رسول الله ﷺ ومنهم أنس بن مالك -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين-.

وإن صفات الداعية إلى الله التمسك بهديه ﷺ والأخذ بسنته القولية والفعلية ليكون قدوة في مجتمعه أمام المدعوين ، وكثيرا ما يهمل بعض الدعاة هذه السنن تساهلاً أو انشغالاً ، والأولى الحرص الشديد على اقتفاء أثر النبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة كما كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يعملون ، فقد كانوا يغضبون على من يخالف سنته ﷺ ، وقد يهجرون من يصر على المخالفة بعد نصحه وتوجيهه ، فعن أبي سعيد عبد الله بن مغفل رضي الله تعالى عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن

الحذف[1] وقال: «إنه لا يقتل الصيد، ولا ينكأ العدو[2]، وإنه يفقأ العين، ويكسر السن».[3]. وفي رواية أن قريباً لابن مغفل حذف فنهاه وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن الحذف وقال: «إنها لا تصيد صيداً». ثم عاد فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم عدت تحذف !؟ لا أكلمك أبداً».

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ بهدي الرسول ﷺ في تقبيله عليه الصلاة والسلام للحجر الأسود ويقول: لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك[4].

فعلى الدعاة إلى الله تعالى الحرص على اقتفاء سنة رسول الله ﷺ وحث المدعوين على ذلك، لما في ذلك من الخير الكثير للدعاة والمدعوين وللمجتمع الإسلامي كله.

ثانياً: من صفات الداعية التواضع مع الصبيان.

لقد كان النبي ﷺ أكثر الناس وأكملهم تواضعاً امتثالاً لأمر ربه سبحانه وتعالى

---

(١) رمي الحصاة.

(٢) أي: لا يقتله.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب النهي عن الخذف، وصحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ما يستعان به على الاصطياد والعدو وكراهة الخذف، ص٨٠٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب تقبيل الحجر، ص٣١١، صحيح مسلم، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، ص٥٠٢، ط بيت الأفكار الدولية.

القائل: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام ـ كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ـ أنه «كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ فتنطلق به حيث شاءت»[2].

وفي إخبار أنس رضي الله عنه عندما سلم على الصبيان بأن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك بيانٌ لتواضعه ﷺ مع الصبيان، وحبه لتعويدهم على تحية الإسلام. قال ابن بطال: «في السلام على الصبيان طرح الأكابر رداء الكبر، وسلوك التواضع ولين الجانب»[3].

إن الصغار بأمس الحاجة إلى العطف والحنان وإظهار سماحة الإسلام، وهذا ما كان يفعله عليه الصلاة والسلام معهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم، ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم»[4].

قال الإمام العيني: وسلامه ﷺ على الصبيان من خلقه العظيم وأدبه الشريف»[5].

فعلى الدعاة إلى الله أن يخفضوا الجناح للمؤمنين، ويعطفوا على صغارهم، ويلينوا لهم الجانب اقتداء بهدي نبيهم محمد ﷺ. والذي أثنى عليه ربه بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[6]، وهو قدوتنا عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى:

---

(١) الشعراء: ٢١٥

(٢) الحديث سبق شرحه في كتاب الأدب. باب الكبْر. ص ٧٥١

(٣) فتح الباري ١١/٣٣ وانظر إرشاد الساري ١٣/٢٥١

(٤) صحيح بن حبان. كتاب البر. باب ذكر ما يستحب للمرء استعمال التعطف على صغار أولاد آدم ٢/٢٠٦.

(٥) عمدة القاري. ١٥/٣٦٤

(٦) القلم ٤

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1] .

ثالثاً :حث المدعوين على تربية وتدريب صبيانهم على آداب الشريعة .

في تسليمه ﷺ على الصبيان حكمة عظيمة ، وهي تدريبهم وتعويدهم على آداب الشريعة الإسلامية الغراء ، قال ابن بطال : « في السلام على الصبيان تدريبهم على آداب الشريعة »[2] . وقال القرطبي : «وقال أكثر العلماء :التسليم عليهم أفضل من تركه. وساق حديث أنس ، ثم قال : وهذا من خلقه العظيم ﷺ ، وفيه تدريب للصغير ، وحض على تعليم السنن ورياضة لهم على آداب الشريعة فيه ، فلتقتد »[3].

وقال العيني : « فيه تدريب الصبيان على تعليم السنن ، ورياضة لهم على آداب الشريعة ليبلغوا متأدبين بآدابها »[4].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله حث المدعوين على تربية صبيانهم على آداب الإسلام والتي منها أدب السلام، أسوة بنبيهم ﷺ في حرصه على تدريب الصبيان على أحكام الإسلام ، فقد حثّ ﷺ على أمر الأولاد بالصلاة لسبع ، وذلك في الحديث الذي رواه عمر بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : « مروا

---

(١) الأحزاب : ٢١.
(٢) فتح الباري ٣٣/١١
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٢/٥ ، ط دار السلام للتراث .
(٤) عمدة القاري، ٢٦٤/١٥، وانظر الكرماني بشرح البخاري ٨٧/٢٠

أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع »[1].

وعن أبي ثربة سبرة بن معبد الجهني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر»[2].

وفي إنفاذ هذا التوجيه النبوي الكريم تدريب للغلام على الاستعداد للقيام بالركن الثاني من أركان الإسلام ، فهو يتدرب عليها حين بلوغه سبع سنين ، وفي العاشرة يضرب عليها عند تخلفه عنها .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «كنتُ خلفَ النبيِّ ﷺ يوما فقال : «يا غُلام إني أُعلِمُكَ كلماتٍ : احفظ اللهَ يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ ، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله ، واعلمْ أن الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعُوك بشيءٍ لم ينفعُوك إلا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ لك ،وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك ، رفعتْ الأقلامُ وجفتْ الصحفُ» رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .[3]

فعلى الدعاة إلى الله إعطاء هذا الجانب أهميةً كبيرةً في صفوف المدعوين ، فإن

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٧٧ .

(٢) سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ماجاء متى يؤمر الصبي بالصلاة، قال أبو عيسى : حديث سبرة بن معبد الجهني، حديث حسن صحيح، ٢/٧٤-٧٥، وسنن أبي داود، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ص٨٤، ط ابن حزم.

(٣) سنن الترمذي، أبواب القيامة، باب «ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»، ٧/٢٠٣، وقال حديث حسن صحيح.

تعويد النشء على طاعة الله، والحرص على تبصيرهم بدين الله من أهم الأسباب المعينة بعد توفيق الله على هدايتهم واستقامة سلوكهم، وتحليهم بالأخلاق والآداب الإسلامية الفاضلة، والبعد عن أخلاق غير المسلمين.

رابعاً : مراعاة الجانب النفسي في شخصية الصبي .

إن الإسلام يهتم بتربية الصبي على طاعة الله وتدريبه على آداب الإسلام، ولاشك أن في هذا الأمر مراعاةً للجانب النفسي عند الصبي، فإذا شعر أن الكبار يقيمون له وزنًا عندهم، وذلك بالسلام عليه فإن نفسيته ترتفع ويقبل على أحكام هذا الدين الحنيف، الذي اهتم بشخصيته، فهذا نبي الأمة ﷺ يسلم على الصبيان اهتمامًا بنفسياتهم ورفعًا لمعنوياتهم، وهكذا الداعية إلى الله يسير على هذا الهدي النبوي الكريم.

خامسًا : بيان آداب السلام للمدعوين:

إن الإسلام اهتم بافشاء السلام بين المسلمين وقد بين عليه الصلاة والسلام بعض آداب السلام كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد، والقليل على الكثير»، وهذا بيان منه ﷺ لآداب السلام وقد قال عليه الصلاة والسلام: «يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير».

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله بيان هذه الآداب للمدعوين للأخذ بها.

باب كيف يُردُّ على أهل الذمة السلام[1]

١٢٦- عن عبد الله بن عمر[2] رضي الله عنهما: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ الْيَهُودُ فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهم: السَّامُ[3] عَلَيْكَ. فقل: وعليك»[4].

رقم الحديث: [٦٢٥٧].

١٢٧- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ»[5].

رقم الحديث: [٦٢٥٨].

وفي رواية «مرَّ يهوديٌّ برسولِ الله ﷺ فقالَ: السام عليكَ؟ فقال رسول الله ﷺ: «وعليك»، فقالَ رسولُ اللهُ ﷺ «أتدرون مايقول»؟ قال: السام عليك»، قالوا: «يارسولَ الله ألا نقتلُه؟ قال: «لا، إذا سلَّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم». **من الطرف رقم ٦٩٢٦.**

---

(١) أي: هذا باب في بيان كيفية رد السلام على أهل الذمة. وفيه إشعار بأن رد السلام على أهل الذمة لا يمنع فلذلك ترجم بالكيفية، عمدة القاري، ٣٧١/١٥.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) السام: قيل: هو الموت العاجل. فتح الباري ٤٢/١١

(٤) مطابقته للترجمة من حيث إن فيه كيفية رد السلام على أهل الذمة. عمدة القاري، ٣٧١/١٥، والحديث طرفه في كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عَرَّضَ الذمي وغيره بسب النبي ﷺ، والحديث أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، رقم الحديث ٢١٦٤.

(٥) مطابقته للترجمة مثل المطابقة المذكورة في الحديث السابق، المصدر السابق، ٣٧٢/١٥، والحديث أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب السلام، رقم الحديث٢١٦٣.

الموضوع الدعوي

في حديثي الباب يبين لنا رسول الله ﷺ ما يضمره اليهود للمسلمين من شر ، وما يتمنونه للمؤمنين من موت عاجل غير آجل ، فيقول ﷺ : « إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ اليَهُودُ فَإِنَّمَا يقُولُ أحَدُهم : السَّامُ عَلَيْكُم ». ويعلمنا ـ وهو إمام الأمة ومعلمها ـ كيفيةَ الرد عليهم فيقول ﷺ : « فَقُولُوا : وَعَلَيْكُم » .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي بصرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنا غادون إلى يهود فلا تبدؤوهم بالسلام ، فإذا سلموا عليكم فقولوا : وعليكم »[1].

وفي هذا توجيه منه عليه الصلاة والسلام بعدم بدئهم بالسلام ، وبيان لكيفية الرد عليهم ، وأن علينا الرد بما علمنا الرسول ﷺ ، قال الحافظ ابن حجر : « واستدل بقوله : « إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ » بأنه لا يشرع للمسلم ابتداء الكافر بالسلام ، حكاه الباجي عن عبد الوهاب ، قال الباجي :لأنه بيّن حكمَ الرد ، ولم يذكر حكم الابتداء ، كذا قال »[2].

وفي تحذيره عليه الصلاة والسلام من اليهود ما يدل على سوء أخلاقهم التي تربوا عليها ، وسوء نواياهم بالمؤمنين ، وكثيراً ما يكشف القرآن الكريم هذه النوايا ، ويفضحهم ويظهر حقيقة ما في نفوسهم ، قال تعالى مبيناً أمرهم وكاشفاً صفاتهم الذميمة : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾[3]

---

(١) مسند الإمام أحمد ٦/٣٩٨.
(٢) فتح الباري ١١/٤٦.
(٣) المائدة : ٦١

وقال تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١)

يقول الإمام الطبري : «وإذا جاءكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون من اليهود وقالا لكم : آمنا ، أي صدقنا بما جاء به نبيكم محمد ﷺ واتبعناه على دينه وهم مقيمون على كفرهم وضلالتهم ، قد دخلوا عليكم بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم ، ويضمرونه في صدورهم ، وهم يبدون كذباً التصديق لكم بألسنتهم ، وقد خرجوا بالكفر من عندكم كما دخلوا به عليكم ، لم يرجعوا بمجيئهم إليكم عن كفرهم وضلالهم ، يظنون أن ذلك من فعلهم يخفى على الله جهلاً منهم بالله ، والله أعلم بما كانوا يكتمون»(٢).

الفوائد الدعوية :

أولاً : بيان خطر اليهود على مجتمع الدعوة .

ثانياً : الصبر على الأذى في مجال الدعوة .

ثالثاً : حكم السلام على أهل الذمة.

رابعاً : من صفات الداعية إلى الله استعمال الحكمة في دعوته.

خامساً : تربية المجتمع المسلم على الحذر من كيد الأعداء

---

(١) المائدة ٦٢

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري، ٦/٢٩٦.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : بيان خطر اليهود على مجتمع الدعوة .

في حديثي الباب يبين لنا رسول الله ﷺ عداوةَ اليهود للمسلمين، واستغلالهم الفرص لبث حقدهم على المسلمين ، وقد بخل اليهود حتى بالسلام على المسلمين ، وأبدلوه بالدعاء عليهم بالموت ظناً منهم أن ذلك يخفى على نبي الأمة ﷺ ، ولكن الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى الموحى إليه من ربه ، عرف ذلك وبينه لأمته تنبيها وتحذيراً لهم من هذه الفئة الضالة التي تريد بهم الشر ، وتكيد لهم كيدا .

وقد فضح القرآن الكريم هذه الفئة المنحرفة عن طريق الحق والصراط المستقيم ،المغضوب عليها من لدن رب العالمين ، وبين خطرهم فقال جلّ وعلا : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ .[1]

قال الشيخ السعدي في تفسيره : « فهؤلاء الطائفتان على الإطلاق أعظم الناس معاداة للإسلام والمسلمين ، وأكثرهم سعياً في إيصال الضرر إليهم ، وذلك لشدة بغضهم لهم بغياً وحسداً وعناداً وكفراً » .[2]

وبين الله في كتابه الكريم أنهم حريصون على زرع الحروب الطاحنة بين المسلمين ، وتوعد سبحانه وتعالى بحفظ أمته منهم فقال تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .[3]

---

(١) المائدة ٨٢
(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٠٣
(٣) المائدة : ٦٤

روى الطبري عن قتادة : « أولئك أعداء الله كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، فلن تلقى اليهود ببلد إلا وجدتهم من أذل أهله ، لقد جاء الإسلام حين جاء وهم تحت أيدي المجوس ـ أبغض خلقه إليه ، وعن السدي قال : كلما أجمعوا أمرهم على شيء فرقه الله ، وأطفأ حدَّهم وثارهم ، وقذف في قلوبهم الرعب[١].

ويتجدد خطر اليهود في العصر الحديث باحتلالهم لبيت المقدس في فلسطين؛ ولخطرهم على دولة الإسلام في بداية عهدها أمر رسول الله ﷺ بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلما»[٢]. وامتثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هذا الأمر من رسول الله ﷺ لما كثر المسلمون واستغنوا عن اليهود ، حيث أجلاهم عن الخيبر[٣].

فعلى الدعاة إلى الله بيان خطر هذه الطائفة على المسلمين ، وأنه لا نصر للمسلمين على هذه الشرذمة الخطرة إلا بالتمسك بدين الله ونصرته كما قال تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[٤].

---

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري، ٣٠٤/٦، ط مصطفى الحلبي.
ولمزيد الفائدة ينظر : الخطر اليهودي ، وقد أورد مؤلفه نصوصاً موثقة من برتوكولات صهيون التي خططوها لتدمير العالم عامةً والعالم الإسلامي خاصة .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، ص٧٣٣ .

(٣) انظر : قواعد التعايش بين أهل الأديان عند شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٣٤ بقلم محمد خير الدين العبود ، ط رمادي للنشر ـ الدمام .
وقد أجلاهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدما استغنى عنهم المسلمون ؛ لأنهم كانوا فلاحين في خيبر ، والمسلمون مشتغلون بالجهاد .

(٤) محمد : ٧.

ثانياً : الصبر على الأذى في مجال الدعوة .

لقد أمر الله جل وعلا عباده المؤمنين بالصبر في آيات كثيرة من كتابه العزيز ، والصبر في مجال الدعوة من أهم الأمور ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]

وأمر الله سبحانه وتعالى نبيَّه محمد ﷺ بالصبر على الأذى فقال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ... ﴾[2] . وأمر الله المؤمنين بالتواصي بالصبر ، وذلك في قوله جلّ وعلا : ﴿ وَالْعَصْرِ ⓵ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ⓶ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ⓷ ﴾[3].

وأمر رسول الله ﷺ أمته بالصبر كذلك ، وذلك في الحديث الذي رواه أبو يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كلّه خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » . رواه مسلم .[4]

وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدمَ عن وجهه ، يقول : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »[5].

---

(١) آل عمران : ٢٠٠.

(٢) الأحقاف : ٣٥.

(٣) العصر : ١-٣.

(٤) سبق تخريجه ص ٥٠ .

(٥) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٥٤، ص٦٧٠، وصحيح مسلم بلفظه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ص٧٤٥.

وقد امتثل صحابة رسول الله ﷺ هذا التوجيه النبوي ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدمَ عيينةُ بنُ حصين فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمرُ رضي الله عنه ، وكان القراء أصحاب مجلس عمرَ رضي الله عنه ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي ، لك وجه عند هذا الأمير ، فاستأذن لي عليه . فاستأذن عمر ، فلما دخل قال : هي يا ابنَ الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل . فغَضِبَ عمرُ رضي الله عنه حتى همَّ أن يوقِع به ، فقال له الحر : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[1] وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها ، وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى»[2].

في قوله ﷺ : « إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا : وَعَلَيْكُمْ » تربية لأمته بالصبر على أذى أعداء الإسلام ، وخصوصاً اليهود ـ لعنهم الله وردّ كيدَهم في نحورهم ـ الذين يتربصون بالمسلمين ، ويكيدون لهم .

وما أجمل أن يولي الدعاة هذا الأمر عنايتَهم واهتمامَهم ، فيتخذوه منهجًا لأنفسهم في دعوتهم ، وطريقاً في التعامل مع المدعوين ، فإن الصبر هو المعين بعد الله سبحانه وتعالى في مواصلة مسيرة الدعوة ونجاحها ، وإذا كان الله قد أمر رسوله الكريم ﷺ ـ وهو إمام الدعاة وقائدهم ـ بتوخي الصبر في الدعوة وإبلاغ الرسالة فغيره من الدعاة أولى بذلك ، وخاصة في هذا العصر الذي كثر فيه المعاندون.

---

(١) الأعراف : ١٩٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب خذ العفوَ وأمر بالعرف، ص٨٨٤ .

ثالثاً : حكم السلام على أهل الذمة.

اختلف العلماء رحمهم الله في بدء الكفار بالسلام إلى قولين :

القول الأول : المنع من ابتداء الكفار بالسلام . قال النووي رحمه الله : أما أهل الذمة فاختلف أصحابنا فيهم ، فقطع الأكثرون بأنه لا يجوز ابتداؤهم بالسلام .[1]

وجاء في الآداب الشرعية لابن مفلح : ولا يجوز بداءة أهل الذمة بالسلام ، هذا هو الذي عليه عامة العلماء سلفاً وخلفاً » . وسئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى عمن يبتدىء الذمي بالسلام إذا كانت له حاجة إليه ، قال : لا يعجبني .[2]

واستدل المانعون بأدلة منها :

(١) ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه »[3].

(٢) عن أبي بصرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : «إنا مارون على يهود فلا تبدءوهم بالسلام، فإذا سلَّموا عَلَيْكُمْ فقُولُوا : وَعَلَيْكُم » .[4]

القول الثاني: الجواز ، فأجاز السلام مطلقاً بعضُ مشايخ الحنفية وطائفة من الشافعية وبعض الحنابلة ، واستدلوا بما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ

---

(١) الأذكار للنووي ص ٢١٦ ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/١٤٥ .

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/٤١٢

(٣) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، ص٨٩٤.

(٤) سبق تخريجه، ص ٨٣٧ .

سئل : أي الإسلام خير ؟ قال :

تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »[1]

والذي يظهر لي والله أعلم رجحان القول الأول وهو المنع من البدء بالسلام عليهم، ومشروعية السلام على من عرفت ومن لم تعرف من المسملين.

رابعاً : من صفات الداعية إلى الله استعمال الحكمة في دعوته.

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فقال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن .. ﴾[2] وفي حديث الباب يتبين لنا الحكمة العظيمة التي يسلكها النبي ﷺ في دعوته، إن السباب ليس بالأمر الهين على النفس ؛ إذ قد يثير غضب المسبوب على الساب ، فيرد عليه رداً عنيفا، وبالفعل هذا ما حصل مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . روى عروة أن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا : السام عليك. ففهمتُها فقلت : عليكم السام واللعنة . فقال رسول الله ﷺ : مهلا يا عائشة ، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله . فقلت : يا رسول الله ﷺ أو لم تسمع ما قالوا ؟ ! قال رسول الله ﷺ : فقد قلت : وعليكم .

إنه الخلق العظيم الذي يتحلى به النبي ﷺ لثقته الثابتة أن هذه الدعوات من

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، حديث رقم ٦٢٣٦.

(٢) النحل ١٢٥.

أعداء الله مردودة عليهم ، وهذا بالفعل ما بينه عليه الصلاة والسلام في الرواية الأخرى للحديث عن عائشة رضي الله عنها : أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا : السام عليك . قال : « وعليكم » . فقالت عائشة : السام عليكم ، ولعنكم الله وغضب عليكم . فقال رسول الله ﷺ : « مهلاً يا عائشة ، عليكِ بالرفق ، وإياكِ والعنفَ والفحشَ » قالت : أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال : «أو لم تسمعي ما قلت ؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ، ولا يستجاب لهم فيَّ » .(١)

فعلى الدعاة إلى الله أن ينهلوا من هدي رسول الله ﷺ ما يعينهم في أداء دعوتهم ومواصلتها وفق هدي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ويحرصوا على توخي الحكمةَ في دعوتهم.

خامساً : تربية المجتمع المسلم على الحذر من كيد الأعداء .

إن أعداء الإسلام لا يألون جهداً في إيذاء المسلمين ، سواء باللسان أم بالسنان . فعلى المسلمين التنبه لكيد الأعداء ، والرد عليهم بما يناسب ويبين لهم أن المسلمين عندهم من الفطنة ما يفضح مكرهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين ، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع هؤلاء الرهط من اليهود الذين دخلوا عليه وقالوا : السام عليك . فرد عليهم ﷺ بقوله : وعليكم .

(١) البخاري ، كتاب الدعوات ، باب قول النبي ﷺ يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا ، ص ١٢٢٩ ، وصحيح مسلم بنحوه ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء اهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم. ص ٨٩٤.

وقد حذر ﷺ من مكرهم فقال : إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم» وقال ﷺ أيضا : « إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم: السام عليكم فقل : وعليك».

إن الإسلام ربى أهله على الحذر من كيد الأعداء ، وخصوصاً في المواقف الخطرة مثل الحرب . يقول الله تعالى : ﴿ ... وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾[1] وإن أعداء الإسلام في هذا العصر قد تفننوا في حربهم على الإسلام والكيد لأهله ، فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين هذا الخطر ، ويحذروهم من كيدهم الذي يرتكبونه في صور مختلفة تجاه هذا الدين وأهله ، فتارة بالتشكيك في عقيدة الإسلام ، وتارة بنشر الفساد في مجتمعات المسلمين، فيجب لذلك الحذرُ منهم، وفعل الأسباب اللازمة لصد كيدهم، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

---

(١) النساء : ١٠٢.
(٢) يوسف : ٢١.

بـــاب المصـــافحـــة[1]

١٢٨ـ عن قتادة[2]: قلت لأنس : أكانت المصافحة في أصحاب النبي ﷺ ؟ قال : نعم[3].

رقم الحديث : [٦٢٦٣].

الموضوع الدعوي

يهتم الإسلام بفعل الأسباب المؤدية إلى ترابط المجتمع المسلم وتوثيق علاقة المسلمين بعضهم ببعض، ومن الأسباب المؤدية إلى ذلك المصافحة، وفي حديث الباب يبين أنس رضي الله عنه أن المصافحة كانت موجودة في أصحاب رسول الله ﷺ ، وكان الصحابة يصافح بعضهم بعضًا في حضوره ﷺ قال كعب بن مالك رضي الله عنه : «دخلتُ المسجدَ فإذا برسول الله ﷺ ، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني »[4] . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رجل يارسول الله ، الرجل منا يلقى أخاه أو صديقَه أينحني له؟ قال : لا ، قال : فيلتزمه ويقبله؟ قال : لا . قال : فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال : نعم » .[5]

---

(١) أي هذا باب في بيان مشروعية المصافحة ، وهي مفاعلة من إلصاق صفح الكف بالكف وإقبال الوجه على الوجه. انظر : عمدة القاري، ٢٧٦/١٥، والنهاية في غريب الحديث، ٣٤/٣ .
والمصافحة : الأخذ باليد، والتصافح مثله، والرجل يصافح الرجلَ : إذا وضع صفحَ كفه في صفح كفه، وصفحا كفيهما : وجهاهما.
لسان العرب ٥١٤/٢، مادة (صفح). وانظر فتح الباري ٥٤/١١.

(٢) سبق ترجمته .

(٣) مطابقته للترجمة ظاهرة، عمدة القاري، ٢٧٧/١٥.

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب المصافحة، ص ١٢٠٦ .

(٥) سنن الترمذي ، أبواب الاستئذان والأدب ، باب ما جاء في المصافحة ١٧٢/٤ .

والمصافحة من الأمور المستحبة . قال ابن بطال : « المصافحة حسنة عند عامة العلماء، وقد استحبها مالك بعد كراهته ». [1] وقال النووي : «المصافحة سنة مجمع عليها عند التلاقي»[2]. وهي بين الرجال فقط، وبين الرجال ومحارمهم، أما مصافحة الرجل المرأةَ الأجنبية فقد نهى الإسلام عن ذلك. قالت عائشة رضي الله عنها في بيعة النساء: «لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يدَ امرأة قط ، غير أنه يبايعهن بالكلام » وقالت: والله «ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط إلا بما أمره الله تعالى، وما مَسَّت كفُّ رسولِ الله ﷺ كفَّ امرأةٍ قط، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: « قد بايعتكن » كلاماً[3]. [4].

وعن أميمة بنت رقيقة قالت : أتيت النبي ﷺ في نساء نبايعه ، فأخذ علينا ما في القرآن ، ألا نشرك بالله شيئاً . . قال: « فيما استطعتن أو أطقتن » . قلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا . قلنا : يا رسول الله ألا تصافحنا؟ قال : « إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمئة امرأة »[5] .

قال الحافظ ابن حجر : «ويستثنى من عموم الأمر بالمصافحة المرأة الأجنبية والأمرد الحسن» (٦)

---

(١) فتح الباري ٥٥/١١

(٢) انظر إرشاد الساري ٢٦٩/١٣.

(٣) صحيح البخاري كتاب الطلاق، باب إذا اسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي، ص١٠٤٦، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كيفية بيعه النساء، ص٧٧٨، واللفظ لمسلم.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٣.

(٥) مسند الإمام أحمد ٣٥٧/٦ .

(٦) فتح الباري ٥٥/١١ ، وانظر عمدة القاري ٢٥٣/٢٢ ، إرشاد الساري ٢٦٩/١٣

الفوائد الدعوية :

أولاً : حرص الإسلام على تماسك مجتمع الدعوة .

ثانياً : حرص السلف على الفقه في الدين.

ثالثًا : تحذير المدعوين من المخالفات الشرعية في المصافحة.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : حرص الإسلام على تماسك مجتمع الدعوة .

في سؤال قتادة لأنس بن مالك عن مجتمع الصحابة : أكانت المصافحة في أصحاب النبي ﷺ ؟ . وإجابة أنس له بـ: نعم نقل من أنس رضي الله عنه لصورة من صور تماسك مجتمع الدعوة في عهد الرسول ﷺ وصحابته الكرام ، وذلك بما تمسكوا به من خلق حسن ينم عن محبة بعضهم لبعض ، وهي المصافحة ، وقد ورد فيها الحث من النبي ﷺ ، وأن تكون بين أبناء المسلمين ظاهرة ، فعن البراء قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما ما قبل أن يتفرقا».[1]

ولا شك أن في المصافحة بين المسلمين من الفوائد ما لا يخفى ، منها :

(أ) اتباع هدي النبي ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده، ومن سار على نهجهم.

(ب) أن في المصافحة ما يجلي القلوب من الغل ، ولها تأثيرها العجيب في ذلك.

---

(١) سنن الترمذي ، أبواب الاستئذان والأدب ، باب ما جاء في المصافحة ٤/١٧٤

(جـ) بيان فرح المسلم لأخيه المسلم بما ناله من الخير العظيم ، كما بين ذلك طلحة رضي الله عنه عندما قام مهرولاً لكعب بن مالك مصافحاً ومهنئاً له بتوبة الله عليه ، قال كعب : فما نسيتها لطلحة . إنه الأثرالنفسي عند الإنسان ، وحب من أظهر التقدير والفرح له عند زوال مكروه عنه ، أو حصول نعمة عظيمة له.

وما أجمل أن يُحيى هذا الأمر في المجتمعات الإسلامية ، ويصحب المصافحة طلاقة الوجه التي حث عليها رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو ذر رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق ».[1]

ثانيًا : حرص السلف على الفقه في الدين .

لقد اهتم التابعون رضوان الله تعالى عليهم بأخذ العلم من صحابة رسول الله ﷺ وسؤالهم عن أمور دينهم ، فهذا قتادة رحمه الله يسأل أنس رضي الله عنه عن المصافحة بين أصحاب رسول الله ﷺ فيجيبه أنس بنعم ، كما في حديث الباب ، وفي هذا دليل على حرصهم على طلب العلم الشرعي ، وأنه من العبادة ، وحرصهم على السؤال ؛ لما في ذلك من الأجر والتحصيل العلمي من علماء الإسلام الذين لا يمكن معرفة ما عندهم إلا بالسؤال والمدارسة ، فقد « قدم رجل على ابن المبارك وعنده أهل الحديث ، فاستحيا أن يسأل ، وجعل أهل الحديث يسألونه ، قال : فنظر ابن المبارك إليه ، فكتب بطاقة ألقاها

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصله والآداب ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ، ص١٠٥٤.

إليه، فإذا فيها:

إذا تلبست عن سؤالك عبد الله ** ترجع غداً بخفي حنين

فأعنت الشيخ بالسؤال تجده ** سلسا يلتفك بالراحتين

وإذا لم تصح صياح الثكالى ** قمت عنه وأنت صفر اليدين

وعن وهب بن منبه وسليمان بن يسار أنهما قالا: «حسن المسألة نصف العلم، والرفق نصف العيش»(1)

وقد عاب رسول الله ﷺ على رجال لم يسألوا عن أمور دينهم فافتوا بغير علم، فعن عطاء بن أبي رباح قال: «سمعت ابن عباس يخبر أن رجلاً أصابه جرح على عهد رسول الله ﷺ، ثم أصابه احتلام فأمر بالاغتسال فمات، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «قتلوه قتلهم الله، ألم يكن شفاء العي السؤال»(2).

ولا شك أن حث الدعاة للمدعوين على الفقه في ا لدين، والسؤال عن كل ما يهمهم في أمور دينهم وعدم التساهل في ذلك يجعل مجتمع الدعوة بمشيئة الله على بصيرة في دينه.

---

(1) جامع العلوم والحكم ص١٤٧

(2) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم ١٧٣/١، وأخرجه ابن ماجه موصولاً في كتاب الطهارة، باب في المجروح ١٨٩/١، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٧٨/١.

ثالثًا : تحذير المدعوين من المخالفات الشرعية في المصافحة.

إنه مع اهتمام الإسلام بتربية المسلمين على المصافحة، وحرص رسول الله ﷺ على ذلك وامتثال صحابة رسول الله ﷺ والسلف الصالح لهذا الأمر، إلا أنه ينبغي التنبيه إلى أن هناك مواقع تكره فيها المصافحة، وإن كان البعض من المسلمين يستحسنها، ويحرص على تطبيقها، ومن ذلك تخصيص المصافحة عقب الصلوات المفروضة. قال الشيخ فضل الله الجيلاني : «وأما ما اعتاده الناس من المصافحة بعد صلاتي الصبح والعصر فلا أصل له في الشرع على هذا الوجه ، وعمل الناس في الوقتين المذكورين ليس على وجه الاستحباب المشروع ، فإن محل المصافحة أول اللقاء . قال ابن عابدين : إن المواظبة عليها بعد الصلوات الخمس خاصة تؤدي بالجهلة إلى اعتقاد سنيتها في خصوص هذه المواضع ، وأن لها خصوصيةً زائدةً على غيرها ، مع أن ظاهر كلامه أنه لم يفعلها أحد من السلف في هذه المواضع ، وفي الملتقط : تكره المصافحة بعد أداء الصلاة بكل حال ؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوا ذلك ؛ ولأنها من سنن الروافض . وعن الشافعية أنها بدعة مكروهة لا أصل لها في الشرع ، وأنه ينهى فاعلها أولا ، ويعزر ثانياً ».[1]

وفي المدخل لابن الحاج : « إنها من البدع ، وموضع المصافحة في الشرع إنما هو عند لقاء المسلم لأخيه لا في أدبار الصلوات ، فحيث يضعها الشرع يضعها ، فينهى عن ذلك ويزجر فاعله لما أتى به خلاف السنة .

وقال العلامة ابن حجر الهيثمي : ما يفعله الناس من المصافحة عقيب الصلوات

(١) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، للجيلاني ٢/ ٤٣٠-٤٣١ .

الخمس مكروهة ، لا أصل لها في الشرع . اهـ[1]

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية عن حكم المصافحة عقيب الصلاة هل هي سنة أم لا فقال : « المصافحة عقيب الصلاة ليست مسنونة ، بل هي بدعة . والله أعلم » .[2]

فعلى الدعاة إلى الله أن يحذروا المدعوين من هذه البدع المحدثة التي لم تكن من الشرع في شيء.

---

(١) المدخل ٥/٢٢٣

(٢) الفتاوى ٢٣/٣٣٩

باب من زار قوماً فقال عندهم[1]

١٢٩- عن أنس رضي الله عنه[2]، أن أم سليم[3] كانت تبسط للنبي ﷺ نطعاً فيقيل عندهاعلى ذلك النطع، قال : فإذا نام النبي ﷺ أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة، ثم جمعته في سك وهو نائم. قال: فلما حضر أنسَ بنَ مالك الوفاةُ أوصى إليّ أن أجعل في حنوطه من ذلك السك، قال: فجعل في حنوطه[4].

رقم الحديث : [٦٢٨١].

غريب الحديث :

النطع : هو النطْع – والنَطَعُ والنِطْعُ والنِطَعُ، وجمعه أنطاع، قال الليث : النطع : ماظهر من الغار الأعلى وهي الجلدة الملزقة بعظم الخليقاء، فيها آثار كالتخزيز[5].

---

(١) أي هذا باب فيه ذكر من زار قوماً فقال عندهم من القيلولة أي : نام عندهم نصف النهار، عمدة القاري، ٣٩٢/١٥.

(٢) سبق ترجمته .

(٣) سبق ترجمتها .

(٤) مطابقته للترجمة ظاهرة . عمدة القاري، ٣٩٢/١٥، والحديث أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به، رقم الحديث ٢٣٣١.

(٥) تهذيب اللغة : ١٧٨/٢ مادة [نطع].

يقيلُ: القيلولة عند العرب والمقيل : استراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم .[1]

سُكَ: بضم المهملة وشدة الكاف : نوع من الطيب .[2]

حَنُوطة: حَنُوطَة : الحنوط : وهو ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة[3].

الموضوع الدعوي

في حديث الباب يذكر لنا أنس بن مالك رضي الله عنه ما كانت تصنعه أم سليم رضي الله عنها حين يقيل عندها رسول الله ﷺ ، حيث كانت تأخذ من عرقه وشعره ﷺ فتجمعه في قارورة ، ثم تجمعه في سُكٍ وهو نائم، تبركًا به ﷺ ، وقد أقرها ﷺ على فعلها ولم ينكر عليها وقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يفعلون ذلك تبركاً بنبيهم ﷺ ، فعن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيها ، فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها » .[4]

---

(1) تهذيب اللغة ٩/٣٠٦، مادة [قال]

(2) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢٢/١١١

(3) النهاية في غريب الحديث ١/٤٥٠.

(4) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به، ص٩٥٠.

وقد ثبت أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يتبركون بشعر النبي ﷺ، وأنه ﷺ كان يوزعه عليهم، فعن أنس رضي الله عنه « أن النبيَّ ﷺ أتى منى فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق: « خذ » وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس » وفي رواية: « فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس، ثم مال بالأيسر فصنع به مثل ذلك ثم قال: « ههنا أبو طلحة » فدفعه إلى أبي طلحة » .[1]

قال النووي رحمه الله تعالى: « من فوائد هذا الحديث التبرك بشعره ﷺ وجواز اقتنائه للتبرك »[2].

وفي هذا العمل من صحابة رسول الله إظهار منهم لمحبتهم وتعظيمهم له ﷺ، ولا شك أن هذا الأمرَ من خصائصه ﷺ، أما ما يتعلق بالتبرك بغيره ﷺ من الصالحين بعده فقد نبهنا على عدم جواز ذلك، ونقلنا ما ذكره الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى[3].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق... ص٥١٤، ط بيت الأفكار الدولية.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ٧٨/٩.
(٣) انظر، ص ٣٧٢ .

الفوائد الدعوية :

أولاً : تبسط الداعية مع المدعوين وأثر ذلك في نفوسهم .

ثانياً : حرص الداعية على راحته الجسمية ليكون عونا له على الاستمرار في فعل الطاعات .

ثالثاً : حرص المدعوين على إكرام العلماء والدعاة إلى الله .

رابعاً : الاستعداد للموت .

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : تبسط الداعية مع المدعوين وأثر ذلك في نفوسهم .

إن الداعية إلى الله في حاجة إلى الجلوس مع المدعوين والتبسط معهم ، لما في ذلك من الأثر الكبير على نفوسهم، فهو خلق عظيم ينبغي على الداعية التحلي به تأسيا برسول الله ﷺ الذي وصفه ربه تعالى بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] .

وفي حديث الباب نجد رسول الله ﷺ يقيل عند أم سليم، وهو الأمر الذي يدل بلا شك على تواضعه ﷺ ، كما أنه مما يورث المحبة بين الداعية والمدعو . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « قال المهلب : في هذا الحديث مشروعية القائلة للكبير في

---

(١) القلم : ٤

بيوت معارفه؛ لما في ذلك من ثبوت المودة وتأكد المحبة » .[1] وقال العيني رحمه الله : « وفيه جواز القائلة للإمام والرئيس والعالم عند معارفه وثقات إخوانه ، وأن ذلك مما يثبت المودة ويؤكد المحبة »[2].

وقد بين رسول الله ﷺ هذا الأمر لأمته فقال : « ... إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد »[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لو دُعيتُ إلى ذراعٍ أو كراعٍ لأجبت ، ولو أُهدي إليَّ ذراعٌ أو كراعٌ لقبلْتُ »[4].

فهذا من تواضعه ﷺ وتبسطه مع المؤمنين ، فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يأخذوا بهذا الخلق العظيم من رسول الله ﷺ فيعاملوا المدعوين معاملة حسنة بتواضع واحترام ، فكم من زيارة داعية لأخ له في الله ينفع الله بها ، وكم من تواضع من الداعية للمدعوين يكون سبباً في تغير المدعو وتعاطفه مع الداعية ، ومن ثم قبول ما يدعو إليه.

ثانياً : حرص الداعية على راحته الجسمية لإعانته على فعل الطاعات.

إن رسول الله ﷺ هو إمام الدعاة إلى الله تعالى ، وقد بلغ رسالةَ ربه ، ونصح

---

(١) فتح الباري ٧٢/١١

(٢) عمدة القاري، ٢٩٢/١٥.

(٣) قطعة من حديث طويل، صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي تعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ص١١٤٩.

(٤) صحيح البخاري كتاب الهبة، باب القليل من الهبة، ص٤٨٦.

الأمةَ، وعبد اللهَ تعالى حقَّ عبادته حتى كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، وتقول له أم المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها: «لِمَ تصنع هذا يارسول الله وقد غُفِرَ لك ما تقدمَ من ذنبكَ وما تأخر؟». فيجيبها رسول الله ﷺ: «أفلا أحب أن أكون عبداً شكورا»[١]. ومع هذه العبادة المتواصلة لربه كان يعطي نفسه من الراحة ما يعينها على طاعة الله، فكان ﷺ ينام القائلة، ويستريح حين يجد نفسه في الحاجة إلى الراحة.

وفي نوم القائلة ما يعين على قيام الليل، وقد كان عليه الصلاة والسلام يدخل على أم حرام بنت ملحان إذا ذهب إلى قباء، «فدخل يوما فأطعمته فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ يضحك. قالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال: «ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة». أو قال: «مثل الملوك على الأسرة ـ شك إسحاق ـ. قلت: ادعُ اللهَ أن يجعلني منهم، فدعا ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظَ يضحكُ، فقلتُ: ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال: «ناسٌ من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيلِ اللهِ يركبونَ ثبج هذا البحرِ ملوكاً على الأسرةِ». أو مثل الملوك على الأسرة. قلتُ: ادعُ اللهَ أن يجعلني منهم، قال: أنتِ من الأولين، وركبت البحر زمان معاوية فصُرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت»[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وفيه مشروعية القائلة؛ لما فيه من الإعانة على

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير باب: «ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر»، ص٩٥٠، وأخرجه مسلم مختصراً، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، ص١١٣٤.

(٢) سبق تخريجه، ص ٥٩٩.

قيام الليل »[1].

إن دين الإسلام هو الدين الحق الذي لا إفراط فيه ولا تفريط ، ومن هنا أنكر ﷺ على من أراد أن يشق على نفسه في العبادة ، ويتجاوز فيها على حساب صحته الجسدية وراحته النفسية والبدنية، ومما لا شك فيه أن الجسم بحاجة إلى الراحة التي تجعله يتلذذ بالعبادة ؛ لأن النفوس تكلُّ وتملُّ عند الاستمرار في عمل ما بدون انقطاع أو راحة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان حكمة النهي عن التطوع في مطلق الأوقات : « بل في النهي عنه بعضَ الأوقات مصالح أُخَرُ من إجمام النفوس بعض الأوقات من ثقل العبادة كما يجمم بالنوم وغيره ، ولهذا قال معاذ رضي الله عنه : إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي »[2].

فعلى الدعاة إلى الله تعالى الأخذ بهذا الهدي النبوي الشريف، وأن يبينوا ذلك للمدعوين أيضاً ؛ لما في ذلك من عون على الاستمرار في عبادة رب العباد وفعل طاعاته.

ثالثاً : حرص المدعوين على إكرام العلماء والدعاة إلى الله .

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ يتسابقون في إكرامه، ويعتبرون زيارته لهم عليه

(١) فتح الباري ٧٧/١١
(٢) الفتاوى ١٨٧/٢٣

الصلاة والسلام نعمةً لا تحصل لكل أحد، فهذه أم سليم رضي الله عنها تبسط للنبي ﷺ نطعاً فيقيل عندها، وتتبرك بعرقه عليه الصلاة والسلام، والعلماء هم ورثة الأنبياء، فيجب على العامة والمدعوين احترامهم وإكرامهم تطبيقاً لقوله ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»[1]، مع الحرص على التفريق بين ما كان من خصائصه ﷺ وما يجوز فعله من إكرام أهل العلم.

قال أيوب بن القرية: أحق الناس بالإجلال ثلاثة: العلماء، والإخوان، والسلاطين، فمن استخف بالعلماء أفسد مروءته، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه، والعاقل لا يستخف بأحد».[2] وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يحرصون كل الحرص على إجلال العلماء وإكرامهم، فهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يأخذ - مع جلالته ورفعة منزلته - بركاب دابة زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ويقول: «هكذا أُمرنا أن نفعل مع علمائنا».

وكان السلف رضي الله عنهم يخصون مشايخهم بالدعاء، فقد كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يكثر الدعاء للإمام الشافعي، فسأله ابنه عبد الله فقال: «يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للأبدان، فهل ترى عنهما عوضاً؟»[3]

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، ص٧٢٣، ط دار ابن حزم.
(٢) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٣١
(٣) آداب المتعلمين، للدكتور أحمد الباتلي، ص٤٣.

رابعاً: الاستعداد للموت .

إن الموت حق لا مرية فيه ، وكل نفس ذائقته كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾(1) وإذا كان الأمر كذلك فإن الواجب على كل مسلم أن يستعد للموت ويتأهب له ، ويعمل بكل ما يقربه من الله تعالى ، فهذا أنس بن مالك لما حضرته الوفاة أوصى بأن يجعل عرق رسول الله ﷺ في حنوطه رجاءَ بركة رسول الله ﷺ .

والمسلم يجب عليه أن يتذكر هاذم اللذات ، ويوصي أهلَه وعشيرته بما هو خير وفق ما أمر به الشرع ، ويدعو لنفسه بخير ، وهذا ما كان يفعله نبي الرحمة في مرضه الذي مات فيه ﷺ ، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت وهو مستند إلى صدرها : « اللهم اغْفر لي وارْحَمني وألْحِقني بالرفيقِ الأعلى »(2).

كما أن على الدعاة أن يذكروا المدعوين ويلقنوهم كلمة الشهادة عند قرب موتهم واحتضارهم استجابةً لأمر رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله »**(3).

وكم يكون المسلم في هذا الموقف العصيب بحاجة إلى من يذكره بهذه الشهادة ،شهادة التوحيد التي قال عنها رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل

(1) آل عمران ١٨٥.

(2) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ص٨٤٠، ط بيت الأفكار، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة، ص٩٩١، ط بيت الأفكار.

(3) صحيح مسلم كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله، ص٣٥٦، ط بيت الأفكار.

الجنة»[1]، وقبل هذا الموقف كله يجب عليه أن يستعد للقاء الله بالعمل الصالح الذي يرضي الله ويدخله الجنة برحمة من الله وفضله.

(١) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب في التلقين، ص٤٨٦، ط ابن حزم، وأخرجه الحاكم في المستدرك، ٣٥١/١، وقال عنه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢٣٣/٥ بلفظ «وجبت له الجنة».

باب الاحتباء باليد، وهو القرفصاء[1]

١٣٠ - عن ابن عمر[2] رضي الله عنهما قال: رأيت رسولَ الله ﷺ بفناء[3] الكعبة محتبياً بيده هكذا.[4]

رقم الحديث: [٦٢٧٢].

الموضوع الدعوي

في حديث الباب يذكر عبد الله بن عمر بعض جلساته ﷺ في فناء الكعبة المشرفة بيت الله الحرام، وكثيراً ما كان ينقل لنا الصحابة رضوان الله تعالى عليهم هديه ﷺ في ذلك، روى عباد بن تميم عن عمه أنه أبصر النبي ﷺ يضطجع في المسجد رافعاً

---

(١) أي هذا باب في بيان أمر الاحتباء باليد، ولم يبين حكمه اكتفاء بما دل عليه حديث الباب. عمدة القاري،١٥/٣٨٥.
والاحتباء: مصدر احتبى يحتبي، واحتبى الرجل إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته. شرح صحيح البخاري للكرماني ٢٢/١٠٦.
وفي النهاية: الاحتباء: هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما. انظر: النهاية ١/٣٣٥.
والقرفصاء: بضم القاف وسكون الراء وفتح الفاء وضمها وبالصاد المهملة ممدوداً ومقصوراً ضرب من القعود، وإذا قلت: قعد فلان القرفصاء فكأنك قلت: قعد قعودا مخصوصاً وهو أن يجلس على إليتيه، ويلصق فخذه ببطنه، ويحتبي بيده فيضعهما على ساقيه. انظر لسان العرب ٧/٧٢، النهاية ٤/٤٧، فتح الباري ١١/٦٥.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) فناء الكعبة: ما امتد من جوانبها، والفناءُ: سعة أمامَ الدارِ، وفناءُ الدار ما امتدَ في جَوانِبِها. لسان العرب، ١٥/١٦٥.

(٤) مطابقته للترجمة في قوله: « محتبياً بيده هكذا ». عمدة القاري، ١٥/٣٨٥.

إحدى رجليه على الأخرى »[1]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي ـ قال ابن سيرين: قد سماها أبو هريرة ولكن نسيت أنا ـ قال: فصلى بنا ركعتين ثم سلم، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ، ووضع خدَّه الأيمن على ظهر كفه اليسرى»[2] الحديث. وهكذا كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ينقلون عنه كلّ أفعاله، محبة له ﷺ وحرصاً على سنته، ونشرا للعلم وحفظاً له ليستفيد منه الأجيال من بعدهم.

ولعل في حديث الباب ما يبين جواز الجلوس في المسجد بالصفة التي نقلت عنه ﷺ، وأن ذلك لا يتنافى مع حرمة المسجد وتعظيمه، وقد كان صحابة رسول الله ﷺ ينامون في المسجد ولا ينكر ﷺ عليهم، فعن سهل بن سعد رضي الله عنهما قال: جاء رسولُ الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت فقال: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيءٌ فغاضبني فلم يقلْ عندي. فقال رسولُ الله ﷺ لإنسان: « انظر أين هو » فجاء فقال: يا رسولَ الله هو راقد في المسجد. فجاء رسولُ الله ﷺ وهو مضطجعٌ قد سَقَطَ رداؤه عن شقه وأصابه ترابٌ، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يمسَحُهُ عنه ويقول: «قم أبا تُراب قم أبا تراب »[3]، ولم ينكر عليه الصلاة والسلام نومه في المسجد مما يدل على سماحة الإسلام.

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الاستلقاء ووضع الرجل على الأخرى، ص١٢٧١.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ص١٠٢
(٣) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب: القائلة في المسجد، ص١٢٠٩، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب، ص٩٨١، ط بيت الأفكار.

الفوائد الدعوية :

أولاً :تواضع الرسول عليه الصلاة والسلام في جلسته .

ثانياً : بيان مكانة المسجد في الإسلام.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : تواضع الرسول عليه الصلاة والسلام في جلسته .

لقد كان رسول الله ﷺ آية في التواضع وغاية فيه، قال أنس رضي الله عنه يصف تواضعه عليه الصلاة والسلام: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عمير ما فعل النغير»[1] ، وقالت عائشة رضي الله عنها : كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيسير بهن إليّ فيلعبن معي»[2].

وقد وصفه ربه جلّ وعلا بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [3]وقال جلّ وعلا مبينا فضله تعالى عليه في هذا الجانب ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[4]، وفي حديث الباب يتبين لنا تواضعه ﷺ في

(١) سبق شرحه، كتاب الأدب ، باب الانبساط إلى الناس، ص ٦٨٦ .
(٢) سبق شرحه في كتاب الأدب، ص ٦٩٧ .
(٣) القلم : ٤.
(٤) التوبة : ١٢٨.

جلسته بفناء الكعبة ليبرهن بذلك لكافة أمته أنه ﷺ لم يبعث متكبراً ولا جباراً كما هو عادة ملوك الدنيا ، وإنما بعث ليتم مكارم الأخلاق ، وتبليغ رسالة الله.

هذا خاتم رسل الله المبعوث رحمةً للعالمين يضرب أروعَ المثل في التواضع ، وهذا إمام الدعاة يتواضع في جميع أحواله، والدعاة هم ورثة الأنبياء، فعليهم أن يأخذوا بهدي نبيهم في هذا الأمر ويتأسوا به كما أرشدهم الله لذلك بقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[1].

ثانياً : بيان مكانة المسجد في الإسلام.

إن للمسجد مكانةً في الإسلام لذا فإن أول عمل قام به ﷺ بعد هجرته إلى المدينة هو بناء المسجد، الذي أصبح منطلق الدعوة إلى الله ومأوى اجتماع افئدة المسلمين ومشورتهم، وهو مكان للمسلم يستريح فيه ويدعو الله ويذكره ليذهب عنه عناء وهموم هذه الحياة المليئة بالمتناقضات، لذا ينبغي على الدعاة إلى الله بيان مكانة المسجد في الإسلام وأنه منطلق للدعوة في كل زمان ومكان.

(١) الأحزاب : ٢١.

باب لا يتناجى اثنان دون الثالث[1] وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾[2]

١٣١- عن عبد الله[3] رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: « إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ »[4].

رقم الحديث: [٦٢٨٨].

---

(١) أي هذا باب يذكر فيه لا يتناجى أي لا يتخاطب شخصان أحدهما للآخر دون الشخص الثالث إلا بإذنه. عمدة القاري، ١٥/٢٩٦.
وجه مناسبة هذا الباب ونحوه في كتاب الاستئذان من جهة أن مشروعية الاستئذان لئلا يطلع الأجنبي على أحوال داخل البيوت، أو ما قاله الكرماني به أن الغالب أن المناجاة لا تكون إلا في البيوت والمواضع الخاصة الخالية، فذكره على سبيل التبعية للاستئذان، انظر: شرح صحيح البخاري للكرماني ٢٢/١١٧.

(٢) المجادلة ٩.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) مطابقته للترجمة ظاهرة. انظر عمدة القاري، ١٥/٣٩٧، والحديث أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، رقم الحديث ٢١٨٣.

باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة[1]

١٣٢ـ عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فَلا يَتَنَاجَى رَجُلانِ دُونَ الآخَرِ حَتَى تَخْتَلِطُوا بالنَّاسِ؛ أَجْلَ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ »[2].

رقم الحديث: [٦٢٩٠].

الموضوع الدعوي

في حديثي البابين يبين لنا رسول الله ﷺ حرمةَ المناجاة بين الاثنين إذا كانوا ثلاثة، وقد وضع الله تعالى قاعدةً عامةً لهذا الأمر في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[3].

---

(١) أي هذا باب يذكر فيه إذا كان المتناجون أكثر من ثلاث أنفس فلا بأس بالمسارة، عمدة القاري ١٥/٣٩٨.
المسارة: سارهُ في أذنه، وتساروا تناجوا، القاموس المحيط، ص٣٦٧.
وعطف المناجاة على المسارة من عطف الشيء على نفسه إذا كان بغير لفظه لأنهما بمعنى واحد، وقيل بينهما مغايرة، وهي أن المسارة وإن اقتضت المفاعلة لكنها باعتبار من يلقي السر ومن يلقى إليه. والمناجات تقتضي وقوع الكلام سراً من الجانبين، فالمناجاة أخص من المسارة، فتكون من عطف الخاص على العام. انظر فتح الباري ١١/٨٣

(٢) مطابقته للترجمة من حيث إن مفهومه إن لم يكن ثلاثة بل أكثر يتناجى اثنان منهم، عمدة القاري، ١٥/٣٩٩، والحديث اخرجه مسلم ٢١٨٤، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه.

(٣) المجادلة ٩.

قال الشوكاني: « أرشد الله جلّ وعلا المؤمنين إذا تناجوا فيما بينهم أن لا يتناجوا بما فيه إثم ومعصية لرسول الله كما يفعله اليهود والمنافقون، ثم بين لهم ما يتناجون به في أنديتهم وخلواتهم فقال: ﴿ وتناجوا بالبر والتقوى ﴾ أي بالطاعة وترك المعصية»[1].

والتناجي المحرم هو ما بينه الرسول ﷺ في قوله: « إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فَلا يَتَنَاجَى رَجُلانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بالنَّاسِ» أما إذا كان في المجلس أكثر من ثلاثة وتناجى كل جماعة لوحدها فلا بأس. قال الحافظ ابن حجر: « واختلف فيما إذا انفرد جماعة بالتناجي دون جماعة، قال ابن التين: وحديث عائشة في قصة فاطمة دال على الجواز»[2].

وقد قيد بعض العلماء حرمةَ التناجي بالسفر فقط، والصواب أنه عام، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وظاهر الإطلاق أنه لا فرق في ذلك بين الحضر والسفر، وهو قول الجمهور»[3].

ولا شك أن التناجي الجائز مقيد بأن لا يكون في الإثم والعدوان، فما أجمل هذا الدين الذي أدب أهله على أحسن الأخلاق، وحذرهم من كل خلق ذميم يؤذي المسلمين.

---

(١) فتح القدير ١٨٧/٥
(٢) فتح الباري ٨٤/١١
(٣) المرجع السابق ٨٤/١١

الفوائد الدعوية :

أولاً : بيان حرص الإسلام على راحة المؤمنين النفسية .

ثانيا : حرص الدعاة على دوام المحبة بين المدعوين، والبعد بهم عن أسباب القطيعة .

ثالثاً : حسن أدب المؤمنين في مجالسهم .

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً: بيان حرص الإسلام على راحة المؤمنين النفسية .

في قوله ﷺ : « إِذَا كَانُوا ثَلاثَةً فَلا يَتَنَاجَى أثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ » . وقوله ﷺ : «إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فَلا يَتَنَاجَى رَجُلانِ دُونَ الآخَرِ حَتَى تَخْتَلِطُوا بالنَّاسِ ؛ أَجْلَ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ » ما يدل على حرصه عليه الصلاة والسلام على راحة المسلمين النفسية وسلامة نفوسهم من الظنون السيئة. قال الخطابي رحمه الله تعالى مبينا الحكمة من النهي عن التناجي بين الأثنين دون الثالث : « السبب فيه أنه إذا بقي فرداً حزن إن لم يكن شريكهم فيها، ولعله قد يسوء ظنه بهما، فأرشد ﷺ إلى الأدب، وإلى محافظة حقه وإكرام مجلسه »[1] .

وكان عليه الصلاة والسلام يراعي نفسية أصحابه ويحرص على راحتها وإزالة أسباب وحشتها، من ذلك أنه أهدى رجلٌ إليه ﷺ حماراً وحشياً وهو محرمٌ فلم يقبله

---

(١) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للإمام الخطابي، ٣/٢٢٣٤، وانظر : فتح الباري، ١١/٨٣.

ﷺ فتغير وجه الصحابي، فقال له رسول الله ﷺ: «إنا لم نقبله منك لأننا حرم»[1].

ومن ذلك تطييبه لنفسية عبد الله بن عبدالله بن أبي حين توفي أبوه، فعن عبد الله بن عمر[2] - رضي الله عنهما - قال لما توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه، فقال: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم قال: «إنما خيرني الله - أو أخبرني - فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[3]. فقال: «سأزيده على سبعين». قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ، وصلينا معه، ثم أنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[4]. والرسول الكريم عليه أفضل السلام وأتم التسليم لم يقدم على هذا العمل إلا تطييباً لخاطر عبد الله بن عبد الله وطلباً لراحته النفسية، وتحقيقاً لرغبته، فعلى الدعاة إلى الله أن يقتدوا بهدي نبيهم ﷺ فيراعوا حالة المدعوين، ويحرصوا على راحتهم النفسية وسلامة صدورهم من الظن السيء الذي قد يقذفه الشيطان في أي لحظة نتيجة خطأ الداعية أو تقصيره في هذا الجانب.

---

(١) سبق تخريجه، ص ٢٧٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره)، ص٨٩١، وصحيح مسلم بلفظه، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر، ص٩٧٦.

(٣) التوبه: ٨٠.

(٤) التوبه: ٨٤.

ثانيا : حرص الدعاة على دوام المحبة بين المدعوين ، والبعد بهم عن أسباب القطيعة .

لقد حث الإسلام على الأخوة في الله ودوام المحبة عليها فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[3] فهذه الآيات كلها تحث على الأخوة بين المؤمنين ، وتدعو إلى المحافظة عليها ، وإلى اجتناب كل ما يدعو إلى التفرق والخلاف ، وفي نهيه عليه الصلاة والسلام عن التناجي بين الاثنين دون مشاركة الثالث حرص منه ﷺ على دوام المحبة بين المسلمين ، وسد للأبواب المؤدية إلى القطيعة والشجار.

وقد نقل ابن بطال عن أشهب بن مالك قال : «لا يتناجى ثلاثة دون واحد ولا عشرة ؛ لأنه نهى أن يترك واحدا. قال : وهذا مستنبط من حديث الباب ؛ لأن المعنى في ترك الجماعة للواحد كترك الاثنين للواحد. قال : وهذا من حسن الأدب لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا »[4].

وأسباب القطيعة بين الإخوة كثيرة منها المسارة بين الاثنين دون الثالث ، فإن ذلك قد يوحي بالاحتقار له، وعدم العناية به وبمكانته ، وهذا من الأمور التي نهى عنها

(١) الحجرات : ١٠.
(٢) آل عمران : ١٠٣.
(٣) الفتح : ٢٩.
(٤) فتح الباري ٨٣/١١

رسول الله ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ...بحسب امريءٍ مسلمٍ من الشر أن يحقرَ أخاه المسلمَ... »[1].

فعلى الدعاة إلى الله تحذير المدعوين من الوقوع في هذا العمل ؛ ليبقى المجتمع الإسلامي مجتمعاً متماسكاً متعاوناً على البر والتقوى، بعيداً عن كل ما يؤدي به إلى القطيعة والبغضاء.

ثالثاً :بيان ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون في مجالسهم .

في قوله ﷺ : « فَلا يَتَنَاجَى اثْنَانُ دُونَ الثَّالِثِ » . وقوله ﷺ : « فَلا يَتَنَاجَى رَجُلانِ دُونَ الآخَرِ » بيان منه ﷺ لما يجب أن يكون عليه المؤمنون في مجالسهم ، فمجالس المؤمنين طابعها السكينة وحسن الخلق ، « وفي أمره ﷺ بعدم المناجاة للاثنين دون الثالث مخالفة لما عليه أهل النفاق ، ومخالفة لليهود أيضاً في أخلاقهم في مجالسهم من التناجي بالشر والإثم والعدوان »[2].

ويحرص الإسلام على تربية المؤمنين على التأدب بالآداب الشرعية في مجالسهم ، فأمرهم سبحانه بالتفسح فيها فقال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ﴾** وأمرهم الرسول الكريم بما يجب عليهم التزامه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجي ونحوها، ص١٠٥٣.

(٢) انظر فتح القدير، ١٨٧/٥.

عند جلوسهم في الطرقات فقال ﷺ : « إياكم والجلوسُ في الطرقاتِ »، قالوا : يارسولَ الله مالنا من مجالسِنا بُدٌّ نتحدثُ فيها. فقال رسولُ اللهِ ﷺ : «فإذا أبيتُم إلا المجلسَ فأعطوا الطريقَ حقَهُ»، قالوا: وما حقُ الطريقِ يارسول اللهِ؟. قال: غضُ البصرِ، وكفُ الأذى، وردُ السلام، والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر »[1].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله أن يكونوا قدوة في مجالسهم من حسن الأدب وكريم الأخلاق، كما عليهم تربية المدعوين على ذلك وحثهم على التمسك بهذا الخلق العظيم.

(١) سبق تخريجه، ص.٨١٤.

باب حفظ السر[1]

١٣٣- عن معتمر[2] بن سليمان رضي الله عنه قال: سمعت أبي، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: أسرّ إليَّ رسول الله ﷺ سراً فما أخبرت أحداً بعده، ولقد سألتني أم سليم فما أخبرتها به»[3].

رقم الحديث: [٦٢٨٩].

الموضوع الدعوي

في حديث الباب يتبين لنا ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ من حرص على حفظ الأمانة، ومن ذلك حفظ السر، فهو أمانة يجب حفظها وعدم إفشائها حتى لأقرب

---

(١) أي: هذا باب في بيان حفظ السر يعني: ترك إفشائه وإظهاره لأنه أمانة وحفظ الأمانة واجب وذلك من أخلاق المؤمنين، عمدة القاري، ٣٩٨/١٥. وانظر: إرشاد الساري ٢٩٢/١٣.

(٢) معتمر بن سليمان التيمي البصري الإمام الحافظ القدوة، وهو من موالي بني مرة. ونسب إلى تميم لنزوله فيهم هو وأبوه، كان من كبار العلماء، ولد سنة ست ومائة قال ابن معين: ثقة. قال أبو حاتم: ثقة صدوق مات بالبصرة سنة سبع وثمانين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٧٨/٨.

(٣) مطابقته للترجمة ظاهرة. انظر: عمدة القاري، ٣٩٨/١٥، لا أطراف له
وأخرجه مسلم عن ثابت عن أنس رضي الله عنهما، قال: أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب
مع الغلمان قال: فسلم علينا فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت ما
حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر. قالت لا
تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحداً. قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به يا ثابت. كتاب
فضائل الصحابة، باب من فضل أنس، رقم ٢٤٨٢.

الأقربين وهم الوالدان ومن بمنزلتهم ، وفي هذا الحديث نجد أنس بن مالك يخبر عن نفسه أن رسول الله ﷺ أسر إليه سراً فلم يخبر به أحداً بعده ﷺ حتى أمه رضي الله عنها عندما سألته عن ذلك السر ، إن حفظ السر من العهد الذي أؤتمن عليه الإنسان ، وسيسأل عنه إن أفشاه دون إذن صاحبه ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ (١).

والسر المنهي عن إفشائه هو ما كان خاصا وليس علماً ، أو يكون في إفشائه ضرر على المسلم ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : « قال بعض العلماء : كأن هذا السر كان يختص بنساء النبي ﷺ ، وإلا فلو كان من العلم ما وسع أنساً كتمانه . وقال ابن بطال : الذي عليه أهل العلم أن السر لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة ، وأكثرهم يقول : إنه إذا مات لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته إلا أن يكون عليه فيه غضاضة .

قلت - والكلام للحافظ ابن حجر - : الذي يظهر انقسام ذلك بعد الموت إلى ما يباح ، وقد يستحب ذكره ولو كرهه صاحب السر ، كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة أو نحو ذلك ، وإلى ما يكره مطلقاً وقد يحرم ، وهو الذي أشار إليه ابن بطال . وقد يجب كأن يكون فيه ما يجب ذكره كحق عليه كان يعذر بترك القيام به ، فيرجى بعده إذا ذكر لمن يقوم به عنه أن يفعل ذلك »(٢).

---

(١) الإسراء : ٣٤.
(٢) فتح الباري ٨٢/١١

والذي يظهر أن السر إذا زال سبب حفظه فإنه يذكر للآخرين إذا كان في ذكره عبرة ومصلحة شرعية ، كإفشاء فاطمة رضي الله عنها سرَّ أبيها لعائشة بعد ما كانت محتفظةً بهذا السر حتى توفي رسول الله ﷺ

فعن عائشة رضي الله عنها قالتْ : كُنَّ أزْواجُ النَّبيُّ ﷺ عِنْدَهُ، فَأقْبَلَتْ فاطمةُ رضي الله عنها تَمْشي، مَا تُخْطِيءُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رسول الله ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا وقال : «مَرْحَبًا بِابْنَتي» ثُمَّ أجْلَسَهَا عَنْ يَمينه أوْ عَنْ شِمَاله، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَديدًا، فَلَمَّا رأى جَزَعَهَا، سَارَّهَا الثَّانيةَ فَضَحِكَتْ، فقلتُ لَهَا : خَصَّكِ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسائه بالسِّرارِ، ثُمَّ أنْتِ تَبْكِينَ؟ فَلَمَّا قَامَ رسولُ الله ﷺ سَألْتُهَا : مَا قَالَ لكِ رسولُ الله ﷺ ؟ قَالتْ: مَا كُنْتُ لأفْشِي عَلى رسولِ الله ﷺ سِرَّه. فَلَمَّا تُوفِّي رسولُ الله ﷺ قلتُ : عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِني ما قالَ لكِ رسولُ الله ﷺ ؟ فقالتْ : أمَّا الآنَ فَنَعَمْ، أمَّا حِينَ سَارَّني في المَرَّةِ الأولى فأخْبَرَني «أنَّ جِبْريلَ كَانَ يُعَارِضُهُ القُرآنَ في كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أوْ مرَّتَيْنِ، وأنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ، وإنِّي لا أرى الأجَلَ إلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ، فاتَّقي اللهَ واصْبِري، فإنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أنا لكِ» فَبَكَيْتُ بُكَائي الَّذي رَأيْتِ، فَلَمَّا رَأى جَزَعي سَارَّني الثَّانيةَ، فقال : «يا فاطمةُ أما تَرْضَيْنَ أنْ تَكُوني سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنينَ، أوْ سَيِّدَةَ نِساءِ هذه الأمَّةِ؟» فَضَحِكْتُ ضَحِكي الذي رأيتِ[1].

ولاشك أن في حفظ السر مصلحةً لمجتمع الدعوة، حيث يبقى متماسكاً كالجسد

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ص٦٩٢، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام، ص٩٩٥.

الواحد ، إذ السر غالباً ما يكون في أمر مهم عند صاحبه ، فلا يحب إفشاء سره للآخرين ، فكيف إذا كان هذا السر يتعلق بمصلحة المسلمين عامة فحفظه من باب أولى .

الفوائد الدعوية :

أولاً : تربيه المدعوين على حفظ السر .

ثانياً : حسن التأدب مع الوالدين .

ثالثاً : تربية الصغار على حفظ السر .

رابعاً : أثر حفظ السر في أمن دولة الإسلام.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : تربيه المدعوين على حفظ السر .

لقد كان رسول الله ﷺ يأمر بحفظ السر ، ويربي ﷺ أصحابه على ذلك ، فكان عليه الصلاة والسلام يسر إلى حذيفة بن اليمان ، وقد عرف بذلك رضي الله عنه حتى سمي صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين ، يعلمهم وحده ، وسأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه هل في عمالي أحد منهم ؟ قال : نعم واحد ، قال : من هو ؟ ، قال : لا أذكره ،

فعزله عمر كأنما دل عليه»[1].

وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم إذا مات الرجل بالمدينة ينظرون إلى حذيفة هل يصلي عليه ، فإن صلى عليه عرفوا أنه ليس من المنافقين فصلوا عليه، وإن امتنع من الصلاة عليه تركوا الصلاةَ عليه.

وفي حديث الباب نجد أم أنس رضي الله عنهما توصي ابنها أنساً ألا يفشي سرَّ رسول الله ﷺ ، مما يدل دلالة واضحة على حسن تربية الصحابة والصحابيات لأبنائهم.

ومن الأسرار التي أوجب الإسلام حفظها ما يجري بين الزوجين في خلوتهما، وقد نهى رسول الأمة ﷺ عن ذلك ، وتوعد من يقدم عليه بالوعيد الشديد ، وذلك في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن من أشرِ الناسِ عند اللهِ مَنزِلةً يومَ القيامةِ الرجلَ يفضي إلى المَرأةِ وتفضي إليه ثم ينشر سرَّها»[2].

فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر للمدعوين، وتحذيرهم من إفشاء الأسرار التي يؤتمنون عليها.

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي، ١٥٤/١.
(٢) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب: تحريم إفشاء سر المرأة، ص٥٧٠، ط بيت الأفكار

ثانياً : حسن التأدب مع الوالدين .

في حديث الباب يخبرنا أنس عن كيف تعامل مع سر رسول الله ﷺ الذي أسر به إليه، وأنه رضي الله عنه قام بحفظ هذا السر كما ينبغي، يقول أنس: «ولقد سألتني أم سليم فما أخبرتها به». وهذا يعني أن الإحسان إلى الوالدين له حدوده الشرعية التي لا ينبغي تجاوزها، وهو مع ذلك من حسن التأدب مع الوالدين.

ويتضح حسن تأدب أنس مع والدته أم سليم، وتشجيعها لها على الخير ما ورد في صحيح الإمام مسلم عن ثابت عن أنس رضي الله عنهما قال : أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا فبعثني في حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت : ما حبسك؟ فقلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة. قالت: ما حاجتُه؟ قلت: إنها سر. قالت : لا تخبرنَ بسر رسول الله ﷺ أحداً. قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به يا ثابت»[1].

فهو لم يبح بالسر في أول وهلة بل قال لأمه أم سليم بأدب واحترام: «إنها سر» وما كان للأم الفاضلة أيضا إلا أن تتقبل ذلك منه ، فتشجعه على الخير، وعلى المضي فيما هو عليه من اتباع أمر الله وأمر رسوله ﷺ فقالت: «لا تخبرنَ بسر رسول الله ﷺ أحداً».

فعلى الدعاة إلى الله بيان حسن التأدب والتعامل مع الوالدين، وفق الضوابط الشرعية.

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أنس بن مالك، ص١٠٠٧.

ثالثاً: تربية الصغار على حفظ السر.

حرص الإسلام على تربية النشء على أحكام الشريعة ليتربوا ويكبروا عليها، من ذلك أمره ﷺ بتربية الأولاد على الصلاة منذ بلوغ سبع سنين، وتوجيهه ﷺ للذي كانت تطيش يده في الصحفة وقوله عليه الصلاة والسلام له: « يا غلام سم اللهَ، وكلْ بيمينك، وكلْ مما يليك»[1]. وشجع صحابته على هذا العمل، حيث أقر فعل المرأة التي سألته عن قبول حج ابنها، وحصول الأجر لها على ذلك، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ لقي ركبانا بالروحاء[2] فقال: «من القوم؟». قالوا: المسلمون. قالوا: من أنت؟ قال: « رسول الله » فرفعت امرأة صبياً فقالت: ألهذا حج؟ قال: «نعم ولكِ الأجر»[3] فهذا مما يبين حرص الإسلام على تربية النشء على أحكام الإسلام.

وللأم دور كبير في هذا الجانب، ومن تربية الصغار على الأخلاق الإسلامية الفاضلة، والتي منها حفظ السر الذي يؤتمن عليه الصغير؛ لذا نجد أمَ سليم رضي الله عنها تؤكد على ابنها وتشجعه في حفظ سر رسول الله ﷺ وعدم إفشائه لأحد فقالت - كما في رواية مسلم -: «لا تخبرنّ بسر رسول الله ﷺ أحداً».

إنها التربية الإسلامية التي تربى عليها أصحاب رسول الله ﷺ، وإنها صورة

---

(1) سبق تخريجه، ص ٣٧٧.
(2) الروحاء بفتح الراء والحاء: موضع من عمل الفرع بينها وبين المدينة ستة وثلاثون ميلا.
(3) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب صحة حج الصبي وأجر من حج به، ص٥٢٨، ط بيت الأفكار الدولية.

حقيقية لما عليه صحابة رسول الله ﷺ الذين أكرمهم الله بصحبة نبيه ﷺ حيث يقدمون أمر الله وأمر رسوله على هوى النفوس ورغباتها ، فهي رضي الله عنها لم تتوانى في تشجيع ابنها على الخير بعد ما سمعت منه بأنه سر وأمانة، فعلى الدعاة إلى الله تعالى حث المدعوين على تربية أولادهم على هذا الأمر، وأن يهتموا بتربية النشء على أحكام هذا الدين ، وألا يتساهلوا في ذلك ؛ لما لتربيتهم على ذلك منذ الصغر من أثر كبير على شخصيتهم حين يكبرون ويكونون أهلا لتحمل المسؤوليات .

رابعاً : أثر حفظ السر في أمن دولة الإسلام.

إن لحفظ السر مكانةً عظيمةً في الإسلام ، فهو من العهد الذي أمر الله سبحانه بحفظه في عدة مواضع في القرآن ، وتوعد من خالفه بالوعيد الشديد فقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾(١) .

وتأتي أهميته القصوى وتتأكد إذا كان خاصا بمصالح المسلمين ، كأن يكون متعلقاً بحرب العدو، أو رد كيدهم وشرهم عن المسلمين ، ففي هذه الحالة يكون حفظه واجباً مؤكداً على كل من اؤتمن عليه ، وإفشاؤه خطراً عظيماً على أمن دولة الإسلام، وخيانةً لله ورسوله، وتدميرا لمصالح الأمة وتعريضها للخطر ، وقد حدث في زمن رسول الله ﷺ شيء من ذلك، فكاد يحدث ما لا تحمد عقباه. كما في قصة حاطب بن

---

(١) الإسراء : ٣٤

أبي بلتعة رضي الله عنه الذي زلت به القدم - وكان رجلاً مؤمناً محباً لله ورسوله - فكاد أن يفشي سر المسلمين لمشركي مكة، حيث أرسل الكتاب مع امرأة « فبعث رسول الله ﷺ علياً والزبير بن العوام وأبا مرشد الغنوي رضي الله عنهم فقال ﷺ: « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها امرأة من المشركين معها صحيفة من حاطب بنِ أبي بَلتعة إلى المشركين» قال عليٌّ: فأدركناها تسيرُ على جملٍ لها حيثُ قالَ لنا رسولُ الله ﷺ. قال: قُلنا: أين الكتاب الذي معكِ؟ قالت: ما معي كتابٌ. فأنخنا بها فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئاً. قال صاحباي: ما نرى كتاباً. قال: قلتُ: لقد علمتُ ما كذبَ رسول الله ﷺ والذي يُحلَف به، لتخرجنَّ الكتابَ أو لأجردنكِ. قال: فلما رأت الجد مني أهوت بيدها إلى حُجْزَتِها، وهي مُحْتَجِزةٌ بكساءٍ فأخرجت الكتاب.

قال: فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ فقال: « ما حملك يا حاطب على ما صنعت؟» قال: مابي إلا أن أكون مؤمنًا بالله ورسوله وماغيرت ولا بدلت، أردت أن تكون لي عند القوم يدٌ يدفع اللهُ بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك هناك إلا وله من يدفع الله به عن أهله وماله. قال: «صدق، فلا تقولوا له إلا خيراً»، قال: فقال عمر بن الخطاب: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني أضرب عنقه، قال: فقال: «ياعمر وما يدريك، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة»، قال: فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم»[1]. فأنزل الله تعالى في

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب من نظر في كتاب من يُحْذَرُ على المسلمين ليستبين أمره، ص١٢٠٥، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب ابن أبي بلتعة، ص١٠١١.

حاطب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾[1]. ففي هذه القصة نرى كيف تدارك الرسول ﷺ الموقف بعد نزول الوحي عليه، وكيف بادر بإرسال ثلاثة من فرسان صحابته يتقدمهم جميعا ابن عمه علي بن أبي طالب، وكيف همّ عمر بن الخطاب بضرب رقبة حاطب لاقترافه عملا من أعمال المنافقين وهو افشاء سر المسلمين، وكيف عاتبه الله سبحانه ونزلت فيه الآية ، كل هذا يؤكد أهمية السر ووجوب حفظه ، وبخاصة إذا كان متعلقاً بمصالح دولة الإسلام .

والدعاة هم خيار المجتمع الإسلامي فعليهم أن يهتموا بحفظ أسرار الدولة وعدم إفشائها امتثالاً لأمر الله القائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ.... ﴾[2].

---

(١) الممتحنة ١. وللفائدة انظر : سيرة ابن هشام ٢/٣٩٩، ط مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥م

(٢) النساء : ٥٩.

باب لا تترك النار في البيت عند النوم[1]

١٣٤- عن سالم[2]، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «لا تَتْرُكُوا النَّارَ في بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ»[3].

رقم الحديث: [٦٢٩٣].

١٣٥- عن أبي موسى[4] رضي الله عنه قال: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل فحُدِّثَ بشأنهم النبي ﷺ فقال: «إنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ فإذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ»[5].

رقم الحديث: [٦٢٩٤].

---

(١) أي: هذا باب يذكر فيه كذا إلى آخره. عمدة القاري،١٥/٤٠٠.

(٢) هو أبو عمر ويقال أبو عبد الله سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القريشي العدوي المدني التابعي الإمام الفقيه الزاهد العابد. كان كثير الحديث عالياً من الرجال ورعاً، وكان عبد الله بن عمر يلقى ابنه سالمًا فيقبله ويقول: ألا تعجبون من شيخ يقبل شيخاً، وقد عده ابن المبارك من الفقهاء السبعة بالمدينة. توفي رحمه الله سنة ست ومائة وقيل سنة ثمان بالمدينة. انظر: تهذيب الأسماء واللغات، ١/٢٠٧.

(٣) مطابقته للترجمة ظاهرة. عمدة القاري للعيني، ١٥/٤٠١. والحديث أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكا السقاء وإغلاق الأبواب، رقم ٢٠١٥.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) مطابقته للترجمة في قوله ﷺ: «فأطفئوها» لأن الطفء عدم تركها في البيت عند النوم. عمدة القاري للعيني، ١٥/٤٠١. والحديث أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكا السقاء وإغلاق الأبواب، رقم ٢٠١٦.

الموضوع الدعوي

في حديثي الباب يتبين حرص الإسلام على سلامة المسلمين ، وعلى أمنهم في أنفسهم وأموالهم ، يتمثل ذلك في تحذيره ﷺ من ترك النار عند النوم ؛ لأن الغفلة قد تحصل فيقع المحذور الذي يحذره كل مسلم على نفسه وماله وأهله وهو الحريق ، وقد احترق بيت في المدينة على أهله في الليل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : «إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ». وفي هذا إرشاد منه ﷺ للحذر مما يكون سبباً لهلاك المال أو النفس عند التفريط أو الغفلة. قال الحافظ رحمه الله: «وفي حديث أبي موسى بيان حكمة النهي وهي خشية الاحتراق»[(١)].

قال القرطبي : «الأمر والنهي في هذا الحديث للإرشاد ، قال: وقد يكون للندب، وجزم النووي بأنه للإرشاد لكونه لمصلحة دنيوية»[(٢)] وتعقب بأنه قد يفضي إلى مصلحة دينية، وهي حفظ النفس المحرم قتلها، والمال المحرم تبذيره»[(٣)].

ولا شك أن المصلحة الدينية ظاهرة؛ لما فيه من حفظ المال والنفس بل والعلم أحيانا، إذ قد تذهب مع مثل هذا الحدث أمهات الكتب التي لا تعوض، وقد وردت في بعض كتب التراجم قصص احتراق مكتبات مليئة بالكتب والمصنفات القيمة.

وقد روي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أحاديث كثيرة تبين حرصه ﷺ

---

(١) فتح الباري، ١١/٨٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٥/٢٨٠.

(٣) فتح الباري، ١١/٨٦.

على حفظ أمن المسلمين، وتحذر من كل ما قد يلحق بهم الضرر، من ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خمروا[1] الآنية، وأجيفوا الأبواب، وأطفئوا المصابيح[2]، فإن الفويسقة ربما جرت الفتيلة فأحرقت أهل البيت»[3].

إن النار ـ كما وصفها رسول الله ﷺ ـ عدو للإنسان؛ لأنها تأكل الأخضر واليابس من الممتلكات، وتهلك الإنسان والحيوان، وربما خلفت تشويهات عظيمة وخطيرة في جسم الإنسان، وآثارها قد لا تنمحي من جسم الإنسان، بالإضافة إلى أخطار أخرى جعلتها عدواً حقيقياً للإنسان، ومن هنا نبه الرسول الرحيم بأمته ﷺ إلى خطورتها، وحثهم على الحذر الشديد منها، وأمر بإطفائها عند النوم. لكن إذا أمن من الحريق فلا بأس بتركه عند النوم؛ كما بين ذلك الإمام النووي رحمه الله حيث قال في نهيه ﷺ عن ترك النار عند النوم: «هذا عام تدخل فيه نار السراج وغيرها، وأما القناديل المعلقة في المساجد وغيرها فإن خيف حريق بسببها دخلت في الأمر بالإطفاء، وإن أمن ذلك كما هو الغالب، فالظاهر أنه لا بأس بها لانتفاء العلة، فإذا انتفت العلة زال المنع»[4].

---

(١) خمروا خامر الشيء قاربه وخالطه، والخمرة من الخمار كاللحفة من اللحاف، وتخمرت بالخمار واختمرت لبسته وخمرت به رأسها غطته، وفي قوله ﷺ خمروا آنيتكم: التخمير التغطية. لسان العرب ٢٥٤/٤.

(٢) المصابيح مصباح - الصبح أول النهار والصبح الفجر والصباح نقيض المساء والمصباح السراج وهو قرطه الذي تراه في القنديل وغيره. لسان العرب. ٥٠٦/٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان بنفس الباب، ص١٢١١، وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكا السقاء وإغلاق الأبواب، ص٨٣٥.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، ٢٧١/١٣، وانظر فتح الباري ٨٦/١١.

وبهذا يتبين هدي الإسلام الهادف إلى بقاء مجتمع الدعوة مجتمعاً محفوظاً بمشيئة الله من الكوارث المفجعة من حريق ونحوه .

الفوائد الدعوية :

أولاً : البلاغة والفصاحة في التعبير أسلوب من أساليب الدعوة

ثانياً : إخبار ولي الأمر بما يقع من حوادث.

ثالثاً : على الدعاة تحذير المدعوين من الإهمال المؤدي إلى هلاك النفس والمال .

رابعاً : شفقة الرسول ورحمته بأمته .

خامساً : بيان أسباب الأمن والسلامة للمدعوين.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : البلاغة والفصاحة في التعبير أسلوب من أساليب الدعوة .

لقد كان رسول الله ﷺ أفصح الناس وأبلغهم في الكلام، يعبر بكلمات تغني عن المطولات، وبعبارات واضحة المعاني والدلالات، وفي هذا الحديث يصف ﷺ الداء ليبحث عن الدواء الناجع، وذلك في قوله: «إنَّ هذه النَّارَ إنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُم .... الحديث تشبيه منه ﷺ للنار بالعدو الذي يشكل خطراً على حياة المسلم وماله، وذلك

ليعد المسلم العدة للعدو من سلاح وحراسة وغيرها، فيكون على أهبة الاستعداد، ولصد هجومه المباغت، وهكذا النار عندما يعلم المسلم أنها عدو له يفعل الأسباب المانعة من وصولها إليه.

قال ابن العربي: «ومعنى كون النار عدواً لنا أنها تنافي أبداننا وأموالنا منفاة العدو، وإن كانت لنا بها منفعة، لكن لا يحصل لنا منها إلا بواسطته، فأطلق أنها عدو لنا لوجود معنى العداوة»[1].

وهكذا يجب على الداعية أن يكون ذا فصاحة ، يستعمل أسلوباً مؤثراً بليغاً في كلامه ؛ ليكون أسرع في الفهم ، وأقوى في التأثير .

ثانياً: إخبار ولي الأمر بما يقع من حوادث.

إن الدعاة إلى الله هم أول من يتصل بولي الأمر فيبينون له ما يحدث في المجتمع من حوادث تضر بالمسلمين، وهذا من النصح لولي الأمر الذي أمر به النبي ﷺ بقوله: «الدينُ النصيحة» قلنا: لمن ؟ قال: « للهِ ولكتابهِ ولرسولهِ ولأئمةِ المسلمين وعامتهم»[2]، وعن جرير رضي الله عنه قال : « با يعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم »[3] .

---

(١) فتح الباري ٨٦/١١

(٢) سبق تخريجه، ص ١٠٦ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، قول النبي ﷺ الدين النصيحة، ص ٥٨ .

وقد طبق الصحابة رضوان الله عليهم ذلك ، فعملوا بكل ما فيه النصح لولي أمر المسلمين، كما في حديث الباب، حيث احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل فحُدِّثَ بشأنهم النبي ﷺ .... وفيه ما يدل على حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على إبلاغه ﷺ بكل ما يحدث من مكروه أو فوات نفس وضرر بالمسلمين، وكثيراً ما كان يبادر الصحابة إلى إبلاغ الرسول ﷺ بكل ما يلحق بالمسلمين من ضررٍ، من ذلك ما ورد من قصة الرجل المجبر على الغسل وهو مريض، فمات من شدة البرد، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب ـ شك موسى ـ على جرحه خرقةً، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده»[1]. ومن ذلك ما بُلغ به ﷺ حين قَتَلَ أسامةُ بن زيدٍ رضي الله عنه الرجل الذي قال: لا إله إلا الله ، فتأثر عليه الصلاة والسلام بفعل أسامة رضي الله عنه فقال له: أقتلته، قال: نعم، قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله، .إذا جاءت يوم القيامة...الحديث[2].

فعلى الدعاة إلى الله أن يرفعوا إلى من ولاهم الله أمرهم المخاطر التي تحدث أو يتوقع حدوثها ؛ وذلك لاتقاء شرها ، فإن فرصة الوصول إلى المسؤولين وولاة الأمور متاحة للعالم والداعية أكثر من غيره من عامة الناس ، إضافة إلى كون ذلك من باب التعاون على البر والتقوى والذي أمر اللهُ به في قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ

---

(١) سبق تخريجه. ص ٨٥١ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، ص ٦٦ .

وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(١)

ثالثاً : على الدعاة تحذير المدعوين من الإهمال المؤدي إلى هلاك النفس والمال.

في حديثي الباب يحذر الرسول ﷺ أمته من الغفلة عن هذه النار التي هي عدو الإنسان، لما تسببه الغفلة عنها من هلاك النفوس والأموال، ويوجه أمته إلى ما ينبغي القيام به قبل النوم من أعمال يوفر للمؤمن الأمان في بيته وعلى أهله ، وهذا كله من حرصه عليه الصلاة والسلام على سلامة أمته وأمنها، والرسول ﷺ هو الإمام القدوة الذي يجب أن يتأسى به الدعاة قبل غيرهم من عامة الناس ؛ لذا يجب على الدعاة أن يبينوا للمسلمين أسباب المخاطر التي قد يغفلون عنها أو يتساهلون بها، ويغرسوا في نفوس المدعوين حسن الامتثال لأمر سيد المرسلين ، والأخذ بسنته عليه الصلاة والسلام، فإن التساهل في ذلك قد يعرض المسلم إلى الضرر الذي لا تحمد عقباه .

قال القرطبي : «إن الواحد إذا بات ببيت ليس فيه غيره وفيه نار فعليه أن يطفئها قبل نومه، أو يفعل بها ما يؤمن معه الاحتراق، وكذا إن كان في البيت جماعةٌ فإنه يتعين على بعضهم، وأحقهم بذلك آخرهم نوماً، فمن فرط في ذلك كان للسنة مخالفاً، ولأدائها تاركاً»(٢).

وكم جنى المسلمون من الخسائر بسبب الإهمال الذي حذر منه ﷺ ، والذي نتج

(١) المائدة : ٢.

(٢) فتح الباري ٨٦/١١

عنه الحرائق ذهب ضحيتها أنفسٌ وأموالٌ !.

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين أن بذل الأسباب من حسن التوكل على الله؛ حتى لا يقول قائل عند حدوث مكروه : إنه قضاء وقدر. نعم إنه قضاء وقدر، ولكن المسلمين مأمورون بالأخذ بالأسباب والاحتياطات التي تؤدي إلى السلامة وتوفرها بإذن الله تعالى، كنهيه ﷺ من ترك النار في البيت عند النوم، ويدخل في ذلك ما يتعلق بالنار من الأجهزة الكهربائية الحديثة كالفرن والمدفئة وغيرها الذي يؤدي تركها أثناء النوم إلى حدوث حريق. إن الداعية إلى الله يحرص كل الحرص على سلامة المدعوين حباً لهم في الله، وأداء للأمانة التي أنيطت به، ويبين لهم أسباب السلامة من الحرائق وغيرها.

رابعاً : شفقة الرسول ورحمته بأمته .

في تحذيره عليه الصلاة والسلام من ترك النار عند النوم وبيان أنها عدو للإنسان ما يدل على شفقته ورحمته ﷺ بأمته ، وهو الأمر الذي وصفه به ربه تعالى في كتابه العزيز حيث يقول : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1] فهو ﷺ يرأف بصحابته رضوان الله تعالى عليهم ويحذر من إيذائهم، ويرشد إلى كل ما فيه السلامة والأمن، من ذلك ما رواه أبو موسى رضي

---

(١) التوبة : ١٢٨.

الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مر أحدكم في مساجدنا أو سوقنا ومعه نبل[1] فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها شيء»[2].

وقد تعدت شفقته عليه الصلاة والسلام الإنسان إلى الحيوان، فعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ: مر عليه حمار قد وسم في وجهه فقال: «لعن الله الذي وسمه».[3] وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: كنا مع رسول الله في نفر فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»[4].

فعلى الدعاة أن يضربوا أروع المثل في الشفقة على المسلمين والعطف عليهم اقتداء بنبيهم محمد ﷺ.

(١) النبل: السهام.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ، من حمل علينا السلاح فليس منا، ص١٣٥٢، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس أن يمسك بنصالها، ص١٠١٥.

(٣) صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه، ووسمه فيه، ص٨٧٧.

(٤) سبق تخريجه، ص ٤٨٤.

خامساً : بيان أسباب الأمن والسلامة للمدعوين.

في نهيه عليه الصلاة والسلام من ترك النار في البيوت عند النوم ما يدل على حفاظ الإسلام على أمن وسلامة المجتمع ، وكثيراً ما كان الرسول ﷺ يوجه أصحابه بهذا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار» [(١)] .

فسبحان الله ! كم نسمع من قتل أشخاص أبرياء بسبب العبث بالسلاح أو الإشارة به تخويفا أو مزاحا، فيقع المكروه الذي حذر منه الرسول ﷺ !.

ومن ذلك أيضا نهيه ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولاً ، فعن جابر رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ أن يتعاطى السيفُ مسلولاً » [(٢)].

ومنه كذلك نهيه ﷺ من الإشارة بالحديدة على المسلم ، كما في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أبو القاسم ﷺ : « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينزع، وإن كان أخاه لأبيه وأمه» [(٣)].

ما أعظم هذا الدين الذي وجه إلى كل ما فيه سلامة الأنفس والأموال، وأمر بما فيه سعادة البشرية، ونهى عما قد يسبب هلاكاً لها، إنه الدين القويم الذي أنزله الله وأوجب

---

(١) سبق تخريجه، ص ٣٢٧ .

(٢) سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ماجاء في النهي عن تعاطي السيف مسلولا، قال أبو عيسى حديث حسن غريب، ٣٣٢/٦، وسنن أبي داود كتاب الجهاد باب في النهي أن يتعاطى السيف مسلولا، ص٣٩٩.

(٣) سبق تخريجه، ص ٣٢٧ .

على الناس كافة التدين به؛ لما فيه من مصالحهم الدنوية والأخروية.

فعلى الدعاة بيان أسباب الأمن والسلامة للمدعوين، كما بين ذلك رسول الله ﷺ لأصحابه لتقل الحوادث بمشيئة الله في المجتمع المسلم.

باب الخِتان بَعدَ الكِبَر ونَتف الإبط[1]

١٣٦- عن سعيد بن جبير[2] قال: سُئلَ ابن عباس: مثلُ منْ أنتَ حينَ قُبضَ النبيُّ ﷺ؟ قال: أنا يومئذٍ مختون[3]، قال: وكانوا لا يختنون الرَّجلَ حتى يدرك[4]»[5].

رقم الحديث: [٦٢٩٩].

وفي رواية: «قبض النبي ﷺ وأنا ختين».

طرف رقم: [٦٣٠٠].

الموضوع الدعوي

في حديث الباب بين لنا ابن عباس رضي الله عنهما وقت ختنه، وأنه أدرك وفاة

---

(١) أي: هذا باب في بيان الختان بعد كبر الرجل، قال العيني: قد بين الكرماني وجه ذكر الختان في كتاب الاستئذان هو أن الختان لا يحصل إلا في الدور والمنازل الخاصة ولا يُدخل فيها إلا بالاستئذان، عمدة القاري، ١٥/٤٠٣.

(٢) سعيد بن جبير ابن هشام الأسدي، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، روى عن ابن عباس فأكثر وجوّد، وعن عبدالله بن مغفل، وعائشة وغيرهم وحدث عنه خلق كثير، مات سنة ٩٥هـ. سير أعلام النبلاء ٤/٣٢١-٣٢٢.

(٣) مختون أي: وقع له الختان، فتح الباري، ١١/٩٠.

(٤) حتى يدرك أي: حتى يبلغ الحلم، المصدر السابق، ص٩٠.

(٥) مطابقته للترجمة في كونه مشتملاً على الختان، عمدة القاري، ١٥/٤٠٤، والحديث طرفه بنفس الباب رقم ٦٣٠٠.

رسول الله ﷺ وهو مختون أي بلغ الحلم.

وقد ورد في بيان وقت ختان أبينا إبراهيم عليه السلام أنه بعد الثمانين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اختتن إبراهيم عليه الصلاة والسلام بعد ثمانين، واختتن بالقدوم»[1].

قال المهلب: «ليس اختتان إبراهيم عليه السلام بعد ثمانين مما يوجب علينا مثل فعله، إذ عامة من يموت من الناس لا يبلغ الثمانين»، والاختتان في الصغر لتسهيل الأمر على الصغير لضعف عضوه وقلة فهمه»[2].

أما ما يتعلق بفوائد الختان فقد سبق الحديث عنها في كتاب اللباس[3].

الفوائد الدعوية:

أولاً: حرص السلف على معرفة سيرة رسول الله ﷺ.

ثانياً: عظم مصيبة المسلمين بوفاة سيد المرسلين.

---

(١) صحيح البخاري بنفس الكتاب والباب، رقم الحديث ٦٢٩٨.
(٢) فتح الباري، ٨٩/١١.
(٣) كتاب اللباس، ص ٣٤٥.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : حرص السلف على معرفة سيرة رسول الله ﷺ :

في قول سعيد بن جبير سُئل ابن عباس : مثل من أنت حين قبض النبي ﷺ ما يبين اهتمام التابعين رحمهم الله بسيرة سيد المرسلين، ولاشك أن دراسة السيرة النبوية فيها من العبر والدروس التي لا تخفى، حيث يستفيد الداعية إلى الله من السيرة العطرة ما ينفعه في أعماله الدعوية وفي جميع أموره كلها.

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله الاهتمام بالسيرة النبوية الموثقة وحث المدعوين على قراءتها والاستفادة منها.

ثانياً : عظم مصيبة المسلمين بوفاة سيد المرسلين :

لقد بين الله جلَّ وعلا في كتابه أن رسول الله ميت كغيره من البشر، فقال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]. وقد فجعت أمة الإسلام بموت محمد ﷺ وبين عظم هذه المصيبة ما حصل لصحابة رسول الله ﷺ من دهشة عظيمة عند موته، فهذا عمر يقول للمغيرة حين أخبره أن رسول الله ﷺ مات : «كذبت بل أنت رجل نحو سك فتنة، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يغني اللهُ المنافقين»، حتى خطب أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله يقول : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم

(١) الزمر : ٣٠.

مَيِّتُون ..﴾، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾[1] حتى فرغ من الأمر، ثم قال: فمن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، فقال عمر: أو إنها في كتاب الله؟ ما شعرت أنها في كتاب الله»[2].

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن كثير، ٤/٤٨٠. ط دار المعرفة، بيروت.

باب ما جاء في البناء (1)

قال أبو هريرة عن النبي ﷺ : مِنْ أشْرَاطِ السَّاعَةِ(2) إِذَا تَطَاوَلَ رُعَاءُ البُهمِ فِي البُنْيَان . .

١٣٧- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ بَنَيْتُ بِيَدِي بَيْتاً يُكِنُّنِي مِنَ الْمَطَرِ ، وَيُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ ، مَا أَعَانَنِي عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّه (3).

رقم الحديث : [٦٣٠٢].

١٣٨- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : واللَّهِ مَا وَضَعْتُ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ ، وَلا غَرَسْتُ نَخْلَةً مُنْذُ قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ . قال سفيان : فَذَكَرْتُه لِبَعْضِ أَهْلِه قال : وَاللَّهِ لَقَدْ بَنَى قال سفيان : قلت : فَلَعلَّه قَالَ : قَبْلَ أنْ يَبْنِي (4) .

رقم الحديث : [٦٣٠٣].

---

(1) أي هذا باب ماجاء في البناء وذمه من الاخبار. والبناء أعم من أن يكون من طين أو حجر أو خشب أو قصب ونحو ذلك، عمدة القاري، ٤٠٧/١٥، وانظر فتح الباري، ٩٢/١١.

(2) أشراط الساعة : هي علامات القيامة التي تسبقها وتدل على قربها .
وقيل هي ما تنكره الناس من صغار أمورها قبل ما تقوم الساعة .
وقيل هي أسبابها التي هي دون معظمها وقيامها .
انظر النهاية في غريب الحديث ٤٦٠/٢ ، لسان العرب ٣٢٩/٧

(3) مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله: «بنيت بيدي»، فتح الباري، ٩٣/١١، وعمدة القاري، ٤٠٨/١٥.

(4) مطابقته للترجمة ما ذكر في الذي قبله، عمدة القاري، ٤٠٨/١٥.

غريب الحديث :

البهم : البهيمة كل ذات أربع قوائم من دواب البرّ والماء، والجمع بهائم، والبهمة الصغير من أولاد الغنم الضأن والمعز والبقر من الوحش وغيرها، الذكر والأنثى في ذلك سواء والجمع بهمٌ[1].

يكنني : الكن بالكسر وقاء كل شيء وستره كالكنة والكنان بكسرهما واستكن استتر[2].

يظلني : أظللت الشيء إذا غيبته وأظللت الميت دفنته[3].

لبنة : المضروب من الطين مربعًا للبناء[4].

الموضوع الدعوي

يتبين لنا في حديثي الباب عظمة هذا الدين واهتمامه بشؤون حياة المسلم كلها، ومما يهم المسلم في حياته البناء، «وهو أعم من أن يكون بطين أو مدر أو بخشب أو من قصب أو من شعر»[5]، وقد بين رسول الله ﷺ أن رعاء البهم سيتطاولون في

(١) لسان العرب ٥٦/١٢.
(٢) القاموس المحيط للفيروز أبادي، ص ١١٠٧.
(٣) لسان العرب ٣٩١/١١.
(٤) القاموس المحيط للفيروز أبادي، ص١١٠٨.
(٥) فتح الباري ٩٢/١١.

البنيان، وفي هذا دليل على بسطالدنيا لأهل البادية من الفقراء، وكذلك توسع رقعة الإسلام.

قال الإمام الكرماني: «وحاصله أن الفقراء من أهل البادية تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في إطالة البنيان، يعنى العرب تستولي على الناس، وهو إشارة إلى اتساع دين الإسلام واستيلاء أهله»(١).

وقد عدَ عليه الصلاة والسلام التنافس في الدنيا، وخصوصاً في عمارة القصور العالية، والتطاول في البنيان من أمارات الساعة، فقال ﷺ: « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَة إذا تَطَاوَلَ رُعَاءُ البُهم فِي الْبُنْيَان ». ولا يعني هذا أن الإسلام يمنع من الاهتمام بالبناء الذي يقي المسلم من حرارة الشمس، ويحفظه من المطر، بل إن بناء المسكن من ضروريات الحياة ؛ لذا قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: « رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ بَنَيْتُ بِيَدِي بَيْتاً يُكِنُّنِي مِنَ الْمَطَرِ، وَيُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ ....». وإنما يمنع الإسلام من الانشغال بذلك حتى ينسي الآخرة، أو يحمل على تناسيها.

وفي الحديث جواز القسم للتأكيد إن كان في ذلك مصلحة، ولا يدخل في القسم

---

(١) صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٢١/٢٢.
وفي كلام الكرماني هذا نظر، حيث أشكل هذا الكلام بأن الحديث يدل على اتساع دين الإسلام واستيلاء أهله، والظاهر أن الامر ليس كذلك، لأن هذا الحديث جاء لبيان علامات الساعة، وهي في أخر الأزمنة، ومن المعلوم أن اتساع رقعة الإسلام وقوته كان في القرون المفضلة، بل هذا الحديث يدل على تغير أحوال الاعراب الذين يسكنون البادية رعاة الغنم، حيث يترك مهنة أبائه وأجداده ويتجه إلى الحاضرة فيبدأ اهتمامهم ببناء القصور والمباني الفاخرة، وينشغلون بالحياة عن الجهاد في سبيل الله ونشر الدعوة إلى الله.

المنهي عنه، حيث قال عبد الله بن عمر: « واللَّهِ مَا وَضَعْتُ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ ....»، وقد نبه بعض العلماء على الفرق بين الغرس والبناء؛ لما في الغرس من الأجر العظيم، قال الداودي: «ليس الغرس كالبناء ؛ لأن من غرس ونيته طلب الكفاف أو لفضل ما ينال منه، ففي ذلك الفضل لا الإثم »، وتعقبه الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله: «لم يتقدم للاثم في الخبر ذكرٌ حتى يعترض به، وكلامه يوهم أن في البناء كله الإثم وليست كذلك بل فيه التفصيل، وليس كل مازاد منه على الحاجة يستلزم الإثم، ولاشك أن في الغرس من الأجر من أجل ما يؤكل منه ماليس في البناء، وإن كان في بعض البناء ما يحصل من الأجر مثل الذي يحصل به النفع لغير الباني فإنه يحصل للباني به الثواب والله أعلم[1].

الفوائد الدعوية :

أولاً : الزهد من الدنيا، والرضى منها بالقليل.

ثانياً : مشروعية الاعتماد على النفس بعد الله في جميع شؤون الحياة .

ثالثاً : تذكير المدعوين بأشراط الساعة .

رابعاً : مشروعية بناء البيت في الإسلام .

خامساً : حسن تأدب المتعلم مع المعلم .

---

(١) فتح الباري ١١/٩٣.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : الزهد في الدنيا، والرضى منها بالقليل.

يذكر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما كان عليه مع رسول الله ﷺ، وأنه اقتصر بالقليل في هذه الحياة الدنيا، حيث بنى بيتاً يظله عن الشمس، ويقيه من المطر، وهذا ما يدل على قناعته في هذه الحياة الدنيا، وأنها دار ممر وليست بدار مقر. وفي هذا العمل من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخذ بوصية رسول الله ﷺ له، حيث وصاه ﷺ بقوله: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» [1]. وهل الغريب أو عابر السبيل يسعى إلى كثرة البناء وتشييد القصور؟ كلا، إنه لا يعير ذلك اهتمامه ولا عنايته، إذ هو متيقن أن الرحيل سيكون قريباً في يوم من الأيام، أو لحظة من اللحظات.

وقد بين عليه الصلاة والسلام لأمته فضل الكفاف بالعيش في هذه الحياة الدنيا فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورُزِقَ كفافاً وقنعه الله بما آتاه» [2].

وما أجمل أن يكون المؤمن مقتنعاً بما آتاه ربه سبحانه وتعالى، فإن في ذلك خيراً عظيماً له وراحةَ بالٍ لا تعدلها راحة كما قال ﷺ: «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» [3].

---

(١) سيأتي شرح هذا الحديث في كتاب الرقاق ص ١٠٤٥.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: في الكفاف والقناعة، ص٤٠٤.
(٣) سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب من بات آمناً في سربه معافى في بدنه، ٩٣/٧

فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر المهم للمدعوين، وحضهم على القناعة بما آتاهم الله من فضله، وتربيتهم على عدم التعلق الشديد بالدنيا، فإن الدنيا زائلة والآخرة خير وأبقى .

ثانياً: فضل الاعتماد على النفس بعد الله في جميع شؤون الحياة .

في قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « بَنَيْتُ بِيَدِي بَيْتاً يُكِنُّنِي مِنَ الْمَطَرِ، وَيُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ، مَا أَعَانَنِي عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ» ما يدل على حرص صحابة رسول الله ﷺ على الاعتماد على أنفسهم في قضاء حوائجهم الخاصة ،وعدم الاتكال على الآخرين فيها، وهذا الذي ربى عليه الصلاة والسلام أصحابه عليه رضوان الله عليهم ، فعن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعةً أو ثمانيةً أو سبعةً فقال : « ألا تبايعون رسولَ الله ﷺ ؟»، وكنا حديثَ عهد ببيعةٍ فقلنا: قد بايعناك يا رسولَ الله، ثم قال: «ألا تبايعون رسولَ الله ؟»، قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسولَ! الله فعلام نبايعك ؟ قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا» وأسر كلمة خفية: «ولا تسألوا الناس شيئاً»، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه»[1].

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، ص. ٤٠.

وهكذا ينبغي على الدعاة إلى الله الاعتماد على النفس بعد الله في شؤون حياتهم، وأن يكونوا كما كان هؤلاء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم مع رسول الله ﷺ.

ثالثاً : تذكير المدعوين بأشراط الساعة .

في قول أبي هريرة عن النبي ﷺ : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ إِذَا تَطَاوَلَ رُعَاءُ البُهمِ فِي الْبُنْيَان » تذكير منه عليه الصلاة والسلام لأمته بعلامات الساعة ، والتي منها التطاول في البنيان .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :« ومعنى التطاول في البنيان : أن كلا ممن كان يبني بيتاً يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر ، ويحتمل أن يكون المراد المباهات به في الزينة والزخرفة ، أو أعم من ذلك ، وقد وجد الكثير من ذلك وهو في ازدياد »[1].

وقد وجد ما أخبر به النبي ﷺ في هذا العصر، حيث تطاول الناس في البناء، وتنافست الدول الكبرى في بناء ناطحات السحاب، وهي العلامات الصغرى، وقد بين عليه الصلاة والسلام كثيراً منها غير التطاول بالبنيان، فمن ذلك كثرة شرب الخمر واستحلالها كما في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول

(١) فتح الباري ١٣/٨٨

الله ﷺ يقول : «من أشراط الساعة.... ويشرب الخمر ... » .

ومنها كثرة المطر وقلة النبات ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تمطر الناس مطرا عاماً ولا تنبت الأرض شيئاً »[1].

وقد اهتم علماء الحديث بهذا فبوبوا الأبواب عن هذا الأمر. وألف بعضهم كتباً مستقلة تذكيراً للمسلمين كما كان ﷺ يذكر أصحابه[2].

رابعاً : مشروعية بناء البيت في الإسلام .

إن المسلم لا بد له من بيت يأوى إليه، ومسكن يقطن فيه، وسواء كان مبنيا من الطين أو الشعر أو غير ذلك، وذلك من سنة الله التي أودعها في جميع مخلوقاته .

وفي حديث الباب يذكر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما فعله في عهد النبي ﷺ من بناء بيت له، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ : «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، ومع ماورد عنه ﷺ من عدم الغرور بالدنيا والانشغال بالبناء كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: مر بي النبي ﷺ وأنا أطين حائطًا فقال: «الأمر أعجل من ذلك»[3]. إلا أنه يحمل على بناء مالا حاجة له. قال الحافظ ابن حجر رحمه

(١) مسند الإمام أحمد ١٤٠/٣.

(٢) انظر مثلاً «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة» لمحمد صديق حسن القنوجي البخاري، ط دار الكتب العلمية، بيروت. وإتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» للشيخ/ حمود بن عبد الله التويجري»، مطابع الرياض.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الزهد ٧٨/٧، وأخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في البناء.

الله تعالى : «وهذا محمولٌ على مالا تمس الحاجة إليه مما لابدَّ منه للتوطن ومايقي من البرد والحر»[1].

خامساً : حسن تأدب المتعلم مع المعلم..

في حديث سفيان قال ابن عمر : واللَّهِ مَا وَضَعْتُ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ ، ولا غَرَسْتُ نَخْلَةً مُنْذُ قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ . قال سفيان : فَذَكَرْتُه لِبَعْضِ أَهْلِه قال : وَاللَّهِ لَقَدْ بَنَى. قال سفيان : قلت : فَلَعلَّه قَال : قَبْلَ أنْ يَبْنِي». فيه ما يدل على حسن أدب السامع مع العالم، حيث دفع سفيان التناقض الذي يفهم من عمل عبد الله بن عمر. وقال ابن بطال : يؤخذ من جواب سفيان أن العالم إذا جاء عنه قولان مختلفان أنه ينبغي لسامعهما أن يتأولهما على وجه ينفي عنهما التناقض تنزيهاً له عن الكذب «.[2]

وهذا من حق العالم على المتعلم ، قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : «من حق العالم عليك أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تفشين له سراً ، ولا تغتبن عنده أحداً، ولا تطلبن عثرته ... »[3]

وما أجمل أن يعتني العلماء والدعاة إلى الله بتربية المتعلمين على التأدب مع

(1) فتح الباري ٩٣/١١. وسيأتي مزيد بحث لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص في كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش رسول الله ﷺ، ص ١١٠٧.
(2) فتح الباري ٩٣/١١
(3) آداب المعلمين، للدكتور أحمد الباتلي، ص٤٥.

علمائهم ومشائخهم، ففي ذلك الخير الكثير لهم بمشيئة الله تعالى في الدنيا والآخرة، وكذلك تحذيرهم من تتبع عثرات العلماء والمشائخ ، والنيل منهم عند حصول زلة لسان أو فعل ، فإن ذلك من الأخلاق الذميمة التي لا تتناسب مع طلبة العلم؛ لما تسببه من النفرة بين العالم والمتعلم.

الفصل الخامس

كتاب الدعوات

تمهيد :

إن المسلم في أمس الحاجة للتضرع إلى ربه ودعائه ، استجابةً لأمر ربه جل وعلا القائل : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ﴾[١] وحقيقة الدعاء ـ كما قال أبو بكرالعربي ـ : مناداة الله تعالى لما يريد من جلب منفعة أو دفع مضرة من المضار والبلاء بالدعاء ، فهو سبب لذلك واستجلاب لرحمة المولى، كما أن الترس لرد السهم والماء لخروج النبات من الأرض»[٢].

وقال عفيف الدين اليافعي : حقيقة : إظهار الافتقار إليه، التبري من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار للذلة والبشرية ، وفيه معنى الثناء على الله تعالى وإضافة الكرم والجود إليه» [٣].

وقد بين الله سبحانه فضل الدعاء في الكتاب والسنة، وأمر تعالى عباده بدعائه فقال جل وعلا : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ [٤] وذكر الله سبحانه في كتابه صفات الأنبياء والمرسلين ، ومن هذه الصفات دعاؤه سبحانه وتعالى، فهذا أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يتضرع إلى الله تعالى ، يقول الله عنه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ

---

(١) غافر : ٦٠.

(٢) الترغيب في الدعاء والحث عليه للشيخ عبدالواحد المقدسي، ص.٥٤، تحقيق الدكتور فالح محمد الصغير، ط دار العاصمة ،الرياض.

(٣) المرجع السابق ص ٢٣ ـ ٢٤ .

(٤) الأعراف : ٥٥ ـ ٥٦.

اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) ﴾[1]

ودعاء نوح عليه الصلاة والسلام ربه بأن ينصره على قومه الذين كذبوه ، قال سبحانه : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥) ﴾[2].

وبين سبحانه وتعالى أن الدعاء من صفات الصالحين فقال تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[3].

وأخبر الله سبحانه عن نفسه بأنه قريب يجيب دعوة الداعي ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[4].

وقد ذكر العلماء أن للدعاء شروطًا وآدابًا منها :

أولا : الإخلاص لله كما قال تعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ

---

(١) إبراهيم : ٣٩-٤١.

(٢) القمر : ٩ ـ ١٥.

(٣) السجدة : ١٦ ـ ١٧.

(٤) البقرة : ١٨٦.

الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [1] وقـال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [2] .

ثانيا : ترك الاعتداء في الدعاء ، كما قال تعالى : ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ ، وقال ﷺ : «ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاثة خصال : إما أن يعجل دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها» .

ثالثا : فعل الطاعات : كبر الوالدين ، وإغاثة الملهوف ، وتفريج كرب المكروب . قال ابن الجوزي : «والدعاء تفتقر إجابته إلى شروط أصلها الطاعة لله ، ومنها أكل الحلال ، فإن أكل الحرام يمنع إجابة الدعاء ، ومنها حضور القلب» [3] .

رابعا : العزم في الدعاء : لقوله ﷺ : «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن : اللهم إن شئت فاعطني فإنه لا مستكره له» [4] .

وهناك آداب أخرى للدعاء ينبغي للمؤمن أن يراعيها منها : أن يبدأ بحمد الله والتضرع إليه في دعائه ، مع عدم تكلف السجع في الدعاء ، والاعتراف بالذنب عند الدعاء ،وسنتطرق في شرح أحاديث الباب إلى شيء من الشروط والآداب الأخرى المتعلقة بالدعاء .

---

(1) غافر : ٦٥.

(2) الجن : ١٨.

(3) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١/١٨٩ ، ١٩٠ ، الترغيب في الدعاء ص ٧١.

(4) صحيح البخاري كتاب الدعوات ، باب ليعزم المسألة فإنه لا مستكره له وسيأتي شرحه قريباً.

وقد اهتم علماء الإسلام بأمر الدعاء ، ومن هؤلاء الإمام البخاري رحمه الله، حيث عقد كتاباً كاملا عن الدعوات ، وترجم لكل حديث بباب يناسب الحديث ، كما اهتم غيره من علماء الحديث أمثال الإمام مسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه بذلك أيضاً ، ومن هؤلاء أيضا الشيخ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، حيث ألف كتاب (الترغيب في الدعاء والحث عليه)[1] ، وألف الإمام الخطابي كتاباً بعنوان : (شأن الدعاء)[2] ، وللإمام الطبراني أيضا كتاب الدعاء [3] .

ومن نعم الله تعالى على عباده المؤمنين أن طلب منهم دعاءه ، ووعدهم بالإجابة رحمةً بهم وفضلاً وكرماً منه سبحانه ، كما قال جل وعلا : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [4] والله سبحانه أسأل أن يجعلنا ممن دعاه فأجابه ، واستغفره فغفر له ، إنه سميع مجيب .

---

(1) حقق هذا الكتاب الدكتور فالح بن محمد الصغير ، وطبع بدار العاصمة - الرياض .

(2) طبع هذا الكتاب بدار المأمون .

(3) بتحقيق محمد البخاري ، طبعة دار البخاري .

(4) البقرة : ١٨٦.

كتاب الدعوات[1]

وقوله تعالى : ﴿ادعوني أستجب لكم﴾

باب لكل نبي دعوة مستجابة[2]

١٣٩- عن أبي هريرة[3] أن رسول الله ﷺ قال : «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا ، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيءَ[4] دَعْوَتِي شَفَاعَةً[5] لِأُمَّتِي فِي الآخِرَةِ»

رقم الحديث : [٦٣٠٤].

١٤٠- عن أنس عن النبي ﷺ قال : «لكل نبي سأل سؤلا ، أو قال : لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب ، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

رقم الحديث : [٦٣٠٥].

---

(١) بفتح المهملتين جمع دعوة بفتح أوله وهي المسألة الواحدة ، الفتح ٩٤/١١.
والدعاء لغة : الطلب والابتهال : يقال دعوت الله ، أدعوه دعاءً ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، المصباح المنير، ٩٤/١.

(٢) قال العيني : أي هذا كتاب في بيان الدعوات ، وهو جمع دعوة بفتح الدال ، وهومصدر يراد به الدعاء ، يقال : دعوت الله ، أي سألته . و مطابقته للترجمة ظاهرة. عمدة القاري ٤٠٩/١٥-٤١٠.
والحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب في المشيئة والإرادة ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، بزيادة .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) أختبيء : خبأ الشيء يخبؤه خبأ ستره يقال: خبيت الشيء خبأً إذا أخفيته ، لسان العرب ، ٦٢/١، والنهاية في غريب الحديث، ٣/٢.

(٥) شفاعة : عرف ابن الأثير ـ رحمه الله ـ الشفاعة بقوله : هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٨٥/٢ .

الموضوع الدعوي

لقد أعطي عليه الصلاة والسلام خصائص لم تعط نبيًا قبله ، ومن ذلك الشفاعة للمؤمنين يوم القيامة ، وفي حديثي الباب بين ﷺ ما ادخره لهم يوم القيامة من الشفاعة لأمته حيث قال ﷺ : «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهِ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيءَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي فِي الآخِرَةِ» قال الإمام الصابوني رحمه الله في بيان عقيدة السلف الصالح وأصحاب الحديث : «ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبي أهل التوحيد ومرتكبي الكبائر كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ»[1].

والشفاعة يوم القيامة ثابتةٌ بالكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[3] ومن السنة حديثا الباب، وما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»[4].

ومن السنة أيضاً ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا ، فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي المغانم

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني رحمه الله تعالى ص ٢٥٨ ط دار العاصمة .

(٢) البقرة : ٢٥٥.

(٣) طه : ١٠٩ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، ص١١٢.

ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصةً وبعثت إلى الناس عامةً» .[1]

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون عن أسعد الناس بشفاعته ﷺ يوم القيامة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : «لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، إن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه»[2] .

وقد أجمع السلف من أهل السنة والجماعة على إثبات الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : «وأما شفاعته ﷺ لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم»[3].

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب التيمم ،حديث رقم (٣٣٥) ص ٨٦ ، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم (٥٢١)، ص ٢١١ .

(2) صحيح البخاري ،كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ص ١٢٥٦ .

(3) مجموع الفتاوى ١ / ١٤٨ .

الفوائد الدعوية :

أولا :بيان شفقته ﷺ بأمته .

ثانيا : بيان فضل نبينامحمد ﷺ على سائر الأنبياء .

ثالثا : فضل التضرع إلى الله واللجوء إليه .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا :بيان شفقته ﷺ بأمته .

في حديثي الباب يتبين لنا شفقته بأمته عليه الصلاة والسلام كما وصفه ربه بذلك فقال تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[1]. قال النووي رحمه الله تعالى : «فيه كمال شفقته ﷺ على أمته ،ورأفته بهم، واعتناؤه بالنظر في مصالحهم ،فجعل دعوته في أهم أوقات حاجتهم»[2] . وقال الإمام ابن خزيمة رحمه الله : أخر نبينا محمد ﷺ دعوته ليجعلها شفاعة لأمته ؛ لفضل شفقته ورحمته ورأفته بأمته فجزى الله نبينا محمد ﷺ أفضل ما جزى رسولا عمن أرسل إليهم، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته ليشفع لأمته ،فإن ربنا عز وجل غير مخلف وعده، ومنجز نبيه ما أخر من مسألته في الدنيا وقت شفاعته لأمته

---

(1) التوبة : ١٢٨.

(2) فتح الباري ٩٧/١١.

يوم القيامة».[1]

وكان عليه الصلاة والسلام يبشر أصحابه بما يحصل له يوم القيامة من خير لأمته بالشفاعة للعصاة والشهادة للمطيعين، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى قتلى أحد فصلى عليهم بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع إلى المنبر فقال: «إني بين أيديكم فرط وأنا شهيد عليكم، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها»، قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ»[2].

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين هذا الفضل من رب العالمين لأمة محمد ﷺ وأن يؤملوا خيرا ويسألوا الله أن تنالهم شفاعة محمد ﷺ مع المحافظة على الطاعات واجتناب المنكرات وسؤال المغفرة والرحمة من رب العالمين.

ثانيا: بيان فضل نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء.

لقد أخر رسول الله ﷺ دعوته ليكون شفاعة لأمته في الآخرة، وفي هذا بيان لفضله عليه الصلاة والسلام على سائر الأنبياء. قال ابن بطال رحمه الله تعالى: «وفي الحديث بيان فضل نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء، حيث آثر أمته على نفسه وأهل

---

(1) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ٦٢٢/٢، ط دار الرشد، الرياض، تحقيق الدكتور عبد العزيز إبراهيم الشهوان.

(2) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ص ٧٦٨، وصحيح مسلم،كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ص ٩٤١ بلفظ: «أنا فرطكم على الحوض».

بيته بدعوته المجابة، ولم يجعلها أيضا دعاء عليهم بالهلاك كما وقع لغيره ممن تقدم»[1].

وقال ابن الجوزي: «هذا من حسن تصرفه ﷺ لأنه جعل الدعوة فيما ينبغي ومن كثرة كرمه لأنه آثر أمته على نفسه، ومن صحة نظره لأنه جعلها للمذنبين من أمته وهم أحوج إليها من الطائعين.[2]

ويصف النبي ﷺ ذلك الموقف المهيب وفزع الناس إلى بعض الأنبياء للشفاعة لهم إلى أن يصلوا إليه ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في دعوة، فرفع إليه الذراع فكانت تعجبه، فنهس منها نهسة وقال: «أنا سيد القوم يوم القيامة، هل تدرون بم؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي، وتدنوا منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس: أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول: ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا، فيقولون: يانوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدًا شكورًا، أما ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسي نفسي، ائتوا النبي ﷺ، فيأتوني فأسجد تحت العرش، فيقال: يا محمد، ارفع

---

(1) فتح الباري ١١/٩٧.

(2) المصدر السابق، ص٩٧.

رأسك، وأشفع تشفع وسل تعطه»[1].

وكان قتادة يقول عند هذا : أي وجب عليه الخلود ، قال الحافظ رحمه الله تعالى في هذا الحديث : «وفيه أنهم يستشير بعضهم بعضا ويجمعون على الشيء المطلوب، وأنهم يغضى عنهم بعض ما علموه في الدنيا ؛لأن في السائلين من سمع هذا الحديث ومع ذلك فلا يستحضر أحد منهم أن ذلك المقام يختص به نبينا ﷺ ، إذ لو استحضروا ذلك لسألوه من أول وهلة ،ولما احتاجوا إلى التردد من نبي إلى نبي ، ولعل الله تعالى أنساهم ذلك للحكمة التي تترتب عليه من إظهار فضل نبينا ﷺ »[2].

ثالثا : فضل التضرع إلى الله واللجوء إليه .

لقد تضرع أنبياء الله إلى ربهم في أمور تتعلق بحياتهم الخاصة أو بمصالح قومهم، وقد ذكر القرآن الكريم بعضا من ذلك، فهذا زكريا يتضرع إلى ربه بأن يرزقه ولدا صالحا فيقول الله تعالى عنه: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [3].

وهذا أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو ربه فيقول : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [4] .ويعقوب عليه الصلاة

---

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه)، ص٦٣٧.

(2) فتح الباري ١١/٤٤١.

(3) آل عمران : ٣٨.

(4) إبراهيم : ٣٥.

والسلام يدعو ربه عند فقده ليوسف وأخيه فيقول : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [1]. وأيوب عليه الصلاة والسلام يدعو ربه بأن يكشف ضره ويرحمه فيناديه عليه الصلاة والسلام قائلاً : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[2] .

وكان عليه الصلاة والسلام يدعو لأمته بما يفرج كرباتهم في الدنيا إذا حلت بهم ضائقة ، فعن أنس رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب بالمدينة فقال : قحط المطر فاستق ربك . فنظر إلى السماء وما نرى من سحاب فاستسقى ، فنشأ السحاب بعضه إلى بعض ، ثم مطروا حتى سالت مثاعب المدينة ، فما زالت إلى الجمعة المقبلة ما تُقلع ، ثم قام ذلك الرجل أو غيره والنبي ﷺ يخطب فقال : غرقنا فادع ربك يحبسها عنا ، فضحك ثم قال : «اللهم حوالينا ولا علينا» مرتين أو ثلاثا ، فجعل السحاب يتصدع عن المدينة يمينا وشمالا يمطر ما حوالينا ولا يمطر منها شيء ، يريهم الله كرامة نبيه ﷺ وإجابة دعوته[3]. فإذا كان أنبياء الله كذلك ، فعلى المسلم داعية كان ومدعواً أن يقتدي بهم ، ويتضرع إلى ربه ، ويسأل من خيري الدنيا والآخرة .

---

(1) يوسف : ٨٣ .

(2) الأنبياء : ٨٣.

(3) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك ص ١١٧٧ .

باب أفضل[1] الاستغفار[2]

وقوله تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [3]

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾[4] .

١٤١ـ عن شداد بن أوس [5]رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «سيد الاستغفار أن يقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» ، قال : «ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو مؤمن

---

(١) أفضل الاستغفار: قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الاستغفار : طلب المغفرة، والمغفرة هي وقاية شر الذنب، والمغفرة شيء زائد على الستر ؛ لأن المغفرة معناها وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب عليه العبد، فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه، وأما مجرد سترة فقد يعاقب عليه في الباطن ، ومن عوقب على الذنب باطناً أو ظاهراً فلم يغفر له، وإنما يكون غفران الذنوب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب . انظر : مجموع الفتاوى ٣١٧/١٠.

(٢) أي : هذا باب في بيان أفضل الاستغفار . انظر : عمدة القاري ٤١١/١٥ .
قال الحافظ ابن حجر : ومناسبة ذكر الاستغفار في أول كتاب الدعاء لأن من قدم الاستغفار قبل الدعاء كان أمكن لاجابته .

(٣) نوح : ١٠ ـ ١٢.

(٤) آل عمران :١٣٥.

(٥) شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر وهو ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي، قال عبادة بن الصامت : كان شداد ممن أوتيّ العلم والحلم، روى عنه أهل الشام، وكان رضي الله عنه كثير العبادة والورع والخوف من الله تعالى، توفي شداد سنة ٤١هـ وقيل ٥٨هـ وقيل توفي سنة ٦٤هـ ، انظر أسد الغابة، ٦١٣/٢، ط دار الكتب العلمية.

بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» .[1]

رقم الحديث: [٦٣٠٦].

باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة[2]

١٤٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «والله إني لأستغر الله وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[3].

رقم الحديث : [٦٣٠٧].

---

(١) مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله : « سيد الاستغفار » ؛ لأن السيد في الأصل : الرئيس الذي يقصد في الحوائج ، ويرجع إليه في الأمور ، ولما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة كلها استعير له هذا الاسم ، ولا شك أن سيد القوم أفضلهم ، وهذا الدعاء أيضاً سيد الأدعية ، وهو الاستغفار . انظر : عمدة القاري ١٥/٤١٢.

والحديث أخرجه البخاري بنفس كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أصبح ص ١٢١٧.

(٢) قال العيني : أي هذا باب في بيان كمية استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة . انظر : عمدة القاري ١٥/٤١٣.

(٣) مطابقة الحديث للترجمة: من حيث أنه اوضح الاجمال الذي في الترجمة من كمية استغفار النبي ﷺ في اليوم، وأنه أكثر من سبعين مرة، المصدر السابق، ص٤١٣.

الموضوع الدعوي

إن المسلم في حياته بأمس الحاجة إلى الاستغفار من الذنوب التي يرتكبها في أعماله وتصرفاته ، وما من مسلم إلا وهو معرض لارتكاب الذنوب والمعاصي، صغيرةً كانت أم كبيرة ، ومن فضل الله على عباده أن جعل لهم طريقاً للرجوع عن الذنب، وهو الاستغفار من الذنب.

وفي حديثي الباب يبين عليه الصلاة والسلام لأمته سيد الاستغفار ، أي أفضل الاستغفار ، ولفظه : «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفرلي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»

ولفظ السيادة في الحديث لكون هذا الدعاء جامعا لمعاني التوبة كلها، قال الطيبي رحمه الله: «لما كان هذ الدعاء جامعا لمعاني التوبة كلها استعير له اسم السيد، وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه في الأمور»[1].

وقال ابن أبي جمرة : «جمع ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أنه يسمى سيد الاستغفار، ففيه الإقرار له وحده بالالهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه ، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه ، وإضافة النعماء إلى موجدها ، وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المعرفة ، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو ....» .[2]

---

(1) إرشاد الساري ١٣/٣٠٧.

(2) فتح الباري ١ / ١٠٠.

والعهد المراد في الحديث هو العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر، قال ابن بطال رحمه الله تعالى : قوله :«وأنا على عهدك ووعدك» يريد العهد الذي أخذه الله على عباده ، حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، فأقروا له بالربوبية ، وأذعنوا له بالوحدنية، وبالوعد ما قال على لسان نبيه : «إن من مات لا يشرك بالله شيئا وأدّى ما فرض عليه أنه يدخله الجنة»[1].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه يبين لنا هدي رسول الله ﷺ في كمية الاستغفار حيث قال ﷺ : «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» .

قال الحافظ : «وقد استشكل وقوع الاستغفار من النبي ﷺ وهو معصوم، والاستغفار يستدعي وقوع معصية. وأجيب بعدة أجوبة، منها :قول ابن بطال: الأنبياء أشد الناس اجتهادا في العبادة لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة،فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير .»[2]

قلت : وهذا ما يؤيده قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : «أفلا أكون عبداً شكورا». فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟

قال : «أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا»[3] .

---

(1) عمدة القاري، ٤١٢/١٥.

(2) فتح الباري ١٠٢/١١.

(3) سبق تخريجه، ص ٨٥٩ .

وفي هذا العمل منه ﷺ تشريع لأمته بملازمة الاستغفار والإنابة إلى الواحد القهار.[1] وإنما كان سيد الاستغفار «لما فيه من ذكر الله بأكمل الأوصاف، وذكر نفسه بأنقص الحالات، وهو أقصى غاية التضرع ونهاية الاستكانة لمن لا يستحقها إلا هو»[2].

الفوائد الدعوية :

أولا : حث المدعوين على المداومة على الاستغفار .

ثانيا : الإخلاص لله وأثره في قبول العمل .

ثالثا : المداومة على الأذكار في الليل والنهار .

رابعا : بيان فوائد الاستغفار للمدعوين .

خامسا : إثبات العجز والتقصير من بني آدم .

سادسا :رفق الله بعباده المؤمنين ورحمته بهم .

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً :حث المدعوين على المداومة على الاستغفار .

لقد أمر الله نبيه بالاستغفار فقال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا

---

(1) فتح الباري ١١/١٠٢ وانظر : صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢٢/١٢٥ ، عمدة القاري ١٥/ ٤١٣.

(2) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢٢/١٢٤.

رَحِيماً ﴾[1] وقال تعالى :﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [2].وأمر الله جل وعلا عباده المؤمنين بذلك فقال عز من قائل : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [3] وبين عليه الصلاة والسلام محبة الله للمستغفرين فقال ﷺ : «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم» [4].

وإذا كان رسول الله ﷺ الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر من هديه أن يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ، فكيف بغيره من المؤمنين المقصرين ، لذا على الدعاة إلى الله حث المدعوين على الاستغفار والإكثار منه امتثالا لأمر الله ، وأمر رسول الله ﷺ ، حيث كان عليه الصلاة والسلام يعلم من أسلم من صحابته حديث الاستغفار والدعاء ، أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال : كان الرجل إذا أسلم علّمه النبي ﷺ أن يدعوَ بهذه الكلمات : «اللهم اغفر لي، وارحمني ، واهدني، وعافني، وارزقني» [5].

وللاستغفار شروط لابد من توفرها حتى تتحقق المغفرة للمؤمنين بمشيئة الله تعالى ، منها : صحة النية والتوجه والأدب ، وعدم الإصرار على الذنب كما قال تعالى : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[6]، وفعل الحسنات كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ

---

(1) النساء : ١٠٦.

(2) النصر : ٣.

(3) المزمل : ٢٠.

(4) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة ، ص ١١٠٠.

(5) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، حديث رقم (٢٦٩٧) ص ١٠٨١.

(6) آل عمران : ١٣٥.

﴿الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [(1)] ، وقال تعالى : ﴿إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [(2)]

ثانياً : الإخلاص لله وأثره في قبول العمل .

في قوله ﷺ : «من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة» الحديث ، ما يدل على أن العمل لا يقبل إلا إذا كان خالصاً لوجهه الكريم كما قال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [(3)] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». [(4)] قال الحافظ رحمه الله تعالى : «من قالها موقنا بها» أي مخلصا من قلبه مصدقا بثوابها»[(5)]

إن من أعظم ثمار الإخلاص قبول العمل ، وهو ما بينه عليه الصلاة والسلام لأصحابه في مواقع مختلفة ، فعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال : «إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم المرض ، وفي رواية إلا شركوكم في الأجر» [(6)] .

---

(1) هود : ١١٤.

(2) النمل ١١.

(3) البينة ٥.

(4) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ، ودمه وعرضه وماله ، ص ١٠٣٥.

(5) فتح الباري ١١/١٠٠.

(6) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر . ص ٧٩٣.

وقال عليه الصلاة والسلام : «من اتبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط»[1].

إنها تربية منه ﷺ لأمته على الإخلاص لله وحده في أداء العمل، وبشارة منه ﷺ لمن صدق مع الله ،فعلى الدعاة إلى الله بيان ثمار الإخلاص لله في العبادة ، وأنها سبب للسعادة في الدنيا والآخرة .

ثالثا : المداومة على الأذكار في الليل والنهار.

في سياق حديث سيد الاستغفار الوارد في الباب قال عليه الصلاة والسلام : «من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو مؤمن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» ، ما يدل على فضل الذكر في الليل والنهار والحرص على المداومة عليه ، وهذه صفة عباد الله المؤمنين كما قال جل وعلا : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2] وبين الله تعالى حالهم في ذكر الله فقال :﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب اتباع الجنائز من الإيمان ، ص ٣٦ .

(2) الأحزاب : ٣٥.

﴿هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1] الآية . قال العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي : «وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب ، ويدخل في ذلك الصلاة قائما ، فإن لم يستطع فقاعدا ، فإن لم يستطع فعلى جنبه»[2]. وحث الله عباده على الذكر بالغدو والآصال فقال تعالى : ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾[3]

وحرص صحابة رسول الله ﷺ على سؤاله ﷺ عن الذكر والدعاء ، ويجيبهم عليه الصلاة والسلام على ذلك ، فعن مصعب بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهما قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : علمني كلاما أقوله . قال : «قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم» قال : فهؤلاء لربي فما لي ؟ قال : «قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني»[4].

فحري بالدعاة إلى الله أن يداوموا على ذكر الله بالغدو والآصال ، وحث المدعوين على ذلك .

---

(1) آل عمران : ١٩١.

(2) تيسير الكريم الرحمن ص١٢٨ ، ط مؤسسة الرسالة .

(3) الأعراف : ٢٠٥.

(4) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ص ١٠٨١

رابعا : بيان فوائد الاستغفار للمدعوين .

إن للاستغفار فوائدَ عظيمةً بينها الله في كتابه ورسول الله ﷺ في سنته منها :

١- حصول المغفرة من رب العالمين ، قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾[(١)].

٢- أنه سبب لسعة الرزق : قال نوح عليه الصلاة والسلام : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⦗١٠⦘ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⦗١١⦘ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾[(٢)].

وشكا رجل إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى الجدبة فقال : استغفر الله ، وشكى إليه آخر الفقر فقال :استغفر الله ، وقال له آخر : ادعِ الله أن يرزقني ولداً فقال :استغفر الله . فقال له بعض القوم : كيف ذلك !؟ فقال : ما قلت من عندي شيئاً ، ثم قال : إن الله يقول :﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⦗١٠⦘ يُرْسِلِ.....** ﴾ الآية.

٣- أنه سبب لدفع المصائب ورفع البلايا .

فالمصيبة تنزل في كثير من الأحيان بذنب ، فإذا أحدث العبد استغفاراً وتوبةً نصوحًا ترفع المصيبة بإذن الله كما قال تعالى : ﴿ **مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا** ﴾[(٣)].

---

(١) النساء : ١١٠.

(٢) نوح : ١٠-١٢.

(٣) النساء ١٤٧.

٤- الحفظ من عذاب الله أو رفع العذاب كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[١].

٥- دخول الجنة الذي وعد به رسول الله ﷺ ووعده حق كما في حديث الباب : «ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة....» الحديث .

خامسا : إثبات عجز العبد وتقصيره عن أداء ما أوجب الله عليه على وجه الكمال .

إن العبد بحاجة دائما إلى عون الله ورحمته مهما قدم من الأعمال الصالحة ، وفي «الاستغفار إثبات العجز عن الكمال في الطاعة والقربات ، ولذلك جاء في الحديث : «وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ....» الحديث .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : قال الخطابي في قوله «ما استطعت»: «واشتراط الاستطاعة في ذلك معناه : الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى».[٢]

وقال ابن بطال أيضاً : وفي قوله : «ما استطعت» إعلام لأمته أن أحدا لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله ، ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعم، فرفق الله بعباده فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم»[٣]. فما أعظم تقصيرنا تجاه ربنا بما

---

(١) الانفال : ٣٣.

(٢) فتح الباري ١١/١٠٠.

(٣) المرجع السابق ١١/١٠٠.

أنعم به علينا من نعم كثيرة لا تعد ولا تحصى ، فنستغفر الله ونتوب إليه .

سادسا : رفق الله بعباده المؤمنين ورحمته لهم.

في قوله ﷺ : «وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت» ما يبين رفق الله بعباده، فلم يكلفهم من ذلك إلا ما وسعهم» .[1] كما قال تعالى : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[2] قال العلامة عبد الرحمن السعدي: «ويؤخذ من هنا قاعدة التيسير ونفي الحرج في أمور الدين كلها».[3]

ومن رحمة الله بعباده أنه يحب استغفار عباده وتوبتهم إليه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [4] ،ونادى أهل الذنوب والمعاصي بعدم القنوط من رحمة الله تعالى فقال : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [5].

وحذرهم سبحانه من القنوط من رحمته فقال تعالى : ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾[6] .

---

(1) المرجع السابق ١١/١٠٠.
(2) البقرة : ٢٨٦.
(3) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ١٠١.
(4) البقرة : ٢٢٢.
(5) الزمر : ٥٣.
(6) الحجر : ٥٦.

باب التوبة[1]

قال قتادة : «تَوْبَةً نَّصُوحًا» [2] الصادقة الناصحة .

١٤٣- حدثنا أحمد بن يونس ، عن عمارة بن عمير ، عن الحارث بن سُوَيد : حدثنا عبد الله بن مسعود حديثين أحدهما عن النبي ﷺ والآخر عن نفسه، قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا . قال أبو شهاب : بيده فوق أنفه .[3] ثم قال :«والله أفرحُ بتوبة عبده من رجلٍ نزلَ منزلاً وبه مَهْلَكَةٌ ومعه راحِلَتهُ عليها طعامُه وشرابُه، فوضَع رأسَهُ فنَام نومةً فاستيقظ وقد ذهبتْ راحِلَتُهُ حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله . قال : أرجع إلى مكاني فرجع فنام نومة ،ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده».[4]

---

(١) أي هذا باب في بيان التوبة . انظر : عمدة القاري ١٥/٤١٤.
قال الحافظ ابن حجر : ومناسبة إيراد باب التوبة في أوائل كتاب الدعاء إلى أن الإجابة تسرع إلى من لم يكن متلبساً بالمعصية ، فإذا قدم التوبة والاستغفار قبل الدعاء كان أمكن لإجابته. انظر : فتح الباري ١١/١٠٢.

(٢) التحريم : ٨.

(٣) قال ابن بطال : الأول هو الموقوف، والثاني هو المرفوع . قال الحافظ ابن حجر : وهو كذلك . انظر: فتح الباري ١١/١٠٥.
وقال الحافظ ابن حجر أيضاً : لقد أغرب الشيخ محمد بن أبي جمرة في مختصره ، فأفرد أحد الحديثين من الآخر ، وعبر في كل منهما بقوله : « عن ابن مسعود ، عن النبي ﷺ » وليس ذلك في شيء من نسخ البخاري ، ولا التصريح برفع الحديث الأول إلى النبي ﷺ في شيء من نسخ كتب الحديث ، إلا ما قرأت في شرح مغلطاي أنه روي مرفوعاً من طريق وهّاها أبو أحمد الجرجاني، يعني ابن عدي . انظر : فتح الباري ١١/١٠٥.

(٤) مطابقة الحديث للترجمة في قوله : « بتوبة » . انظر : عمدة القاري ١٥/٤١٥.
والحديث أخرجه مسلم في كتاب التوبة ، باب في الحث على التوبة والفرح بها ص ١٠٩٨.

رقم الحديث : [٦٣٠٨].

١٤٤- عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم، سقط على بعيره، وقد أضَلَّهُ في أرض فلاة»[١] .

رقم الحديث: [٦٣٠٩].

غريب الحديث :

مهلكة : يقال هلك يهلِكُ هلكا مات والمهلكة المفازة لأنه يهلك فيها كثيراً.[٢]

الراحلة : هي الناقة وليس الجمل جمعه رواحل، ودخول الهاء في الراحلة للمبالغة في الصفة[٣]. وفي النهاية : البعير القوي على الأسفار والأحمال والذكر والأنثى فيه سواء.[٤]

أرض فلاة : الفلاةَ القفْرُ من الأرض وقيل الصحراءُ الواسعة.[٥]

---

(١) مطابقته للترجمة ظاهرة . انظر : عمدة القاري ٤١٧/١٥ .
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه ، كتاب التوبة ، باب في الحث على التوبة والفرح بها ، ص ١٠٩٩.

(٢) لسان العرب ٥٠٣/١٠.

(٣) المصدر السابق، ٢٩/٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٢٩/٢.

(٥) لسان العرب ، ١٦٤/١٥.

الموضوع الدعوي

إن المسلم في هذه الحياة معرض للتقصير وارتكاب الذنوب ، ومن رحمة الله بعباده وفضله عليهم أن فتح لهم باب التوبة ، ونادى عباده المؤمنين بالمبادرة إليها ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾[1] ، وبين ابن مسعود رضي الله عنه مدى مخافة المؤمن من الذنوب التي ارتكبها ، وأنها كالجبل يخاف أن يقع عليه ، قال ابن أبي جمرة : «السبب في ذلك أن قلب المؤمن منور ، فإذا رأى من نفسه ما يخالف ذلك عظم الأمر عليه» . والحكمة من التمثيل بالجبل أن غيره من المهلكات قد يحصل التسبب إلى النجاة منه ، بخلاف الجبل إذا سقط على الشخص لا ينجو منه عادة»[2] أما الفاسق فلا يبالي بارتكاب الذنوب وكثرتها ، ويراها كالذباب يقع على أنفه ثم يهشه بيده فيطير عنه .

وحقيقة التوبة كما قال ابن مبارك رحمه الله تعالى لها ست علامات : «هي : الندم على ما مضى ، والعزم على ألا يعود ، ويؤدي كل فرض ضيعه ، ويؤدي إلى كل ذي حق حقه من المظالم ، ويذيب البدن الذي سمنه بالسحت والحرام بالهموم والأحزان حتى يلصق البدن بالعظم ، ثم ينشأ بينهما لحماً طيباً إن هو نشأ ، ويذيق البدن ألم الطاعة كما أذاقه لذة المعصية» .[3]

ومن زيادة كرم الله وفضله على عباده أنه يفرح بتوبة التائبين ، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل

---

(١) التحريم : ٨.

(٢) فتح الباري ١١/١٠٥ ، وانظر : عمدة القاري ١٥/٤١٥

(٣) إرشاد الساري ١٣/٣١٠.

منزلا وبه مهلكة ... الحديث . فما أعظم هذا الدين الذي يربي أتباعه على الإقبال على الله ، ويحرم القنوط من رحمة الله ، ويعطيهم الأمل بأنه مهما عظمت ذنوبهم فإن الله يغفرها جميعاً ، قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - : «لقد دعا الله إلى مغفرته من زعم : أن الله ثالث ثلاثة ، ومن زعم : أن الله فقير ونحن أغنياء ، وعلى من زعم : أن يد الله مغلولة».[1]

الفوائد الدعوية:

أولاً: تحذير المدعوين من احتقار الذنوب .

ثانياً : حث المدعوين على المبادرة إلى التوبة النصوح .

ثالثاً : البشارة للمدعوين وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله .

رابعاً : ضرب الأمثلة أسلوب من أساليب التوضيح في الدعوة إلى الله .

خامساً : من عقيدة أهل السنة والجماعة عدم التكفير بالذنب مالم يستحله .

سادساً : إثبات صفة الفرح لرب العالمين .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: تحذير المدعوين من احتقار الذنوب .

في قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه ، فقال به

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٦٤.

هكذا» ما ينبه على خطر التساهل في محقرات الذنوب التي قد تجر إلى الكبائر ، وأن احتقار الذنوب من صفات الفجار ، ومن ثم ينبغي على الدعاة إلى الله تحذير المدعوين من الوقوع في مثل هذه الصفة ، وأن على المسلم أن يجعل مخافة الله بين عينيه في كل ذنب ارتكبه صغيراً كان أو كبيراً .

قال ابن بطال : «يؤخذ منه أنه ينبغي أن يكون المؤمن عظيم الخوف من الله تعالى من كل ذنب صغيرا كان أو كبيراً ؛ لأن الله تعالى قد يعذب على القليل ، فإنه لا يُسأل عما يفعل سبحانه وتعالى»[1] . ويؤيد ذلك ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هي أطعمتها ولاسقتها ؛ إذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشائش الأرض»[2].

ثانياً : حث المدعوين على المبادرة إلى التوبة النصوح .

لقد أمر الله عباده المؤمنين بالتوبة النصوح فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾[3] وقال جل وعلا آمراً عباده المؤمنين بالتوبة : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾[4] وقال سبحانه : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ

---

(1) فتح الباري ١٠٦/١١.

(2) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ح(٣٤٨٢) ص٦٧١ ، وصحيح مسلم كتاب السلام ، باب تحريم قتل الهرة، ص٩٢٢.

(3) التحريم : ٨.

(4) هود : ٣.

﴿تُفْلِحُونَ﴾ [١] وكان عليه الصلاة والسلام يتوب في اليوم مائة مرة ، وأمر أمته بالتوبة ، فعن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس توبوا إلى الله ، فإني أتوب في اليوم مائة مرة» رواه مسلم [٢].

واستغفاره عليه الصلاة والسلام شكر لله ، وإعظام لجلاله سبحانه وتعالى[٣]، وفي قوله ﷺ : «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة» حث منه عليه الصلاة والسلام على المبادرة بالتوبة النصوح ، واغتنام هذا الفضل من الله ؛ لذا ينبغي على الدعاة إلى الله حث المدعوين على المبادرة بالتوبة النصوح قبل فوات الأوان .

ثالثاً : البشارة للمدعوين أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله .

من وسائل الدعوة إلى الله تبشير الدعاة للمدعوين ، وفي قوله عليه الصلاة والسلام : «لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه... الحديث ، وقوله ﷺ : «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة» تبشير للمؤمن بفرح الله بتوبة عباده ، وهو أسلوب من الأساليب المؤثرة على المدعوين ، حيث يقبل على التوبة إلى الله ، ويدع القنوط من رحمته تعالى الواسعة ، وقد أمر ﷺ بتبشير المؤمنين فقال عليه الصلاة والسلام : «يسروا ولا

---

(١) النور : ٣١.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ص ١٠٨٣.

(٣) انظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم للإمام الحافظ أبي الفضل عياض اليحصبي ١٩٨/٨ .

تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»[1] . قال الإمام النووي رحمه الله في بيان هذا الحديث: «وفي هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته»[2].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله استعمال هذا الأسلوب من فترة إلى أخرى ؛ لما فيه من النفع العظيم للمدعوين .

رابعاً : ضرب الأمثلة أسلوب من أساليب التوضيح في الدعوة إلى الله .

في ضرب ابن مسعود المثل بالذباب في قوله :« ..وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه، فقال به هكذا» ما يبين أهمية استعمال هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى ؛ لما فيه من التوضيح وسرعة الفهم .

قال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى : «وفي الحديث ضرب المثل بما يمكن ، والحكمة في تشبيه ذنوب الفاجر بالذباب كون الذباب أخف الطير وأحقره ، وهو مما يعاين ويدافع بأقل الأشياء»[3] . لذا ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى ضرب الأمثلة المقربة للأذهان ، والمعينة على سرعة الفهم للمدعوين . وقد سبقت الإشارة إلى هذه

---

(1) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ص٣٩. صحيح مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتبشير وترك التنفير ص ٧٢١.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٠/١٢ ط مؤسسة قرطبة .

(3) فتح الباري ١٠٥/١١ ، وانظر : إرشاد الساري ٣١١/١٣.

الفائدة بما يغني عن الإطالة .[1]

خامساً : من عقيدة أهل السنة والجماعة عدم التكفير بالذنب ما لم يستحله .

إن المسلم مهما ارتكب من الذنوب والمعاصي فإنه تحت مشيئة الله ، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [2] ، فلا يُكفر المؤمن بارتكاب الذنوب ، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى : «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»[3]. وفي قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما يدل على ذلك ، قال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى : «وفيه دليل لأهل السنة ؛ لأنهم لا يكفرون بالذنوب ، ورد على الخوارج وغيرهم ممن يكفر بالذنوب» [4] .

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى بيان هذا الأمر للمدعوين ليكونوا على بصيرة وعلم بعقيدة أهل السنة والجماعة .

سادساً : إثبات صفة الفرح لرب العالمين .

في قوله ﷺ : «لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته

---

(1) انظر مثلا ص ٤٨١، ٥٤١، ٩٤١ .

(2) النساء : ١١٦.

(3) العقيدة الطحاوية ص ٢٩٠.

(4) فتح الباري ١١/١٠٥.

عليها طعامه وشرابه ... الحديث ، وقوله ﷺ : «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة» إثبات لصفة الفرح لله تعالى ، وأنه سبحانه وتعالى يفرح فرحاً يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، قال الشيخ صالح الفوزان في شرحه للعقيدة الواسطية : «هو صفة كمال لا يشبه فرح أحد من خلقه ، بل هو كسائر صفاته، وهو فرح إحسان ... ولطف ، لا فرح محتاج إلى توبة عبده ينتفع بها ، فإنه سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة المطيع ، ولا تضره معصية العاصي» [1]

---

(1) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، شرح معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، باب «إثبات أن الله يفرح ويضحك» ص ١٠٧، ط مكتبة المعارف. وهذا خلاف ما فسره ابن حجر والعيني من تأويل الفرح بالرضا. انظر: فتح الباري ١١/١٠٦، عمدة القاري ١٥/٤١٥.

باب ما يقولُ إذا نام[1]

١٤٥ـ عن حذيفة[2] قال : كان النبي ﷺ إذا آوى إلى فراشه قال : «باسْمكَ أَمُوتُ وأَحْيَا»[3] وإذا قام قال : «الحَمْدُ للهِ الَّذي أحْيَانا بَعْدَمَا أَماتَنا وإلَيْهِ النُّشُورُ»[4] .

رقم الحديث : [٦٣١٢].

بـــــاب[5]

١٤٦ـ عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : «إِذَا آوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فلينفض فراشه بداخل إزاره ، فإنه لا يدري ما خلفه عليه[6] ثم يقول : باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ

---

(١) قال العيني : أي هذا باب في بيان ما يقوله الشخص إذا نام . انظر : عمدة القاري ١٥/٤١٩.

(٢) سبق ترجمته، ص ٥٧٧ .

(٣) قال الحافظ : يحتمل أن يكون المراد بالموت هنا السكون كما قالوا : ماتت الريح ، أي : سكنت . فيحتمل أن يكون أطلق الموت على النائم بمعنى إرادة سكون حركته ؛ لقوله تعالى : { وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه } . فتح الباري ١١/١١٤.

(٤) هذا أوضح ما أبهمه في الترجمة ؛ لأن فيه الإرشاد إلى ما يقوله الشخص عند نومه ،وزيادة ما يقول عند قيامه من النوم . انظر : عمدة القاري ١٥/ ٤٢٠.
والحديث له أطراف في صحيح البخاري :
١ ـ كتاب الدعوات ، باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن رقم (٦٣١٤) .
٢ ـ كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أصبح رقم (٦٣٢٤) .
٣ ـ كتاب التوحيد ، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها رقم (٧٣٩٤) .

(٥) كذا في النسخة المعتمدة من دون الترجمة . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : كذا للأكثر بغير ترجمة وسقط لبعضهم ، وعليه شرح ابن بطال ومن تبعه ، والراجح إثباته . فتح الباري ١١/١٢٦ ، وانظر : عمدة القاري ١٥/٤٢٦ .

(٦) قال الطيبي : معناه : لا يدري ما وقع في فراشه بعدما خرج منه من تراب أو هوام. الفتح ١١/١٢٧.

به عبادك الصالحين»[1].

رقم الحديث: [٦٣٢٠].

باب ما يقول إذا أصبح[2]

١٤٧- عن أبي ذر[3] رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «اللهم باسمك أموت وأحيا» فإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[4].

رقم الحديث: [٦٣٢٥].

---

(١) طرفه في صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها رقم (٧٣٩٣).
وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع رقم (٢٧١٤).

(٢) أي هذا باب في بيان ما يقول الشخص إذا أصبح، أي إذا دخل في الصباح. انظر: عمدة القاري ٤٢٩/١٥.

(٣) هو جندب بن جُناده الغفاري، احد السابقين الاولين، من نجباء أصحاب محمد ﷺ روى عنه ابن عباس، وأنس بن مالك، وابن عمر، وغيرهم كثير، وعن عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أضلت الخضراء، ولا أقلت الغبراءُ أصدق من أبي ذر»، توفي سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، سير أعلام النبلاء ٤٦/٢، أسد الغابة ٥٦٣/١-٥٦٥.

(٤) مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله: «فإذا استيقظ». والحديث طرفه في صحيح البخاري، في كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله والاستعاذة بها رقم (٧٣٩٥).

الموضوع الدعوي

في أحاديث الأبواب السابقة يتبين لنا حرص الرسول ﷺ على تربية أمته على الارتباط بربهم في كل لحظة وعلى كل حال، يقول حذيفة رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا آوى إلى فراشه يقول: «باسمك أموت وأحيا» أي بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت، إنه التسليم لرب العالمين الواحد القهار في كل لحظة وخصوصا عند النوم الذي هو شبيه الموت الذي ينقطع فيه عمل بني آدم.

قال الطيبي: «الحكمة في إطلاق الموت على النوم أن انتفاع الإنسان بالحياة إنما هو لتحري رضا الله عنه، وقصد طاعته، واجتناب سخطه وعقابه، فمن نام زال عنه هذا الانتفاع فكان كالميت ...»[1].

ثم إن النوم مظنة هجوم هادم اللذات على الإنسان أحيانا، فيكون قد مات وهو على دين الإسلام، لذا قال عليه الصلاة والسلام: «إن أمسكت نفسي فارحمها» قال الكرماني: «الإمساك كناية عن الموت فالرحمة أو المغفرة تناسبه، والإرسال كناية عن استمرار البقاء والحفظ يناسبه»[2]. قال القرطبي: النوم والموت يجمعهما انقطاع تعلق الروح بالبدن، وذلك قد يكون ظاهرا وهو النوم؛ ولذا قيل: النوم أخو الموت، وباطناً وهو الموت، فإطلاق الموت على النوم يكون مجازاً لاشتراكهما في انقطاع تعلق الروح بالبدن.[3]

---

(١) فتح الباري ١١/١١٤.
(٢) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢٢/١٣٥. ط دار إحياء التراث العربي.
(٣) فتح الباري ١١/١٢٧.

وفي هذا التوجيه النبوي الكريم لأمته بيان لآداب النوم في الإسلام مما يدل على كمال هذا الدين وشموليته لشؤون الحياة كلها ، كما قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [1].

الفوائد الدعوية :

أولا : غرس الإيمان في نفوس المدعوين باليوم الآخر والاستعداد له .

ثانيا : حرص الإسلام على صحة المسلم وسلامته من الأذى .

ثالثا : حث المدعوين على الذكر عند النوم والاستيقاظ .

رابعا : بيان أن فعل الأسباب من التوكل على الله .

خامسا : حرص الإسلام على راحة المسلمين النفسية .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا : غرس الإيمان في نفوس المدعوين باليوم الآخر والاستعداد له .

إن الموت حق والبعث حق كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ

---

[1] المائدة :٣.

﴿الْغُرُورِ﴾[1] وفي قوله ﷺ: «باسمك أموت وأحيا» عند النوم، وقوله ﷺ: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» بعد الاستيقاظ غرس في نفوس المؤمنين بأن الحياة منتهية لا محالة كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2]، وقد تكون نومته التي قال فيها هذا الدعاء الوارد عن رسول الله ﷺ هي آخر نومة له في حياته، والأخبار عمن نام ولم يستيقظ من نومه كثيرة، حيث ينقل من فراشه إلى مغسلة الأموات، نسأل الله تعالى حسن الخاتمة.

وكذلك قوله: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» إيمان بركن من أركان الإيمان الستة، وهو الإيمان باليوم الآخر، وفي ذكره في كل لحظة استعدادٌ له، فيتقرب العبد إلى الله بالطاعات واجتناب المنكرات، وكان رسول الله ﷺ يذكرهم بهذا اليوم ليستعدّوا له قبل أن يفاجأهم الأجل المحتوم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في دعوة، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة[3] وقال: أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مما ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد .....» الحديث[4].

ثانيا: حرص الإسلام على صحة المدعوين ووقايتهم من المرض والأذى.

اهتم الإسلام بصحة المدعوين، وقد مر معنا كتاب كامل عن الطب بينا فيه ما

---

(1) آل عمران: ١٨٥.

(2) الأعراف: ٣٤.

(3) أي أخذ بأطراف أسنانه.

(4) سبق تخريجه، ص ٩٢١.

يتعلق بهذا الموضوع، كما اهتم الإسلام بالوقاية من الأسباب الجالبة للمرض، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه وجه أمته بقوله : «إذا آوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخل إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه». قال القرطبي في المفهم : «هذا الحديث يتضمن الإرشاد إلى مصلحتين : إحداهما معلومة ظاهرة ، وهي أن الإنسان إذا قام عن فراشه لا يدري ما دب عليه بعده من الحيوانات ذوات السموم ، فينبغي له إذا أراد أن ينام عليه يتفقد ويمسحه ؛ لإمكان أن يكون فيه شيء يخفى من رطوبة وغيرها، فهذه مصلحة ظاهرة .

وأما اختصاص هذا النفض بداخل الإزار فمصلحة لم تظهر لنا ، بل إنما ظهرت تلك للنبي ﷺ بنور النبوة ، وإنما الذي علينا نحن الامتثال . ويقع لي أن النبي ﷺ علم خاصية طبية تنفع من ضرر بعض الحيوانات» [1]

وقال : يؤخذ من هذا الحديث أنه ينبغي لمن أراد المنام أن يمسح فراشه لاحتمال أن يكون فيه شيء يخفى من رطوبة أو غيرها .

كما أن في أمره ﷺ الوقاية من الأذى التي تحدث من الهوام وغيرها، قال ابن بطال رحمه الله تعالى : في هذا الحديث أدب عظيم ، وقد ذكرت حكمته في الخبر ، وهو خشية أن يأوي إلى فراشه بعض الهوام الضارة فتؤذيه [2] ، وهكذا كان يوجه ﷺ أمته بالبعد عن كل ما يؤدي بهم إلى الأذى ، كما في نهيه ﷺ عن الشرب من في السقاء ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «نهى النبي ﷺ عن الشرب من في

---

(1) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/٤٣ - ٤٤ ، ط دار ابن كثير - بيروت . وانظر : فتح الباري ١١/١٢٦ .

(2) فتح الباري ١١/١٢٧ .

السقاء»[1] . رواه البخاري .

قال الشيخ محمد بن جمرة ما ملخصه : «اختُلف في علة النهي فقيل : يخشى أن يكون في الوعاء حيوان ، أو ينصب بقوة فيشرق به ، أو يقطع العروق الضعيفة التي بإزاء القلب ، فربما كان سبب الهلاك ، أو مما يتعلق بفم السقاء من بخار النفس ، أو بما يخالط الماء من ريق الشارب فيتقذره غيره ، أو لأن الوعاء يفسد بذلك العادة فيكون من إضاعة المال ..» .[2]

لقد حرص رسول الله ﷺ على صحة أمته ووقايتها من الضعف الصحي حتى لو كان على حساب العبادة ، روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : «ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ فقلت : بلى يا رسول الله . قال : فلا تفعل ، صم وافطر ، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ....» الحديث [3].

ويوجه الرسول ﷺ أمته بالعودة من السفر عاجلا لما يترتب عليه من متاعب صحية لا تخفى ، روي البخاري في صحيحه كتاب الأطعمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه ، فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله» متفق عليه [4]، إنه الإسلام الذي حمى

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الأشربة ، باب الشرب من فم السقاء ص ١١٠٦
(2) فتح الباري ٩١/١١.
(3) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب حق الجسم في الصوم ص ٣٧٤ ، صحيح مسلم بنحوه، كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر ص ٤٥٠ وللفائدة انظر : الحقائق الطبية ص ٧٥.
(4) صحيح البخاري ، كتاب العمرة ، باب السفر قطعة من العذاب ص ٣٤٣ ، صحيح مسلم ، كتاب الإجارة ، باب السفر قطعة من العذاب ص ٧٩٧.

كيان الأمة المسلمة، وحرص على سلامتها من الأذى؛ لتبقى بمشيئة الله قوية صامدة أمام أعداء الإسلام .

ثالثا : حث المدعوين على الذكر عند النوم والاستيقاظ .

وصف الله عباده المؤمنين بالمحافظة على الذكر في جميع الأوقات حتى وهم في حالة الراحة ، فقال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ....﴾[1] الآية ، وفي الآحاديث المذكورة في الأبواب معنا ، ما يدل على فضل المحافظة على الذكر عند النوم، والتحصن بآيات الله، والدعاء بما ورد عن رسول الله ﷺ .

وقد وردت أحاديث عدة تبين حرصه ﷺ على المحافظة على الأذكار عند النوم ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : «إن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه وقرأ بالمعوذات ومسح بهما جسده»[2] رواه البخاري .

وعلّم أصحابه هذا الأدب العظيم عند النوم ، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : «اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رهبة ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك

---

(١) آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند النوم ص ١٢١٦.

الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت ، فإن مت مت على الفطرة [1] فاجعلهن آخر ما تقول» متفق عليه[2] .

وعند الاستيقاظ من النوم يقول عليه الصلاة والسلام : «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» ، فعلى الدعاة أن يبينوا للمدعوين فضل المحافظة على الذكر عند النوم والاستيقاظ ، وأنه من هدي النبي ﷺ الذي حافظ عليه وأمر أمته به .

رابعا : أن فعل الأسباب من التوكل على الله .

أمر الله عباده المؤمنين بالتوكل عليه وحده سبحانه وتعالى فقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ... ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [4].

وكان عليه الصلاة والسلام إذا خرج من بيته قال : «بسم الله ، توكلت على الله ،اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ،أو أظلم أو أظلم ،أو أجهل أو يجهل عليّ »[5]. رواه أبو داود والترمذي .

---

(1) الفطرة : الإسلام .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب إذا بات طاهرا ص ١٢١٤ ، صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ص ١٠٨٦.

(3) الفرقان : ٥٨.

(4) الأنفال : ٢.

(5) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا خرج من بيته ص ٧٦٩ ، ط دار ابن خزيمة . وأخرجه الترمذي في سننه ، أبواب الدعوات ، باب التعوذ من أن نجهل أو يجهل علينا . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ١٢٧/٩ ، ط المكتبة الإسلامية .

ومع هذا التوجيه الرباني من التوكل عليه وأمره ﷺ بذلك فإنه لابد من فعل الأسباب التي تقي المسلم من الأذى ؛ لذا أمر رسول الله ﷺ أصحابه بفعل الأسباب فقال : «إذا آوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدري ما خلفه عليه» .

قال الحافظ : قال ابن العربي : «هذا من الحذر ومن النظر في أسباب دفع سوء القدر أو هو من الحديث الآخر ، أعقلها وتوكل»[1] .

إن فعل الأسباب من الأمور المأمور بها شرعا ، وهو من التوكل على الله تعالى .

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا هذا الأمر المهم للمدعوين ، حيث إن البعض منهم يتساهل في فعل الأسباب وإذا أمر بالأخذ بها أجاب بأنه متوكل على الله ، وهذا مخالف لهدي الرسول ﷺ .

خامسا : حرص الإسلام على راحة المسلم النفسية وحفظها من كل مكروه.

إن النوم هو الراحة للمسلم في حياته بعد عناء النهار وصخبه كما قال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾[2] فلا بد له من راحة يستعيد بها نشاطه لليوم الجديد. وإذا تخلل النوم ما يزعجه ويقلقه فإن التعب والقلق النفسي لا يفارقه ؛ لذا أمر رسول الله ﷺ بالمحافظة على الأوراد عند النوم كما ذكرنا .

---

(1) فتح الباري ١١/١٢٧.

(2) النبأ : ١٠.

فإن الذي يتساهل في هذا الأمر قد يعرض نفسه لحركات الشياطين والأحلام المزعجة التي تقلقه؛ ولذا قال عليه الصلاة والسلام : «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه»[1] متفق عليه[2].

وما أصيب به بعض الناس في هذا العصر من أحلام مزعجة وقلق نفسي عند النوم هو سبب التساهل في المحافظة على الورد الوارد عن رسول الله ﷺ عند النوم؛ لذا ينبغي للدعاة إلى الله الاهتمام بهذا الأمر ، وحث المدعوين على الأخذ بهدي النبي ﷺ .

---

(١) كفتاه : قيل : كفتاه المكروه تلك الليلة .وقيل :كفتاه من قيام الليل.

(٢) صحيح البخاري ،كتاب فضائل القرآن ، باب من لم ير بأساً أن يقول : سورة البقرة وسورة كذا وكذا، ص ١٠٠٠، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ص ٣١٥.

باب ما يكره من السجع في الدعاء[1]

١٤٨- عن عكرمة ، عن ابن عباس [2] قال : حدِّث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات ، ولا تملَّ الناس هذا القرآن، فلا ألفينك[3] تأتي القومَ وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب [4].

رقم الحديث: [٦٣٣٧].

---

(١) أي: هذا باب في بيان كراهة السجع في الدعاء ، والسجع :كلام المقفى من غير مراعاة وزن .وقيل : هو موالاة الكلام على روي واحد . ومنه سجعت الحمام : إذا رددت صوتها انظر : فتح الباري ١١/١٣٩.

(٢) سبق ترجمته .

(٣) فلا ألفينك : بضم الهمزة وبالفاء ، أي : لا أجدنك ، والنون مثقلة للتأكيد ، وهذا النهي بحسب الظاهر للمتكلم ، وهو في الحقيقة للمخاطب ، وهو كقولهم : لا أرينك ههنا . انظر : فتح الباري ١١/١٣٩ .

(٤) مطابقته للترجمة في قوله : « فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه » . انظر : عمدة القاري ١٥/٤٣٩.

الموضوع الدعوي

في حديث الباب يتبين لنا هدي رسول الله ﷺ في الدعاء، حيث كان من هديه عليه الصلاة والسلام البعد عن السجع المتكلف، ولهذا قال ابن عباس لعكرمة رضي الله عنهم: «... وانظر السجع في الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب».

وقد بين بعض العلماء الحكمة من النهي عن ذلك، قال الحافظ: قوله: وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه» أي لا تقصد إليه تشغل فكرك؛ به لما فيه من التكلف المانع للخشوع المطلوب في الدعاء». [1] قال أبو بكر الطرطوشي: «ويكره السجع في الدعاء وغيره، وليس من كلام الماضين». [2]

ومن الحكمة في النهي عن ذلك تنفير المؤمن من أن يتشبه في كلامه كلام الكهنة. قال الأزهري: وإنما كرهه ﷺ لمشاكلته كلام الكهنة كما في قصة المرأة من هذيل. [3]

وقد يسأل سائل عن ورود بعض الأحاديث الصحيحة فيها السجع في بعض الأدعية، وأجيب بأن ذلك كان يصدر من غير قصد إليه، ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام كقوله ﷺ: «اللهم منزل الكتاب مجري السحاب هازم الأحزاب» وكقوله ﷺ «صدق وعده وأعز جنده» الحديث وكقوله: «أعوذ بك من عين لا تدمع، ونفس لا

---

(1) فتح الباري ١٣٩/١١.

(2) كتاب الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي ص ٣٠٤، ط دار الغرب الإسلامي.

(3) فتح الباري ١٣٩/١١. ومرّ شرح الحديث في آخر كتاب الطب من هذه الرسالة.

تشبع، وقلب لا يخشع وكلها صحيحة» .[1]

الفوائد الدعوية

أولاً : من صفات الداعية تعليم الناس .

ثانياً : اهتمام الإسلام بآداب المجلس .

ثالثاً : مراعاة الدعاة إلى الله ظروف المدعوين النفسية عند دعوتهم .

رابعاً : حذر الدعاة من معوقات نشر الدعوة إلى الله .

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : من صفات الداعية تعليم الناس .

في قول ابن عباس لعكرمة : «حدث الناس كل جمعة مرة ،فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات». ما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعليم الناس وتذكيرهم ؛ لما في التذكير من خير كثير للمدعوين فقد قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ومع ذلك فإن التذكير يكون بين فترة وأخرى مخافة السآمة والملل، وهذا ما كان يفعله أصحاب رسول الله ﷺ ، فعن أبي وائل شقيق بن سلمى قال: كنا

---

(1) المصدر السابق.

(2) الذاريات : ٥٥.

جلوساً عند باب عبد الله ننتظره، فمر بنا غريد بن معاوية النخعي فقلنا : أعلمه بمكاننا، فدخل عليه ، فلم يلبث أن خرج علينا عبد الله فقال: إني أخبر بمكانكم، فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملكم، إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا»[1] .

فما أجمل أن يسير الدعاة إلى الله مع المدعوين على هذا المنهج النبوي في أسلوب الوعظ والإرشاد فيكون بين فترة وأخرى حذرا من حصول السآمة بين المدعوين.

ثانياً : اهتمام الإسلام بآداب المجلس .

في قول ابن عباس رضي الله عنهما : «فلا ألفينَّك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم ، لكن انصت فإذ أمروك فحدثهم وهم يشتهونه». ما يدل على اهتمام الإسلام بآداب المجلس مع ما في الذكرى من الخير العظيم والأجر عند الله إلا أن قطع الكلام على المتحدثين في المجلس يعتبر من الأمور غير المقبولة في الغالب.

من أجل هذا اهتم الإسلام بأدب المجلس، وتربى أصحاب رسول الله ﷺ على ذلك، فهذا ابن عباس رضي الله عنه يوجه بهذا التوجيه العظيم لعكرمة .لذا ينبغي على الدعاة إلى الله بيان آداب المجلس للمدعوين .

---

(1) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة ص ٣٩ .
وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الاقتصاد في الموعظة ص ١١٣٤.

ثالثاً : مراعاة الدعاة إلى الله ظروف المدعوين النفسية عند دعوتهم .

في تعليم ابن عباس رضي الله عنهما لعكرمة عدمَ قطع الحديث على المتحدث في المجلس ما يبين اهتمام الإسلام بحالة المدعوين النفسية ، فإنه وإن قبله أهل المجلس إلا أن الحالة النفسية للمدعوين تكون غير متهيئة، وهذا من عظم هذا الدين وعنايته بتوصيل العلم الشرعي بأحسن أسلوب وأفضل طريقة سبقت نظريات التعليم الحديثة .

رابعاً: حذر الدعاة من معوقات نشر الدعوة إلى الله .

في نهي ابن عباس لعكرمة عن قطع حديث القوم ما يبين اهتمام صحابة رسول الله بالحذر من الأسباب التي تعيق قبول الدعوة ، والأسباب التي تعيق قبول الدعوة غير قطع الحديث كثيرة جداً ، منها :

١- كثرة الحديث على المدعوين وإطالته مما يؤدي إلى السآمة والملل .

٢- مخاطبة الناس بما لا يعقلون .

٣- إغفال الفرص التي تكون سبباً لقبول الدعوة إلى الله وتوجيه الخير .

فما أجمل أن يحرص الدعاة إلى الله على تلافي ما يعيق نشر الخير بين الناس والدعوة إلى الله .

باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له[1]

١٤٩- عن أنس[2] قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن : اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له».[3]

رقم الحديث : [٦٣٣٨].

١٥٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له» .[4]

رقم الحديث : [٦٣٣٩].

---

(١) قال العيني : أي هذا باب يذكر فيه ليعزم الشخص المسألة ، من عزمت كذا عزماً وعزيمةً ، إذا أردت فعله وجزمت به . قوله : المسألة : أي السؤال أي الدعاء ، قوله: « فإنه » أي فإن الشأن . لا مكره : بكسر الراء ، من الإكراه . له : أي لله عز وجلّ . انظر : عمدة القاري ١٥/٤٠٤.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة . عمدة القاري ١٥/٤٠٤ وطرف الحديث في صحيح البخاري برقم (٧٤٦٤) ، كتاب التوحيد ، باب في المشيئة والإرادة ص ١٤٢٤، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء ، باب العزم في الدعاء ولا يقل : إن شئت ص ١٠٧٦.

(٤) الحديث طرفه في كتاب التوحيد ، باب في المشيئة والإرادة برقم (٧٤٧٧) ص ١٤٢٦، وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب العزم بالدعاء ، ولا يقل : إن شئت . ص ١٠٧٦.

الموضوع الدعوي

في حديثي الباب يبين رسول الله ﷺ لأمته أمرًا مهمًا في جانب العقيدة وهو العزم بالمسألة عند الدعاء، : فلا يقل : «اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت»، فإنه لا أحد يكرهه سبحانه وتعالى على ما يريد فيمنعه منه ؛ أو على ما لا يريد فيلزمه بفعله ، لأن الأمر كله لله وحده .

والمحظور في التعليق من وجوه ثلاثة :

الأول : أنه يشعر بأن الله له مكره على فعله ، وأن وراءه من يستطيع أن يمنعه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

الثاني : أن قول القائل : «إن شئت كأنه يرى أن هذا أمر عظيم على الله فقد لا يساوه لكونه عظيما عنده .

والله سبحانه وتعالى لا يتعاظمه شيء كما في رواية مسلم : «وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه» .

الثالث : أنه يشعر بأن الطالب مستغنٍ عن الله كأنه يقول : إن شئت فافعل وإن شئت فلا تفعل فأنا لا يهمني. والتعليق ينافي قوله ﷺ : «وليعظم الرغبة ....» الحديث. والإنسان يدعو الله وهو يشعر بأنه مفتقر إليه غاية الافتقار، وأن الله قادر على أن يعطيه ما سأل.[1]

---

(1) القول المفيد شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ١١٢/٢ ط دار ابن الجوزي.

قال ابن عبد البر : «لا يجوز لأحد أن يقول : اللهم أعطني إن شئت وغير ذلك من أمور الدين والدنيا ؛ لأنه كلام مستحيل لا وجه له ؛ لأنه لا يفعل إلا ما شاء».[1] وظاهره أنه حمل النهي على التحريم ، قال الحافظ :«وهو الظاهر ، وحمل النووي النهي في ذلك على كراهة التنزيه وهو أولى ، ويؤيده ما جاء في حديث الاستخارة»[2].

الفوائد الدعوية

أولا : حرص الداعية على تعليم المدعوين أمور دينهم .

ثانيا : حث المدعوين على العزم بالدعاء .

ثالثا : تحذير المدعوين من القنوط من إجابة الدعاء .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا : حرص الداعية على تعليم المدعوين أمور دينهم .

في حديثي الباب يوجه الرسول ﷺ أصحابه بالأخذ بأدب من آداب الدعاء ، وهو العزم في المسألة، حيث يقول ﷺ : «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن : اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له» ، وقال : «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له» .

وبين رسول الله ﷺ فضل من علم وعلّم فعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ

---

(1) التمهيد لابن عبدالبر ، ٣٦٣/١، ترتيب الشيخ محمد المغراوي.

(2) فتح الباري ١٤٠/١١. وانظر : عون الباري ٦٣٧/٥.

قال : مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها طائفة ... قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب [1] أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان[2] لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فَقِهَ في دين الله ونفعه ما بعثني الله به ، فعَلِمَ وعَلَّمَ، ومثل من لن يرفع بذلك رأسا [3]، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[4] .

وإن من أعظم ما يقوم به الداعية إلى الله في مجتمعه هو تعليم الناس أمور دينهم اقتداء بسيد المرسلين، حيث يوجه عليه الصلاة والسلام أمته بأن الداعي عليه أن يعزم المسألة في الدعاء ولا يقولن : اللهم اعطني إن شئت فإنه لا مستكره له .

وفي نشر العلم الشرعي بين المدعوين يكون الناس على بصيرة من أمرهم في أمور العبادة، ويحذرون من كل ما يخدش كمال الإيمان. وقد بين عليه الصلاة والسلام فضل معلمي الناس الخير. فعن أبي امامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم. ثم قال رسول الله ﷺ : إن الله وملائكته، وأهل السموات والأرض، حتى النملة في حجرها، وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير» [5]. رواه الترمذي. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا

---

(1) أي لا تشرب ماء ولا تنبت زرعاً .

(2) قيعان المستوى الصلب الواسع من الأرض. غريب كلمات صحيح البخاري، ص.٣٦.

(3) أي تكبر انظر جواهر البخاري ص ٦٣.

(4) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من عَلِمَ وعَلَّمَ ص ٤١ ، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ، ص٩٢٨.

(5) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة . قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب . ٧/٢٢٧ـ٢٢٨.

حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسُلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» متفق عليه [1].

فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على نشر العلم بين المدعوين وتعليم الناس أمور دينهم ؛ اقتداء بهدي سيد المرسلين الذي أمره الله بقوله : ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [2].وقد تحدثنا عن مثل هذه الفائدة بما يغني عن الإطالة [3].

ثانيا : حث المدعوين على العزم بالدعاء .

على المسلم أن يدعو الله ويجتهد في دعائه كما أمر رسول الله ﷺ فقال : « إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة» قال الداودي : معنى قوله: «ليعزم المسألة» أن يجتهد ويلح ولا يقل إن شئت كالمستثني ، ولكن دعاء البائس الفقير» [4] . وكان رسول الله ﷺ يلح على ربه في الدعاء ، رجاء ما عند الله من الخير والفضل العظيم . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ ... : «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد. فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يا رسول الله قد ألححت على ربك . وهو في الدرع فخرج وهو يقول : « سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الاغتباط في العلم والحكمة ص ٣٩ ، صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة المعوذتين ص ٣١٧.

(2) يوسف : ١٠٨.

(3) انظر مثلاً ص١٩٢ .

(4) فتح الباري ١١/١٤٠.

أدهى وأمر»[1] ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[2].

وهو منهج سار عليه أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ، فهذا زكريا يقول الله تعالى عنه : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ... ﴾[3]، وهذا أيوب عليه الصلاة والسلام يدعو ربه : ﴿ ....أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[4] وأثنى الله على عباده المؤمنين الذين يدعونه، وبين ما أعد لهم من الأجر العظيم فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾[5] .

فعلى الدعاة إلى الله أن يحثوا المدعوين على الدعاء وعدم التقصير في ذلك ،وما أجمل أن يقف المسلم بين يدي الله يطلب منه تفريج الكربات ومنحه الخيرات التي تعينه على طاعة رب السموات كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[6].

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب، ص ٥٦.

(٢) القمر ٤٥ ، ٤٦.

(٣) الأنبياء ٨٩ ، ٩٠.

(٤) الأنبياء : ٨٣.

(٥) الفرقان : ٧٤ ، ٧٥.

(٦) غافر : ٦٠.

ثالثا : تحذير المدعوين من القنوط من إجابة الدعاء .

في أمره عليه الصلاة والسلام لأمته بقوله : «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة» تحذيرٌ لأمته من القنوط من إجابة الدعاء ، وقد بين رسول الله ﷺ لأمته فضل الله عليهم ، وأنه يستجيب دعوة الداع إذا دعاه ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول للهﷺ قال : ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» . فقال رجل من القوم : إذا نكثر . قال : «الله أكثر» .[1]

قال ابن بطال : «في الحديث أنه ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ويكون على رجاء الإجابة ، ولا يقنط من الرحمة فإنه يدعو كريما» .[2]

وقال ابن عيينة : «لا يمنعن أحد الدعاء ما يعلم في نفسه - يعني من التقصير - فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه إبليس حين قال : ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3][4] .

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين خطر القنوط من إجابة الدعاء ، وأن الله

---

(1) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب في انتظار الفرج . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه ٩/٢١٥ ، ومسند الامام أحمد ٣/١٨ بزيادة «وإما أن يدخرها له في الآخرة» .

(2) فتح الباري ١١/١٤٠ .

(3) الأعراف : ١٤ .

(4) فتح الباري ١١/١٤٠ وانظر : تصحيح الدعاء لفضيلة الشيخ بكر أبو زيد ، ص٢٩ ، ط دار العاصمة .

يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ، كما قال تعالى : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ . . .﴾[1]

وليعلم المدعوون أن القنوط من إجابة الله سوء ظن بالله جل وعلا، نسأل الله السلامة والعافية، فعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي . . »[2].

---

(1) النمل : ٦٢.

(2) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات، باب غفران الذنوب مهما عظمت . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ٩/١٩٤ ـ ١٩٥، ومسند الإمام أحمد بمعناه ٥/١٥٤ وسنن ابن ماجه بمعناه كتاب الزهد، باب ذكر التوبة ٢/١٤٢٢.

باب يستجاب للعبد مالم يعجل [(١)]

١٥١- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول : دعوت فلم يستجب لي»[(٢)].

رقم الحديث : [٦٣٤٠].

الموضوع الدعوي

في حديث الباب بين الرسول ﷺ فضل الله على أمته ، وأن دعوتهم تستجاب ما لم يعجل المسلم فيقول : دعوت فلم يستجب لي .وفي هذا الحديث بيان لأدب من آداب الدعاء التي ينبغي للمسلم التحلي بها ،وهو عدم القنوط من رحمة الله والسآمة من الدعاء ، قال ابن بطال : «المعنى أنه يسأم فيترك الدعاء ، أو أنه أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة ، فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ، ولا ينقصه العطاء»[(٣)].

قال ابن الجوزي : «اعلم أن دعاء المؤمن لا يرد ، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير

---

(١) قال العيني : أي هذا باب يذكر فيه يستجاب للعبد دعاؤه ما لم يعجل. عمدة القاري ٤٤١/١٥

(٢) مطابقته للترجمة ظاهرة . انظر : عمدة القاري ٤٤١/١٥ والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل ص ١٠٩٤

(٣) فتح الباري ١٤١/١١

الإجابة، أو يعوض بما هو أولى له عاجلا أو آجلا، فينبغي للمؤمن أن لا يترك الطلب من ربه فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض»[1].

وفي قوله ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل»، «ما يدل على أن المراد بالإجابة ما هو أعم من تحصيل المطلوب بعينه أو ما يقوم مقامه ويزيد عليه»[2]. ومن يتدبر القرآن الكريم يجد أنه حتى دعاء الأنبياء قد تتأخر عنهم الإجابة، كما أخر سبحانه إجابة يعقوب في رد ابنه يوسف إليه وهو نبي كريم، وكما أخر إجابة نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام في كشف الضر عنه»[3].

الفوائد الدعوية:

أولاً: الثقة بالله وأثرها في حياة المسلم.

ثانياً: حث المدعوين على الدعاء والبعد عن موانع الإجابة.

ثالثاً: الحرص على تعليم المدعوين آداب الدعاء.

رابعا: ترويض النفس على عدم العجلة في الأمور كلها.

---

(١) فتح الباري ١٤١/١١

(٢) المرجع السابق ١٤١/١١

(٣) انظر: مجموع فتاوى العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله ٢٦١/١

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: الثقة بالله وأثرها في حياة المسلم:

في قوله ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي»، ما يبين ما يجب أن يكون عليه المؤمن من الثقة بالله وبوعد الله من إجابة دعوة الداع إذا دعاه، وقد بين الله ذلك في كتابه في آيات متعددة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1].

فمن أعظم الشروط لقبول الدعاء الثقة بالله تعالى، وأنه لا راد لأمره كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2]

وحث رسولُ الله ﷺ على الإيقان بإجابة الدعوة، فعن عبد الله بن معاوية الجمحي قال: حدثنا صالح المري، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه»[3].

وإجابة الدعوة من كمال قدرته، وكمال ملكه، ففي الحديث القدسي الذي رواه

---

(١) البقرة ١٨٦

(٢) يس: ٨٢

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب «ادعُ تجَبْ» ٩/١٥٦. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. سمعت عباساً العنبري يقول: اكتبوا عن عبد الله بن معاوية الجمحي فإنه ثقة.

رسول الله ﷺ عن ربه : « ... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كلَّ إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ».[1]

ثانياً : حث المدعوين على الدعاء والبعد عن موانع الإجابة .

في قوله ﷺ : «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول : دعوت فلم يستجب لي»، حث للمسلمين على المداومة في الدعاء، وقد أمر الله عباده المؤمنين بالدعاء ووعدهم بالإجابة فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[2].

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[3].

وحث عليه الصلاة والسلام أمته على الدعاء فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من لم يسأل الله يغضب عليه»[4] ولا شك أن لاستجابة الدعاء موانع منها : أن يستعجل الإجابة . قال ابن رجب : «ونهي أن يستعجل ويترك الدعاء

---

(1) أخرجه مسلم مطولاً في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ص ١٠٣٩.

(2) غافر : ٦٠.

(3) غافر : ٦٥

(4) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب من لم يسأل الله يغضب عليه ٩/٩٣، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء ٢/١٢٥٨، ط دار الكتب العلمية - بيروت. والإمام أحمد في مسنده ٢/٤٤٢

لاستبطاء الإجابة، حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعائه ولو طالت المدة، فإنه سبحانه يحب الملحين في الدعاء»[1].

وقد سار السلف على هذا الأمر امتثالاً لهذا الهدي النبوي، قال مروق العجلي: «دعوت ربي في حاجة عشرين سنة فلم يقضها لي، ولم أيأس منها»[2]

ثالثاً: الحرص على تعليم المدعوين آداب الدعاء.

في قوله ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي»، تعليم لأمته عليه الصلاة والسلام بأمر مهم في حياتهم وهو عدم العجلة في حصول الإجابة.

وكان عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه آداب الدعاء، فعن فضالة بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى، ولم يصلّ على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «عجل هذا» ثم دعاه فقال له أو لغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه جلّ وعزّ والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعد بما شاء».[3]

وأثنى ﷺ على من تأدب بآداب الدعاء عند دعائه، فعن عبد الله بن مسعود

---

(1) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ٤٠٣/٢، ط مؤسسة الرسالة.

(2) التمهيد لابن عبدالبر، ٣٧١/١، رتبه الشيخ محمد بن عبدالرحمن المغراوي.

(3) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء ص ٢٣٢، ط دار ابن حزم، ودار المسير. وأخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الدعوات، باب «ادع تجب» ١٥٥/٩

رضي الله عنه قال : كنت أصلي والنبي ﷺ وأبو بكر وعمر معه، فلما جلست بدأت بالثناء على الله، ثم الصلاة على النبي ﷺ، ثم دعوت لنفسي، فقال النبي ﷺ : «سل تعطه سل تعطه»[1].

فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على تعليم الناس آداب الدعاء لما في ذلك من الخير العظيم والنفع للمسلمين .

رابعا : ترويض النفس على عدم العجلة في الأمور كلها .

إن العجلة جبلة في الإنسان كما بين الله ذلك في كتابه فقال تعالى : ﴿ خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ... ﴾[2] . وبين أنه لحب الخير شديد فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[3] ، وقد يدعو الإنسان فتتأخر الإجابة فيضجر فيترك الدعاء فيقول : دعوت ولم يستجب لي ، وهذا ما حذر منه الرسول ﷺ بقوله : «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل».

إذا كان هذا في أمور العبادة فبأمور الدنيا من باب أولى، فحري بالمؤمن أن يتأنى في حياته ويحذر العجلة المذمومة التي قد تؤدي إلى المهالك .

---

(1) سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب ما ذكر في الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ ١٨٤/٢، قال أبو عيسى : حديث عبد الله بن مسعود حديث حسن صحيح . وحسنه الألباني رحمه الله في مشكاة المصابيح ٢٩٤/١ برقم ٩٣١.

(2) الأنبياء : ٣٧

(3) العاديات : ٨

فعلى الدعاة والمدعوين أن يعتنوا بهذا الأمر، وذلك بتربية أنفسهم على الأناة في الأمور كلها اتباعا لهدي المصطفى ﷺ.

باب الدعاء عند الكرب[1]

١٥٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب[2] يقول : «لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم»[3].

رقم الحديث : [٦٣٤٥].

الموضوع الدعوي

إن المسلم يمرّ في هذه الحياة بمواقف مختلفة، من مرض أو فقر أو خوف من عدو أو غيره، فيلجأ إلى ربه الواحد القهار الذي لا يعجزه شيء ، يدعوه ويتضرع إليه ، وهذا هو هديه عليه الصلاة والسلام ، حيث يدعو عند الكرب بهذا الدعاء «لا إله إلا الله العظيم العليم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش العظيم».

إن للدعاء عند الكرب أثراً عظيماً على نفسية المسلم ، وقد أمر الله عباده بذلك

---

(١) أي هذا باب في بيان الدعاء عند الكرب .انظر عمدة القاري ١٥/٤٤٥

(٢) الكرب : الحزن والغم الذي يأخذ بالنفس ، وجمعه كروب ، وكربه الأمر والغم يكربه كرباً : اشتد عليه ، فهو مكروب وكريب ، والاسم : الكربة ، والكرائب : الشدائد . لسان العرب ١/٧١١ ، مادة [كرب] . وانظر : عمدة القاري ١٥/٤٤٤

(٣) مطابقة الحديث للترجمة في قوله : « يدعو عند الكرب » . انظر : عمدة القاري ١٥/٤٥٥ وأطراف الحديث في صحيح البخاري برقم (٦٣٤٦) في الباب نفسه، برقم(٧٤٢١) وفي كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء ص ١٤١٣، ورقم (٧٤٣١) كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : [تعرج الملائكة والروح] والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب دعاء الكرب ، حديث رقم (٢٧٣٠)

فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]
وأمر رسول الله أصحابه بالدعاء والذكر عند نزول الهم والحزن بهم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ما أصاب عبداً همٌّ ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدل فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، وشفاء صدري، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أبدل الله حزنه وهمه ، وأبدله مكانه فرحاً»[2] رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه .

فما أعظم هذا الدين الذي فيه السعادة للمسلمين في جميع أمور دينهم ودنياهم، وهو بتوجيهاته العظيمة يفوق أعظم النظريات الغربية التي تعالج الأزمات النفسية والاقتصادية والحربية.

الفوائد الدعوية :

أولا : حث المدعوين على الدعاء عند الكرب .

ثانيا : الذكر وأثره في رفع البلاء عند الشدة .

---

(1) الأنفال : ٤٥

(2) مسند الإمام أحمد ٤٥٢،٣٩١/١ ، صحيح ابن حبان ترتيب ابن بلبان ٢٥٢/٣ ، ط مؤسسة الرسالة . وأخرجه الحاكم في المستدرك ٥٠٩/١ ، ط دار المعرفة ـ بيروت . وانظر : العلم الهيب في شرح الكلم الطيب لبدر الدين العيني ص ٣٤٢ ط مكتبة الرشد ـ الرياض .

ثالثا : بيان فضل الله ورحمته بعباده عند نزول الكرب بهم .

رابعا : فضل توحيد الله والثناء عليه عند الدعاء .

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولا : حث المدعوين على الدعاء عند الكرب .

في قول ابن عباس رضي الله عنهما : كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب يقول : «لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم» .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعلّمون الناس الأدعية التي تعينهم على تفريج الكربات التي يتعرضون لها في هذه الحياة .فعن علي رضي الله عنه أن مكاتباً جاءه فقال : إني قد عجزت عن كتابتي[1] فأعني قال : ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل ثبير[2] دَيْنا أداه الله عنك ! قال : قل : اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، وأغنني بفضلك عمن سواك» رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب .[3]

فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على تعليم المدعوين هذا الدعاء الذي هو من أسباب تفريج الكرب الذي ينزل بالعبد .

---

(١) أي الدَّيْن اللازم لي بها .

(٢) ثبير : جبل لطيء . سنن الترمذي ٩/٢٠٨

(٣) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، ٩/٢٠٨ ط المكتبة الإسلامية . وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بلفظ « مثل جبل ثبير دنانير » .

ثانيا : الذكر وأثره في رفع البلاء عند الشدة .

في قول ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ يدعو عند الكرب يقول : «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض و رب العرش العظيم»، ما يدل على فضل الذكر عندالدعاء ، وأثره العظيم في رفع البلاء وإجابة الدعاء ، قال الطبري : «كان السلف يدعون بهذا الدعاء ، ويسمونه دعاء الكرب ، فإن قيل : فليس في هذا الدعاء إلا ذكر من تسبيح وتهليل ! قيل : يحتمل تسميته دعاء لمعنيين :

أحدهما : أن به يستفتح الدعاء ، ثم يدعو من بعده ما شاء ، وقد جاء مثل هذا مفسراً كذلك في بعض الطرق «ثم يدعو» .

المعنى الثاني: قول ابن عيينة وقد سئل عن هذا فقال : أما علمت أن الله تعالى يقول : «إذا شُغل عبدي بثنائه عليّ عن مسألتي ، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» .[1]

قال الشوكاني رحمه الله تعالى : في هذا الحديث مشروعية الدعاء بما اشتمل عليه لمن نزل به الكرب ، وبعد فراغه يدعو بأن يكشف الله كربه ، ويذهب عنه ما أصابه ، ويذهب عنه ما نزل به»[2]

ثالثا : بيان فضل الله ورحمته بعباده عند نزول الكرب بهم .

إن فضل الله عظيم على عباده المؤمنين حيث يبتليهم بالمصائب رحمة بهم ،

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/٢٢٥ ، ط دار الوفاء.

(٢) تحفة الذاكرين من شرح الحصن الحصين للشوكاني ص ١٩٤، ط المكتبة الثقافية، بيروت.

ويجازيهم عليها الأجر العظيم في الآخرة، فقد كان صحابة رسول الله ﷺ يشتكون إليه بعض المصائب التي تنزل بهم، ويأمرهم عليه الصلاة والسلام بالصبر، وأن هذا البلاء رحمة لهم إذا احتسبوا الأجر عند الله، فعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة، قلت بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله تعالى لي قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك»، فقالت: أصبر، فقالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها. متفق عليه [1]

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرها نبي الله ﷺ: «أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد» رواه البخاري. [2]

ومع هذا فإن الله قريب من عباده المؤمنين رحيم بهم، يجيب دعوة المكروب المضطر إذا دعاه قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ.....﴾ [3].

فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر للمدعوين ليعلموا فضل الله عليهم ورحمته بهم.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب فضل من يصرع من الريح ص ١١١٠، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ص ١٠٣٧

(2) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب أجر الصابر في الطاعون ص ١١٢٣

(3) النمل: ٦٢

رابعا : فضل توحيد الله والثناء عليه عند الدعاء .

في حديث الباب يظهر لنا فضل توحيد الله والثناء عليه عند الدعاء، وأنه من أسباب الإجابة، وهذا ما كان ﷺ يوجه به أصحابه .

فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : سمع رسول الله صلى عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ، ولم يصلّ على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «عجِل هذا» ثم دعاه فقال له أو لغيره : «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه جلّ وعزّ والثناء عليه ، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بعد بما شاء»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنت أصلي والنبي ﷺ وأبو بكر وعمر معه، فلما جلست بدأت بالثناء على الله، ثم الصلاة على النبي ﷺ ، ثم دعوت لنفسي قال النبي ﷺ : «سل تعطه سل تعطه»[2].

فعلى الداعي إلى الله أن يثني على الله بما هو أهل له ، ويصلي على النبي ﷺ ، ثم يدعو بما شاء فإنه حري بأن يستجاب له بإذن الله تعالى [3].

---

(1) سبق تخريجه، ص٩٧٣ .

(2) سبق تخريجه، ص ٩٧٢ .

(3) وللفائدة في هذا الموضوع انظر : كتاب تصحيح الدعاء لفضيلة الشيخ بكر عبد الله أبو زيد ، مبحث توحيد الله في الدعاء ص ٢١١ ط دار العاصمة - الرياض .

باب التعوذ من جهد البلاء [1]

١٥٣ـ عن أبي [2] هريرة قال : كان رسولُ الله ﷺ يتعوذُ من جَهْدِ البلاءِ، وَدَرَكِ الشَقَاء، وسُوءِ القضاء، وشماتةِ الأعداءِ. [3]

رقم الحديث: [٦٣٤٧].

غريب الحديث:

جـهـد البـلاء: الجهد بفتح الجيم وضمها : المشقة ، وكلما أصاب الإنسان من شدة المشقة والجهد فيما لا طاقة له بحمله ولا يقدر على دفعه عن نفسه فهو من جهد البلاء [4].

دَرَكِ الشـقـاء: بفتح الدال والراء ، ويجوز سكون الراء ، وهو الإدراك واللحوق . والشقاء بالفتح والمد : الشدة والعسر ، وهو ضد السعادة ، ويطلق

---

(١) أي : هذا باب في بيان التعوذ من جهد البلاء .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة . انظر : عمدة القاري ١٥/٤٤٧ ، والحديث طرفه في صحيح البخاري ، كتاب القدر ، باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء، برقم : (٦٦١٦) ص ١٢٦٤ .
وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره ، حديث رقم (٢٧٠٧)

(٤) فتح الباري ١١/١٤٩

على السبب المؤدي إلى الهلاك[1] .

سوء القضاء: في النفس وفي المال ، ويكون ذلك في سوء الخاتمة [2].

شماتة الأعداء: هي الحزن بفرح عدوه ، والفرح بحزنه ، وهو مما ينكأ في القلب ، ويؤثر في النفس تأثيرا شديداً [3]. وقيل : فرح العدو ببلية تنزل بمن يعاديه[4].

الموضوع الدعوي

في حديث الباب بين عليه الصلاة والسلام فضل الدعاء والتضرع إلى الله جل وعلا وإظهار الافتقار إليه سبحانه وتعالى. حيث كان ﷺ يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء. قال الحافظ رحمه الله تعالى: «وفي الحديث دلالة لاستحباب الاستعاذة من الأشياء المذكورة وأجمع على ذلك العلماء في جميع الأعصار والأمصار»[5].

وإن المتأمل لما تعوذ منه ﷺ يجد أن هذه الأمور إذا حلت بمسلم جميعها أو بعضها فإنها تقلقه في حياته ، فقلة اليد مع كثرة العيال من الأمور المثقلة لكاهل الإنسان في

---

(1) انظر : عمدة القاري ١٥/٤٤٧ ، إرشاد الساري ١٣/٣٥٠.

(2) انظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم٨/٢٠٥

(3) انظر : عمدة القاري ١٥/٢٠٥

(4) إرشاد الساري ١٣/٣٥٠

(5) فتح الباري ١١/١٤٩

هذه الحياة، ووقوع سبب من أسباب الهلاك على المسلم تجعله لا يسعد في حياته ، ومن أشد الآلام على المسلم أيضا أن يتعرض في هذه الحياة لشماتة أعدائه، حيث يفرحون بنزول البلية عليه ، وبهذا يتبين لنا حرص الإسلام على حفظ المسلم من وقوع المكروه عليه ، وتوجيهه له إلى دفعه بالدعاء ، كما في حديث الباب ، وفي الحديث جواز السجع إذا كان من غير تكلف ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : «إن الكلام المسجوع لا يكره إذا صدر عن غير قصد إليه ولا تكلف» .[١]

فعلى كل مسلم أن يقتدي بهدى رسول الله ﷺ ويتعوذ بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء ، فإن في ذلك السعادةَ للمسلم في الدارين ، وقد قال الله تعالى في كتابه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[٢].

الفوائد الدعوية:

أولا : حرص الدعاة إلى الله على تعليم الناس الخير وما يدفع عنهم السوء .

ثانيا : مشروعية الاستعاذة من المهلكات .

ثالثا : إظهار الفاقة والتضرع إلى الله وحده .

رابعا : حرص الإسلام على حفظ شخصية المسلم من شماتة الأعداء .

---

(١) المصدر السابق ١١/١٤٩

(٢) الأحزاب : ٢١

خامسا : شفقة الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته بأمته .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا : حرص الدعاة إلى الله على تعليم الناس الخير وما يدفع عنهم السوء .

في قول أبي هريرة رضي الله عنه : «كان النبي ﷺ يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء» ، ما يدل على حرصه ﷺ على تعليم الناس ما يهمهم من أمور دينهم، وما يسعدهم في الدارين .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : «وإنما تعوذ النبي ﷺ من ذلك تعليماً لأمته؛ فإن الله كان آمنه من جميع ذلك» [1] .

وكان عليه الصلاة والسلام يحرص على توجيه أمته لكل ما يؤدي إلى سلامتهم من الأذى ، فعن زيد بن أبي أرقم رضي الله عنه قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول ، كان رسول الله ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها» رواه مسلم [2] .

---

(١) فتح الباري ١١/١٤٩

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ، ومن شر ما لم يعمل ص ١٠٩٠.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة»[1] .رواه أبو داود .

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على تعليم الناس الخير وما يدفع عنهم الأذى ، فعن علي رضي الله عنه أن مكاتباً جاءه فقال : إني عجزت عن كتابتي فاعني قال : ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ ، لو كان عليك مثل جبل دينا أداه الله عنك . قل : اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، واغنني بفضلك عمن سواك» رواه الترمذي[2].

وسار على ذلك السلف الصالح من بعدهم ، فهذا الحسن البصري يأتي إليه رجل يشتكي قلة العيال ، فبين له الطريق المؤدي إلى رفع البلاء عنه بتوفيق الله ، وهو الاستغفار ، كما قال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾[3]، فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على تعليم الناس الخير وما يدفع البلاء عنهم .

---

(1) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب في الاستعاذة ص ٢٤٠ ، ط دار ابن حزم ، دار المسير . وأخرجه النسائي في سننه، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الجوع ٦٥٦/٨ ، ط دار المعرفة - بيروت .

(2) سبق تخريجه، ص٩٩٧.

(3) نوح : ١٠.

ثانيا : مشروعية الاستعاذة من المهلكات .

في قول أبي هريرة رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء» ما يدل على مشروعية الاستعاذة من هذه المهلكات . قال الحافظ رحمه الله تعالى : «وفيه مشروعية الاستعاذة، ولا يعارض ذلك كون ما سبق في القدر لا يرد ؛لاحتمال أن يكون مما قضى، فقد يُقضى على المرء مثلا بالبلاء ، ويقضى أنه إن دعا كشف ، فالقضاء محتمل للدافع والمدفوع»[1].

وكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ من كل ما يؤدي إلى الضرر والهلاك في هذه الحياة ،فعن أنس رضي الله عنه قال : كان ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيئ الأسقام» رواه أبو داود .[2] والدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروب وحصول المطلوب، وهو سبب دفع البلاء، وهو سلاح المؤمن .

قال الإمام ابن القيم : «الأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح ، والسلاح بضاربه ، لا بحده فقط ، فمتى كان السلاح سلاحًا تامًا لا آفة به، والساعد ساعداً قويًا، والمانع مفقودًا حصلت به النكاية من العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف .. ، فإن كان الدعاء في نفسه غير صالح أو الداعي لم يجمع من قلبه ولسانه، أو كان يمانع من الإجابة لم يحصل التأثير»[3] .

---

(١) فتح الباري ١٤٩/١١

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب في الاستعاذة، ص ٢٤١ ، وأخرجه النسائي في سننه ، كتاب الاستعاذة من الجنون ٦٦٤/٨

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٣٦ ، دار الكتاب العربي ط الأولى ١٤١٧هـ

ثالثا : إظهار الفاقة والتضرع إلى الله وحده .

في تعوذه ﷺ من جهد البلاء ودرك الشقاء ، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء ، ما يدل على فضل الدعاء والتضرع إلى الله وحده .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : «وفائدة الاستعاذة والدعاء إظهار العبد فاقته لربه وتضرعه إليه» (١) وقد أمر الله عباده بدعائه فقال تعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ، وبين رسول الله ﷺ فضل الدعاء فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : «ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء» (٣) .

رابعا : حرص الإسلام على حفظ شخصية المسلم من شماتة الأعداء .

في تعوذه ﷺ من شماتة الأعداء ، ما يبين حرص الإسلام على حفظ شخصية المسلم من العدو حتى من الفرح عليه فضلا أن يناله أذى حسي منه ، ولذلك كان ﷺ يتعوذ بالله من شماتة الأعداء كما في حديث الباب، وقد حكى الله عز وجل عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال : ﴿ ....فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ

---

(١) فتح الباري ١١/١٤٩

(٢) غافر : ٦٥ .

(٣) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب ما جاء في فضل الذكر ، ٩٠/٩١ ، قال أبو عيسى : حديث حسن غريب . وأخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء ٢/١٢٥٨ ، ط دار الكتب العلمية - بيروت . والحاكم في المستدرك على الصحيحين ١/٤٩٠ ، ط دار المعرفة - بيروت .

الظَّالِمِينَ﴾[1] وقيل لأيوب عليه الصلاة والسلام : أي شيء من الإيذاء كان أشد عليك ؟ قال : شماتة الأعداء»[2] .

وربى الإسلام أتباعه على الأخذ بالأسباب المؤدية إلى صد كيد الأعداء والشماتة بالمسلمين ، وشن الحرب النفسية عليهم ، فقال تعالى مبينا أسباب صد شماتة العدو : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[3]

واهتم ﷺ بهذا الجانب من حياته ، يتبين ذلك من عدم قتله لبعض المنافقين ، حيث طلب عمر رضي الله عنه قتلَ بعضهم ، فعن جابر بن عبد الله قال : جئت رسولَ الله ﷺ عام الجعرافة ، وهو يقسم فضةً في ثوب بلال للناس فقال رجل : يا رسول الله اعدلْ . فقال :«ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ! لقد خبت إن لم أكن أعدل» فقال عمر : يا رسول الله دعني أقتل هذا المنافق ، فقال : «معاذ الله أن يتحدث الناس إني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم أو تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»[4] .

فعلى الدعاة إلى الله أن يفعلوا الأسباب الشرعية المؤدية إلى حفظ شخصية

---

(١) الأعراف : ١٥٠ .

(٢) انظر : الآداب الشرعية لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي ٣٣٩/١ ، ط مؤسسة الرسالة .

(٣) آل عمران : ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٤) مسند الإمام أحمد ٣٥٣/٣ .

المسلم بمشيئة الله وتوفيقه من الأذى والشماتة من الأعداء، والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

خامسا : شفقة الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته بأمته .

في تعوذه ﷺ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء بيان لشفقته ﷺ بأمته، وقد وصفه ربه بذلك فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] ، وقد سبق الحديث عن هذه الفائدة في غير هذا الموضع[2].

---

(1) التوبة : ١٢٨.

(2) انظر، ص ٦٣٧ ، ٩٩٢ .

بـــاب قــول النبي ﷺ: «من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة»[1]

١٥٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «اللهم فأيُّما[2] مؤمن سببتُه فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة»[3].

رقم الحديث: [٦٣٦١].

الموضوع الدعوي

يظهر لنا من حديث الباب كمال خلق رسول الله ﷺ كما وصفه بذلك ربه فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[4] قال الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى: «في الحديث جميل خلقه، وكرم ذاته، حيث قصد مقابلة ما وقع منه بالجبر والتكريم»[5] وقد قال عليه الصلاة والسلام - كما في صحيح مسلم: «اللهم إنما أنا بشر، فأيما رجل

---

(١) أي: هذا باب في بيان قول النبي ﷺ .... إلى آخر قوله. «من» منصوب محلاً على شريطة التفسير، والضمير المنصوب في «فاجعله» يرجع إلى الأذى الذي يدل عليه قوله: «آذيته»، والذي في «له» يرجع إلى «من». وقوله «زكاة» منصوب على أنه مفعول ثانٍ لـ «اجعل» أي طهارة. وقيل: نمواً في الجنة، وقيل: صلاحاً. قوله: «ورحمة» عطف على زكاة. انظر: عمدة القاري ٤٥٥/١٥.

(٢) الفاء جزائية، والشرط محذوف يدل عليه السياق. أي إن كنت سببت مؤمنا. المصدر السابق، وانظر: إرشاد الساري ٣٦١/١٣.

(٣) مطابقته للترجمة تؤخذ من معناه. عمدة القاري ٤٥٥/١٥.
والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه ص ١٠٤٥.

(٤) القلم: ٤.

(٥) فتح الباري ١٧٢/١١، وانظر: إرشاد الساري ٣٦١/١٣.

من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة»[1]. قال القاضي عياض: «يحتمل أن يكون ما ذكره ﷺ من سب ودعاء غير مقصود ولا منوي، لكن مما جرت به عادة العرب في دعم كلامها، وصلة خطابها، وإيراد بعض ألفاظها عند حرجها وتأكيدها وعينها، ليس على نية إجابة ذلك، كقوله: «تربت يمينك» و«عفرى حلقى» ونحوه.[2] وكان من تواضعه وكريم خلقه ﷺ ما رواه أبو رفاعة تميم بن أسيد رضي الله عنه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقلت: يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه، قال: فأقبل عليَ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إليَ فأتى بكرسي حسبت قوامه حديدا، قال: فقعد عليه رسول الله ﷺ، وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها» رواه مسلم[3].

فما أعظم خلق هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وجزاه عنا خير الجزاء بفضله سبحانه وتعالى وكرمه، وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

الفوائد الدعوية:

أولاً: حبه ﷺ لأمته وكمال شفقته عليهم.

ثانيًا: حسن خلق الداعية مع المدعوين.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي أو سبه أو دعا عليه، ص١٠٤٥.

(2) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٨/٧١ - ٧٢، وانظر: فتح الباري ١١/١٧٢.

(3) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة ص٣٣٧.

ثالثاً: وجوب الإيمان باليوم الآخر .

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : حبه ﷺ لأمته وكمال شفقته عليهم .

في قوله ﷺ : «**اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة**» ، ما يدل على حبه لأمته وشفقته عليهم من ذلك الموقف العظيم ، والحرص على ما ينفعهم في آخرتهم من هول يوم القيامة .

وكان عليه الصلاة والسلام يظهر ذلك في مواقف متعددة ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : «رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني»[1]، وقول عيسى : «إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم»[2] فرفع يديه وقال : «اللهم أمتي أمتي» وبكى ، فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم- فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله ، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال -وهو أعلم - فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل : «إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك» رواه مسلم .[3]

---

(1) إبراهيم : ٣٦.

(2) المائدة : ١١٨.

(3) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم ص ١١٢ -١١٣، ط الأفكار الدولية.

قال الحافظ رحمه الله : «في الحديث كمال شفقته ﷺ على أمته»[1] .

ثانيًا : حسن خلق الداعية مع المدعوين .

في قوله ﷺ : «اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة»، ما يدل على كمال خلقه ﷺ مع صحابته، وقد سار على نهجه الخلفاء الراشدون، يقول عمر رضي الله عنه: «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن يعلمكم ، وتواضعوا لمن تعلمون، ولا تكونوا من جبارى العلماء ، فلا يقوم عملكم مع جهلكم» .[2]

فعلى الداعية إلى الله أن يتحلى بحسن الخلق الذي يجعل المدعوين يقبلون منه اقتداء بنبيّ الأمة ﷺ .

ومن حسن الخلق طلب الحل من المدعوين في هذه الحياة الدنيا قبل الموت ، فإن الداعية قد يحصل منه الزلل على المدعوين ، فيسارع إلى طلب العفو والصفح منهم،وليس هذا منقصة في حقه، بل هو من تمام الخلق الحسن الذي تمثل في شخصية رسول الله ﷺ الذي هو الأسوة الحسنة للمؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[3] .

---

(1) فتح الباري ١٧٢/١١ ، وانظر : إرشاد الساري ٣٦١/١٣ ، وعون الباري ٦٤٥/٥.

(2) الآداب الشرعية، لابن مفلح ٤٩/٢.

(3) الأحزاب : ٢١.

ثالثاً : وجوب الإيمان باليوم الآخر .

في قوله ﷺ : فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة ، ما يدل على وجوب الإيمان باليوم الآخر ، وهو ركن من أركان الإيمان كما قال ﷺ في حديث عمر بن الخطاب الطويل : « ... الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره »[1].

إن غرس الإيمان باليوم الآخر في نفوس المدعوين من أهم الأمور التي ترغب المدعوين في طاعة الله ، والإكثار من الأعمال الصالحات ، وكان من هديه ﷺ بيان أحوال يوم القيامة ترغيباً وترهيباً ، كما في قوله ﷺ : «يدخل زمرة من أمتي الجنة يضيء وجوههم إضاءة القمر »[2]

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله إيلاء هذا الأمر عنايتهم ، وغرس الإيمان باليوم الآخر في نفوس المدعوين .

---

[1] صحيح مسلم. كتاب الايمان. باب بيان الايمان والاسلام والاحسان. ص ٣٦

[2] سبق شرحه في كتاب اللباس . باب البرود والحبر والشملة. ص ٢١٢

باب الدعـاء بكثرة المال والولد مع البركة [1]

١٥٥-١٥٦- عن أم سليم [2] أنها قالت : يا رسول الله أنس خادمك، ادع الله له. قال: «اللهم أكثرْ مالَه وولدَه وباركْ له فيما أعطيتَه» [3].

رقم الحديث: [٦٣٧٨ ، ٦٣٧٩].

الموضوع الدعوي

يتبين لنا في حديث الباب اهتمام الإسلام باقتصاد المجتمع المسلم ، وذلك من دعاء رسول الله ﷺ لخادمه أنس بكثرة المال، ولا شك أن في هذا خيراً كثيرا، خصوصاً إذا بارك الله في هذا المال . كما يتضح من الحديث اهتمام الإسلام بكثرة الولد، وذلك بدعاء الرسول ﷺ لأنس بكثرة الولد ، وفي هذا رد لدعاة تحديد النسل الذين يهددون المجتمعات الإسلامية ويخوفونهم بالفقر نتيجة كثرة النسل، وهي دعوة باطلة يراد بها إضعاف المسلمين اقتصاديا وعسكريا .

ولكثرة المال أهمية كبيرة لا تقل عن أهمية كثرة الولد ،لذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يقدم المال على النفس في الجهاد لأهميته في دعم مسيرة الجهاد وكسر شوكة

---

(١) قال العيني : أي هذا باب في بيان الدعاء بكثرة الولد مع البركة . انظر : عمدة القاري ١٥/ ٤٦٩.

(٢) سبقت ترجمتها رضي الله عنها.

(٣) مطابقته للترجمة ظاهرة، والحديث طرفه بنفس الكتاب رقم ٦٣٨١، وأخرجه مسلم في صحيحه برواية أنس ،كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه ص ١٠٠٦.

الأعداء ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] وغيرها في القرآن كثير ، فما أعظم هذا الدين الذي يسعى إلى رفعة اقتصاد المسلمين وكثرة نسلهم ، خدمة لدين الله ونشراً لدعوة التوحيد .

الفوائد الدعوية:

أولا : الدعاء بكثرة المال والولد وأن ذلك لا ينافي الخير الأخروي .

ثانيا : بيان معجزة النبي صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : حسن خلق الداعية والعطف على المدعوين .

رابعا : اهتمام المرأة المسلمة بسعادة أولادها .

خامسا : حسن التلطف في السؤال .

سادسا : حث المدعوين على خدمة العلماء والدعاة إلى الله .

سابعا : تحقيق طلب المدعوين أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله .

ثامنا : الدعاء للمدعوين أسلوب دعوي له تأثيره على المدعوين .

---

(١) الصف : ١٠ ـ ١١.

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولا : الدعاء بكثرة المال والولد وأن ذلك لا ينافي الخير الأخروي .

إن المال نعمة عظيمة يسوقها الله لمن يشاء من عباده، وله أهميته الكبيرة في هذه الحياة، إذا أُحسن استغلاله وصرفه في وجوه الخير، وعلى الدعاة الحرص عليه والبحث عنه على الوجه المشروع، فالمال يحقق للداعية أهدافا كثيرة في سبيل نشر الدعوة إلى الله، وفي دعائه ﷺ لأنس بكثرة المال والولد مع البركة. ما يبين فضل توفر المال في حياة المسلم، وأن ذلك لا ينافي الخير الأخروي .

قال الحافظ مبينا بعض فوائد الحديث: «... والدعاء بكثرة المال والولد وأن ذلك لا ينافي الخير الأخروي»[1]

بل أثنى الله على المؤمنين الذين يدعون بطلب الذرية وبركتها فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾[2].

وقد كان الصحابة يحرصون على إحضار أطفالهم له عليه الصلاة والسلام ليدعو لهم عليه الصلاة والسلام .

ثانيا : بيان معجزة النبي صلى الله عليه وسلم .

إن من المعجزات التي تحققت لأنس رضي الله عنه في حياته بسبب دعوة

---

(1) فتح الباري ٤/٢٢٩.

(2) الفرقان : ٧٤ ـ ٧٥.

النبي ﷺ كثرة الولد وكثرة المال مع البركة فيه حتى إن بستانا له رضي الله عنه صار يثمر مرتين في السنة دون غيره، وكان فيه ريحان يجني منه ريح المسك. قال الحافظ رحمه الله تعالى:

«وفي هذا من المعجزات ما لا يخفى؛ لما في إجابة دعوته من الأمر النادر، وهو حصول كثرة المال مع كثرة الولد، وكون بستان المدعو له يثمر مرتين دون غيره»[1].

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين معجزاته عليه الصلاة والسلام، وأن ذلك من خصائصه ﷺ .

ثالثا : حسن خلق الداعية والعطف على المدعوين .

في استجابته ﷺ لطلب أم أنس خادم رسول الله ﷺ بدعائه لابنها بقوله ﷺ : «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته» ، ما يدل على حسن خلقه عليه الصلاة والسلام مع المدعوين وعطفه عليهم ، حيث لم يقل: اللهم أكثر ماله فقط، أو أكثر ولده فقط، فكل واحدة من هذه يفرح بها العبد في حياته، فكيف إذا حصلت البركة أيضاً!.

قال القسطلاني : «هذا أعم من المال والولد ، فيتناول العلم والدين» . قال : «وفيه استحباب أنه إذا دعا بشيء يتعلق بالدنيا أن يضم إلى دعائه طلب البركة فيه والصيانة»[2]

---

(١) فتح الباري ٤/٢٢٩.

(٢) إرشاد الساري ١٣/٢٧٦، ٢٧٧.

إنه نبي الرحمة وصفه الله بقوله : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)

وما أعظم أن يكون الدعاة إلى الله قدوة في حسن الخلق مع المدعوين والعطف عليهم اقتداء بسيد المرسلين الذي قال الله عنه :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢).

رابعا : اهتمام المرأة المسلمة بسعادة أولادها .

في طلب أم أنس من رسول الله ﷺ الدعاء لأنس ما يدل على اهتمام الصحابيات رضوان الله عليهن بطلب الخير لأولادهن ، حيث انتهزت أم سليم فرصة خدمة أنس لرسول الله ﷺ فتقول له عليه الصلاة والسلام : «يا رسول الله أنس خادمك ادع الله له....» فيدعو ويستجيب الله دعوة رسوله ﷺ وتحصل البركة لهذا الغلام في المال والولد. قال أنس رضي الله عنه عن نفسه : «إن ولدي وولد ولدي ليتعادون في نحو المائة اليوم»(٣).

لذا ينبغي على المرأة المسلمة الاهتمام بأولادها ، وبذل الأسباب المعينة على

---

(١) التوبة : ١٢٨.

(٢) الأحزاب : ٢١ .

(٣) انظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم ٧/٥١٥.

سعادتهم في الدين والدنيا ، ومن أعظم الأسباب الدعاء لهم بالصلاح والبركة في المال والولد .

خامسا : حسن التلطف في السؤال .

إن على المدعو أن يتأدب مع العالم والداعية في السؤال، فهذه أم سليم تتلطف بسؤالها للنبي ﷺ : أنس خادمك ادع الله له ... الخ ، لم تذكر أكثر من ذلك تأدبًا مع رسول الله ﷺ . فحسن التلطف في السؤال له أثره في قبول الإجابة، والأنفس مجبولة على حبِّ من أحسن إليها حتى ولو كان بطيب الكلام وحسن السؤال ، فطالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الشيخ وتوقيره .

سادسا : حث المدعوين على خدمة العلماء والدعاة إلى الله .

إن توقير العلماء له أهميته في المجتمع المسلم؛ لأنهم هم مصابيح الدجى ،وهم الذين يصلحون ما أفسده الناس، ويبينون الحق من الضلال ، «وقد تواتر تعظيم الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ ، وحرص الصحابة على ذلك فيما بينهم من تعظيم وتوقير من أعطاه الله علما .

قال الشعبي : «أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت وقال :هكذا يصنع بالعلماء».[1]

---

[1] الآداب الشرعية لابن مفلح ١/٢٤٤ ، ٢٤٥ ط الرسالة .

وهذه أم سليم تضرب أروع المثل في تسخير ابنها لخدمة رسول الله ﷺ . لذا ينبغي على الدعاة حث المدعوين على خدمة العلماء والدعاة إلى الله بما يعينهم على نشر دين الله، فإن ذلك من باب التعاون على البر والتقوى ، وقد أمر الله بذلك فقال تعالى : ﴿ .....وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]

سابعا : تحقيق طلب المدعوين أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله .

إن تحقيق طلب المدعو له أثره في النفوس، وفي هذا الحديث يظهر لنا حرص رسول الله ﷺ على تحقيق طلب المدعوين حيث دعا لأنس رضي الله عنه تحقيقًا لرغبة أمه رضي الله عنها.

وكثيراً ما كان يحقق عليه الصلاة والسلام طلب أصحابه، من ذلك ما أخرجه الإمام البخاري عن سهل بن سعد قال : جاءت امرأة ببردة قال سهل : هل تدري ما البردة ؟ قال : نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها قالت : يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها ، فأخذها رسول الله ﷺ محتاجا إليها، فخرج رسول الله ﷺ إلينا وأنها لازاره فجسها رجل من القوم فقال : يا رسول الله أكسنيها ؟ قال : نعم فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع فطواها ، ثم أرسل بها إليه. فقال له القوم : ما أحسنت سألتها إياه ، وقد عرفت أنه لا يرد سائلاً . فقال الرجل : والله ما سألتها إلا لتكون

[1] المائدة : ٢.

كفني يوم أموت ، قال سهل : فكانت كفنه».[1]

فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على تحقيق ما يطلب منهم بقدر استطاعتهم، فإن في هذا الأسلوب نشراً لدعوة الإسلام ، وتأثيراً على المدعوين في قبول الدعوة .

ثامنا : الدعاء للمدعوين أسلوب دعوي له تأثيره على المدعوين .

إن الدعاء للمدعوين أسلوب عظيم له تأثيره فيهم ، وخصوصاً من يعمل معروفا ويقدم خدمة للإسلام والمسلمين .

وقد دعا رسول الله ﷺ لأنس استجابة لطلب أم سليم بالدعاء لابنها، وهذا أسلوب يستعمله رسول الله ﷺ مع أصحابه، فعن أنس رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ** فاغفر للأنصار والمهاجرة ،

فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بايعوا محمداً ** على الجهاد ما بقينا أبدا[2]

فما أجمل أن يستعمل الدعاة هذا الأسلوب مع المدعوين خصوصاً في المواقف الشاقة التي قد تواجه المدعوين في وقت من الأوقات .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة ص ١١٣٦.

(2) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق، ص٧٧٩، وصحيح مسلم مختصراً كتاب الجهاد والسير، ص ٧٥١.

باب قول النبي ﷺ : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت [1]

١٥٧- عن أبي موسى رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء : «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كلّه، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»[2] .

رقم الحديث : [٦٣٩٨].

غريب الحديث :

خطيئتي : الخطأ والخطاءُ ضد الصواب، وأخطأ الطريق عدل عنه، والخطيئةُ الذنب على عمد.[3]

جهلي : الجهل نقيض العلم .[4]

---

(١) أي : هذا باب في ذكر قوله ﷺ : اللهم أي يا الله اغفر لي ما قدمت وما أخرت انظر عمدة القاري ١٥/٤٨١.

(٢) ومطابقة الحديث للترجمة ظاهرة . عمدة القاري ١٥/٤٨١.
وطرف الحديث في الصحيح بنفس الباب برقم (٦٣٩٩) .
وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ، ورقمه (٢٧١٩).

(٣) لسان العرب ، ١/٦٧، وانظر القاموس المحيط ، ص٣٨.

(٤) انظر القاموس المحيط ص٨٨٢.

إســـرافي : السرف والإسراف مجاوزة القصد ، والإسراف في النفقة التبذير.[1]

أنت المقدم : المقدم لمن تشاء من خلقك بتوفيقك إلى رحمتك .

وأنت المؤخر: والمؤخر لمن تشاء له ذلك[2].

الموضوع الدعوي

في حديث الباب يتبين لنا حرص الرسول ﷺ على الاستغفار من الذنوب مع أن الله سبحانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيقول عليه الصلاة والسلام : «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله .... » الحديث.

وقد أشكل على البعض قوله ﷺ هذا الدعاء ، مع أن الله تعالى قد قال في محكم تنزيله مخاطباً إياه ﷺ : ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا** ﴾[3]. أجيب عن ذلك بأجوبة منها ما قاله الطبري : «إنه ﷺ امتثل ما أمره الله به من تسبيحه وسؤاله المغفرة إذا جاء نصر الله والفتح»[4] .

وقال المحاسبي : «الملائكة والأنبياء أشد لله خوفاً ممن دونهم ، وخوفهم خوف إجلال وإعظام ، واستغفارهم من التقصير لا من الذنب المحقق» .[5]

---

(1) لسان العرب ، ١٤٨/٩.

(2) إرشاد الساري ٣٩٣/١٣.

(3) الفتح : ٢.

(4) فتح الباري ١٩٨/١١.

(5) انظر : عون الباري ٦٥/٥.

وقال القاضي عياض : «الحديث اعتراف منه عليه الصلاة والسلام وتواضعاً لربه، واستكانة وعبادة بالدعاء ، وشكراً لربه ، وقد علم أنه مغفور له ما تقدم وما تأخر».[1]

قلت : ولعل هذا الدعاء - كما قاله القاضي عياض - تواضع منه ﷺ واستكانة وعبادة ، كما بين ذلك ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقوله : «أفلا أكون عبدا شكورا» .[2]

الفوائد الدعوية :

أولا : أن يكون الدعاة قدوة في الاستغفار من الذنوب .

ثانيا : أن يحذر الدعاة إلى الله الغرور في أعمالهم .

ثالثا : الحرص على نشر العلم الشرعي .

رابعا : بيان عظم قدرة الله سبحانه تعالى .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا : أن يكون الدعاة قدوة في الاستغفار من الذنوب .

إن الداعية هو القدوة الحسنة للمجتمع الدعوي ، وبأخذه بسنة الرسول ﷺ يقتدي به الآخرون ، وفي قوله عليه الصلاة والسلام : «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي الخ ، ما يبين أهمية تحلي الداعية بهذا الأمر مهما بلغ من مكانة علمية وصلاح وتقوى،

---

(1) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/٢١٤ - ٢١٥ ط دار الوفاء .

(2) سبق تخريجه . انظر ص ٨٥٩.

فقد كان من هديه عليه الصلاة والسلام الاستغفار في اليوم أكثر من سبعين مرة، رواه البخاري [1] وعن الأغر المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإني أتوب في اليوم مائة مرة» رواه مسلم [2].

وقد نادى الله عباده بالاستغفار والتوبة إليه فقال تعالى : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ... ﴾[3].

فعلى الدعاة إلى الله الإكثار من الاستغفار ، قال الإمام ابن تيمية مبيناً أهميةَ هذا الأمر في حياة المسلم : «فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، بل هو مضطر إليه دائما في الأقوال والأحوال في الغوائب والمشاهد، لما فيه من المصالح ، وجلب الخيرات، ورفع المضرات ، وطلب الزيادة في القوة والأعمال القلبية والبدنية اليقينية الإيمانية» [4].

ثانيا : أن يحذر الدعاة إلى الله الغرور في أعمالهم .

في قوله ﷺ : «اللهم اغفر لي خطيئتي ... الحديث»، ما يبين لنا ما كان ﷺ عليه من الدوام في طلب المغفرة من الله تعالى، وهذا شكر منه لربه ، وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

---

(1) سبق تخريجه ص ٥٣٠ .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه ص ١٠٨٣.

(3) هود : ٣.

(4) فتاوى ابن تيمية ٦٩٦/١١.

فإذا كان إمام الدعاة، وسيد المرسلين يطلب المغرفة من الله ويتضرع إليه، فالدعاة إلى الله خير من يقتدي به في هذا الأمر، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1]. ويحذرون من الغرور بكثرة العمل من نشر الدعوة إلى الله، والعبادة، فإن المسلم على خطر في هذه الحياة إن لم يثبته الله جل وعلا ويتغمده برحمته تعالى.

ثالثا :الحرص على نشر العلم الشرعي:

في قول أبي موسى : إنه كان ﷺ يدعو بهذا الدعاء : اللهم اغفر لي خطيئتي....» الحديث .ما يبين حرص الصحابة رضوان الله عليهم على تبليغ العلم الشرعي ونشره بين الناس،ولا شك أن الحرص على تعليم الناس الخير له أجره العظيم عند الله، وهو محل غبطة يغبط عليها المسلم .فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا في اثنين : رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[2] متفق عليه .

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو أمامة الباهلي : «إن الله وملائكته، وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير»[3] .

---

[1] الأحزاب : ٢١.

[2] سبق تخريجه، ص ٩٦٤ .

[3] سنن الترمذي، كتاب العلم ٧/٣٢٥، وسنن ابي داود ١/٣٤١ .

رابعا : بيان عظم قدرة الله سبحانه وتعالى .

إن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير ، يعلم خفايا العباد ، ولا تخفى عليه خافية كما قال تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٥٩ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [(١)] وفي قوله عليه الصلاة والسلام : «أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير» ما يبين ذلك ، فحري بالمسلم داعيةً كان أو مدعواً أن يستحضر عظمة الله وقدرته ، وأنه سبحانه يمهل ولا يهمل ، فيبادر بطلب المغفرة من الذنب ؛ لئلا يحلَّ به غضب الله وبطشه الذي لا يرد عن القوم الظالمين .

---

(١) الأنعام : ٥٩ ـ ٦٠.

باب فضل التسبيح [1]

١٥٨ـ عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : «من قالَ سُبحَانَ الله وبحمده[2] في يوم مَائةَ مرةٍ حُطت خَطاياه وإن كان مثل زبدِ البَحر[3]» .

رقم الحديث : [٦٤٠٥] .

١٥٩ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي ﷺ قال : «كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده».[4]

رقم الحديث : [٦٤٠٦].

---

(١) أي: هذا باب في بيان فضل التسبيح ، وهو قول : سبحان الله . عمدة القاري ٤٨٨/١٥.
قال الحافظ ابن حجر : والتسبيح معناه : تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل ، ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر، ويطلق ويراد به صلاة النافلة .
وسبحان : اسم منصوب على أنه واقع موقع المصدر لفعل محذوف تقديره : سبحت الله سبحاناً ، كسبحت الله تسبيحاً ، ولا يستعمل غالباً إلا مضافاً ، وهو مضاف إلى المفعول ، أي سبحت الله ، ويجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل ، أي نزه الله نفسه ، والمشهور الأول.
وقد جاء غير مضاف في الشعر كقوله : سبحانه ثم سبحاناً أنزّهه ** ....
فتح الباري ٢٠٦/١١ ، وانظر : عمدة القاري٤٨٨/١٥ ـ ٤٨٩.

(٢) وبحمده : أي أحمده ، والواو فيه للحال ، تقديره . سبحت الله متلبساً بحمدي له من أجل توفيقه لي للتسبيح . انظر : عمدة القاري ٤٨٩/١٥.

(٣) زبد البحر : معروف وهو للكناية عن المبالغة في الكثرة . انظر : فتح الباري ٢٠٦/١١ .

(٤) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة . انظر : عمدة القاري ٤٨٩/١٥ .
وطرفا الحديث في صحيح البخاري ، كتاب الأيمان والنذور ، باب إذا قال : « والله لا أتكلم اليوم » حديث رقم (٦٦٨٢) ص ١٢٧٥ ، وفي كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : {ونضع موازين القسط ليوم القيامة} حديث رقم (٧٥٦٣) ص ١٤٤٤ .
وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ص١٠٨٠ .

باب فضل التهليل(۱)

١٦٠- عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «من قال : لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَه لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، كان كَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ» .

رقم الحديث : [٦٤٠٤].

الموضوع الدعوي

إن المسلم في هذه الحياة وهو يؤمن بربه الواحد القهار، ينزه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به من كل نقص ، فهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، لذا يبين عليه الصلاة والسلام في أحاديث الباب فضل التسبيح ، وأنه سبب لمغفرة الذنوب كما قال عليه الصلاة والسلام : «من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كان مثل زبد البحر» ، ولا شك أن هذا خاص بالمؤمنين الذين لا يرتكبون الكبائر . قال ابن بطال رحمه الله تعالى عن بعض العلماء : «إن الفضل الوارد في حديث الباب وما شابهه إنما هو لأهل الفضل في الدين والطهارة من الجرائم العظام ، وليس من أصر على شهواته وانتهك دين الله وحرماته بلاحق بالأفاضل المطهرين في ذلك»(٢) ويشهد له قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن

(١) أي: هذا باب في بيان فضل قول : « لا إله إلا الله » انظر : عمدة القاري ١٥/٤٨٥، وسيأتي مزيد شرح لهذا الحديث في كتاب الرقاق ، باب مايكره من قيل وقال ، ص١١٢٢.

(٢) فتح الباري ، ١١/٢٠٨.

نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾.[1]

وكذلك فإن الله حفظ حقوق الآخرين ، فإن حقوقهم لا يشملها هذا. قال العيني: «حطت خطاياه» أي : من حقوق الله ، لأن حقوق الناس لا تحط إلا باسترضاء الخصوم».[2]

والمراد باليوم في الحديث هو يوم مطلق ، قال الطيبي : والمراد باليوم في قوله ﷺ في يوم «يوم مطلق لم يعلم في أي وقت من أوقاته يقيد بشيء منها ، وقال صاحب المظهر :ظاهر الإطلاق يشعر بأنه يحصل هذا الأجر المذكور لمن قال ذلك مائة مرة، سواء قالها متوالية أو متفرقة في مجالس أو بعضها، أول النهار وبعضها آخر النهار ، لكن الأفضل أن يأتي بها متوالية في أول النهار»[3].

وخص لفظ الرحمن في الحديث إشارة إلى بيان سعة رحمة الله ، حيث يجازي على العمل القليل بالثواب العظيم .[4]

الفوائد الدعوية :

أولاً : حث المدعوين بالمواظبة على التسبيح .

ثانياً : إثبات صفة المحبة لله سبحانه وتعالى .

---

(1) الجاثية : ٢١.

(2) عمدة القاري ٤٨٩/١٥.

(3) المصدر السابق ٤٨٩/١٥.

(4) انظر : صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٨٥/٢٢ ، إرشاد الساري ٤٠٣/١٣.

ثالثاً : إدراج الكلام في الأعمال .

رابعاً : جواز السجع في الدعاء إذا كان من غير كلفة.

خامساً : ضرب الأمثلة للمدعوين أسلوب من أساليب الدعوة .

سادساً : إثبات الميزان عند أهل السنة والجماعة .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : حث المدعوين بالمواظبة على التسبيح .

في قوله ﷺ : «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»، وقوله ﷺ : «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده» ، ما يبين فضل التسبيح وعظم ما يدخره الله للمؤمنين يوم القيامة، وكذلك مغفرة الذنوب لعباده المؤمنين المسبحين قال الحافظ رحمه الله تعالى : «وفي الحديث حث على المواظبة على هذا الذكر وتحريض على ملازمته، لأن جميع التكاليف شاقة على النفس ، وهذا سهل ومع ذلك يثقل في الميزان كما تثقل الأفعال الشاقة، فلا ينبغي التفريط فيه» .[1] وكان من هديه ﷺ بيان فضل التسبيح لأصحابه ، وتربيتهم على المواظبة عليه، فعن جابر رضي اله عنه عن النبي ﷺ قال : «ومن قال : سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في

---

(1) فتح الباري ٢٠٨/١١.

الجنة»[1] رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

وكان ﷺ يعلم أمته أيسر الطرق في التسبيح، روى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نواة أو حصاة تسبح بها، فقال: «ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل؟: سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»[3].

فعلى الدعاة إلى الله أن يحثوا المدعوين على الإكثار من التسبيح لله سبحانه وتعالى والمواظبة عليه؛ لما فيه من الأجر العظيم عند الله جل وعلا، فهو عمل قليل يعقبه أجر عظيم من الرحمن الرحيم.

---

(1) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل سبحان الله ٩/١٤٩ ـ ١٥٠.
وله شاهد في الكتاب نفسه من حديث ابن مسعود في وصف الجنة . وإن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، باب غراس الجنة سبحان الله. ٩/١٤٨ ـ ١٤٩.

(2) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ وتعوذه في دبر كل صلاة ٩/٢١١.
وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة والتسبيح بالحصى ص ٢٣٤، ط دار ابن حزم ودار المسير.

(3) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ص ١٠٨١.

ثانيًا : إثبات صفة المحبة لله سبحانه وتعالى .

في قوله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن .....» الحديث ، ما يدل على أن الله سبحانه يحب بعض الكلام وبعض العمل أكثر من بعض ، وأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفة -أعني صفةَ المحبة - لله تعالى على ما يليق بعظمته دون تأويل أو تحريف » .[1]

فعلى الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى الاهتمام بغرس العقيدة الصحيحة التي بينهاﷺ ، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة ، والبعد عن الطرق المؤدية إلى البدعة المخالفة لشرع الله ، كما قال تعالى لنبيه : ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [2].

ثالثاً : إدراج الكلام في الأعمال .

في قوله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان .. الحديث ما يدل على إدراج الكلام في الأعمال ، وأنها توزن يوم القيامة ، فهاتان الكلمتان يثقل بهما الميزان ، وهذا دليل واضح على أن تكلم العبد بالذكر وبالقرآن عمل له يثاب عليه ، ويوضع في ميزانه ؛ ليعطيه الله أجره عليه وافراً غيرَ منقوص » .[3]

---

(1) انظر : شرح كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري للشيخ عبدالله الغنيمان ٢/٥٩٣ ط دمنهور ، وانظر : العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، شرح معالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ص ٤٣ .

(2) يوسف : ١٠٨.

(3) القول المفيد شرح كتاب التوحيد ٢/٥٩٤ الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

وقد حذر رسول الله ﷺ من زلة اللسان، وأنها سبب لعقاب الله ودخول النار. وتعجب بعض الصحابة من المحاسبة على ما يلفظه اللسان من الكلام، فعن معاذ رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. قال : لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه : تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت» . ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل»، قال : ثم تلا : ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾[1] .....، ثم قال :ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام،وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد. ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟، قلت : بلى يا نبي الله ، فأخذ بلسانه قال : كف عليك هذا . فقلت : يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ! فقال : ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»[2] رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. إذا كان الأمر كذلك، فحري بالمسلمين أن يحرصوا على حفظ ألسنتهم وإشغالها بذكر الله؛ لينالوا الفضل العظيم من رب العالمين.

---

(1) السجدة ١٦.

(2) سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة ٢٨٠/٧ - ٢٨١، مسند الإمام أحمد ٢٣١/٥، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتن ١٣١٤/٢ - ١٣١٥، ط دار الكتب العلمية - بيروت .

رابعاً : جواز السجع في الدعاء إذا كان من غير كلفة.

في قوله ﷺ : «كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن ...» الحديث، ما يدل على جواز السجع في الدعاء إذا كان من غير كلفة . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : في هذا الحديث «جواز السجع في الدعاء إذا وقع بغير كلفة»[1].

خامساً : ضرب الأمثلة للمدعوين أسلوب من أساليب الدعوة .

في قوله ﷺ : «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» ضرب منه ﷺ للمثل ، وتشبيه كثرة الذنوب بزبد البحر، وهذا كناية عن المبالغة في الكثرة. وهو أسلوب يستعمله عليه الصلاة والسلام مع أصحابه ترغيباً لهم في فعل الخير ، والبعد عن الشر.

سادساً : إثبات الميزان عند أهل السنة والجماعة .

إن من عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات الميزان يوم القيامة ، قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى : «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة ، والعرض والحساب،

---

[1] فتح الباري ٢٠٨/١١، وانظر التنقيح في حديث التسبيح للحافظ محمد بن أبي بكر عبدالله بن محمد بن أحمد الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي ، ص١٣٢، تحقيق وتعليق محمد بن ناصر العجمي، ط دار البشائر الإسلامية.

وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب ، والصراط والميزان»[1] . وقد أثبت الله ذلك في كتابه فقال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[2] . فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر وأهميته للمدعوين، وترسيخ عقيدة أهل السنة والجماعة في أذهانهم كما كان ﷺ يفعل مع أصحابه .

---

(1) العقيدة الطحاوية ص ٤٠٩.

(2) الأنبياء : ٤٧.

باب فضل ذكر الله عز وجل [1]

١٦١- عن أبي موسى [2] رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «مثل الذي يذكر ربه والذي لايذكر ربه مثل الحي والميت» . [3]

رقم الحديث : [٦٤٠٧].

١٦٢- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : «إنَّ للَّه مَلائكَةً يَطُوفُون في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُون أهلَ الذِّكْرِ ، فإذا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنادَوا : هَلُمُّوا إلى حَاجَتِكُمْ . قال : فَيَحُفُّونَهُمْ بأجْنِحَتِهِمْ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قال : فيَسْألُهُمْ رَبُّهُم عز وجل، وَهُوَ أعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا : يَقُولُون : يُسَبِّحُونَك

---

(١) أي : هذا باب في بيان ذكر الله تعالى ، والمراد بالذكر هنا : الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب فيها والإكثار منها . وقد يطلق ذكر الله ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه الله تعالى أو ندب إليه ، كقراءة القرآن ، وقراءة الحديث ، ومدارسة العلم ، والتنفل بالصلاة . عمدة القاري ٤٩٠/١٥.

وقال الحافظ ابن حجر : المراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها ، مثل الباقيات الصالحات ، وهي : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وما يلحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحوذلك ، والدعاء لخيري الدنيا والآخرة . فتح الباري ٢٠٩/١١.

(٢) سبق ترجمته .

(٣) مطابقته للترجمة من حيث إن الذي يذكر الله تعالى يحيى بسبب فضيلة الذكر. انظر : عمدة القاري ٤٩١/١٥.

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ : « مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت » كتاب صلاة المسافر وقصرها ، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد ص ٣٠٧.

ويُكَبِّرُونَكَ ويَحْمَدُونَكَ ويُمَجِّدُونَك، قال: فيقولُ: هلْ رأوني ؟، قالَ: فيَقُولُون: لا واللهِ ما رأوكَ. قالَ: فيقولُ: وكيفَ لوْ رأوني ؟ قالَ: يقُولُون: لَوْ رأوْكَ كانُوا أشدَ لك عبادةً وأشد لكَ تمْجيداً، وأكْثرَ لكَ تسْبيحاً، قالَ: يقول: :فمَا يسْألوني؟ قالَ: يسْألُونَكَ الْجَنَّةَ، قالَ: يقُولُ: وهَلْ رأوْهَا ؟ قالَ: يقُولُون: لا واللهِ يا رَبِّ ما رأوْها. قالَ: ليقُولُ: فكَيْفَ لَوْ أنَّهُمْ رأوْهَا ؟ قالَ: يقُولُون: لَوْ أنَّهُم رأوْهَا كانُوا أشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً، وأشَدَّ لَهَا طَلَباً، وأعْظَمَ فيهَا رغْبَةً، قال: فَمِمَّا يَتعوَّذُون ؟ قالَ: يقُولُون: مِنَ النَّارِ، قالَ: يقُولُ: وَهَلْ رأوْهَا؟ قالَ: يقُولُون: لا واللهِ ما رأوْها. قالَ: فيقُولُ: فكَيْفَ لَوْ رأوْهَا؟ قالَ: يقُولُون: لَوْ رأوْهَا كانُوا أشَدَّ منْهَا فِراراً، وأشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قالَ: فيَقُولُ: فأُشْهِدُكُمْ أنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قالَ: يقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلائكَة: فيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَال: هُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».[1]

رقم الحديث: [٦٤٠٨].

غريب الحديث:

يطوفون: طاف في البلاد طوفاً وتطوافاً وطوف: سار فيها.[2]

---

[1] مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة. عمدة القاري ٤٩٢/١٥ والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل مجالس الذكر ص١٠٨.

[2] لسان العرب، ٢٢٦/٩.

ويمجدونك : المجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي، ومجد يمجد مجداً فهو ماجد، وأمجده ومجده : عظمه وأثنى عليه.[1]

الموضوع الدعوي

في حديثي الباب يبين لنا رسول الله ﷺ فضل ذكر الله عز وجل، وأن ذكر الله سبب للحياة الحقيقية في هذه الدنيا، وأن الذي لا يذكر الله كالميت وإن كان يسير مع الأحياء، نسأل الله السلامة والعافية.

وذكرُ الله سببٌ رئيس لاطمئنان القلوب كما قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2]

وذكر الله له أثره في حياة المسلم في كل وقت، وخصوصا في وقت الضيق، كما أمر الله عباده بذلك فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : «وفي الأمر بالإكثار من ذكر الله تعالى في أضيق الأوقات وهو وقت التحام القتال دليل واضح على أن المسلم ينبغي له الإكثار من ذكر الله على كل حال ولاسيما في وقت الضيق، والمحب الصادق لا ينسى محبوبه عند نزول الشدائد».[4]

---

(1) المصدر السابق، ٣/٣٩٥.

(2) الرعد ٢٨.

(3) الأنفال : ٤٥.

(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد بن الأمين الشنقيطي ٢/٤١٢ ـ ٤١٣،

وفي حديث أبي هريرة ما بين فضل حلق الذكر، وأنها تحفها الملائكة، كما فيه رد على الزنادقة الذين يدعون رؤية الله في الحياة الدنيا .

قال الحافظ رحمه الله : «وفيه بيان كذب من ادعى من الزنادقة أنه يرى الله تعالى جهرا في دارالدنيا ، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة رفعه : «واعلموا أنكم لم تروا ربكم حتى تموتوا».[1]

وفي حديث أبي هريرة أيضا بيان عقيدة أهل السنة والجماعة بأن الجنة والنار موجودتان الآن، قال الطحاوي رحمه الله تعالى: «والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان». وقال أبو العز في شرح العقيدة الطحاوية : «اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبعت نابعة من المعتزلة والقدرية ، وأنكرت ذلك ، وقالت : بل ينشئهما الله يوم القيامة» .[2]

الفوائد الدعوية :

أولاً : بيان فضل مجالس الذكر .

ثانياً : سعة رحمة الله بعباده المؤمنين وفضله عليهم .

ثالثاً : بركة مجالس الذكر .

---

(1) فتح الباري ١١/٢١٣.

(2) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٣.

رابعاً :الترغيب والترهيب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله .

خامساً : التحريض على مجالسة الصالحين .

سادساً :ضرب الأمثلة وسيلة من وسائل الدعوة .

سابعاً : حلقة الذكر وسيلة من وسائل نشر الدعوة إلى الله .

ثامناً :حث المدعوين على ذكر الله في كل حال

تاسعاً : جواز القسم في الأمر المحقق .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : بيان فضل مجالس الذكر .

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه بين لنا رسول الله ﷺ فضل حلق الذكر ، وأن لله ملائكة يطوفون بالطرق فيلتمسون أهل الذكر ، وفي هذا بيان لفضل هذه المجالس . قال الحافظ رحمه الله تعالى : «وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين وفضل الاجتماع على ذلك»[1] ، وقدبين عليه الصلاة والسلام فضل مجالس الذكر ، فعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم

---

(1) فتح الباري ٢١٣/١١.

السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم .[١]

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : خرج معاوية رضي الله عنه على حلقة في المسجد فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ، قال آلله ! ما أجلسكم إلا ذاك، قالوا : ما أجلسنا إلا ذاك ، قال : أما أني لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا مني : وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : «ما أجلسكم ؟» قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا .قال :«آلله ! ما أجلسكم إلا ذاك» قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك قال : «أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة»[٢] .

وقد حذر عليه الصلاة والسلام من المجالس التي لا يذكر فيها الله، من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة».[٣]

فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على ترغيب المدعوين في حضور حلق الذكر التي بين فضلها رسول الله ﷺ ، وعلى المدعوين المسارعة إلى الحضور في هذه الحلق لينالوا الأجر العظيم من رب العالمين .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ص١٠٨٢.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ص١٠٨٣.

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله ص ٧٣٥.

ثانياً : سعة رحمة الله بعباده المؤمنين وفضله عليهم .

في قوله جل وعلا للملائكة :«فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ» ما يبين سعة رحمة الله بعباده المتضرعين إليه في كل وقت وفضله عليهم ، وقد قال تعالى : ﴿ ....وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [(١)] فعلى المؤمنين أن يحسنوا الظن بربهم ، فإن الرغبة فيما عند الله والطلب منه من أسباب الإجابة، قال الحافظ ابن حجر : «إن الرغبة والطلب من عند الله والمبالغة في ذلك من أسباب الحصول»[(٢)].

ثالثاً : بركة مجالس الذكر .

إن من عِظَم بركة مجالس الذكر أن المغفرة تحل بأهل المجلس حتى وإن حضر المسلم المجلس لحاجة ، فإنه يندرج معهم ويشاركهم الأجر ، قال الحافظ رحمه الله تعالى : «فإن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليه إكراما لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر» [(٣)] .

لذا لما قال مَلَكٌ من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال الله سبحانه :هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم» .

---

(١) الأعراف : ١٥٦.

(٢) فتح الباري ٢١٣/١١، وسبق الاشارة إلى مثل هذه الفائدة ص ٩٧٨.

(٣) فتح الباري ٢١٣/١١.

وفي هذه العبارة مبالغة في نفي الشقاء عن جليس الذاكرين فلو قيل لسعد بهم جليسهم لكان ذلك في غاية الفضل ، لكن التصريح بنفي الشقاء أبلغ في حصول المقصود »[1].

وكان عليه الصلاة والسلام يبين لأصحابه بركة حلق الذكر ، وأنها سبب للرحمة من رب العالمين : من ذلك ما رواه أبو واقد الليثي بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه فأقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد فوقفا على رسول الله ﷺ : فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً ، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة : أما أحدهم فآوى إلى الله ، فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيا[2] فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه » متفق عليه[3].

فعلى العلماء والدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين هذه البركة لمجالس الذكر ، وأنها سبب لنزول الرحمة والمغفرة من الله .

رابعاً :الترغيب والترهيب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله .

في قوله ﷺ : «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت»

---

(1) فتح الباري ٢١٣/١١.

(2) أي استحيا من المزاحمة .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الحلق والجلوس في المسجد ص ٤٧٣ صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم ص ٨٩٧.

ترغيب منه عليه الصلاة والسلام لأمته بالإقبال على الذكر الذي هو أساس حياة المسلم واطمئنان قلبه، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[1] وتحذير منه عليه الصلاة والسلام من الإعراض عن ذكر الله؛ لأنه سبب لموت القلوب .

وقوله عليه الصلاة والسلام أيضا : «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر» ترغيب منه عليه الصلاة والسلام على إقامة حلق الذكر التي تحفها الملائكة، وفي قوله ﷺ : «عن الجنة والنار كيف لو رأوها» ترغيب في طلب الجنة والحذر من النار، «وأن الذي عليه الجنة من أنواع الخيرات والنار من أنواع المكروهات فوق ما وصفنا به»[2]. وفي قوله ﷺ : «يَقُولُون : مِنَ النَّارِ ، قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُون : لا وَاللَّهِ مَا رَأَوْهَا . قَالَ : فَيَقُولُ :فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ: يَقُولُون :لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَاراً، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً» ترهيب من النار ، وما يؤدي إلى دخولها من أعمال .

خامساً : التحريض على مجالسة الصالحين .

في قوله سبحانه وتعالى للملائكة : «هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»، ما يدل على فضل مجالسة الصالحين ، وأنهم لا يضرون بل ينفعون ، وقد أمر الله نبيه بصحبة الأخيار فقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ

---

(1) الرعد ٢٨.

(2) فتح الباري ٢١٣/١١ .

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ....﴾[1] قال العلامة السعدي رحمه الله: «يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ وغيره أسوة في الأوامر والنواهي ، وأن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين ... ففيها الأمر بصحبة الأخيار ، ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم وإن كانوا فقراء ، فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى».[2] وجلساء الخير وصفهم عليه الصلاة والسلام كحامل المسك فقال : «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد عنده ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد عنده ريحا خبيثة» متفق عليه [3].

وفي قوله ﷺ : «هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم» بيان لفضل مصاحبة الأخيار ، قال العيني رحمه الله :«إن الصحبة لها تأثير عظيم ، وإن جلساء السعداء سعداء ، والتحريض على صحبة أهل الخير والصلاح»[4].

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين فضل صحبة الصالحين ، وأنهم خير من يعين على طاعة الله ، ويحذروهم من صحبة الأشرار الذين قد يؤدوا بهم إلى المهالك في الدين والدنيا ، ويتبرؤون منهم في الموقف العظيم كما قال تعالى : ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[5].

---

(1) الكهف : ٢٨.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٢٥ .

(3) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب: في العطار وبيع المسك، ص ٣٩٦ .

(4) عمدة القاري ١٥/٤٩٢ ، وانظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/١٨٩.

(5) الزخرف : ٦٧.

سادساً : ضرب الأمثلة وسيلة من وسائل الدعوة .

في قوله ﷺ : «مثل الذي يذكر ربه والذي لم يذكر ربه مثل الحي والميت» ، ما يبين أهمية ضرب الأمثلة للمدعوين ودورها في توجيههم ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يكثر من ضرب الأمثلة لأصحابه ، فمن ذلك ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة ، لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر» متفق عليه.[1]

ووصف عليه الصلاة والسلام القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»[2].

فعلى الدعاة أن يستخدموا هذا الأسلوب المؤثر على المدعوين في نشر الدعوة إلى

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل القرآن على سائر الكلام ص ٩٩٧ ، صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة حافظ القرآن ص ٣١٢.

(2) صحيح البخاري ، كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ص ٤٧١ـ٤٧٢.

الله، أخذا بهدي المصطفى ﷺ في تبليغ ونشر الدعوة إلى الله .

سابعاً : حلق الذكر وسيلة من وسائل نشر الدعوة إلى الله .

في قوله ﷺ : «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم .....» الحديث ، ما يبين أهمية حلق الذكر في المجتمع الدعوي، وأنها وسيلة من وسائل نشر الدعوة إلى الله .

فما أجمل أن يحرص الدعاة إلى الله على إحياء حلق الذكر في كل وقت وفي كل مكان، فإنها وسيلة مؤثرة على المدعوين ، وقد كان صحابة رسول الله ﷺ يحرصون على ذلك ، ويقول بعضهم لبعض : «اجلس بنا نؤمن ساعة» .[1]

ثامناً :حث المدعوين على ذكر الله في كل حال

في قوله ﷺ : «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» ، ما

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي ﷺ : «بني الإسلام عل خمس»، ص٢٥، وقال العجلوني : «رواه أحمد بإسناد حسن، قال : كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : « تعال نؤمن ساعة » فقاله ذات يوم لرجل فغضب الرجل، فجاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة، فقال النبي ﷺ : يرحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتنابها الملائكة » . انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني ١/ ٥٠، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت . وانظر كذلك : تغليق التعليق على صحيح البخاري للحافظ ابن حجر، تحقيق د. سعيد القرضي ٢/ ٢٠، ط المكتب الإسلامي .

يدل على أهمية الذكر في حياة المسلم ، وأنه هو الحياة الحقيقية ، ومن غفل عن ذكر فهو كالميت ؛ لذا وصف الله عباده المؤمنين بأنهم يذكرون الله في كل حال فقال تعالى : **﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾**[1].

وقال تعالى : **﴿ .....وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾**[2] ورغّب عليه الصلاة والسلام أصحابه ببذل الأسباب المعينة على الذكر ومنها الدعاء ، فعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال : «يا معاذ، والله إني لأحبك فقال : أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» رواه أبو داود[3] . ورغب أصحابه في الذكر وقال عليه الصلاة والسلام : «سبق المفردون ، قالوا : ما المفردون يا رسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» رواه مسلم[4]، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة» ؟ فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ، أو يحط عنه ألف خطيئة»[5] رواه مسلم .

---

(1) آل عمران :١٩١.

(2) الأحزاب : ٣٥.

(3) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار ص ٢٣٧ ، وأخرجه النسائي بنحوه ، كتاب السهو ، ٦١/٣ ، ط دار المعرفة - بيروت .

(4) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ص١٠٨٢.

(5) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب الحث على ذكر الله ص ٧٥.

فعلى الدعاة إلى الله أن يحثوا المدعوين على ملازمة الذكر ؛ ليسعدوا في الدنيا والآخرة .

تاسعاً : جواز القسم في الأمر المحقق .

في قول الله جل وعلا للملائكة : «هل رأوني» وإجابة الملائكة : لا والله ما رأوك وعن الجنة هل رأوها ، فتقول الملائكة : لا والله يا رب ما رأوها ، وعن النار يقول الله : وهل رأوها ؟ . فتقول الملائكة : لا والله يا رب ما رأوها» ما يبين جواز القسم في الأمر المحقق ، قال الحافظ رحمه الله تعالى : «وفيه جواز القسم في الأمر المحقق تأكيداً له وتنويهاً به»[1]

---

[1] فتح الباري ٢١٣/١١ .

الفصل السادس

كتاب الرقاق

تمهيد :

إن الاهتمام باحاديث الرقائق [١] أمر مهم في حياة الدعاة والمدعوين، ولقد كان عليه الصلاة والسلام أرق قلباً وأشد خشية لله، وكان يستعيذ من القلب القاسي فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع»[٢].

وكان من هديه ﷺ ترقيق قلوب أصحابه حيث يذكّرهم بالجنة والنار، عن حنظلة رضي الله عنه قال [٣]: لقيني أبوبكر فقال: كيف أنت يا حنظلة ! قال قلت : نافق حنظلة، قال سبحان الله ما تقول ! قال قلت : نكون عند رسول الله ، يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً . قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت : نافق حنظلة يارسول الله. فقال رسول الله ﷺ : «وما ذاك؟» قلت: يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً. فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعةً وساعةً ثلاث مرات».

---

(١) الرقاق : الرقاق والرقائق جمع رقيقة، وسميت هذه الأحاديث بذلك لأن كلاً منها يحدث في القلب رقة. الفتح ، ٢٢٩/١١.
وقال ابن منظور: المراد بالرقة ضد القسوة والشدة ، لسان العرب ، ١٢٢/١٠ ، ط دار صادر.
والرقة الرحمة ورققت له أرق : رحمته . ورق وجهه : استحيا. المصدر السابق.
وانظر تهذيب اللغة للأزهري ، ج٨، ص٢٨٧، ط الدار العربية المصرية للتأليف والترجمة.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل، ص ١٠٩٠ .

(٣) صحيح الإمام مسلم كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، ص ١١٠٠ .

وسار على هديه صحابته ﷺ ، فهذا حذيفة رضي الله عنه يقول للصحابة رضي الله عنهم: «أجلس بنا نؤمن ساعة»[1]

ومن اهتمامه عليه الصلاة والسلام بما يرقق القلوب يتبين عظم هذا الأمر في حياة المسلم داعية كان أو مدعواً؛ لأنه يجنب المسلم الغرور والحسد، ولا شك أن الداعية إلى الله هو أول من يحرص على ترقيق قلبه لأنه قدوة للآخرين في عمله، ولأن من صفات الداعية المسلم رقة القلب، ورقة القلب تخفف على الداعية ما قد يعترضه في طريق دعوته من أنواع الابتلاء والامتحان بتوفيق الله، وهو ما سنجده في أبواب هذا الكتاب بمشيئة الله تعالى مثل باب الدعاء عند الكرب .

والأمور التي تلين قلب المسلم وترققه كثيرة من أهمها ما يلي :

١- القرآن العظيم فهو أعظم ما يرقق القلوب، كيف لا وهو كتاب لو أنزل على جبل لتصدع من خشية الله كما قال تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية :«أي فإذا كان الجبل غليظاً في قساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه»[3].

---

(١) أخرجه البخاري معلقا، كتاب الإيمان، باب الإيمان، ص ٢٥ .

(٢) الحشر : ٢١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٦٦/٤، ط دار المعرفة.

وقد بين الله سبحانه وتعالى أثر القرآن على قلوب المؤمنين فقال تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى- : «هذا مدح من الله عز وجل لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم ... تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ... هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار؛ لما يفهمون من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه:

أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات الغينات.

الثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيًا تأدباً وخشيةً ورجاءً ومحبةً وفهمًا وعلماً.

الثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله، لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك، ولهذا فازوا

---

(1) الزمر: ٢٣.

بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة...»[1]

وتدبر المسلم لكتاب الله يعينه على معرفة الله حق المعرفة وعلى معرفة صفاته التي وصف بها نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2] فيقبل على الطاعة ويحذر مخالفته.

٢- ذكر الجنة والنار كما ذكرنا آنفاً هديه ﷺ في ذلك مع أصحابه.

٣- ذكر الموت وما بعده من عذاب القبر ونعيمه.

٤- التفكر في أهوال يوم القيامة من نفخ بالصور والعبور على الصراط وغيرها مما يشيب من هوله الولدان.

٥- زيارة القبور والتي حث عليها عليه الصلاة والسلام كما قال ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها».[3] فمن زار القبور رق قلبه وتذكر مصيره المحتوم إن كان ممن وفق الله إلى العبرة بهذه الزيارة.

٦- عدم الغرور بالدنيا وزخارفها ومعرفة حقيقتها وتقلبها بأهلها، فكم من غني افتقر، وكم من عزيز ذل، وكم من صحيح معافى هجم عليه المرض.

٧- التفكر في آيات الله الكونية ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[4]

---

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، ٥٦/٤، ط دار المعرفة.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ربه في زيارة قبر أمه، ص ٣٧٧.

(٤) فصلت: ٥٣.

٨- مجالسة الصالحين من الأمور التي تعين على ترقيق قلب المسلم.[١]

٩- الدعاء والتضرع إلى الله كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾[٢]، وقد كان عليه الصلاة والسلام يتخوف من قسوة القلب ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع»[٣].

١٠- قراءة كتب الرقاق وقراءة سير السلف الصالح حيث تعلو همة المسلم إلى الوصول إلى ما وصلوا إليه من فعل الخيرات واجتناب المنكرات، وخدمة الإسلام والمسلمين في أنحاء المعمورة، وقد اهتم علماء الحديث بهذا الجانب، فما من كتاب من كتب الحديث إلا وتجد فيه كتاباً أو أبواباً عن الزهد والرقاق، وفي مقدمة هؤلاء الإمام البخاري رحمه الله، حيث عقد في صحيحه كتاب الرقاق كما ألف بعض العلماء كتباً مستقلة تتحدث عن ذلك كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى حيث ألف كتاب الزهد، والشيخ عبدالله بن المبارك رحمه الله حيث ألف كتاب الزهد والرقائق[٤]. وغيرهم من علماء الإسلام. وإن المجتمع الدعوي خاصة في هذا الزمن بحاجة ماسة إلى العناية بهذا الموضوع؛ لما فيه من الماديات التي طغت على حياة المسلمين وأشغلتهم عن ذكر الله، وكانت سبباً في الغفلة عن طاعة الله وطول الأمل في هذه الحياة، ومن

---

(١) انظر باب فضل الذكر من هذا الكتاب.

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) سبق تخريجه، ص ١٠٣٢.

(٤) نشرته حديثاً دار المعراج الدولية للنشر، تحقيق وتعليق أحمد فريد.

المؤسف أن بعض الدعاة إلى الله تساهلوا في هذا الأمر ولم يولوه عنايتهم لأسباب منها :

أ- ظن البعض أن مثل هذا الموضوع من شأن المدعوين، وأن الداعية ليس بحاجة إلى ذلك لما هو عليه من الصلاح والتقى.

ب- ظن البعض أن هذا الموضوع إنما هو من شأن الصوفية ومن نحا نحوهم.

جـ- يرى بعض الدعاة أن أسلوب الوعظ غير مؤثر وأنه أسلوب غير مهم في حياة المدعوين .

ولا شك أن هذا التقصير من بعض الدعاة في ترقيق القلوب خلل في المنهج الدعوي، الذي ينصح بالتوازن والاعتدال فيه فلا إفراط ولا تفريط.

ومن يقرأ سيرة رسول الله ﷺ الذي هو قدوة للدعاة في هذه الحياة كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[1].

والذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يرى حرصه ﷺ الشديد على سماع القرآن من غيره، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ : «اقرأ عليَّ القرآن» فقلت : يارسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟! قال : «إني أحب أن أسمعه من غيري» . فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ

---

(1) الاحزاب : ٢١.

﴿بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[1]، قال : «حسبك الآن فالتفت فإذا عيناه تذرفان»[2]

فعلى دعاة الإسلام أن ينهلوا من هدي رسول الله ﷺ الذي هو خير هدي، فقد أمره ربه ببيان ذلك لأمته فقال : ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3].

---

(1) النساء : ٤١.

(2) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، ص٨٧٠، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن، ص٣١٢، ط بيت الأفكار الدولية.

(3) يوسف : ١٠٨.

كتـــاب الرقـــــاق

بـــاب مـا جــاء فـي الصحــة والفــراغ ولاعيش إلاعيش الآخــرة [١]

١٦٣- عن ابن عبـاس [٢] رضي الله عنهـمـا قـال : قـــال رسـول اللـه ﷺ : « نِعْمَتَـان مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصِّحَةُ والفَرَاغُ » [٣] .

رقم الحديث : [٦٤١٢].

غريب الحديث :

مغبون : الغبن في البيع والشراء : الوكس ،يقال : غَبَنَه يغْبِنُه غَبْناً هذا الأكثر أي خَدَعَه، وقد غُبِنَ فهو مَغْبُونٌ [٤] . والغَبْنُ بفتح العين المعجمة ، وسكون الموحدة : النقص في البيع [٥].

---

(١) أي: هذا باب في بيان ما جاء في الصحة والفراغ ، ولا عيش إلا عيش الآخرة انظر: عمدة القاري ٤٩٦/١٥

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) مطابقته للجزء الأول من الترجمة ظاهرة . انظر : عمدة القاري ٤٩٦/١٥

(٤) لسان العرب [غبن] ٣١٠/١٣ ، طبعة دار صادر .

(٥) إرشاد الساري ٤١٣/١٣ ، وانظر : صحيح البخاري بشرح الكرماني ١٩١/٢٢

الموضوع الدعوي

يهتم الإسلام بحياة المسلمين عامةً وبأوقاتهم خاصة، ومن جملة ما يحرص عليه المسلمون الاهتمام بحفظ الوقت، واستغلال الصحة فيما يعود بالخير الكثير على الفرد والمجتمع ، وفي حديث الباب يبين لنا رسول الله ﷺ هاتين النعمتين اللتين لايمكن الاستفادة من الوقت بدونهما، فلو وجد الوقت ولم توجد الصحة لم يمكن الاستفادة من الوقت ، وكذا لو وجدت الصحة وفقد الفراغ لم يمكن الاستفادة من الوقت كما ينبغي .

قال ابن الجوزي -رحمه الله تعالى- :«قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا وغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ، ومن استعمله في معصية الله فهو المغبون؛ لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم كما قيل :

يسرّ الفتى طول السلامة والبقا ** فكيف ترى طول السلامة يفعل

يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ** ينوء إذا رام القيام ويحمل»[1]

ولا شك أن الصحة والفراغ نعمتان عظيمتان من الله -سبحانه وتعالى- يمن الله بهما على العبد، ومن شكر الله عليهما استغلالهما في طاعة الله ، فإن الأجل قصير، والأمراض قد تفاجئ الإنسان في غفلة. فما أجمل أن يتربى مجتمع الدعوة على معرفة

---

(1) فتح الباري ١١/٢٣٠ ، وانظر : عون الباري ٥/٦٦١

عظم هذه النعمة، فيسخرونها لخدمة الإسلام والمسلمين .

قال ابن بطال في حديث الباب : «فيه تنبيه على عظم نعمة الله تعالى على عباده في الصحة والكفاية؛ لأن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً مؤنة العيش ، فمن أنعم الله عليه بهما فليحذر أن يغبنهما ،لاسيما وهو يعلم أنه خلقه من غير ضرورة إليه، وبدأه بالنعم الجليلة كالصحة ونحوها من غير استحقاق منه لها، وضمن أرزاقه ، ووعده بجزاء الحسنات أضعافاً مضاعفة، وأمره أن يعبده شكراً عليها، وتحصيلاً لجزاء أعماله ، فمن لم يفعل فقد غبن أيامه ، وتندّم حين لا ينفعه الندم»[١]

الفوائد الدعوية:

أولاً : حثّ المدعوين على حفظ أوقاتهم .

ثانياً : ضرب الأمثلة أسلوب من أساليب الدعوة .

ثالثاً : حرص الإسلام على حفظ اقتصاد المجتمع المسلم .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : حثّ المدعوين على حفظ أوقاتهم .

إن من أهم الواجبات على الداعية تجاه مجتمعه أن يبين للمدعوين أهمية الوقت في الإسلام ، وخطر التساهل فيه ، وإضاعته بدون فائدة ، وأن ذلك غبن وخسارة .

---

(١) الكرماني شرح صحيح البخاري ٢٠/١٩٢ . انظر : فتح الباري ١١/٢٣٠ ،عون الباري ٥/٦٦١ .

وفي حديث الباب يبين عليه الصلاة والسلام لأمته ذلك فيقول : «نِعْمَتَان مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصِّحَّةُ والفَرَاغُ» .

وفي حديث آخرَ بين عليه الصلاة والسلام أن العبد مسؤول يوم القيامة عن وقته فقال ﷺ : «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أربعٍ : عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عَمَلِه فِيمَ فَعَلَ بِهِ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ» [1]

وأمر عليه الصلاة والسلام باغتنام وقت الشباب والصحة والفراغ فقال : «اغْتَنِمْ خَمساً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفراغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» [2].

وقد قسم الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ وقت الإنسان إلى خمسة مواسم هي : موسم الصبا ،والشباب ، والكهلة، والشيخوخة، والهرم ، وذكر فيها ميزة كل موسم فليرجع إليه . [3]

وحرص صحابة رسول الله ﷺ على أوقاتهم ، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : «ما ندمت على شيئ ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم

---

(1) سبق تخريجه، ص ٧٣٢ .

(2) المستدرك للحاكم ، كتاب الرقاق ٣٠٦/٤ ط دار المعرفة - بيروت، سنن الترمذي بمعناه كتاب الزهد، باب ما جاء في قصر الامل ٨٦/٧.

(3) تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ص٤٦، تحقيق عرفة عباس - ط دار الحديث - القاهرة .

يزد فيه عملي»[1]. لذا ينبغي على الدعاة إلى الله أن يولوا هذا الأمر عنايتهمْ الخاصة ؛ لحاجة المسلمين إلى حفظ أوقاتهم، خصوصا ونحن في وقت نرى بعض المسلمين يهدرون أوقاتهم هباء منثورا .

ثانيــاً: ضرب الأمثلة أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله .

في قوله ﷺ : «نِعْمَتَان مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَةُ والفَرَاغُ» ضرب مثل منه عليه الصلاة والسلام لأمته، حيث ضرب للمسلم المكلف مثلاً بالتاجر الذي يحرص على الربح مع سلامة رأس ماله من النقص .

قال الطيبي: «ضرب النبي ﷺ للمكلف مثلاً بالتاجر الذي له رأس مال، فهو يبتغي الربح مع سلامة رأس المال ، فطريقه في ذلك أن يتحرى فيمن يعامله، ويلزم الصدق والحذق لئلا يغبن، فالصحة والفراغ رأس المال، وينبغي له أن يعامل الله بالإيمان ومجاهدة النفس وعدو الدين ؛ ليربح خيري الدنيا والآخرة ...»[2]

ثالثاً : حرص الإسلام على حفظ اقتصاد المسلمين .

إن الإسلام يربي المسلمين على القوة الاقتصادية ؛ ليبقى المجتمع الدعوي سداً منيعاً أمام أعداء الإسلام ، فإن أخطر ما يهدد كيان المجتمع المسلم اقتصادياً هو إهدار

---

(1) ينظر : الوقت أنفاس لا تعود ص١١، لعبد الملك القاسم ، ط دار القاسم.

(2) فتح الباري ٢٣٠/١١.

شبابه لأوقاتهم ، وترك مجال العمل لغير المسلمين مع الأسف الشديد .

وكان عليه الصلاة والسلام يوصي أصحابه باستغلال الوقت بطلب الرزق ، ليعتمدوا بعد الله سبحانه على أنفسهم ، فلا يكونوا بحاجة إلى الآخرين ، وسار على نهجه أصحابه ، فهذا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل عن الرجل ، فإذا علم أنه ليس له صنعة سقط من عينيه .

ومتى أهدر المجتمع المسلم وقته فإنه يعود سلباً على اقتصاده ، فيصبح عالةً بكل أسفٍ على المجتمعات غير الإسلامية . وقد بينت بعض الدراسات[1] أن الفراغ سبب رئيس في انحراف شباب المجتمع الدعوي ، فإذا انحرف الشباب أدى إلى ضعف القوة الاقتصادية بلا ريب للمسلمين .

---

(1) للفائدة انظر : الفراغ وأثره في انحراف الشباب ، لعبد الله بن محمد السدحان ، ط مكتبة العبيكان، الرياض.

باب قول النبي ﷺ:

«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[1]

١٦٤- عن عبد الله بن عمر[2] رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كُنْ في الدُّنْيا كأنَّك غريبٌ أو عَابِر سَبِيلٍ»

وكان ابن عمر يقول: إذَا أمْسَيْتَ فَلا تنْتَظِر الصَّباحَ، وإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِر المسَاءَ، وخُذْ من صِحَّتِك لمرَضِك، ومِنْ حَيَاتك لموْتك.[3]

رقم الحديث: [٦٤١٦].

غريب الحديث:

منكبي: منكب كل شيء: مجتمع عظم العضد والكتف. قال ابن سيدة: المنكب من الإنسان وغيره: مجتمع رأس الكتف والعضد.[4]

(١) أي هذا باب في بيان قول النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». انظر: عمدة القاري ١٥/٤٩٩

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) مطابقته للترجمة ظاهرة لأنها جزء من حديث الباب. انظر: عمدة القاري ١٥/٤٩٩

(٤) لسان العرب [نكب] ١/٧٧١

الموضوع الدعوي

في حديث الباب يبين ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأمته قصر هذه الحياة ، ويحث على الاستعداد للآخرة فيقول لعبد الله بن عمر : « كُنْ في الدُّنْيا كأنَّك غريبٌ أو عَابِرِ سَبِيلٍ».

قال ابن رجب رحمه الله تعالى : «هذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا ، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً فيطمئن فيها ، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر يهيىء جهازه للرحيل ...»[1].

وقال النووي : معنى الحديث : لا تركن إلى الدنيا ، ولا تتخذها وطناً ، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه».[2]

وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن الدنيا متاع ، وأن الآخرة هي دار القرار فقال تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾[3]

ووصف عليه الصلاة والسلام حياته في هذه الدنيا فقال : «ما لي وللدنيا ، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[4].

وسار على ذلك صحابته رضي الله عنهم ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

---

(1) الحث على اغتنام الأوقات بالأعمال الصالحات قبل الندم عليها للإمام الحافظ ابن رجب ص٥ . طبعة دار ابن خزيمة ، الرياض .

(2) فتح الباري ٢٣٤/١١ .

(3) غافر : ٣٩

(4) مسند الإمام أحمد ٣٩١/١ ، ط المكتب الإسلامي ، ودار صادر .

«إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ولكل منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل»[١].

الفوائد الدعوية :

أولاً : عطف الداعية على المدعو عند دعوته .

ثانياً : حثّ المدعوين على المسارعة إلى فعل الخيرات .

ثالثاً : الحثّ على الزهد في الدنيا .

رابعاً : تحريض المدعوين على الإكثار من ذكر هاذم اللذات .

خامساً : الفصاحة والبلاغة في التعبير أسلوب من أساليب الدعوة .

سادساً : رحمة الرسول ﷺ بأمته ونصحه لهم .

الدراسة الدعوية للفوائد :

أولاً : عطف الداعية على المدعو عند دعوته .

إن المدعو بحاجة إلى عطف الداعية وشفقته ، حيث يبين له ما ينفعه في أمر دينه ودنياه ، قدوته في ذلك إمام المتقين، وسيد المرسلين حيث قال تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ

---

(١) اغتنام الأوقات لابن رجب ص٧، وسيأتي شرح كلام علي رضي الله عنه في باب الأمل وطوله من هذا الكتاب.

فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[١] .

وفي حديث الباب ما يبين عطفه عليه الصلاة والسلام على أمته، حيث يضع يده الشريفة على منكب عبد الله بن عمر ويقول : «كُنْ فِي الدُّنْيا كأنَّك غريبٌ أو عَابِر سَبِيل».

قال الحافظ رحمه الله : «في الحديث مس المعلم أعضاء المتعلم عند التعليم، والموعوظ عند الموعظة ؛ وذلك للتأنيس والتنبيه ، ....»[٢]

وهكذا الداعية يبين للمدعوين حرصه على تأنيسهم ولفت أنظارهم لقبول الخير.

ثانياً : حثّ المدعوين على المسارعة إلى فعل الخيرات .

في قول عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : «إذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المسَاءَ ... الخ» حثٌ للمسلمين على المبادرة إلى فعل الأعمال الصالحات ، فإن الوقت لا يضمن استقراره ، فقد يقطعه الموت أو المرض أو الشغل .

لذا حثَّ - جلَّ وعلا - في محكم كتابه عباده على المسابقة في فعل الخيرات فقال تعالى : ﴿ ... فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[٣].

وأمر - عليه الصلاة والسلام - بالمبادرة بالأعمال فقال : «بادروا بالأعمال سبعًا،

---

(١) الأحزاب : ٢١

(٢) فتح الباري ١١/٢٣٥

(٣) المائدة : ٤٨

هل تنتظرون إلا فقراً منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أو موتًا مجهزًا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»[1]

فعلى الداعية الاهتمام بهذا الجانب، وحث المدعوين على المسارعة إلى فعل الخيرات ، وتحذيرهم من التقصير في ذلك ، فيندموا في وقت لا ينفع فيه الندم، كما قال تعالى: ﴿ ....يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾[2].

ثالثاً : الحث على الزهد في الدنيا .

في قوله ﷺ لعبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- : «كُنْ في الدُّنْيا كأنَّك غريبٌ أو عابِر سَبِيلٍ» تحذير لأمته من الاغترار بهذه الحياة الدنيا، فإن الدنيا قد يغتر بها كما يصفها الله سبحانه وتعالى بذلك فقال تعالى : ﴿ ....وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[3] فالعاقل لا تغره هذه الحياة الدنيا ، بل يفكر في نهاية سفره منها ، ويزهد فيها لأنها زائلة لا محالة .

قال الحافظ ابن رجب : «وأما وصية ابن عمر -رضي الله عنهما- فهي مأخوذة من هذا الحديث الذي رواه ، وهي متضمنة لنهاية قصر الأمل، وأن الإنسان إذا أمسى لم

---

(1) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في المبادرة بالعمل ٧٠/٧ ط المكتبة الإسلامية - بيروت ، والحاكم في المستدرك بنحوه ٣٢١/٤ .

(2) الأنعام : ١٥٨

(3) آل عمران : ١٨٥

ينتظر الصباح ، وإذا أصبح لم ينتظر المساء، بل يظن أن أجله يدركه قبل ذلك ، وبهذا فسَّر غير واحد من العلماء الزهد في الدنيا.

قال المروزي : قلت لأبي عبد الله ـ يعني أحمد ـ : أيُّ شيء الزهد في الدنيا؟ . قال : قصر الأمل حتى إذا أصبح قال : لا أمسي»[1]

وقال بعض العلماء : «هذا الحديث أصل في الحث على الفراغ عن الدنيا والزهد فيها والاحتقار لها والقناعة فيها بالبلغة»[2].

إن تذكير المدعوين بقصر الأجل يجعلهم يزهدون من الدنيا ، ويقبلون على طاعة الله ، وهو أمر مهم في حياة المسلم ، فقد يغفل أمام ملذات الدنيا وشهواتها ، وأمام انفتاح الدنيا عليه بكثرة الأموال والأولاد ، ومن هنا كان لزاماً على الدعاة إلى الله حث المدعوين على هذا الأمر .

رابعاً : تحريض المدعوين على الإكثار من ذكر هاذم اللذات .

في قوله ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما : «كُنْ في الدُّنْيا كأنَّك غريبٌ أو عابر سَبِيلٍ» ما يدلُ على أن يجعل المسلم الموت بين عينيه ، ويكثر من ذكر هاذم اللذات ، هذا الأمر الذي هو مصير كل حيٍّ كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ

---

(1) الحث على اغتنام الأوقات ص١٨ـ ٢٤ .

(2) فتح الباري ١١/٢٣٤ ، وانظر : عون الباري ٥/٦٦٣

الْغُرُورِ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ ...فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[2].

وقد أمر - عليه الصلاة والسلام - أمته بالإكثار من ذكر هاذم اللذات ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ[3] اللَّذَاتِ»[4] يعني الموت .

قال القرطبي : : «قال علماؤنا - رحمة الله عليهم - : قوله عليه الصلاة والسلام: أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَاتِ» كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة ، فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نقص عليه لذته الحاضرة ، ومنعه من تمنيها في المستقبل ، وزهده فيما كان منها يؤمل»[5].

فعلى الدعاة إلى الله أن يحثوا المدعوين بالإكثار من ذكر الموت ، والاستعداد له ، كما أن على الدعاة أيضاً بيان الأسباب المعينة على ذكر هاذم اللذات للمدعوين ، والتي منها زيارة القبور ، حيث أمر الرسول ﷺ بذلك ، فعن بريدة - رضي الله عنه - قال : قال ﷺ : «قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ....» الحديث[6] وزيارة القبور لا شك أنها تذكر بالموت وبنهاية الدنيا ، وبيان مصير كل حيٍّ على وجه الأرض ، لا فرق

---

(1) آل عمران : ١٨٥

(2) الأعراف : ٣٤ ، النحل : ٦١

(3) هاذم : قاطع

(4) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في ذكر الموت ، حديث رقم (٢٣٠٧) قال ابو عيسى حديث حسن صحيح غريب ، وأخرجه الحاكم بنحوه ٣٢١/٤ ، والإمام أحمد في المسند ٢٩٣/٢.

(5) التذكرة في أحوال الموتى وأحوال الآخرة للقرطبي ص ٩ ، ط دار الكتب العلمية .

(6) صحيح مسلم كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ربَّه عز وجلّ في زيارة قبر أمه ٣٧٧ ،

بين ملك، ولا أمير، ولا وزير، ولافقير ، وما أعظم ما قاله أبو العتاهية في وصف أهل القبور، حيث يقول :

زرت القبور أهل الملك في الـ ** ـدنيا وأهل الرتع في الشهوات

كانوا ملوك مآكل ومشارب ** وملابس وروائح عطرات

فإذا بأجساد عرين من الكسا ** وبأوجه في الترب متعفرات

لم تبق منها الأرض غير جماجم ** بيض تلوح وأعظم نخرات

إن المقابر ما علمت لمنظر ** يهدي الشجا ويهيج العبرات

سبحان من قهر العباد بقدره ** باري السكون وناشر الحركات[1]

خامساً : الفصاحة والبلاغة في التعبير أسلوب من أساليب الدعوة .

لا شك أن الفصاحة والبلاغة عنصران من عناصر الدعوة التي ينبغي على الداعية التزود بها ؛ ليكون كلامه أكثر تأثيرا في نفوس المدعوين.

وفي حديث الباب «شبه ﷺ الناسك السالك بالغريب الذي لا مسكن له..... وأضرب عنه بقوله : «أو عابر سبيل» لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة ويقيم بها بخلاف عابر السبيل الذي يقصد البلد الشاسع وبينه وبينها أودية مردية ومفاوز

---

(١) ديوان أبي العتاهية، ص ٧٧، ط دار البيروت - بيروت.

مهلكة ، وهو بمرصد من قطاع الطريق ، فهل له أن يقيم لحظة أو يسكن لمحة ؟»[1]

فبهذا التشبيه البليغ منه ﷺ استطاع إعطاء المدعوين الصورة الحقيقية للحياة الدنيا ، وذلك في كلام فصيح موجز ، فعلى الدعاة التأسي به ﷺ في ذلك .

سادساً : رحمة الرسول ﷺ بأمته ونصحه لهم .

إن رسول الله ﷺ هو الرحيم بأمته ، وصفه ربه تعالى بذلك فقال :﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ فقد جمع الله له بين الرأفة والرحمة ، فكان رحيما بأمته حريصاً على سلامتها من عذاب النار يوم القيامة ، ومن أسباب سلامتها يوم الدين ذكر الموت ، وحفظ الوقت بطاعة الله تعالى واجتناب المعاصي ، وهي الأمور التي بينها ﷺ في هذا الحديث . وكان الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - يشعرون برحمته ﷺ لهم وحرصه الشديد على سلامتهم ، وذلك بنصحه لهم في غفلتهم أحياناً ، وتوجيهه لهم ، وإرشادهم إلى ما فيه مصالحهم الدينية والدنيوية .

وفي قوله ﷺ : «كُنْ في الدُّنْيا كأنَّك غريبٌ أو عابِر سَبِيلٍ» ما يوضح حرصه ورحمته ونصحه ﷺ لأمته .

قال الكرماني في شرح قوله ﷺ : «كأنك غريب» : «كلمة جامعة لأنواع النصائح ؛ إذ الغريب لقلة معرفته بالناس قليل الحسد والعداوة والحقد والشقاق والنزاع ،

---

(1) عون الباري ٥/٦٦٢

وسائر الرذائل التي منشأها الاختلاط بالخلائق ؛ ولقلة إقامته قليل الدار والبستان والمزرعة والأهل والعيال ، وسائر العلائق التي هي منشأ الاشتغال عن الخالق » [١].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله النصح للمدعوين في دلالتهم على الخير ، وبيان رحمته وشفقته عليهم .

---

[١] صحيح البخاري بشرح الكرماني ٢٠/١٩٤

باب في الأمل وطوله[1]

وقوله تعالى : ﴿ ...فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[3] .
وقال علي رضي الله عنه : «ارتحلتْ الدنيا... مدبرة ، وارتحلتْ الآخرة مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليومَ عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل» .[4]

---

(1) أي : هذا باب في بيان إلهاء الأمل عن العمل انظر : عمدة القاري ١٥/١٥٠.

(2) آل عمران:١٨٥.
ووجه مناسبة الآية الأولى للترجمة صدرها ، وهو قوله تعالى: {كل نفس ذائقة الموت} أوعجزها وهو قوله تعالى: {وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} ينظر: عمدة القاري ١٥/١٥٠.

(3) الحجر :٣.

(4) قال العيني في شرح كلام علي – رضي الله عنه –: « ... مطابقته للترجمة تؤخذ من أوله ، لأن الدنيا لما كانت مدبرة فالأمل فيها مذموم ، ومن كلام علي هذا أخذ بعض الحكماء قوله الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة ، فعجب لمن يقبل على المدبرة ، ويدبر عن المقبلة .
وقال صاحب التوضيح : روينا في كتاب أبي الليث السمرقندي – رحمه الله – قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، ويهلك آخرها بالبخل والأمل.
قلت : روي هذا الحديث عن عبد الله بن عمر ورفعه ، أخرجه الطبراني وابن أبي الدنيا .
وأثر علي – رضي الله عنه – أخرجه ابن المبارك في رقائقه ، ورواه نعيم بن حماد عن سليمان بن خلاد ، حدثنا سفيان عن زبيد اليامي عن مهاجر الطبري عنه .
قوله :« فإن اليوم عمل » قيل : اليوم ليس عملاً بل فيه العمل ، ولا يمكن تقدير في وإلا وجب نصب عمل .
وأجيب بأنه جعله نفس العمل مبالغة كقولهم : أبو حنيفة فقه ، ونهاره صائم .
قوله : « ولا حساب » بالفتح ، أي لا حساب فيه ، ويجوز بالرفع أي ليس في اليوم حساب ، ومثله شاذ عند النحاة ، وهذا حجة عليهم ...»
انظر :عمدة القاري ١٥/١٥٠.

١٦٥- عن عبد الله بن مسعود[١] -رضي الله عنه- قال: خطَّ النبيُّ ﷺ خطاً مُرَبَّعاً، وخَطَّ خطاً في الوسطِ خارجاً منه، وخَطَّ خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: «هذا الإنسانُ، وهذا أجَلُهُ مُحيطٌ به، -أو قد أحاط به- وهَذَا الَّذي هُوَ خارجٌ أمَلُه، وهَذِه الخُطُوطُ الصِّغار الأَعْراض، فإنْ أخْطَأَهُ هذا نَهَشَهُ هَذَا، وإنْ أخْطَاهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا»[٢].

رقم الحديث: [٦٤١٧].

١٦٦- عن أنس بن مالك قال: خَطَّ النبيُّ خُطُوطاً فقَال: «هَذَا الأملُ وهَذَا أجَلُه، فَبَيْنَمَا هُوَ كذلِكَ إذْ جَاءَه الخَطُّ الأَقْرب».

رقم الحديث: [٦٤١٨].

غريب الحديث:

الأعراض: جمع عَرَض والعرض: من أحداث الدهر من الموت والمرض ونحو ذلك.[٣]

نهشته: يقال: نهشته الحية أي لسعته[٤].

---

(١) سبقت ترجمته، ص ٣٢٤.

(٢) مطابقته للترجمة «من حيث إن فيه مثال أمل الإنسان وأجله والأعراض التي تعرض عليه وموته عند واحد منها، فإن سلم منها فيأتيه الموت عند انقضاء أجله». انظر: عمدة القاري ١٥/٥٠١.

(٣) لسان العرب [عرض] ٧/١٦٩

(٤) المصدر السابق [نهش] ٦/٣٦٠، وانظر: شرح الكرماني ٢٢/١٩٥

الموضوع الدعوي

في حديثي الباب بين - عليه الصلاة والسلام - ما جبل عليه الإنسان من حب الحياة وطول الأمل ؛ ولذا صار أمله أطول من أجله .

وطول الأمل أمر مجبول عليه الإنسان ، والمذموم منه الأمل المؤدي بالإنسان إلى تضييع أوامر الله تعالى ، والعبث بالوقت وإهداره فيما لا يفيد .

قال الحافظ - رحمه الله تعالى - : «وفي الأمل سر لطيف ؛ لأنه لولا الأمل ما تهنى أحد بعيش ، ولا طابت نفسه أن يشرع في أي عمل من أعمال الدنيا ، وإنما المذموم منه الاسترسال فيه ، وعدم الاستعداد لأمر الآخرة ، فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته . . .»[1]

وقد هدد الله تعالى المشركين وتوعدهم لانشغالهم بالحياة الدنيا الزائلة،وانغماسهم في شهواتها ومتعها ، وطول أملهم فيها والذي ألهاهم عن التفكير في الآخرة ، وما أعد الله للمؤمنين من أجر عظيم وثواب جزيل ، فقال تعالى : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

---

(1) فتح الباري ١١/٢٣٧

(2) الحجر: ٣

الفوائد الدعوية :

أولاً : تحذير المدعوين من طول الأمل في الحياة .

ثانيـــاً : القدوة الحسنة وأثرها على المدعوين .

ثالثـــاً : ترقيق القلوب أسلوب من أساليب الدعوة .

رابعـــاً : الاستعداد للموت .

خامساً : ضرب المثل للمدعوين أسلوب من أساليب الدعوة .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : تحذير المدعوين من طول الأمل في الحياة .

لا شك أن من الصوارف عن المبادرة في حفظ الوقت وإعماره في طاعة الله تعالى عند بعض المدعوين طول الأمل في الحياة الدنيا ، ذلك الأمر الذي ينتج عنه أضرار عديدة منها :

أ- الكسل عن الطاعة ظناً منه أن الموت بعيد عنه .

ب- التسويف بالتوبة ، وهو من عوائق المبادرة بالتوبة النصوح إلى الله.

جـ- الرغبة في الدنيا .

د- نسيان الآخرة ، ولأجل ذلك أمر الرسول ﷺ بزيارة المقابر لأنها تذكر بالآخرة .

هـ- قسوة القلب ، لأن رقته وصفاءه إنما تقع بتذكير الموت .[1]

وفي حديثي الباب تحذير منه ﷺ لأصحابه من طول الأمل في هذه الحياة الدنيا ، وبيان منه عليه الصلاة والسلام أن أجله محدود ، ولكن أمله قد يقوده إلى توقعات تزيد عن أجله المحتوم ، لذا ينبغي على الدعاة تحذير المدعوين من هذا الأمر ؛ لأن من أطال الأمل أساء العمل .

ثانيـــاً : القدوة الحسنة وأثرها على المدعوين .

إن الداعية إلى الله قدوة حسنة فيما يدعو إليه ؛ لذا نجد أصحاب رسول الله ﷺ أخذوا حذرهم من طول الأمل ، وكانوا مستعدين للرحيل من هذه الحياة الدنيا ، يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : «ما مرت علي ليلة إلا وعندي وصيتي إنفاذاً لقوله ﷺ : «ما حق امريء مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»[2].

وسار على ذلك العلماء من السلف الصالح ، ومن هؤلاء الحسن البصري - رحمه الله تعالى - حيث يقول : «الواعظ من وعظ الناس بعمله لا بقوله ، وكان ذلك شأنه إذا أراد أن يأمر بشيء بدأ بنفسه ففعله ، وإذا أراد أن ينهي عن شيء انتهى»[3].

---

(1) انظر : فتح الباري ، ١١/٢٣٧ .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، باب الوصايا ص ٥٥٧ ، وصحيح مسلم بلفظه ، في أول كتاب الوصية ص ٦٦٧

(3) نقلاً عن صفات الداعية للدكتور حمد بن ناصر العمار ، ص٤٥ ، دار اشبيليا .

والداعية محط أنظار الناس ينظرون إليه ويتابعون أفعاله وتصرفاته ، فإن كان آخذاً بهدي المصطفى – عليه الصلاة والسلام – على الوجه الصحيح ، وطبقه تطبيقا عمليا فإنه يؤثر – بمشيئة الله تعالى – تأثيرا فعلياً في المدعوين ، وإذا خالف ما يدعو إليه ويأمر به فإن تأثيره يكون ضعيفاً . قال ابن القيم – رحمه الله – : «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم ، فكلما قالت أقوالهم للناس : هلموا قالت أفعالهم : لا تسمعوا منهم ، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له ، فهم في الصورة أدلاء ، وفي الحقيقة قطاع الطرق»[1]

ثالثاً : ترقيق القلوب أسلوب من أساليب الدعوة .

إن المسلم في هذه الحياة الدنيا يمر بحالات مختلفة ، وفي خضم هذه الحياة والغفلة عن الآخرة أو التقصير في بعض الطاعات يقسو قلبه ويطول أمله ، وفي حديث الباب يذكر النبي ﷺ أصحابه بنهاية الإنسان في هذه الحياة ، وهذا أسلوب عظيم منه عليه الصلاة والسلام في ترقيق قلوب الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم – ، وكان من هديه ﷺ تذكير أصحابه بالآخرة لتلين القلوب ، فعن علي – رضي الله عنه – قال : «كنا في جنازة في بقيع الغرقد[2] فأتانا رسول الله ﷺ فوقف فقال : «ما منكم من أحد (ما من نفس منفوسة) إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلاّ قد كتب : شقية أو سعيدة» فقال رجل : يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان منا من أهل

---

(1) الفوائد لابن القيم، ص ٧١.

(2) بقيع الغرقد ، الغرقد: ضرب من شجر الغضا وشجر الشوك ، النهاية، ٣/٦٣٢ .

السعادة فيصير إلى عمل أهل السعادة ، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فيصير إلى أهل الشقاوة» قال : «أما أهل السعادة فيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ ، وأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ» ثم قرأ : فأما من أعطى واتقى الآية»[1] .

واستخدم هذا الأسلوب السلف الصالح ، فهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- يقول في إحدى خطبه : «... ولا يطولن عليكم الأمل فتقسو قلوبكم وتنقادون لعدوكم ، فإنه -والله- ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ، ولا يمسي بعد صباحه ، وربما كانت بين ذلك قطفات المنايا...»[2] .

فعلى الدعاة إلى الله الاهتمام بهذا الأسلوب بين المدعوين ؛ لما فيه من الأثر البالغ في إقبالهم على الآخرة وانقطاعهم عن الدنيا الفانية .

رابعاً: الاستعداد للموت .

إن الموت حق ، وكل نفس ذائقته كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[3] وكان ﷺ يذكر أصحابه بالموت ليستعدوا له ، فعن أبي بن كعب -رضي الله

---

(1) صحيح الإمام البخاري ، كتاب الجنائز ، باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله . ص ٢٩٥ ، رقم (١٣٦٢) ، صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقائه وسعادته ، ص ١٠٦١ ط بيت الأفكار الدولية .

(2) قصر الأمل لأبي بكر عبد الله بن الحسن بن أبي الدنيا ص ٥١ ، تحقيق محمد خير يوسف ، طبعة دار ابن حزم .

(3) آل عمران : ١٨٥

عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال : «يا أيها الناس اذكروا الله ،اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه» قال أبي : قلت : يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ فقال : ما شئت ، قلت : الربع ، قال : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك، قلت : النصف، قال : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك ، قلت : فالثلثين ، قال: ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك، قلت : أجعل لك صلاتي كلها . قال : إذاً تكفى همك، ويغفر لك ذنبك»[1].

وفي رسمه ﷺ الخطوط لأصحابه رضي الله عنهم وبيانه الأجل المحتوم لكل إنسان تذكيرلهم بالرحيل من هذه الدنيا، وأن عليهم الاستعداد لذلك اليوم المفاجيء الذي يهجم على الإنسان دون سابق انذار وهو يسبح في بحر الأمل وطول الحياة.

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله حث المدعوين على الاستعداد للموت ، والإكثار من ذكره؛ لأن ذلك سبب للإقبال على الآخرة، واستغلال العمر بالصالحات .

خامساً :استخدام الرسم عند الحاجة وسيلة من وسائل الدعوة .

في حديث الباب يبين لنا عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ما استخدمه النبيﷺ من وسيلة لتوضيح حدود آمال بني آدم ، وهي وسيلة الرسم ، يقول رضي الله عنه: خطَّ النبيُّ ﷺ خطاً مُرَبَّعاً ، وخَطَّ خطاً في الوسطِ خارجاً منه ، وخَطَّ خططاً صغاراً

---

[1] سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة باب [٢٤] وقال: حسن صحيح ، ١٦٤/٧.

إلى هذا الَذي في الوسط ،من جانبه الذي في الوسط وقال : «هذا الإنسانُ ، وهذا أجَلُهُ مُحيطٌ به ، ـ أو قد أحاط به ـ وهَذَا الَذي هُوَ خارجٌ أمَلُه ، وهَذِه الخُطُوطُ الصِّغار الأَعْراض، فإنْ أَخْطَأَهُ هذا نَهَشَهُ هَذَا، وإنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهشَهُ هَذَا» .

قال الحافظ رحمه الله :

قوله : «خطَّ النبيُّ ﷺ خطاً مُربَّعاً» الخط الرسم والشكل، والمربع المستوي الزوايا[1] ، قوله: «وخَطَّ خطاً في الوسطِ خارجاً منه ، وخَطَّ خططاً صغاراً إلى هذا الَذي في الوسط، من جانبه الذي في الوسط» قيل : هذه صفة الخط :

وقد رسم الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى أشكالا أخرى ، ولكن هذا هو المعتمد كما ذكر رحمه الله تعالى حيث قال: ، وسياق الحديث يتنزل عليه[2] ، وعلى أي حال فإن هذا العمل من رسول الله ﷺ يبين أهمية استعمال الوسائل التي تقرب المعنى المراد إلى أذهان المدعوين ، وأنه ينبغي على الدعاة أن يأخذوا بها ؛ لما لها من تأثير فعّال على المدعوين.

---

(1) عمدة القاري ١٥/٢٠٥.

(2) الفتح ١١/٢٣٨.

٥- باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر لقوله :[1]

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر :٣٧]

١٦٧- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «أَعْذَرَ[2] اللَّهُ إِلَى امْرِيءٍ أَخَّرَ أَجَلَه حَتَّى بلَّغَه ستينَ سنةً»[3] .

رقم الحديث : [٦٤١٩].

١٦٨- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شاباً في اثنتَيْن : في حُبِّ الدُّنْيا ، وطُولِ الأَمَل»[4] .

رقم الحديث : [٦٤٢٠].

١٦٩- عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «يَكْبُر ابنُ آدمَ ويَكْبُر مَعهُ اثْنان : حُبُّ المَالِ وَطُولِ العُمُر»[5]

رقم الحديث : [٦٤٢١].

---

(١) أي : هذا باب في بيان حال من بلغ ستين سنة من العمر قوله : «فقد أعذر الله إليه» أي أزال الله عذره فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة، عمدة القاري، جـ١٥/٥٠٣.

(٢) أعذر الله : الإعذار : إزالة العذر، أي لم يبق له اعتذار، كأن يقول : لو مدّ لي في الأجل لفعلت ما أمرت به . فتح الباري ١١/ ٢٤٠.

(٣) مطابقته للترجمة ظاهرة، عمدة القاري ١٥/ ٥٠٤.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (١٠٤٦) كتاب الزكاة باب كراهة الحرص على الدنيا.

(٥) مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله «يكبر ابن آدم»، عمدة القاري ١٥/٥٠٥، والحديث أخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب كراهة الحرص على الدنيا، وصحيح الإمام مسلم برقم (١٠٤٧).

الموضوع الدعوي

في الأحاديث الواردة بالباب بيَّن لنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ فضل الله على عباده بإطالة عمرهم وإمهالهم إلى الستين للمبادرة في التوبة ، وأن الله قد أعذر إليهم في ذلك لأنه مظنة انقضاء الأجل ،«وقريبة من المعترك ، وهي سن الإنابة والخشوع وترقب المنية ، فهذا إعذار بعد إعذار لطفاً من الله تعالى بعباده حتى نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم ، ثم إعذار إليهم ، فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة ، وإن كانوا فطروا على حب الدنيا وطول الأمل ، لكنهم أمروا بمجاهدة النفس في ذلك ليمتثلوا ما أمروا به من الطاعة ، وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية».[1] كما بين عليه الصلاة والسلام أن حب المال وطول العمر يكبران معه ، فقال ﷺ : «يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان : حب المال وطول العمر» ، ويقول ﷺ : «لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنين : حب الدنيا وطول الأمل»

ولا شك أن هذه الخصال في بني آدم من الأمور التي قد تصرفه عن الإقبال على طاعة الله ، وتجعله في غفلة عن الموت الذي لا مفرَّ منه .قال القرطبي رحمه الله تعالى : «في هذا الحديث كراهية الحرص على طول العمر وكثرة المال، وأن ذلك ليس بمحمود. وقال غيره: الحكمة في التخصيص بهذين الأمرين [العمر والمال] أن أحب الأشياء إلى ابن آدم نفسه، فهو راغب في بقائها فأحب لذلك طول العمر، وأحب المال لأنه من أعظم الأسباب في دوام الصحة التي ينشأ عنها غالباً طول العمر، فكلما أحسَّ بقرب نفاد

(1) فتح الباري ١١/٢٤٠.

ذلك اشتد حبُّه له ورغبته في دوامه» .[1] ورحم الله القاضي منذر بن سعيد البلوطي إذ يقول فيمن تجاوز الستين :

ثلاث وستون قد جزتها ** فماذا تؤمل أو تنتظر
وحلّ عليك نذير المشيب ** فما ترعوي أو فما تزدجر
تمر لياليك مراً حثيثاً ** وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي ** من العمر لاتعظت خير بشر
فما لك ـ ويحك ـ لا تستعد إذن ** لدار المقام ودار المقر [2]

الفوائد الدعوية:

أولا : حثُّ المدعوين على الاعتبار من نذر الرحيل

ثانياً : الحذر من فتنة المال .

ثالثاً : بيان سعة رحمة الله وإمهاله لعباده وإعذاره لهم .

رابعاً: المسارعة إلى التوبة النصوح .

خامساً : تحذير من بلغ الستين واستمر في عصيان رب العالمين.

سادساً : الحذر من سوء الخاتمة .

---

(1) فتح الباري ١١/٢٤١

(2) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر القرطبي ص ٤٧ ، ط دار الكتب العلمية .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا : حثُّ المدعوين على الاعتبار من نذر الرحيل.

من مهمات الداعية أن يبين للمدعوين هدفهم في هذه الحياة، وأن الله تعالى أوجدهم لعبادته ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]، وقد أمر الله نبيه بعبادته فقال تعالى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[2] .

إن طول العمر - بلا شك - نعمة من نعم الله تعالى على عباده، وإن بلوغ الإنسان الستين من العمر رحمة من الله تعالى له؛ إذالدواعي إلى الوقوع في المعصية واقتراف الموبقات تقل إلى أدنى درجاتها في هذا العمر، فكان على المسلم الذي أنعم الله عليه بتأخير أجله إلى هذه المدة أن يتقي الله في نفسه ، وأن يكون شغله الشاغل الاستعداد للقاء الله تعالى؛ وذلك بالإكثار من فعل الخيرات ، والندم على ما قد فات ، والتوبة من الزلات .

إن سوء استغلال أواخر العمر وصرفه في الذنوب والمعاصي منبئٌ بسوء عاقبة صاحبه ، وبمواجهة الحساب العسير أمام الله يوم القيامة ؛ إذ إن ذلك من سوء استغلال نعم الله تعالى، وظلم من العبد لربه ولنفسه، والله سبحانه وتعالى لا يحب الظالمين ؛ ولذلك كان طول العمر مما وبخ الله به من خالف أمره يوم القيامة فقال عز وجل : ﴿ ...أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن

---

(1) الذاريات : ٥٦

(2) الحجر : ٩٩

نصير﴾[1]

ولذاينبغي على الدعاة تذكيرأمثال هؤلاء وتحريضهم على الإكثار من فعل الطاعات واجتناب المنكرات .

ثانياً : الحذر من فتنة المال .

لا شك أن فتنة المال من الأمور التي تضر بالمسلم ، ولذلك حذر الله سبحانه عباده من حب المال المؤدي إلى الغفلة عن طاعة الله فقال تعالى **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾**[2] فالله سبحانه وتعالى «يأمر عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره ، فإن في ذلك الربح والفلاح والخيرات الكثيرة ، وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره ، فإن محبة المال والأولاد مجبولة عليها النفوس ، فتقدمها على محبة الله ، وفي ذلك الخسارة العظيمة»[3]. لذا ينبغي على الدعاة تحذير المدعوين من فتنة المال .

ثالثاً: بيان سعة رحمة الله وإمهاله لعباده وإعذاره لهم .

إن من رحمة الله تعالى بعباده أن يمد في عمرهم ليتمكنوا من التوبة والعودة

---

(١) فاطر : ٣٧

(٢) المنافقون : ٩

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٨٠١ ، ط الرسالة .

والإنابة إلى ربّهم إن كان لهم قلوب منيبة إلى الله تعالى.

وقد نادى الله سبحانه عباده بعدم القنوت من رحمته فقال جل وعلا : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[1] وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[2].

ومع هذا كله فإن على المسلم أن يحذر من الغرور بإمهال الله تعالى له وهو يعصيه ، وربما اتكل بعض المغترين على ما بسط الله تعالى عليه من النعم ، وظن أنه علامة الرضا له في الدنيا ، وأنه سيعطى أكثر من ذلك في الآخرة ، ولم يعلم أن ذلك قد يكون من الاستدراج الذي يغفل عنه كثير من الناس ، روى الإمام أحمد[3] عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ، ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[4].

وقد منَّ الله سبحانه على البعض بأن أمهلهم إلى الستين ليتوبوا إليه، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أن أعمار أمته بين الستين والسبعين ، كما في سنن الترمذي عن أبي

---

(1) الزمر : ٥٣

(2) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ص ١٠٨٣.

(3) مسند الإمام أحمد ١٤٥/٤ ،ط المكتب الإسلامي ، وينظر : الجواب الكافي ص ٦٩

(4) الأنعام: ٤٤

هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أعمار أمتي بين الستين والسبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك»[1].

رابعاً: المسارعة إلى التوبة النصوح .

إن التوبة من كل ذنب واجبة ، والمبادرة إليها قبل فوات الأوان مطلوبة ، وقد دعا الله عباده إلى التوبة النصوح فقال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ ...وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3] ، وأمر رسول الله ﷺ بذلك أيضا فقال : «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإني أتوب في اليوم مائة مرة»[4]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[5].

وإذا كان هذا الأمر على عموم المسلمين ، فإنه يتأكد على من بلغ الستين وتساهل في طاعة الله ، وفي قوله ﷺ : «أعذر الله إلى امريء أخَّر أجله حتى بلَّغه ستين سنة» تأكيد منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ على المبادرة إلى التوبة والمسارعة إليها وعدم التسويف بها .

---

(1) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب أعمار هذه الأمة بين الستين والسبعين ٢٠١/٩ ، وابن ماجه في سننه بلفظه ، كتاب الزهد ، باب الأمل والأجل ١٤١٥/٢

(2) التحريم ٨

(3) النور : ٣١

(4) صحيح البخاري ، كتاب الذكر والدعاء ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ص ١٠٨٣

(5) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة ص ١٢١٣

خامساً : تحذير من بلغ الستين واستمر في عصيان رب العالمين.

في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «أعذر الله إلى امريء أخر أجله حتى بلغه ستين سنة» تحذير لأمته لمن بلغ الستين وهو لا يزال على المعاصي، وذلك تصديقاً لقوله ﷺ : «أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين»[1] . رواه الترمذي.

وما بعد الستين إلى الشيب الذي هو تمهيد للموت، قال الشاعر :

ألا فامهد لنفسك قبل موت ** فإن الشيب تمهيد الحمام
فقد جد الرحيل فكن مجداً ** بحط الرحل في دار المقام

وكتب زر بن حبيش إلى عبد الملك بن مروان كتاباً يعظه فيه ، فكان في آخر كتابه : «ولا يطمعك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحة بدنك ما أنت أعلم بنفسك ، واذكر ما يتكلم به الأولون :

إذ الرجال ولدت أولادها ** وبليت من كبر أجسادها
وجعلت أسقامها تعتادها ** تلك زروع قد دنا حصادها

فلما قرأ عبد الملك الكتاب بكى حتى بل طرف ثوبه ثم قال :«صدق زر، لو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق»[2] .

---

(١) سبق تخريجه، ص ١٠٧٠ .

(٢) العمر والشيب لابن أبي الدنيا ص ١٤، تحقيق الدكتور/ نجم عبد الرحمن خلف، طبعة مكتبة الرشد.

وهكذا كان السلف الصالح يتفكرون في ذهاب أعمارهم وقلة أعمالهم ، قال ابن أبي الدنيا : «حدثنا محمد بن إدريس، أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قال : سمعت أبا أسامة المصري العابد قال : بينا أبو شريح يمشي إذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي ، فقلنا : ما يبكيك ؟ قال : تفكرت في ذهاب عمري، وقلة عملي، واقتراب أجلي»[1]. فعلى الدعاة إلى الله حث المدعوين ممن عمّرهم الله إلى الستين وبارزوا الله في المعاصي، واستغلال بقية العمر بالعمل الصالح ، وإعماره بالإقبال على الله والتوبة النصوح ، والاستغفار آناء الليل وأطراف النهار.

سادساً : الحذر من سوء الخاتمة .

إن المسلم في هذه الحياة الدنيا على خطر عظيم إن لم يحفظه الله ويعصمه من الفتن والمعاصي التي تؤدي به إلى عقوبة الله العاجلة أو الآجلة، ويزداد هذا الأمر خطورة عند بلوغ الإنسان ستين سنة وهو يبارز الله في معاصيه ، نسأل الله تعالى حسن الخاتمة.

فعلى المسلم أن يحذر من أن يدركه الأجل وهو على معصية الله سبحانه ، فيختم له بسوء، نسأل اللهَ السلامة والعافية . فرسول الله ﷺ الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يدعو الله بأن يثبت قلبه على دينه . فعن شهر بن حوشب -رضي الله عنه- قال : قلت لأم سلمة -رضي الله تعالى عنها- : يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك ؟ قالت : كان أكثر دعائه : «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على

[1] العمر والشيب لابن أبي الدنيا ص٦٤.

دينك» قالت : قلت : يا رسول الله ما أكثر دعائك «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ! قال: يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله ، فمن شاء أقام ، ومن شاء أزاغ».[1]

فعلى الدعاة إلى الله تعالى تحذير المدعوين من سوء الخاتمة التي من أعظم أسبابها الإصرار على المعصية وعدم المبادرة إلى التوبة النصوح .

---

(1) سنن الترمذي بكتاب الدعوات ، باب « مقلب القلوب ثبت قلبي » وقال: حديث حسن ١٨٢/٩، ط دار السلام - الرياض .

باب العمل الذي يُبْتَغَى به وجه الله تعالى[1]

١٧٠- عن أبي هُرَيْرة أن رسول اللّه ﷺ قال : «قال اللّه تعالَى : مَا لِعَبْدِي المُؤْمِن عِنْدي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّه مِنْ أَهْلِ الدُّنيَا ثُمَّ احْتَسَبَ إِلاَّ الجَنَّة»[2].

رقم الحديث : [٦٤٢٤].

غريب الحديث:

صفيه : الصفي هو الحبيب المصافي كالولد والأخ وكل من يحبه الإنسان ، والمراد بالقبض قبض روحه وهو الموت[3] .

الموضوع الدعوي

يهتم الإسلام براحة المسلم، وتخفيف مصابه في هذه الحياة المليئة بالمنغصات، التي من أعظمها فقد الحبيب لحبيبه من الأخ أو الولد أو الصديق العزيز ، وفي حديث الباب تسلية المؤمنين الذين يفتقدون أبناءهم في هذه الحياة الدنيا إذا احتسبوا ذلك عند

---

(١) أي هذا باب في بيان اعتداد العمل الذي يبتغى به ، أي يطلب به «وجه الله» أي ذات الله عز وجل لا الرياء والسمعة .عمدة القاري ١٥/٥٠٥ .

(٢) مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله «ثم احتسبه»، لان معناه : صبر على فقد صفيه وابتغى الاجر من الله تعالى، والاحتساب طلب الأجر من الله تعالى خالصاً، واحتسب بكذا أجراً عند الله أي : نوى به وجه الله ، المرجع السابق ، ١٥/٥٠٧ .

(٣) فتح الباري١١/ ٢٤٢ ، إرشاد الساري ١٣/٤٢٥

الله تعالى ،وقد فطر الله سبحانه وتعالى عباده على حب الأولاد حيث قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ... ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .... ﴾[2].

وإن الابتلاء بفقد الأولاد له وقعه الشديد على الأب لا يخففه إلا الإيمان بالله، والصبر على أقدار الله ، وقلما لا يحزن عليه الإنسان ، فهذا نبي الله يعقوب عليه السلام يحزن ويتألم على فقد ولده كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[3]، ونبينا محمد ﷺ يحزن على فراق ابنه إبراهيم ويحتسبه عند الله .فيقول : «إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[4].

ومع هذا الحزن الشديد الذي يحصل نتيجة لفقد الأحباب بشّر الله المؤمنين بأن جزاء هم الجنة لصبرهم ورضاهم بأمر الله، كما في قوله ﷺ في حديث الباب «مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَ إِلاَّ الْجَنَّةُ».

---

(1) آل عمران: ١٤

(2) الكهف : ٤٦

(3) يوسف : ٨٦

(4) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: « إنا بك لمحزونون » ص ٢٥٤ ، ط بيت الأفكار الدولية .صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، ص ٩٤٧ ، ط بيت الأفكار الدولية .

الفوائد الدعوية:

أولاً : بيـــان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين .

ثانيـاً : أثر الاحتساب في تحصيل الثـواب .

ثالثـاً : تذكير المدعوين بقدرة رب العالمين .

رابعاً : الترغيب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله .

خامساً : علـى الداعية أن يكون قدوة في الصبر عند فقد الأحبة .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً : بيـــان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين .

إن من رحـمـة الله بالعبـاد أن جعل فقـدان الولد ومن يحب سبباً لمغفرة الذنوب وتكفـير الخطايا ، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسـول الله ﷺ قال : «ما يزال المؤمن يصاب في ولده وحامّته حتى يلقى الله وليس عليه خطيئة»[1]

ومن رحـمـة الله بعبـاده المؤمنين أن الأبناء يشـفعون في آبائهم، فعن أبي حسـان قال : قلت لأبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ : توفي لي ابنان فما أنت محدثي عن رســول الله ﷺ بحـــديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : قـــال : نعم «صـغـارهم

(1) مسند الإمام أحمد ٢/٢٨٧ ، ٤٥٠ ، مالك في الموطا ١/١٥٣ ط إحياء التراث .

دعاميص[1] الجنة ، يلتقي أحدهم أباه ـ أو قال : أبويه ـ فيأخذ بصنفة[2] ثوبه كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا، فلا تتناهى -أو قال : فلا ينتهي- حتى يدخله الله وأباه الجنة»[3].

وعن قرة بن إياس قال : كان رجل يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له فقال له رسول الله ﷺ : أتحبه ؟ فقال : يا رسول الله أحبك الله كما أحبه ، ففقده النبي ﷺ فقال : ما فعل ابن فلان ؟ قالوا : يا رسول الله توفي ، فلقيه فقال النبي ﷺ لأبيه : ما تحب أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك ؟ فقال الرجل : يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا ؟ قال: بل لكلكم».[4]

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر ، وأن رحمة الله بعباده عظيمة .

ثانياً : أثر الاحتساب في تحصيل الثواب .

في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في حديث الباب : «ثم احتسبه» ما يبين أهمية الاحتساب في العمل طلباً للأجر من الله تعالى ، قال الحافظ : «المراد باحتسبه ، صبر

---

(1) الدعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه ، أي هذا الصغير في الجنة لا يفارقها . وصحيح الإمام مسلم بشرح النووي ٢٧٩/١٦ ، ط مؤسسة قرطبة .

(2) صنفة صنفة الإزار بكسر النون طرفه مما يلي طُرّته . النهاية في غريب الحديث ، ٥٦/٣.

(3) صحيح الإمام مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ص ١٠٥٦ ط الأفكار الدولية .

(4) مسند الإمام أحمد ٣٥/٥ ، والحاكم في المستدرك ٣٨٤/١ ، وصححه . انظر : فضل الجلد عند فقدان الولد، ص٤.

على فقده راجياً الأجر من الله على ذلك ، وأصل الحسبة ـ بالكسر ـ الأجرة ، والاحتساب طلب الأجر من الله تعالى خالصاً»[1].

وكثيراً ما كان يبين ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأمته فضل الاحتساب في الأعمال ، وأنه سبب لتحصيل الثواب ، ومن ذلك قوله ﷺ عن صوم رمضان : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[2]

فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر للمدعوين ، فإن الاحتساب في أداء العمل ، وإخلاص النية لله تعالى سبب في تحصيل الثواب من رب العالمين . كما أن على الدعاة أيضاً أن يبينوا للمدعوين أن عليهم الرضا بما كتبه الله عليهم ، والصبر على ما يصيبهم من المصائب ، قال الحافظ ابن رجب[3]: «فالرضا فضل مندوب إليه مستحب ، والصبر واجب على المؤمن حتم ، وفي الصبر خير كثير ، فإن الله أمر به ، ووعد عليه جزيل الأجر ، قال الله عز وجل : ﴿...إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4] .

---

(1) فتح الباري ١١/٢٤٢ ـ ٢٤٣

(2) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب من صام رمضان إيمانا واحتساباً ونية ص ٣٦١ ، صحيح مسلم بلفظه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في قيام رمضان ، ص٢٩٩

(3) جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/٤٨٨ ، ط مؤسسة الرسالة.

(4) الزمر : ١٠ .

ثالثاً : تذكير المدعوين بعظمة الله وقدرته .

من واجب الدعاة إلى الله تعالى تذكير المدعوين بقدرة رب العالمين وأنه الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾[1] لا راد لقضائه، يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي من يشاء ويميت من يشاء، قال تعالى مبيناً قدرته على قبض الأرواح :﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[2].

رابعاً : الترغيب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله .

إن الترغيب بما عند الله من الأجر العظيم لعباده المؤمنين أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله، وفي حديث الباب يرغب ﷺ أمته بالصبر والاحتساب عند فقد الأحبة في الدنيا ليفوزوا بالرضاء من رب العالمين ودخول الجنة آمنين.

وفي حديث الباب يتبين لنا أن المسلم قد يفقد حبيبه في هذه الحياة، فإن صبر فله الأجر من الله كما بين عليه الصلاة والسلام .

فعلى الدعاة إلى الله بيان هذا الأمر للمدعوين.

---

(١) يس : ٨٢.

(٢) الجمعة : ٨.

خامساً : على الداعية أن يكون قدوة في الصبر عند فقد الأحبة .

إن المجتمع الدعوي بحاجة إلى من يقتدي به ، والدعاة إلى الله هم القدوة الحسنة لأبناء المجتمع الإسلامي ، فلا بد أن يتحلوا بالصبر عند فقد الأحبة ، قدوتهم في ذلك إمام الدعاة وسيد المرسلين ﷺ الذي ضرب أروع مثل عند فقده فلذةَ كبدِه وأحبُّ الناس إليه ولدَه إبراهيمَ، فقد صبر على فراقه ﷺ وقال : «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»[1] وقد بشر الله الصابرين عند المصيبة فقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾[2] . وأمر عليه الصلاة والسلام بالاسترجاع عند فقد الأحبة ، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم آجُرني في مصيبتي ، واخلف لي خيرا منها ، إلا آجره الله تعالى في مصيبته ، وأخلف له خيراً منها» . فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسولُ الله ﷺ ، فأخلف الله لي خيراً منه ، رسول الله ﷺ»[3]

---

(١) سبق تخريجه في ص ١٠٧٥ .

(٢) البقرة : ١٥٥ـ١٥٧

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند المصيبة، ص٣٥٦.

باب ما يتقى من فتنة المال[1]

وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[2]

١٧١- عن ابن عباس[3] - رضي الله عنهما - قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «لَوْ كَانَ لابْنِ آدم وَادِيَان منْ مَالٍ لابْتَغَى ثَالِثاً ، ولا يَمْلأ جَوْفَ ابنِ آدمَ إلا التُّرابُ ، ويَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تاب»[4].

رقم الحديث: [٦٤٣٦].

١٧٢- عن عباس بن سهل[5] بن سعد قال : سمعت ابن الزبير على المنبر بمكة في خطبته يقول: يا أيها الناس إن النبي ﷺ كان يقول : «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدم أُعطِيَ وَادِياً

---

(١) أي هذا باب في بيان ما يتقى - على صيغة المجهول - قوله : « من فتنة المال » أي الانتهاء به ، ومعنى الفتنة في كلام العرب : الاختبار والابتلاء . انظر : عمدة القاري ١٥/٥١٥

(٢) التغابن : ١٥

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) مطابقته للترجمة تؤخذ من معنى الحديث ؛ لأنه ﷺ أشار بهذا المثل إلى ذم الحرص على الدنيا والشره والازدياد ، وهذه آفة يجب الاتقاء منها .انظر : عمدة القاري للعيني ١٥/٥١٧
والحديث طرفه بنفس الباب برقم (٦٤٣٧) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة، باب « لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً » بنحوه . برقم (١٠٤٩)، ص ٤٠٢ .

(٥) عباس بن سهل بن سعد الساعدي المدني الفقيه أحد ثقات التابعين وثقه يحيى بن معين وغيره، وقد آذاه الحجاج وضربه واعتدى عليه لكونه من أصحاب ابن الزبير بن العوام، فجاء أبوه سهل بن سعد يشفع فيه وقال : ألا تحفظ فينا وصية رسول الله ﷺ : «أقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» فأطلقه . توفي سنة ١٢٠هـ تقريباً بالمدينة. انظر سير أعلام النبلاء ٥/٢٦١، وتهذيب التهذيب ٢/٢٨٩، ط مؤسسة الرسالة.

مَلأً مِنْ ذَهبٍ أحَبَّ إليْه ثَانِياً ، ولَوْ أُعْطِيَ ثَانِياً أحَبَّ ثَالِثاً ، ولا يَسُدّ جوْفَ ابْن آدَم إلا التُّرابُ ، ويَتُوبُ الله عَلَى منْ تَاب».

رقم الحديث: [٦٤٣٨].

١٧٣- عن أنس بن مالك أن رسولَ اللّه ﷺ قال : «لوْ أنَّ لابْن آدَم وَادِياً مِنْ ذَهبٍ أحبَّ أنْ يَكُونَ لهُ وَادِيَان ، ولَنْ يَمْلأ فَاه إلا التُّرَابُ ، ويتُوب اللّهُ عَلى مَنْ تاب»[1] .

رقم الحديث: [٦٤٣٩].

١٧٤- عن أبي بن كعب الأنصاري[2] قال : كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾[3].

رقم الحديث : [٦٤٤٠].

---

(١) وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب « لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً » بنحوه . برقم (١٠٤٨) ص٤٠٢ ، ط الأفكار الدولية .

(٢) هو سيد القراء، شهد العقبة وبدر، قال له النبي ﷺ «إن الله أمرني أن أقرأ عليك «لم يكن الذين كفروا» البينة [١]، مات بالمدينة سنة ٣٠هـ أسد الغابة ٥٧/١، والسير ٣٨٩/١ .

(٣) التكاثر : ١ .

الموضوع الدعوي

إن المال من الأشياء المحببة للنفس كما بين الله سبحانه ذلك في كتابه ، فقال تعالى : ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[1] ، وفي أحاديث الباب ما يبين هذا الأمر عند ابن آدم. قال الطيبي :« .. إن الآدمي مجبول على حب المال ، وإنه لا يشبع من جمعه إلا من حفظه الله تعالى ووفقه لإزالة هذه الجبلة عن نفسه وقليل ما هم»[2].

لكن مع ذلك فإن هذه الجبلة ممكن إزالتها ، وهو الذي يشعر به قوله : «ويتوب» حيث وضعه «موضعه إشعاراً بأن هذه الجبلة مذمومة جارية مجرى الذنب ، وأن إزالتها ممكنة بتوفيق الله وتسديده ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ ...وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3] ففي إضافة الشح إلى النفس دلالة على أنه غريزة فيها ، وفي قوله :﴿مَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ...﴾ إشارة إلى إمكان إزالة ذلك ، ثم رتب الفلاح على ذلك»[4].

وقول أبيّ بن كعب الأنصاري : كنا نرى هذا من القرآن ....« قال في إرشاد الساري : أي قوله ﷺ :«لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى واديا ثالثا» حتى نزلت ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ التي هي بمعنى الحديث فيما تضمنه من ذم الحرص على الاستكثار من جمع المال ، والتقرير بالموت الذي يقطع ذلك ولا بد لكل أحد منه ، فلما

---

(1) الفجر : ٢٠.

(2) فتح الباري ٢٥٦/١١

(3) التغابن : ١٦

(4) فتح الباري: ٢٥٦/١١

نزلت هذه السورة وتضمنت معنى ذلك مع الزيادة عليه علموا أن الحديث من كلامه عليه الصلاة والسلام وأنه ليس قرآناً .

وقيل : إنه كان قرآناً فلما نزلت ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ نسخت تلاوته دون حكمه ومعناه»[1] .

هذا وليعلم أن ما ورد في ذم المال هو ما كان من حرام ، أو أنفقه في حرام ، أو قصر في حق من حقوقه . قال ابن عبد البر : «إن كلَّ ما ورد في ذم المال ونقصه محله عند أهل العلم والفهم إن اكتسبها من حرام أو أنفقه فيه ، أو لم يؤد ما وجب عليه فيه ، فهذا هو المال المذموم ، والكسب الشؤم ، وأما إذا اكتسبه بوجه حل ، وصرفه في مصاريفه الشرعية ، فهذا هو المال الممدوح كاسبه ومنفقه، لا خلاف بين العلماء في ذلك، ولا يخالف فيه إلا من حرم أمر الله تعالى».[2]

الفوائد الدعوية :

أولا : ذم حب المال الملهي عن طاعة الله .

ثانياً : حثّ المدعوين على المسارعة بالتوبة من حب المال الملهي عن طاعة الله.

---

(1) إرشاد الساري ٨/٤٣٩، وانظر : عمدة القاري ١٥/٥١٩ ، إكمال المعلم بفوائد مسلم ، للقاضي عياض ، تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل ٣/٥٨٤ ـ ٥٨٥

(2) بلغة المراد في التحذير من الافتتان بالأموال والأولاد لشمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد البديري ص٢٥، ط دار الصحابة للتراث بطنطا.

ثالثاً : المنبر وسيلة من وسائل الدعوة .

رابعاً : تذكير المدعوين بنهايتهم بعد فراق الدنيا.

خامساً : نشر العلم الشرعي بين المدعوين.

سادساً : ضرب المثل أسلوب من أساليب الدعوة .

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولا : ذم حب المال الملهي عن طاعة الله .

في أحاديث الباب ذم حب المال، وأن النفس لا تشبع، ولا تقنع بالقليل منه،كما بين ذلك رسول الله ﷺ بقوله : «لَوْ كَانَ لابْن آدَم وَادِيَان منْ مَال لابْتَغَى ثَالثاً ، ولا يَمْلأ جَوْفَ ابنِ آدَم إلا التُّراب ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تاب» .

وكان ﷺ يخاف على أمته من الحرص على الدنيا والانشغال بزهرتها وزينتها الزائلة ، فعن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال : «جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال : «أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا» متفق عليه[1] .

وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبيﷺ فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس ،

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتامى ص ٢٨٥ ، وصحيح مسلم بنحوه ، كتاب الزكاة ، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ص ٤٠٣

فقال : «ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[1].

فينبغي على المسلم الحذر من حب المال المؤدي إلى الغفلة عن طاعة الله، وأن يكون حبه للمال على الحد المشروع قدوته في ذلك نبيه محمد ﷺ ، حيث ضرب ﷺ أروع المثل في ذلك حين رحيله من هذه الحياة الدنيا ، حيث لم يخلف ﷺ دينارا ولا درهما. فعن عمرو بن الحارث أخي جويرية أم المؤمنين ـ رضي الله عنهما ـ قال : ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمةً ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه» .[2]

ثانياً : حثّ المدعوين على المسارعة بالتوبة من الحرص على المال الملهي عن طاعة الله.

إن الإقبال على الدنيا من حب للمال وغيره مما يكون سببًا للاعراض عن طاعة الله أو التساهل فيما أوجب الله عليه مذموم، ولذلك ينبغي للمسلم أن يبادر إلى التوبة من هذا الأمر ، وقد فسر العلماء قوله ﷺ : «ويتوب الله على من تاب» أي أن الله يقبل التوبة من الحريص كما يقبلها من غيره»[3]، والتوبة واجبة على كل مسلم ، وقد ندب الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا

---

(1) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب الزهد في الدنيا ١٣٧٤/٢ ، والحاكم في المستدرك ، كتاب الرقاق ٣١٣/٤ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(2) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ص ٨٤٣ .

(3) فتح الباري ٢٥٦/١١

﴿الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] ، وقال عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[2] . فعلى الدعاة حثّ المدعوين على المسارعة في التوبة من الإقبال على الدنيا ، ونسيان الآخرة .

ثالثاً : المنبر وسيلة من وسائل الدعوة .

إن المنبر له دوره في نشر الدعوة إلى الله ، وفي قول عباس بن سهل بن سعد سمعت ابن الزبير على المنبر بمكة في خطبته يقول : «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ أُعطِيَ وَادِياً مَلأً مِنْ ذَهبٍ أَحَبَّ إِلَيْه ثَانِياً ، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِياً... الحديث ، ما يبين أهمية المنبر ، وأنه وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، ونشر العلم الشرعي.

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله استغلال هذه الوسيلة في نشر الدعوة إلى الله والعلم الشرعي بين المسلمين.

رابعاً : تذكير المدعوين بنهايتهم بعد فراق الدنيا.

إن القبر هو أول مقر العبد بعد فراقه للدنيا ، وفي ذكرالتراب في أحاديث الباب ما يبين «أن المرأ لا ينقطع طمعه حتى يموت ، فإذا مات كان من شأنه أن يدفن ، فإذا دفن صب عليه التراب فملأ جوفه وفاه وعينه ، ولم يبق منه موضع يحتاج إلى تراب

---

[1] النور ٣١

[2] التحريم ٨

غيره»[1]

وإن هذا الوصف من رسول الله ﷺ أن ابن آدم يطلب الدنيا ولن يشبع منها حتى يملأ جوفه وفاه التراب لموعظة عظيمة من رسول الله ﷺ بالحذر من الغرور بهذه الحياة ، وأن نهايته بعد ذلك هي الانقطاع عن الدنيا بهذه الصفة بعد أن كان يسكن أفخم القصور ، ويركب أعظم المراكب ، ويطلب الزيادة ، ولا يبقى له إلا عمله الصالح الذي قدمه ، وما سخره من ماله لخدمة الإسلام والمسلمين ، كما بين ذلك رسول الله ﷺ بقوله : «إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له»[2] . فما أجمل أن يذكّر الدعاة المسلمين بالنهاية التي لا مفر منها ، وأن مال المسلم الحقيقي هو ما قدمه كما قال ﷺ : «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟» قالوا : يا رسول الله ، ما منّا أحد إلا ماله أحبَ إليه . قال : «فإن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر»

خامساً : نشر العلم الشرعي بين المدعوين.

في قول عباس بن سهل : سمعت ابن الزبير على المنبر بمكة في خطبته يقول : «لَوْ أنَّ ابْنَ آدَم أُعطِيَ وَادِياً مَلأً مِنْ ذَهبٍ ....» ما يدل على حرص ابن الزبير على نشر العلم الشرعي الذي سمعه من رسول الله ﷺ ، وفي هذا إنفاذٌ لأمره ﷺ لأمته بنشر

---

[1] فتح الباري ١١/ ٥٣١

[2] صحيح مسلم ، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ص.٦٧

العلم وتبليغه ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضي الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ قال : «بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

ودعا عليه الصلاة والسلام لمن نشر العلم ، وذلك في الحديث الذي رواه ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «نضَّر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع ، فرب مبلغ أوعى من سامع».[1]

ومن أهم ما يقوم به الدعاة إلى الله في المجتمع الدعوي هو نشر العلم الشرعي، وتوجيه الناس بما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم ، فإن في ذلك الخير الكثير والنفع العظيم .

سادساً : ضرب المثل أسلوب من أساليب الدعوة .

في أحاديث الباب أراد النبي ﷺ أن يصور لنا جانبا من الطبائع التي جبل عليها الناس وهي حب المال ، وأنه يحب الاستزاد والتكاثر فيه دائما ، حتى إنه لو أعطي واديين من ذهب على كثرته وكفايته له في حياته لتمنى ثالثاً ، ولو أعطي ثالثا لتمنى رابعاً ، فهو حريص جشع في طبيعته لا يكفيه ما يمتلكه حتى لو كان كثيرا زائدا عن حاجته الضرورية.

وقد أعطي رسول ﷺ جوامع الكلم ، فصور هذا الجانب من طبيعة البشرية

---

(1) سبق تخريجه، ص.٢٢ .

بضرب المثل ، تقريباً لذلك المعنى ، وتجلية لتلك الطبيعة الدفينة في أسلوب واضح سهل موجز خال من التكلف والافتعال .

فعلى الدعاة إلى الله أن يقتفوا أثر رسولهم وإمامهم في هذا الأسلوب حتى يكتب لدعوتهم القبول لدى المدعوين عامتهم وخاصتهم على وجه السواء.

باب ما قدم من ماله فهو له [1]

١٧٥- عن عبد الله[2] قال قال النبي ﷺ «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِه أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِه ؟» قالوا :يا رسول الله مَا مِنَّا أَحَدٌ إلا مَالُه أَحَبُّ إِلَيْه . قال« فَإِنَّ مَالَه مَا قَدَّمَ وَمَال وارِثه مَا أَخَّر »[3].

رقم الحديث: [٦٤٤٢].

الموضوع الدعوي

في حديث الباب يبين لنا رسول الله ﷺ فضل الإنفاق في هذه الحياة الدنيا، وأن مال الإنسان في الحقيقة هو ما قدمه لينال الأجر العظيم في الآخرة، وقد سأل رسول الله ﷺ أصحابه :أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِه أَحَبُّ إِلَيْه مِنْ مَالِه ؟» قالوا «يا رسول الله مَا مِنَّا أَحَدٌ إلا مَالُه أَحَبُّ إِلَيْه . قال «فَإِنَّ مَالَه مَا قَدَّمَ وَمَال وارِثه مَا أَخَّر» . وهكذا بين رسول الله ﷺ لأصحابه أن مال الإنسان حقيقة هو ذلك المال الذي أنفقه في وجوه الخير وهو حي، وأن المال الذي يخلفه لورثته لا يعد من ماله هو، إذ قد غادر الحياة وأصبح ملكاً لورثته.

---

(١) أي هذا باب في بيان حال من قدم ، أي الإنسان المكلف ، فهو له يجد ثوابه يوم القيامة . انظر : عمدة القاري ٥٢٢/١٥
والضمير هنا يعود للإنسان المكلف ، وقد حذف للعلم به وإن لم يجر له ذكر . انظر : فتح الباري ٢٦٠/١١.

(٢) سبقت ترجمته، انظر ص ٩٤ .

(٣) مطابقته للترجمة ظاهرة: عمدة القاري ٥٢٢/١٥.

قال ابن بطال: «فيه التحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه القربة والبر لينتفع به في الآخرة، فإن كل شيء يخلفه المورث يصير ملكاً للوارث، فإن عمل فيه بطاعة الله اختص بثواب ذلك، وكان ذلك الذي تعب في جمعه ومنعه، وإن عمل فيه بمعصية الله فذاك أبعد لمالكه الأول من الانتفاع به إن سلم من تبعته».[1] ولهذا قال الحافظ في الفتح في شرحه حديث الباب: «ولا يعارضه قوله ﷺ لسعد: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة»[2] لأن حديث سعد محمول على من تصدق بماله كله أو معظمه في مرضه، وحديث ابن مسعود في حق من تصدق في صحته وشحه».[3]

الفوائد الدعوية:

أولاً: حض المسلم على تقديم ما ينفعه من الأعمال في الآخرة.

ثانياً: طرح السؤال أسلوب من أساليب لفت انتباه المدعوين.

ثالثاً: أدب طالب العلم مع العالم.

رابعاً: المال وسيلة من وسائل خدمة الدين ومساعدة المحتاجين.

---

[1] فتح الباري ١١/٢٦٠.

[2] صحيح البخاري مطولاً، كتاب المغازي، باب حجة الوداع ص ٨٣٣، ومسلم بلفظه، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث ص ٦٦٧ ـ ٦٦٨

[3] فتح الباري ١١/٢٦٠.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: حض المسلم على تقديم ما ينفعه من الأعمال في الآخرة.

في توجيهه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لصحابته الكرام بأن مال المسلم ما قدَّم، ومال الوارث له ما أخَّر ما يجعل المسلم حريصاً على القربات التي تنفعه في الآخرة، من تقديم الصدقات، وفعل الخيرات، وتقديمها لعباد الله المؤمنين ابتغاء لوجه الله ورحمته الواسعة، وقد بين سبحانه وتعالى فضل الإنفاق في سبيله فقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [1] وقال ـ عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو هريرة: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة» [2].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنهم ذبحوا شاةً، فقال النبي ﷺ: «ما بقي منها؟» قالت: ما بقي منها إلا كتفها، فقال ﷺ: «بقي كلها غير كتفها». [3]

قال الإمام الترمذي: «ومعناه: تصدقوا بها إلا كتفها، فقال: بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها» [4]

---

(1) البقرة ٢٧٢

(2) صحيح الإمام البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة ص ٢٧٦، وصحيح مسلم بزيادة «فمن لم يجد فبكلمة طيبة» كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، ص ٣٩٢

(3) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب فضل التصدق ١٨٣/٨

(4) المرجع السابق.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها إلا أدخله الله تعالى بها الجنة»[1].

وفي هذه الأحاديث ما يبين فضل الإنفاق، وأن هذا ما يبقى للمؤمن عند الله إن صاحب عمله الإخلاص لله تعالى.

فعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للمدعوين أهمية الإنفاق في سبل الخير، وأن ما يقدمه الإنسان المؤمن في هذه الحياة الدنيا رجاء ما عند الله هو المكسب العظيم الذي يجده يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[2]، و ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[3].

ثانياً: طرح السؤال أسلوب من أساليب لفت انتباه المدعوين.

إن من الأساليب الدعوية الناجحة لتعليم المدعوين طرح السؤال عليهم وطلب الإجابة، ففي هذا لفت لانتباههم، ويعين الداعية في التعرف على مستوى المدعوين العلمي والعقلي، بالإضافة إلى ما فيه من تشويق للمدعوين إلى استماع الإجابة،

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب فضل المنيحة ص ٤٩٧

(2) آل عمران: ٣٠

(3) الشعراء ٨٨ ـ ٨٩

والقضاء على السآمة والملل الذي قد يعتري المستمع من طول الكلام، فهو أسلوب ناجح جيد وقد استعمله إمام الدعاة ﷺ في حديث الباب، حيث طرح ﷺ سؤالاً على صحابته الكرام قائلاً: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِه أَحَبَّ إِلَيْه منْ مَاله ؟» قالوا: يا رسول الله مَا منَّا أَحَدٌ إلا مَالُه أَحَبُّ إِلَيْه. قال: « فَإِنَّ مَالَه مَا قَدَّمَ وَمَال وارِثه مَا أَخَّر» .

واستعمل ﷺ هذا الأسلوب في مواطن متعددة، من ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس ؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال ﷺ: « إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مال هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فَيعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فَطُرحت عليه، ثم طرح في النار» .[1]

ومنه أيضاً ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»[2]. فما أحسن أن ينهج الدعاة إلى الله تعالى هذا المنهج النبوي في تعليم الناس وبيان أمور الدين لهم عبر طرح الأسئلة ثم الإجابة عليها.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ص ١٠٤٠.

(2) المرجع السابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ص ١٠٤٢

ثالثاً: أدب طالب العلم مع العالم.

إن المتأمل في سيرة صحابة رسول الله ﷺ يجد حسن تأدبهم مع نبيهم في الجواب، ومن مظاهر ذلك ما يتكرر في الأحاديث من جملة « اللهُ ورسوله أعلم» حين يجيبونه على الأسئلة التي يطرحها عليهم لأول وهلة حتى وإن كانوا يعرفون الإجابة عليها، وذلك من باب تأدبهم مع رسولهم ومعلمهم، وإنفاذا لأمر ربهم إياهم بعدم التقدم على نبيهم حيث يقول جل وعلا:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، وقد يجيبون على أسئلته إن كانوا يعرفون الجواب عليها، مع مراعاة التأدب في ذلك.

وفي حديث الباب نرى هذا الأمر واضحاً جلياً حيث أجابوه ﷺ بقولهم: « ما منا أحد إلا ماله أحب إليه » حين كانت الإجابة معروفة لديهم، فهذا من حسن تأدبهم معه عليه الصلاة والسلام[2].

رابعاً: المال وسيلة من وسائل خدمة الدين ومساعدة المحتاجين.

في حديث الباب لم ينكر الرسول ﷺ على أصحابه حبهم للمال حينما قالوا له ﷺ: ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، وإنما بين لهم أن المال الذي ينفع صاحبه هو ما يقدمه رجاء ثوابه يوم القيامة.

---

(1) الحجرات: ١

(2) سبق الاشارة إلى مثل هذه الفائدة، انظر ص ٤٢٣ .

إن طلب المال بنية صرفه في سبيل الله أمر يحث عليه الإسلام ؛ لما فيه من الخير العظيم لصاحبه في الدنيا والآخرة، وقد ذكر رسول الله ﷺ ذلك لأبي ذر رضي الله عنه، فعن زيد بن وهب قال: قال أبو ذر: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة فاستقبلنا أُحداً فقال: «يا أبا ذر» قلت: لبيك يا رسول الله قال: «ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبا تمضي علي ثالثة وعندي منه دينار إلا شيئا أرصده لدين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا» ـ عن يمينه وشماله ومن خلفه ـ ثم مشى ثم قال: «إن الأكثرين هم المقلون يوم القيامة، إلا من قال هكذا وهكذا ـ عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ـ وقليل ما هم..»[1]

قال الحافظ في شرح هذا الحديث: «فيه الحث على الإنفاق في وجوه الخير، وأن النبي ﷺ كان في أعلى درجات الزهد في الدنيا بحيث إنه لا يحب أن يبقى بيده شيء من الدنيا إلا لإنفاقه فيمن يستحقه، وإما لإرصاده لمن له حق..»[2]

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهباً» ص ١٢٧٣، ومسلم بلفظه، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة ص ٣٨٥

(2) فتح الباري ٢٧٠/١١.

باب الغنى غنى النفس[1]

وقوله تعالى[2]:﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾[3]

إلى قوله تعالى:﴿ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾[4]

قال ابن عيينة:لم يعملوها ولا بد من أن يعملوها[5].

١٧٦- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:«لَيْس الغِنَى عنْ كَثْرَة العَرَض، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْس»[6].

رقم الحديث: [٦٤٤٦].

---

(١) أي هذا باب يذكر فيه الغنى غنى النفس سواء كان الشخص متصفاً بالمال الكثير أو القليل . انظر : عمدة القاري ٥٢٨/١٥

(٢) غرض البخاري من ذكر الآية أن المال مطلقاً ليس خيرا ، وقوله : « أيحسبون » الآية نزلت في الكفار ، وليست بمعارضة لدعائه ﷺ لأنس بكثرة المال والولد ، ولا شك أن ما يعطيه جلّ وعلا لأعداء الله من مال وبنين في هذه الحياة الدنيا ليس تكريما لهم ، وإنما هو استدراج كما قال تعالى : [وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا] . [آل عمران:١٧٨ وانظر عمدة القاري ، ٥٢٩/١٥.

(٣) المؤمنون : ٥٥.

(٤) المؤمنون : ٦٣.

(٥) أي قال سفيان بن عيينة في تفسير قوله تعالى : [بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ] [المؤمنون: ٦٣]، حاصله : كتبت عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لتحق عليهم كلمة العذاب . انظر : عمدة القاري ٥٢٩/١٥.

(٦) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة ، والحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة ، باب ليس الغنى عن كثرة العرض ، برقم (١٠٥١)

غريب الحديث:

الْعَرَض:المتاع وكل شيء سوى النقدين[1].

قال القرطبي: وفي كتاب العين:العَرَض:ما نيل من الدنيا، ومنه قوله تعالى:﴿ **تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا** ﴾[2] وجمعه:عروض.[3]

الموضوع الدعوي

يربي الإسلام المسلم على البعد عن زهرة الحياة الدنيا وملذاتها، ويجعل المال في يده لا في قلبه ؛ لتبقى نفسه غنية حتى ولو لم يكن يملك من الدنيا شيئاً، وهذه حقيقة الغنى.

قال ابن بطال:« ليس حقيقة الغنى كثرة المال ؛ لأن كثيراً ممن وسع الله عليه في المال لا يقتنع بما أوتي، فهو يجتهد في الازدياد، ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير لشدة حرصه. إنما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى بما أوتي وقنع به، ورضي ولم يحرص على الازدياد، ولا ألحَ في الطلب، فكأنه غنيٌّ».[4]

ومناسبة الآيات لحديث الباب ـ كما قال الحافظ ـ «أن خيرية المال ليست لذاته

---

(1) القاموس المحيط، ص.٥٨٠، ط دار الفكر.

(2) الأنفال: ٦٧

(3) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ٣/٩٥

(4) فتح الباري ١١/٢٧٢، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم

بل بحسب ما يتعلق به وإن كان يسمى خيراً في الجملة، وكذلك صاحب المال الكثير ليس غنيا لذاته بل بحسب تصرفه فيه، فإن كان في نفسه غنياً لم يتوقف في صرفه في الواجبات والمستحبات من وجوه البر والقربات، وإن كان في نفسه فقيراً أمسكه، وامتنع من بذله فيما أمر به خشية من نفاده، فهو في الحقيقة فقير صورة ومعنى وإن كان المال تحت يده ؛ لكونه لا ينتفع به في الدنيا ولا في الأخرى، بل ربما كان وبالاً عليه»[1]؛ لهذا أثنى الله على عباده المؤمنين الذين سخروا أموالهم لطاعة الله، وانتفعوا بها في الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2] فما أعظم هذا الدين الذي يسمو بالنفس البشرية إلى العلو، وما أحسن قول الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مال ** ولكن التقيّ هو السعيد[3]

الفوائد الدعوية:

أولاً: تربية المدعوين على غنى النفس.

ثانياً: التسليم بقضاء الله وقدره من صفات المؤمنين.

ثالثاً: اهتمام الإسلام بنفسية المسلم.

---

(1) فتح الباري ١١/٢٧٢

(2) الحشر : ٩

(3) مجمع الحكم والأمثال لأحمد قبس، ص٢١٥، ط دار العروبة - دمشق.

الدراية الدعوية للفوائد:

أولاً: تربية المدعوين على غنى النفس.

يربي النبي ﷺ أصحابه على العزة وعلو الهمة، وعلى الابتعاد عن الضعف أمام مغريات هذه الدنيا الفانية، ومن عزة المسلم أن يكون غني النفس.

وفي غنى النفس مصالح عظيمة للمؤمنين، قال القرطبي: «إن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس، وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزت وعظمت، فجعل لها من الحظوة والنزاهة والتشريف والمدح أكثر ممن كان غنيا بماله فقيراً بحرصه وشرهه، فإن ذلك يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لبخله ودناءة همته، ويكثر ذامه من الناس، ويصغر قدره فيهم، فيكون أحقر من كل حقير، وأذل من كل صغير»[1].

ثانياً: التسليم بقضاء الله وقدره من صفات المؤمنين.

إن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان التي يؤمن بها المسلم، كما في حديث عمر رضي الله عنه في قصة جبريل ورسول الله ﷺ، وفيها قال: أخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره....»[2] الحديث.

---

(1) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ٣/ ٩٥، ط دار ابن كثير، ودار القلم الطيب، دمشق بيروت.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ص ٣٦.

ثم «إن غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره»[1] وقد قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[2] وقال ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[3]. لذا ينبغي على الدعاة إلى الله تأصيل هذا المعتقد في نفوس المدعوين؛ لكونه من أعظم أسباب غنى النفس عند المسلم.

ثالثاً: اهتمام الإسلام بنفسية المسلم.

اهتم الإسلام بنفسية المسلم اهتماماً كبيرا، ورفعها إلى مكارم الأخلاق والعزة وعلو الهمة، وفي حديث الباب نرى جانبا من هذه العناية والاهتمام، حيث عالج رسول الله ﷺ مشكلة من المشاكل النفسية، حيث قد يقلق المسلم في حياته أمام خسارته المالية، أو على قلة ماله، فجعل الإسلام نفوس المسلمين أكبر من ذلك، حيث جعل الغنى غنى النفس، وليس الغنى بكثرة الأموال والأولاد فقال ﷺ: «لَيْسَ الغِنَى عنْ كثْرَةِ العَرَضِ، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

---

(1) فتح الباري ١١/٢٧٢.

(2) يونس: ١٠٧.

(3) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة، قال: أبو عيسى حديث حسن صحيح، ٧/٢٠٣-٢٠٤، وهذا الحديث أحد أحاديث الأربعين النووية.

وبهذا المبدأ العظيم الذي رسمه رسول الله ﷺ ترتاح نفسية المسلم، وقد بين عليه الصلاة والسلام فضلَ نعم الله على عبده التي هي سبب للراحة النفسية وعدم القلق فقال:«من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في بدنه، وعنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[1]. وبين عليه الصلاة والسلام أن الاهتمام بكثرة العرض سبب للقلق النفسي وتوقع الفقر فقال:«من كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه». نسأل الله السلامة والعافية.

إن المسلم الذي يعيش وفق المنهج النبوي في حياته، واقتنع بما قسم الله له من الأرزاق والأولاد، عاش ـ بمشيئة الله ـ سليما معافى من الأمراض النفسية التي انتشرت كثيرا في هذا العصر.

---

(1) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب من بات آمنا في سربه ٩٣/٧ قال أبو عيسى: حسن غريب

باب كيف كان عيش رسول الله ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا [1]

١٧٧- عن عائشة[2] -رضي الله عنها- قالت: مَا أكَلَ آل مُحمَّدٍ ﷺ أكْلَتَيْن في يَوْمٍ واحِدٍ إلا أحدهما تمرٌ.[3]

رقم الحديث: [٦٤٥٥].

١٧٨- وعنها -رضي الله عنها- قالت: كَان فِراشُ رسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أدمٍ[4] وحشوَةٍ مِنْ ليفٍ[5].

رقم الحديث: [٦٤٥٦].

---

(1) أي: هذا باب في بيان كيفية عيش النبي ﷺ وكيفية عيش أصحابه رضي الله عنهم وفي بيان تخليهم. أي: تركهم الملاذ والشهوات من الدنيا، عمده القاري، ٥٣٣/١٥.

(2) سبقت ترجمتها رضي الله عنها.

(3) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة، انظر: عمدة القاري ٥٣٨/١٥
والحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٧١)

(4) الأدم: الأدمة محركة: باطن الجلد التي تلي اللحم أو ظاهرها الذي عليه الشعر. القاموس المحيط ص٩٦٩.

(5) مطابقته للترجمة ظاهرة. انظر: عمدة القاري ٥٣٨/١٥
والحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس والاقتصار على الغليظ منه واليسير في اللباس والفراش وغيرهما، بنحوه، برقم ٢٠٨٢.

١٧٩- عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهم ارْزُقْ آلَ مُحَمدٍ قُوتًا»[(١)].

رقم الحديث: [٦٤٦٠].

الموضوع الدعوي

لقد كان بيت النبوة يعيش عيشة الزهد في هذه الحياة الدنيا، فالطعام فيه قليل، والفراش فيه متواضع، وآثر عليه الصلاة والسلام الآخرة على الدنيا الفانية فقال: «اللَّهم ارْزُقْ آلَ مُحَمدٍ قُوتًا» ويصف هذا الأمر من قلب بيت النبوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فتقول: «مَا أكَلَ آلُ مُحمَدٍ ﷺ أكلَتَيْن في يَوْمٍ واحِدٍ إلا أحدهما تمرٌ». قال الحافظ ابن حجر: «فيه إشارة إلى أنهم ربما لم يجدوا في اليوم إلا أكلة واحدة»[(٢)].

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بما يمر عليه في بيته من شغف العيش فقال ﷺ: «لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون ما بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله أحد إلا شيء يواريه إبط بلال»[(٣)].

---

(١) مطابقته للترجمة من حيث إن فيه طلب الكفاف وفضله، وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك، وهكذا كان عيشه ﷺ. انظر: عمدة القاري ١٥/٥٤٠.
والحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة برقم ١٠٥٥.
قوتًا: أي ما يسد الرمق.

(٢) فتح الباري ١١/٢٩٢

(٣) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب بعض ما لاقاه ﷺ في أول أمره ٧/١٧٤. قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

ومنها ما رواه النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ قال: ذكر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ما أصاب الناس من الدنيا فقال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي، ما يجد دَقَلاً ما يملأ به بطنه»[1].

أما حال أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ فقد تركوا الدنيا حباً لدين الله، وطمعاً فيما عند الله في دار الآخرة بعد أن كانوا يعيشون في نعيم الدنيا وزخرفتها. فهذا خباب ابن الأرت يذكر حال مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ عند موته فيقول: «هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله تعالى فوقع أجرنا على الله، فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ قتل يوم أحد وترك نمرة، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا بها رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئاً من الاذخر[2]، ومنا من أينعت له ثمره فهو يهدبها»[3].

وقد استشكل على بعض الناس كون النبي ﷺ وأصحابه يطوون الأيام جوعى مع ما ثبت أنه كان يرفع لأهله قوت سنة، وأنه قسم بين أربعة أنفس ألف بعير مما أفاء الله تعالى عليه، وأنه عليه الصلاة والسلام ساق في عمرته مائة بدنة، فنحرها وأطعمها المساكين، وأنه أمر للأعرابي بقطع من الغنم، وغير ذلك، مع ما كان معه من

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق برقم (٢٩٧٨)، ص ١١٩٤

(2) الاذخر: نبت معروف طيب الرائحة.

(3) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا لم يجد كفناً ص ٢٤٩، وصحيح مسلم بنحوه، كتاب الجنائز، باب في كيفية تكفين الميت ص ٣٦٤

أصحاب الأموال، كأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم -رضي الله عنهم- مع بذلهم أنفسهم وأموالهم بين يديه ﷺ.

وقد أجاب الإمام الطبري عن ذلك فقال: «والجواب أن ذلك كان منهم في حالة دون حالة لا لعوز وضيق، بل تارة للإيثار وتارة لكراهة الشبع ولكثرة الأكل»[1].

وتعقب الحافظ ابن حجر كلام الإمام الطبري فقال: «وما نفاه مطلقاً فيه نظر؛ لما ورد من الأحاديث التي تبين كيف كان حال عيش رسول الله ﷺ، والحق أن الكثير منهم كانوا في حال ضيق قبل الهجرة، حيث كانوا بمكة، ثم لما هاجروا إلى المدينة كان أكثرهم كذلك، فواساهم الأنصار بالمنازل والمنائح، ولما فتحت لهم النضير وما بعدها ردوا عليهم منائحهم»[2].

الفوائد الدعوية:

أولاً: دور المرأة الصالحة في حياة الداعية.

ثانياً: إيثاره عليه الصلاة والسلام الآخرة على الدنيا.

ثالثاً: أن يكون الدعاة قدوة في إقبالهم على الآخرة.

رابعاً: تواضعه ﷺ.

---

(1) فتح الباري ١١/٢٩١

(2) المرجع السابق ١١/٢٩٢

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: دور المرأة الصالحة في حياة الداعية.

إن المرأة الصالحة لها أثرها الفعال في نجاح الدعوة إلى الله تعالى، وفي حديث الباب ما يدل على موقف أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ المشرف من العيش الذي كان يعيشه ﷺ، فإنها لم تسقه على سبيل السخرية، وإنما ساقته على سبيل الاطمئنان والرضا. وهكذا كانت المرأة تخدم الدعوة بكل ما تستطيع، والسنة العطرة مليئة بالمواقف المشرفة للمرأة، من ذلك ما قامت به أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ أثناء هجرة رسول الله ﷺ، حيث وضعت لها زاداً، ووضعته في جراب، وقطعت من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق، وفي رواية: ذات النطاقين»[1].

لذا يظهر لنا اهتمام الرسول ﷺ بالحرص على الزواج بالمرأة الصالحة حيث يقول ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[2]، فعلى الداعية إلى الله الحرص على اختيار المرأة الصالحة التقية لتعينه ـ بعد توفيق الله ـ على مسيرة الدعوة، وتحمل المشاق والمصاعب في سبيلها.

---

(1) فتح الباري ١٥ وانظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص٢٦٨ط مؤسسة الملك فيصل.

(2) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ص ٥٨٥

ثانياً:إيثاره عليه الصلاة والسلام الآخرة علـــى الدنيا.

لقد ضرب ـ عليه الصلاة والسلام ـ أروع المثل في هذا الأمر، حيث لم يعر هذه الحياة الفانية أي بال، وعمرها بطاعة الله مع ما عرض عليه من التوسع والتبسيط في الدنيا، كما في حديث أبي أمامة الذي أخرجه الترمذي أنه ﷺ قال:«عرض عليَ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا، قلت:لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوما، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك» .[1]

وربى عليه الصلاة والسلام أصحابه على ذلك إذا رآهم يقبلون على الدنيا وزهرتها، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال:مر علينا رسول اللهﷺ ونحن نعالج حصا [2] لنا فقال:« ما هذا؟» فقلنا:قد وهى ونحن نصلحه، فقال:« ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك» [3].

قال في إرشاد الساري:وفي قوله ﷺ :«اللَّهم ارْزُقْ آلَ مُحَمدٍ قُوتًا» فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا، والزهد فيما فوق ذلك، رغبةً في توفير نعمة الآخرة» [4]. فقد

---

(1) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه، وقال حديث حسن ٧/٩٤-٩٥.

(2) بيت من خشب وقصب

(3) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه ٧/٧٨، وأبو داود في سننه بنحوه، كتاب الأدب، باب ما جاء في البناء، وابن ماجه في سننه بنحوه، كتاب الزهد، باب في البناء والخراب ٢/١٣٩٣

(4) إرشاد الساري ١٢/٤٦١

خرج رسول الله ﷺ من هذه الدنيا ولم يخلف شيئاً من المال، فعن عمرو بن الحارث أخي جويرة أم المؤمنين - رضي الله عنهما - قال «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً، ولا عبداً ولا أمةً، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه، وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة»[1].

ثالثاً، أن يكون الدعاة قدوة في إقبالهم على الآخرة.

بين الله سبحانه وتعالى أن نبيه محمداً ﷺ هو القدوة للمؤمنين فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]، وقد تبين لنا في أحاديث الباب كيف كان عيشه صلى الله عليه وسلم، واقتفى أصحابه البررة - رضوان الله عليهم - أثره في إيثار الكفاف في العيش على الدنيا وزخرفها، وعاشوا معه ﷺ بصبر وتحمل إيثاراً للآخرة الباقية على الدنيا الفانية، يصف هذا الأمر الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - فيقول: «والله إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، ورأيتنا نغزوا ما لنا طعام نأكله إلا ورق الحُبْلة[3] وهذا السمر، وإن أحدنا ليضع كما تضع الشاة......»[4].

---

(1) سبق تخريجه، ص١٠٨٦ .

(2) الأحزاب : ٢١

(3) الحبلة : بضم الحاء وإسكان الباء وهي السَمُرُ نوعان معروفان من شجر البادية.

(4) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب كيف كان يعيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ص ١٢٣٩ ، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب الزهد والرقائق ، حديث رقم (٢٩٦٦) ص١١٩٠ .

ويقول عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من الأنصار فسلم عليه ثم أدبر الأنصاري، فقال رسول الله ﷺ: «يا أخا الأنصار كيف أخي سعد بن عبادة؟» فقال: صالح. فقال رسول الله ﷺ: «من يعوده منكم؟» فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نمشي في تلك السباخ حتى جئناه، فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه»[1].

ويقول أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن أهل الصفة: «لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته»[2].

وسار على نهجهم السلف الصالح من العلماء الربانيين، فآثروا الآخرة على الدنيا الزائلة، فهذا إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى «يتعفف من أعطيات السلطان والأخذ من أيدي الناس وإن لحقته الفاقة، يظن الظان أن لديه من الثراء ما ينافس به أهل الدنيا في دنياهم.... وجملة ما ذكرته المصادر أن له داراً في بغداد ملحقا بها جوانب مؤجرة فينفق من غلالها»[3].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في عيادة المريض ص ٣٥٨

(2) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد ص ١٠٦

(3) المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل ٣٤١/١ طبعة مجمع الفقه الإسلامي بجدة للدكتور بكر أبو زيد.

وإذا كانت هذه هي حياة رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، والسلف الصالح، فإن على الدعاة السير على هذا الطريق من الإقبال على الآخرة، والزهد من الدنيا الفانية، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس».

رابعاً: تواضعه ﷺ.

تصف لنا أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ تواضعه ﷺ في أثاث بيته فتقول ـ رضي الله عنها ـ: «كَان فِراشُ رسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أدمٍ وحشْوه مِنْ ليف».

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ ينام على حصير حتى يتأثر جنبه ﷺ ويشق ذلك على صحابته، فيستأذنونه في اتخاذ وطاء له، ولكنه يعرض عن الدنيا ومتاعها الزائلة. فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً؟ فقال: «ما لي وما للدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[1].

---

[1] سنن الترمذي كتاب الزهد، باب ما أنا في الدنيا إلا كراكب ٧/١١٠، وابن ماجه في سننه مطولاً، كتاب الزهد، باب ضجاع آل محمد ﷺ ٢/١٣٩٠ ـ ١٣٩١

باب القصد والمداومة على العمل[1]

١٨٠- عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ، وأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى اللَّهِ وَإِنْ قَلَّ».[2]

رقم الحديث: [٦٤٦١].

الموضوع الدعوي

إن منهج الإسلام في العبادة منهج عظيم، يجعل النفوس تقبل عليها دون ملل أو كلل، وفي حديث الباب يبين رسول الله ﷺ المنهج الإسلامي في العبادة، وهو أن يسلك المسلم في عبادته مع ربه الاعتدال، فلا إفراط ولا تفريط، وأن أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ، كما في قوله ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ، وأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى اللَّهِ وَإِنْ قَلَّ»

وقد بين عليه الصلاة والسلام أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله، وفي رواية أخرى قال ﷺ «سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يدخل أحداً الجنة عمله، قالوا: ولا أنت يا

---

(١) أي هذا باب في بيان استحباب القصد، وهو السلوك في الطريق المعتدلة. والمداومة: أي وفي بيان المداومة على العمل الصالح. انظر: عمدة القاري ١٥/٥٤٢

(٢) مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة في قوله: «وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ». انظر: عمدة القاري ١٥/٥٤٢ والحديث طرفه بنفس الباب حديث رقم ٦٤٦٧.
وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، رقم الحديث: ٧٨٢.

رسول الله !؟ قال:ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة وبرحمة» [1]

وقد أشكل على البعض ما ورد في حديث الباب وغيره من الأحاديث بنفس المعنى، وما ذكره الله في كتابه، وهو قوله تعالى:﴿ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[2]

قال ابن بطال ما حاصله:يجوز «أن تحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب الأعمال، وأن نحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها.

ثم أورد على هذا الجواب قوله تعالى:﴿ **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[3] فصرح بأن دخول الجنة أيضا بالأعمال، وأجاب بأنه لفظ مجمل يبينه الحديث، والتقدير:ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون، وليس المراد بذلك أصل الدخول.

ثم قال:ويجوز أن يكون الحديث مفسراً للآية، والتقدير:ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم وتفضله عليكم ؛ لأن اقتسام منازل الجنة برحمته، وكذا أصل دخول الجنة هو برحمته.......» [4]

---

(1) صحيح البخاري كتاب الرقاق ، الباب نفسه ص ١٢٤١.

(2) الزخرف : ٧٢

(3) النحل : ٣٢

(4) فتح الباري ١١/٢٩٥

وقال ابن الجوزي:يتحصل من ذلك أربعة أجوبة:

الأول: أن التوفيق للعمل من رحمة الله، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي تحصل بها النجاة.

الثاني: أن منافع العبد لسيده، فعمله مستحق لمولاه، فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله.

الثالث: جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة الله واقتسام الدرجات بالأعمال.

الرابع: أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير، والثواب لا ينفد، فالأنعام الذي لا ينفد في جزاء ما ينفد بالفضل لا بمقابلة الأعمال».[1]

وقال المازري:«ذهب أهل السنة إلى أن إثابة الله تعالى من أطاعه بفضل منه، وكذلك انتقامه ممن عصاه بعدل منه، ولا يثبت أحد منهما إلا بالسمع، وله سبحانه أن يعذب الطائع وينعم العاصي، ولكنه أخبر أنه لا يفعل ذلك وخبره صدق لا خلف فيه».[2]

---

(1) المصدر السابق ٢٩٤/١١

(2) فتح الباري ٢٩٧/١١

الفوائد الدعوية:

أولاً: تحذير المدعوين من الغرور بكثرة الأعمال.

ثانياً: بيان هدي الرسول ﷺ في عمله.

ثالثاً: رحمة الرسول ﷺ بأمته وشفقته عليهم.

رابعاً: حث المدعوين على التسديد والمقاربة في العمل.

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً:تحذير المدعوين من الغرور بكثرة الأعمال.

في قوله ﷺ « وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ» تحذير منه ﷺ لأمته من الغرور بكثرة العمل؛ لأن العمل مهما كثر وعظم في عين صاحبه فإن المعول عليه هو رحمة الله تعالى وفضله، ويتأكد هذا المعنى في قوله ﷺ «لن ينجيَ أحداً منكم عمله، قالوا:ولا أنت يا رسول الله ؟ ! قال:ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة» ؛ لأنه إذا كان هذا في حق نبي الأمة الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بغيره من المؤمنين؟.

قال الرافعي في هذا الحديث:«إن العامل لا ينبغي أن يتكل على عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات ؛ لأنه إنما عمل بتوفيق الله، وإنما ترك المعصية بعصمة الله،

فكل ذلك بفضله ورحمته»[1]

فعلى الدعاة إلى الله تحذير المدعوين من الغرور بكثرة العمل، بل يرجون رحمة الله، ويخافون عذابه.

ثانيا: بيان هدي الرسول ﷺ في عمله.

أمر الله جل وعلا نبيه بعبادته حتى يأتيه اليقين فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2] وفي حديث الباب يحث الرسول ﷺ أصحابه على المداومة في العمل والتسديد في العبادة فيقول: «سددوا وقاربوا.... إن أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قل، وكان هذا هديه ﷺ في العمل، فقد سئلت عائشة - رضي الله عنها - كيف كان عمل رسول الله ﷺ هل كان يخص شيئاً من الأيام؟ قالت: لا، كان عمله ديمة، وأيكم يستطيع ما كان النبي ﷺ يستطيع؟!»[3]. وكان ﷺ يكره أن يعمل المسلم عملا ثم يتركه، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل»[4]

---

(1) فتح الباري ٢٩٧/١١

(2) الحجر: ٩٩

(3) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، الباب نفسه، ص١٢٤١.

(4) صحيح البخاري، أبواب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه ص ٢٢٧، ط الأفكار الدولية

إن العمل القليل الدائم خير وأحب إلى الله من الكثير المنقطع بسبب المشقة، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كانت عندي امرأة من بني أسد فدخل عليّ رسول الله فقال: «من هذه؟» قلت: فلانة، لا تنام بالليل فذكرت من صلاتها. فقال ﷺ: «مه، عليكم بما تطيقونه من الأعمال فإن الله لا يمل حتى تملوا»[1].

فعلى الدعاة إلى الله تعالى الأخذ بهدي الرسول ﷺ في هذا، وحث المدعوين على ذلك.

ثالثاً: رحمة الرسول ﷺ بأمته وشفقته عليهم.

إن من فضل الله جل وعلا على هذه الأمة ورحمته بها أن كلفها من الأعمال ما تطيقه، حيث قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ... ﴾[2]، وحذر رسول الله ﷺ من الإفراط في العبادة والتكلف فيها، فعن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا بها كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من رسول الله ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا. وقال الآخر: إني أصوم الدهر فلا أفطر. وقال الآخر: أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً. فجاء النبي ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟!،

---

(1) البخاري كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة ص ٢٢٧، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نفس في صلاته ص ٣٠٨ طبعة الأفكار الدولية.

(2) التغابن: ١٦

أما إني لأخشاكم لله عز وجل وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» [1].

وقد نهى ﷺ عن العمل الذي لا يطيقه المسلم، كما نهى أم المؤمنين زينب عن ذلك، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: دخل النبي ﷺ فإذا بحبل ممدود بين الساريتين فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا الحبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي ﷺ: «لا حلوه، ليصل أحدكم في نشاطه فإذا فتر فليقعد» [2].

وفي قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الباب: «وأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا إِلَى اللَّهِ وَإِنْ قَلَّ» ما يبين رحمته وشفقته عليه الصلاة والسلام بأمته، وتجنيبهم الملل المؤدي إلى ترك العبادة كلياً.

قال الحافظ رحمه الله مبيناً هذا الأمر: «أي لا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة؛ لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملال فتتركوا العمل فتفرطوا» [3].

قال تعالى مبينا صفة المؤمنين وهم يدعون ربهم: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

---

(1) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ص ١٠٠٥، وصحيح مسلم باختلاف، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ص ٥٤٩

(2) صحيح البخاري كتاب التهجد، باب ما يكره من التشدد في العبادة، ص ٢٢٧.

(3) فتح الباري ١١/٢٩٧

الْكَافِرِينَ ﴾[1] الآية.

رابعاً: حث المدعوين على التسديد والمقاربة في العمل.

في حديث الباب يتبين لنا هدي الرسول ﷺ في توجيهه لأمته بالتسديد والمقاربة بالعمل، والبعد عن التنطع أو المشادة في الدين المؤدية إلى الملل وترك العمل. وقد بين عليه الصلاة والسلام لأمته سماحة هذا الدين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا...»[2] الحديث.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث: «المعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب. وقال ابن المنير: إن هذا الدين علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلي الليل كله، ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة».[3]

---

(1) البقرة .٢٨

(2) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، وقول النبي ﷺ: «أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة» ص ٣١ ط الأفكار الدولية.

(3) فتح الباري ١/١١٧، وانظر: أعلام الحديث للإمام الخطابي ١/١٧٠.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:« ومعنى « سددوا وقاربوا » :اطلبوا السداد واعملوا به وإن عجزتم عنه فقاربوه، أي اقربوا منه، والسداد:الصواب، وهو بين الإفراط والتفريط، فلا تغلوا، ولا تقصروا».[1]

إذا كان هذا هو هدي الإسلام في عمل المسلم في عبادته لربه، فما أحوج المدعوين إلى بيان ذلك وتذكيرهم به بين فترة وأخرى، وتحذير من يريد الغلو في هذا الدين، والإعراض عن سنة سيد المرسلين.

(1) شرح صحيح مسلم للنووي ١٧/١٦٢

باب ما يكره من قيل وقال[1]

١٨١- عن الشعبي عن وراد كاتب المغيرة بن شعبة، أن معاوية[2] كتب إلى المغيرة[3] أن:اكتب إليّ بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، قال:فكتب إليه المغيرة:إني سمعته يقول عند انصرافه من الصلاة:« لاإله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» ثلاث مرات. قال :وكان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، ومنع وهات، وعقوق الأمهات، ووأد البنات».[4]

---

(١) أي هذا باب في بيان ما يكره من قيل وقال، وكلاهما فعلان ماضيان، الأول مجهول. قيل: وأصله :قَوِل، نقلت حركة الواو إلى القاف بعد سلب حركتها، ثم قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، وهو حكاية أقاويل الناس، قال فلان كذا، وفلان كذا، وقيل كذا وكذا. وإذا روي بالتنوين يكونان مصدرين، يقال: قال قولاً وقيلاً وقالاً. انظر: عمدة القاري ١٥/٥٤٩، إرشاد الساري ١٣/٤٧٣

(٢) هو: معاوية ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، القرشي، الأموي، أمير المؤمنين ولد قبل البعثة بخمس سنين، روى عنه ابن عباس وعبد الله بن الزبير، والنعمان بن بشير وغيرهم، وأخرون من كبار التابعين.
مات سنة ستين من الهجرة.
الاصابة في تمييز الصحابة ٩/٢٣١-٢٣٤.

(٣) هو: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود، بن معتب، بن مالك، بن قيس الثقفي، أسلم قبل عمرة الحديبية، وشهدها وبيعة الرضوان، روى عنه أولاده: عروه، وعَقَار، وحمزه مولاه، ومن الصحابة المِسْورُ بن مخْرمَة، وأخرون. الاصابة في تمييز الصحابة ٩/٢٦٩.

(٤) مطابقة الحديث للترجمة ظاهره عمدة القاري جـ١٥/٥٥٠، وأطرافه في كتاب الأذان باب الذكر بعد الصلاة رقم ٨٤٤ وفي كتاب الزكاة باب قول الله تعالى لا يسألون الناس إلحافاً رقم الحديث ١٤٧٧ وفي كتاب الاستقراض باب ما ينهى عن إضاعة المال رقم الحديث ٢٤٠٨ وفي كتاب الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر رقم ٥٩٧٥، وفي كتاب الدعوات باب الدعاء بعد الصلاة رقم الحديث ٦٣٣٠، وفي كتاب القدر، باب لا مانع لما أعطى الله رقم ٦٦١٥، وفي كتاب الاعتصام، باب مايكره من كثرة السؤال وتكلف ما لايعنيه رقم ٧٢٩٢، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته رقم ٥٩٣.

رقم الحديث:[٦٤٧٣].

وفي رواية:« كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة :لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذ الجد منك الجد». طرف رقم ٨٤٤ .

الموضوع الدعوي

إن من أعظم ما يهتم به الإسلام ويغرسه في نفوس المدعوين عقيدة التوحيد التي هي الحد الفاصل بين الإسلام والكفر، والتي مكث عليه الصلاة والسلام بمكة يدعو إليها عشر سنين، وكذا في المدينة اهتم ﷺ بهذا الأمر، وبين الأسباب المؤدية إلى ترسيخ هذه العقيدة، وفي حديث الباب يتبين لنا هذا الاهتمام منه -عليه الصلاة والسلام- حيث يقول عند انصرافه من الصلاة:« لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، ثلاث مرات.

وفي رواية لمسلم عن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنه- أنه كان يقول دبر كل صلاة حين يسلم:«لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا هو مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» (١).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ص٢٣٦

قال ابن الزبير: وكان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة مكتوبة.

قال الحافظ - رحمه الله تعالى -: في الحديث استحباب هذا الذكر عقب الصلاة لما اشتمل عليه من ألفاظ التوحيد ....»[1]

وقد حث عليه الصلاة والسلام على الإكثار من هذا الذكر ؛ لما اشتمل عليه من توحيد الله وإفراده بالعبادة ونفي الشريك عنه، وبين لأمته الأجر المترتب على ذلك، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: « من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب[2]، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك »[3]

وعن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل »[4].

---

(1) فتح الباري ٢/٣٣٢

(2) أي في ثواب عتقها.

(3) صحيح الإمام البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ص ٦٢٩، صحيح مسلم بلفظه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ص ١٠٨٠.

(4) صحيح الإمام البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التهليل ص ١٢٢٩، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ص ١٠٨١

وفي نهيه عليه الصلاة والسلام عن قيل وقال ما يبين حرص الإسلام على حفظ اللسان من الزلل، والتدبر قبل الكلام، قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله: «والحكمة في النهي من ذلك أن الكثرة من ذلك لا يؤمن معها وقوع الخطأ»[1]

الفوائد الدعوية:

أولاً: قضاء الإسلام على العادات الجاهلية.

ثانياً: بيان أهمية نشر العلم الشرعي في مجتمع الدعوة.

ثالثاً: حرص الإسلام على صون اللسان.

رابعاً: فضل الذكر بعد الصلاة وحث المدعوين عليه.

خامساً: تحذير المدعوين من إضاعة المال.

سادساً: تحذير المدعوين من عقوق الوالدين.

سابعاً: التحذير من منع وهات.

ثامناً: تحذير المدعوين من كثرة السؤال.

تاسعاً: على الداعية أن يكون قدوة للمدعوين في اتباع هديه ﷺ.

عاشراً: الإيمان بالقضاء والقدر.

---

(1) فتح الباري ١١/٣٠٦

الدراسة الدعوية للفوائد:

أولاً: قضاء الإسلام على العادات الجاهلية.

إن المجتمع الجاهلي كان يعيش عادات تشمئز منها النفوس، قد لا توجد بين الحيوانات فضلا عن المجتمعات الإنسانية، ومن هذه العادات الهمجية الممقوتة عند الجاهليين، وأد البنات وقتلهن مخافةَ العار، وقتل الأولاد مخافة الفقر، وقد حرم الإسلام ذلك تحريما مؤبدا، وحذر منها، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾[1]، وقد وبخ الله تعالى أهل الجاهلية في إقدامهم على قتل بناتهم وأولادهم فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾[2] « والمعلوم أنها ليس لها ذنب، ولكن هذا فيه توبيخ وتقريع لقاتليها »[3].

وقال قتادة: « كانت الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ويغذي كلبه، فعاقبهم الله على ذلك، وتوعدهم بقوله: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ »[4]

وفي حديث الباب نهى عليه الصلاة والسلام من وأد البنات تأكيداً لأمر الله، وبياناً لبشاعة هذه الفعلة، وضخامة إثم من يقدم عليها.

وبهذا يتبين عظم هذا الدين الذي قضى على هذه الوحشية التي تتفطر من ذكرها

---

[1] الإسراء: ٣١

[2] التكوير: ٨ ـ ٩

[3] تيسير الكريم الرحمن ص ٨٤٤

[4] الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٣٣

الأكباد، ويأمر بالعطف والرحمة على الأولاد، فالحمد لله على نعمة الإسلام التي لا تعدلها نعمة.

ثانياً: بيان أهمية نشر العلم الشرعي في مجتمع الدعوة.

إن العلم الشرعي له أهمية بالغة في مجتمع الدعوة، فكلما كان المجتمع ملماً بأحكام الشريعة، حريصا على نشر العلم، كلما كان أقرب إلى الصواب في عبادة الله سبحانه وتعالى.

وفي حديث الباب يطلب معاوية من المغيرة ـ رضي الله عنهما ـ بأن يكتب له حديثاً سمعه من رسول الله ﷺ، فيجيبه المغيرة، فيكتب إليه «إني سمعته يقول عند انصرافه من الصلاة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.... الحديث، وفي هذا نشر للعلم الذي يثاب عليه المسلم[1].

ثالثاً: حرص الإسلام على صون اللسان.

حرص النبي ﷺ على صحابته، ورباهم على حفظ ألسنتهم من الزلل، ففي حديث الباب ينهى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن قيل وقال، قال في إرشاد الساري «هو الإكثار مما لا فائدة فيه من الكلام»[2] وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ «من يضمن لي

---

(١) سبق الاشارة إلى مثل هذه الفائدة انظر ص ٩٨٤ .

(٢) إرشاد الساري ١٣/١٢ ، رياض ٤٧٣

ما بين لحيه وما بين رجليه أضمن له الجنة»[1]. قال ابن بطال «دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه، فمن وقي شرهما وقي أعظم الشر»[2].

رابعاً: فضل الذكر بعد الصلاة وحث المدعوين عليه.

في حديث الباب ما يدل على فضل الذكر بعد الصلاة، وقد وردت عدة روايات عن رسول الله ﷺ تصف ما كان يقول ﷺ عند انصرافه من الصلاة المفروضة، مما يبين فضل هذا الأمر وحرصه ﷺ على فعله، فعن المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ «كان يقول دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[3].

وعن ثوبان – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام»[4].

---

(1) سبق تخريجه في ص ٥٨٤ .

(2) فتح الباري ٣١٠/١١، وانظر: التمهيد لابن عبدالبر ٤١٠/١٠، ترتيب الشيخ محمد المغراوي، ط مجموعة التحف والنفائس الدولية .

(3) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة ص ١٧٢، صحيح مسلم بلفظه، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ص ٢٣٥

(4) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ص ٢٣٥

وقال عليه الصلاة والسلام «ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله، تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين......» الحديث.[1]

قال الحافظ – رحمه الله – في فوائد هذا الحديث: «وفيه فضل الذكر عقب الصلوات».[2]

وقد امتثل الصحابة – رضوان الله عليهم – ما أمر به النبي ﷺ، فعن أبي معبد مولى ابن عباس أن ابن عباس – رضي الله عنهما – أخبره «أن رفع الصوت بالذكر – حين يصرف الناس من المكتوبة – كان على عهد النبي ﷺ» [3].

فعلى الدعاة إلى الله حثّ المدعوين على المواظبة على الذكر عقب كل صلاة مكتوبة اقتداء بهدي رسول الله ﷺ، وطلباً للأجر العظيم من رب العالمين.

خامساً: تحذير المدعوين من إضاعة المال

إن المال هو عصب الحياة، وهو المعين بعد الله سبحانه على نشر العلم، والدعوة

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة ص ١٧٢ .

(2) فتح الباري ٢/٢٣١

(3) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة ص ١٧١
قال الحافظ: «فيه دليل على جواز الجهر بالذكر عقب الصلاة» المرجع السابق ٢/٣٢٥
قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في تحقيقه لفتح الباري: «لو قال: على شرعية الجهر لكان أصح، والله أعلم».

إلى الله، وصد كيد أعداء الدين، لذا نجد أن الله سبحانه وتعالى قدم المال على النفس في بعض الآيات في سياق الحث على الجهاد فقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

وقد أثنى الله جل وعلا على عباده المؤمنين في التزامهم الوسطية في الإنفاق فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[2]

وورد عنه ﷺ أن الإنسان محاسب على المال الذي بين يديه يوم القيامة، ولا شك أن حسابه يكون عسيراً إذا كان قد اكتسبه أو أنفقه في غير الطريق المشروع، قال ﷺ: «لا تزول قدما العبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.[3]

إن صرف المال بغير وجه شرعي من التبذير الذي حذر سبحانه وتعالى منه فقال: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[4].

ومن صور إضاعة المال بين المسلمين إعطاؤه للسفهاء ليعبثوا به كيفما يشاؤون،

---

(1) الصف ١٠ ـ ١١

(2) الفرقان ٦٧

(3) سبق تخريجه، ص ٧٣٢

(4) الإسراء ٢٦ ـ ٢٧

وقد نهى الله سبحانه عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا...﴾[1]. وفي نهيه ﷺ عن إضاعة المال ما يبين أن الإسلام بتوجيهاته القيمة يحفظ كيان المجتمع الإسلامي من الخلل الاقتصادي الذي قد يؤدي بالمجتمع الدعوي إلى كارثة اقتصادية، نسأل الله السلامة والعافية. فعلى الدعاة إلى الله أن يحذروا المدعوين من إضاعة المال امتثالاً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ.

سادساً:تحذير المدعوين من عقوق الوالدين.

إن مكانة الوالدين في الإسلام عظيمة، وقد أمر الله جلّ وعلا ببرهما فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾[2] وربى -عليه الصلاة والسلام- أصحابه على بر الوالدين حتى في المواقف الحرجة أحياناً، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: أقبل رجل إلى النبي ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى، قال: «فهل لك من والديك أحد حي؟» قال: نعم بل كلاهما، قال: «فتبتغي الأجر من الله تعالى؟» قال: نعم. قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»[3].

فعلى الدعاة إلى الله أن يولوا هذا الجانب اهتماماً فيبينوا للمدعوين فضل بر

---

(1) النساء: ٥

(2) النساء: ٣٦

(3) صحيح مسلم، كتاب البر، باب تقديم بر الوالدين على التطوع ص ١٠٣٠.

الوالدين وخطر عقوقهما، خصوصاً في هذا العصر الذي نسمع بعض القصص التي تدمي القلوب عن عقوق الأبناء للأمهات، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

وقد سبق الحديث عن هذا الموضوع في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن صحابتي[1].

سابعاً: التحذير من منع وهات.

إن النفس البشرية قد تكسل في بذل ما طلب منها، وتتوق إلى طلب ما منعه الشرع، وفي هذا العمل خلل في شخصية المسلم المبنية على البذل والعطاء، والبعد عن كل ما حرمه الله، وفي حديث الباب ينهى ﷺ عن منع وهات. قال في إرشاد الساري: (ومنع) أي منع ما شرع إعطاؤه، و(هات) أي طلب ما منع أخذه شرعا، وفي هذا تأديب للنفس البشرية على الخلق الكريم.[2]

ثامناً: تحذير المدعوين من كثرة السؤال.

لقد ربى الرسول الكريم - عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم - أصحابه على الأخلاق الفاضلة، والتي منها ما تضمنه هذا الحديث الشريف من نهيه ﷺ إياهم من كثرة الأسئلة التي غالباً ما تعود بالضرر على المسلم، وكان الصحابة - رضوان الله

---

(٢) انظر ص ٤٢٠ .

(٢) إرشاد الساري ١٣/٤٧٣ ، وانظر : عمدة القاري ١٥/٥٥.

عليهم - لحبهم العلم والمعرفة يكثرون الأسئلة عليه، فنهاهم ﷺ عن ذلك لما قد يفضي إليه من نتيجة غير مرضية.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم» ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» [(١)].

قال النووي في شرح مسلم «فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»: «هذا من قواعد الإسلام المهمة، ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ، ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام، كالصلاة بأنواعها، فإذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي تكون في.......»[(٢)]

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته» [(٣)].

إن طرح الأسئلة التي لا فائدة منها لها خطورة كبيرة، وقد يحدث من إلقائها

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، ص٥٢٩، ط بيت الأفكار الدولية.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٧/٣٧٢

(٣) البخاري، كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه ص ١٣٩٠. طبعة بيت الأفكار الدولية.

خللاً في عقيدة المسلم ؛ وهذا ما بينه ﷺ بقوله:« لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا:هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله ؟» [1].

وقد زجر أبو هريرة شخصاً طرح عليه مثل هذا السؤال، وذلك فيما رواه مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال:قال لي رسول الله ﷺ :« لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا :هذا الله فمن خلق الله ؟» قال:فبينا أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب فقالوا :يا أبا هريرة هذا الله فمن خلق الله؟، قال:فأخذ حصى بكفه فرماهم، ثم قال:قوموا قوموا صدق خليلي » [2].

فعلى الدعاة إلى الله تحذير المدعوين من طرح الأسئلة التي لا فائدة منها، والتي قد تضر أكثر مما تنفع، وتوجيههم إلى امتثال أوامر نبي الأمة ﷺ واجتناب نواهيه، والتي منها كثرة السؤال كما في حديث الباب.

تاسعاً: على الداعية أن يكون قدوة للمدعوين في اتباع هديه ﷺ.

إن الداعية إلى الله نور يقتدى به في هذه الحياة ؛ ذلك أنه يستمد هديه من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وقدوته في ذلك نبي الهدى محمد ﷺ، كما قال

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ص١٣٩١، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، ص٧٩، ط بيت الأفكار الدولية.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان ما يقوله من وجدها، ص٧٨.

تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[1]. وفي حديث الباب يخبر المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ يقول عند انصرافه من الصلاة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» ثلاث مرات ؛ لذا ينبغي على الداعية أن يكون قدوة في هذا، ويكثر من الذكر الوارد عن رسول الله ﷺ دبر كل صلاة ؛ ليقتدي به المدعوون، فإن الداعية إذا تساهل في هذا الأمر يؤدي ذلك حتماً إلى أن يكسل المدعوون في الأخذ بسنة رسول الله بسبب تقصيره بهذا الأمر. والله المستعان.

عاشراً: الإيمان بالقضاء والقدر.

إن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان كما بين ذلك عليه الصلاة والسلام في جوابه لجبريل عندما سأله عن الإيمان فقال له عليه الصلاة والسلام: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره..»[2].

وهذا ما يعتقده أهل السنة والجماعة.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: «والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر، خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى»[3].

---

(1) الأحزاب: ٢١

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، ص٣٦.

(3) شرح العقيدة الطحاوية، ص٣٤٤.

وفي حديث الباب يقول عليه الصلاة والسلام: «لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت»، إيمان بما قدره الله على العباد ليس لأحد حول ولا طول في منع ما قدر الله وقضاه.

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى بيان هذا الأمر للمدعوين لتطمئن قلوبهم بما قسم الله لهم.

القســـم الثاني

المنهج الدعوي المستخلص من الدراسة

الفصل الأول: المنهج الدعوي المتعلق بموضوع الدعوة.

الفصل الثاني: المنهج الدعوي المتعلق بالداعية.

الفصل الثالث: المنهج الدعوي المتعلق بالمدعو.

الفصل الرابع: المنهج الدعوي المتعلق بالوسائل والأساليب.

الفصـــل الأول

المنهج الدعوي المتعلق بموضوع الدعوة

تعريف الدعوة:

سبق أن عرفنا الدعوة في المقدمة وقلنا أن تعريفها الجامع هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – حيث قال: " الدعوة إلى الله ، هي الدعوة إلى الإيمان به ومما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا، وذلك تضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبدُ ربه كأنه يراه"[1]

ومن خلال هذا التعريف الجامع لموضوع الدعوة لشيخ الإسلام ابن تيمية استنبط : الفوائد الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة وفق الجدول التالي :

[1] مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٥ / ١٥٧.

الرقم	الـفائدة	الصفحة
١.	إثبات الطب وإباحة التداوي من الأمراض	٨٧
٢.	إن بذل الأسباب المعينة على العلاج لا ينافي التوكل على الله	٨٨
٣.	رحمة الله تعالى بعباده حيث لم يترك داء إلا أنزل له شفاء	٩٠
٤.	رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم وشفقته بأمته	٩٠
٥.	دعوة الإسلام إلى تعلم الطب	٩٢
٦.	إن الموت داء لا دواء له	١٢٦
٧.	حث أطباء المسلمين على اكتشاف الدواء المناسب للداء	١٢٩
٨.	النهي عن الطيره وأنها من أعمال الجاهلية	١٤٩
٩.	النهي عن التشاؤم بصفر	١٥١
١٠.	اهتمام الإسلام بالطب الوقائي	١٥٣
١١.	نفى العدوى التي كانت تعتقدها الجاهلية	١٥٩
١٢.	أن الحمى تذكر المؤمن بعذاب النار وهو لـه	١٧١
١٣.	الرد على الخرافين المنكرين	١٧٣
١٤.	تفقد ولي الأمر أفراد رعيته	١٨٤
١٥.	مشروعية الاستشارة في النوازل وأثرها في مسيرة الدعوة إلى الله	١٨٧
١٦.	حرص الإسلام على التكافل الاجتماعي	١٩٤
١٧.	شفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المرضى	٢٠٩
١٨.	الحكمة من الجمع بين الطيره والفأل	٢٣٠
١٩.	حماية الإسلام لأفراد المجتمع الدعوي من الأسباب المؤدية إلى وسوسة الشيطان	٢٣١

الرقم	الفائدة	الصفحة
٨٢.	حرص الإسلام على نشر المودة والإلفة بين المسلين	٨٠١
٨٣.	حسن خلقه صلى الله عليه وسلم	٦٨٩
٨٤.	اهتمام الإسلام بتربية الطفل على المخاطبة	٦٩١
٨٥.	جواز استعمال السجع للتأنيس	٦٩٣
٨٦.	جواز تخصيص الإمام لبعض الرعية بالزيارة	٦٩٤
٨٧.	جواز إحضار وسائل الترفيه للطفل.	٦٩٤
٨٨.	حسن خلق الني صلى الله عليه وسلم مع أهله	٧٠٠
٨٩.	اهتمام الإسلام بتربية المرأة على خدمة بيتها	٧٠١
٩٠.	تحريم الوسائل المؤدية إلى المحرمات	٢٥٤
٩١.	شمولية الإسلام	٢٥٥
٩٢.	تميز المجتمع المسلم في لباسه	٢٥٥
٩٣.	العجب والفرور صفة ذميمة وعواقبها وخيمه.	٢٦٠
٩٤.	مشروعية شـــكر النعمة	٢٦٨
٩٥.	وسطية هذا الدين في اللباس	٢٩٤
٩٦.	استجابة الإسلام للفرائز النفسية في اللباس	٢٩٥
٩٧.	إكرام الإسلام للمسلم حياً أو ميتاً	٢٩٦
٩٨.	بيان الحكمة من تسجية الميت	٣٠١
٩٩.	حرص ولاة الأمر والدعاة على نشر العلم في بلاد المسلمين	٣٠٩
١٠٠.	بيان اتســاع رقعة الدعوة الإسلامية في العهد الأول مـ ن تاريخ الإسلا	٣١٣
١٠١.	إن الحرير من لباس أهل الجنة	٣١٥
١٠٢.	اهتمام الإسلام بتربية المرأة	٣٢٠

مما سبق بيان يتضح أن المنهج الدعوي المتعلق بموضوع الدعوة على النحو التالي:-

أولاً: موضوع الدعوة.. هو الدعوة إلى الله على بصيرة وذلك بدلالة الناس على الخير وتحذيرهم من كل شر.

كل ذلك وفق هدي كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أمر الله نبيه بذلك فقال سبحانه وتعالى ((**قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعن وسبحان الله وما أنا من المشركين**))[١].

ثانياً: إن أهم موضوعات الدعوة على الإطلاق هو موضوع العقيدة الإسلامية الصحيحة فلا نجاح ولا فلاح لدعوة تساهلت بها فلابد أن يشتمل المنهج الدعوى لموضوع الدعوة على ما يلي.

١- الدعوة إلى عبادة الله وحدة لا شريك له وبيان معنى الشهادتين وبيان أركان الإيمان وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات.

٢- التحذير من الشرك ومن كل الأسباب المؤدية إليه.

ثالثا: بيان أن الدين يقوم على الوسطية فلا إفراط ولا تفريط.

رابعاً: مراعاة أحوال المدعوين أثناء دعوتهم إلى الله.

خامساً: بيان أن الله أكمل دينه فلا زيادة ولا نقصان ولا مجال للأهواء في منهج الإسلام كما قال تعالى: ((...اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)) [٢]

سادساً: حاجة الدعوة إلى رجال مخلصين يكونون قدوة صالحة في المجتمع ويضربون أروع المثل في أخلاق الإسلام؟

---

(١) يوسف : ١٠٨.

(٢) المائدة : ٣

الفصـــل الثانـي

المنهج الدعوي المتعلق بموضوع الداعيـة

تعريف الداعية:

الداعية في اللغة:

اسم فاعل على وزن فاعله، تقول دعاه، يدعوه فهو داع له.

والداعية صريخ الخيل في الحروب لدعائه من يستصرخه[1].

والدعاة لفظ عام يشمل داعية الحق وداعية الباطل كما قال جل وعلا .... عن المشركين ((**أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه**)).[2]

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته هذا الأمر فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"[3]

فكل من دعا إلى أمر فهو داعيه لغة سواء دعا إلى خير أو إلى شر.

والداعية في الاصطلاح: هو من حمل رسالة الإسلام وبلغها على بصيرة – والداعية الأول لهذه البشرية هو نوح عليه الصلاة والسلام.

كما قال تعالى: ((**إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم**))[4] وخاتم الرسل هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ((**وما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله لكل شيء عليما**))[5] ومن هذا المفهوم للداعية استخلصت الفوائد الدعوية المتعلقة بالداعية على النحو التالي:

---

[1] القاموس المحيط للفيروز أبادي ص ١١٥٥ ط دار الفكر.

[2] البقرة : ٢٢١.

[3] صحيح مسلم كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلال فه ص ١٠٧٤ ط بيت الأحصار الدولية

[4] نوح : ١

[5] الأحزاب: ٤٠

الرقم	الفائدة	الصفحة
١.	مراعاة أحوال المرضى والحرص على وصف العلاج الناجع لهم.	١٠٦
٢.	الاهتمام بصحة المدعوين منهج نبوي كريم بينه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته.	١٠٧
٣.	الحرص على زيارة المريض ووصف العلاج المناسب له من الهدي النبوي	١٢٧
٤.	رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأطفال الأمة وعطفه عليهم.	١٤١
٥.	تربية المدعوين على العقيدة الإسلامية الصحيحة.	١٥٦
٦.	إن المرض يصيب الأتقياء تكفيرا لذنوبهم لا عقوبة لهم.	١٦٤
٧.	إقتداء الداعية بصبر الصحابة على المرض.	١٦٦
٨.	دور المرأة المسلمة في نشر العلم وتحقيق المصاب.	١٧٤
٩.	الاهتمام بالمدعوين وتحذيرهم من الأسباب المؤدية إلى هلاكهم.	١٨٥
١٠.	من صفات الداعية النصح لولاة الأمر .	١٨٦
١١.	اجتهاد الداعية في تحقيق مصالح المدعوين.	١٨٩
١٢.	الشكر لله والثناء عليه عندما يوفق الداعية للصواب.	١٩٠
١٣.	توجيه المدعوين للأخذ بالأسباب وبيان أن ذلك لا يتعارض مع عقيدة الإسلا	١٩١
١٤.	دور الداعية إلى الله في نشر العلم الشرعي.	١٩٢
١٥.	اجتهاد الداعية بما يحقق المصلحة لمجتمع الدعوة.	١٩٩
١٦.	من صفات الداعية التوقف في المسألة عند الإشكال إلى البيان.	٢٠٠
١٧.	حرص الداعية على علاج العين بالقرآن والأدعية الشرعية.	٢٠٨
١٨.	حرص الداعية على صحة المدعوين اقتداء بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.	٢١١
١٩.	حث المدعوين على الرقى الشرعية الثابتة عن المصطفى صلى الله عليه وسلـ من كل مرض	٢١٩
٢٠.	من صفات الداعية الحرص على نشر العلم الشرعي	٢٢٠

الرقم	الفـــائدة	الصفحة
١٠٢.	حرص الداعية على التفقه في الدين لتبصير المدعوين.	٣٧٨
١٠٣.	على الداعية أن يكون قدوة حسنة في مجتمعه في الأخذ بهدي النبي صلى الله عليه وسلم.	٣٥٥
١٠٤.	الحرص على العناية بالشعر إقتداء بهدي سيد المرسلين.	٣٨٥
١٠٥.	حسن خلق الداعية مع المدعوين.	٢٧٧
١٠٦.	تركيز الداعية على تقرير الإيمان بالله والتوكل عليه وأن ما يفعله الإنسان من الماديات ما هو إلا سبب من الأسباب.	٢٨٥
١٠٧.	الاهتمام بحسن الملبس تأسيا بنبي الأمة صلى الله عليه وسلم.	٢٩١
١٠٨.	دور المرأة المسلمة في نشر العلم.	٣٠٠
١٠٩.	من صفات الداعية التثبت من صحة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.	٣١٤
١١٠.	ضرورة عناية الداعية والمدعو بأسرهم.	٣١٩
١١١.	حرص الداعية على نشر العلم الشرعي.	٣٢١
١١٢.	تربية المدعوين على حسن الاتباع.	٣٢٩
١١٣.	فتح باب المنافسة بين المدعوين في فعل الخير والاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم.	٣٣٠
١١٤.	تحذير المدعوين من لبس خاتم الذهب.	٣٣٩
١١٥.	حث المدعوين على إنفاذ أمره صلى الله عليه وسلم.	٣٤٠
١١٦.	اهتمام الإسلام بحفظ بيت مال المسلمين.	٣٤١
١١٧.	على الدعاة أن يبيـــنوا للمدعوين حرمة النظر إلى البيوت.	٨١٢
١١٨.	تربية المدعوين على الاستئذان.	٨١٥

على ضوء ما تقدم من الفوائد الدعوية يتبين لنا المنـــهج الدعــوي المتعلــق بالداعيــة ويتضح هذا المنهج من خلال ما يلي:

أولا: أن الداعية الناجح يسير في دعوته على هدى من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوته في ذلك رسول الهدى صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى **((لقد كان في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الأخر وذكـــر الله كثيرا))**[1].

ثانيا: إن من صفات الداعية إلى الله :

١-الإخلاص.

٢-العلم الشرعي.

٣-الصبر على الأذى.

٤-الرفق واللين.

٥-الشفقة على المدعوين والعطف عليهم.

ثالثا: أن الداعية يقدر المصالح والمفاسد المتعلقة بمسيرة الدعوة ولا يجازف بدعوتـــه أو بالمدعوين ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

١- الأخذ بمبدأ الشـــورى.

٢- اجتناب المخاطر التي قد تضر بالمدعوين.

١- النصح لولاة الأمر.

٢- حفظ الســر.

٣- تحذير المدعوين من الغلو في الدين.

(١) الأحـزاب : ٢١

رابعا: الاهتمام بما يزيد من نشاط الدعاة إلى الله ويتضح ذلك وفق ما يلي:

١- غرس المحبة في نفوس الدعاة والمدعوين.

٢- ترقيق القلوب.

٣- الإكثار من ذكر الله.

٤- تذكر الموت

٥- حفظ الأوقات وعمارتها بطاعة الله.

٦- إحياء حلق الذكر

٧- الحرص على الألفة بين المسلمين.

٨- الحذر من فتنة المال.

٩- الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة وفق الضابط الشرعي.

١٠- الإصلاح بين المسلمين.

خامسا: إن من أعظم ما يعين الداعية على نجاح دعوته بين المدعوين -بعد توفيق الله- حسن الخلق يتضح ذلك من خلال ما يلي:

١- حسن الخلق.

٢- الكرم

٣- الصدق

٤- العفو والصفح عن الجاهلين.

٥- صلة الرحم.

٦- إفشاء السلام

٧- إنزال الناس منازلهم.

٨- الشفقة والرحمة.

٩- تفقد مرضاهم.

١٠- قضاء حوائج المدعوين.

الفصل الثالث

المنهج الدعوي المتعلق بالمدعو

المدعو:

هو من المخاطب برسالة الإسلام ووصلت إليه الدعوة قال تعالى مبيناً أن رسالة الإسلام هي للناس كافة **((وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا))**[١]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : " يقول الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم : ((وما أرسلناك إلا كافة للناس)) أي إلا جميع الخلق من المكلفين بقوله تعالى: **((قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً))**[٢]

ولقوله تعالى : **((تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا))**[٣]

قال قتادة: في هذه الأية: وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا" " أرسل الله محمداً إلى العرب والعجم فأكرمهم على الله أطوعهم لله عز وجل " [٤]

وقد تم استنباط الفوائد الدعوية المتعلقة بالمدعو كما يلي:

---

(١) سبأ : ٢٨.

(٢) الأعراف : ١٥٨.

(٣) الفرقان: ١.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤٠٧ ط بيت الأفكار الدولية.

الرقم	الفـــــائدة	الصفحة
٢١.	تحذير المدعوين من اللعن.	٤٣٣
٢٢.	بيان أهمية مراجعة المدعو للداعية فيما أشكل عليه من كلامه.	٤٣٥
٢٣.	حث المدعوين على صلة الأرحام.	٤٤٨
٢٤.	الجزاء من جنس العمل.	٤٥٤
٢٥.	حث المدعوين على المسابقة إلى فعل الخيرات.	٤٦١
٢٦.	القسوة على الأولاد وأثرها في بر الوالدين.	٤٧٩
٢٧.	حنان الأم وأثره في تربية الطفل.	٤٨٠
٢٨.	عظم نعمة الولد على أبيه المسلم.	٤٨٧
٢٩.	أن الجزاء من جنس العمل.	٥١٤
٣٠.	حث المدعوين على الفقه في الدين.	٥٣١
٣١.	أن الصدقة لا تنحصر في الأمر المحسوس.	٥٤٧
٣٢.	مشروعية حضور مجالس العلم.	٥٦١
٣٣.	البحث عن الحق سمة العقلاء.	٥٧٥
٣٤.	الحذر من آفات اللسان المهلكة.	٥٨٣
٣٥.	مسارعة المؤمنين بالصدقة طمعاً في رحمة رب العالمين.	٦١٩
٣٦.	التكرار في السؤال طلباً للفائدة.	٦٢٩
٣٧.	أخذ الحيطة والحذر في مكان العدوة	٧١٥
٣٨.	جواز الإخبار عما يمرض للمسلم في بدنه.	٧٦٣
٣٩.	مشروعية التسمي بأسماء الأنبياء.	٧٨٩
٤٠.	حسن علاقة المسلم مع ربه.	٧٩٥

وعلى ضوء ما تقدم من الفوائد الدعوية المتعلقة بالمدعو بتين لنا المنهج الدعوى المعلق بالمدعو وفق ما يلي:

١- أن المدعوين هم عامة الناس من عرب وعجم رجالاً ونساءً.

٢- أن على المدعوين الأخذ بهدي كتاب الله وسنة رسوله الله في جميع شؤون حياتهم.

كما قال تعالى ((**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فنتهوا**))[1]

٣- أن على المدعو أن يحرص على الفقه في الدين والسؤال عما يشكل عليه كما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والسلف الصالحين.

٤- إن على المدعو مهمة عظيمة في تبليغ رسالة الإسلام بقدر استطاعته وفي حدود علمه الشرعي امتثالاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "بلغوا عني ولو آية".

٥- أن على المدعو أن يكون خير معين بعد الله للداعية على نشر دعوة الإسلام والحرص على إكرامه وإنزاله منزلته.

٦- على المدعو أن يتحلى بمكارم الأخلاق كالصدق وحفظ حق الجار

٧- أن على المدعو أن يواظب على الأذكار ليكون المجتمع المسلم مستقراً نفسياً ويتحمل مشاق هذه الحياة.

٨- أن يعلم المدعو أنه في هذه الدنيا كالغريب أو عابر سبيل.

٩- أن يستعين المدعو على أموره كلها بالله تعالى وأن يدعو ربه في كل صغيرة وكبيرة.

١٠- على المدعو أن يوالي في الله ويعادي في الله.

---

(١) الحشر: ٧

الفصل الرابع

المنهج الدعوي المتعلق بالوسائل والأساليب

تعريف الوسائل والأساليب:

أ) الوسائل:

الوسيلة في الأصل هي: ما يتوصل به إلى الشيء[١]

قال الإمام ابن كثير: الوسيلة هي " ما يتوصل بها إلى تحصيل المقصود"[٢]

ووسائل الدعوة إلى الله هي : ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية" [٣]

ب) الأساليب:

الأسلوب: الطريق والفن، يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم: أي على طريق من طرقهم، ويقال: أخذنا في أساليب من القول: أي فنون متنوعة"[٤]

وأساليب الدعوة: هي الطريقة التي يسلكها الداعي في دعوته، أو كيفيات تطبيق مناهج الدعوة" [٥].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الوسائل الدعوية هي التي يستخدمها الداعية في نشر دعوته وإيصالها للمدعو بأقصر وقت وأن الأساليب هي ما يستعملها الداعية في تبليغ. الدعوة إلى الله بأفصح عبارة وأسهل أسلوب فالوسائل والأساليب لهما أثرهما الكبير في نشر الدعوة إلى الله وعلى ضوء ما ذكرنا من تعريف للوسائل والأساليب تم استخراج الفوائد المتعلقة بهما وفق الجدول التالي:

---

(١) النهاية في غريب الحديث ج ٥ / ١٨٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٢ / ٥٤.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني ص ٤٩.

(٤) لسان العرب ج ١ / ٤٧٣، القاموس المحيط ص ١٢٥.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة ص ٤٧.

الرقم	الفـــــائدة	الصفحة
١.	بلاغته وفصاحته صلى الله عليه وسلم في مخاطبة الآخرين.	١١٦
٢.	الفصاحة والبلاغة في التبليغ أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.	١٥٨
٣.	الرقية الشرعية وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.	١٦٣
٤.	المناظرة لإقناع المدعوين وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.	١٩٣
٥.	الترهيب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.	٤٤٠
٦.	نشر العلم الشرعي بين المدعوين وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.	٤٥٠
٧.	البلاغة والفصاحة في التعبير أسلوب من أساليب الدعوة.	٤٥٣
٨.	الترغيب أسلوب من أساليب الدعوة.	٤٦٣
٩.	نظر الداعية إلى المخالف أسلوب من أساليب التأنيب غير المباشر.	٤٧٧
١٠.	ضرب الأمثلة وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.	٤٨١
١١.	الترغيب في سعة رحمته تعالى أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.	٤٨٣
١٢.	الاستفادة من المواقف التي تبين بعض صفات الله.	٤٧٧
١٣.	ضرب الأمثلة للمدعوين أسلوب من أساليب التوجيه والبيان.	٤٩٣
١٤.	ضرب الأمثلة أسلوب من أساليب البيان.	٥١١
١٥.	التكرار من التوجيه أسلوب من أساليب الدعوة.	٥٢٣
١٦.	الفصاحة والبلاغة أسلوب من أساليب البيان.	٥٢٩
١٧.	الترهيب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى.	٥٣١
١٨.	الترغيب في فعل المعروف أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله	٥٤٨
١٩.	التلطف في التأديب أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.	٥٥٩
٢٠.	بشاشة الوجه أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله.	٥٦٤

مما سبق عرضه من الفوائد المتعلقة بالوسائل والأساليب نصل إلى ما يلي:

أولاً: أهمية استعمال الوسائل والأساليب في مجال الدعوة إلى الله.

ثانياً: أن وسائل الدعوة كثيرة من أهمها:

١- المسجد.
٢- حلقة الذكر.
٣- زيارة المريض.
٤- زيارة القبور.
٥- المنبر.
٦- الهجر.
٧- الترويح عن النفس.
٨- ضرب الأمثلة.
٩- الرسم للتوضيح.
١٠- الزيارة.

ثالثاً: أن أساليب الدعوة كثيرة منها:

١- الترغيب في فعل الخيرات.
٢- الترهيب.
٣- البشارة للمؤمنين.
٤- التأكيد والقسم.
٥- الستر على المخالف.
٦- التشبيه.
٧- ذكر قصص الغابرين.
٨- الدعاء للمدعوين.
٩- النظر إلى المخالف نظرة عتاب.
١٠- ضرب الأمثلة.

الخاتـــمـــة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، فلقد منّ الله عليّ بإتمام هذه الرسالة التي اشتملت على فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى ، ومما يزيد هذا البحث أهميةً تخصصه في مجال الدعوة إلى الله تعالى بموضوعاتها المختلفة ، ومن خلال هذه الدراسة الدعوية لمائة وواحد وثمانين حديثاً تبين لنا شمولُ السنة النبوية للمنهج الدعوي المتعلق بموضوع الدعوة والداعية والمدعو ، وكذلك الوسائل المعينة على نشر دعوة الإسلام، والأساليب التي تؤثر على المدعوين عند دعوتهم ، وقد أمر رسول الله ﷺ أمته بالتمسك بسنته والعضّ عليها بالنواجذ ، حيث قال ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي .... » الحديث[1].

وبعد أن عشنا مع أحاديث رسول الله ﷺ تم التوصل إلى النتائج التالية :

أولاً : أن المرجع للدعاة في منهجهم الدعوي هو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

ثانياً : أن الدعوة التي لا تسير على بصيرة مسيرها - بلا شك - إلى التعثر والخلل اللذين يؤديان بها إلى الانحراف عن الطريق المستقيم .

ثالثاً : أن المجتمع المسلم بأمس الحاجة إلى الدعاة إلى الله الصادقين في دعوتهم، فوجودهم في المجتمع صمام أمان يسلم به المجتمع - بعد توفيق الله - من الانحراف العقدي والأخلاقي .

رابعاً : أن من أهم الأسس التي تقوم عليها الدعوة إلى الله الشورى ، فقد أمر الله نبيه ﷺ بها ، وشاور ﷺ أصحابه في قضايا متعددة تربيةً لهم على هذا المبدأ العظيم ، حيث قال تعالى في محكم التنزيل : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾[2] وقال تعالى واصفا

---

(١) سبق تخريجه في ص ٧ من هذه الرسلة .

(٢) آل عمران : ١٥٩

عباده المؤمنين : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1] ، وفي هذا تربية للدعاة إلى الله على الأخذ بهذا المبدأ الذي قد يتساهل فيه بعض الدعاة إلى الله تعالى ، فيجنون الثمار المرة في طريق دعوتهم .

خامسا : أن الوسائل والأساليب من الأمور المعينة على تبليغ دعوة الإسلام .

سادساً : أن من الأخطار التي تهدد مسيرة الدعاة في دعوتهم الفرقة والاختلاف المؤدي إلى التنازع والفشل وذهاب الريح ؛ لذا أمر الله عباده المؤمنين بالاعتصام بحبل الله المتين فقال - جلّ شأنه - : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ﴾ . وبين لعباده أن التنازع طريق إلى الفشل ، فقال سبحانه محذراً عباده من ذلك : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[2] .

سابعاً : أن الداعية هو القدوة الحسنة في مجتمعه ، فمتى كان ملتزما بهدي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ في أفعاله وأقواله كان تأثيره أقوى .

ثامناً : أن من أسباب نجاح الدعاة في دعوتهم الحرص على طلب العلم ،فإذا كان الداعية على قدر كافٍ من الفقه في الدين فإن المدعوين يجدون فيه بغيتهم التي ينشدونها ، فيثقون بدينه وعلمه وأمانته .

تاسعاً : عند وجود النزاع والخلاف بين الدعاة فإن المردَّ في ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع التجرد عن الهوى كما قال تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[3].

عاشراً : أن من صفات الدعاة الصادقين الشكر لرب العالمين ، وذلك بالتزود بطاعة الله تعالى أسوة بسيد المرسلين الذي تعجبت منه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

---

(١) الشورى : ٣٨ .

(٢) الأنفال : ٤٦

(٣) النساء : ٦٥

حينما رأت شدة خشيته لله تعالى وكثرة عبادته ، فأجابها ﷺ قائلاً : « أفلا أكون عبداً شكوراً » .

وفي ختام هذا البحث أوصي نفسي وإخواني الدعاة بتقوى الله تعالى في السر والعلن امتثالا لأمر الله القائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[1].

فبتقوى الله تعالى يسعد الدعاة في الدنيا والآخرة ، ويفتح لهم باب العلم كما قال ـ جلّ شأنه ـ : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية : « وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علّمه » أي يجعل في قلبه نوراً يفهم به ما يلقى إليه ، وقد يجعل الله تعالى في قلبه ابتداء فرقاناً ، أي فيصلا يفصل به بين الحق والباطل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[3] .

كما أوصي الجامعات بهذه البلاد المباركة وغيرها من بلاد الإسلام بالاهتمام بالفقه الدعوي المستمد من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، ففي ذلك الخير الكثير والنفع العظيم للدعاة والمدعوين ، وما هذه الموسوعة الدعوية في صحيح الإمام البخاري التي اهتمت بها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلا بداية خير عظيم لطريق طويل في دراسة سنة رسول الله ﷺ دراسة دعوية .

كما أوصي الدعاة والمدعوين معاً بالالتزام بالمنهج النبوي في الدعوة إلى الله تعالى، وعلى المدعوين خاصةً تشجيع كل من دعا إلى الله تعالى على بصيرة على دعوته امتثالا لأمر الله القائل : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ

---

(١) الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١

(٢) البقرة : ٢٨٢

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٠٦/٣ . والآية من سورة الأنفال : ٢٩ .

والْعُدْوَانِ ﴾[1].

وأخيرا فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله وحده ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ، « والمنصف يهب خطأ المخطيء لإصابته ، وسيئاته لحسناته ، فهذه سنة الله في عباده جزاءً وثواباً ، ومن الذي يكون قوله كلّه سديداً ، وعمله كله صواباً ، وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، ونطقه وحي يوحى »[2].

وفي الختام أسأل الله - جلتْ قدرته - لي ولدعاة الإسلام في كل مكان التوفيق والنصر والتمكين ، وأن يجعلنا وإياهم ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[3] ، وأن يجمعنا وإياهم وعلماءنا والمسلمين أجمعين في الفردوس الأعلى ، وممن يقال لهم يوم القيامة : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[4]. إنه سميع مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العامين ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

---

(١) المائدة : ٢

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية ص ١٢ - ١٣ ،ط دار الكتب العلمية - بيروت .

(٣) النور : ٣٧

(٤) الحاقة : ٢٤

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم:

٢. الإمام البخاري وصحيحه، لعبد الغني عبد الخالق، ط دار المناره، جدة ١٤١٥هـ.

٣. الأذكار، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، حققه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرنؤوط، ط الملاح - دمشق.

٤. الآداب الشرعية، للإمام الفقيه المحدث أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، حققه وضبطه وأخرج أحاديثه وقدم له: شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م.

٥. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، ط دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧م.

٦. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط دار الكتاب العربي ، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٧. الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، للسيد محمد صديق القنوجي البخاري ط دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ.

٨. الإرشاد إلى سبيل الرشاد، للشريف محمد بن أحمد أبي موسى الهاشمي، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٩. الإعلان بأحكام البنيان، تأليف ابن الدامي البناء، تحقيق ودراسة الشيخ عبد الرحمن بن صالح الأطرم، اشرف عليها د/ صالح بن فوزان الفوزان، ط دار اشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م.

١٠. الإعتصام، للعلامة الأصولي المحقق الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، ط دار الفكر ، بيروت.

١١. الإصابة في تمييز الصاحبة، للإمام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب للإمام القرطبي، تحقيق د/ طه محمد الزيني ، ط النهضة الجديد، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ، ١٩١٧م.

١٢. الالتزام الإسلامي في الشعر، تأليف ناصر بن عبد الرحمن الخنين، ط مؤسسة دار الأصالة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م.

١٣. أحكام الخواتيم، للإمام بن رجب الحنبلي، تعليق عبد الله القاضي ، ط دار الكتب العلمية، بيروت- الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٤. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، للإمام تقي الدين أبي الفتح الشهير بابن دقيق العيد، ط دار الكتاب العربي- بيروت.

١٥. إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، وبهامشه تخريج الحافظ العراقي، ط دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ ، ١٩٨٣م.

١٦. أخلاق العلماء، للإمام المحدث الفقيه أبي بكر الآجلي، علق عليه وخرج أحاديثه د/ فاروق حمادة، ط دار الثقافة - الدار البيضاء، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٧. أدب الدنيا والدين، للإمام أبي الحسن الماوردي، شرح وتعليق محمد كريم راجح، ط دار اقرأ - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.

١٨. آداب المتعلمين، للدكتور أحمد بن عبد الله الباتلي، ط دار القاسم - الرياض الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٩. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للإمام شهاب الدين بن عباس القسطلاني، ضبطه وصححه محمد الخالدي ط دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٢٠. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين أبن الأثير أبي الحسن على بن محمد الجوزي، ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بـــالقرآن ، للشـــيخ محمـــد الأميـــن المختـــار الشنقيطي، ط عالم الكتب - بيروت.
٢٢. أضواء على البحث والمصادر، للدكتور عبد الرحمن عميره، ط دار المعـــارف جده.
٢٣. أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للإمام أبي سليمان حمـــد بـــن محمـــد الخطابي، تحقيق ودراسة د/ محمد بن سعد ال سعود ط جامعـــة أم القـــرى بمكـــة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
٢٤. أعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبـــي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، راجعه وقدم له وعلق عليه: طه عبـــد الـــرؤوف سعد، ط دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣م.
٢٥. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن تيميه، تحقيق د/ ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٢٦. أقضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام أبي عبد الله محمـــد بـــن فـــرج المالكي المعروف بابن الطلاع، بتحقيق وتعليق د/ محمد ضياء الرحمن الأعضمـــي، ط دار الكتاب اللبناني - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م.
٢٧. إكمال المعلم بفوائد مسلم، للإمام أبي الفضل عياض بن موســـى بـــن عـــايض اليحصبي، تحقيق د/ يحيى إسماعيل ، ط دار الوفاء - مصـــر ، الطبعـــة الأولـــى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٢٨. أهمية العلم في محاربة الأفكار الهدامة، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله تعالى - ط دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٢٩. الباحث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير، لأحمد شـــاكر، ط دار المعراج الدولية بالرياض، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٣٠. البحث العلمي مناهجه وتقنياته، للدكتور محمد زيات عمــر، ط دار الشــروق - جدة.
٣١. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للقاضي محمد بن علي الشــوكاني ط دار المعرفة - بيروت.
٣٢. البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ بن كثير، مكتبة المعارف - بيروت.
٣٣. بر الوالدين - ما يجب على الوالد لولده وما يجب على الولــد لوالــده ، للإمــام الحافظ أبي بكر محمد بن الوليد بن خلف القرشي الطرطوشي، تحقيق محمد عبــد الكريم القاضي، ط مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ ١٩٩١م.
٣٤. برد الأكباد عند فقد الأولاد، لأبي عبد الله محمد بن ناصر الدين الدمشـــقي ، ط مكتبة دار الأرقم - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٣٥. البر والصلة، للحسين بن الحسن المروزي، تحقيق ودراسة وتخريــج د/ محمــد سعيد بخاري، ط دار الوطن للنشر - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٣٦. بلوغ المأرب في قص الشارب، للحافظ جلال الدين السيوطي، حققــها وخــرج أحاديثها أبو محمد ابراهيم بن شريف الميلي ، ط دار السقا - دمشـــق، ط الأولــى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
٣٧. بلغه المراد في التحذير من الافتتان بالأموال والأولاد، لشمس الدين محمــد بــن محمد البديري، ط دار الصحابة للتراث بمصر - طنطا، الطبعة الأولى ١٤١٢هـــ ١٩٩٢م.
٣٨. بهجة النفوس، لمحمد ابن أبي جمره، ط دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٩. تاج العروس، لمحمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي ، ط دار الفكــر - بيروت، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م.
٤٠. التبرك أنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديــع، نشــر مكتبــه الرشد - الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٤١. التبرج والاحتساب عليه، لعبد العزيز السلمي، ط مكتبة الحرمين وعالم الكتب - الرياض.

٤٢. تحفة الأحوذي لشرح جامع الترمذي، للإمام أبي العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٤٣. تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ، للإمام محمد بن علي الشوكاني، ط المكتبة الثقافية - بيروت.

٤٤. تحفة الأخباري بترجمة البخاري، للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، تحيق محمد ناصر العجمي، ط دار البشائر - بيروت.

٤٥. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن الأنصاري القرطبي، ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧م.

٤٦. ترتيب مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق شهاب الدين بن عمر، ط المكتبة التجارية - مكة المكرمة.

٤٧. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للحافظ أبي محمد زكي الدين المنذري، تصحيح مصطفى محمد عماره، ط دار الحديث - القاهرة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٤٨. الترغيب في الدعاء والحث عليه، للإمام الحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي، تحقيق وتعليق ودراسة د/ فالح بن محمد بن فالح الصغير، ط دار العاصمة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م.

٤٩. تراجم البخاري، للقاضي بدر الدين محمد بن جماعه، تحقيق د/علي الزبن، ط دار هجر.

٥٠. تسلية الأباء بفقدان الأبناء المسمى التعليل والإطفاء لنار لا تطفى، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، خرج أحاديثه وضبط نصه وعلق عليه: مشهور

حسن محمود سلمان، ط مكتبة المنار الزرقاء - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٥١. تسلية نفوس النساء والرجال عند فقد الأطفال، للحافظ عبد الرحمن بن رجب، تحقيق الوليد بن عبد الرحمن الفريان.

٥٢. تصحيح الدعاء، للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد، ط، دار العاصمة - الرياض الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٥٣. التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، ط المكتبة العثمانية، باكستان - لاهور.

٥٤. التعليقات الأثرية على المنظومة البيقونية، نظمها، طه بن محمد بن فتوح البيقوني، ط دار ابن الجوزي.

٥٥. تغليق التعليق على صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق سعيد عبد الرحمن القزقي، ط المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٥٦. تفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين بن إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي، حققه وخرجه وضبطه حسان الجبالي، ط بيت الأفكار الدولية - الرياض، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، طبعه دار المعرفة - بيروت.

٥٧. تفسير النسفي، للعلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمد النسفي، ط دار إحياء الكتاب العربية - بيورت.

٥٨. تفسير غريب الحديث مرتباً على الحروف، للحافظ ابن حجر، ط دار المعرفة بيروت.

٥٩. تقريب التهذيب، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٦٠. التلخيص في علوم البلاغة، للقزويني، ضبطه وشرحه الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي، ط دار الكتاب العربي - بيروت.
٦١. التنقيح في حديث التسبيح، للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي ، ط دار البشائر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م.
٦٢. تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أعمال الهالكين، للإمام أحمد إبراهيم بن محمد الدمشقي الشهير بابن النحاس،ط مكتبة الحرمين - الرياض، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦م.
٦٣. تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تقديم وتحقيق وتعليق عرفة حلمي عباس ، ط دار الحديث - القاهرة.
٦٤. تهذيب الأسماء واللغات للإمام أبي زكريا محي الدين النووي، ط دار الكتب العلمية - بيروت.
٦٥. تهذيب التهذيب، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م.
٦٦. تهذيب اللغة، للأزهري ، ط دار القومية العربية - القاهرة ١٣٨٤هـ.
٦٧. تهذيب الكمال، للإمام المزي، ط مؤسسة الرسالة - بيروت.
٦٨. التوابين، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامه المقدسي، ط دار الكتاب العربي، بيروت.
٦٩. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، ط مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة.
٧٠. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ط المكتب الإسلامي - دمشق، الطبعة الثالثة ١٣٩٧م.
٧١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٧٢. تيسير العبادات لأرباب الضرورات، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دراسة وتحقيق سعود بن عيد الحربي، ط مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م.

٧٣. جامع الأصول في أحاديث الرسول، للإمام مجد الدين أبي السعادات بن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، الملاح - دمشق ، ١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩م.

٧٤. جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط مصطفى البابي الحلبي - مصر ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م.

٧٥. جامع بيان العلم وفضله، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبي ، ط دار ابن الجوزي - الدمام، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م.

٧٦. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط دار الكتاب العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة.

٧٧. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، للحافظ بن رجب، ط مؤسسة الرسالة.

٧٨. جهود المرأة في رواية الحديث، للدكتور صالح يوسف معتوق، ط دار البشائر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م.

٧٩. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق أبي حذيفة عبد الله بن عاليه، ط دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م.

٨٠. حاشية كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، الطبعة الأولى - ١٣٩٦هـ.

٨١. * حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، جمع الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ

٨٢. الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، ط دار الباز للنشر - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ،١٩٨٥م.

٨٣. الحث على اغتنام الأوقات بالأعمال الصالحات، للإمام الحافظ ابن رجب، ط دار ابن خزيمه - الرياض.

٨٤. حد الثوب والإزرة وتحريم الإسبال ولباس الشهرة، للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد ، ط دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٨٥. الحقائق الطبية في الإسلام للدكتور عبد الزراق الكيلاني، ط دار القلم - دمشق.

٨٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط السعادة ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٨٧. حلية طالب العلم، للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد ط دار ابن الجوزي.

٨٨. الحوادث والبدع، أبو بكر الطرطوشي، تحقيق عبد المجيد تركي ، ط دار الغروب الأسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٨٩. الختان، للدكتور محمد علي البار، ط دار المنارة - جدة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٩٠. الخطر اليهودي، للدكتور سعد المرصفي، ط مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٩١. الدر النضيد على كتاب التوحيد، للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، شرح وتعليق سعيد الجندول، الطبعة الثالثة ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٩٢. الدعوة إلى الله مضامينها وميادينها، للشيخ عبد الكريم الخطيب، ط دار الكتاب العربي.

٩٣. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد بن علان الشـــافعي الأشـــعري، تعليق الشيخ زكريا عميران ، ط دار الكتب العلمية - بـــيروت ، الطبعـــة الأولـــى ١٤١٦هـــ،١٩٩٥م.
٩٤. دليل القارئ إلى مواضع الحديث في صحيح البخاري، للدكتور عبد الله بن محمد الغنيمان ، ط الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.
٩٥. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للحافظ عبـــد الرحمـــن بـــن أبـــي بكـــر السيوطي، ط دار ابن عفان - الخبر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـــ ، ١٩٩٦م.
٩٦. ديوان عنترة، ط دار المعرفة - الإسكندرية، ١٩٩٢م.
٩٧. ديوان أبي العتاهية، ط دار البيروت - بيروت، ١٤٠٦هـــ ، ١٩٨٦م.
٩٨. رحلة داخل جسم الإنسان، د/ سارة يسري، ط دار الطلائع، القـــاهرة، الطبعـــة الأولى ١٩٩٦م.
٩٩. الرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ط دار السلام.
١٠٠.الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، لعلي النفيعـــي العليـــاني، ط دار الوطن - الرياض.
١٠١.الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، للإمام محمـــد بن إبراهيم الوزير، تقديم الدكتور بكر عبد الله أبو زيد ، ط دار عالم الفوائد - مكـــة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـــ.
١٠٢. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، للإمام أبي حاتم محمد البستي، تحقيـــق محمـــد الفقي، ط مكتبة السنة المحمدية.
١٠٣.الرياض الناضره والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفـــاخرة، للشيخ عبد الرحمن السعدي ، ط مكتبة المعـــارف - الريـــاض، الطبعـــة الرابعـــة ١٤٠٢هـــ ، ١٩٨٢م.

١٠٤.زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية، ط دار ابن حزم، وط مؤسسة الرسالة بيروت.

١٠٥.زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي، ط المكتب الإسلامي.

١٠٦.الزهد والرقائق، للإمام عبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق وتعليق أحمد فريد، ط، دار المعراج الدولية - الرياض.

١٠٧.سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٢م.

١٠٨.السنة، للحافظ أبي بكر عمر بن أبي العاصم إسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني، ط المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ،١٩٩٣م.

١٠٩.السنة قبل التدوين، لمحمد عجاج الخطيب، ط مكتبة وهبه - القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.

١١٠.سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. دراسة وفهرسة : كمال يوسف نحوت، ط دار ابن حزم - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١١١.سنن أبن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار الكتب العلمية - بيروت.

١١٢.سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ط المكتبة الإسلامية، استانبول.

١١٣.سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، ط دار المعرفة بيروت.

١١٤.سير السلف الصالحين، للإمام أبي العاصم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني الملقب بقوام السنة، تحقيق د/ كرم بن حلمي بن فرحان بن أحمد ، ط دار الراية - الرياض، الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

١١٥.السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دارسة تحليلية، للدكتور مهدي رزق الله أحمد، ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١١٦.سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

١١٧.شأن الدعاء، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، ط دار الثقافة العربية ، دمشق.

١١٨.شرح الأربعين حديثاً النووية ، للعلامة ابن دقيق العيد، مؤسسة الطباعة والصحافة - جدة.

١١٩.شرح الأدب المفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل، تأليف فضل الله الجيلاني، المطبعة السلفية القاهرة.

١٢٠.شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، للعلامة محمد السفاريني، ط المكتب الأسلامي. ١٤١٠هـ.

١٢١.شرح سنن ابن ماجه، لعلاء الدين مغلطاي الحنفي تحقيق كامل عويضه، ط مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الاولى ١٤١٩هـ

١٢٢.شرح سنن أبي داود، للإمام بدر الدين العيني، ط مكتبة الرشد، الرياض.

١٢٣.شرح السنة، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، ط المكتب الإسلامي في بيروت.

١٢٤.شرح العقيدة السفارينية، للشيخ محمد بن عبد العزيز مانع، ط أضواء السلف الرياض.

١٢٥.شرح العقيدة الطحاوية، للقاضي على بن محمد بن أبي العز الدمشقي، ط مكتبة المؤيد - الطائف، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

١٢٦.شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، لبعد الله الغنيمان، ط مكتبة لند - دمنهور.

١٢٧.الشفاء في الطب المسند عن السيد المصطفى، للإمام أحمد بن يوسف التيفاشي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي ، ط دار المعرفة بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٢٨.الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها، للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع، ط دار أطلس - الرياض، الطبعة الاولى ١٤١٧هـ.

١٢٩.الشفاء بالحبة السوداء بين الإعجاز النبوي والطب الحديث، للدكتور حسان شمس باشا، ط دار القلم بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م.

١٣٠.الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، حققه وعلق عليه سيد بن عباس.

١٣١.الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية، حققه وعلق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، ط السعادة بمصر.

١٣٢.صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م.

١٣٣.صحيح ابن حبان بترتيب بن بلبان ، للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الارنؤوط، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م.

١٣٤.صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ط بيت الأفكار الدولية، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٣٥.صحيح مسلم بشرح النووي، مطبعة المديني - مصر، الطبعة الاولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

١٣٦.صفات الداعية، د/ حمد بن ناصر العمار، ط دار اشـــبيليا - الريــاض الطبعــة الأولى ١٤١٧هــ ، ١٩٩٦م.

١٣٧.صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، بقلم عبد الفتاح أبو غـدة، ط دار القلم - دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٣هــ ١٩٩٢م.

١٣٨.صيد الخاطر، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق د/ عبد الرحمن البر، ط دار اليقين، الطبعة الثالثة ١٤١٩هــ.

١٣٩.ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، لعبــد الرحمــن حســن حنبكــه الميداني،ن ط دار القلم - دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هــ

١٤٠.الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع، لمختار سالم ، تقديم ومراجعة الشيخ أحمـد محيي الدين العجوز، ط مؤسسة المعارف - بيروت، ١٤٠٨هــ

١٤١.الطب النبوي، لشمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية، صححه عبد الغني عبد الخالق.

١٤٢.الطب النبوي والعلم الحديث، للدكتور محمود ناظم النسيمي ، ط مؤسسة الرســالة - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٢هــ ، ١٩٩١م.

١٤٣.الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد الهاشمي المعروف بابن سعد، دراسة وتحقيــق محمد عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هــ.

١٤٤.الطفل في الشريعة الإسلامية، للدكتور محمد أحمد الصــــالح، الطبعــة الثانيــة، ١٤٠٣هــ.

١٤٥.الطير والطيرة في القرآن والسنة، د/ سهام بنت عبد الله وادي ط، مكتبة الســنة - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هــ ١٩٩٤م.

١٤٦.العبر في خبر من عبر، للحافظ الذهبي، حققه وضبطه محمد السعيد بن بســيوني زغلول، ط دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هــ.

١٤٧.عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للأمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق د/ ناصر الجديع، ط دار العاصمة ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

١٤٨.عقيدة المؤمن، للشيخ أبو بكر جابر الجزائري، ط دار الشروق - جدة ، ١٤٠٤هـ

١٤٩.العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، د/ صالح بن فوزان الفوزان، ط مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.

١٥٠.العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، للإمام أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني، تحقيق أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصدري ، ط مكتبة الرشد- الرياض، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١٥١.علو الهمة، لمحمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم ، ط مكتبة الكوثر - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م.

١٥٢.عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين أبي محمد محمود العيني، مراجعة صدقي جميل العطار، ط المكتبة التجارية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

١٥٣.العمر والشيب، للإمام الحافظ أبي بكر بن عبد الله بن أبي الدنيا، ط مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م.

١٥٤.عون الباري لحل أدلة البخاري، للإمام أبي الطيب صديق حسن على القنوجي البخاري، ط دار الرشيد - حلب ، ١٤٠٤هـ.

١٥٥.عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي، مع شرح الحافظ شمس الدين بن قيم الجوزية، ط دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٠هـ.

١٥٦.غريب الحديث ، لأبي محمد عبد الله بن مسلمة بن قتيبة، ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

١٥٧.فتح الباري لشرح البخاري، للحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني، قرأ أصله تصحيحا وتحقيقاً الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ط المطبعة السلفية - القاهرة.

١٥٨.فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر ومعه فتح المجيد في اختصار تخريج أحاديث التمهيد، رتبه واختصر تخريجه محمد عبد الرحمن المغراوي، ط مجموعة التحف النفائس الدولية - الرياض الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م.

١٥٩.فتح السلام في أحكام السلام ، إعداد مساعد بن قاسم الفالح ، ط مكتبة العبيكان - الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م.

١٦٠.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ط مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ، ١٩٦٤م.

١٦١.فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن ال الشيخ، تصحيح الشيخ عبد العزيز بن باز، ط دار القلم - بيروت، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٦٢.الفتوى الحموية الكبرى، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية، تحيق د/ حمد التويجري، ط دار الصميعي - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٩٨م.

١٦٣.الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي، ط دار الفكر دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م.

١٦٤.فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري ، دراسة دعوية للأحاديث من أول كتاب الوصايا إلى نهاية كتاب الجزية والموادعه، للدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

١٦٥.الفوائد، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بـابن قيم الجوزية، تحقيق عبد السلام شاهين، ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
١٦٦.الفوائد المنتقاه من فتح الباري، انتقاء عبد المحسن بن محمد العباد، ط مكتبة العلوم والحكمة - المدينة المنورة.
١٦٧.فوائد حديث أبي عمير، للإمام أبي العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري المعروف بابن القاضي، تحقيق وتعليق صابر أحمد البطاوي، ، ط دار تراثية - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م.
١٦٨.القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط دار الفكر، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م.
١٦٩.قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب، ط مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
١٧٠.قرة العينين في أطراف الصحيحين، وضعه خادم الكتاب والسنة، محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م.
١٧١.قصر الأمل، للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، ط دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦، ١٩٩٥م.
١٧٢.القصيدة النونية، للإمام ابن القيم، ط مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.
١٧٣.قواعد التعايش بين أهل الأديان عند شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد خير العبود، ط دار رمادي للنشر، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.
١٧٤.القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، ط دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٦م.

١٧٥.الكبائر، للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بعناية: بسام عبد الوهاب الحابي، ط دار ابن حزم للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

١٧٦.كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، دراسة وتحقيق د/ عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، ط دار الرشد- الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

١٧٧.كتاب المجموع شرح المهذب ، للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، حققه وعلق عليه وأكمله محمد نجيب المطيعي، ط دار إحياء التراث العربي، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٧٨.كتاب أبلي لأمراض العظام والكسور، د/ " أبلي" استشاري العظام بمستشفى " توماس" - لندن، و " وليس سلمون" استشاري جراحة العظام بجامعة " ديتورجوهابتربويخ"، وقام بترجمة هذا النص إلى العربية الدكتور عبد الله الأشقر.

١٧٩.كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، للعلامة إسماعيل بن محمد العجلوني، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٨٠.لسان العرب، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور المصري، دار صادر - بيروت.

١٨١.لامع الدراري على جامع البخاري، للفقيه المحدث الشيخ أبي مسعود رشيد أحمد الكنكوهي، ط المكتبة الإمدادية - مكة المكرمة ، ١٣٩٦هـ.

١٨٢.لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضئية في عقيدة الفرقة المرضية، للعلامة محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ط المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ.

١٨٣.ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق د/ محمد بن علي البار، ط دار القلم - دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٨٤.المتوارى على تراجم أبواب البخاري، للعلامة ناصر الدين أحمد بن محمد المعروف بـ " ابن المنير" الإسكندراني، حققه وعلق عليه صلاح الدين مقبول أحمد، ط مكتبة المعلا، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٨٥.مجموع الحكم والأمثال في الشعر العربي، لأحمد قبش، ط، دار العروبة.

١٨٦. المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي [العقيدة الإسلامية]، ط مركز صالح بن صالح الثقافي - عنيزة، ١٤١١هـ.

١٨٧.مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط الرئاسة العامة لشئون الحرمين.

١٨٨.مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله تعالى- ، ط الإدارة العامة للطبع والترجمة - الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٨٩.المجموعة العلمية، للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد، ط دار العاصمة - الرياض الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٩٠.المخصص، لأبي الحسن عليه بن إسماعيل النحوي الأندلسي، المعروف بابن سيدة، ط دار الفكر - بيروت.

١٩١.المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل وتخريجات الأصحاب، للدكتور: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط دار العاصمة - الرياض، الطبعة الاولى ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م.

١٩٢.المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، أشراف د/ يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، ط دار المعرفة - بيروت.

١٩٣.مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط المكتب الإسلامي، دار صادر - بيروت.

١٩٤.مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ ، ١٩٦١م.

١٩٥.مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للإمام أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، ط دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م.

١٩٦.المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق ياسين محمد السواس، ١٤٠٣هـ.

١٩٧.المعجم الأوسط، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ط دار الحرمين بالقاهرة، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م.

١٩٨.معجم البلدان، للحمودي، ط دار الكتب العلمية - بيروت.

١٩٩.المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى أحمد وأخرون، ط دار الدعوة - استانبول - تركيا.

٢٠٠.معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لعبد اله بن عبد العزيز الأندلسي، تحقيق مصطفى السقا، ط عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.

٢٠١.المعلم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري، ط دار الغرب الإسلامي - بيروت.

٢٠٢.معجزة الاستشفاء بالعسل والغذاء الملكي، د/ حسان شمسي باشا ، ط مكتبة السوادي - جدة، الطبعة الثانية ١٤١١هـ ، ١٩٩١م.

٢٠٣.مع الطب في القرآن الكريم، للدكتور عبد الحميد ذيات وأحمد قرقوز، ط مؤسسة علوم القرآن - دمشق.

٢٠٤.المغني، لموفق الدين أبي محمد عبد الله أحمد بن محمد بن قدامه المقدسي الدمشقي، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي د / عبد الفتاح محمد الحلو، ط دار هجر - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، ١٩٩٠م.

٢٠٥.مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق سيد إبراهيم على محمد، ط دار زمزم - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م.

٢٠٦.المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصبهاني، ط دار المعرفة - بيروت.

٢٠٧.المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، ط دار الكلم الطيب - دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٢٠٨.مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، للإمام أبي عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهوزري، المعروف بابن الصلاح ، ط دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٠٩.مقدمة ابن خلدون ، ط دار الهلال - بيروت، ١٩٩٦م.

٢١٠.مقدمة في علم مقاصد الشريعة، للدكتور/ سعد بن ناصر الشثري، ط دار المسلم - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م.

٢١١.منار القارئ في شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم، راجعه الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، ط مكتبة دار البيان، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٢١٢.من تشبه بقوم فهو منهم، للدكتور ناصر العقل، ط دار الوطن.

٢١٣.من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، د/ فضل إلهي، ط إدارة ترجمان الإسلام - باكستان.

٢١٤.من كنوز الطب العربي، لمحمد عزت محمد عارف، ط مكتبة الإصلاح - جدة.

٢١٥.المنظار في كثير من الأخطاء الشائعة، للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط دار العاصمة - الرياض.

٢١٦.المنتقى شرح موطأ مالك، للقاضي أبي الوليد سليمان ابن خلف بن سعد بن أيوب الباجي، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، ط دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩م.

٢١٧.منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات، لتقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي، ط مؤسسة الرسالة .

٢١٨.منهاج السنة النبوية في رعاية الصحة وقاية وعلاجا، د/ بدير محمد بدير ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م.

٢١٩.المنهاج النبوي في دعوة الشباب ، د/ سليمان قاسم العيد، ط دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٢٠.منهج ابن تيمية في الدعوة ، د/ عبد الله بن رشيد الحوشاني، ط دار اشبيليا - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٢٢١.منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي على ضوء ما جاء في سورة الحجرات، لمحمد بن محمد الأمين الأنصاري ، ط مكتبة الأنصار - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م.

٢٢٢.مكارم الأخلاق، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، ترتيب خالد أبو صالح، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م.

٢٢٣.الموطأ للإمام مالك بن أنس ، ط إحياء التراث الإسلامي.

٢٢٤.النظر في أحكام النظر بحاشية البصر، للشيخ أبي الحسن علي بن محمد القطان الفاسي، ط دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٢٥.نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار، للإمام محمد بن علي الشوكاني ، ط مصطفى البابي الحلبي - مصر .

٢٢٦.هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، لعبد الرحيم عنبر الطهطاوي، ط دار الرائد - بيروت.

٢٢٧.هدي الساري مقدمة فتح الباري، للحافظ، بن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية، القاهرة.

٢٢٨.هل هناك طب نبوي، د/ محمد علي البار، ط الدار السعودية - جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.

٢٢٩.وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيـــق د/ إحسان عباس ، ط دار صادر - بيروت.
٢٣٠.الوقت أنفاس لا تعود ، لعبد الملك القاسم ، ط دار القاسم، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢٣١.وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب، لعبد الله بن ناصر السدحان، ط مكتبة العبيكان الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م.

فهرس الآيات

فهرس الآيات

السورة	رقمها	الصفحة
وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾	(٢٨٦)	١١٢٠،٩٣٤

آل عمران

السورة	رقمها	الصفحة
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾	(١٤)	١٠٧٥
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾	(٣١)	٧٧٣،٧٣٥
يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ	(٣٠)	١٠٩٤
﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾	(٣٨)	٩٢١
﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾	(٦٤)	٦٤٤
﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾	(٩٢)	٤٤٨
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	(١٠٢)	١
﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾	(١٠٣)	٨٧٣،٧٣٦،٥٨٨،٥٨٢،٤٦٨
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	(١٠٤)	٢٠٠ ، ٢٦٦
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾	(١١٠)	٥٨٦
﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	(١٣٣)	٤٦١،٢٨٧
﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ		

فهرس الآيات

فهرس الآيات

السورة	رقمها	الصفحة
النساء		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾	(١)	١
﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾	(٥)	١١٣١
﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾	(١٩)	٧٨١، ٨٣٢، ٨٥٧، ٨٦٦، ٦٩٨
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا﴾	(٣٥)	٤٦٨، ٦٢٣
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾	(٣٦)	٤٤٤، ٥١٦، ٥١٨، ٥٢٠، ٥٣٦، ١١٣١
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾	(٤١)	١٠٣٨
﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾	(٥٤)	٥٩٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾	(٥٩)	١٨٦، ٢٥٢، ٣٥٠، ٣٩٨، ٦٤٧، ٨٨٥
﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	(٦٥)	٢٠٢، ٢٣٨
﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾	(٦٩)	٣٩٨
﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾	(٧٦)	٤٩

فهرس الآيات

المائدة

فهرس الآيات

الأنعام

فهرس الآيات

الأعراف

فهرس الآيات

فهرس الآيات

التوبة

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

إبراهيم

الحجر

فهرس الآيات

فهرس الآيات

السورة	رقمها	الصفحة

الإسراء

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

السورة	رقمها	الصفحة
﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾	(٣٠ـ ٣١)	٨١٣ ، ٨١٩، ٨٢١،
﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	(٣١)	٩٤٠، ١٠٧٠، ١٠٨٧
﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	(٤٩ ـ ٥٠)	٢٣٩
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	(٥١)	٢٣٩ ، ٣٤٠، ٦٤٧
﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	(٦١)	٨٢٨
﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	(٦٣)	٣٨٤

الفرقان

السورة	رقمها	الصفحة
﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾	(٢٤)	٢٣١
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾	(٥٨)	٩٥٢
﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾	(٦٥ ـ ٦٦)	١٧٣
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾	(٦٧)	٥٧٥، ١١٣٠
﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾	(٦٨ ـ ٦٩)	٨٢٥
﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا		

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

السورة	رقمها	الصفحة

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

السورة	رقمها	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾	(٨)	١٢٩، ٩٣٥، ٩٣٧، ٩٣٩، ١٠٧٠، ١٠٨٧
القلم		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	(٤)	٢٧٨، ٢٧٩، ٤١٦، ٥٥٢، ٥٥٨، ٦٤١، ٦٨٩، ٧٠٠، ٧٥٢، ٧٨١، ٨٣٢، ٨٥٧، ٨٦٦، ٩٩٠
نوح		
﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	(٢ ـ ٤)	٤٥٩
﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾	(١٠ ـ ١٢)	٩٢٣، ٩٣٢، ٩٨٥
﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾	(٢٣ ـ ٢٤)	٤٠٨
الجن		
﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾	(١٨)	٩١٣

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

الأبيات الشعرية	الصفحة
فــــلا والله مـــا في العيش خير * ولا الدنيـا إذا ذهب الحيـــاء يعيش الـــمرء ما استحـــيا بخير * ويبقــى العود ما بقي اللحاء	٦٨٥
فغــض الطــرف إنـك من نـمـير * فلا كعبـا بلغت ولا كـــلابا	٨١٩
زرت القبـــور أهل الملك في الــ * ـدنيا وأهل الرتع في الشهوات كانوا ملوك مآكل ومشــــارب * وملابس وروائح عطـرات فإذا بأجســاد عــرين من الكسا * وبـأوجه في الترب متعفـرات لم تبق منها الأرض غير جمـاجم * بيض تلـوح وأعظم نخرات إن الـــمقابـــر مـــا علمت لمنظر * يهدي الشجا ويهيج العبـرات سبحـان من قهر العبـاد بقـــدره * باري السكون وناشر الحركات	١٠٥٢
اللـهم لا عيش إلا عيش الآخـرة * فاغفر للأنصار والمهاجـــرة	١٠٠٢
نحن الــــذين بايعوا محمـدا * على الجهـــاد ما بقيـنا أبـــدا	١٠٠٢
سموك من جهلهم ســــديدا * والله ما فيك من ســــداد أنت الـــذي كونه فســـادا * في عـــالم الكـــون والفســـاد	٧٧٩

الأبيات الشعرية	الصفحة
لا يترأىٰ لـما في العـــدر يرقبه * ولا معض علىٰ شرسـومه صعر	١٥٢
ثـــلاث وستـــــون قد جزتها * فمـــــاذا تؤمـــل تنتـــظر	
وحــلّ عليك نذير المشـــيب * فمــا ترعـوي أو فـمـا تـزدجـــر	
تــمر ليـاليك مرًّا حثـــيثا * وأنت علـــىٰ ما أرىٰ مستـــمر	
فلـو كنت تعقل مــا ينقضـــي * من العمر لا تعـــطت خير بشر	
فما لك ـ ويحك ـ لا تستعد إذن * لدار المقـــام ودار الـمقـــــر	١٠٦٦
فرضت عليّ زكاة ما ملكت يدي * وزكاة جاهي أن أعين وأشفـــعا	
فإذا ملكت نجـــد فإن تستـــطع * فاجهد بوسعـك كله أن تنفعـــا	٨٥٨
وحسبك من ذل وسوء صيـــفة * مناواة ذي القربىٰ وإن قيل قاطع	
ولكن أواســـيه وأنســـىٰ ذنوبه * لترجعه يومـــــا إليّ الـــرواجع	
ولا يستوي في الحكام عبدان واصل * وعبد لأرحام القـــرابة قامـــع	٤٥٣
ومــــا اكتسب المحامد حــامدوها * بمثل البشـــر والوجـــه الطليق	٥٦٥
يسر الفتـــىٰ طول الحياة والبقـــا * فكيف ترىٰ طول السلامة يفعل	١٠٤٠
يرد الفتــــىٰ بعد اعتدال وصحة * ينوء إذا رام القيـــام ويحـــمل	١٠٤٠

الأبيات الشعرية	الصفحة
ألا فـــامهد لنفسك قبـل مـوت * فإن الشـيب تـمهيد الحمـــام فقد جد الرحـــيل فكن مجـدا * يحـط الرحـل في دار الـمقـام	١٠٧١
ولبـــاسهم مــــن سنـدس * استبـــرق نوعـــان معـروفان	٣١٥
لا تقرب الـدنس المقـرب للبلى * ما للبلـى فيهـن من سلطـــان	٣١٥
اللـــهم لولا أنت ما اهتديـــنا * ولا تصـــدقنا ولا صليـــنا فاغفر فـــداء لك مـــا اقتفينا * وثبت الأقـــدام إن لاقيـــنا والقين سكينة علينا إنـــا إذا صيح بنا أتيـــــنا * وبالصـــياح عولوا علـــينا	٨٢٦
إذا تلبســت عن سؤالك عبد الله * ترجع غـدا بخفـي حنـــين فأعنت الشيـــخ بالسـؤال تجده * سلســا يلتفك بالراحـــتين وإذا لم تصح صياح الثكـــالي * قمت عنه وأنت صـفر اليـدين	٨٥١
علفتها تبـــنا ومـــاء بـــاردا * حتى غـدت هـمالة عيـناها	٨٢
وأغض طـرفي ما بدت لي جارتي * حتى يـوارى جـارتي مـأواها	٥٢٦

فهـــرس المحتـــويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

تابع فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهــــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهــــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهــــرس المحتويات

فهــــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــــرس المحتويات

فهـــــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــــرس المحتويات

فهـــــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

فهـــرس المحتويات

تابع فهـــرس المحتويات